

ﺷﯩﺦ ﺍﻟﯩﺴﻼﻡ ﺁﺣﻤﺪ ﺑﻦ ﻋﺒﺪ ﺍﻟﺤﻠﯩﻢ ﺑﻦ ﻋﺒﺪ ﺍﻟﺴﻼﻡ ﺑﻦ ﺗﯩﻤﯩﻴﻪ  
ﺍﻟﻤﺘﻮﻓﻰ ﺳﻨﻪ ٧٢٨ ﻫ—

ﺩ . ﻧﺎﺻﺮ ﺑﻦ ﻋﺒﺪ ﺍﻟﻜﺮﯨﻢ ﺍﻟﻌﻘﻞ

---

---

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على رسوله النبي الأمي، الذي أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، وعلى آله وصحابه، ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن من أعظم مقاصد الدين وأصوله، تمييز الحق وأهله عن الباطل وأهله، وبيان سبيل الهدى والسنة، والدعوة إليه، وكشف سبل الضلالة والبدعة، والتحذير منها.

وقد اشتملت نصوص القرآن والسنة، على كثير من القواعد والأحكام التي تبين هذا الأصل العظيم والمقصد الجليل.

ومن ذلك، أن قواعد الشرع ونصوصه اقتضت وجوب مخالفة المسلمين للكافرين، في عقائدهم وعبادتهم وأعيادهم وشرائعهم، وأخلاقهم الفاسدة، وكل ما هو من خصائصهم وسماتهم التي جانبوا فيها الحق والفضيلة.

وقد عني سلفنا الصالح - رحمهم الله - ببيان هذا الأمر، وكان من أبرز من صنف فيه، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ - رحمه الله.

وذلك في كثير من مصنفاته، لاسيما كتابه الشهير: "اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم".

وقد عالج هذا الكتاب مسائل كثيرة تمم المسلمين اليوم، كما كان الحال في زمانه. ومن جملة هذه المسائل، بيان أن الأدلة القطعية من الكتاب والسنة والإجماع، توافرت على الأمر بمخالفة غير المسلمين، والنهي عن موافقتهم، وأن في مخالفتهم مصالح ظاهرة، كما أن في موافقتهم مفسدات ظاهرة كذلك، وأن النصوص وآثار السلف بينت أصناف الذين أمرنا بمخالفتهم، ونهينا عن التشبه بهم، كأهل الكتاب والمشركين والمنافقين وأهل الجاهلية،

---

والأعراب الجفاة الذين لم يتفقهوا في الدين، والأعاجم من الفرس والروم، الذين لم يدخلوا الإسلام، ولم يلتزموا شرائعه، وأهل الفسق والفجور والفساد ونحوهم؛ لأن هؤلاء كلهم في سبيل الضلالة والغواية.

وقد فصل شيخ الإسلام - رحمه الله - في هذا الكتاب القيم جملة من الأمور التي جاء النهي الشديد عن التشبه بغير المسلمين فيها، وعن متابعتهم في شيء منها، وبخاصة مسألة الأعياد حيث بين أن الإسلام شرع للمسلمين عيدين في السنة، هما عيد الفطر وعيد الأضحى فحسب، ونهى أشد النهي عن متابعة الكافرين وأهل البدع في أعيادهم.

وعرض كذلك مسائل أخرى جاءت النصوص الشرعية وآثار السلف الصالح بالنهي عن متابعة غير المسلمين فيها، كالبناء على القبور واتخاذها مساجد، وكالغلو في الصالحين، واتخاذ المشاهد والمزارات، وسائر البدع والمحدثات في الدين، وكالافتتان بالنساء، والتفرق في الدين، والعصبيات والتحزبات والشعارات، والطرق والمناهج المحدثه في الدين، المستمدة من أعداء الإسلام والمسلمين، وغير ذلك من المسائل المهمة التي عرضها المؤلف، والتي تعالج الكثير من الأمراض التي ابتليت بها بعض المجتمعات الإسلامية المعاصرة، ويعد منهج شيخ الإسلام في عرض هذه المسائل أنموذجاً لمنهج السلف في العرض والاستدلال والمناقشة والرد.

وبالجملة: فإن هذا الكتاب "اقتضاء الصراط المستقيم" يعد بحق من أجود الكتب التي صنفها السلف في هذا الباب.

لذا فقد حرصت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد على طبعه ونشره وتوزيعه، مشاركة منها في معالجة مشكلات المسلمين اليوم، وانطلاقاً من رسالتها التي أوجبها الله عليها، ثم ناطتها بها حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود التي ما فتئت - بحمد الله - تحرص على نشر العلم والدعوة إلى السنة، والإسهام في معالجة أحوال الأمة الإسلامية، وحل مشكلاتها في ضوء العقيدة السليمة، ونهج السلف القويم، وتخليصها من البدع والمحدثات، وجمع كلمتها على الحق والهدى.

---

نسأل الله أن يحفظ خادم الحرمين الشريفين، وسمو ولي عهده، وسمو النائب الثاني،  
ويجزئهم خيراً على جهودهم في سبيل جمع المسلمين على الحق، وهدايتهم إلى صراط الله  
المستقيم، وأن ينصر بهم دينه، ويعلي كلمته، ويعز بهم السنة وأهلها، ويقمع البدعة  
وأنصارها.

وإني لأشكر للأخ الفاضل الأستاذ الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل، محقق هذا  
الكتاب، جهده الذي بذله في خدمته، وحرصه على أن ينتفع الناس به، وإذنه للوزارة في  
نشره وتوزيعه، سائلاً الله تعالى أن يوفقه إلى مزيد من العلم النافع والعمل الصالح، وأن  
يثيبه ويجازيه أحسن الجزاء.

كما أسأله سبحانه أن يوفق طلاب العلم، والحريصين على معرفة الحق بدليله من  
كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وبخاصة من يتصدى لدعوة الناس إلى دين الله المستقيم،  
للاستفادة من هذا الكتاب القيم، وغيره من مؤلفات العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه  
الله وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

.

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، القائل في كتابه الكريم: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْنُكُمْ بِمَاءٍ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١). والقائل: ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قَدِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٦﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣).

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح الأمة، وحذرها من التشبه بالكفار، فقال: ﴿ لتتبعن سنن من كان قبلكم ﴾ (٤) (٣) وبشر ببقاء هذا الدين وبقاء أهل السنة على الحق، فقال: ﴿ لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس ﴾ (٥) (٦). صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم، ومن اهتدى بهديه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

(١) سورة الأنعام: الآية ١٥٣.

(٢) سورة الأنعام الآيات ١٦١ - ١٦٣.

(٣) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٨٨٩)، مسلم العلم (٢٦٦٩)، أحمد (٨٤/٣).

(٤) جاء ذلك في حديث متفق عليه، سيأتي تخريجه في تحقيق الكتاب. انظر: فهرس الأحاديث، حرف اللام.

(٥) البخاري العلم (٧١)، مسلم الإمارة (١٠٣٧)، أحمد (٩٩/٤).

(٦) متفق عليه، وهذا لفظ مسلم، انظر: صحيح مسلم، كتاب الإمارة - باب قوله صلى الله عليه وعلى آله

وسلم: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق . . " الحديث رقم (١٠٣٧) (٣/١٥٢٤). وانظر: فتح

الباري (٦/٦٣٢)، كتاب المناقب، باب (٢٨)، الحديث رقم (٣٦٤٠) و(٣٦٤١).

:

فإنه من أوجب الواجبات على العلماء وطلاب العلم، العناية بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، دراسة، وحفظاً، واستنباطاً، وتحليلاً، وتعليماً، وتطبيقاً، جمعاً بين العلم والعمل؛ لأنهم مؤتمنون على ذلك كله، وقد وضعت فيهم الأمة ثقفتها واثمنتهم على دينها، وقبل ذلك كله وبعده، هم مسؤولون أمام الله تعالى عن هذه الأمانة: أمانة العلم والعمل به، وتبليغه، وحفظه، والدعوة إليه، حتى تتم بهم القدوة والأسوة إلى الخير.

وإن مما ائتمنوا عليه هذا التراث العلمي الثمين، الذي تركه أئمة الإسلام، أسلافنا الأماجد في شتى صنوف العلم، وإن الكثير من هذا التراث لا يزال مخطوطاً، ومكنوزاً في زوايا المكتبات في شتى بقاع العالم، رغم شدة حاجة المسلمين إليه، وإني لأرى أنه من أول واجبات طالب العلم في هذا العصر العناية بهذه الكنوز، وخدمتها، بإخراجها للناس، محققة صافية يانعة، لتكون نبراساً لكل مسلم في خضم الثقافات الغازية والأفكار الهدامة التي روجها أعداء الإسلام بين المسلمين اليوم.

وإن من أجدر تلك المخطوطات بالعناية، وأجودها وأنفعها للمسلمين اليوم: كتب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله، وإن كانت بحمد الله لقي الكثير منها شيئاً من العناية من المحققين وطلاب العلم، لكن بقي الأكثر يحتاج إلى عناية وإخراج وإعداد وتحقيق ودراسة.

وانطلاقاً من هذا الواجب، وقع اختياري على كتاب من كتب الشيخ وهو:  
"اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم" للعناية به تحقيقاً وتعليقاً، وإخراجه للناس موثقاً قدر الاستطاعة، وذلك في أطروحة الدكتوراه<sup>(١)</sup>.

---

(١) تقدمت بتحقيق هذا الكتاب إلى قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلية أصول الدين بالرياض (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) لنيل درجة الدكتوراه؛ بإشراف الدكتور الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، مدير المعهد العالي للقضاء. وقد أجزيت قبل لجنة المناقشة والحكم المكونة من المشرف؛ والشيخ زيد بن عبد العزيز

---

هذا مع العلم أن هذا الكتاب سبق أن طُبع عدة طبعات، من أمثلها تلكم التي أخرجها الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله، الذي كان له الجهد المشكور في خدمة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وكتب الإمام أحمد بن حنبل، وسواهما من السلف.

لكن الكتاب لا يزال بحاجة إلى مزيد من الخدمة: من تحقيق، ودراسة، وتخرّيج لأحاديثه، وآثاره التي لم تخرّج، وإلى توثيق لنصوصه، وترجمة لأعلامه.

وهذا لا يعني أن أدعي بأني سأقوم بأفضل من عمل الشيخ حامد الفقي رحمه الله، لكنني سأشاركه بجهد المقل، وأعتذر سلفاً عن التقصير، وأسأل الله العفو والمغفرة.

والله هو وحده المعين والهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

الفياض الأستاذ بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين بالرياض؛ والدكتور جعفر شيخ إدريس ، الأستاذ المشارك بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية بالرياض . وقد عملت بالتوجيهات والملاحظات التي أبدتها اللجنة قبل طبع الكتاب . (المحقق) .

:

هو شيخ الإسلام الإمام: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية، الحرائي، ثم الدمشقي. كنيته: أبو العباس.

:

وُلد يوم الاثنين العاشر من ربيع الأول بحران سنة (٦٦١هـ)، ولما بلغ من العمر سبع سنين انتقل مع والده إلى دمشق هرباً من وجه الغزاة التتار، وقد نشأ في بيت علم وفقه ودين، فأبوه وأجداده وإخوته وكثير من أعمامه كانوا من العلماء المشاهير، منهم جده الأعلى (الرابع) محمد بن الخضر، ومنهم عبد الحليم بن محمد بن تيمية، وعبد الغني بن محمد بن تيمية، وجده الأدنى عبد السلام بن عبد الله بن تيمية مجد الدين أبو البركات صاحب التصانيف التي منها: المنتقى من أحاديث الأحكام، والمحرر في الفقه، والمسودة في الأصول وغيرها، وكذلك أبوه عبد الحليم بن عبد السلام الحرائي، وأخوه عبد الرحمن وغيرهم.

ففي هذه البيئة العلمية الصالحة كانت نشأة صاحب الترجمة، وقد بدأ بطلب العلم أولاً على أبيه وعلماء دمشق، فحفظ القرآن وهو صغير، ودرس الحديث والفقه والأصول والتفسير، وعُرف بالذكاء وقوة الحفظ والنجابة منذ صغره، ثم توسع في دراسة العلوم وتبحر فيها، واجتمعت فيه صفات المجتهد منذ شبابه، فلم يلبث أن صار إماماً يعترف له الجهابذة بالعلم والفضل والإمامة، قبل بلوغ الثلاثين من عمره.

:

وفي مجال التأليف والإنتاج العلمي، فقد ترك الشيخ للأمة تراثاً ضخماً ثميناً، لا يزال العلماء والباحثون ينهلون منه معيناً صافياً، توفرت منه الآن المجلدات الكثيرة، من المؤلفات والرسائل والفتاوى والمسائل وغيرها، هذا من المطبوع، وما بقي مجهولاً أو مكنوزاً في عالم



المخطوطات كثير.

ولم يترك الشيخ مجالاً من مجالات العلم والمعرفة التي تنفع الأمة، وتخدم الإسلام، إلا كتب فيه وأسهم بجدارة وإتقان، وتلك خصلة قلما توجد إلا عند العباقرة النوادير في التاريخ.

فلقد شهد له أقرانه وأساتذته وتلاميذه وخصومه بسعة الاطلاع، وجزارة العلم، فإذا تكلم في علم من العلوم أو فن من الفنون ظن السامع أنه لا يتقن غيره، وذلك لإحكامه له وتبحره فيه، وإن المطلع على مؤلفاته وإنتاجه، والعارف بما كان يعمل في حياته من الجهاد باليد واللسان، والذب عن الدين، والعبادة والذكر، ليعجب كل العجب من بركة وقته، وقوة تحمله وجلده، فسبحان من منحه تلك المواهب.

:

الكثير من الناس يجهل الجوانب العملية من حياة الشيخ، فإنهم عرفوه عالماً ومؤلفاً ومفتياً، من خلال مؤلفاته المنتشرة، مع أن له مواقف مشهودة في مجالات أخرى عديدة أسهم فيها إسهاماً قوياً في نصرة الإسلام وعزة المسلمين، فمن ذلك: جهاده بالسيف وتحريضه المسلمين على القتال، بالقول والعمل، فقد كان يجول بسيفه في ساحات الوغى مع أعظم الفرسان الشجعان، والذين شاهدوه في القتال أثناء فتح عكا عجبوا من شجاعته وفتكه بالعدو<sup>(١)</sup>.

أما جهاده بالقلم واللسان، فإنه رحمه الله وقف أمام أعداء الإسلام من أصحاب الملل والنحل والفرق والمذاهب الباطلة والبدع كالطود الشامخ، بالمناظرات حيناً وبالردود أحياناً، حتى فند شبهاتهم ورد الكثير من كيدهم بحمد الله، فقد تصدى للفلاسفة، والباطنية، من صوفية وإسماعيلية ونصيرية وسواهم، كما تصدى للروافض والملاحدة، وفند شبهات أهل البدع التي تقام حول المشاهد والقبور ونحوها، كما تصدى للجهمية والمعتزلة وناقش المتكلمين والأشاعرة.

(١) انظر: الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، للبيزار ص (٦٧، ٦٨)، تحقيق زهير الشاويش.

والمطلع على هذا الجانب من حياة الشيخ يكاد يجزم بأنه لم يبق له من وقته فضلة، فقد حورب وطورد وأوذى وسُجن مرات في سبيل الله، وقد وافته منيته مسجوناً في سجن القلعة بدمشق.

ولا تزال بحمد الله ردود الشيخ سلاحاً فعلاً ضد أعداء الحق والمبطلين، لأنها إنما تستند إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهدي السلف الصالح، مع قوة الاستنباط، وقوة الاستدلال والاحتجاج الشرعي والعقلي، وسعة العلم، التي وهبها الله له.

وأكثر المذاهب الهدامة التي راجت اليوم بين المسلمين هي امتداد لتلك الفرق والمذاهب التي تصدى لها الشيخ وأمثاله من سلفنا الصالح، لذلك ينبغي للدعاة المصلحين أن لا يغفلوا هذه الناحية، ليستفيدوا مما سبقهم به سلفنا الصالح.

ولست مبالغاً حينما أقول: إنه لا تزال كتب الشيخ وردوده هي أقوى سلاح للتصدي لهذه الفرق الضالة والمذاهب الهدامة التي راجت وبدأت تخرج أعناقها اليوم من جديد، والتي هي امتداد للماضي، لكن منها تلك التي تزينت بأزياء العصر، وغيرت أسماءها فقط، مثل البعثية، والاشتراكية، والقومية، والقاديانية، والبهائية، وسواها من الفرق والمذاهب، ومنها ما بقي على شعاره القديم كالشيعة، والرافضة، والنصيرية، والإسماعيلية، والخوارج ونحو ذلك.

:

بالإضافة إلى ما اشتهر به هذا الإمام من العلم والفقہ في الدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قد وهبه الله خصالاً حميدة، اشتهر بها وشهد له بها الناس، فكان سخياً كريماً يؤثر المحتاجين على نفسه في الطعام واللباس وغيرهما، وكان كثير العبادة والذكر وقراءة القرآن، وكان ورعاً زاهداً لا يكاد يملك شيئاً من متاع الدنيا سوى الضروريات، وهذا مشهور عنه عند أهل زمانه حتى بين عامة الناس، وكان متواضعاً في هيئته ولباسه ومعاملته مع الآخرين، فما كان يلبس الفاخر ولا الرديء من اللباس، ولا يتكلف لأحد

يلقاه، واشتهر أيضاً بالمهابة والقوة في الحق، فكانت له هيبة عظيمة عند السلاطين والعلماء وعامة الناس، فكل من رآه أحبه وهابه واحترمه، إلا من سيطر عليهم الحسد من أصحاب الأهواء ونحوهم.

كما عرف بالصبر وقوة الاحتمال في سبيل الله، وكان ذا فِراسة، وكان مستجاب الدعوة، وله كرامات مشهودة. رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

:

لقد عاش المؤلف رحمه الله في عصر كثرت فيه البدع والضلالات، وسادت كثير من المذاهب الباطلة، واستفحلت الشبهات، وانتشر الجهل والتعصب والتقليد الأعمى، وغزيت بلاد المسلمين من قبل التتار والصليبيين (الإفرنج).

ونجد صورة عصره جلية واضحة من خلال مؤلفاته التي بين أيدينا؛ لأنه اهتم بأجل أمور المسلمين وأخطرها، وساهم في علاجها بقلمه ولسانه ويده، فالتأمل في مؤلفات الشيخ يجد الصورة التالية لعصره:

- كثرة البدع والشركيات خاصة حول القبور والمشاهد والمزارات المزعومة، والاعتقادات الباطلة في الأحياء والموتى، وأنهم ينفعون ويضرون، ويدعون من دون الله.

- انتشار الفلسفات والإلحاد والجدل.

- هيمنة التصوف والطرق الصوفية الضالة على العامة من الناس، ومن ثم انتشار المذاهب والآراء الباطنية.

- توغل الروافض في أمور المسلمين، ونشرهم للبدع والشركيات، وتثيبتهم للناس عن الجهاد، ومساعدتهم للتتار، أعداء المسلمين.

- وأخيراً نلاحظ تقوي أهل السنة والجماعة بالشيخ وحفزه لعزائمهم، مما كان له الأثر الحميد على المسلمين إلى اليوم، في التصدي للبدع والمنكرات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصح لأئمة المسلمين وعامتهم.

وقد وقف الشيخ رحمه الله في عصره إزاء هذه الانحرافات موقفاً مشهوداً، آمراً وناهياً،

وناصحًا، ومبينًا، حتى أصلح الله على يديه الكثير من أوضاع المسلمين، ونصر به السنة وأهلها، والحمد لله.

:

إن من علامات الخير للرجل الصالح، وقبوله لدى المسلمين: إحساسهم بفقده حين يموت، لذلك كان السلف يعدون كثرة المصلين على جنازة الرجل من علامات الخير والقبول له، لذلك قال الإمام أحمد: "قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم يوم الجنائز" <sup>(١)</sup> أي أن أئمة السنة يفقدونهم الناس إذا ماتوا ويكونون أكثر مشيعين يوم يموتون، ولقد شهد الواقع بذلك، فما سمع الناس بمثل جنازتي الإمامين: أحمد بن حنبل، وأحمد بن تيمية، حين ماتا، من كثرة من شيعهما وخرج مع جنازة كل منهما، وصلى عليهما، فالمسلمون هم شهداء الله في أرضه.

هذا وقد توفي الشيخ رحمه الله، وهو مسجون بسجن القلعة بدمشق، ليلة الاثنين ٢٠ من شهر ذي القعدة سنة (٧٢٨هـ)، فهبَّ كل أهل دمشق ومن حولها للصلاة عليه وتشيع جنازته، وقد أجمعت المصادر التي ذكرت وفاته أنه حضر جنازته جمهور كبير جدًا يفوق الوصف.

رحمه الله وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء <sup>(٢)</sup>

(١) انظر: مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي ص(٥٠٥). تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي .

(٢) مصادر الترجمة: ١- الأعلام، لخير الدين الزركلي (١/ ١٤٤). ٢- الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية،

للحافظ عمر البزار، تحقيق زهير الشاويش . ٣- البداية والنهاية، لابن كثير (٤/ ١٣٥ - ١٣٩). ٤-

شذرات الذهب، لابن العماد (٦/ ٨٠ - ٨٦). ٥- فوات الوفيات، لمحمد بن شاكر الكتبي (١/ ٧٤ - ٨٠ .

(٦). ٦- كتاب الذيل على طبقات الحنابلة، لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد البغدادي ص(٣٨٧ - ٤٠٨).

٧- مناقب الإمام أحمد بن حنبل، لابن الجوزي، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي .

تم تحقيق هذا الكتاب من خمس نسخ مخطوطة، منها نسختان قديمتان إحداهما كتبت سنة (٧١٥هـ) أي قبل وفاة المؤلف بثلاث عشرة سنة، والثانية سنة (٧٨١هـ) أي بعد وفاة المؤلف، أما الثلاث النسخ الباقية فهي متأخرة على ما سألناه إن شاء الله. وقد رمزت لكل نسخة برمز، وسميتها برموزها في الهامش وهي: (أ) و(ب) و(ج) و(د) و(ط)، وأردفتها بالمطبوعة التي أخرجها الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله، وقد لاحظت كثرة الفروق بينها وبين المخطوطات المتوفرة لدي، مما جعلني أرجح بأنها نسخت عن مخطوطة لم ترد إلي. وعلى هذا جعلتها بمثابة النسخة السادسة.

- (:)

وجدها ضمن مخطوطات مكتبة (شستريتي) التي ابتاعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وتوجد الآن بمكتبتها المركزية بالرياض، برقم (٤١٦٠) <sup>(١)</sup> وهي نسخة قديمة يرجع تاريخها إلى ما قبل وفاة المؤلف بثلاثة عشر عامًا فقد كتبت سنة (٧١٥هـ)، كما هو منصوص في آخرها، وناسخها هو: هلال بن علي بن هلال بن زامل الجعفري، وهي نسخة مقابلة بالأصل كما أشار ناسخها في آخرها.

وعدد أوراقها (٢٤٦) ورقة (٤٩٢) صفحة، في كل صفحة (١٩) سطرًا من القطع المتوسط.

وخطها متوسط، وتكثر فيها الأغلط الإملائية، ويوجد فيها سقط أحيانًا، وطمس لكنه قليل.

- ( ) :

صورتها عن نسخة موجودة في المكتبة الظاهرية بدمشق، تحت رقم (٢٩٨٢) عام، ورقم (٨٦) في التوحيد وعلم الكلام. وقد كتبت أيضًا قديمًا (٧٨١هـ) أي بعد وفاة المؤلف بثلاث وخمسين سنة فقط، وناسخها محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد

(١) أعلمت أن المكتبة وضعت لها فهرس جديدة بعد أن استقيمت منها هذا الرقم فليلاحظ .

اليونيني الحنبلي. وعدد أوراقها (٢٠٨) ورقة، أي (٤١٦) صفحة، في كل صفحة (١٩) سطرًا من القطع المتوسط، وهي نسخة أيضًا مقابلة، وفيها شبه كبير بالنسخة الأولى (أ) مما يرجح أنهما قوبلتا على نسخة واحدة، فهما كثيرًا ما تتفقان في الأخطاء والسقط، إلا أن الثانية (ط) أجود من الأولى (أ) في الخط والإملاء، أما ما عدا ذلك فهما تتفقان في الغالب.

- ( ) :

وقد صورتها من قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود بالرياض برقم (٢٧)، وقد صورتها جامعة الملك سعود عن نسخة موجودة بالمكتبة السعودية التابعة لرئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، تحت رقم (٥٦٤٨٦).

وقد كتبت سنة (١٢٢٣)، وناسخها اسمه مصطفى المدعو بالشوراني، وهي نسخة واضحة وجيدة الحفظ، وفيها بعض التعليقات الهامشية، وحرفها صغير، وعدد أوراقها (٢١٦) ورقة (٤٣٢) صفحة من القطع المتوسط في كل صفحة (١٥) سطرًا. وهي أجود النسخ إتقانًا، وأقلها أخطاء، ويندر فيه السقط، وقد قوبلت بأصول كما هو منصوص في آخرها وفي أثنائها.

- ( ) :

وقد وصلتني من دار الكتب بالقاهرة مصورة بالميكروفلم، وهي بدار الكتب المصرية تحت رقم (٤١٥٥) تصوف.

وهي مجهولة التاريخ، ولم يكتب عليها اسم الناسخ، ولكن يظهر لي من شكلها أنها متأخرة النسخ. عدد أوراقها (٢٧٠) ورقة (٥٤٠) صفحة من القطع المتوسط، كل صفحة تتكون من (٢٣) سطرًا، وحرفها كبير، وخطها جميل وواضح، وهي قليلة الأخطاء والسقط، كما أنها نسخة مقابلة أيضًا.

( ) :

وقد وصلتني أيضًا مصورة بالميكروفلم من دار الكتب المصرية بالقاهرة تحت الرقم ( ٢٥٤٠ ) تصوف وأخلاق.

وهي مجهولة الناسخ وتاريخ النسخ، لكن يظهر لي أنها حديثة النسخ كسابقتهما، وعدد أوراقها ( ٢٤٠ ) ورقم ( ٤٨٠ ) صفحة من القطع المتوسط في كل صفحة ( ٢٣ ) سطرًا، وحرفها متوسط وخطها جميل وواضح جدًا، وقليلة الأخطاء والسقط وهي مقابلة أيضًا، وكثيرًا ما تتفق مع النسخة (ج)، بل يقل الاختلاف بينهما مما جعلني أرجح أنهما كتبتا عن أصل واحد.

\* كما توجد لدي نسختان أخريان كنت أستأنس بهما عند اختلاف النسخ، لكني لم أعتد بهما؛ لأن الأولى - وهي نسخة وصلتني من مكتبة برلين بألمانيا - كانت ناقصة ولا يوجد منها إلا أقل من النصف الأخير منها، ونصفها الأول وجزء من آخرها مفقود، ويظهر أنها كتبت في حدود سنة ( ٨٠٠ هـ )، وهي في مكتبة برلين تحت رقم ( ٢٠٨٦ ).  
والثانية يكثر فيها التحريف والتصحيف، وهي مصورة بقسم المخطوطات بجامعة الملك سعود، تحت رقم ( ١٢٠٣ ) وترجَّح لدي أنها مصورة عن مخطوطة توجد بمكتبات الأوقاف ببغداد، وهي متأخرة النسخ فقد كتبت سنة ( ١٣٠٤ هـ ).

\* أما المطبوعة - فهي تلك التي أخرجها الشيخ محمد حامد الفقي - طبعت بمطبعة السنة الحمديّة - وهي الطبعة الثانية سنة ( ١٣٦٩ هـ ) علمًا بأن الكتاب طبع مرات، لكن هذه الطبعة من أجودها وأكثرها تداولًا في الأسواق وبين الناس، ولم تخرِّج أحاديثها وآثارها، ولم يترجم أعلامها، إنما كتب عليها بعض التعليقات، كما أن الشيخ محمد حامد رحمه الله لم يشر إلى النسخة المخطوطة التي استنسخ عنها الكتاب.

وقد قابلتها مع النسخ المخطوطة، تميمًا للفائدة، وخدمة للقارئ والكتاب؛ لأنها نسخة متداولة ومشهورة وستبقى كذلك، لذلك رأيت أنه لزامًا عليّ أن أنبه على فروقها في ضوء المخطوطات.

:

اختلفت النسخ في اسم الكتاب اختلافاً طفيفاً:

ففي النسخ: (ب ج د): (اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم).

وفي (أ): لم أستطع أن أتبين العنوان كله؛ لأن آخره مطموس، فالواضح منه (كتاب

اقتضاء) فقط.

وفي (ط): (اقتضاء الصراط المستقيم في الرد على أصحاب الجحيم).

وفي نسخة برلين: (اقتضاء الصراط المستقيم ومجانبة أصحاب الجحيم).

وفي نسخة جامعة الملك سعود رقم (١٢٠٣): (اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة

أهل الجحيم).

وفي المطبوعة: (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم).

كما أن المؤلف رحمه الله قد أشار إلى الكتاب في كتبه الأخرى، ففي المجلد الثاني

والعشرين (ص ١٥٤) من مجموع الفتاوى أشار إلى الكتاب وسماه: (اقتضاء الصراط

المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم)، ولذلك رجحت هذا العنوان للكتاب، ولأن أكثر

النسخ المخطوطة اتفقت عليه.

كما أشار المؤلف إلى الكتاب مرة أخرى في مجموع الفتاوى (١٠) لكنه ذكر صدر

العنوان (اقتضاء الصراط المستقيم) فقط، وهذا قد أجمعت عليه جميع النسخ.

:

أما عن تاريخ تأليف الكتاب، فإن هناك ما يدل على أن الكتاب ألف قبل سنة (٧١٥)

(هـ)، وهذا هو تاريخ نسخ المخطوطة (أ) التي أشرت إليها آنفاً.

ولم يتبين لي بالتحديد في أي سنة تم تأليف الكتاب، إنما في الكتاب وأثنائه ما يدل

على أنه لم يكن من أقدم كتب الشيخ؛ لأن كثيراً ما يحيل أثناء عرضه لموضوعات الكتاب



---

على كتاباته وبحوثه السابقة، وذلك في مواضع كثيرة جدًا خاصة في آخر الكتاب، مما يشير إلى أنه سبقته للمؤلف بحوث ومؤلفات كثيرة، والله أعلم.

---

---

سلكت في تحقيق الكتاب والتعليق عليه المنهج التالي:

:

سلكت في تحقيق النص مسلك انتخاب النص الأصح عندي، وذلك بعد إجراء المقابلة بين جميع النسخ، فإذا اختلفت النسخ فإني في الغالب أختار النص الذي يقتضيه السياق، فإن لم يظهر لي مرجح من السياق اخترت ما تتفق عليه غالب النسخ، وأشير إلى النص المرجوح في الهامش، وإذا كان الاختلاف بين النسخ له تأثير في المعنى فإني أعلل وأفسر الاختلاف والترجيح إذا اتضح لي ذلك.

أما المطبوعة فإنها إذا انفردت بعبارة أو اختلاف فإني لا أثبت ما انفردت به في صلب الكتاب، وإنما أشير إليه في الهامش، وذلك لأمرين:

١- كثرة أخطائها وزياداتها والتصرف فيها، وأظن ذلك راجع للنسخة التي طبعت عنها.

٢- أن النسخة التي كتبت عنها غير معروفة لدي.

:

في تخريج الأحاديث حاولت- بقدر الإمكان- أن أختصر وأقتصر على القدر الضروري في تخريج الحديث تفادياً لتطويل الكتاب وإثقاله بالحواشي.

فالأحاديث الموجودة في الصحيحين، أو أحدهما، فإني في الغالب أكتفي ببيان مكانها منهما أو من أحدهما؛ لأن المقصود هو الاطمئنان على درجة الحديث، وذلك حاصل بعزوه للصحيحين أو أحدهما.

وكذلك إذا أشار المؤلف إلى درجة الحديث، فإني قد أكتفي بذلك، بعد ما أشير إلى مكانه في كتب الحديث.

وأما ما سوى ذلك من الأحاديث التي ليست في الصحيحين، ولم يشر المؤلف إلى درجتها من الصحة والضعف، فإني اجتهدت قدر استطاعتي ببيان درجتها، إما بالإشارة

إلى ما قاله بعض العلماء المعتبرين فيها، وإحالة القارئ على المراجع، أو- إذا لم أجد في الحديث كلامًا لأحد الأئمة- أجتهد في دراسة سنده بنفسي، ثم أذكر ما توصلت إليه، وهذا قليل جدًا.

أما الآثار والنصوص الأخرى التي ينقلها المؤلف، فإني بذلت ما أستطيعه في تخرجها وعزوها إلى مصادرها الموجودة، أما إذا نقل المؤلف من مصدر أو كتاب لم أجد، كالجامع للخلال، وأكثر سنن سعيد بن منصور، والمستخرج للحافظ المقدسي، وغيرها، فإني حاولت البحث عن تلك النصوص في المراجع المشابهة لها، كالسنن الكبرى للبيهقي، ومستدرك الحاكم، ومصنف عبد الرزاق ونحوها، فأخرجها منها؛ لأن المقصود التوثق من النص من المصادر المعتبرة، وهذا حاصل بذلك إن شاء الله.

أما الآراء الفقهية والأحكام، ونحوها مما نسبه المؤلف إلى العلماء والأئمة، فإنها لكثرتها وتكررها، اكتفيت بتوثيق القدر الذي أراه أهم من مراجعه.

ومع ذلك كله، فإن هناك مسائل لم أجد لها مراجع، من نصوص ونقول، أو آراء ونحوها، وحسي أبي بحثت وبذلك الجهد في البحث والاستقصاء. والله الموفق.

:

\* فيما يتعلق بالمراجع حرصت كل الحرص على أن أوجد النسخة والطبعة لكل مرجع، ليسهل على القارئ والباحث الرجوع إلى المراجع التي عزوت إليها عند الحاجة، لذلك لم أشير إلى الطباعات في الهامش تفاديًا للتطويل، واكتفاءً بفهرس المراجع.

وفي حالات نادرة جدًا اضطررت إلى الرجوع إلى غير الطبعة المعتادة، فأشرت إلى الطبعة المغايرة في الهامش.

\* أما عن التراجم، فإني أترجم لكل علم في أول مرة يذكر المؤلف اسمه إلا في حالات نادرة، وعندها أشير إلى مكان الترجمة- فإذا أراد القارئ التعرف على علم من الأعلام ولم يجد ترجمته أمامه، فعليه الرجوع إلى فهرس الأعلام ليتعرف على موقع الترجمة من الكتاب.

---

\* عند الإشارة إلى أرقام الأحاديث في صحيح مسلم، فالمقصود الرقم العام لأحاديث صحيح مسلم، لا الرقم الخاص بكل كتاب، وذلك حسب ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

\* عند الإحالة إلى بعض كتب الأعلام والرجال أضع رمز (ت) ثم يأتي بعده رقم، والمقصود- كما هو معروف في اصطلاح الباحثين وكتب التراجم- رقم الترجمة للعلم المذكور في المصدر المشار إليه عنده.

\* أحياناً أكرر التخريج للحديث الواحد في أكثر من موضع، إذا رأيت أن للاستدلال به أهمية، وكان تخريجه في موضع بعيد من الكتاب، وذلك تمييزاً للفائدة.

---

يتضح للقارئ من عنوانه، وقد أشار المؤلف رحمه الله في مستهل الكتاب إلى أنه أراد التنبيه على قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وأصوله، وهي: النهي عن التشبه بالكفار، والأمر بمجانبة هديهم على العموم، وأعيادهم على الخصوص، وبيان حكمة ذلك، وما جاءت به الشريعة من مخالفة أهل الكتاب والأعاجم<sup>(1)</sup> ونحوهم، وأصل هذه المسألة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهدى السلف الصالح، واستقراء الآثار في ذلك.

وقبل أن أدخل في دراسة موضوعاته أحب أن أنبه القارئ على ثلاثة أمور مهمة عن هذا الكتاب:

: أن هذا الكتاب بجملته يعتبر دراسة تفصيلية فريدة لهذا الموضوع المهم والخطير في حياة المسلمين - الذي يعتبر أصلاً من أصول العقيدة الإسلامية - فإن المؤلف رحمه الله استوفى مسألة النهي عن مشابهة الكفار، من أصولها وفروعها، وأدلتها العقلية والنقلية، وما ورد فيها من آثار ومواقف عن سلف الأمة، بأسلوب علمي رصين، يشبع القارئ ويجعله يشعر أنه أمام قضية واضحة المعالم، بينة المسالك، جلية الدليل والحكم، فلا يخرج من مسألة بحثها المؤلف إلا وقد فهمها واقتنع بأدلتها وما توصل فيها من حكم.

: أن هذا القاعدة التي أصلها المؤلف، رغم أنها من أهم أصول عقيدة السلف الصالح في القرون الثلاثة الفاضلة، وأن الصحابة والتابعين وتابعيهم، يحدرون الأمة من التهاون بها، والوقوع فيما نهى عنه الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من مشابهة الكفار والأعاجم ونحوهم، وبرغم وضوح أدلة هذا الأصل في الكتاب والسنة وتحذير الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمته من الوقوع في ذلك، رغم هذا كله

---

(1) أقصد بالأعاجم هنا: العجم غير المسلمين وغير المتمسكين بهدي الإسلام، كما سيوضحه المؤلف خلال مواضع من هذا الكتاب (راجع فهرس الموضوعات).

---

---

كاد هذا الأصل العظيم أن يمحى من أذهان أكثر المسلمين، بعد القرون الثلاثة الفاضلة، فوقعوا في المحذور، وأخذوا بسنن الأمم حذو القذة بالقذة.

فمما وقعوا فيه- على سبيل المثال- البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها، وهذه مسألة واضحة في السنة، فقد حذر الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمته من الوقوع فيها أشد التحذير- كما سيأتي بيانه أثناء الكتاب- ومع ذلك وقعت فيه طوائف من الأمة.

فجاء المؤلف رحمه الله فجلى هذا الأمر وبينه، وأعلنه على الملأ بلسانه وقلمه، فكتب وناظر وأمر ونهى، وأثمرت دعوته بحمد الله.

وكتابه هذا جزء مما قام به في بيان الحق في ذلك.

: أني وجدت الكتاب من خلال دراستي له، كأنما أُلِّف للمسلمين في

هذا العصر، سواء في موضوعاته، وطريقة بحثها وعلاجها، أو في أسلوبه، وذلك يرجع في نظري لأسباب منها:

\* تشابه عصرنا بعصر المؤلف، في كثرة البدع وظهورها، وفي ضعف المسلمين وقوة الكفار، وانتشار عقائدهم وأفكارهم وأخلاقهم وعاداتهم وأزيائهم بين المسلمين، بالإضافة إلى ظهور الفرق الضالة، واستعلائها بين المسلمين، خاصة الروافض، والباطنية، والصوفية..

ففي عصر المؤلف تغلب الكفار: من الفرنجة، والتتار على أكثر بلاد المسلمين، وفي هذا العصر كذلك تغلب الفرنج سياسياً وفكرياً أيضاً على أكثر بلاد المسلمين، رغم رحيل عسكرهم عنها.

\* ومنها أيضاً بعد نظر المؤلف رحمه الله، وسعة علمه وإدراكه، مما جعله يعالج هذه الأمور بأسلوب عام، يناسب المسلمين في كل مكان وكل زمان.

ويتضح لنا ذلك لو استعرضنا أهم الموضوعات التي بحثها المؤلف وهي موجودة في زمنه، وتجدها أيضاً بين المسلمين اليوم:

---

---

من التشبه بالكفار والأعاجم - غير المسلمين - في الزي واللباس، والعادات، والتقاليد، واللغة، والأعياد، والاحتفالات ونحوها.

انتشار البدع الاعتقادية والعملية، من التعلق بالمقبورين ودعائهم من دون الله، وما تروّجه الطرق الصوفية بين مريديها وغيرهم من البدع والخرافات.

إحياء شعائر الجاهلية وعاداتها وآثارها ومآثرها التي محأها الإسلام.

هيمنة الأفكار والمفاهيم والثقافات غير الإسلامية على أذهان الكثير من المسلمين، وانتشار الفلسفة والإلحاد ونحو ذلك.

وهذا عن الكتاب في عمومه، والآن سأعرض بالدراسة والتحليل لبعض موضوعات الكتاب.

استهل المؤلف كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم) بمدخل مهم،  
وجدير بالتأمل والدراسة؛ لأنه يشكل الأساس لفهم مشكلة تشبه المسلمين بغيرهم، ثم  
علاجها، وتجنب أخطارها على بصيرة وهدى.  
وذلك: أنه نبه على أصليين من أصول الدين، لا غنى للمسلم عن فهمها، ولكل واحد  
منهما علاقة بالآخر.

: إخبار الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم القاطع الأكيد، بأن  
أمته ستتبع سنن الأمم التي سبقتها من اليهود والنصارى، وفارس والروم، ونحوهم، شبراً  
بشبر وذراعاً بذراع، وهذا يعني أن طوائف من هذه الأمة سوف تتشبه بالكفار قطعاً.  
: إخباره صلى الله عليه وعلى آله وسلم القاطع والأكيد أيضاً، بأن الله  
تعالى تكفل بحفظ الدين، وأنه لا تزال طائفة من المسلمين على الحق ظاهرين حتى تقوم  
الساعة، وأن الأمة لا تجتمع على ضلالة.

ثم يوازن بين هذين الأصلين بعد أن أورد الأحاديث الواردة عن الرسول صلى الله  
عليه وعلى آله وسلم في اتباع المسلمين سنن من كان قبلهم، فيقول:  
"فأخبر أنه سيكون في أمته مضاهاة لليهود والنصارى وهم أهل الكتاب، ومضاهاة  
لفارس والروم، وهم الأعاجم".

وقد كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم ينهى عن التشبه بمؤلاء وهؤلاء، وليس هذا  
إخباراً عن جميع الأمة، بل قد تواتر عنه أنه: ﴿ لا تزال طائفة من أمته ظاهرة على الحق  
حتى تقوم الساعة ﴾<sup>(١)</sup> (٢) وأخبر صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ أن الله لا يجمع

(١) مسلم الإيمان (١٥٦)، أحمد (٣/٣٨٤).

(٢) انظر: تخريج الحديث (١/ ٨١) من أصل الكتاب.



هذه الأمة على ضلالة<sup>(١)</sup> وأن الله لا يزال يغرّس في هذا الدين غرساً يستعملهم فيه بطاعته ﴿٢﴾ .

فُعَلِمَ بخبره الصدق: "أنه في أمته قوم مستمسكون بهديه الذي هو دين الإسلام محضاً، وقوم منحرفون إلى شُعبة من شُعب اليهود، أو إلى شُعبة من شُعب النصارى، وإن كان الرجل لا يكفر بكل انحراف، بل وقد لا يفسق أيضاً، بل قد يكون الانحراف كُفراً، وقد يكون فسقاً، وقد يكون معصية، وقد يكون خطيئة"<sup>(٣)</sup> .

: فإنه بالرغم من أن ما وقعت فيه الأمة، وما ستقع فيه، من التشبه بالأمم الأخرى، إنما هو قدر من أقدار الله وقضائه الذي لا يرد، فإن هذا لا يعني أن المسلم سيستسلم لهذا القدر، بل إنه مطالب بفعل الأسباب الواقية، فإن الله تعالى حذّرنا سبيل الكافرين، وأمرنا بالاستمسك بالعروة الوثقى، وبالإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أن وقوع فئة من المسلمين، أو حتى أكثرهم - لا قدر الله ذلك - في التشبه بالكافرين، فإن هذا لا يعني أن الأمة هلكت كلها، فإن الله تعالى وعد المؤمنين بالنصر والتثبيت، والظهور على الحق إلى قيام الساعة، فوعده تعالى صادق نافذ، كما أن قضاءه في وقوع بعض المسلمين في اتباع سنن غيرهم نافذ أيضاً.

كما أن إخبار الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، بأن أمته ستتبع سنن الذين من قبلها، جاء بمعرض النهي والتحذير، واتخاذ أسباب الوقاية، وذلك بالتمسك بكتاب الله تعالى، واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، واقتفاء أثر السلف الصالح، والحذر من الابتداع في الدين، واتقاء أسباب الضلالة والغواية.

وهكذا نجد المؤلف رحمه الله، بأسلوبه العلمي الرصين، واستدلّاه القوي الواضح، استطاع أن يستجلي هذين الأصلين، ثم يوفق بينهما، مما يجعل القارئ على بينة ووضوح،

(١) انظر : تخريج الحديث (١ / ٨١) من أصل الكتاب .

(٢) انظر : تخريج الحديث (١ / ٨٢) من أصل الكتاب .

(٣) (١ / ٨٢) من أصل الكتاب .

---

وهذا مدخل أساسي ومهم لفهم واستيعاب بقية مباحث الكتاب التي تدور كلها حول موضوع تشبه المسلمين بغيرهم، وما ورد فيه جملةً وتفصيلاً، وبيان آثاره ونتائجه، وطرق الوقاية منه.

---

---

لقد شخّص المؤلف رحمه الله، أكثر الأمراض وأنواع التشبه والتقليد للكافرين التي وقع فيها المسلمون، حين تساهل كثير منهم بدينهم، وغفلوا عن تحذير الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمته من الوقوع فيما وقعت فيه الأمم قبلهم من البدع والضلال.

فذكر طائفة من ذلك في العبادات.

وأخرى في السلوك والأخلاق والعبادات.

وثالثة في الاعتقادات والإرادات.

:

إحداث أعياد واحتفالات لم يشرعها الله ولا رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، إنما فعلتها الأمم الأخرى كاليهود والنصارى، أو فارس والروم، ونحوهم، كاحتفال بيوم عاشوراء، وبالمولد النبوي، وبليلة الإسراء والمعراج، وليلة النصف من شعبان، وإحداث صلوات لم يشرعها الله، كصلاة الرغائب، وتخصيص ليالٍ وأيام بعينها بعبادة معتادة، كأول خميس من رجب، وليلة أول جمعة وليلة النصف منه، وكالرهينة، والسياحة لغير قصد مشروع أو مباح، والغلو في الدين.

:

الحسد، والبغي، والبخل بالمال والعلم، وجحود ما مع الآخرين من الحق عند الخصومات، والتشبه بالكافرين باللباس، والرطانة بلغاتهم لغير ضرورة.

:

كالغلو في الأنبياء والصالحين، وتحريف الكلم عن مواضعه، كما فعلت الفرق، كالجهمية، والمعتزلة، والخوارج، والروافض، وبعض الأشاعرة، ونحوهم.

وكبناء المساجد على القبور، والطواف بها، ودعاء أهلها من دون الله، والتمسح والتبرك بها، ونحو ذلك من البدع والشركيات، التي وقع فيها كثير من الجهال والمبتدعين،

---

---

وأصحاب الطرق الصوفية، والشيعية، وغيرهم. وكالتعبد بالأصوات والسماع، والطرب والرقص، والصور الجميلة بما يسمونه بإصلاح الأحوال، كما تفعل الطرق الصوفية التي ابتلي المسلمون بها. وكالتفرق والاختلاف في الدين، وقسوة القلوب.

وقد استقصى المؤلف هذه الأمور وفصلها، على نحو لا يدع لأحد يطلع على هذا الكتاب عذراً في جهلها، أو جهل أحكامها.

كل هذه الأشياء وغيرها كثير مما ذكره المؤلف، وقعت فيها الأمة من جراء تشبهها بالأمم الأخرى.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الأمور، لا تزال توجد بين المسلمين، وربما زادوا عليها عما عهده المؤلف في عصره، فالصوفية بطرقها الكثيرة، وطقوسها المبتدعة، وشركياتها وأساليبها الشيطانية لا تزال توثي ثمارها النكدة، من التفريق بين المسلمين، وجعلهم طرائق قدداً، وأحزاباً متنافرة، وتضلل العامة، وتستجهل أهل العلم، وتبدع أهل السنة، وتؤدي موتى المسلمين وسلفهم الصالح، ببناء المساجد والقباب على قبورهم، وممارسة الشركيات والبدع والخرافات عندها، من طواف وتمسح وتبرك، ودعاء من دون الله، وغير ذلك مما يتفطر له قلب كل مؤمن مشفق على دينه وأمته، ولست أتجنى أو أبالغ فيما ذكرته، فالواقع يشهد وينطق بحالهم.

ثم الشيعة الروافض كذلك لا يزالون يفسدون رقعة كبيرة من بلاد المسلمين، ببناء المشاهد والقباب، وتقديس القبور، وأهلها، ونشر البدع في الدين.

ثم النصيرية، والقرامطة (الإسماعيلية) هاهم لهم وجود وأثر، كما كانوا يفعلون في عصر المؤلف وقبلة، فهذه أوجه شبه كبيرة بين عصرنا وعصر المؤلف.

لقد حلَّ المؤلف رحمه الله، أثر التشبه والتقليد، بين المتشبه، والمتشبه به، والمقلِّد والمقلِّد، تحليلاً علمياً رائِعاً، ينبغي أن يكون قاعدة من قواعد علم النفس والاجتماع، وقد ثبت ذلك بقول الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿من تشبه بقوم فهو منهم﴾ (١) (٢).

حيث بيَّن وأكد أن المشاركة بين المتشابهين في الهدى والظاهر- وهو المظهر والسلوك- لا بد أن تورث بينهما شعوراً واضحاً بالتقارب، والتعاطف، والتواد. فإذا حدث أن مسلماً تشبه بكافر، في مظهره وعاداته، وسلوكه، ولغته، أو شيء من ذلك، فإنه لا بد أن يورث بينهما شعوراً بالتقارب، والمودة، وهذا ما شهد به الواقع، فضلاً عن بيان الشرع، وموافقة العقل. وقد يَمَّا قالوا: "إن الطيور على أشباهها تقع" وهذا مثل صحيح، يوافق سنة الله في خلقه.

وبعد أن قرَّر المؤلف هذه القاعدة- قاعدة تأثر المقلِّد بالمقلِّد- لبيِّن أثر التشبه على عقيدة المسلمين ودينهم، ضرب لذلك أمثلة واقعية، يدركها كل عاقل بصير. فيقول: "إن المشاركة في الهدى والظاهر، تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين، يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس، فإن اللباس لثياب أهل العلم- مثلاً- يجد في نفسه نوع انضمام إليهم، واللباس لثياب الجند المقاتلة- مثلاً- يجد في نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضياً لذلك" (٣) ومن ناحية أخرى، يشير المؤلف مرة ثانية إلى أن التشابه الظاهر، في الزي والشكل والسلوك والعادات، لا بد أن يورث نوع مودة

(١) أبو داود اللباس (٤٠٣١) .

(٢) الحديث يأتي تحريجه ص (٢٦٩) من الجزء الأول من الكتاب .

(٣) (١/١٩٣) من أصل الكتاب .

ومحبة، وموالاتة بين المتشابهين في الباطن، منه ما يسمى عند علماء النفس (اللاشعور)، كما أن المحبة أيضاً في الباطن، قد تورث تناسباً وتشاكلاً في الظاهر.

فالمسلم الذي يتشبه بالكفار، بأي نوع من أنواع التشبه الظاهر، في لباسه، أو عاداته، أو حركاته، فإن ذلك في الغالب يدل على أنه لديه شعور باطني - إن لم يجاهر به - بمودة من يتشبه بهم، فإن التشبه إنما يصدر عن إعجاب، وإحساس بتفوق الآخرين عليه.

ثم يضرب المؤلف لما ذكره مثلاً آخر من واقع الناس فيقول: "لو اجتمع رجلان في سفر، أو بلد غريب، وكانت بينهما مشاهمة في العمامة أو الثياب، أو الشعر، أو المركوب، ونحو ذلك، لكان بينهما من الائتلاف أكثر مما بين غيرهما، وكذلك تجد أرباب الصناعات الدنيوية، يألف بعضهم بعضاً، ما لا يألفون غيرهم، حتى إن ذلك يكون مع المعادة والمحاربة" (١).

ثم يقول: "فإذا كانت المشاهمة في أمور دنيوية، تورث المحبة والموالاتة، فكيف بالمشاهمة في أمور دينية؟ فإن إفضاءها إلى نوع من الموالاتة أكثر وأشد، والمحبة والموالاتة لهم تنافي الإيمان" (٢).

وعليه، فمشاهمة أهل الكتاب والأعاجم ونحوهم، لا بد أن تورث عند المسلم نوعاً مودة لهم، أو هي على الأقل مظنة المودة، فتكون محرمة من هذا الوجه سداً للذريعة، وحسماً لعادة حب الكافرين والولاء لهم، فضلاً عن كونها محرمة من وجوه أخرى بالنصوص الواردة وغيرها.

وليس هذا من خصائص عصر المؤلف، كما يتوهمه بعض الناس، بل هو سنة الله في خلقه في كل زمان، وكل مكان. وعلى أي حال، فإننا في عصرنا الحاضر، رغم اختلاط الأمم، وتقارب المسافات وطغيان الحضارة والمدنية الغربية على الناس، وما يحدثه ذلك من تقليل التمييز بين الأمم والشعوب، إلا أننا ندرك بوضوح، أن تلك الفئات - من المسلمين -

(١) (١ / ٥٤٩) من أصل الكتاب .

(٢) (٢ / ٥٥٠) من أصل الكتاب .

التي تشبه بالإفرنج في لباسهم، أو سلوكهم وعاداتهم، والتي تعتاد التكلم بلغتهم وتتخاطب بها باستمرار، أنها تميل إلى حبهم، وتقديرهم، والإعجاب بهم، وتستأنس بهم، وتزدري المسلمين المتمسكين بما هم عليه من لباس وسلوك وعادات.

وذلك أن الله تعالى "جبل بني آدم- بل سائر المخلوقات- على التفاعل بين الشيعيين المتشابهين، وكلما كانت المشابهة أكثر، كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم، حتى يقول الأمر إلى أن لا يتميز أحدهما عن الآخر إلا بالعين فقط" (١).

وكذلك العكس أيضاً، فإن المسلمين المتمسكين بهدي الإسلام، والبعيد عن مشابهة الأمم الأخرى، هم أكثر نفرة وأقل مودة لغير المسلمين.

وأمر آخر خطير أيضاً على المسلمين، وهو أنه لا يقتصر التشابه بين المسلم والكافر على المودة الظاهرة بينهما، بل قد يصل إلى الأمور الاعتقادية والفكرية الباطنة، فإن المسلم الذي يقلد الكفار في الهدي الظاهر، يقوده ذلك على وجه المساوغة والتدرج الخفي إلى التأثير باعتقادهم الباطلة.

وهذا الأمر كذلك ندركه الآن بين المتفرنجين، الذين يعشقون الحياة الغربية، فأكثرهم يحمل أفكاراً واعتقادات غريبة عن الإسلام، بل قد تكون هدامة تنافي العقيدة الإسلامية الصحيحة.

فاعتقادهم أن القوانين الغربية متفوقة على الشريعة الإسلامية، ثم تطبيقهم لهذا، واعتقادهم أن الإسلام دين عبادة فحسب، ولا صلة له بحياة الناس وعلاقاتهم، وازدراؤهم للمتمسكين بالإسلام، وغير ذلك مما يدركه المسلمون اليوم وما يعانونه من هذه الفئة التي تسيطر على أغلب بلاد المسلمين، كل ذلك إنما هو نتيجة لما سبق أن قرره المؤلف مما يحدثه التشابه بين المسلمين والكفار، من آثار في الظاهر والباطن.

(١) (١/٥٤٧) من أصل الكتاب .

استطاع المؤلف من خلال استعراض الأدلة من القرآن الكريم، ثم من السنة المطهرة، الواردة في النهي عن تشبيه المسلمين بالكفار، وإجماع المسلمين في العصور الفاضلة على ذلك، أن يوصلنا إلى النتائج التالية:

\* أن جنس المخالفة للكافرين والأعاجم ونحوهم، أمر مقصود للشارع، وأن التشبيه بهم منهي عنه في الجملة، في عامة أمورهم الدينية والدينية.

\* أن هناك أموراً خصت بالنهي، ووردت بها السنة بعينها، كالبناء على القبور، واتخاذها مساجد، وحلق اللحى وإعفاء الشوارب، والأكل والشرب بالشمال، ونحو ذلك.

\* أن مخالفتهم في عامة أمورهم أصلح لنا- نحن المسلمين- في دنيانا وآخرتنا.

\* أن تشبه فئة من المسلمين بالكفار، أمر لا بد أن يقع، مصداقاً لإخبار الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم بذلك، وأن الله تعالى حذر من ذلك، وأمر المسلمين بالاستمسك بالحق، والثبات والصبر رغم وقوع طوائف منهم بالخذور.

\* أنه ليس شيء من أمور الكفار، في دينهم ودنياهم، إلا وهو: إما فاسد وإما ناقص في عاقبته، حتى ما هم عليه من إتقان أمور دنياهم، قد يكون اتباعنا لهم فيه مُضراً: إما بدنيانا وآخرتنا، أو أحدهما، وإن لم ندرك ذلك.

\* أن سلفنا في القرون الفاضلة، كانوا قد فهموا هذه القاعدة، فهماً جلياً وعملوا بها، واستدل المؤلف على ذلك بإجماعهم على تحذير المسلمين من ذلك، وعلى سدهم الذريعة إليه، ما أثر عنهم من أقوال وأفعال ومواقف لا تكاد تُحصى، وقد أورد من ذلك الكثير.

ويجب على المسلمين اليوم، أن يدركوا هذا، ويعملوا به، وأن يكونوا حذرين من كل ما يصدر عن الكفار، من اعتقادات، وأفكار، وثقافات، وعادات، وأزياء، وغيرها.

فإن الكفار اليوم، رغم ما هم عليه من تفوق في أمور دنياهم، ليس لديهم ما يرشد المسلمين إلى الحق، أو يهديهم لأسباب العزة، والنصر والسعادة، فإن ذلك إنما يكون



---

---

بالرجوع لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والتمسك بالإسلام حقاً.

أما الإفادة مما عند الكفار اليوم، من صناعات، وعلوم تطبيقية ونحوها، فهذا أمر آخر، لا علاقة له بموضوع التشبه؛ لأن هذه العلوم والصناعات ليست من خصوصيات الكفار- وإن احتكروها- لأنها إمكانات بشرية لا بد أن تتوفر عند من يحرص عليها وينميها ويجد في تحصيلها، سواء كان مسلماً أو كافرًا.

كما أن استيراد الصناعات وعلومها لا يعد من قبيل التشبه والتقليد؛ لأن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يستعمل ما يصنعه الكفار من لباس وآنية ونحو ذلك. إنما طريقة الإفادة من الصناعات إذا صاحبها نقل عاداتهم وتقاليدهم ونظمهم وكل ما هو من خصائصهم؛ فإن هذا هو المحذور.

---

---

نبه المؤلف إلى أن التشبيه المنهني عنه، لم يكن قاصراً على التشبيه بأهل الكتاب من اليهود والنصارى، والأعاجم من الروم والفرس، والمجوس، بل النهي عن التشبيه شمل أموراً أخرى:

فقد ورد النهي عن التشبيه بالشیطان وأحواله وأعماله، مثل الأكل بالشمال، والشرب بها، فإن هذا من عمل الشيطان، ونحن منهيون عن كل ما هو من عمل الشيطان، فإن التشيطن مذموم شرعاً وعقلاً.

ولنا عند هذا المعنى وقفة اعتبار وتأمل:

فإن كل ما هو من خصال المتبعين للشیطان والغاوين، من الفساق والعصاة والمجرمين والظلمة، والزنادقة ونحوهم، يكون منهياً عنه، وذلك بحكم اتباعهم للشیطان، ونحن نهينا عما هو من سبيل الشيطان وعمله.

فيجب على المسلم المتمسك بدينه، أن يتجنب كل ما هو من شعارات هؤلاء، أتباع الشيطان وحزبه، وأن يحذر معاشرتهم، ويبعد عن أماكن تجمعاتهم، لأنها مواطن شبيهة، قريها يزرى بالمسلم.

ومن شعارات هذه الأصناف في عصرنا، الألبسة الضيقة، والتختم بالذهب، وحلق اللحي، وإسبال الثياب، وحمل الصور، واصطحاب الكلاب، والتدخين، والتعلق بالرياضة المفسدة والفن الساقط والطرب، وغير ذلك مما هو معروف في كل بلد من بلاد المسلمين.

كما أن لهم سمات، وملابس، ومراكب، وتجمعات، يعرفها الناس في كل بيئة بحسب ما فيها من أعراف وعادات، فيلزم كل مسلم أن يتجنب كل ما هو من خصائص هؤلاء الفساق والمجرمين، وأن تكون له شخصيته المميزة التي تلتزم بالآداب الشرعية، وأن لا يختلط بهذه الأصناف إلا بقدر الضرورة، كأن يريد دعوتهم للحق، أو إنكار ما هم عليه من منكر، وأمرهم بالمعروف، واستصلاحهم، أو تضطره المصلحة المعاشية لبيع وشراء

---

---

ونحوه، بشرط أن لا يكون له معهم عشرة وُودٍ، وأن يأمن على عقيدته وخلقه وعرضه منهم.

كما نبه المؤلف كذلك على صنف آخر وَرَدَ النهي في السنة عن بعض خصاله، وهم الأعراب الذين لم يكمل دينهم.

فإن الأعراب- في الغالب- يتميزون بالجفاء والغلظة، والجهل بأحكام الله وحدوده، لذلك يكون فيهم الكفر والنفاق أشد من غيرهم.

فمن جهلهم- مثلاً- تسميتهم العشاء بالعتمة، كما ورد في السنة<sup>(١)</sup> وفعل المعاقرة خيلاء وفخراً، وهم أسرع من غيرهم إلى العصبية الجاهلية والفخر بالأحساب، والطعن بالأنساب، كما أنهم أبعد عن الجمعة والجماعات، ونحو ذلك مما هو معروف عنهم، فكل هذه الصفات، التي توجد لدى الأعراب في الغالب، ولا تزال توجد لديهم غالباً حتى الآن، يجب على المسلم أن يحذرهما، ويحذر منها؛ لأن أغلبها صفات جاهلية، أو هي من سمات الجاهلية. وما هو من سمات الجاهلية وصفاتها التي محها الإسلام فهو منهي عنه أيضاً.

---

(١) انظر : (١/ ٤٠٨) من أصل الكتاب .

---

---

من المفيد الإشارة إلى ما ذكره المؤلف في معرض حديثه عن التشبه بالعجم ونحوهم، من أنه إذا نمت الشريعة عن مشابهة الأعاجم، دخل في النهي ما عليه الأعاجم الكفار قديماً وحديثاً، حتى وإن كان عليه الأعاجم المسلمون، إذا كان يخالف السنة، أو الآداب الشرعية. كذلك يدخل في مسمى الجاهلية، ما كان عليه أهل الجاهلية قبل الإسلام، وما عاد إليه كثير من العرب اليوم، من صفات وأعمال وعادات الجاهلية.

وبهذا نعلم، أن المسلمين اليوم، منهيون عما عليه الأمم الأخرى من حولهم، من عبادات، وأعمال، وعادات ضارة، وأخلاق فاسدة، وإن لم يكن ذلك موجوداً في القدم أصلاً، لا سيما وأن الكثير من مظاهر الحياة وأشكالها، تبدلت تبديلاً كبيراً في عصرنا الحاضر، عن العصور الماضية.

وما يتشدد به بعض المعجيين بالكفار، وبعض الجاهلين، من أن الكفار يحملون بعض الصفات الحميدة، كالصدق، والوفاء، والأمانة، فهذا- وإن كان يوجد في بعضهم، ويفقده بعض المسلمين المتساهلين- فلا يعني أن الكفار أذكى من المسلمين على الإطلاق، ولا أنهم خير منهم على العموم، كما لا يعني، أن ما عليه الكفار من اعتقادات، وأفكار، وأخلاق، وعادات، سليم وصحيح، كما أنه إذا وجدت في بعضهم تلك الخصال الإنسانية الحميدة، فلا يعني أنهم كلهم كذلك، ولا أن قلوبهم سليمة، وكيف تكون سليمة وهي خالية من الإيمان؟

لأن هذه الأخلاق الحميدة هي من أصول الإسلام، التي أمر بها المسلمون، هذا بالإضافة إلى أننا لا نسلم بأن تلك الأخلاق الحميدة توجد فعلاً بين الكفار كما يصورها المعجبون، لكنها مظاهر توجد في حالات، وفي أفراد، وما يشهد به الواقع أن الكفار الآن عامة أخلاقهم فاسدة وخبثية، ويكثر بينهم الحسد والغدر والخيانة، والبغي والفساد، والكذب والفجور، وغيرها من الرذائل والفساد الأخلاقي، الذي يتدمرون منه هم، ويقلق

---

---

مفكريهم وعقلاءهم، ومصليهم، إن كان فيهم مصلحون.  
فينبغي للمسلمين اليوم، أن تكون لهم شخصيتهم المميزة، وأخلاقهم وعاداتهم الطيبة  
الكريمة، ولغتهم العربية الشريفة، وأن يستمدوا ذلك كله من شريعتهم الإسلامية، وهدى  
نبيهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وسلفهم الصالح.

وما كان من سمات الكفار اليوم، من عادات، وتقاليد، وأزياء، وأنماط سلوك، فعلى  
المسلم أن يتجنبه قدر الإمكان.

وكذلك ما جدده الناس اليوم، وأحدثوه، من أخلاق الجاهلية المدمومة، وسماتها،  
وأعرافها وتقاليدها، وآثارها، ونحو ذلك مما يحاول القوميون والوطنيون (الذين يقدسون  
الأوطان)، والبعثيون ونحوهم إحياءه، ونشره بين المسلمين، تحت شعارات الأصالة،  
والقومية، والوطنية، وإحياء التراث، والتغني بالأجداد، والفخر بالآثار، ونحو ذلك من  
الشعارات التي لا مستند لها من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.  
كل هذا يدخل في النهي عن سنن الجاهلية المدمومة شرعاً، وإن ألبسوه لباس التقدم  
والمدنية.

---

---

بما أن الشريعة الإسلامية جاءت بما فيه صلاح الناس وإصلاحهم وتميزت باليسر والسماحة، وتقدير المصالح، ودفع المضار، فإن فيها للضرورات أحكاماً، تخرج المسلم من الحرج حينما يقع فيه، فإن المؤلف أشار إلى أمر مهم فيما يتعلق بمسألة النهي عن التشبه بالكفار والأعاجم ونحوهم، فهو بعد أن أصل القاعدة، ذكر أن لها استثناء، فهو يذكر أن المسلم إذا واجهته حالة يضطر معها إلى التشبه بالكفار، فإنه يجوز له ذلك في حدود الضرورة، ويضرب لذلك مثلاً فيقول:

"ومثل ذلك اليوم، لو أن المسلم بدار حرب، أو دار كفر غير حرب، لم يكن مأموراً بالمخالفة لهم في الهدي الظاهر، لما عليه في ذلك من الضرر، بل قد يستحب للرجل، أو يجب عليه أن يشاركهم أحياناً في هديهم الظاهر، إذا كان في ذلك مصلحة دينية: من دعوتهم إلى الدين، والاطلاع إلى باطن أمورهم؛ لإخبار المسلمين بذلك، أو دفع ضرر عن المسلمين، وغير ذلك من المقاصد الصالحة" (١).

ثم يشير إلى أنه في دار الإسلام لا يجوز شيء من ذلك؛ لأنها شرعت فيها المخالفة (٢). وعليه: فهذه الشروط والمحترزات والمصالح التي ذكرها المؤلف، يمكن للمسلم أن يتشبه بغير المسلمين؛ لتحقيق مصلحة كبرى، أو دفع مضرة عظيمة، وأضيف إلى ذلك: أن لا يصاحب فعله هذا: استحلال محرم، أو ترك واجب، أو إخلال بعقيدة. كما أنه ينبغي للمسلم أن لا يسافر إلى بلاد غير إسلامية لغير ضرورة، ومصلحة كبرى؛ لأن ذلك يوقعه في مخالفات شرعية كثيرة، عند تعامله مع الكفار.

---

(١) انظر: (ص ٤٧١).

(٢) انظر: (ص ٤٧١).

إن مسألة الأعياد، والاحتفالات البدعية، من أشد وأخطر ما تساهل فيه المسلمون، بعد القرون الفاضلة، فقد سارع كثير منهم إلى التشبه بالأُمم الأخرى، في أعيادها، واحتفالاتها.

فأحدث بعضهم بدعة الاحتفال بالمولد النبوي، والاحتفال بليلة الإسراء والمعراج. وهذه الأعياد الوطنية والقومية - التي تزداد يوماً بعد يوم بين المسلمين - وغيرها إنما هي من الأغلال والآصار التي ابتليت بها الأمة الإسلامية، وما أنزل الله بها من سلطان.

لذلك نجد أن المؤلف رحمه الله أطال في مسألة الأعياد البدعية، بل إنه أشار في أول الكتاب - كما ذكرت - أنها هي سبب تأليف الكتاب، وغيرها جاء تابعاً لها.

فقد بين أن الله تعالى لم يشرع للمسلمين إلا عيدين، هما عيد الأضحى، وعيد الفطر، وأن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم نهى عن اتخاذ الأعياد سواء كانت أعياداً جديدة، أو أعياداً قديمة تُحيا.

كما بين أن مسألة الأعياد من المسائل الشرعية التعبدية، التي لا يجوز الابتداع فيها، ولا الزيادة ولا النقص، فلا يجوز إحداث أعياد غير ما شرعه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

كما بين أن كل اجتماع عام يحدثه الناس، ويعتادونه، في زمان معين أو مكان معين، أو هما معاً، فإنه عيد، كما أن كل أثر من الآثار القديمة أو الجديدة، يحييه الناس، ويرتادونه؛ فإنه يكون عيداً؛ وذلك كأسواق الجاهلية، وآثارها، وأوثانها.

فقد كان للناس قبل الإسلام أعياد زمانية ومكانية كثيرة، وكلها حرمها الإسلام وأماها، وشرع للمسلمين عيدين فقط.

فقد دلت السنة على ذلك بوضوح وصراحة، كما دل عليه فعل المسلمين في صدر الإسلام، وإجماعهم، وما أثر عنهم من النهي عن ذلك والتحذير منه أكثر من أن يحصى،

وقد ذكر المؤلف الكثير منه.

فإذا عرفنا ذلك، وعرفنا أن ما شاع بين المسلمين من أعياد واحتفالات لم يكن يفعله الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، بل نهى عنه، ولم يكن الصحابة ولا التابعون خلال القرون الفاضلة يفعلون ذلك، بل كانوا ينهون عنه ويحذرون من الوقوع فيه؛ فهذا يكفي للحكم على هذه الأعياد والاحتفالات المحدثّة بأنها دسيّسة من دسائس المبطلين، وغفلة وجهل من أكثر المسلمين، مهما بررها الناس ورضوها، والتمسوا لها الفتاوى والتأويلات التي لا تستند إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فأي عيد أو احتفال ليس له في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أصل، ولم يعهد في عصر الصحابة، والقرون الفاضلة، فإنما قام على الباطل، ويقال لمن فعله أو أحله: ﴿ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾<sup>(١)</sup> ولن يجدوا إلا قول من

سبقوهم: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وإن أقوى حجة يستند إليها المتشبهون بهذه الأعياد والاحتفالات المبتدعة، قولهم بأن ذلك - خاصة الاحتفال بالمولد - مما تعارف عليه المسلمون، وعلمه ورضيه كثير من علماء المسلمين المعترين، واجتمعت عليه الأمة، وهي لا تجتمع على ضلالة. فيقال لهم: هذه دعوى واهية؛ لأنها:

: لا تستند إلى دليل شرعي من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله

وسلم.

: لم يتعارف على ذلك جميع المسلمين، ولم يرضه جميع العلماء، بل ولا

المعتبرون منهم، ولم تجتمع عليه الأمة، فإنه منذ أن استحدثت هذه المبتدعات إلى اليوم لا تزال طائفة من الأمة تنكرها وتبين للمسلمين الحق، وتنصح للأمة وترشدها إلى الطريق

(١) سورة البقرة : من الآية ١١١ .

(٢) سورة الزخرف : من الآية ٢٢ .



المستقيم، الذي سنّه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وسلوكه الصحابة والسلف الصالح. وما دعوة الإمام أحمد بن حنبل، ثم الإمام أحمد بن تيمية، ثم دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، وسائر أئمة أهل السنة والجماعة- بخافية على أحد-، ولم يفعل ذلك الصحابة ولا التابعون، ولا الأئمة في القرون الفاضلة كالأئمة الأربعة وسائر أئمة الهدى المهتدين.

وبالرغم من أن عصرنا هذا، من أسوأ عصور المسلمين، وأكثرها انحرافاً، إلا أننا نجد طائفة منهم لا تزال- بحمد الله- تنكر هذه المبتدعات، وتصدع بالحق، وتحذر المسلمين من الوقوع في البدع، فإن أكثر بلاد المسلمين ابتلاء بالبدع والانحرافات والشركيات- خاصة الأعياد والاحتفالات البدعية، وبدع الصوفية، والبدع التي تقام حول القبور- توجد فيها طائفة تنكر هذه البدع، وتحاربها، وترشد المسلمين وتناصحهم بعدم الوقوع فيها، بصراحة وجرأة وشجاعة، كجماعة أنصار السنة المحمدية في السودان، وفي مصر، وغيرها من الأفراد والجمعيات في كل مكان.

وبهذا تبطل دعوى اجتماع الأمة، وحاشاها أن تجتمع على ضلالة.

هذا بالإضافة إلى ما فصله المؤلف من وجوه أخرى في تحريم الأعياد المبتدعة والنهي عنها، وضررها على المسلمين، منها:

\* أن الأعياد من جملة الشرائع والمناسك، كالقبلة، والصلاة، والصيام، وليست مجرد عادات، وهنا يكون أمر التشبه والتقليد فيها للكافرين أشد وأخطر، وكذلك تشريع أعياد لم يشرعها الله يكون حكماً بغير ما أنزل الله، وقولاً على الله بغير علم، وافتراء عليه، وابتداعاً في دينه.

\* أن الأعياد والاحتفالات البدعية، من شرائع الكفار، ومن شعائر أديانهم الباطلة المحرفة، فلا يجوز للمسلمين أن يتشبهوا بما هو من خصائص الكفار وشعائهم الباطلة.

\* أن أعياد الكفار، وما يفعلونه فيها، معصية؛ لأنه: إما مبتدع في دينهم أصلاً، وإما منسوخ بالإسلام، فهو بمنزلة صلاة المسلم لبيت المقدس.

\* إذا فعل المسلمون القليل من الأعياد المتدعة، فسيؤدي ذلك إلى فعل الكثير؛ لأن هذا أمر لا ضابط له إلا الشرع، ومن ثم تكثر الأعياد، وتشغل المسلمين عن عبادتهم، وعن أمور معاشهم ومصالحهم.

وهذا ما حدث فعلاً الآن، فكل بلد من بلاد المسلمين اليوم له أعياد واحتفالات، فعيد ميلاد الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وآخر لميلاد الرئيس، وثالث للوطن، ورابع للاستقلال، وخامس للاعتلاء، وسادس للمرأة، وسابع للطفل، وثامن للأمم، وتاسع للربيع. وعاشر للنصر! إلخ مما لا يحصى من الأعياد التي أولها قَطْرٌ، وآخرها طوفان، بل لقد وصلت قائمة الأعياد المتدعة في بعض بلاد المسلمين إلى أكثر من ذلك، وفي ذلك مضاهاة لدين الله.

\* ويضاف إلى ذلك ما تستترفه هذه الأعياد من الأموال والجهود، والطاقات والأوقات، التي تضيع هدرًا على المسلمين في سبيل الشيطان، وتشغلهم عن ذكر الله وعن الصلاة، وعن كثير من الفروض والواجبات التي شرعها الله، وسنها رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، كما أنها مفتاح اللهو والعبث والجون والانحلال في حياة الفرد والمجتمع.

فهل يفتن أولئك الذين لا يزالون يبيحون للمسلمين مثل هذه الأعياد والاحتفالات، ويشرعونها لهم، ويزعمون أن الإسلام لم يحرم هذا؟ فإذا كانت عميت بصائرهم عن الدليل، فهل عميت أبصارهم عن الواقع؟ لكن من لم يجعل الله له نورًا، فما له من نور.

والجدير بالتنبيه هنا، التنويه بما أنعم الله تعالى به على المسلمين في هذه البلاد- البلاد السعودية- حيث طهر أرضها وأهلها بحمد الله من هذه الأعياد، وغيرها من البدع التي تقام حول القبور، ونحوها، ولا تزال البدع فيها بحمد الله مكبوتة، بقوة العقيدة، وقوة الحجّة، وقوة السلطة، وذلك من آثار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب المباركة، وهذه نعمة من نعم الله عليها وعلى جميع المسلمين، يجب أن تشكرها وترعاها، وتحافظ عليها، وتعض عليها بالنواجذ، ونسأل الله تعالى أن يوفق أولي الأمر بهذه البلاد للمحافظة على هذه النعمة، ليرعوها حق رعايتها، ويأخذوا على أيدي السفهاء الذين يحاولون إيقاع

---

المسلمين في هذه البلاد بما ابتلي به غيرهم من البدع والمخالفات والانحرافات.

لنا وقفة عند ما يسميه المؤلف "الرطانة"، وهو تعلم المسلمين وتكلمهم بغير اللغة العربية، وهذه المسألة من القضايا الملحة التي تواجه المسلمين في هذا العصر، والتي تحتاج إلى بحث طويل، واستجلاء للحكم الشرعي المفصل فيها، ولست هنا أنتزع ولا أصدر أحكاماً، بقدر ما أستخلص فوائد وتوجيهات من كلام المؤلف في هذا الموضوع، الذي يبين لنا الحكم العام، ومواقف السلف نحو اللغات الأخرى، وآثارها على دين المسلمين ومعتقدهم.

فقد بين لنا أن للصحابة مواقف معروفة نحو ذلك، تتمثل بقول عمر: "إياكم ورطانة الأعاجم" فكانوا يكرهون أن يتكلم المسلم بغير العربية على وجه الاعتياد والدوام، ولغير ضرورة.

أما عند الحاجة والضرورة، وما تقتضيه مصلحة المسلمين العامة، فإن ذلك جائز، وقد جاءت السنة به، فقد ﴿أمر الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم زيد بن ثابت أن يتعلم السريانية﴾<sup>(١)</sup>، لغة يهود، ليقراً في كتبهم، ويكتب بها إليهم، ويترجم كلامهم، ويأمن مكرهم.

كما كان الخلفاء الراشدون يفعلون ذلك، وكتبوا الدواوين بغير العربية، إلى أن صارت القدرة على تعريبها، وكان المسلمون مضطرين لمخاطبة الشعوب التي دخلت الإسلام بعد الفتوح بلغاتها كذلك.

أما التكلم بغير العربية لغير ضرورة، فإن السلف كانوا يكرهونه أشد الكراهية، وينهون عنه، ولهم في ذلك أقوال معروفة سرد المؤلف الكثير منها.

وكانوا يرون أن العربية من مستلزمات الدين، وغيرها شعار النفاق، لذلك لما فتحوا

(١) الترمذي الاستئذان والآداب (٢٧١٥)، أبو داود العلم (٣٦٤٥)، أحمد (١٨٢/٥).

---

الأمصار، سارعوا إلى تعليم أهلها العربية حتى سرت سريان النور في الظلام، رغم صعوبة ذلك ومشقته.

فالعربية هي لغة الإسلام، ولغة القرآن، ولا يتأتى فهم الكتاب والسنة فهماً صحيحاً سليماً إلا بها، فهي من مستلزمات الإسلام وضرورياته، وإهمالها والتساهل بها لا بد أن يضعف من فهم الدين، ويساعد على الجهل به.

وأرى أنه من الخطأ الفادح: مزاحمة اللغة العربية باللغات الأخرى في مناهج التعليم في البلاد الإسلامية<sup>(١)</sup> على العموم، والعربية على الخصوص.

فليس هناك أي مبرر يجعل اللغات الأخرى تفرض في المدارس على جميع الطلبة، ولا على غالبهم، وفي كل المستويات، والواقع يثبت ما أقوله، فإن طلاب المدارس التي تفرض فيها اللغات الأجنبية اليوم، هم أضعف في اللغة العربية، في حين أنهم لم يكتسبوا من اللغات الأخرى شيئاً يذكر، فهم كالمثبت: لا ظهراً أبقى، ولا أرضاً قطع، كما أنها تشكل عبئاً ثقيلاً، وشبحاً مخيفاً أمام أغلب الطلبة.

نعم، قد تكون هناك ضرورة للدول لتعلم بعض اللغات الأجنبية، وحينئذ يجب أن يتعلمها من يقع الاختيار عليه لحاجة الأمة، أو تفرض ذلك عليه طبيعة عمله أو دراسته، فتتعلم طائفة من أبناء الأمة لغات الأمم الأخرى بقدر الحاجة، أما أن تكون اللغة الدخيلة مفروضة على كل ناشئة المسلمين، فهذا ما أرى أنه خطأ، ويخالف حكم الإسلام، ولم يأت إلا عن جهل، أو إعجاب بالأعاجم، أو قصد إفساد شباب المسلمين والتضييق على لغتهم العربية، أو عن قصور في التفكير يكون سببه حب التقليد والشعور بالنقص.

---

(١) كانت العربية هي لغة المسلمين في كل العالم الإسلامي، حتى جاء الاحتلال فحارب العربية وأحل محلها اللغات القومية لكل بلد، أو إحدى اللغات الغربية خاصة الإنجليزية، مما أبعد الشعوب المسلمة عن فهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وسائر العلوم الإسلامية.

لقد أخطأ كثير من الناس في العصور المتأخرة في مفهوم البدعة وأحكامها، فقالوا بأن البدعة تنقسم إلى: حسنة، وقبيحة، وأنه ليست كل بدعة ضلالة، وأنا ما ارتضاه المسلمون وتعارفوا عليه لا يكون بدعة، وهذه المفاهيم كلها إنما حدثت بعد القرون الثلاثة الفاضلة. فاستطاع المؤلف رحمه الله، أن يؤصل لهذه المسألة، ويستقرئ أدلتها، ويبين أحكامها، ووجه الخطأ فيها، على النحو التالي:

\* بين أن كل بدعة ضلالة بصريح السنة ومنطوقها، حيث ذكر الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن ﴿ كل بدعة ضلالة ﴾<sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup> وأن ﴿ شر الأمور محدثاتها ﴾<sup>(٣)</sup> وأن ﴿ كل محدثة بدعة ﴾<sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup> وما زعمه بعض الناس من أنه ليس كل بدعة ضلالة، فهو مصادم لقول الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ومشاققة له.

\* أن البدع التي هي محل الكلام هنا هي ما أحدثه الناس في العبادات وشعائر الدين، وشرائعه، كالأعياد المحدثه، والبدع التي أحدثها الناس حول القبور والمزارات والمشاهد، وكالصلوات المحدثه، مثل صلاة الرغائب، والصلاة الألفية، والصيام المحدث، مثل صيام أول خميس من رجب، ونحو ذلك من المبتدعات التي يتعبد الناس بها، أو تصير من شعائريهم وسماتهم الدينية، فهذه الأصل فيها أن لا يشرع منها إلا ما شرعه الله.

أما العادات فالأصل فيها الإباحة، إلا ما حرمه الله.

\* مسألة أن كل بدعة في الدين ضلالة محرمة، هذا مما أجمع عليه الصحابة والسلف

(١) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، ابن ماجه المقدمة (٤٢) ، أحمد (١٢٦/٤) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٢) انظر : الحديث الوارد في ذلك وتخريجه (٨٣ /٢) من هذا الكتاب .

(٣) نفس المرجع السابق .

(٤) مسلم الجمعة (٨٦٧) ، النسائي صلاة العيدين (١٥٧٨) ، ابن ماجه المقدمة (٤٥) ، أحمد (٣٧١/٣) .

(٥) نفس المرجع السابق .

الصالح، ولم تنتشر البدع إلا بعد القرون الثلاثة الفاضلة حين صارت للروافض والقرامطة دولة، وكثرت الطرق الصوفية النكدة.

\* أن ما اعتاده بعض الناس، أو حتى أكثرهم، في بلاد المسلمين، من الإقرار ببعض البدع، وعملهم لها، وسكوت بعض العلماء عنها، وعمل بعضهم لها، ودعوة آخرين إليها؛ كل هذا لا يصلح دليلاً على أنها بدع حسنة ومقبولة، ومرضية في دين الله؛ لأن الدليل المجمع عليه إنما هو كتاب الله، أو سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وسنة الخلفاء الراشدين والإجماع، وهذه الأصول كلها تبطل البدع، أما مجرد أعمال وأقوال تصدر من بعض المسلمين أو أكثرهم - وإن سموا علماء - فهذا لا يصير دليلاً بالإجماع.

\* استدل بعضهم على أن بعض البدع حسنة في الدين بقول عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح: "نعمت البدعة" وأنه سنها وأقره الصحابة على ذلك، لكن المؤلف يرد هذا بأن صلاة التراويح لها أصل في السنة، وأن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم صلاها، وصلاها الصحابة خلفه، وأنه تركها خشية أن تفرض، فبقيت مسنونة بعد توقف الوحي وانقطاع احتمال فرضها.

ثم إن قول عمر لا يُرد به قول الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿كل بدعة

ضلالة﴾ <sup>(١)</sup> ، كما أن تسمية عمر لها: "بدعة" تسمية لغوية؛ إذ مفهوم البدعة في اللغة أوسع منه في الشرع، فلا تعني تسمية عمر لها: "بدعة" أنها بدعة في الدين، ثم إن عمر قال: "نعمت البدعة" من باب الرد والتزل في الحجة على من قال: إنها بدعة، فالإلزام بأنه رضي الله عنه يقصد أنها بدعة حسنة، أو أن البدع منها ما هو حسن من حيث المبدأ؛ إنما هو تحكّم وافتراء على عمر، وافتراء على الدين.

(١) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، ابن ماجه المقدمة (٤٢) ، أحمد (٤/١٢٦) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

من أكثر المبتدعات الشركية، وأخطرها على المسلمين، وأكثرها انتشاراً: تقديس الموتى، وقبورهم، والبناء عليها، وتخصيص النذور إليها، والذبح عندها، ودعاء أصحابها، من دون الله، والتمسح بها، وشد الرحال إليها، والعكوف والمجاورة عندها، والصلاة عندها، وفيها، واتخاذ الآثار- آثار الأنبياء والصالحين ونحوها- مزارات ومشاهد، والتبرك بها، واتخاذها أعياداً، ونحو ذلك مما هو معروف ومنتشر بين المسلمين، منذ القرن الرابع الهجري.

فالمؤلف يشير إلى أن أول من فتن المسلمين وأحدث فيهم هذه البدع: الروافض، وما تفرع عنهم من فرق الباطنية، التي انتشرت بين المسلمين، والطرق الصوفية، ثم الفرق الحاقدة، كالإسماعيلية، والقرامطة، والنصيرية، والاتحادية، والحلولية<sup>(١)</sup> فهؤلاء هم الذين أشاعوا هذه البدع حينما كانت لهم دولة- بعد قيام الدولة الفاطمية، ودولة القرامطة- في القرن الرابع وما بعده، ونشروا هذه الشركيات وأقاموها في بلاد المسلمين.

وهذه البدع لا تزال جاثمة في أكثر بلاد المسلمين- ما عدا البلاد السعودية وبعض دول الخليج- وهي تزداد وتنتشر، خاصة عند الشيعة وأصحاب الطرق الصوفية، والتي ابتلي بها أغلب المسلمين.

وما تكلم عنه المؤلف بهذا الصدد من مظاهر البدع والشركيات ينطبق على عصرنا، وإن اختلفت بعض الشكليات والمظاهر لعامل الزمن.

وأمر آخر كذلك بحثه المؤلف، وهو مما نلاحظه الآن ينمو ويسري في بلاد المسلمين كلها، وهو: العناية بالآثار، وعمل المزارات لها وارتياحها، والاهتمام بها والحفاظ عليها، بل هذا من أبرز اهتمامات وزارات السياحة، وإدارات الآثار.

وسواء كانت تلك الآثار: آثار الأنبياء والصالحين، كغار حراء، وغار ثور، وأماكن

(١) سيأتي تعريف هذه الفرق في أثناء الكتاب، راجع فهرس الأمم والفرق.



---

صلاة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ومكان الشجرة التي تمت تحتها بيعة الرضوان، ونحو ذلك، أو كانت آثار الأمم والشعوب، كآثار الفراعنة، والآشوريين، والكنعانيين، والجاهليين، وسواهم، أو آثار المسلمين.

فإن تقديس هذه الآثار، وإعطاءها اهتماماً وعناية خاصة، مما لا يجوز في الإسلام؛ لأنه: إما شرك أو ذريعة إلى الشرك؛ لأن هذا الاهتمام هو مبدأ التقديس وأساسه، وبداية الفتنة، لذلك حسم الإسلام هذه المادة، ومن هذا القبيل ما يسميه بعض الناس اليوم: (الاهتمام بالآثار والمحافظة عليها)، وهذه هي جرثومة الشرك، ويجب على المسلمين - خاصة في البلاد السعودية حيث لا توجد فيها هذه المظاهر بحمد الله - أن يحدروا من هذه الفكرة كل الحذر، وأن يقطعوا دابرها، قبل أن تستفحل، فإنها بدأت تخرج أعناقها، فإن وجدت غفلة من الرقيب فلربما يقع المحذور.

وما ذكرته لا يتعارض مع ما أمر الله به من السير في الأرض، والنظر في خلق الله، والاعتبار بمصائر الأمم السابقة؛ لأن الأمر بالنظر والاعتبار لا يعني المحافظة والتقديس لآثار السابقين، ومما يوضح ذلك أننا نهينا عن البقاء بديار الأمم الغابرة التي هلكت، وأمرنا إذا مررنا بآثارها أن نكون مسرعين باكين، فكيف نعدها من التراث الثمين، والأجداد.

أما آثار الصالحين، فالأمر فيها أخطر؛ لأنها مظنة التقديس، ومن ثم: العبادة والشرك؛ والإسلام نهى عن ذلك أشد النهي وحذر منه.

فهذه الأماكن والآثار والمشاهد، والأبنية على القبور، وما يجري فيها وحولها، إنما هي أماكن ضرار، تضاهي بيوت الله التي أمر أن ترفع ويذكر فيها اسمه، واتخاذ تلك المبتدعات إنما هو سعي في خراب بيوت الله، وصرف للناس عن ذكر الله وعن الصلاة، إنها معابد الشيطان، وبيوته، نسأل الله تعالى أن يطهر أرضه منها، وأن يحمينا من الزيغ والزلل، إنه نعم المولى المحيب وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

---

د. ناصر بن عبد الكريم العقل

الحمد لله الذي أكمل لنا ديننا، وأتم علينا نعمته، ورضي لنا الإسلام ديناً، وأمرنا<sup>(١)</sup>  
أن نستهديه صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم<sup>(٢)</sup> غير المغضوب عليهم: اليهود، ولا  
الضالين: النصارى.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله  
بالدين القيم، والملة الحنيفة<sup>(٣)</sup> وجعله على شريعة من الأمر، أمر باتباعها، وأمره بأن  
يقول: ﴿ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ<sup>(٤)</sup> أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي<sup>(٥)</sup> ﴾ صلى الله عليه  
وعلى آله وسلم تسليماً.

وبعد: فإني كنت<sup>(٦)</sup> قد نهيت: إما مبتدئاً أو مجيباً<sup>(٧)</sup> عن التشبه بالكفار في أعيادهم،  
وأخبرت ببعض ما في ذلك: من الأثر القديم، والدلالة الشرعية، وبيّنت بعض حكمة  
الشرع<sup>(٨)</sup> في مجانبة الكفار، من الكتابيين والأميين، وما جاءت به الشريعة من<sup>(٩)</sup> مخالفة

---

(١) يشير الشيخ رحمه الله إلى الأمر بقراءة الفاتحة - التي اشتملت على هذا الدعاء - في كل صلاة ، وهذا على  
الوجوب ، كما أن المسلم يستحب منه الدعاء بطلب الهدية من الله تعالى وحده ، في كل حين .

(٢) في (ط) : أنعم الله . وفي (ب) : أنعمت عليهم .

(٣) الملة الحنيفة : هي الدين والشريعة المستقيمة التي لا عوج فيها ، وهي ملة إبراهيم عليه السلام ، وهي الإسلام .

(٤) في (ب) : أدعو إلى بصيرة ، وهو خطأ من الناسخ ، فهو خلاف نص الآية والنسخ الأخرى .

(٥) سورة يوسف : الآية ١٠٨ .

(٦) كنت : سقطت من (ب ج د) والمطبوعة .

(٧) في (ج د) والمطبوعة : وإما مجيباً .

(٨) في (ط) زاد : في ذلك من الأثر القديم ، وهو خطأ من الناسخ حيث كرر العبارة .

(٩) في (أ) : في مخالفة .

أهل الكتاب والأعاجم<sup>(١)</sup> .

وإن كانت هذه قاعدة<sup>(٢)</sup> عظيمة من قواعد الشريعة، كثيرة الشَّعب، واصطلاحاً جامعاً من أصولها كثير<sup>(٣)</sup> الفروع، لكني<sup>(٤)</sup> نبهت على ذلك بما يسر الله تعالى<sup>(٥)</sup> وكتبت جواباً في ذلك لم يحضرنى الساعة، وحصل بسبب ذلك من الخير<sup>(٦)</sup> ما قدره الله سبحانه، ثم بلغني بأخرة<sup>(٧)</sup> أن من الناس من استغرب ذلك واستبعده؛ لمخالفة عادة قد نشؤوا عليها، وتمسكوا في ذلك بعمومات وإطلاقات اعتمدوا عليها، فاقتضاني<sup>(٨)</sup> بعض الأصحاب أن أعلق في ذلك ما يكون فيه إشارة إلى<sup>(٩)</sup> أصل هذه المسألة؛ لكثرة فائدتها، وعموم المنفعة بها، ولما قد عمَّ كثيراً من الناس من الابتلاء بذلك، حتى صاروا في نوع جاهلية، فكتبت ما حضرنى الساعة، مع أنه<sup>(١٠)</sup> لو استوفيت ما في ذلك من الدلائل، وكلام العلماء، واستقرت الآثار في ذلك، لوجد<sup>(١١)</sup> فيه أكثر مما كتبت.

ولم أكن أظن أن من خاض في الفقه، ورأى إيماءات الشرع ومقاصده، وعلل الفقهاء ومسائلهم، يشك في ذلك، بل لم أكن أظن أن من وقر الإيمان في قلبه، وخلص إليه حقيقة

---

(١) الأعاجم : جمع عجم ، والعجم خلاف العرب . انظر : القاموس المحيط - فصل العين ، باب الميم (٤ / ١٤٩) - والمقصود بالأعاجم الذين نهيينا عن التشبه بهم : من لا يدين منهم بالإسلام ، ومن كان منهم له عادات وأخلاق وأزياء تخالف عادات وأخلاق وأزياء المسلمين .

(٢) في (ب) : هذه القاعدة .

(٣) في (ب ج) : كثيرة .

(٤) في (ب ج) : لكن .

(٥) في (أ) : قال الله تعالى بدل يسر الله تعالى ، وهو خطأ من الناسخ .

(٦) في (أ) : من الخير .

(٧) بأخرة : أي أخيراً .

(٨) اقتضاني : طلب مني . يقال اقتضى الدين : أي طلبه . ويقال : استقصى فلاناً : أي طلب إليه أن يقضيه . انظر

: القاموس المحيط - فصل القاف ، باب الياء - والمعجم الوسيط (٢ / ٧٤٩) .

(٩) في (ج - د) : لأصل .

(١٠) في (ب) والمطبوعة : مع أي لو استوفيت .

(١١) في (ب) والمطبوعة : لوجدت .

---

---

الإسلام، وأنه دين الله، الذي لا يقبل من أحد سواه - إذا نَبَّه على هذه النكتة <sup>(١)</sup> - إلا كانت حياة قلبه، وصحة إيمانه، توجب استيقاظه بأسرع تنبيهه، ولكن نعوذ بالله من رين <sup>(٢)</sup> القلوب، وهوى النفوس، اللذَّين يصدان عن معرفة الحق واتباعه.

---

(١) النكتة : تطلق على الطرفة ، وعلى النقطة في الشيء ، وعلى العلامة الخفيفة ، والفكرة اللطيفة المؤثرة في النفس ، والمسألة العلمية الدقيقة التي يتوصل إليها بدقة وإنعام فكر ، والمعنيان الأخيران هما الأقرب إلى مفهوم النكتة التي أشار إليها المؤلف هنا . انظر : لسان العرب ، مادة (نكت) (٢ ، ١٠١)؛ والمعجم الوسيط (٢ / ٩٥٩) .

(٢) الرين : هو الطبع والدنس . يقال : ران ذنبه على قلبه ، ريوناً : أي غلب . انظر مختار الصحاح ، باب الرء ، مادة (ري ن) .

اعلم أن الله سبحانه وتعالى بعث (١) محمدا ﷺ إلى الخلق على فترة من الرسل (٢) وقد مقت أهل الأرض: عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب (٣) ماتوا - أو أكثرهم - قبل مبعثه.

والناس إذ ذاك أحد رجلين: إما كتابي معتصم (٤) بكتاب: إما مبدل، وإما مبدل منسوخ (٥) ودين (٦) دارس، بعضه مجهول، وبعضه متروك، وإما أمي من عربي وعجمي، مقبل على عبادة ما استحسنته، وظن أنه ينفعه: من نجم، أو وثن، أو قبر، أو تمثال، أو غير ذلك.

والناس في جاهلية جهلاء، من مقالات يظنونها علما وهي جهل، وأعمال يحسبونها صلاحا وهي فساد. وغاية البارع منهم علما وعملا، أن يحصل قليلا من العلم الموروث عن الأنبياء المتقدمين، قد اشتبه عليهم حقه بباطله.

أو يشتغل بعمل القليل منه مشروع، وأكثره مبتدع لا يكاد يؤثر في صلاحه إلا قليلا، أو أن يكدح بنظره كدح المتفلسفة، فتذوب مهجته في الأمور الطبيعية والرياضية (٧) وإصلاح الأخلاق، حتى يصل - إن وصل - بعد الجهد الذي لا يوصف، إلى نزر (٨) قليل

(١) في (ب ج د) والمطبوعة: أرسل .

(٢) قوله: على فترة من الرسل: سقطت من (أ) والمطبوعة .

(٣) ورد ذلك في حديث أخرجه مسلم في صحيحه من حديث طويل جاء فيه: " وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم ، عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب . . " إلخ الحديث . انظر : صحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ، الحديث رقم (٢٨٦٥) (٤ / ٢١٩٧) .

(٤) في (ج د) يعتصم .

(٥) في (أ ج د) : إما مبدل منسوخ . والمطبوعة : إما مبدل وإما منسوخ .

(٦) في (ب) والمطبوعة : أو بدين .

(٧) في (ط) : والرياضة .

(٨) في (أ) : إلى نور .

مضطرب، لا يروي ولا يشفي<sup>(١)</sup> من العلم الإلهي، باطله أضعاف حقه - إن حصل -  
وأنتى له ذلك مع كثرة الاختلاف بين أهله، والاضطراب وتعذر الأدلة عليه، والأسباب ؟  
فهدى الله الناس ببركة نبوة محمد ﷺ وبما جاء به من البينات والهدى، هداية جلت  
عن وصف الواصفين، وفاقت معرفة العارفين، حتى حصل لأمتة المؤمنين<sup>(٢)</sup> عموماً،  
ولأولي العلم منهم خصوصاً، من العلم النافع، والعمل الصالح، والأخلاق العظيمة، والسنن  
المستقيمة، ما لو جمعت حكمة سائر الأمم، علما وعملا، الخالصة من كل شوب، إلى  
الحكمة التي بعث بها، لتفاوتا تفاوتاً يمنع معرفة قدر النسبة بينهما، فله الحمد كما يجب  
ربنا ويرضى<sup>(٣)</sup> ودلائل<sup>(٤)</sup> هذا وشواهدة ليس هذا موضعها.

ثم إنه سبحانه بعثه بدين الإسلام، الذي هو الصراط المستقيم، وفرض على الخلق أن  
يسألوه هدايته كل يوم<sup>(٥)</sup> في صلاتهم<sup>(٦)</sup> ووصفه بأنه صراط الذين أنعم<sup>(٧)</sup> عليهم، من  
النبين والصدّيقين والشهداء والصالحين، غير المغضوب عليهم ولا الضالين<sup>(٨)</sup>.

قال عدي بن حاتم<sup>(٩)</sup> ﷺ ﴿ آتيت رسول<sup>(١٠)</sup> الله ﷺ وهو جالس في المسجد، فقال  
القوم: هذا عدي بن حاتم. وجئت بغير أمان ولا كتاب، فلما دفعت إليه أخذ بيدي، وقد

(١) في المطبوعة: لا يروي غليلاً، ولا يشفي غليلاً، ولا يغني من العلم الإلهي شيئاً.

(٢) في المطبوعة: المؤمنين به.

(٣) في (ج د): كما يحب ويرضى.

(٤) في (د): ودليل.

(٥) في المطبوعة: كل يوم مرارا.

(٦) في (ب): في صلواتهم.

(٧) في (ج د): أنعم الله عليهم.

(٨) في (د): زاد: آمين.

(٩) هو الصحابي الجليل: عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي، ابن حاتم الجواد المشهور بالكرم في الجاهلية،  
أسلم عدي سنة (٩هـ)، وكان رئيس قومه في الجاهلية والإسلام، وممن ثبتوا على الإسلام يوم الردة،  
وشهد فتوح العراق وغيرها، ثم سكن الكوفة، وشهد صفين مع علي رضي الله عنهما. ومات سنة (٦٨هـ)،  
وعمره (١٢٠) سنة. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٢/٤٦٨، ٤٦٩)، (ت ٥٤٧٥).

(١٠) في (ب): آتيت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

كان (١) قال قبل ذلك: " إني لأرجو أن يجعل الله يده بيدي " قال: فلقيته امرأة وصبي معها فقالوا: إن لنا إليك حاجة. فقام معهما حتى قضى حاجتهما، ثم أخذ بيدي، حتى أتى بي داره، فألقت له الوليدة (٢) وسادة، فجلس عليها، وجلست بين يديه. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: " ما يفرك (٣) . أيفرك (٤) أن تقول لا إله إلا الله؟ فهل تعلم من إله سوى الله؟ قال: قلت: لا. ثم تكلم ساعة (٥) ثم قال: " إنما يفرك (٦) أن تقول: الله أكبر، وتعلم (٧) شيئاً أكبر من الله؟ " قال: قلت: لا. قال: " فإن اليهود مغضوب عليهم، وإن النصارى (٨) ضلّال "، قال: فقلت: فإني حنيف (٩) مسلم. قال: فرأيت وجهه ينبسط (١٠) فرحا ﴿ و ذكر حديثاً طويلاً. رواه الترمذي وقال: " هذا حديث حسن غريب " (١١) .

وقد دل كتاب الله على معنى هذا الحديث، قال الله سبحانه:

﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ

- 
- (١) كان : سقطت من المطبوعة .  
(٢) الوليدة : الصبية أو الأمة ، والجمع ولائد . انظر : مختار الصحاح باب الواو (ولد) .  
(٣) أي ما يملك على الفرار .  
(٤) أيفرك : لا توجد في نسخة الترمذي التي بين يدي .  
(٥) من قوله : ثم تكلم ساعة ، إلى قوله : فإن اليهود . . الحديث (ما يقارب السطر) سقط من المخطوطة (ط) . ولعله سهو من الناسخ .  
(٦) في (أ ب) : تفر . وهي كذلك في الترمذي : تفر .  
(٧) في الترمذي : وتعلم شيئاً . . إلخ .  
(٨) " إن " سقطت من (أ ب ج) والمطبوعة . وفي الترمذي كما أثبت في النص .  
(٩) كذا في جميع النسخ : فإني حنيف . وكذا أورده ابن الأثير في جامع الأصول (٩/ ١١١) في تحقيق عبد القادر وشعيب الأرناؤوط ، ولكن عبارة الترمذي : فإني جئت مسلماً .  
(١٠) في (ب) والترمذي : تبسط .  
(١١) سنن الترمذي ، كتاب تفسير القرآن ، باب تفسير سورة الفاتحة ، تابع الحديث رقم (٢٩٥٣) ، (٥/ ٢٠٢) ، (٢٠٣ ، ٢٠٤) . وقال فيه الترمذي : " هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سماك بن حرب " وللحديث طرق وشواهد أخرى أكثرها مختصرة . انظر : مسند أحمد (٤/ ٣٧٨) .



أَفْرَدَةَ وَالْحَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّغُوتَ ﴿١﴾ والضمير عائد إلى اليهود، والخطاب معهم كما دل عليه سياق الكلام. وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ ﴾ (٢) وهم المنافقون الذين تولوا اليهود (٣) باتفاق أهل التفسير، وسياق الآية يدل عليه.

وقال تعالى: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ (٤) وذكر في آل عمران (٥) قوله تعالى: ﴿ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ (٦) وهذا بيان أن اليهود مغضوب عليهم.

وقال في النصارى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ (٧) وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٨﴾ .

وهذا خطاب للنصارى كما دل عليه السياق، ولهذا نهاهم عن الغلو، وهو مجاوزة الحد، كما نهاهم عنه في قوله: ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ (٩) وَلَا تَقُولُوا عَلَى

(١) سورة المائدة : من الآية ٦٠ .

(٢) سورة المجادلة : من الآية ١٤ .

(٣) في (أ) : يهود . وقد سقطت من (ط) .

(٤) سورة آل عمران : من الآية ١١٢ .

(٥) في المطبوعة : قال : وذكر في البقرة . ولكنها في جميع النسخ المخطوطة : آل عمران . كما أثبت ، وهي في سورة البقرة : من الآية ٩٠ .

(٦) سورة آل عمران : من الآية السابقة ١١٢ .

(٧) غير الحق أسقطت من النسختين : (ج د) . وهو سهو من الناسخين .

(٨) سورة المائدة : من الآيات ٧٣ - ٧٧ .

(٩) في (أ ط) : ابتداء الآية من قوله : لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ . . الآية .

اللَّهُ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ﴿...﴾ (١) الآية.

واليهود مقصرون عن الحق، والنصارى غالون فيه، فأما وسم (٢) اليهود بالغضب، والنصارى بالضلال، فله أسباب ظاهرة وباطنة، ليس هذا موضعها. وجماع ذلك: أن كفر اليهود أصله من جهة عدم العمل بعلمهم فهم يعلمون الحق ولا يتبعونه عملا أو لا قولاً ولا عملاً (٣) وكفر النصارى من جهة عملهم بلا علم، فهم يجتهدون في أصناف العبادات بلا شريعة من الله، ويقولون على الله ما لا يعلمون. ولهذا كان (٤) السلف (٥) سفيان بن عيينة (٦) وغيره، يقولون: إن (٧) من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود! ومن فسد من عبّادنا ففيه شبه من النصارى. وليس هذا موضع شرح ذلك.

ومع أن (٨) الله قد حذرنا سيئهم، فقضاؤه نافذ بما أخبر به رسوله، مما سبق في علمه، حيث قال فيما خرجاه في الصحيحين: عن أبي سعيد الخدري (٩) رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه ﴿لتتبعن سنن من كان (١٠) قبلكم حذو القذة (١) بالقذة حتى لو دخلوا جحر

(١) سورة النساء : من الآية ١٧١ .

(٢) في (ج د) : وصف .

(٣) في (أ) : أو قولاً ولا عملاً . وفي المطبوعة و(ج) : ولا يتبعونه قولاً ، أو عملاً ، أو لا قولاً ولا عملاً .

(٤) في (ب) : ولقد كان سفيان بن عيينة وغيره من السلف .

(٥) في المطبوعة : كسفيان .

(٦) هو الإمام سفيان بن عيينة بن أبي عمران ، مولى بني هلال ، كنيته أبو محمد ، ولد سنة (١٠٧ هـ) بالكوفة ،

وكان ثقة ثبتاً كثير الحديث حجة ، وكان محدث الحجاز في زمانه في مكة ، حتى قال فيه الشافعي : " لولا

مالك وسفيان لذهب علم الحجاز " . سكن مكة وتوفي بها عام (١٩٨ هـ) وعمره (٩١) سنة . انظر :

الطبقات الكبرى لان سعد (٥ / ٤٩٧) وانظر : الأعلام للزركلي (٣ / ١٠٥) .

(٧) في (ب ج) والمطبوعة : يقولون من فسد . أي بسقوط : إن .

(٨) في (ط) : ومع ذلك أن الله .

(٩) أبو سعيد الخدري تأتي ترجمته . انظر : فهرس الأعلام .

(١٠) كان : سقطت من (ب) .

ضب لدخلتموه ". قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى ؟ قال: فمن ﴿ (٢) .

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة (٣) رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (٤) ﴿ لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمي مأخذ القرون، شبرا بشبر، وذراعا بذراع . فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم ؟ قال: ومن الناس إلا أولئك ؟ ﴿ (٥) (٦) .

فأخبر أنه سيكون في أمته مضاهاة لليهود والنصارى، وهم أهل الكتاب، ومضاهاة لفارس والروم، وهم الأعاجم.

وقد كان صلى الله عليه وسلم ينهى عن التشبه بهؤلاء وهؤلاء، وليس هذا إخبارا عن جميع الأمة، بل قد تواتر عنه: " أنه قال ﴿ لا تزال (٧) طائفة من أمته (١) ظاهرة على الحق حتى تقوم

(١) القذة : بالضم : ريشة السهم . وقوله : " حذو القذة بالقذة " . كناية عن التشابه والتتابع ، ويضرب مثلا للشيعيين يستويان ولا يتفاوتان لسان العرب (٤/ ٥٠٣) قذذ .

(٢) هذا الحديث من الأحاديث الصحيحة المستفيضة في الصحاح والسنن والمسانيد ، وقد أخرجاه في الصحيحين من طرق وألفاظ متعددة ، ولكن لم أجد فيه عبارة : " حذو القذة بالقذة " ، ولفظ الصحيحين المتفق عليه عن أبي سعيد الخدري هو : لتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع . . " الحديث بتمامه مع اختلاف يسير في الألفاظ . انظر : صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام ، باب قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : لتبعن سنن من كان قبلكم " ، الحديث رقم (٧٣٢٠) من فتح الباري (١٣/ ٣٠٠) . وصحيح مسلم ، كتاب العلم ، باب اتباع سنن اليهود والنصارى . . الحديث رقم (٢٦٦٩) ، (٤/ ٢٠٥٤) ، أما لفظ : " حذو القذة بالقذة " ، فقد أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٢٥) ، وذكره ابن الأثير في جامع الأصول عن رزين . انظر : جامع الأصول (١٠/ ٣٤) .

(٣) هو الصحابي الجليل : عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، أسلم في السنة السابعة للهجرة ، فلزم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وخدمه ، لذلك صار أكثر الصحابة رواية للحديث ، حيث روى ٥٣٧٤ حديثا ، وكان من أصحاب الصفة ، شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم النسيان فأمره أن يسطر رداؤه فبسطه ثم ضمه ، يقول : فما نسيت حديثا بعد . استعمله عمر على البحرين ، ثم سكن المدينة وتوفي بهاسنة (٥٩هـ) على الأشهر . انظر : البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٠٣ - ١١٤) ؛ وأسد الغابة (٥/ ٣١٥ ، ٣١٦) .

(٤) قال : سقطت في (ب ج د) والمطبوعة .

(٥) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٨٨٨) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٩٤) ، أحمد (٣٦٧/٢) .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام ، باب قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : " لتبعن سنن من كان قبلكم " ، الحديث رقم (٧٣١٩) من فتح الباري (١٣/ ٣٠٠) .

(٧) في (ب أ) : لا يزال .

وأخبر ﷺ ﴿٣﴾ أن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة (٣) وأن الله لا يزال يغرس في هذا

الدين غرسا يستعملهم فيه بطاعته ﴿٤﴾ (٤) (٥) .

فعلم بخبره الصدق أنه (٦) في أمته قوم متمسكون بهديه، الذي هو دين الإسلام محضاً،

(١) في المطبوعة : بل قد تواتر عنه أنه قال : " لا تزال طائفة من أمتي . . إلخ .

(٢) جاء ذلك في أحاديث صحيحة ومستفيضة عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أخرجها البخاري ومسلم ، وابن ماجه ، والحاكم في مستدركه ، وأحمد في المسند ، والترمذي وغيرهم كثير . وأكتفي بالإشارة إلى الأحاديث في الصحيحين ، فقد أخرجها البخاري في كتاب المناقب الباب (٢٧) ، الحديث رقم (٣٦٤٠) من فتح الباري (٦ / ٦٣٢) ، ورقم (٧٣١١) ، (٧٤٥٩) عن المغيرة بن شعبة ، كما أخرجها عن معاوية بلفظ آخر ، الحديث رقم (٣٦٤١) في فتح الباري أيضا . وأخرجها مسلم في كتاب الإمارة ، باب قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين . . " الأحاديث رقم (١٩٢٠) ، عن ثوبان ورقم (١٩٢١) ، عن المغيرة ورقم (١٠٣٧) ، عن معاوية .

(٣) جاء ذلك في حديث أخرجه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : " إن الله لا يجمع أمي - أو قال : أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم - على ضلالة ، ويد الله مع الجماعة ، ومن شذ شذ في النار " . أخرجه الترمذي في كتاب الفتن ، باب ما جاء في لزوم الجماعة الحديث رقم (٢١٦٧) ، (٤ / ٤٦٦) ، وقال : " هذا حديث غريب من هذا الوجه " ، وللحديث شواهد في مستدرك الحاكم (١ / ١١٥ - ١١٦) ؛ والسنة لابن أبي عاصم ، الأحاديث رقم (٨٠) ، (٨٢) ، (٨٣) ، (٨٤) ، (٨٥) ، (ص ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢) ، وذكره السيوطي في الجامع الصغير وزاد فيه : " ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ إلى النار " ، وقال : " حديث حسن " الجامع الصغير (١ / ٢٧٨) رقم (١٨١٨) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم (١٨٤٤) ، وله شاهد أيضا في المسند (٥ / ١٤٥) ، عن أبي ذر ومنه : " فإن الله يجمع أمي إلا على هدى " ، وفي سنن الدارمي (١ / ٢٩) في المقدمة ، باب ما أعطى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الفضل وفيه : " ولا يجمعهم على ضلالة " .

(٤) في (أ ط) : بطاعة الله .

(٥) جاء ذلك في حديث أخرجه ابن ماجه في المقدمة ، باب اتباع سنة رسول الله - الحديث رقم (٨) ، (١٥) ، عن أبي عتبة الخولانيقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : " لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسا يستعملهم في طاعته " ، وفي مسند أحمد بنحوه أيضا عن أبي عتبة الخولاني . المسند (٤٢٠٠) ، ولم أجد من تكلم عن الحديث من الأئمة ، لكن رجاله ليس فيهم ضعيف يترك حديثه .

(٦) في المطبوعة : أن لا بد أن يكون في أمته قوم متمسكين بهديه . . إلخ .

---

---

وقوم منحرفون <sup>(١)</sup> إلى شعبة من شعب <sup>(٢)</sup> اليهود، أو إلى شعبة من شعب <sup>(٣)</sup> النصارى، وإن كان الرجل لا يكفر بكل <sup>(٤)</sup> انحراف، بل وقد لا يفسق أيضا، بل قد يكون الانحراف كفرا، وقد يكون فسقا، وقد يكون معصية <sup>(٥)</sup> وقد يكون خطأ.

وهذا الانحراف أمر تتقاضاه الطباع ويزينه الشيطان، فلذلك أمر العبد بدوام دعاء الله سبحانه بالهداية إلى الاستقامة التي لا يهودية فيها ولا نصرانية أصلا.

---

(١) في المطبوعة : منحرفين .

(٢) في المطبوعة : من شعب دين اليهود .

(٣) في المطبوعة : من شعب دين النصارى .

(٤) في المطبوعة : لا يكفر بهذا الانحراف .

(٥) في المطبوعة : سيئة .

وأنا أشير<sup>(١)</sup> إلى بعض أمور أهل الكتاب والأعاجم، التي ابتليت بها هذه الأمة،  
ليجتنب المسلم الحنيف الانحراف عن الصراط المستقيم، إلى صراط المغضوب عليهم، أو<sup>(٢)</sup>  
الضالين. قال الله سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ  
كُفَّارًا حَسَدًا<sup>(٣)</sup> مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ<sup>ط</sup>﴾<sup>(٤)</sup>.

فدم اليهود على ما حسدوا المؤمنين على الهدى والعلم.

وقد يتلى بعض المنتسبين إلى<sup>(٥)</sup> العلم وغيرهم بنوع من الحسد لمن هداه الله بعلم<sup>(٦)</sup>  
نافع أو عمل صالح، وهو خلق مذموم مطلقاً، وهو في هذا الموضوع من أخلاق المغضوب  
عليهم. وقال الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ  
وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ<sup>ط</sup>﴾<sup>(٧)</sup>. فوصفهم بالبخل  
الذي هو البخل بالعلم والبخل بالمال، وإن كان السياق يدل على أن البخل بالعلم هو

(١) في (ج د) : وإنا نشير .

(٢) في (ط) : ولا .

(٣) في (ج د) : بعد قوله : " حسدا " قال : الآية .

(٤) سورة البقرة : من الآية ١٠٩ .

(٥) في (ج د) : للعلم .

(٦) في المطبوعة : لعلم .

(٧) سورة النساء : من الآيتين ٣٦ ، ٣٧ . وقد وقع اختلاف وخلط في سياق الآيتين بين النسخ : ففي (أ ط) :  
قال : إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ، الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ  
فَضْلِهِ فِي حِينٍ أَنْ صَحَّحَ الْآيَةَ : إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا فتكون هي آية النساء ٣٦ . أو هي :  
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ فتكون هي آية الحديد ٢٣ ، ويكون آخر السياق : وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ فِي  
آيَةِ النَّسَاءِ ٣٧ . وفي (ب) والمطبوعة ذكر صدر النص وهو قوله : وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ الَّذِينَ  
يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ من سورة الحديد ٢٣ ، ٢٤ ، وعجزها وهو قوله : وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ  
فَضْلِهِ من سورة النساء الآية ٣٧ ، لكنه لم يفصل بينهما . وما أثبتته من (ج د) .

المقصود الأكبر، وكذلك<sup>(١)</sup> وصفهم بكتمان العلم في غير آية، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ ..<sup>(٢)</sup> الآية، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّهٗ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾<sup>(٣)</sup> أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعُنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ ..<sup>(٤)</sup> الآية، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ نَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ ..<sup>(٥)</sup> الآية، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٧٦﴾<sup>(٦)</sup> .

فوصف المغضوب عليهم بأنهم يكتمون العلم: تارة بخلا به<sup>(٧)</sup> وتارة اعتياضا عن إظهاره بالدنيا، وتارة خوفا في<sup>(٨)</sup> أن يُحتج عليهم بما أظهره منه. وهذا قد يتلى<sup>(٩)</sup> به طوائف من المنتسبين إلى العلم<sup>(١٠)</sup> فإنهم تارة يكتمون العلم بخلا به، وكرهية لأن<sup>(١١)</sup> ينال غيرهم من الفضل ما نالوه، وتارة اعتياضا عنه<sup>(١٢)</sup> برئاسة أو

(١) في (د) والمطبوعة: فلذلك .

(٢) سورة آل عمران: من الآية ١٨٧ .

(٣) في (ب د): بعد قوله: في الكتاب شرع في الآية التي تلت وهي قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا دُونَ فَاصِلٍ . وهو خلط من الناسخ .

(٤) سورة البقرة: الآيتان ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٥) سورة البقرة: من الآية ١٧٤ . وفي (ج): أكمل الآية .

(٦) سورة البقرة الآية ٧٦ ، لكنه في المطبوعة ذكر الآية ١٤ من البقرة وهي قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِبَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ .

(٧) به: سقطت من (د) .

(٨) ((ب د): خوف .

(٩) في (ب ج) والمطبوعة: ابتلى .

(١٠) في (أ د ط): للعلم .

(١١) في (ج) والمطبوعة: أن ينال .

مال، فيخاف من إظهاره انتقاص رئاسته أو نقص ماله، وتارة يكون قد خالف غيره في مسألة، أو اعترى<sup>(٢)</sup> إلى طائفة قد حولت في مسألة، فيكتب من العلم ما فيه حجة لمخالفه وإن لم يتيقن أن مخالفه مبطل.

ولهذا قال عبد الرحمن بن مهدي<sup>(٣)</sup> وغيره: أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم.

وليس الغرض تفصيل ما يجب أو يحتسب<sup>(٤)</sup> في ذلك<sup>(٥)</sup> بل الغرض التنبيه على مجامع يتفطن اللبيب بما لما ينفعه الله به.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾<sup>(٦)</sup> (٧) بعد<sup>(٨)</sup> أن قال: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٩)</sup>.

فوصف اليهود: بأنهم كانوا يعرفون الحق قبل ظهور<sup>(١٠)</sup> الناطق به، والداعي إليه.

(١) عنه : سقطت من (أ د ط) .

(٢) اعترى : انتسب انتمى .

(٣) هو الإمام : عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري اللؤلؤي البصري ، ولد سنة (١٣٥ هـ) ، وكان من كبار أئمة السلف ، ومن أئمة الحديث الثقات المتقنين ومن أهل الورع والصلاح ، قال فيه الشافعي : " لا أعرف له نظيرا في الدنيا " توفي بالبصرة سنة (١٩٨ هـ) ، ومولده ووفاته بالبصرة . انظر : اللباب في تهذيب الأنساب لابن الجزري (٣١٣٥ ، ١٣٦) . وانظر : تهذيب التهذيب لابن حجر (٦٢٧٩ - ٢٨١) ، (ت ٥٤٩) .

(٤) في (ب ج د) والمطبوعة : وما يستحب .

(٥) في ذلك : ساقطة من (ب ج د) والمطبوعة .

(٦) سورة البقرة آية : ٩١ .

(٧) في (ب) : أكمل الآية إلى آخرها . وهي الآية ٩١ البقرة .

(٨) في (ج د) : قال : إلى قوله : فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ وهو خطأ من النساخ لأن هذه الآية : فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ متقدمة عن التي ساقها المؤلف قبلها وهي قوله : وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا . الآية . كما هو مبين في المتن .

(٩) سورة البقرة : الآية ٨٩ .

(١٠) في المطبوعة : ظهور النبي الناطق به ، بخلاف جميع النسخ كما هو مثبت .



فلما جاءهم <sup>(١)</sup> الناطق به من غير طائفة يهودها لم ينقادوا له. وأنهم لا يقبلون الحق إلا من الطائفة التي هم منتسبون إليها، مع أنهم لا يتبعون ما لزمهم في <sup>(٢)</sup> اعتقادهم. وهذا يبتلى به كثير من المنتسبين إلى طائفة معينة في العلم، أو <sup>(٣)</sup> الدين، من المتفهمة، أو المتصوفة <sup>(٤)</sup> ..... أو غيرهم <sup>(٥)</sup>. أو إلى رئيس معظم عندهم <sup>(٦)</sup> في الدين - غير النبي ﷺ - فإنهم لا يقبلون من الدين رأيا <sup>(٧)</sup> ورواية إلا ما جاءت به طائفتهم، ثم إنهم لا يعلمون ما توجبه طائفتهم، مع أن دين الإسلام يوجب اتباع الحق مطلقا: رواية ورأيا <sup>(٨)</sup> من غير تعيين شخص أو طائفة - غير الرسول ﷺ - .

وقال تعالى في صفة المغضوب عليهم: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا تُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن

(١) كذلك هنا زاد : (النبي) في المطبوعة .

(٢) في (ج د) : من اعتقادهم .

(٣) في (ب) والدين .

(٤) المتصوفة هم أصحاب الطرق الصوفية ، أتباعا ومتبوعين ، ونحوهم ، والتصوف بشكله المتبع عند أصحاب الطرق حتى اليوم منهج غريب على الإسلام ، ودخيل على المسلمين ، فليس له أصل في كتاب الله ، ولا في سنة رسوله صلي الله عليه وعلى آله وسلم ، ولا عند الصحابة والتابعين والسلف الصالح في صدر الإسلام ، فهو بدعة تمارس فيها الخرافات والضلالات العملية والقولية والاعتقادية ، وهذا أمر يشهد به عمل أكثر الصوفية اليوم ، في كثير من بلاد المسلمين ، فقد سمعنا ورأينا وقرأنا من ذلك الشيء الكثير ، كما أن كتبهم المنشورة في الأسواق والمكتبات وغيرها تشهد بإقرارهم لتلك البدع والضلالات والشركيات ، ومن ذلك على سبيل المثال : ١- الطبقات الكبرى للشعراني . ٢- جامع كرامات الأولياء للنبهاني . ٣- شواهد الحق للنبهاني أيضا . ٤- جواهر المعاني للتحاني . ٥- شرح فصوص الحكم للقاشاني . ٦- السيد أحمد البدوي ، للدكتور عبد الحلیم محمود . ٧- أبو مدين الغوث ، حياته ومعراجه إلى الله ، للدكتور عبد الحلیم محمود . ٨- أقطاب التصوف الثلاثة ، لصلاح عزام . ٩- اللمع ، لأبي نصر الطوسي ، وغيرها كثير .

(٥) كأتباع الفرق : المعتزلة والجهمية والخوارج والشيعنة ونحوهم ، وأتباع الاتجاهات والأحزاب : كالقومية ، والبعثية ، والاشتراكية ، والماركسية ، وأتباع النحل المعاصرة كالبهائية والقاديانية ، وغيرها من النحل والمذاهب والحركات .

(٦) عندهم : سقطت من (أ ط) .

(٧) في المطبوعة : لا فقها ولا رواية .

(٨) في المطبوعة : رواية وفقها .

مَوَاضِعِهِ ﴿١﴾ .

ووصفهم بأنهم ﴿٢﴾ يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ

الْكِتَابِ ﴿٣﴾ والتحريف قد فسر بتحريف التزليل، وتحريف التأويل.

فأما تحريف التأويل فكثير جدا، وقد ابتليت به طوائف من هذه الأمة، وأما تحريف التزليل فقد وقع في ﴿٤﴾ كثير من الناس، يحرفون ألفاظ الرسول، ويروون الحديث بروايات منكورة.

وإن كان الجهاذة يدفعون ذلك، وربما يطاول بعضهم إلى تحريف التزليل، وإن لم يمكنه ذلك، كما قرأ بعضهم وَكَلَّمَ اللَّهُ ﴿٥﴾ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿٦﴾ .

(١) سورة النساء : من الآية ٤٦ .

(٢) قوله : ووصفهم بأنهم ، ساقطة من (أ ط) ، وفيهما : يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُمْ . . الآية ، وفي (ب) : قال : وقال تعالى فيهم : وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ .

(٣) سورة آل عمران : من الآية ٧٨ .

(٤) في المطبوعة : فقد وقع فيه كثير .

(٥) بنصب اسم الجلالة ، وموسى في موضع رفع ، ليكون موسى هو المتكلم ، وذلك ليعطلوا الباري عن صفة الكلام تزيهًا له بزعمهم .

(٦) سورة النساء : من الآية ١٦٤ .

وأما لي<sup>(١)</sup> الألسنة<sup>(٢)</sup> بما يُظن أنه من عند الله فكوضع الوضاعين الأحاديث<sup>(٣)</sup> على<sup>(٤)</sup> رسول الله ﷺ أو إقامة ما يظن أنه حجة في الدين، وليس بحجة، وهذا الضرب من أنواع أخلاق اليهود، ودمها<sup>(٥)</sup> كثير لمن تدبره في كتاب الله وسنة رسوله، ثم نظر بنور الإيمان إلى ما وقع في الأمة من الأحداث<sup>(٦)</sup>.

وقال سبحانه عن النصارى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾<sup>(٧)</sup> وقال تعالى<sup>(٨)</sup> ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾<sup>(٩)</sup> إلى غير ذلك من المواضع.

ثم إن الغلو في الأنبياء والصالحين قد وقع في طوائف من ضلال المتعبدة والمتصوفة<sup>(١٠)</sup> حتى خالط كثيرا<sup>(١١)</sup> منهم من مذهب الحلول والاتحاد ما هو أقبح من قول النصارى أو مثله أو دونه.

(١) في (أ) : لسي . وليس لها معنى .

(٢) في المطبوعة : وأما تطاول بعضهم إلى السنة ، وأظنه تصرف في العبارة؛ لأنه خلاف جميع النسخ المخطوطة لدي .

(٣) في (ب ج د) : للأحاديث .

(٤) في (أ ط) : عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(٥) في المطبوعة : قال : ودمها في النصوص كثير ، أي بزيادة كلمة في (النصوص) .

(٦) في (ب ط) : من الأحاديث . وفي (أ) : ساقطة .

(٧) سورة النساء : من الآية ١٧١ .

(٨) في (ج د) زاد قوله تعالى : لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ سورة المائدة : الآية ٧٣ .

(٩) سورة المائدة : من الآيتين ١٧ ، ٧٢ .

(١٠) لا تزال الصوفية تضي على مشايخها ومعظميها من الصفات ما لا يجوز إلا لله تعالى ، فهم يشركون من يسموهم بالأغواث في تصريف الملكوت وتديير الكون وعلم الغيب ، وكذلك الأبدال والأقطاب والأوتاد ، وكتبهم مليئة بهذه النعوت ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، انظر على سبيل المثال : جامع كرامات الأولياء (١٦٩ - ٧٩) . وانظر : مجموع الفتاوى للمؤلف (١١٤٣٣ - ٤٤٥) .

(١١) في (د) : كثير بالرفع .

وقال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾<sup>(١)</sup> وفسره النبي ﷺ لعدي بن حاتم رضي الله عنه بأنهم: ﴿ أحلوا الحرام فأطاعوهم، وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم ﴾<sup>(٢)</sup>.

وكثير من أتباع المتعبدة يطيع بعض المعظمين عنده في كل ما يأمر به وإن تضمن تحليل حرام أو تحريم<sup>(٣)</sup> حلال، وقال سبحانه عن الضالين: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقد ابتلي طوائف<sup>(٥)</sup> من المسلمين من الرهبانية المبتدعة بما الله به عليهم.

وقال الله سبحانه: ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾<sup>(٦)</sup> فكان الضالون - بل والمغضوب عليهم - يبنون المساجد على قبور الأنبياء والصالحين، وقد نهي رسول<sup>(٧)</sup> الله ﷺ أمته عن ذلك في غير موطن<sup>(٨)</sup> حتى في وقت مفارقتها الدنيا - بأبي هو وأمي -.

ثم إن هذا قد ابتلي به كثير من هذه الأمة.

ثم إن الضالين تجدد دينهم إنما يقوم بالأصوات المطربة، والصور الجميلة، فلا يهتمون بأمر دينهم بأكثر من تلحين الأصوات، ثم تجدد<sup>(٩)</sup> قد ابتليت هذه الأمة<sup>(١)</sup> من

(١) سورة التوبة: من الآية ٣١.

(٢) جاء ذلك في حديث أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن - تفسير سورة التوبة - الحديث رقم (٣٠٩٥)، (٥٢٧٨)، وقال الترمذي: " هذا حديث غريب "، وانظر: تفسير ابن جرير الطبري (١٠٨٠، ٨١).

(٣) في (ج): وتحريم.

(٤) سورة الحديد: من الآية ٢٧.

(٥) في (ب) طائفة.

(٦) سورة الكهف: الآية ٢١.

(٧) في (أ) ب) وقد نهي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وفي المطبوعة: وقد نهي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

(٨) ستأتي الأحاديث الواردة في ذلك: انظر الصفحات (٢١٨٥ - ١٨٧).

(٩) في العبارة غموض وتنضح إذا زدنا(أنه) لتكون: ثم نجد أنه قد.

اتخاذ السماع المطرب، بسماع<sup>(٢)</sup> القصائد<sup>(٣)</sup> وإصلاح القلوب والأحوال به<sup>(٤)</sup> ما فيه مضاهاة لبعض حال الضالين، وقال سبحانه: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾<sup>(٥)</sup> فأخبر أن كل واحدة من الأمتين تجحد كل ما الأخرى عليه.

وأنت تجحد كثيرا من المتفهمة، إذا رأى المتصوفة والمتعبدة لا يراهم شيئا ولا يعدهم إلا جهالا ضلالا، ولا يعتقد في طريقهم<sup>(٦)</sup> من العلم والهدى شيئا، وترى كثيرا من المتصوفة، والمتفكرة<sup>(٧)</sup> لا يرى الشريعة والعلم شيئا، بل يرى أن المتمسك<sup>(٨)</sup> بها منقطعاً عن الله وأنه ليس عند أهلها مما ينفع عند الله شيئا<sup>(٩)</sup>.

وإنما الصواب<sup>(١٠)</sup> أن ما جاء به الكتاب والسنة من هذا وهذا حق، وما خالف الكتاب والسنة من هذا وهذا: باطل.

وأما مشاهة فارس والروم، فقد دخل<sup>(١١)</sup> في هذه الأمة من الآثار الرومية، قولاً

(١) في المطبوعة: العبارات جاءت كذا: ثم إنك تجحد أن هذه الأمة قد ابتليت . . إلخ .

(٢) في (أ ط): سماع .

(٣) في المطبوعة زاد: بالصور والأصوات الجميلة .

(٤) به: ساقطة من (ب ج د) والمطبوعة .

(٥) سورة البقرة: من الآية ١١٣ .

(٦) في (ب) طريقته .

(٧) المتفكرة: هو طائفة من دراويش الصوفية الذين يظهرون الفقر ويتكلفونه، ويتعبدون على جهل، وينشدون العزلة أو السياحة الهائمة دون قصد، ويتتقصون العلم الشرعي ويرونه علما بالظاهر لا ينفع صاحبه، وأكثرهم من ضعاف العقول، ولبعض العامة الجاهلين فيهم اعتقادات، ويسمونها: المجاذيب أو الدراويش، وأهل الله، ويزعمون أن الله وضع سره فيهم . . إلخ من الاعتقادات الباطلة نسأل الله السلامة والعافية . انظر: تفاصيل هذه الأمور في مجموع الفتاوى للمؤلف المجلد (١١) .

(٨) في (د): المستمسك .

(٩) في (أ ب ط): مما ينفع عند الله شيئا . وفي (ج د): مما ينفع عند الله شيء .

(١٠) في (د) والمطبوعة: والصواب .

(١١) في المطبوعة: فقد دخل منه في هذه الأمة . أي بزيادة: منه .

---

---

وعملا، والآثار الفارسية، قولاً وعملاً، ما لا يخفاء به <sup>(١)</sup> على مؤمن عليم بدين الإسلام، وبما حدث فيه، وليس الغرض هنا تفصيل الأمور التي وقعت في الأمة، مما تضارع <sup>(٢)</sup> طريق المغضوب عليهم أو الضالين، وإن كان بعض ذلك قد يقع مغفورا لصاحبه: إما لاجتهاد أخطأ فيه، وإما لحسنات محت السيئات، أو غير ذلك.

وإنما الغرض أن نبين ضرورة العبد وفاقته إلى هداية الصراط المستقيم، وأن يفتح <sup>(٣)</sup> باب إلى معرفة الانحراف.

ثم إن الصراط المستقيم هو أمور باطنة في القلب: من اعتقادات، وإرادات، وغير ذلك، وأمور ظاهرة: من أقوال، أو أفعال قد تكون عبادات، وقد تكون أيضا عادات في الطعام واللباس، والنكاح والمسكن، والاجتماع والافتراق، والسفر والإقامة، والركوب وغير ذلك.

وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ارتباط ومناسبة، فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أمورا ظاهرة، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال، يوجب للقلب شعورا وأحوالا.

---

(١) في المطبوعة : فيه .

(٢) تضارع : أي تشابه ، فالمضارعة هي المشابهة . انظر : مختار الصحاح ، مادة (ض ر ع) ، (ص ٣٨٠) .

(٣) في المطبوعة زاد : لك .

وقد بعث الله محمدًا ﷺ بالحكمة التي هي سنته، وهي الشريعة والمنهاج الذي شرعه له، فكان من هذه الحكمة أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يبين سبيل المغضوب عليهم والضالين، فأمر بمخالفتهم في الهدى الظاهر<sup>(١)</sup> وإن لم يظهر لكثير من الخلق في ذلك مفسدة لأمر:

منها: أن المشاركة في الهدى الظاهر تورث تناسبا وتشاكلا بين المتشابهين، يقود<sup>(٢)</sup> إلى موافقة ما<sup>(٣)</sup> في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس؛ فإن اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب<sup>(٤)</sup> الجند المقاتلة - مثلا - يجد من نفسه نوع<sup>(٥)</sup> تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضيا<sup>(٦)</sup> لذلك، إلا أن يمنعه<sup>(٧)</sup> مانع<sup>(٨)</sup>. ومنها: أن المخالفة في الهدى الظاهر توجب مباينة ومفارقة توجب الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال، والانعطاف على أهل الهدى والرضوان، وتحقق ما قطع الله من الموالاتة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين.

(١) الهدى الظاهر: هو ما يظهر من سلوك الإنسان وشكله، أو يحسه من حوله من أنماط السلوك والتصرفات القولية والعملية كالأكل، والشرب، والكلام، واللباس، والتعامل مع الآخرين، وممارسة الحياة العملية، والتعبير عنها. أما الهدى الباطن فهو ما لا يدرك بالحواس: من النوايا والاعتقادات والأفكار ونحوها، ما لم يعبر عنها بقول أو فعل.

(٢) في (ب): يعود.

(٣) في المطبوعة: إلى الموافقة في الأخلاق.

(٤) في (ب): ثياب.

(٥) في (ب): قال: نوع انضمام إليهم تخلق بأخلاقهم. أي بزيادة: (انضمام إليهم) ولعله سهو من الناسخ.

(٦) في (أ): مقاضيا. وفي المطبوعة: مقتضيا. والتقاضى والاعتضاء هما بمعنى الطلب والرغبة.

(٧) في المطبوعة: إلا أن يمنعه من ذلك مانع.

(٨) ما أشار إليه المؤلف رحمه الله هنا من أن المشاركة في الهدى الظاهر تورث تناسبا وتشاكلا بين المتشاككين، ذلك أمر يصدق علم النفس وعلم الاجتماع اليوم، فضلا عما ورد به الكتاب والسنة، ويشهد به واقع الأمم والشعوب والأفراد؛ فإننا نجد المتفرنجين عندنا اليوم في لباسهم وكلامهم وتصرفاتهم لديهم ميول لسائر طباع الخواجات وسلوكهم، بل وأفكارهم وعقائدهم وتصوراتهم - في الغالب -، ونجد البعض يكن لهم ويظهر الإكبار، والتعظيم والإجلال، وربما احتقر نفسه وأمتة ودينه وشعر بالصغار أمام الكافرين.

وكلما كان القلب أتم حياة، وأعرف بالإسلام - الذي هو الإسلام، لست أعني مجرد التوسم<sup>(١)</sup> به ظاهرا<sup>(٢)</sup> أو باطنا. بمجرد الاعتقادات<sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup> من حيث الجملة - كان إحساسه بمفارقة<sup>(٥)</sup> اليهود والنصارى باطنا وظاهرا<sup>(٦)</sup> أتم، وبعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد.

ومنها: أن مشاركتهم في الهدى الظاهر، توجب<sup>(٧)</sup> الاختلاط الظاهر، حتى يرتفع التميز ظاهرا، بين المهتدين<sup>(٨)</sup> المرضيين، وبين المغضوب عليهم والضالين<sup>(٩)</sup> إلى غير ذلك من الأسباب الحكيمية.

هذا إذا لم يكن ذلك الهدى الظاهر إلا مباحا محضا لو تجرد عن مشابكتهم، فأما إن كان من موجبات كفرهم؛ كان<sup>(١٠)</sup> شعبة من شعب الكفر؛ فموافقتهم فيه موافقة في نوع من أنواع معاصيهم<sup>(١١)</sup>.  
فهذا أصل ينبغي أن يتفطن له<sup>(١٢)</sup>.

---

(١) في (أ ط) : الترسيم .

(٢) في (ج د) : وأعرف بالإسلام في حق الإسلام ، لست أعني مجرد الترسيم به ظاهرا . . إلخ .

(٣) في (أ ب ط) : بمجرد الاعتقاد .

(٤) في المطبوعة : الاعتقادات التقليدية .

(٥) في (ج د) : بمفارقته . وفي (أ ط) : بمفارقته لليهود .

(٦) في (ج د) : ظاهرا أو باطنا .

(٧) في (ج د) : يوجب .

(٨) في (ج د) : المهتدين .

(٩) في (ط) : ولا الضالين .

(١٠) في المطبوعة : فإنه يكون شعبة . . إلخ .

(١١) في المطبوعة : ضلالهم ومعاصيهم . وهي زيادة ليست في النسخ المخطوطة .

(١٢) في المطبوعة أيضا زاد : والله أعلم .



لما كان الكلام في المسألة الخاصة<sup>(١)</sup> قد يكون مندرجا<sup>(٢)</sup> في قاعدة عامة؛ بدأنا بذكر بعض ما دل<sup>(٣)</sup> من الكتاب والسنة والإجماع على الأمر<sup>(٤)</sup> بمخالفة الكفار، والنهي عن مشابھتهم في الجملة، سواء كان ذلك عاما في جميع أنواع المخالفات<sup>(٥)</sup> أو خاصا ببعضها، وسواء كان أمر إيجاب، أو أمر استحباب.

ثم أتبعنا ذلك بما يدل على النهي عن مشابھتهم في أعيادهم خصوصا. وهنا نكتة قد نبهت عليها في هذا الكتاب، وهي<sup>(٦)</sup> أن الأمر بموافقة قوم أو بمخالفتهم<sup>(٧)</sup> قد يكون لأن نفس<sup>(٨)</sup> قصد موافقتهم، أو نفس موافقتهم مصلحة، وكذلك نفس قصد مخالفتهم، أو نفس مخالفتهم<sup>(٩)</sup> مصلحة، بمعنى: أن ذلك الفعل يتضمن مصلحة للبعد، أو مفسدة؛ وإن كان ذلك الفعل الذي حصلت به الموافقة، أو المخالفة، لو تجرد عن الموافقة والمخالفة، لم يكن فيه تلك المصلحة أو المفسدة، ولهذا نحن ننتفع بنفس<sup>(١٠)</sup> متابعتنا لرسول الله ﷺ والسابقين<sup>(١١)</sup> في أعمال لولا أنهم فعلوها لربما قد كان لا يكون لنا مصلحة؛ لما يورث ذلك من محبتهم وائتلاف قلوبنا بقلوبهم، وأن ذلك يدعونا إلى

(١) في (ط) : الخاصة .

(٢) في (ج د) : منه رجا . وأظنه تحريف لكلمة : مندرجا .

(٣) في (ب) : ما دل خاص الكتاب ، والسنة . . . إلخ ، وفي (أ) : ما دل عليه الكتاب والسنة .

(٤) في (ط) : الأثر .

(٥) في (ج د) : المطبوعة : الأنواع المخالفة .

(٦) في (ج د) : وهو . وما أثبتته أنسب للسياق قبلها ، لكن هو : أنسب للسياق بعدها .

(٧) في (ب) : أو مخالفتهم .

(٨) في (أ) : لا نفس . ولعل نون (لأن) سقطت .

(٩) كلمة نفس مخالفتهم : ساقطة من (أ) .

(١٠) في (أ) : نحن نتبع نفس متابعتنا . . . إلخ .

(١١) في المطبوعة زاد : من المهاجرين والأنصار .

موافقتهم في أمور أخرى، إلى غير ذلك من الفوائد.

كذلك: قد نتضرر بمتابعتنا <sup>(١)</sup> الكافرين في أعمال لولا أنهم يفعلونها لم نتضرر بفعلها، وقد يكون الأمر بالموافقة والمخالفة لأن ذلك الفعل الذي يوافق فيه <sup>(٢)</sup> أو يخالف، متضمن للمصلحة أو المفسدة ولو لم يفعلوه، لكن عبر عن <sup>(٣)</sup> ذلك بالموافقة والمخالفة، على سبيل الدلالة والتعريف؛ فتكون <sup>(٤)</sup> موافقتهم دليلاً على المفسدة، ومخالفتهم دليلاً على المصلحة، واعتبار الموافقة والمخالفة على هذا التقدير: من باب قياس الدلالة <sup>(٥)</sup> وعلى الأول: من باب قياس العلة، وقد يجتمع الأمران، أعني: الحكمة الناشئة من نفس الفعل الذي وافقناهم أو خالفناهم فيه، ومن نفس مشاركتهم فيه، وهذا هو الغالب على الموافقة والمخالفة المأمور بهما <sup>(٦)</sup> والمنهي عنهما <sup>(٧)</sup> فلا بد من التفطن لهذا المعنى، فإنه به يعرف معنى نهي الله لنا عن اتباعهم وموافقتهم، مطلقاً ومقيداً.

واعلم: أن دلالة الكتاب على خصوص الأعمال وتفصيلها، إنما يقع بطريق الإجمال <sup>(٨)</sup> والعموم <sup>(٩)</sup> أو الاستلزام <sup>(١٠)</sup> وإنما السنة هي التي تفسر الكتاب <sup>(١١)</sup> وتبينه

(١) في المطبوعة: بموافقتنا .

(٢) في المطبوعة: يوافق العبد فيه .

(٣) في (أ ط) : لكان عبر عنه ، وفي (د) : لكن عبر عنه .

(٤) في (ب) : فيكون من موافقتهم .

(٥) قياس الدلالة هو : الاستدلال بأحد النظيرين على الآخر ، كقياس مال الصبي على مال البالغ في وجوب الزكاة فيه ، بجامع أنه مال نام . أما قياس العلة فهو : ما كانت العلة فيه مقتضية للحكم ، كقياس تحريم ضرب الوالدين على التأفف ، بجامع الإيذاء . انظر : إمتاع العقول بروضة الأصول لعبد القادر شيبية الحمد (١/ ١٧٨) جزء (١) .

(٦) في (ج د) : بها .

(٧) في (ج د) : عنها .

(٨) الجمل ضد المفسر وهو : ما لا يفهم المراد منه — لتعدد معانيه — إلا ببيان . انظر : أصول السرخسي (١/ ١٦٨)؛ وأصول الفقه للخضري (ص ١٣٥) .

(٩) العام : كل لفظ ينتظم جمعا من الأسماء لفظاً أو معنى . أصول السرخسي (١/ ١٢٥) . وعرف بعضهم العموم بقوله : " اللفظ الموضوع لاستغراق أفراد ما يصلح له " . انظر : أصول الفقه للخضري (ص ١٤٧) .

(١٠) الاستلزام : مأخوذ من الملازمة وهي عدم المفارقة . انظر القاموس المحيط ، فصل اللام باب الميم (٤/ ١٧٧) .

(١١) في (ب) : في كتاب الله العزيز .

وتدل عليه، وتعبّر عنه.

فنحن نذكر من آيات الكتاب ما يدل على أصل هذه القاعدة - في الجملة - ثم نتبع ذلك الأحاديث المفسرة في أثناء الآيات وبعدها <sup>(١)</sup> قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ طَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رِزْقَ رَبِّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ طو وَاللَّهُ وَلىُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ <sup>(٢)</sup> أخبر سبحانه أنه أنعم على بني إسرائيل بنعم الدين والدنيا، وأنهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغيا من بعضهم على <sup>(٣)</sup> بعض.

ثم جعل محمدا ﷺ على شريعة شرعها له <sup>(٤)</sup> وأمره باتباعها، ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون، وقد دخل في الذين لا يعلمون: كل من خالف شريعته. وأهواؤهم: هو <sup>(٥)</sup> ما يهوونه، وما عليه المشركون من هديهم الظاهر، الذي هو من موجبات دينهم الباطل، وتوابع ذلك، فهم <sup>(٦)</sup> يهوونه، وموافقهم فيه اتباع لما <sup>(٧)</sup> يهوونه، ولهذا: يفرح الكافرون <sup>(٨)</sup> بموافقة المسلمين في بعض أمورهم ويسرون به، ويودون أن لو

(١) في المطبوعة: الأحاديث المفسرة لمعاني ومقاصد الآيات بعدها .

(٢) سورة الجاثية: الآيات ١٦ - ١٩ .

(٣) في (أ ب) : من بعضهم لبعضهم .

(٤) في المطبوعة: على شريعة من الأمر شرعها له ، وهو زيادة على ما في النسخ الأخرى .

(٥) في المطبوعة: هي .

(٦) في (ب) : فيهم .

(٧) في (أ) : اتباع ما يهوونه .

(٨) في (ب) : الكفار .

بذلوا<sup>(١)</sup> عظيما ليحصل ذلك، ولو فرض أن ليس الفعل من اتباع أهوائهم فلا ريب أن مخالفتهم في ذلك أحسم لمادة متابعتهم، وأعون على حصول مرضاة الله في تركها، وأن موافقتهم في ذلك قد تكون<sup>(٢)</sup> ذريعة إلى موافقتهم في غيره، فإن من حام حول الحمى أوشك أن يواقعه، وأي الأمرين كان؛ حصل المقصود في الجملة؛ وإن كان الأول أظهر.

وفي هذا الباب قوله سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مآبِ ۚ ﴾ <sup>(٣)</sup> وكذلك أنزلناه حكما عربيا<sup>(٤)</sup> ولين أتبع أهواءهم بعدما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق<sup>(٥)</sup> ﴿ <sup>(٦)</sup> فالضمير<sup>(٧)</sup> في (أهوائهم)، يعود - والله أعلم - إلى ما تقدم ذكره، وهم الأحزاب الذين ينكرون بعضه<sup>(٨)</sup> فدخل في ذلك كل من أنكر شيئا من القرآن: من يهودي أو نصراني أو غيرهما<sup>(٩)</sup> وقد قال: ﴿ وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ <sup>(١٠)</sup> ومتابعتهم فيما يختصون به من دينهم وتوابع دينهم اتباع لأهوائهم، بل يحصل اتباع أهوائهم بما هو دون ذلك.

ومن هذا أيضا قوله تعالى: ﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ

(١) في المطبوعة: مالا عظيما، وهو زيادة على ما في النسخ الأخرى.

(٢) (ب): قد يكون.

(٣) سورة الرعد: الآيتان ٣٦، ٣٧.

(٤) في (أ د ط): والضمير.

(٥) في المطبوعة: بعض ما أنزل إليه. وهو مخالف لما في النسخ الأخرى.

(٦) في (ج د): من يهودي أو نصراني وغيرهما.

(٧) سورة الرعد: من الآية ٣٧، وفي المطبوعة: (ولئن أتبع أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم)، سورة

البقرة: من الآية ١٤٥.

وَلِي وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴿١﴾ .

فانظر كيف قال في الخير: (مَلَّتْهُمُ)، وقال في النهي (٢) (أَهْوَاءَهُمْ)، لأن القوم لا يرضون إلا باتباع الملة مطلقاً، والزجر وقع عن اتباع أهوائهم في قليل أو كثير، ومن المعلوم أن متابعتهم في بعض ما هم عليه من الدين نوع متابعة لهم في بعض ما يهووناه، أو مظنة (٣) لمتابعتهم فيما يهووناه، كما تقدم.

ومن هذا الباب قوله سبحانه: ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَيْنَ آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَهَّابٌ ﴿١٤٨﴾ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴿١٥٠﴾﴾ ﴿٤﴾ .

قال غير واحد من السلف (٥) " معناه: لئلا يحتج اليهود عليكم بالموافقة في القبلة، فيقولون: قد وافقونا في قبلتنا، فيوشك أن يوافقونا في ديننا، فقطع الله بمخالفتهم في القبلة هذه الحجة، إذ

(١) سورة البقرة: من الآية ١٢٠ .

(٢) في المطبوعة: وفي النهي .

(٣) في (د): أو مظنة متابعتهم .

(٤) سورة البقرة: الآيات ١٤٥ - ١٥٠ .

(٥) ممن قال بهذا التفسير من السلف: مجاهد وعطاء والضحاك والربيع بن أنس وقتادة والسدي، وذكره ابن كثير

عن أبي حاتم . راجع: تفسير ابن كثير (١/ ١٩٥)؛ وفتح القدير للشوكاني، الجزء الأول (ص ١٥٨) .

الحجة: اسم لكل ما يحتج به من حق وباطل، ﴿ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ (١) (٢) وهم

قريش، فإنهم يقولون: عادوا إلى قبلتنا، فيوشك أن يعودوا إلى ديننا "

فبين (٣) سبحانه أن من حكمة نسخ القبلة وتغييرها مخالفة الناس (٤) الكافرين في قبلتهم، ليكون ذلك أقطع لما يطمعون فيه من الباطل، ومعلوم أن هذا المعنى ثابت في كل مخالفة وموافقة، فإن الكافر إذا أتبع في شيء من أمره كان له في الحجة مثل ما كان أو قريب مما كان لليهود من الحجة في القبلة.

وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ (٥)

وهم: اليهود والنصارى، الذين اختلفوا على أكثر من سبعين فرقة، ولهذا نهي النبي ﷺ عن متابعتهم (٦) في نفس التفرق والاختلاف، مع أنه ﷺ قد أخبر (٧) أن أمته: ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة (٨) مع أن قوله: لا تكن مثل فلان، قد يعم مماثلته بطريق اللفظ أو المعنى، وإن لم يعم دل على أن جنس مخالفتهم وترك مشابھتهم أمر مشروع، ودل على أنه (٩) كلما بعد الرجل عن مشابھتهم فيما لم يشرع لنا كان أبعد عن الوقوع في نفس المشابھة المنهي عنها، وهذه مصلحة جليلة.

وقال سبحانه لموسى وهارون: ﴿ فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا

(١) سورة البقرة آية : ١٥٠ .

(٢) في (أ د ط) : (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا) .

(٣) في (أ ب ط) : فقد بين الله سبحانه .

(٤) في المطبوعة : مخالفة الكافرين . أي بإسقاط كلمة (الناس) .

(٥) سورة آل عمران : من الآية ١٠٥ .

(٦) في (أ ب ط د) قال : ولهذا نهي عن مشابھتهم . . إلخ .

(٧) في (أ ب ط) قال : مع أنه قد أخبر . . إلخ .

(٨) سيأتي تخريج الحديث الوارد في ذلك . انظر فهرس الأحاديث .

(٩) في (ب د) : أن .

يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴿١﴾ وقال سبحانه (٢) ﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩٠﴾ ﴿٣﴾ وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ ﴿٩١﴾ ﴿٤﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

وما هم (٥) عليه من الهدى والعمل، هو من سبيل غير المؤمنين، بل ومن سبيل المفسدين، والذين لا يعلمون، وما يقدر عدم اندراجه في العموم، فالنهي ثابت عن جنسه، فيكون مفارقة الجنس بالكلية أقرب إلى ترك المنهي (٦) ومقاربتة مظنة وقوع المنهي عنه، قال سبحانه: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَيَبْتلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۗ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴿٧﴾ إلى قوله (٨) ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴿٩٣﴾ ﴿٩﴾ ومتابعتهم في هديهم: هي (١٠) من اتباع ما يهوونه، أو مظنة لاتباع ما يهوونه، وتركها معونة على

(١) سورة يونس آية : ٨٩ .

(٢) قوله : وقال سبحانه : سقطت من (أ ط) ، وفيهما : (وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ) : (وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) .

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٤٢ .

(٤) سورة النساء : الآية ١١٥ .

(٥) يعني أهل الكتاب والمشركين ، وسائر الكافرين .

(٦) في المطبوعة : المنهي عنه .

(٧) سورة المائدة آية : ٤٨ .

(٨) في المطبوعة : (وَأَنْ أَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ) ، وبهذا يكون سرد الآيات متصلة .

(٩) سورة المائدة : الآيتان ٤٨ ، ٤٩ .

(١٠) في (د) : هو .

ترك ذلك، وحسم لمادة متابعتهم فيما يهوونه.

واعلم: أن في كتاب الله من النهي عن مشاهجة الأمم الكافرة وقصصهم التي فيها عبرة لنا بترك ما فعلوه كثيراً، مثل قوله لما ذكر ما فعله بأهل الكتاب من المثالات (١) ﴿ فَأَعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾ (٢) وقوله: ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (٣) وأمثال ذلك، ومنه ما يدل على مقصودنا، ومنه ما فيه إشارة وتتميم للمقصود.

ثم متى كان المقصود بيان أن مخالفتهم في عامة أمورهم أصلح لنا؛ فجميع الآيات دالة على ذلك وإن كان المقصود أن مخالفتهم واجبة علينا، فهذا إنما يدل عليه بعض الآيات دون بعض، ونحن ذكرنا ما يدل على أن مخالفتهم مشروعة في الجملة، إذ كان (٤) هو المقصود هنا.

وأما تمييز دلالة الوجوب، أو الواجب (٥) عن غيرها (٦) وتمييز (٧) الواجب عن غيره، فليس هو المقصود هنا.

وسنذكر إن شاء الله أن مشابحتهم في أعيادهم من الأمور المحرمة، فإنه هو المسألة المقصودة (٨) بعينها، وسائر المسائل (٩) إنما جلبها (١٠) تقرير القاعدة الكلية العظيمة المنفعة.

وقال الله ﷻ ﴿ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ

(١) المثالات : جمع مثلة ، وهي العقوبة . انظر : مختار الصحاح ، مادة (م ث ل) ، (ص ٦١٥) .

(٢) سورة الحشر : من الآية ٢ .

(٣) سورة يوسف : من الآية ١١١ .

(٤) في المطبوعة : إذ كان هذا هو .

(٥) في (أ ب) : سقطت كلمة : أو الواجب .

(٦) في (ط) : عن غيرهما .

(٧) في (ج) : أو تمييز .

(٨) في المطبوعة : هنا بعينها .

(٩) في المطبوعة زاد : سواها .

(١٠) في المطبوعة زاد : إلى هنا .



وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ<sup>ج</sup> نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ<sup>ط</sup> إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ  
 الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا<sup>ح</sup> هِيَ  
 حَسْبُهُمْ<sup>ج</sup> وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِمٌ ﴿٦٨﴾ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ  
 أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ<sup>ط</sup> كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ  
 وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا<sup>ط</sup> أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ<sup>ط</sup> وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾  
 أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ  
 وَالْمُؤْتَفِكَةَ<sup>ح</sup> أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ<sup>ط</sup> فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾  
 وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ<sup>ح</sup> يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ  
 وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ<sup>ح</sup> أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ  
 حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٌ  
 طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ<sup>ح</sup> وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ يَتَأَيَّأُ النَّبِيُّ جِهْدَ  
 الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ<sup>ح</sup> وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ<sup>ط</sup> وَبئسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴿١﴾ بين الله سبحانه  
 وتعالى - في هذه الآيات - أخلاق المنافقين وصفاتهم، وأخلاق المؤمنين وصفاتهم - وكلا  
 الفريقين مظهر للإسلام ووعده المنافقين المظهرين للإسلام مع هذه الأخلاق، والكافرين  
 المظهرين للكفر نار جهنم، وأمر نبيه (٢) بجهاد الطائفتين.  
 ومنذ بعث الله (٣) محمدا ﷺ وهاجر إلى المدينة، صار الناس (٤) ثلاثة أصناف: مؤمن،  
 ومنافق، وكافر.  
 فأما الكافر - وهو المظهر للكفر - فأمره بين، وإنما الغرض هنا متعلق بصفات

(١) سورة التوبة: الآيات ٦٧ - ٧٣ .

(٢) في ( ب ) : وأمر نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(٣) في المطبوعة زيادة : عبده ورسوله .

(٤) أي إزاء الإسلام .

المنافقين المذكورة في الكتاب والسنة، فإنها هي التي تخاف <sup>(١)</sup> على أهل القبلة <sup>(٢)</sup> فوصف الله سبحانه المنافقين بأن بعضهم من بعض، وقال في المؤمنين: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ <sup>(٣)</sup> وذلك لأن المنافقين تشابهت قلوبهم وأعمالهم وهم مع ذلك ﴿نَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ <sup>(٤)</sup> فليست قلوبهم متوادة متوالية إلا ما دام الغرض الذي يؤمنونه مشتركا بينهم، ثم يتخلى بعضهم عن بعض، بخلاف المؤمن؛ فإنه يجب المؤمن، وينصره بظهر الغيب، وإن تراءت بهم الديار وتباعد الزمان.

ثم وصف سبحانه كل واحدة من الطائفتين بأعمالهم في أنفسهم <sup>(٥)</sup> وفي غيرهم، وكلمات الله جوامع، وذلك أنه لما <sup>(٦)</sup> كانت أعمال المرء المتعلقة بدينه قسمين:

: أن يعمل ويترك.

: أن يأمر غيره بالفعل والترك.

ثم فعله: إما أن <sup>(٨)</sup> يختص هو بنفعه أو ينفع به غيره؛ فصارت الأقسام ثلاثة ليس لها رابع:

: ما يقوم بالعمل <sup>(٩)</sup> ولا يتعلق بغيره كالصلاة مثلا.

: ما يعمل له لغيره كالزكاة.

: ما يأمر غيره أن يفعله، فيكون الغير هو العامل، وحظه هو الأمر به.

(١) في (ب) : يخاف منها على أهل القبلة .

(٢) أهل القبلة : هم المسلمون ، وسموا بذلك لأنهم يتجهون في صلاتهم إلى القبلة وهي جهة الكعبة .

(٣) سورة التوبة : من الآية ٧١ .

(٤) سورة الحشر : من الآية ١٤ .

(٥) في (ب ج د) : في أنفسهم .

(٦) لما : سقطت من (ط) .

(٧) أن : سقطت من (ب) .

(٨) أن : سقطت من (د) .

(٩) في (ب ج) : ما يقوم بالعمل لا يتعلق بغيره أي بحذف واو العطف .

---

---

فقال سبحانه في صفة المنافقين: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ (١)

وبإزائه في صفة المؤمنين: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (٢) .

---

(١) سورة التوبة : من الآية ٦٧ .

(٢) سورة التوبة : من الآية : ٧١ .

:

اسم جامع لكل ما يحبه الله من الإيمان والعمل<sup>(١)</sup> الصالح.

:

اسم جامع لكل ما نهى<sup>(٢)</sup> الله عنه.

ثم قال: ﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> قال مجاهد: <sup>(٤)</sup> " يقبضونها عن الإنفاق في

سبيل الله " <sup>(٥)</sup> وقال قتادة: " يقبضون أيديهم عن كل خير " <sup>(٦)</sup> فمجاهد أشار إلى النفع بالمال، وقاتدة أشار إلى النفع بالمال والبدن.

وقبض اليد: عبارة عن الإمساك <sup>(٧)</sup> كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ

عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾<sup>(٨)</sup> .

وفي قوله: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ

مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾<sup>(٩)</sup> وهي <sup>(١)</sup> حقيقة عرفية <sup>(٢)</sup> ظاهرة من اللفظ، أو هي مجاز

(١) في (ب) : ومن العمل الصالح .

(٢) في المطبوعة زاد : لكل ما كرهه الله . وفي (ب) : " لكل " ساقطة .

(٣) سورة التوبة : من الآية ٦٧ .

(٤) هو الإمام : مجاهد بن جبر المخزومي ، مولاهم ، المكّي ، أبو الحجاج ، من الأئمة الثقات من الطبقة الثالثة من التابعين ومن كبار المفسرين والفقهاء توفي سنة (١٠٣ هـ ) وعمره ٨٣ سنة ، وقد أخرج له أصحاب الكتب الستة وسائر أهل الحديث . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ٢٢٩) ، (ت ٩٢٢) ، م؛ والطبقات الكبرى لابن سعد (٥ / ٤٦٦) و (٤٦٧) .

(٥) ذكر المفسرون أن مجاهدا قال في قوله تعالى : ( وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ) : لا يبسطونها بالنفقة في حق ، والمعنى متقارب . راجع تفسير الطبري (١٠ / ١٢٠) ؛ وتفسير مجاهد ، تحقيق عبد الرحمن السورتي (ص ٢٨٣) ، أما اللفظ الذي ذكره المؤلف هنا فهو لابن كثير في تفسيره ولم يعزه لأحد . انظر : تفسير ابن كثير (٢ / ٣٦٨) .

(٦) انظر : تفسير الطبري (١٠ / ١٢١) .

(٧) في (أ) : الأموال .

(٨) سورة الإسراء : من الآية ٢٩ .

(٩) سورة المائدة : من الآية ٦٤ .

مجاز مشهور<sup>(٣)</sup> وبإزاء قبض أيديهم قوله في المؤمنين: ﴿ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾<sup>(٤)</sup> فإن

الزكاة - وإن كانت قد صارت حقيقة عرفية<sup>(٥)</sup> في الزكاة المفروضة - فإنها اسم لكل

نفع للخلق: من نفع بدني، أو مالي. فالوجهان هنا كالوجهين في قبض اليد.

ثم قال: ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾<sup>(٦)</sup> ونسيان الله ترك ذكره، وبإزاء ذلك<sup>(٧)</sup> في صفة

المؤمنين: ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾<sup>(٨)</sup> فإن الصلاة أيضا تعم الصلاة<sup>(٩)</sup> المفروضة،

والتطوع، وقد يدخل فيها كل ذكر الله: إما لفظا وإما<sup>(١٠)</sup> معنى، قال ابن مسعود<sup>(١١)</sup> رضي الله عنه

" ما دمت تذكر الله فأنت في صلاة وإن كنت في السوق " <sup>(١)</sup> وقال معاذ بن جبل<sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup>

(١) في (ج د) : وفي حقيقة عرفية . وليس لوجود (في) هنا معنى . لذلك توهم الناسخ للمخطوطة (د) : أن العبارة سقط فوضع بعد (في) نقاط كذا : (في . . حقيقة) .

(٢) الحقيقة العرفية عرفها المؤلف في كتاب (الإيمان) بأنها : " هي ما صار اللفظ دالا فيها على المعنى بالعرف لا باللغة " مثل الدابة : أصله في اللغة : اسم لكل ما يدب ، ثم صار عرفا لذوات الأربع . انظر : كتاب الإيمان (ص ٨٠) .

(٣) للمؤلف رحمه الله رأي مشهور في المجاز ، فهو يرى : أن تقسيم الألفاظ الدالة على معانيها إلى حقيقة ومجاز اصطلاح حادث جاء بعد انقضاء القرون الثلاثة الفاضلة ، فلم يتكلم به أحد من الصحابة ، ولا التابعين ، ولا الأئمة المشهورين بالعلم كمالك ، والثوري ، والأوزاعي ، وأبي حنيفة ، والشافعي ، بل ولا أئمة النحو كالخليل ، وسيبويه ، وأبي عمرو بن العلاء ، ونحوهم ، ويرى أنه من حيل الفرق كالمعتزلة ، والمتكلمين ، فهو لهم باب من أبواب التأويل ، والتحريف لكلام الله ورسوله خاصة في أسماء الله وصفاته ، وأن له مفاصد لغوية وشرعية وعقلية . راجع : مجموع الفتاوى للمؤلف (٧/ ٨٧ - ١١٧) ، و (٢٠/ ٤٠٠ - ٤٩٧) ؛ وكتاب الإيمان من (٧٢ - ١٠٠) .

(٤) سورة التوبة : من الآية ٧١ .

(٥) في المطبوعة حقيقة شرعية .

(٦) سورة التوبة : من الآية ٦٧ .

(٧) في المطبوعة زاد : قال .

(٨) سورة التوبة آية : ٧١ .

(٩) في (أ ب) : نعم المفروضة .

(١٠) في (أ ب) : أو معنى .

(١١) هو الصحابي الجليل : عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ، أبو عبد الرحمن ، حليف بني زهرة ، أسلم

مبكرا في مكة حين أسلم سعيد بن زيد وزوجته فاطمة بنت الخطاب ، وقيل : إنه أسلم سادس ستة ، وهو أول من

جهر بالقرآن بمكة حتى أؤذي في ذلك ، خدم الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وهاجر الهجرة ، وصلى

القبليتين ، وشهد بدرًا وأحداً وسائر المشاهد ، من أعلم الصحابة بالقرآن والتفسير ، وقد شهد له رسول الله صلى الله

تذكر الله فأنت في صلاة وإن كنت في السوق " (١) وقال معاذ بن جبل (٢) (٣) " مدارس العلم التسبيح".

ثم ذكر (٤) ما وعد الله به المنافقين والكفار: من النار (٥) ومن اللعنة، ومن العذاب المقيم (٦) وبإزائه ما وعد (٧) المؤمنين: من الجنة والرضوان، ومن الرحمة. ثم في ترتيب الكلمات وألفاظها أسرار كثيرة، ليس هذا موضعها، وإنما الغرض تمهيد قاعدة لما سنذكره إن شاء الله (٨).

وقد قيل: إن قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (٩) إشارة إلى ما هو لازم لهم في الدنيا والآخرة من الآلام النفسية: غمًا وحزنًا، وقسوة وظلمة قلب (١٠) وجهلاً، فإن للكفر والمعاصي من الآلام العاجلة الدائمة ما الله به عليم، ولهذا تجد غالب هؤلاء لا

عليه وعلى آله وسلم، بذلك، وجهه عمر بن الخطاب إلى الكوفة يعلم الناس، واستقدمه عثمان إلى المدينة، وتوفي بها عام ٣٢ هـ. راجع: أسد الغابة (٣/ ٢٥٦ - ٢٦٠)؛ والإصابة (٢/ ٣٦٨ - ٣٧٠)، (ت ٤٩٥٤).

(١) لم أجد هذا في المصادر التي اطلعت عليها.

(٢) في (ب): رضي الله عنه.

(٣) هو الصحابي الجليل: معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن، أحد السبعين الذين شهدوا بيعة العقبة من الأنصار، شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، من أعلم الصحابة بالقرآن، وشهد له رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بذلك، كما شهد له بأنه أعلم الأمة بالحلال والحرام، ومن أهل الفتوى في الصحابة، بعثه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى اليمن قاضياً ومرشداً، ثم عاد إلى المدينة في عهد أبي بكر، وقاتل مع أبي عبيدة في الشام، واستخلفه أبو عبيدة على الجيش حين أصيب بالطاعون، وتوفي معاذ بن حياحة الأردن عام (١٨ هـ) وعمره ٣٣ سنة. راجع: أسد الغابة (٤/ ٣٧٦ - ٣٧٨)؛ والإصابة ترجمة (٨٠٣٧)؛ وغاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٣٠١) ترجمة (٣٦٢٠).

(٤) في (ب): ثم ذكر الله تعالى.

(٥) في (أ ط): في الآخرة.

(٦) في المطبوعة: من اللعنة ومن النار والعذاب المقيم في الآخرة. وهو خلاف النسخ الأخرى.

(٧) في المطبوعة: ما وعد الله المؤمنين.

(٨) في (ج): إن شاء الله تعالى.

(٩) سورة التوبة: من الآية ٦٨.

(١٠) في (أ): وظلمة وجهلاً. فأسقطت كلمة (قلب).

يُطَيَّبُونَ عَيْشَهُمْ إِلَّا بِمَا يَزِيلُ الْعَقْلَ، وَيُلْهِي <sup>(١)</sup> الْقَلْبَ <sup>(٢)</sup> وَمَنْ تَنَاوَلَ مَسْكَرًا، أَوْ رُؤْيَا مُلْهًا، أَوْ سَمَاعَ مَطْرَبٍ، وَنَحْوَ ذَلِكَ <sup>(٣)</sup> وَيَأْزَاءَ <sup>(٤)</sup> ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الْمُؤْمِنِينَ: ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ <sup>(٥)</sup> فَإِنَّ اللَّهَ يُعَجِّلُ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ الرَّحْمَةِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَغَيْرَهَا بِمَا <sup>(٦)</sup> يَجِدُونَهُ مِنْ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ، وَيَذُوقُونَهُ مِنْ طَعْمِهِ، وَانْشِرَاحِ صُدُورِهِمْ لِلْإِسْلَامِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ السَّرُورِ بِالْإِيمَانِ، وَالْعِلْمِ <sup>(٧)</sup> وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، بِمَا لَا يُمْكِنُ وَصْفُهُ.

وَقَالَ سَبْحَانَهُ فِي تَمَامِ خَيْرِ الْمُنَافِقِينَ: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا﴾ <sup>(٨)</sup> وَهَذِهِ الْكَافِ قَدْ قِيلَ: إِنَّهَا رَفَعٌ <sup>(٩)</sup> خَيْرٌ مَبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: أَنْتُمْ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ. وَقِيلَ: إِنَّهَا <sup>(١٠)</sup> نَصْبٌ بِفِعْلِ مَحذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: فَعَلِمْتُمْ كَالَّذِينَ مِنْ

(١) فِي (ط): وَيُلْقِي .

(٢) فِي الْمَطْبُوعَةِ: إِلَّا بِمَا يَزِيلُ عَقْلَهُمْ، وَيُلْهِي قُلُوبَهُمْ .

(٣) وَلِذَلِكَ نَجِدُ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ لَمَّا انْحَرَفُوا عَنْ دِينِ اللَّهِ وَارْتَكَبُوا الْمَعَاصِيَ وَكَثُرَ فِيهِمُ الْخَبْثُ؛ زَادَتْ آيَاتُهُمُ النَّفْسِيَّةُ، وَقَسَتْ قُلُوبَهُمْ، وَحَرَمَتْ لَذَاتَ الْإِيمَانِ وَالطَّمَأْنِينَةَ، وَأَخَذُوا يَهْرَبُونَ مِنْ هَذَا الْقَلْقِ وَالْعَذَابِ النَّفْسِيِّ بِكُلِّ مَا وَفَّرَتْ لَهُمُ الْمَدِينَةُ الْحَدِيثَةُ الزَّائِفَةُ، مِنْ وَسَائِلِ التَّلْهِيِ وَالْعَبَثِ: مِنْ مَسْكَرَاتٍ، وَمَخْذِرَاتٍ، وَأَغَانٍ، بِالإِضَافَةِ إِلَى الْوَسَائِلِ الْآخَرَى الَّتِي ابْتَلَيْتْ بِهَا الْأُمَّةَ كَالرِّيَاضَةِ، وَالْفَنِّ، وَمَا يَدْخُلُ تَحْتَهُمَا مِنْ عِبَثٍ وَمَجُونٍ، وَمَا تَرُوحُهُ أَجْهَرَةُ الْإِعْلَامِ مِنْ هَذَا كُلِّهِ وَغَيْرِهِ. كُلُّ هَذَا مِمَّا يُلْهِي الْقَلْبَ وَيُفْسِدُ الضَّمِيرَ وَيُضْعِفُ الْإِيمَانَ، إِنَّمَا سَبَبُهُ شُعُورُ أَهْلِ الْمَعَاصِيَ بِآلَامِ الذُّنُوبِ، وَلِذَلِكَ نَجِدُ أَطْبَاءَ الْأَمْرَاضِ النَّفْسِيَّةِ يَكْثُرُونَ، وَيَزِدَادُ عَلَيْهِمُ الطَّلَبُ، كَمَا أَنَّ مَظَاهِرَ الْقَلْقِ وَضَعْفِ الْإِيمَانِ، مِنْ الْإِنْتِحَارِ، وَالْإِهْيَابِ الْعَصْبِيِّ، وَالْهَسْتَرِيَا، وَالْخُنْفَسَةِ، وَالْإِسْتِهْتَارِ، كُلُّهَا تَزْدَادُ كُلَّ يَوْمٍ مَعَ تَمَادِي النَّاسِ فِي الْغَوَايَةِ وَالرَّذِيلَةِ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ .

(٤) يَأْزَاءَ: أَيِّ بِمُقَابَلَةِ ذَلِكَ .

(٥) سُورَةُ التَّوْبَةِ: مِنْ الْآيَةِ ٧١ .

(٦) فِي (ب): مِمَّا يَجِدُونَهُ .

(٧) فِي الْمَطْبُوعَةِ: وَالْعِلْمُ النَّافِعُ .

(٨) سُورَةُ التَّوْبَةِ: مِنْ الْآيَةِ ٦٩ .

(٩) الْكَلَامُ نَاقِصٌ، وَيَتِمُّ السِّيَاقُ لَوْ قَالَ: إِنَّهَا فِي مَوْضِعِ رَفَعٍ. وَفِي (ط): قَالَ: إِنَّهَا خَيْرٌ مَبْتَدَأٌ .

(١٠) وَكَذَلِكَ هُنَا لَوْ قَالَ: إِنَّهَا فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ؛ لَكَانَ أَتَمًّا لِلْمَعْنَى. وَفِي (أ): وَقِيلَ: نَصْبٌ .

قبلكم، كما قال النمر بن تولب: <sup>(١)</sup> " كاليوم مطلوبوا ولا طالبا "

أي: لم أر كاليوم، والتشبيه - على هذين القولين - في أعمال الذين من قبل، وقيل: إن التشبيه في العذاب ثم قيل: العامل محذوف، أي: لعنهم وعذبهم كما لعن <sup>(٢)</sup> الذين من قبلكم، وقيل <sup>(٣)</sup> - وهو أجود - : بل العامل ما تقدم، أي: وعد الله المنافقين كوعد الذين من قبلكم، ولعنهم كلعن الذين من قبلكم، ولهم عذاب مقيم كالذين من قبلكم أو <sup>(٤)</sup> محلها نصب، ويجوز أن يكون رفعا، أي: عذاب كعذاب الذين من قبلكم.

وحقيقة الأمر على هذا القول: أن الكاف تناولها <sup>(٥)</sup> عاملان ناصبان، أو ناصب ورافع، من جنس قولهم: أكرمت وأكرمني زيد <sup>(٦)</sup> والنحويون لهم فيما إذا لم يختلف العامل، كقولك <sup>(٧)</sup> أكرمت وأعطيت زيدا - قولان: : وهو قول سيبويه <sup>(٨)</sup> وأصحابه: أن العامل في الاسم هو أحدهما وأن الآخر حذف معموله؛ لأنه لا يرى اجتماع

(١) هو : النمر بن تولب بن زهير بن أقيس العكلي ، شاعر مخضرم عاش في الجاهلية طويلا ، وأدرك الإسلام فأسلم ، وفد على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فكتب عنه كتابا لقومه ، روى عن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم حديثا ، وكان رجلا كيسا كريما من ذوي النعمة والوجاهة ، ذكره عمر بن الخطاب يوما فترحم عليه ، وبعده المؤرخون من المعمرين ، توفي في آخر خلافة أبي بكر أو في خلافة عمر . راجع : أسد الغابة (٥ / ٣٩)؛ والأعلام للزركلي (٨ / ٤٨) .

(٢) في (ب) : كما لعن الله من قبلكم .

(٣) وقيل : ساقطة من (أ) .

(٤) في (ج د) والمطبوعة : فمحلها نصب .

(٥) في المطبوعة : تنازعها .

(٦) في قوله : أكرمت وأكرمني زيد . تناوله عاملان ، الأول : ناصب وهو أكرمت ، على أن زيدا مفعول ، والثاني : أكرمني ، على أن زيدا هو فاعل الإكرام فغلب عامل الرفع ، وحذف المنصوب وجوبا؛ لأن العامل من غير باي : كان وظن .

(٧) في (ج د) : كقولهم .

(٨) سيبويه : عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي - بالولاء - يلقب بسيبويه - ومعناها بالفارسية : رائحة التفاح : لزم التحليل بن أحمد فدرس عليه النحو حتى فاقه ، فصار إماما من أئمة النحو ، فهو أول من بسط هذا العلم ، فصنف كتابه : (كتاب سيبويه) ولد عام (١٤٨ هـ) ، وتوفي (١٨٠ هـ) . راجع : الأعلام للزركلي (٥ / ٨١) ، ط ٤



عاملين على معمول واحد.

: قول الفراء وغيره من الكوفيين: أن الفعلين عملا في هذا الاسم، وهو يرى

أن العاملين يعملان في الم معمول الواحد.

وعلى هذا اختلافهم في نحو قوله: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ (١).

وأمثاله.

فعلى قول الأولين يكون التقدير: وعد الله المنافقين النار، كوعد الذين من قبلكم ولهم عذاب مقيم، كالذين من قبلكم، أو كعذاب الذين (٢). من قبلكم ثم حُذِفَ اثنان من هذه المعمولات؛ لدلالة الآخر عليهما (٣) وهم يستحسنون حذف الأولين (٤).

وعلى القول الثاني يمكن أن يقال: الكاف المذكورة بعينها هي المتعلقة بقوله: ( وعد )

وبقوله: ( ولعن ) وبقوله (٥) ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (٦)، لأن الكاف لا يظهر فيها

إعراب، وهذا على القول بأن عمل الثلاثة نصب ظاهر.

وإذا قيل: إن الثالث يعمل الرفع؛ فوجهه: أن العمل واحد في اللفظ، إذ التعلق تعلق

معنوي لا لفظي.

وإذا عرفت أن من الناس من يجعل التشبيه في العمل، ومنهم من يجعل التشبيه في

العذاب، فالقولان متلازمان إذ المشابهة في الموجب تقتضي المشابهة في الموجب، وبالعكس

فلا خلاف معنوي بين القولين.

وكذلك ما ذكرناه من اختلاف النحويين في وجوب في (٧) الحذف وعدمه - إنما هو

(١) سورة ق: الآية ١٧ .

(٢) في (ب): الذين هم .

(٣) أي على المحذوف .

(٤) في (ب): الأول .

(٥) في (أ ط): وقوله: لهم عذاب .

(٦) سورة التوبة آية: ٦٨ .

(٧) (ب ج د ط): وجود (بالدال) .

اختلاف في تعليلات وماأخذ، لا تقتضي (١) اختلافا لا في إعراب، ولا في معنى؛ فإذا:  
الأحسن أن تتعلق الكاف بمجموع ما تقدم: من العمل والجزاء، فيكون التشبيه فيهما  
لفظا (٢) .

وعلى القولين الأولين: يكون قد دل على أحدهما لفظا، على الآخر لزوما (٣) .  
وإن سلكت طريقة الكوفيين - على هذا - كان أبلغ وأحسن؛ فإن لفظ الآية يكون  
قد دل على المشابهة في الأمرين من غير حذف، وإلا فيضمر (٤) حالكم كحال الذين من  
قبلكم، ونحو ذلك، وهو قول من قدره: أنتم كالذين من قبلكم.

ولا يسع هذا المكان بسطا أكثر من هذا (٥) فإن الغرض متعلق بغيره.

وهذه المشابهة في هؤلاء (٦) بإزاء ما وصف الله به المؤمنين من قوله: ﴿ وَيُطِيعُونَ

اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (٧) فإن طاعة الله ورسوله تنافي مشابهة الذين من قبل (٨) قال سبحانه:

﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ

بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضِعَ كَالَّذِي خَاضُوا ﴾ (٩) .

فالخطاب في قوله: ﴿ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً ﴾ (١٠) وقوله: ﴿ فَاسْتَمْتَعْتُمْ ﴾ (١١)

(١) في (ب) : في التعديلات وما أخذ لا يقتضي .

(٢) في المطبوعة : لفظيا .

(٣) في (ب) زاد : يكون قد دل على مشابهة أمرين أحدهما . ثم قال : وإن سلكت . . إلخ .

(٤) في (ج د) : فيضمن .

(٥) في (أ ب ط) : ولا يتسع هذا المكان لبسط هذا أكثر من هذا .

(٦) الإشارة إلى المنافقين .

(٧) سورة التوبة : من الآية ٧١ .

(٨) في المطبوعة : من قبلكم .

(٩) سورة التوبة : من الآية : ٦٩ .

(١٠) سورة التوبة آية : ٦٩ .

(١١) سورة التوبة آية : ٦٩ .

إن كان للمنافقين، كان من باب خطاب التلوين والالتفات، وهذا انتقال من المعيب<sup>(١)</sup> إلى الحضور، كما في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ ﴿٤﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٥﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴿٦﴾ .

ثم حصل الانتقال من الخطاب إلى المعيب<sup>(٣)</sup> في قوله: ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ ﴿٤﴾ وكما<sup>(٥)</sup> في قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَكُمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا ﴿٦﴾ وقوله: ﴿وَكُرْهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فإن الضمير في قوله: ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ ﴿٨﴾ الأظهر أنه عائد إلى المستمتعين الخائضين من هذه الأمة كقوله<sup>(٩)</sup> - فيما بعد -: ﴿الْمَرِيئَاتِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿١٠﴾ وإن كان الخطاب لمجموع الأمة المبعوث إليها، فلا يكون الالتفات إلا في الموضع الثاني.

وأما قوله: ﴿فَأَسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ ﴿١١﴾ ففي تفسير عبد الرزاق<sup>(١٢)</sup> عن معمر<sup>(١)</sup>

(١) في المطبوعة: الغيبة .

(٢) سورة الفاتحة الآيات: ٣ ، ٤ ، ومن الآية ٥ .

(٣) في المطبوعة: الغيبة .

(٤) سورة التوبة: من الآية ٦٩ .

(٥) في (أ ط) : كما . (بجذف واو العطف) .

(٦) سورة يونس: الآية ٢٢ .

(٧) سورة الحجرات: الآية ٧ .

(٨) سورة التوبة آية: ٦٩ .

(٩) في (ب) : لقوله .

(١٠) سورة التوبة: من الآية ٧٠ .

(١١) سورة التوبة آية: ٦٩ .

(١٢) هو: الإمام عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، الصنعاني، أبو بكر، ولد عام (١٢٦ هـ)، وكان من الأئمة الحفاظ الثقات في الحديث، والتفسير، والفقه، وله مصنفات أشهرها: المصنف في الحديث، وتفسير

عن الحسن (٢) في قوله: ﴿ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ ﴾ (٣) قال: بدينهم (٤) ويروى ذلك عن أبي هريرة (٥) رضي الله عنه وروى عن ابن عباس (٦) بنصيبهم من الآخرة في الدنيا (٧) وقال آخرون: بنصيبهم من الدنيا (٨).

قال أهل اللغة: الخلاق: هو النصيب والحظ، كأنه ما خلق للإنسان، أي ما قدر له، كما يقال: (القسم) لما قسم له، و(النصيب) لما نصب له، أي أثبت.

القرآن ، وكتاب السنن في الفقه ، وكتاب المغازي . توفي سنة (٢١٠ هـ) . انظر : طبقات الحنابلة (١/ ٢٨٩) ، (ت ٢٨٠)؛ والأعلام للزركلي (٣/ ٣٥٣١) .  
(١) هو : معمر بن راشد بن أبي عمر الأزدي ، إمام حافظ ثقة متقن للحديث ، وفقهه ، ولد بالبصرة عام (٩٥ هـ) ، وسكن اليمن ، وأقام واشتهر بها ، حتى توفي عام (١٥٣ هـ) . انظر : البداية والنهاية (٩/ ٢٦٦) ، (٢٦٧)؛ وتقريب التهذيب (٢/ ٢٦٦) ، (ت ١٢٨٤) .  
(٢) هو : الحسن بن يسار البصري أبو سعيد ، من كبار التابعين ولد سنة (٢١ هـ) بالمدينة وسكن البصرة ، وكان حبر الأمة وإمامها في زمانه في الحديث ، والفقه ، والتفسير ، وكان قد شب في كنف علي بن أبي طالب وكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم حتى صارت له هبة عظيمة توفي سنة (١١٠ هـ) . انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٦٩ - ٧٣) ، (ت ١٥٦)؛ وتهذيب التهذيب (٢/ ٢٦٣ - ٢٧٠) ، (ت ٤٨٨) .

(٣) سورة التوبة آية : ٦٩ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير (٣/ ٣٦٨) حيث ذكر عن الحسن ، وتفسير ابن جرير (١٠/ ١٢٣) ذكره مسندا .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير (٢/ ٣٦٨) حيث ذكر ذلك عن أبي هريرة أيضا .

(٦) هو الصحابي الجليل : حبر الأمة : عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ترجمان القرآن ، وإمام المسلمين في التفسير ، فقد دعا له الرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأن يعلمه الله التأويل ويفقه في الدين ، فكان يسمى الحبر؛ ويسمى البحر ، لسعة علمه في التفسير ، واللغة ، والمغازي ، وأشعار العرب ، وأيامهم ، وكان مقدما عند الخلفاء الراشدين يستشيرونه في معضلات الأمور ، ولي الحج بأمر عثمان سنة ٣٥ ، وشهد قتال الخوارج مع علي وناظرهم وألزمهم الحججة ، وتآمر على البصرة ثم سكن الطائف حتى مات بها سنة (٦٨ هـ) ، وكانت ولادته قبل الهجرة بثلاث سنين . انظر : البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٢٩٥ - ٣٠٦)؛ والطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٦٣٥ - ٣٧٢) .

(٧) انظر المقياس في تفسير ابن عباس للفيروزآبادي (ص ١٢٤) .

(٨) ممن قال بهذا القول الإمام السدي ، انظر : فتح القدير للشوكاني (٢/ ٣٨٠) .

ومنه قوله تعالى: ﴿ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾<sup>(١)</sup> أي: من نصيب، وقول النبي ﷺ ﴿ إِنَّمَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ مِنْ لَا خَلْقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ ﴾<sup>(٢)</sup> (٣) .

والآية تعم ما ذكره العلماء جميعهم، فإنه سبحانه قال: ﴿ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا ﴾<sup>(٤)</sup> ، فتلك القوة التي كانت فيهم كانوا يستطيعون أن يعملوا بها للدنيا والآخرة، وكذلك أموالهم وأولادهم، وتلك القوة والأموال والأولاد: هو الخلاق، فاستمتعوا بقوتهم وأموالهم وأولادهم في الدنيا، ونفس الأعمال التي عملوها بهذه القوة والأموال: هي دينهم، وتلك الأعمال، لو أرادوا بها الله، والدار الآخرة؛ لكان لهم ثواب في الآخرة عليها، فتمتعهم بها أخذ حظوظهم العاجلة بها، فدخل في هذا من لم يعمل إلا لدنياه، سواء كان جنس العمل من العبادات، أو غيرها<sup>(٥)</sup> .

ثم قال سبحانه: ﴿ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ﴾<sup>(٦)</sup>

وفي (الذي) وجهان: أحسنهما أنها صفة المصدر، أي كالخوض الذي خاضوه<sup>(٧)</sup>

---

(١) سورة البقرة : من الآية ١٠٢ ، وفي المطبوعة : ذكر الآية الأخرى أيضا : ( وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ) سورة البقرة : من الآية ٢٠٠ ، لكن بقية النسخ لم تشر إلى الآية الأولى .

(٢) البخاري اللباس (٥٤٩٧) ، مسلم اللباس والزينة (٢٠٦٩) ، النسائي الزينة (٥٣١٢) .

(٣) ورد ذلك في حديث أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما . انظر : صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب من تحمل للوفود ، الحديث رقم (٦٠٨١) من فتح الباري (١٠ / ٥٠٠) . وصحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة ،

باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة . . إلخ ، الحديث رقم (٢٠٦٨) ، (٢٠٦٩) ، (٣ / ١٦٣٩) ، ١٦٤١ .

.(

(٤) سورة التوبة آية : ٦٩ .

(٥) في (أ ط) : أو من غيرها .

(٦) سورة التوبة : من الآية ٦٩ .

(٧) في (ج د) : خاضوا .

فيكون العائد محذوفا كما في قوله <sup>(١)</sup> ﴿ مِمَّا عَمِلْتَ أَيْدِينَا ﴾ <sup>(٢)</sup> وهو كثير فاش في

اللغة، والثاني: أنه صفة الفاعل، أي: كالفريق <sup>(٣)</sup> أو الصنف أو الجيل الذي خاضه، كما لو قيل: كالذين خاضوا.

وجمع سبحانه بين الاستمتاع بالخلق، وبين الخوض، لأن فساد الدين <sup>(٤)</sup> إما أن يقع بالاعتقاد الباطل، والتكلم به، أو يقع في العمل بخلاف الاعتقاد الحق.

: هو البدع <sup>(٥)</sup> ونحوها.

: <sup>(٦)</sup> فسق الأعمال ونحوها <sup>(٧)</sup> .

: من جهة الشبهات.

: من جهة الشهوات.

ولهذا كان السلف يقولون: احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه.

وكانوا يقولون: احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون <sup>(٨)</sup> فهذا <sup>(١)</sup> يشبه المغضوب عليهم، الذين يعلمون الحق ولا يتبعونه وهذا <sup>(٢)</sup> يشبه

---

(١) في المطبوعة: أورد الآية بتمامها: (أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ) سورة يس: الآية ٧١. وهو خلاف النسخ الأخرى.

(٢) سورة يس: الآية ٧١.

(٣) في (أ ب ط): كالفوج.

(٤) في (أ): الدنيا.

(٥) وذلك مثل: الزيادة في العبادات، والدعاء عند القبور، والبناء عليها، وزيارة المشاهد - غير المساجد الثلاثة ومشاعر الحج التي نص عليها الشارع - وزيادة الأعياد، كأعياد الميلاد، وأعياد المناسبات، والأعياد الوطنية، ونحوها، فكل هذه الأمور من الخوض بالباطل.

(٦) في المطبوعة: هو فسق الأعمال.

(٧) وذلك مثل: أكل الربا، وشرب المسكر، والزنا، وأكل أموال الناس بالباطل، والسرقة، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، فهذا ونحوه من الاستمتاع بالخلق كما أشار إليه المؤلف رحمه الله.

(٨) جاء ذلك عن سفيان بن عيينة، انظر: شرح السنة للبخاري (١/ ٣١٨)، وقال: تعوذوا بالله من فتنة . . .

الضالين الذين يعملون بغير علم.

ووصف بعضهم أحمد بن حنبل (٣) فقال: "

(٤) " (٥)

وقد وصف الله أئمة المتقين فقال: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۗ

وَكَانُوا بَعَايَتِنَا يُوْقِنُونَ ﴾ (٦) فبالصبر تُترك الشهوات وباليقين تُدفع الشبهات.

ومنه قوله: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (٧) وقوله: ﴿ وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾ (٨) .

ومنه الحديث المرسل عن النبي ﷺ ﴿ إِنْ اللَّهُ يَجِبُ الْبَصْرَ ﴾ (٩) الناقد عند ورود

الشبهات ويجب العقل الكامل عند حلول الشهوات (١٠) .

(١) أي العالم الفاجر .

(٢) أي العابد الجاهل .

(٣) هو : الإمام أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، أبو عبد الله ، ولد سنة (١٦٤ هـ) ببغداد ، وطلب العلم وهو صغير ، ورحل إلى سائر الأقطار وأخذ عن علمائها حتى اشتهر بالحفظ والإتقان ، إلى أن صار إماما من أئمة الحديث والفقهاء ، مع التقى والصلاح والقوة في الحق واتباع السنة ، وبلغت شهرته الآفاق خاصة بعدما وقف وقفته المشهورة أمام بدعة القول بخلق القرآن ، تلك الوقفة التي قهقرت المعتزلة وسائر الفرق اليوم ، والإمام أحمد هو إمام المذهب الحنبلي في الفقه ، وله مؤلفات كثيرة في السنة ، والتفسير ، والتوحيد ، وغيرها ، أشهرها المسند ، وقد توفي رحمه الله سنة (٢٤١ هـ) . انظر البداية والنهاية لابن كثير (١٠ / ٣٢٥ - ٣٤٣) .

(٤) سورة السجدة آية : ٢٤ .

(٥) أخرج ابن الجوزي هذا القول بالسند عن أبي عمير عيسى بن محمد بن النحاس الرملي الفلسطيني ، في مناقب الإمام أحمد (١٧٣) ، كما أخرجها عنه أيضا ابن كثير في البداية والنهاية (١٠ / ٣٣٦) ، وكناه : أبو عمر .

(٦) سورة السجدة : الآية ٢٤ .

(٧) سورة العصر : الآية ٣ .

(٨) سورة ص : من الآية ٤٥ .

(٩) في المطبوعة : البصير .

(١٠) أشار المؤلف إلى هذا الأثر في الفتاوى (٢٠ / ٥٨) و (٢٨ / ٤٤) ، لكنه لم يذكر سنده ، وذكره أيضا في درء تعارض العقل والنقل (٢ / ١٠٥) وفي (٥ / ١٣١) ، وقال : رواه البيهقي مرسلا ، كما رواه البيهقي في الزهد

---

(ص ٣٦٢) برقم (٩٥٢)؛ وأبو نعيم في الحلية (٦ / ١٩٩) بلفظ يقاربه ، وقال عنه العراقي في المغني - تخريج الإحياء - (٤ / ٣٨٨) : " وأبو نعيم في الحلية من حديث عمران بن حصين ، وفيه حفص بن عمر العدني ضعفه الجمهور " وقال الزبير في إتحاف السادة المتقين شرح الإحياء ١٠ / ١٠٥ بعد أن نقل كلام العراقي : " قلت : ورواه كذلك البيهقي في الزهد ، وأبو مطيع في أماليه ، وأبو مسعود بن إبراهيم الأصبهاني في كتاب الأربعين بلفظ (عند مجيء . . ) " . اهـ .



فقوله سبحانه: ﴿ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ ﴾<sup>(١)</sup> إشارة إلى اتباع الشهوات، وهو داء العصاة، وقوله: ﴿ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ﴾<sup>(٢)</sup> إشارة إلى اتباع الشبهات، وهو داء المبتدعة وأهل الأهواء والخصومات، وكثيرا ما يجتمعان، فقل من تجد<sup>(٣)</sup> في اعتقاده فسادا إلا وهو يظهر<sup>(٤)</sup> في عمله.

وقد دلت الآية على أن الذين كانوا من<sup>(٥)</sup> قبل استمتعوا وخاضوا، وهؤلاء فعلوا مثل أولئك.

ثم قوله: ﴿ فَاسْتَمْتَعْتُمْ ﴾<sup>(٦)</sup> و ﴿ وَخُضْتُمْ ﴾<sup>(٧)</sup> خبر عن وقوع ذلك في الماضي وهو ذم لمن يفعله، إلى يوم القيامة، كسائر ما أخبر الله به عن الكفار<sup>(٨)</sup> والمنافقين، عند مبعث<sup>(٩)</sup> محمد ﷺ فإنه ذم لمن<sup>(١٠)</sup> حاله كحالهم إلى يوم القيامة، وقد يكون خيرا عن أمر دائم<sup>(١١)</sup> مستمر؛ لأنه - وإن كان بضمير الخطاب - فهو كالضمائر<sup>(١٢)</sup> في نحو

(١) سورة التوبة آية : ٦٩ .

(٢) سورة التوبة آية : ٦٩ .

(٣) في (ب) : يجد .

(٤) في المطبوعة : ظاهر .

(٥) في المطبوعة : الذين كانوا من قبل ، وهو زيادة عما في النسخ الأخرى .

(٦) سورة التوبة آية : ٦٩ .

(٧) سورة التوبة آية : ٦٩ .

(٨) في المطبوعة : عن أعمال وصفات الكفار ، وهو زيادة عما في النسخ الأخرى .

(٩) في المطبوعة : عند مبعث عبده ورسوله محمد . . إلخ ، وهو زيادة عما في النسخ الأخرى .

(١٠) في المطبوعة : لمن يكون حاله ، وهو زيادة عما في النسخ الأخرى . وفي (ج أ د ط) : لمن حالهم ، بدون الكاف .

(١١) في (ج د) : وإثم مستمر .

(١٢) في المطبوعة : و (أ) : كالضمير .

قوله: (اعْبُدُوا) <sup>(١)</sup> و (اغْسِلُوا) <sup>(٢)</sup> و (ارْكَعُوا) <sup>(٣)</sup> ﴿ وَاسْجُدُوا ﴾ <sup>(٤)</sup> (٥)

و (آمِنُوا) <sup>(٦)</sup> كما أن جميع الموجودين في وقت النبي ﷺ وبعده إلى يوم القيامة <sup>(٧)</sup> مخاطبون بهذا الكلام؛ لأنه كلام الله، وإنما الرسول مبلغ له <sup>(٨)</sup> .

وهذا مذهب عامة المسلمين - وإن كان بعض من تكلم في أصول الفقه، اعتمد أن الضمير <sup>(٩)</sup> إنما يتناول الموجودين حين <sup>(١٠)</sup> تبليغ الرسول وأن سائر الموجودين دخلوا: إما بما علمناه بالاضطرار من استواء الحكم، كما لو خاطب النبي ﷺ واحدا من الأمة، وإما بالسنة، وإما بالاجماع، وإما بالقياس، فيكون: كل من حصل منه هذا الاستمتاع والخوض مخاطبا بقوله: ﴿ فَاسْتَمْتَعْتُمْ ﴾ <sup>(١١)</sup> و ﴿ وَخُضْتُمْ ﴾ <sup>(١٢)</sup> وهذا أحسن القولين <sup>(١٣)</sup> .

(١) وردت في القرآن الكريم إحدى وعشرين مرة ، أولها قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ : الآيَةُ ٢١ ، وآخرها قوله تعالى حكاية نوح عليه السلام : ( أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ) سورة نوح : الآيَةُ ٣ .

(٢) نص الآية : ( فَاعْسِلُوا ) بالفاء ، وهو قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ) سورة المائدة : الآيَةُ ٦ .

(٣) سورة الحج آية : ٧٧ .

(٤) سورة الحج آية : ٧٧ .

(٥) (ارْكَعُوا) وردت في ثلاث آيات : قوله تعالى : ( وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ) سورة البقرة : الآيَةُ ٤٣ ، وقوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمُ ) ، سورة الحج : الآيَةُ ٧٧ ، وقوله تعالى : ( وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ) سورة المرسلات : الآيَةُ ٤٨ ، أما كلمتي : ( ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا ) فلم ترد إلا في سورة الحج : الآيَةُ ٧٧ ، أما ( اسْجُدُوا ) وحدها فقد وردت في القرآن الكريم ثمان مرات .

(٦) (آمِنُوا) بصيغة الأمر ، وردت في القرآن ثمان عشرة مرة .

(٧) في (أ ب ط) : سقطت عبارة (إلى يوم القيامة) ، ولعله سهو من النساخ .

(٨) في المطبوعة : مبلغ عن الله .

(٩) في المطبوعة : اعتمد أن ضمير الخطاب .

(١٠) في (ب) : عند .

(١١) سورة التوبة آية : ٦٩ .

(١٢) سورة التوبة آية : ٦٩ .

(١٣) الإشارة إلى القول بأن قوله تعالى : ( فَاسْتَمْتَعْتُمْ ) و ( وَخُضْتُمْ ) خبر عن أمر دائم مستمر مخاطب به من وجد من عهد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومن بعده إلى يوم القيامة ، وهذا هو الذي وصفه المؤلف بأحسن

وقد توعد الله سبحانه هؤلاء المستمتعين الخائضين بقوله <sup>(١)</sup> ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ <sup>(٢)</sup> وهذا هو المقصود هنا من هذه الآية، وهو أن الله قد أخبر أن <sup>(٣)</sup> في هذه الأمة من استمتع بخلاقه، كما استمتعت الأمم قبلهم، وخاض كالذي خاضوا وذمهم على ذلك، وتوعدهم على ذلك <sup>(٤)</sup> ثم حضهم على الاعتبار بمن قبلهم فقال: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ <sup>(٥)</sup> وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ <sup>(٦)</sup> أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ <sup>(٦)</sup> الآية.

وقد قدمنا: أن طاعة الله ورسوله في وصف المؤمنين بإزاء ما وصف به هؤلاء <sup>(٧)</sup> من مشاهة القرون المتقدمة، وذم من يفعل ذلك <sup>(٨)</sup> وأمره <sup>(٩)</sup> بجهاد الكفار والمنافقين - بعد هذه الآية - دليل على جهاد هؤلاء المستمتعين الخائضين.

---

القولين . أما القول الثاني فهو القول بأنه خبر عن وقوع ذلك في الماضي ، وهو ذم لمن يفعله إلى يوم القيامة ، أي دون الدخول في الخطاب مباشرة . أما القول الثالث ، وهو قول بعض الأصوليين فهو وإن كان أقرب مذكور إلا أنه جاء معترضا كما يبدو من سياق الكلام ، فتأمله .

(١) في (أ ط) : قال : (وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ) ، وهي من سورة البقرة : الآية ٢١٧ ، لكن آية التوبة التي أثبتتها من بقية النسخ هي التي عناها المؤلف؛ لأن الكلام حول آيات صفات المنافقين في سورة التوبة ، فإدخال آية البقرة خلط من الناسخين .

(٢) سورة التوبة : الآية ٦٩ .

(٣) أن : سقطت من (ج) .

(٤) في : (ب ط) : عليه .

(٥) في (ب) والمطبوعة : وقف عند قوله : وثمود .

(٦) سورة التوبة : الآية ٧٠ .

(٧) الإشارة " هؤلاء " إلى المنافقين والكفار .

(٨) قوله : وذم من يفعل ذلك : سقطت من (أ) .

(٩) في (أ ب) : وأمر الله ، وفي (ط) : وأمر به بجهاد .

ثم هذا الذي دل عليه الكتاب <sup>(١)</sup> من مشاهمة بعض هذه الأمة للقرون الماضية في الدنيا وفي الدين، ودم من يفعل ذلك، دلت عليه - أيضا - سنة رسول الله ﷺ وتأول الآية - على ذلك <sup>(٢)</sup> - أصحابه رضي الله عنهم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿لَتَأْخُذَنَّ كَمَا أَخَذَتِ الْأُمَمُ مِنْ قَبْلِكُمْ: ذُرَاعًا بِذِرَاعٍ، وَشَبْرًا بِشَبْرٍ، وَبَاعًا بِبَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَوْلَائِكَ دَخَلَ حَجْرًا ضَبًّا لَدَخَلْتُمُوهُ - قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً﴾ <sup>(٣)</sup> .. الآية - قالوا: يا رسول الله كما صنعت فارس والروم وأهل الكتاب؟ قال: فهل الناس إلا هم؟ <sup>(٤)</sup> .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية أنه قال: ما أشبه الليلة بالبارحة، هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا <sup>(٥)</sup> بهم؟ <sup>(٦)</sup> .

(١) في (ب) : الكتاب العزيز .

(٢) ذلك : سقطت من (أ) .

(٣) سورة التوبة آية : ٦٩ .

(٤) هذا الحديث له شواهد في الصحيحين والسنن والمسائيد ، وقد أورد المؤلف بعضها في هذا الكتاب ، وذكرت بعض طرقه ومواطنها من الصحيحين ، راجع : (١ / ٨٠ ، ٨١ ، ١٧٠) من هذا الكتاب الهامش . أما الحديث بهذا اللفظ فقد أشار إليه الحافظ ابن كثير في تفسيره - مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه - ثم قال : وهذا الحديث له شاهد في الصحيح ، راجع : تفسير ابن كثير (٢ / ٣٦٨) ، كما أورده ابن جرير في تفسيره بسنده قال : حدثني المثني ، حدثنا أبو صالح قال : حدثني أبو معشر عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ثم ذكر الحديث . انظر : تفسير ابن جرير (١٠ / ١٢١) .

(٥) في (ط) : شبهناهم .

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره : حدثنا القاسم قال : حدثنا الحسين قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عمر بن عطاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : (كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) الآية ، قال ابن عباس : " ما أشبه الليلة بالبارحة (كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم ، لا أعلم إلا أنه قال : والذي نفسي بيده لتبتعنهم حتى لو دخل الرجل حجر ضب لدخلتموه " . ١ هـ . عن تفسير ابن جرير (١٠ / ١٢١ - ١٢٢) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: " أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل سمّتا وهديا تتبعون عملهم حذو القذة بالقذة غير أي لا أدري أتعبدون العجل أم لا ؟ " .

وعن حذيفة بن اليمان <sup>(١)</sup> رضي الله عنه قال: " المنافقون الذين منكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله قلنا: وكيف؟ قال: أولئك كانوا يخفون نفاقهم وهؤلاء أعلنوه <sup>(٢)</sup> " <sup>(٣)</sup> .

: فجاءت بالإخبار بمشاهرتهم في الدنيا، وذم ذلك، والنهي عن ذلك <sup>(٤)</sup>

وكذلك في الدين.

<sup>(٥)</sup> : الذي هو الاستمتاع بالخلاق <sup>(٦)</sup> ففي الصحيحين عن عمرو بن

عوف <sup>(٧)</sup> ﴿ أن رسول الله صلّى الله عليه وآله بعث أبا عبيدة بن الجراح <sup>(٨)</sup> إلى البحرين يأتي بجزيتهما

---

(١) هو الصحابي الجليل : حذيفة بن حسل بن جابر بن العبيسي ، واليمان لقب أبوه حسل ، وهو صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في المنافقين ، فقد أخبره بأسمائهم واستكتمه فحفظ سر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، شهد أحدا مع الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ولاه عمر بن الخطاب بالمدائن ببلاد فارس ، فقام بالولاية أحسن القيام وفتح همدان والري وماه وسندان ، وصالحه صاحب ثمانون . كان الناس يسألون الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الخير ، وكان يسأله عن الشر مخافة أن يقع فيه ، توفي في المدائن عام (٣٦ هـ) . راجع : أسد الغابة (١ / ٣٩٠ - ٣٩٢) ؛ والأعلام للزركلي (٢ / ١٧١) .

(٢) في (أ) : أعلنوا .

(٣) انظر : كتر العمال (١ / ٣٦٧) ، رقم (١٦١٥) ، ورمز له بحرف (ش) أي عن ابن أبي شيبة .

(٤) في (ط) : عنه .

(٥) في (ط) : وأما .

(٦) ومنه مشاهمة الكفار - من أهل الكتاب وغيرهم - في اتباع الشهوات .

(٧) هو الصحابي الجليل : عمرو بن عوف الأنصاري ، حليف بني عامر بن لؤي ، شهد بدر مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، سكن المدينة ولا عقب له ، روي عنه حديث واحد ، رواه عنه المسور بن مخرمة ، وهو هذا الحديث الذي ذكره المؤلف هنا ، راجع : أسد الغابة (٤ / ١٢٤) .

(٨) في (ب) : رضي الله عنه .

وكان رسول الله ﷺ هو صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي (١) فقدم أبو عبيدة (٢) بمال من البحرين (٣) فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف، فتعرضوا له في (٤) فتبسم (٥) رسول الله ﷺ حين رأيهم، ثم (٦) قال: "أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين فقالوا: أجل يا رسول الله فقال: أبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها، كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم" (٧).

(١) العلاء بن الحضرمي : صحابي ، واسم الحضرمي - أبيه - عبد الله بن عباد بن أكبر ابن ربيعة ، حليف حرب بن أمية ، والحضرمي نسبة إلى حضرموت البلد المعروفة ، أمره رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على البحرين ، ثم أقره أبو بكر وكان أحد قادة جيوشه في حروب الردة ، وبقي أميراً على البحرين ، حتى أمره عمر بن الخطاب على الكوفة ، توفي في طريقه إليها ، كان مجاب الدعوة ، وله كرامات منها عبوره خضم البحر على الخيل ، توفيعام (٢١ هـ) ، وقيل : (١٤ هـ) ، والله أعلم . راجع : البداية والنهاية لابن كثير (٧/١٢٠)؛ وأسد الغابة (٤/٧ هـ) .

(٢) هو الصحابي الجليل : عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب الفهري القرشي ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وسماه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأمين هذه الأمة ، أسلم مبكراً ، وشهد سائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وهو الذي نزع الحلقتين من وجه الرسول الله يوم أحد ، فسقطت ثناياه ، هاجر الهجرة الثانية إلى الحبشة ، ثم هاجر إلى المدينة ، ولاه عمر بن الخطاب قيادة جيوش الشام بدلا من خالد بن الوليد ، فكان من الأبطال الأفاضل ، توفي بطاعون عمواس عام (١٨ هـ) ، وقد توفي أولاده فلم يعقب . انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/٤٠٩ - ٤١٥)؛ وأسد الغابة (٣/٨٤ - ٨٦)؛ والبداية والنهاية لابن كثير (٧/٩٤) .

(٣) في (ب) : بمال البحرين .

(٤) (أ) : له : سقطت .

(٥) في (ط) : فابتسم .

(٦) ثم : ساقطة من (أ) .

(٧) الحديث أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد في المسند وغيرهم . انظر : فتح الباري ، كتاب الجزية والموادعة ، باب الجزية والموادعة ، مع أهل الحرب (٦/٢٥٨) ، حديث رقم (٣١٥٨) ، وكتاب المغازي ، الباب (١٢) - غير مسمى - (٧/٣١٩ - ٣٢٠) ، حديث رقم (٤٠١٥)؛ وصحيح مسلم ، كتاب الزهد والرفائق الحديث رقم (٢٩٦١) (٤/٢٢٧٣) ، وسنن الترمذي - كتاب صفة القيامة - الباب (

فقد أخبر <sup>(١)</sup> ﷺ أنه لا يخاف <sup>(٢)</sup> فتنة الفقر، وإنما يخاف بسط الدنيا وتنافسها، وإهلاكها، وهذا هو الاستمتاع بالخلاق المذكور في الآية.

وفي الصحيحين عن عقبة بن عامر <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup> ﴿ أن النبي ﷺ خرج يوماً، فصلى على أهل أحد صلاته على <sup>(٥)</sup> الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: " إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض - أو مفاتيح الأرض - وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا <sup>(٦)</sup> فيها ﴾ <sup>(٧)</sup> .

وفي رواية: ﴿ ولكني <sup>(٨)</sup> أخشى عليكم الدنيا <sup>(٩)</sup> أن تنافسوا فيها وتقتلوا، فتهلكوا <sup>(١٠)</sup> .

- 
- (٢٨) ، ج ٤ حديث رقم (٢٤٦١) ، وقال فيه الترمذي : " هذا حديث حسن صحيح "؛ وسنن ابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب فتنة المال ، حديث رقم (٣٩٩٧) (٢ / ١٣٢٥)؛ ومسند أحمد (٤ / ١٣٧ - ٣٢٧) .
- (١) في المطبوعة : أخبر النبي ، بخلاف النسخ الأخرى .
- (٢) في المطبوعة : على أمته .
- (٣) هو الصحابي الجليل : عقبة بن عامر بن عيس بن مالك الجهني ، من أحسن الناس قراءة للقرآن ، وكان راميا شجاعا ، وروى (٥٥) حديثا ، ولي مصر سنة (٤٤ هـ) ، وتوفي بها عام (٥٨ هـ) . انظر : أسد الغابة (٣ / ٤١٢) ، وانظر : الأعلام للزركلي (٤ / ٢٤٠) .
- (٤) في المطبوعة زاد : رضي الله عنه .
- (٥) في ( ط ) : صلاة الميت .
- (٦) في ( أ ط ) : تنافسوا فيها ، بقاء واحدة ، وكلها واردة في الصحيحين .
- (٧) ممن روى الحديث : البخاري ومسلم وأحمد في المسند والترمذي في سننه . انظر : فتح الباري ، كتاب الجنائز ، باب الصلاة على الشهيد ، حديث رقم (١٣٤٣) (٣ / ٢٠٩) ، وأطراف الحديث في البخاري (٣٥٩٦) ، ٤٠٤٢ ، ٦٤٢٦ ، ٦٥٩٠ . وانظر : مسلم ، كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم وصفاته (٤ / ١٧٩٥) ، حديث رقم (٢٢٩٦) . وانظر : مسند أحمد (٤ / ١٤٩)؛ وسنن الترمذي ، كتاب صفة القيامة ، الباب (٢٨) ، حديث رقم (٢٤٦٢) (٤ / ٦٤٠) ، وقال فيه الترمذي : " هذا حديث حسن صحيح " .
- (٨) في ( ج د ) : ولكن .
- (٩) في المطبوعة : " أخشى عليكم أن تنافسوا . . " ، أي بحذف (الدنيا) .
- (١٠) فتهلكوا . ساقطة من (ط) .

كما هلك من كان قبلكم ﴿ قال عقبة: فكان آخر ما رأيت رسول الله ﷺ على المنبر " (١) .

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو (٢) رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: " إذا فتحت عليكم خزائن فارس والروم أي قوم أنتم؟ " قال عبد الرحمن بن عوف (٤) نكون كما أمرنا الله ﷻ (٥) فقال رسول الله ﷺ (٦) تنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون أو (٧) تتباغضون، أو غير ذلك - ثم تنطلقون إلى مساكن (٨) المهاجرين فتحملون (٩) بعضهم على (١٠) رقاب بعض ﴿ (١) وفي الصحيحين عن أبي سعيد (٢)

(١) هذه الزيادة ، -أي : الرواية الأخيرة وقول عقبة - : أوردهما مسلم من طريق أخرى تحت رقم الحديث السابق ( ٢٢٩٦ ) ( ٤ / ١٧٩٦ ) . وقد أورد البخاري قول عقبة بلفظ : " فكانت آخر نظرة نظرهما إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم " . فتح الباري ، كتاب المغازي ، باب غزوة أحد ( ٧ / ٣٤٨ - ٣٤٩ ) ، حديث رقم ( ٤٠٤٢ ) .

(٢) في المطبوعة : ابن عمر ، والصحيح : ابن عمرو ، كما هو مثبت في جميع النسخ المخطوطة .

(٣) هو الصحابي الجليل : عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي ، أسلم قبل أبيه ، وكان يكتب عن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم الحديث بإذنه ، في صحيفة سماها : الصادقة ، وكان من علماء الصحابة وعبادهم ، وشهد فتح الشام مع أبيه ، وشهد صفين بأمر أبيه وهو كاره ، فكان يقول بعد ذلك : ما لي ولصفيين ؟ ، ولاه معاوية الكوفة ، وتوفي بمصر - وقيل : بالشام - سنة ( ٦٥ هـ ) . انظر : البداية والنهاية لابن كثير ( ٨ / ٢٦٣ - ٢٦٤ ) ؛ والطبقات الكبرى لابن سعد ( ٤ / ٢٦١ - ٢٦٨ ) .

(٤) هو الصحابي الجليل : عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحرث بن زهرة القرشي ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة أهل الشورى الذين عينهم عمر ، وتنازل عن حقه فتولى أمر الشورى حتى بويع عثمان ، وهو من أوائل الصحابة إسلاما ، وهاجر المهجرتين ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ويعد من أغنياء الصحابة ، وكان كثير الإنفاق في سبيل الله ، قال عنه عمر : سيد من سادات المسلمين ، توفي بالمدينة سنة ( ٣٢ هـ ) . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة ( ٢ / ٤١٦ ، ٤١٧ ) ت ( ٥١٧٩ ) ع .

(٥) لا توجد في رواية مسلم التي بين أيدينا .

(٦) في مسلم : " أو غير ذلك ؟ تتنافسون . . " الحديث .

(٧) في مسلم : " ثم تتباغضون أو نحو ذلك " .

(٨) في (أ) والمطبوعة : إلى مساكن المهاجرين ، وفي مسلم : في مساكن المهاجرين .

(٩) في مسلم : فتجعلون .

(١٠) على : ساقطة من (أ) .



قال: ﴿ جلس رسول الله ﷺ على المنبر وجلسنا حوله فقال: " إن مما أخاف عليكم بعدي: ما يفتح من زهرة الدنيا وزينتها، فقال رجل: أو يأتي الخير بالشر يا رسول الله؟ فسكت عنه رسول الله ﷺ فقيل: ما شأنك تكلم رسول الله ولا يكلمك؟ قال: ورأينا<sup>(٣)</sup> أنه يتزل عليه<sup>(٤)</sup> فأفاق يمسح عنه الرحضاء<sup>(٥)</sup> وقال: أين هذا السائل؟ وكأنه حمده، فقال: إنه لا يأتي الخير بالشر ﴿ وفي رواية: فقال: ﴿ أين السائل أنفا؟ أو خير هو؟ - ثلاثا - إن الخير لا يأتي إلا بالخير وإن مما ينبت الربيع: ما<sup>(٦)</sup> يقتل حبطا<sup>(٧)</sup> أو يلم<sup>(٨)</sup> إلا آكلة الخضر<sup>(٩)</sup> فإنها أكلت حتى إذا امتدت خاصرتها<sup>(١٠)</sup> استقبلت عين الشمس فنلظت<sup>(١١)</sup>

(١) انظر الحديث في صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، حديث رقم (٢٩٦٢) (٤ / ٢٢٧٤) ، ومعنى تحملون بعضهم على رقاب بعض ، أي : تجعلون بعضهم أمراء على بعض . انظر : شرح النووي على مسلم (١٨ / ٩٧) .

(٢) هو الصحابي الجليل : سعد بن مالك بن ثعلبة الأنصاري ، الخزرجي ، من فقهاء الصحابة ، ومن المكثرين لرواية الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، كان أول مشاهدته الخندق لصغر سنه ، ثم شهد ما بعدها؛ وكان من علماء الصحابة ونجباءهم ، توفيسنة (٧٤ هـ) . انظر : أسد الغابة (٥ / ٢١١)؛ والبداية والنهاية لابن كثير (٩ / ٣ ، ٤) .

(٣) في (أ) : وروينا ، وهو تحريف من الناسخ .

(٤) في (أ ج) : عليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(٥) الرحضاء : العرق .

(٦) في (أ ط) : سقطت ما .

(٧) الحبط : انتفاخ البطن من كثرة الأكل ، أو أكل ما لا يوافق ، فهناك أنواع من الأعشاب والشجيرات ، إذا أكثرت منها الأنعام؛ انتفخت بطونها وانجس فيها الأكل حتى تملك . راجع : القاموس المحيط ، باب الطاء فصل الحاء (٢ / ٣٦٦) . وراجع : المعجم الوسيط ، باب الحاء مادة حبط (١ / ١٥٣) .

(٨) أو يلم : أي يقرب من القتل . راجع : القاموس المحيط (٤ / ١٧٩) .

(٩) الخضر : الغصن والزرع والبقلة الخضراء . انظر : القاموس المحيط فصل الحاء باب الراء (٢ / ٢١) ، فالخضر هنا هو : البقول التي ترعاها المواشي بعد ييسها ، وكذلك نوع من البقول ليس من جيدها . انظر : هامش صحيح مسلم (٢ / ٧٢٧) .

(١٠) امتدت خاصرتها أي شبت ، وفي (أ ط) : خاصرتها ، والخاصرة هي : الشاكلة وهي ما يلي الورك من البطن . انظر : القاموس المحيط (٢ / ٢١) .

(١١) نلظت : أي ألقّت بعرها سهلا رقيقا ، فلا يكتنز في بطنها وينفخها وقد يقتلها . راجع : مختار الصحاح ، باب الراء ، مادة : نلظ .

وبالت، ثم رتعت<sup>(١)</sup> وإن هذا المال خضر حلو، ونعم صاحب المسلم هو، لمن أعطى منه المسكين واليتيم، وابن السبيل - أو كما قال رسول الله ﷺ - وإنه من يأخذه<sup>(٢)</sup> بغير حقه كالذي<sup>(٣)</sup> يأكل ولا يشبع، ويكون عليه شاهدا<sup>(٤)</sup> يوم القيامة ﴿٥﴾ .

وروى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿إن الدنيا حلوة<sup>(٦)</sup> خضرة، وإن الله سبحانه مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون؟ فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء<sup>(٧)</sup> فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء ﴿٨﴾

فحذر رسول الله ﷺ فتنة النساء، معللا بأن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء.

(١) في هذا الحديث ضرب الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم مثلين : الأول : للمفرط في جمع الدنيا بنهم ، وهو مغرم بما معجب بزهرتها وزهوها وحببها ، ثم هو مانع لما عليه من حقوق ، أو مقصر ، وقد يكون فيها هلاكه في دينه أو دنياه أو كليهما ، فهذا مثله كمثل النعم التي تقبل على نبات الربيع فتستطيعه وتأكل منه بإكثار حتى تنتفخ بطونها فتهلك ، أو تقارب الهلاك . والثاني : للمقتصد في جمع الدنيا من وجوها الحلال ، والمؤدي حقها من صدقة أو زكاة ، فمثلته مثل النعم التي تأكل الخضرة الطيبة السهلة ثم لا تكتر فيها ، فتتوقف عن الأكل وتستريح وتجتري حتى تهضم طعامها ثم تخرجه سهلا كما أكلته سهلا .

(٢) في (ب) : يأخذ ، بدون الهاء .

(٣) في (ب) : كان كالذي .

(٤) في المطبوعة : شاهدا .

(٥) أخرجه البخاري في أكثر من موضع؛ انظر : الجهاد ، باب فضل النفقة في سبيل الله ، الحديث رقم (٢٨٤٢)؛ وفتح الباري (٦/ ٤٨ ، ٤٩) ، والأحاديث رقم (٩٢١ ، ١٤٦٥ ، ٦٤٢٧) وأخرجه مسلم في صحيحه من أكثر من طريق ، انظر : كتاب الزكاة ، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا ، الحديث رقم (١٠٥٢) ، (٧٢٧ / ٢ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩) .

(٦) في (ب) : خضرة حلوة . وكذلك في بعض روايات الحديث .

(٧) اتقوا النساء : أي اتقوا فتنة النساء ، وذلك لما يحدث من الكثير منهن من التأثير على الرجال ، وفتنتهم بالترج ، والإغراء ، والخضوع بالقول ، وإغرائهم بالإخلاق إلى الدنيا وممتعها وشهواتها ، والعود عن الجهاد ، ولما جبلت عليه أكثر النساء من نقص العقل والدين .

(٨) انظر : صحيح مسلم ، كتاب الرقاق ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء ، وأكثر أهل النار النساء ، وبيان فتنة النساء ، حديث رقم (٢٧٤٢) (٤ / ٢٠٩٨) .

وهذا نظير ما سنذكره من حديث معاوية <sup>(١)</sup> عنه صلى الله عليه وسلم أنه <sup>(٢)</sup> قال: ﴿ **إنما هلك <sup>(٣)</sup> بنو**

**إسرائيل حين اتخذ هذه نساؤهم** ﴾ <sup>(٤)</sup> - يعني وصل الشعر - .

وكثير من مشابهاة أهل الكتاب في أعيادهم، وغيرها، إنما يدعو إليها النساء <sup>(٥)</sup> وأما الخوض كالذي خاضوا <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup> فروينا من حديث الثوري <sup>(٨)</sup> عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي <sup>(٩)</sup> عن عبد الله بن يزيد <sup>(١)</sup> عن عبد الله بن عمرو <sup>(٢)</sup> رضي الله عنهما قال:

(١) هو الصحابي الجليل : معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشي الأموي ، أسلم عام الفتح ، وجعله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من كتاب الوحي ، وشهد حينئذ اليمامة ، وروى عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحاديث كثيرة ، وكان سيدا حليما مع كرم وشهامة ، وولد عمر الشام ، ثم عثمان ، فأحسن الولاية ، وأقام الجهاد ، وفي عهد علي طالب بدم عثمان وبالغ في ذلك حتى وقعت الفتنة المشهورة في صفين والجمل ، ولما قتل ابن ملجم عليا بايع المسلمون لمعاوية الخلافة ، واجتمعت عليه الكلمة حين صالحه الحسن عام (٤٠ هـ) حتى توفيسنة (٦٠ هـ) . انظر : البداية والنهاية (٨/ ١١٧ - ١٤٤) .

(٢) أنه : سقطت من (ب) .

(٣) في (ب ط) : أهلك ، وفي بعض روايات البخاري ومسلم : هلكت .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم فعل الواصلة ، الحديث رقم (٢١٢٧) ، (٣/ ١٦٧٩) .

(٥) وهذا يعني أن النساء هن أول من يقع في التقليد والتشبه ، وآخر من يفتن ويعقل خطر ذلك وسوء مغبته على الفرد والمجتمع ، في الدين والدنيا ، ونحن نجد نساء المسلمين اليوم مع الأسف أكثر انزلاقا ومتابعة للموضات (الموديلات) ، وأكثر شغفا بالتقاليد والعادات والأخلاق الوافدة من الكفار ، السيئ والقبیح منها قبل الحسن .

(٦) في (أ ب) : خاضوه .

(٧) هذا - الذي هو الخوض - هو النوع الثاني ، والنوع الأول هو الاستمتاع بالخلاق ، مر (ص١٢٥) .

(٨) هو : سفيان ، كما نص عليه الترمذي (٥/ ٢٥) ، وهو : سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، نسبة إلى ثور أحد أجداده ، ولد سنة (٩٧ هـ) ، وكان إماما من أئمة المسلمين في العلم والفقه والحديث ، ثقة ، حجة ، ثبتا ، حتى قال عنه ابن معين وغيره : أمير المؤمنين في الحديث ، توفي بالبصرة سنة (١٦١ هـ) . انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/ ٣٧١ ، ٣٧٤)؛ والبداية والنهاية (١٠/ ١٣٤) .

(٩) هو : عبد الرحمن بن زياد بن أنعم المعافري الإفريقي ، أبو خالد ، يقال : هو أول من ولد في الإسلام بإفريقية (ببرقة) سنة (٧٥ هـ) ، وكان رجلا صالحا ، تولى قضاء القيروان ، واشتهر بالجرأة في الحق ، لكنه ضعيف في الحديث من قبل حفظه ، توفي سنة (١٥٦ هـ) ، وقيل : سنة (١٦١ هـ) بالقيروان . انظر : تقريب التهذيب (١/ ٤٨٠) ، (ت ٩٣٨)؛ والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٥/ ٢٣٥) ، (ت ١١١١)؛ والأعلام للزركلي (٣/ ٣٠٧) .

قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ لِيَأْتِينَ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذُو النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى إِذَا (٣) كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عِلَانِيَةً كَانَ (٤) فِي (٥) أُمَّتِي مِنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ مِئَةً (٦) وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِئَةً كُلَّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِئَةً وَاحِدَةً " قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ (٧) وَأَصْحَابِي ﴾ رواه أبو عيسى (٨) الترمذي (٩) وقال: " هذا حديث غريب مفسر (١٠) لا نعرفه (١١) إلا من هذا الوجه (١٢) .

- (١) هو : عبد الله بن يزيد المعافري الحلبي المصري ، أبو عبد الرحمن ، كان صالحا فاضلا ، وثقه ابن معين وابن حبان وابن سعد والعجلي وغيرهم ، بعثه عمر بن عبد العزيز إلى إفريقية ليفقههم ، ومات هناك بباب تونس . انظر : تهذيب التهذيب (٦ / ٨١ ، ٨٢)؛ واللباب في تهذيب الأنساب (١ / ١٩٧) .
- (٢) في (ج د) : ابن عمر ، وهو خطأ من الناسخين .
- (٣) في الترمذي (أ) و(ط) : إن .
- (٤) في الترمذي : لكان ، وفي المستدرک : كان .
- (٥) في المطبوعة : من ، وهو خلاف الترمذي والنسخ الأخرى .
- (٦) مئة : سقطت من (ط) .
- (٧) اليوم : سقطت من (أ ط) ، ولا توجد في نسخة الترمذي التي بين يدي ، تحقيق إبراهيم عطوة عوض ، لكنها موجودة في رواية الحاكم في المستدرک ، وستأتي الإشارة إليها .
- (٨) الترمذي : سقطت من (ب) ، ولعله سهو من الناسخ .
- (٩) هو : محمد بن سورة بن موسى بن الضحاک السلمي ، أبو عيسى ، الترمذي الضرير ، أحد أئمة الحديث في زمانه ، ولد سنة (٢٠٩ هـ) ، كان يضرب به المثل في الحفظ ، شهد له الأئمة المعاصرون له ومن جاء بعده بالإتقان والحفظ وطول الباع في الحديث وعلومه ، وهو صاحب السنن المعروفة بسنن الترمذي (الجامع الصحيح) ، أحد الكتب الستة التي اتفق المسلمون على اعتبارها والرجوع إليها ، توفي عام (٢٧٩ هـ) . راجع : البداية والنهاية (١١ / ٦٦)؛ والأعلام للزركلي (٦ / ٣٢٢) .
- (١٠) في (د) : مقولا ، وهو بعيد . إنما هو " مفسر " ، كما هي في الترمذي .
- (١١) في الترمذي قال : " لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه " أي بزيادة قول : " مثل هذا " .
- (١٢) رواه الترمذي في كتاب الإيمان ، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ، حديث رقم (٢٦٤١) ، (٥ / ٢٥ - ٢٦) . وأخرجه أيضا بهذا اللفظ الحاكم في المستدرک ، كتاب العلم (١ / ١٢٨ - ١٢٩) ، مع اختلاف يسير بالألفاظ ، والسند واحد . وفيه عبد الرحمن بن زياد ضعيف .

وهذا الافتراق مشهور عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة، وسعد<sup>(١)</sup> ومعاوية، وعمرو<sup>(٢)</sup> بن عوف، وغيرهم، وإنما ذكرت حديث<sup>(٣)</sup> ابن عمرو؛ لما فيه من ذكر<sup>(٤)</sup> المشاهدة.

فعن محمد بن عمرو<sup>(٥)</sup> عن أبي سلمة<sup>(٦)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

﴿تفترق اليهود على إحدى وسبعين فرقة، أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك،

وتفترق<sup>(٧)</sup> أمي على ثلاث وسبعين فرقة﴾ . رواه أبو داود<sup>(٨)</sup> وابن ماجه<sup>(٩)</sup> والترمذي

(١) هو الصحابي الجليل : سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري ، من المسلمين الأوائل ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، ومن فرسان الصحابة ، وأول من رمى بسهم في سبيل الله وأحد الستة أهل الشورى الذين عينهم عمر ، ومن كبار قادة الفتح في عهد الخلفاء الراشدين ، وولي الكوفة في عهد عمر ، وكان مجاب الدعوة ، ومن اعتزلوا الفتنة ، توفي سنة (٥٦ هـ) . انظر : الإصابة (٢/ ٣٣ ، ٣٤) ، (ت ٣١٩٤) .

(٢) في (أ) : عمر بن عوف ، والصحيح : عمرو بن عوف .

(٣) حديث : ساقطة من (ط) .

(٤) ذكر : سقطت من المطبوعة .

(٥) هو : محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي ، قال عنه ابن حجر في التقریب : " صدوق ، له أوهام " ، أخرج له الأربعة ، والبخاري مقرونا بغيره ، ومسلم في المتابعات ، توفي سنة (١٤٥ هـ) . انظر : تهذيب التهذيب (٩/ ٣٧٥ - ٣٧٧) ، (ت ٦١٧)؛ وتقریب التهذيب (٢/ ١٩٦) ، (ت ٥٨٣) .

(٦) هو : أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، من الطبقة الأولى من التابعين ، ولد عام (٢٢ هـ) ، وكان أحد فقهاء المدينة وولي قضاءها في عهد معاوية ، ومن الرواة الأثبات الكثيرين للرواية عن الصحابة ، توفي بالمدينة سنة (٩٤ هـ) . انظر : البداية والنهاية (٩/ ١١٦)؛ والطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ١٥٥) .

(٧) في (د) : وتفرقت .

(٨) هو : سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو بن عمر - أو عمران - ، ولد سنة (٢٠٢ هـ) ، وهو أحد أئمة الحديث الحفاظ ، ومن أعلام المسلمين فقها وعلماء وورعا ، ومن أشهر من خدم العلم والسنة وجمع وصنف وذب عنها . ومن أشهر مؤلفاته كتابه السنن أحد الكتب الستة التي اتفق أهل العلم على قبولها وصحتها في الجملة ، وتوفي رحمه الله سنة (٢٩٨ هـ) . انظر : تهذيب التهذيب (٤/ ١٦٩ - ١٧٣) ، (ت ٢٩٨) .

(٩) هو : محمد بن يزيد بن ماجه الربيعي - بالولاء - القزويني ، أبو عبد الله الحافظ ، ولد سنة (٢٠٧ هـ) ، من أئمة الحديث الحفاظ المتقنين والعلماء المحتج بهم ، صاحب السنن المشهورة بسنن ابن ماجه ، وصنف في التفسير والتاريخ ، وتوفي رحمه الله سنة (٢٧٥ هـ) . انظر : البداية والنهاية (١١/ ٥٢)؛ وتهذيب التهذيب (٩/ ٥٣٠ - ٥٣٢) ، (ت ٨٧٠) .

وقال: " هذا حديث <sup>(١)</sup> حسن صحيح " <sup>(٢)</sup> .

وعن معاوية قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ إِنَّ أَهْلَ الْكُتَابَيْنِ افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِئَةً ، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِئَةً - يَعْنِي الْأَهْوَاءَ - كُلِّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وقال: ﴿ إِنَّهُ سَيُخْرِجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامًا تَتَّجَرَى بِهَمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءَ كَمَا يَتَّجَرَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ ، فَلَا يَبْقَى مِنْهُ عَرَقٌ وَلَا مَفْصَلٌ إِلَّا دَخَلَهُ ، وَاللَّهُ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ لَتَنْ لَمْ تَقُومُوا بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ لَعَيْرُكُمْ مِنَ النَّاسِ أُخْرَى أَنْ لَا يَقُومَ بِهِ ﴾ <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup> .

هذا حديث محفوظ من حديث صفوان بن عمرو <sup>(٦)</sup> عن الأزهر بن عبد الله الحرازي <sup>(٧)</sup> <sup>(٨)</sup> عن أبي عامر عبد الله بن لحي <sup>(٩)</sup> عن معاوية. رواه عنه غير واحد، منهم: أبو اليمان <sup>(١)</sup>

(١) هذا الحديث : سقطت من (ب) .

(٢) انظر : سنن أبي داود ، كتاب السنة ، الحديث رقم (٤٥٩٦) ، (٤ / ٥) ؛ وسنن ابن ماجه ، باب افتراق الأمم ، الحديث رقم (٣٩٩١) ، (٢ / ١٣٢١) ؛ وسنن الترمذي ، كتاب الإيمان ، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ، حديث رقم (٢٦٤٠) ، (٥ / ٢٥) ، وقال : " حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح " .

(٣) أبو داود السنة (٤٥٩٧) ، أحمد (٤ / ١٠٢) ، الدارمي السير (٢٥١٨) .

(٤) أبو داود السنة (٤٥٩٧) ، أحمد (٤ / ١٠٢) ، الدارمي السير (٢٥١٨) .

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٤ / ١٠٢) . وأبو داود - مختصرا - في كتاب السنة ، باب شرح السنة ، الحديث رقم (٤٥٩٧) ، (٥ / ٥ ، ٦) . وابن أبي عاصم في كتاب السنة ، ذكر الأهواء المذمومة ، الحديث رقم (١ ، ٢) ، (١ / ٧ ، ٨) ، من طريقين ، ولم يذكر قوله : " والله يا معشر العرب . . " إلخ الحديث . وأخرجه الحاكم في المستدرک (١ / ١٢٨) .

(٦) هو : صفوان بن عمرو بن هرم السكسكي الحمصي ، أبو عمرو ، ثقة ، من الطبقة الخامسة ، أخرج له مسلم وغيره ، توفي سنة (١٥٥ هـ) . انظر : تقريب التهذيب (١ / ٣٦٨) ، (١٠٩) .

(٧) هو : أزهر بن عبد الله الحرازي الحمصي ، صدوق ، متهم بالنصب ، وأخرج له أبو داود والنسائي والترمذي ، يعد من الطبقة الخامسة . انظر : خلاصة التهذيب (ص ٢٥) ، (وتقريب التهذيب (١ / ٥٢) ، (ت ٣٥١) .

(٨) في (ج د) : الحرامي ، وهو تحريف من النسخ .

(٩) في المطبوعة : بن يحيى ، وهو خطأ ، فالصحيح : بن لحي ، كما هو مثبت ، وترجمته : عبد الله بن لحي الهوزني الشامي الحمصي ، أبو عامر ، ثقة ، من الطبقة الثانية من التابعين وانظر : تقريب التهذيب (١ / ٤٤٤) ، (ت ٥٧٣) .

وبقية<sup>(٢)</sup> وأبو المغيرة<sup>(٣)</sup> . رواه أحمد وأبو داود في سننه.

وقد روى ابن ماجه هذا المعنى<sup>(٤)</sup> من حديث صفوان بن عمرو، عن راشد بن سعد<sup>(٥)</sup> عن عوف بن مالك الأشجعي<sup>(٦)</sup> ويروى من وجوه أخرى، فقد أخبر النبي ﷺ بافتراق أمته على ثلاث وسبعين فرقة، واثنان<sup>(٧)</sup> وسبعون؛ لا ريب أنهم الذين خاضوا كخوض الذين من قبلهم.

- 
- (١) هو : الحكم بن نافع البهراني ، الحمصي ، ثقة ، ثبت ، من الطبقة العاشرة توفي سنة (١٢٢ هـ) ، أخرج له الستة انظر : تقريب التهذيب (١ / ١٩٣) ، (ت ٥٠٥) .
- (٢) هو : بقية بن الوليد بن صائد الحميري ، صدوق ، كثير التدليس عن الضعفاء ، مات سنة (١٩٧ هـ) انظر : تقريب التهذيب (١ / ١٠٥) ، (ت ١٠٨) .
- (٣) هو : عبد القدوس بن الحجاج الخولاني ، الحمصي ، ثقة ، من الطبقة التاسعة ، مات سنة (٢١٢ هـ) أخرج له الستة انظر : تهذيب التهذيب (١ / ٥١٥) ، (ت ١٢٧٤) .
- (٤) انظر : سنن ابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب افتراق الأمم ، الحديث رقم (٣٩٩٢) ، (٢ / ١٣٢٢) .
- (٥) هو : راشد بن سعد المقرئ الحميري الحمصي ، ثقة ، كثير الإرسال ، من الطبقة الثالثة ، توفي سنة (١٠٨ هـ) . انظر : تهذيب التهذيب (١ / ٢٤٠) ، (ت ٣) .
- (٦) هو الصحابي الجليل : عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي الغطفاني ، أسلم قبل حنين ، وشهداها ، وشهد الفتح ، وكانت معه راية قومه ، وشهد خيبر ، ثم فتوح الشام ، ونزل حمص ، وتوفيسنة (٧٣ هـ) . انظر : البداية والنهاية (٨ / ٤٤٦)؛ وأسد الغابة (٤ / ١٥٦) .
- (٧) في (أ ط ) : والثنتان .



ثم هذا الاختلاف الذي أخبر به النبي ﷺ إما في الدين فقط، وإما في الدين والدنيا ثم قد يؤول إلى الدماء<sup>(١)</sup> وقد يكون الاختلاف في الدنيا فقط<sup>(٢)</sup>.

وهذا الاختلاف الذي دلت عليه هذه الأحاديث، هو مما نهي<sup>(٣)</sup> عنه في قوله سبحانه:

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا ﴾<sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup>.

وقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَاعًا لَّسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾<sup>(٦)</sup> وقوله: ﴿ وَأَنَّ هَذَا

صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ﴾<sup>(٧)</sup> <sup>(٨)</sup> وهو موافق لما رواه<sup>(٩)</sup> مسلم<sup>(١٠)</sup> في

---

(١) في المطبوعة: إلى الدنيا . والأصح: إلى الدماء ، كما هو في جميع النسخ المخطوطة ، ومعنى أنه قد يؤول إلى الدماء : أنه قد تحدث منه فتن وخصومات يحمل فيها السلاح ، ثم يتقاتل الناس فتسيل الدماء ، وهذا ما حدث فعلا من الخوارج ، والمعتزلة ، والشيعة ، والقرامطة ، والنصيرية ، وأصحاب الاتجاهات والمذاهب المعاصرة من اليساريين ، والقوميين ، والبعثيين ، والاشتراكيين ، ونحوهم ، فهؤلاء يثيرون الفتن ويستحلون الدماء في سبيل تحقيق مبادئهم وأهوائهم وفرضها على الأمة ، والواقع يشهد بذلك .

(٢) الاختلاف في الدنيا فقط كالخصومات على الأموال والعقارات ونحوها التي تقع بين الناس .

(٣) في المطبوعة: نهي الله .

(٤) في المطبوعة: أكمل الآية إلى قوله تعالى (لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

(٥) سورة آل عمران : من الآية ١٠٥ .

(٦) سورة الأنعام : من الآية ١٥٩ .

(٧) في المطبوعة: زاد من الآية قوله تعالى : (فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) .

(٨) سورة الأنعام : من الآية ١٥٣ .

(٩) في (أ ب ط) : لما روى .

(١٠) هو : الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ، النيسابوري ، ولد عام (٢٠٤ هـ) ، وقيل : (٢٠٦ هـ) ، أحد الأئمة الحفاظ الأعلام ، صاحب الصحيح المشهور بصحيح مسلم ، ثاني كتب السنة بعد صحيح البخاري ، كما أن له مصنفات أخرى في الحديث وعلومه ، وكان رحمه الله عالما تقيا ورعا ، مجمعا على إمامته وفضله ، توفي سنة (٢٦١ هـ) .  
انظر : البداية والهداية (١١/٣٣ ، ٣٤) . وانظر : الترجمة التي كتبها محمد فؤاد عبد الباقي في صحيح مسلم (٥/٥٩١) .



صحيحه، عن عامر بن سعد <sup>(١)</sup> بن أبي وقاص عن أبيه <sup>(٢)</sup> ﴿ أنه أقبل مع رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه، من العالية <sup>(٣)</sup> حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فرقع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا، ثم انصرف إلينا فقال: " سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة: <sup>(٤)</sup> سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة <sup>(٥)</sup> فأعطانيها وسألت ربي أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها <sup>(٦)</sup> .

وروى <sup>(٧)</sup> أيضا في صحيحه عن ثوبان <sup>(٨)</sup> قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقتها ومغارها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى <sup>(٩)</sup> لي منها، وأعطيت الكثرين: الأحمر والأبيض <sup>(١٠)</sup> وإني سألت ربي لأمتي: أن لا يهلكها بسنة <sup>(١)</sup> بعامة، وأن

(١) هو : عامر بن سعد بن أبي وقاص الليثي ، تابعي ، جليل ، ثقة ، كثير الحديث ، سمع عن بعض الصحابة ، وسمع عنه سعيد بن المسيب ، ومجاهد ، والزهري ، وأشعث بن إسحاق ، وغيرهم ، توفي بالمدينة عام (١٠٤ هـ) . انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد (١٦٧ / ٥)؛ والجرح والتعديل (٦ / ٣٢١) .

(٢) في (ب) : رضي الله عنه .

(٣) العالية : ما كان من جهة نجد من المدينة . انظر : معجم البلدان لياقوت (٧١ / ٥) ، حرف العين .

(٤) في المطبوعة : وسألت ، وهو خلاف ما في مسلم والنسخ الأخرى .

(٥) السنة : الجذب والقحط الذي يعم . انظر : القاموس المحيط ، فصل السين باب الهاء ، (٤ / ٢٨٧ ، ٢٨٨) .

(٦) الحديث في صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ، حديث رقم (٢٨٩٠) ، (٤ / ٢٢١٦) .

(٧) أي : مسلم .

(٨) هو مولى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ثوبان بن بجدد ، ويقال : ابن جحدر ، من اليمن ، أصابه سبي في الجاهلية ، فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وأعتقه وخيره بين قومه والبقاء عنده ، فأقام على ولاء الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ولم يفارقه أبدا حضرا ولا سفرا ، وشهد فتح مصر بعد ذلك ، ثم نزل حمص ، وابتنى بها دارا ، فأقام بها حتى مات ، وقيل : إنه مات بمصر ، وذلك سنة (٥٤ هـ) رضي الله عنه . انظر : البداية والنهاية لابن كثير (٥ / ٣١٤) .

(٩) في المطبوعة : ما روى منها - بالراء المهملة - وبسقوط كلمة لي ، وفي صحيح مسلم والنسخ الأخرى كما أثبتته .

(١٠) الكثران الأحمر والأبيض هما : الذهب والفضة ، وفي ذلك إشارة على ملكي كسرى وقیصر ، لأنهما اشتملا على الذهب والفضة ، كما فيه إشارة إلى الشام وتوابعها ، والعراق وتوابعها ، وفي ذلك معجزة كبرى تحققت من معجزات الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم<sup>(٢)</sup> وإن ربي قال: يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن<sup>(٣)</sup> لا أهلكهم بسنة بعامة<sup>(٤)</sup> وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى<sup>(٥)</sup> أنفسهم، فيستبيح<sup>(٦)</sup> بيضتهم، ولو اجتمع عليهم<sup>(٧)</sup> من بأقطارها - أو قال: من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي<sup>(٨)</sup> بعضهم بعضا<sup>(٩)</sup>.

ورواه البرقاني<sup>(١٠)</sup> في صحيحه وزاد: ﴿وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى يعبد<sup>(١١)</sup> فنام<sup>(١٢)</sup> من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال<sup>(١٣)</sup> طائفة من أمتي

(١) بسنة ساقطة من (ط) .

(٢) بيضتهم : أي أصلهم ، وحوزتهم ، وعزهم ، ومنعتهم ، و(ط) قال : بيضتهم ، السنة ، وهي زيادة . انظر : مختار الصحاح ، مادة (ب ي ض) ، (ص ٧١) .

(٣) في (ب) : أي .

(٤) في (أ) : عامّة ، ومعنى بعامة : أي جميعها .

(٥) في (أ) : عدوي سوى .

(٦) في (ج ط) : يستبيح ، بدون الفاء .

(٧) في (ج د) : عليه .

(٨) في (ب) : ويستبي .

(٩) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ، حديث رقم (٢٨٨٩) ، (٤/٢٢١٥) .

(١٠) البرقاني ، هو الحافظ أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب البرقاني أبو بكر ، ولد سنة (٣٣٣ هـ) ، ورحل في طلب العلم ، وجمع الكتب ، كان عالما بالقرآن ، والحديث والفقه والنحو ، وله مصنفات في الحديث حسنة ، توفي رحمه الله سنة (٤٢٥ هـ) . انظر : البداية والنهاية (١٢/٣٦)؛ واللباب في تهذيب الأنساب (١/١٤٠)

(١١) في (أ ب ج د ط) : تعبد .

(١٢) الفئام : الجماعات من الناس .

(١٣) في (أ) : يزال .

على الحق منصوراً لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى ﴿ (١) .

وهذا المعنى محفوظ عن النبي ﷺ من غير وجه، يشير إلى أن التفرقة والاختلاف لا بد من وقوعهما (٢) في الأمة، وكان يحذر أمته (٣) ؛ لينجو منه (٤) من شاء الله له السلامة، كما روى التزالي بن سيرة (٥) عن عبد الله بن مسعود قال: ﴿ سمعت رجلاً قرأ آية سمعت النبي ﷺ يقرأ خلافها، فأخذت بيده، فانطلقت به إلى النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فعرفت في وجهه الكراهية، وقال: " كلاكما محسن، ولا تختلفوا؛ فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا ﴾ (٦) رواه مسلم (٧) .

نهى النبي ﷺ (٨) عن الاختلاف الذي فيه جحد (٩) كل واحد من المختلفين ما مع

(١) حديث ثوبان هذا - مع الزيادة التي ذكرها المؤلف - رواه بتمامه أبو داود في سننه ، كتاب الفتن والملاحم ، باب ذكر الفتن ودلائلها ، حديث رقم (٤٢٥٢) ، (٤ / ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢) . ورواه الترمذي في مواضع من كتاب الفتن مجزئاً ، حديث رقم (٢٢٠٢) ، ولم يسم الباب ، ورقم (٢٢١٩) ، باب ما جاء : لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون (٤ / ٤٩٠) و (٤٩٩) ، وقال فيهما الترمذي : " حديث حسن صحيح " كلا الحديثين . كما رواه ابن ماجه في سننه - مع اختلاف يسير في ألفاظ الحديث - ، كتاب الفتن ، باب ما يكون من الفتن ، حديث رقم (٣٩٥٢) ، (٢ / ١٣٠٤) .

(٢) في (أ ب ط) : وقوعها .

(٣) في (أ ب ج د) : منه .

(٤) في المطبوعة : وكان يحذر أمته منه لينجو من الوقوع فيه من شاء الله .

(٥) هو : التزالي بن سيرة الهلالي العامري ، معدود في كبار التابعين وفضلائهم ، وقيل بأنه رأى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، روى عن علي وعبد الله بن مسعود وغيرهما ، وروى عنه الشعبي والضحاك وغيرهما ، قال عنه يحيى بن معين وغيره : ثقة . انظر : كتاب الجرح والتعديل (٧ / ٤٩٨) ، ترجمة رقم (٢٢٧٩)؛ وأسد الغابة (٥ / ٤٥) .

(٦) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٨٩) ، أحمد (٤٠٥/١) .

(٧) الحديث لم أجده في مسلم ، إنما وجدته في البخاري ومسنده أحمد . انظر : صحيح البخاري ، كتاب الخصومات ، باب ما يذكر في الأشخاص ، والخصومة بين المسلم واليهود ، في فتح الباري ، حديث رقم (٢٤١٠) (٥ / ٧٠) ، وقد أخرجه البخاري في أكثر من موضع ، وأطرافه : (٣٤٧٦ ، ٥٠٦٢) من فتح الباري؛ ومسنده أحمد (١ / ٤١٢ ، ٤٥٦) .

(٨) في (أ ط) : نهى صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(٩) في (ط) : حجة .

الآخر من الحق؛ لأن كلا القارئين كان محسنا فيما قرأه، وعلل ذلك: بأن من كان قبلنا  
اختلفوا فهلكوا.

ولهذا قال حذيفة لعثمان <sup>(١)</sup> " أدرك هذه الأمة، لا تختلف في الكتاب كما اختلف <sup>(٢)</sup>  
فيه الأمم <sup>(٣)</sup> قبلهم " <sup>(٤)</sup> لما رأى أهل الشام والعراق <sup>(٥)</sup> يختلفون في حروف القرآن،  
الاختلاف الذي نهى عنه النبي <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup> ﷺ .

فأفاد ذلك بشيئين: : تحريم الاختلاف في مثل هذا.

: الاعتبار بمن كان قبلنا، والحذر من مشابهمهم.

واعلم أن أكثر الاختلاف بين الأمة الذي يورث الأهواء؛ تجده من هذا الضرب،  
وهو: أن يكون كل واحد من المختلفين مصيبا فيما يثبتته، أو في بعضه مخطئا في نفي ما  
عليه الآخر، كما أن القارئين كل منهما كان مصيبا في القراءة بالحرف الذي علمه، مخطئا

---

(١) هو الخليفة الثالث من الخلفاء الراشدين : عثمان بن عفان بن أبي العاص القرشي ، أسلم قديما بمكة ، وهاجر  
إلى الحبشة المهجرتين ، وقد تزوج رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهاجرت معه المهجرتين  
للحبشة ، ولما ماتت تزوج بعدها أم كلثوم أختها ، فسمي بذي النورين ، وهاجر إلى المدينة بعد قدومه من  
الحبشة ، واشتغل بتمريض رقية عن شهود بدر ، فأسهم له رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فعده  
من أهل بدر ، وشهد أحدا ، وسائر المشاهد ، وبايع عنه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم الحديبية  
، فكان من أهل الشجرة ، وجهاز جيش العسرة من ماله ، وجاء بألف دينار حينئذ وضعها في حجر رسول الله  
صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : " ما ضر عثمان ما فعل بعد هذا اليوم " .  
وعده رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من العشرة المبشرين بالجنة ، وقد اشتهر بالحياء والكرم ،  
ووردت في فضله أحاديث كثيرة ، اختاره أهل الشورى للخلافة بعد عمر ، ثم قتل مظلوما عام (٣٥ للهجرة) .  
انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد (٣ / ٥٣ - ٨٤)؛ والبداية والنهاية (٧ / ١٩٩ - ٢٢٣) .

(٢) في المطبوعة : اختلفت .

(٣) في (أ) : الأمة قبلهم . وفي (ط) : الأمم من قبلهم .

(٤) رواه البخاري ، ولفظه : " أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى " أخرجه البخاري في  
كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن ، الحديث رقم (٤٩٨٧) من فتح الباري (٨ / ١١) .

(٥) في المطبوعة : وأهل العراق .

(٦) في المطبوعة : رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(٧) في (أ ط) : نهى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عنه .

في نفي حرف غيره؛ فإن أكثر الجهل إنما يقع في النفي الذي هو الجحود والتكذيب، لا في الإثبات، لأن إحاطة الإنسان بما يثبته أيسر من إحاطته بما ينفيه ولهذا نهيت هذه (١) الأمة أن تضرب آيات الله بعضها ببعض؛ لأن مضمون الضرب: الإيمان بإحدى الآيتين والكفر بالأخرى - إذا اعتقد أن بينهما تضادا - إذ الضدان لا يجتمعان.

ومثل ذلك: ما رواه مسلم - أيضا - عن عبد الله بن رباح الأنصاري (٢) أن عبد الله بن عمرو (٣) قال: ﴿ هجرت (٤) إلى رسول الله ﷺ يوما، فسمع (٥) أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الغضب، فقال: " إنما هلك من كان قبلكم من الأمم (٦) باختلافهم في الكتاب (٧) .

فعلل غضبه ﷺ (٨) بأن الاختلاف في الكتاب سبب (٩) هلاك من كان قبلنا، وذلك يوجب مجانبة طريقهم في هذا عينا، وفي غيره نوعا (١٠) .  
والاختلاف على ما ذكره الله في القرآن قسمان:

(١) في (أ ط) سقطت : هذه .

(٢) هو : أبو خالد ، عبد الله بن رباح الأنصاري المدني ، سكن البصرة ، وثقة العجلي وابن سعد والنسائي وغيرهم توفي في حدود سنة (٩٠ هـ) . انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد (٧ / ٢١٢)؛ وتهذيب التهذيب (٥ / ٢٠٧ ، (ت ٣٥٧) .

(٣) في (ج د) : ابن عمر . وهو خطأ فالصحيح : ابن عمرو .

(٤) أي ذهب في الهجرة ، وهي نصف النهار عند اشتداد الحر . مختار الصحاح ، مادة (هـ ج ر) ، (٦٩٠) .

(٥) في المطبوعة : فسمعت . لكنه في مسلم (فسمع) كالنسخ الأخرى .

(٦) من الأمم : ساقطة من (أ ط) . ولعله سهو من الناسخين .

(٧) رواه مسلم في كتاب العلم ، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن ، الحديث رقم (٢٦٦٦) ، (٤ / ٢٠٥٣) .

(٨) في (أ ج د ط) : أسقط (صلى الله عليه وسلم) .

(٩) في المطبوعة : هو كان سبب هلاك من قبلنا .

(١٠) يعني : أنه تجب مجانبة طريقهم في الاختلاف في الكتاب نصا وتعيينا ، وغيره تجب مجانبتهم فيه لعموم النهي في نصوص أخرى ولاندرج قاعدة القياس في النهي عما لم يرد فيه نص ، مع العلم أنه وردت نصوص في عموم النهي ، ونصوص خصصت أشياء ، وقد فصلها المؤلف من خلال هذا الكتاب كله ، بل هي مدار البحث .

: يذم <sup>(١)</sup> الطائفتين جميعا، كما في قوله: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ <sup>(١١٤)</sup> إِلَّا مَنْ

رَحِمَ رَبُّكَ <sup>(٢)</sup> ﴿ فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف، وكذلك قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ

بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ <sup>(٣)</sup> وكذلك

قوله: ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ <sup>(٤)</sup> ﴿

وقوله: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ <sup>(٥)</sup> ﴿ وقوله:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِيَنَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ <sup>(٦)</sup> .

وكذلك وصف <sup>(٧)</sup> اختلاف النصارى بقوله: ﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى

يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ <sup>(٨)</sup> ﴿ .

ووصف <sup>(٩)</sup> اختلاف اليهود بقوله: ﴿ وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ <sup>(١٠)</sup> ﴿ وقال: ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ

بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ <sup>(١١)</sup> ﴿ .

(١) في المطبوعة : أنه يذم .

(٢) سورة هود : من الآيتين ١١٨ ، ١١٩ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٧٦ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٩ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ١٠٥ .

(٦) سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .

(٧) في (ط) : خلط الناسخ بين هذه الآية ١٤ من سورة المائدة والتي بعدها من سورة المائدة : الآية ٦٤ .

(٨) سورة المائدة : الآية ١٤ .

(٩) ووصف : سقطت من (أ) .

(١٠) سورة المائدة : الآية ٦٤ .

(١١) سورة المؤمنون : الآية ٥٣ .

وكذلك النبي ﷺ لما وصف أن الأمة تفترق<sup>(١)</sup> على ثلاث وسبعين فرقة؛ قال:  
﴿كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة﴾<sup>(٢)</sup> (٣) وفي الرواية الأخرى: ﴿من كان  
على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي﴾<sup>(٤)</sup> (٥).

فبين: أن عامة المختلفين هالكون من الجانبين، إلا فرقة واحدة، وهم أهل السنة  
والجماعة.

وهذا الاختلاف المذموم من الطرفين يكون سببه تارة: فساد النية؛ لما في النفوس من  
البغي والحسد وإرادة العلو في الأرض<sup>(٦)</sup> ونحو ذلك، فيجب<sup>(٧)</sup> لذلك ذم قول غيرها، أو  
فعله، أو غلبته ليميز<sup>(٨)</sup> عليه، أو يجب قول من يوافقه في نسب أو مذهب<sup>(٩)</sup> أو بلد أو  
صداقة، ونحو ذلك، لما في قيام قوله من حصول الشرف والرئاسة<sup>(١٠)</sup> وما أكثر هذا من  
بني آدم، وهذا ظلم.

ويكون سببه - تارة -<sup>(١١)</sup> جهل المختلفين بحقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه، أو الجهل

(١) في (ب) والمطبوعة: ستفترق .

(٢) ابن ماجه الفتن (٣٩٩٣) ، أحمد (١٤٥/٣) .

(٣) سبقت الإشارة إلى الحديث ، ولزيد الفائدة راجع ما ذكره الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في سلسلة  
الأحاديث الصحيحة (ج ١) ، حديث رقم (٢٠٤) حول الحديث ، خاصة قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم  
: " كلها في النار . . الخ . والرواية الأخرى التي أشار إليها المؤلف كما أخرج الحاكم هذا الحديث في  
المستدرک (١ / ١٢٨ - ١٢٩) من طرق يعضد بعضها بعضا . وقال الحاكم : " هذه أسانيد تقام بها الحجة في  
تصحيح الحديث " (١ / ١٢٨) .

(٤) الترمذي الإيمان (٢٦٤١) .

(٥) نفس التعليق السابق .

(٦) في المطبوعة زيادة : بالفساد .

(٧) في المطبوعة : فيجب لذلك ذم قول غيره . . الخ .

(٨) في المطبوعة : ليميز .

(٩) أو مذهب : ساقطة من (أ ط) .

(١٠) في المطبوعة : في حصول الشرف والرئاسة له .

(١١) في المطبوعة : تارة أخرى .

---

بالدليل الذي يرشد به أحدهما الآخر، أو جهل<sup>(١)</sup> أحدهما بما مع الآخر من الحق: في الحكم، أو في الدليل، وإن كان عالماً بما مع نفسه من الحق حكماً ودليلاً.

والجهل والظلم: هما أصل كل شر، كما قال سبحانه: ﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ

ظُلُومًا جَهُولًا ﴾ (٢) (٣) .

---

(١) في (ج د) : وجهل .

(٢) سورة الأحزاب آية : ٧٢ .

(٣) سورة الأحزاب : الآية ٧٢ .



أما أنواعه: فهو <sup>(١)</sup> في الأصل قسمان: اختلاف تنوع <sup>(٢)</sup> واختلاف تضاد.

على وجوه: منه: ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقا

مشروعا، كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة، حتى زجرهم رسول الله ﷺ <sup>(٣)</sup>

وقال: ﴿كلاكما محسن﴾ <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup>.

ومثله اختلاف الأنواع في صفة الأذان، والإقامة، والاستفتاح، والتشهدات، وصلاة الخوف، وتكبيرات العيد، وتكبيرات الجنائز <sup>(٦)</sup> إلى غير ذلك مما قد <sup>(٧)</sup> شرع <sup>(٨)</sup> جميعه، وإن كان قد يقال إن بعض أنواعه أفضل.

ثم نجد لكثير من الأمة في ذلك من الاختلاف؛ ما أوجب اقتتال طوائف منهم <sup>(٩)</sup> على شفع الإقامة وإيثارها، ونحو ذلك، وهذا عين المحرم ومن لم يبلغ هذا المبلغ؛ فتجد كثيرا منهم في قلبه من <sup>(١٠)</sup> الهوى لأحد <sup>(١١)</sup> هذه الأنواع والإعراض عن الآخر <sup>(١٢)</sup> أو النهي عنه، ما دخل <sup>(١٣)</sup> به فيما نهي عنه النبي ﷺ.

(١) في المطبوعة: أما أنواع الاختلاف فهي في الأصل قسمان .

(٢) في (أ ط) بنوع . وفي (ج د) : نوع .

(٣) في المطبوعة: حتى زجرهم رسول الله عن الاختلاف .

(٤) البخاري الخصومات (٢٢٧٩) ، أحمد (٤٠٥/١) .

(٥) سبقت الإشارة إلى الحديث ، وهو في البخاري رقم (٢٤١٠) من فتح الباري .

(٦) (أ ب ط) : الجنائز .

(٧) قد : سقطت من (ج د) .

(٨) في (أ) : شرح .

(٩) في المطبوعة زاد : كاختلافهم .

(١٠) من : سقطت من (أ) .

(١١) في (ط) لأجل .

(١٢) في (د ج ط) : الأخرى .

(١٣) في (ط) : فأدخل .

ومنه: ما يكون كل من القولين هو في (١) معنى قول الآخر؛ لكن العبارتان مختلفتان، كما قد يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود (٢) وصيغ (٣) الأدلة، والتعبير عن المسميات، وتقسيم الأحكام، وغير ذلك ثم الجهل أو الظلم (٤) يحمل على حمد (٥) إحدى المقالتين وذم الأخرى.

ومنه ما يكون المعنيان غيرين (٦) لكن لا يتنافيان؛ فهذا قول صحيح، وهذا (٧) قول صحيح (٨) وإن لم يكن معنى أحدهما هو معنى الآخر، وهذا كثير في المنازعات جدا (٩).  
ومنه ما يكون طريقتان مشروعتان، ورجل (١٠) أو قوم قد سلكوا هذه الطريق، وآخرون قد سلكوا الأخرى، وكلاهما حسن في الدين.

ثم الجهل أو الظلم: يحمل على ذم (١١) إحداهما (١٢) أو تفضيلها بلا قصد صالح، أو بلا علم، أو بلا نية وبلا علم (١٣).

(١) في (ب): في المعنى . وفي المطبوعة زاد : في الواقع .

(٢) في المطبوعة زاد : والتعريفات .

(٣) في (أ ب ط) : وصوغ .

(٤) في المطبوعة زاد : هو الذي .

(٥) في (ب ط) : حمل . وهو بعيد .

(٦) غيرين . أي : متغايرين .

(٧) في المطبوعة : وذلك .

(٨) قوله : وهذا قول صحيح : سقط من (ب ج د ط) .

(٩) وذلك مثل اختلاف الصحابة في تأويل قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : " لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة " ، فإن بعض الصحابة فهم منها أنه لا بد أن تكون صلاة العصر في بني قريظة ولو خرج منها أنها لا بد أن تكون صلاة العصر في بني قريظة ولو خرج وقتها ، فلم يصلها إلا وقت العشاء ، وآخرون فهموا من الأمر وجوب التوجه إلى بني قريظة ، وصلوها في وقتها قبل وصولهم بني قريظة؛ لأنهم لم يستطيعوا الوصول قبل فوات الوقت ، وكلا الفريقين أصاب في اجتهاده وعمله وسيأتي كلام المؤلف عن هذا .

(١٠) في المطبوعة : ولكن قد سلك رجل أو قوم هذه الطريقة . . إلخ .

(١١) في (أ) : عدم .

(١٢) في المطبوعة : أحدهما ، أو تفضيله .

(١٣) في المطبوعة : وبلا علم . ساقطة .

وأما اختلاف التضاد فهو: القولان المتنافيان: إما في الأصول وإما في الفروع، عند الجمهور الذين يقولون: "المصيب واحد"، وإلا فمن قال: "كل مجتهد مصيب" فعنده: هو<sup>(١)</sup> من باب اختلاف التنوع، لا اختلاف التضاد فهذا الخطب فيه أشد؛ لأن القولين يتنافيان؛ لكن نجد كثيرا من هؤلاء قد يكون القول الباطل الذي مع منازعه فيه<sup>(٢)</sup> حق ما، أو معه دليل يقتضي حقا ما، فيرد الحق في الأصل هذا<sup>(٣)</sup> كله، حتى يبقى هذا مبطلا في البعض<sup>(٤)</sup> كما كان الأول مبطلا في الأصل<sup>(٥)</sup> كما رأيت لكثير من أهل السنة في مسائل القدر والصفات والصحابة، وغيرهم.

وأما أهل البدعة: فالأمر فيهم ظاهر<sup>(٦)</sup> وكما<sup>(٧)</sup> رأيت لكثير من الفقهاء، أو لأكثر المتأخرين في مسائل الفقه، وكذلك<sup>(٨)</sup> رأيت الاختلاف كثيرا بين بعض المتفقهة، وبعض المتصوفة، وبين فرق<sup>(٩)</sup> المتصوفة، ونظائره كثيرة.

ومن جعل الله له هداية ونورا رأى من هذا ما يتبين له<sup>(١٠)</sup> به منفعة ما جاء في الكتاب والسنة: من النهي عن هذا وأشباهه، وإن كانت القلوب الصحيحة تنكر هذا<sup>(١١)</sup>

(١) هو : ساقطة من (ط) .

(٢) فيه : ساقطة من (أ) .

(٣) في المطبوعة : في هذا الأصل كله . تقدم وتأخير ، وهو تفسير للعبارة تصير به أوضح ، لكن النسخ المخطوطة كلها على ما أثبتته .

(٤) أي في بعض أقواله وحججه ومنازعاته ، وإن كان في الأصل الحق معه ، كبعض أهل السنة .

(٥) أي أن أصل قوله وحججه ومنازعاته قائمة على الخطأ لكن قد يكون معه شيء من الحق ينبغي الاعتراف له به مع أصل الخاطئ كأهل البدع .

(٦) أي أن أهل البدع ظاهر بطلان قولهم ونزاعهم؛ لقيام الحجة عليهم بالكتاب والسنة ، وليس معهم من الحق ما يلزم الخصم بالاعتراف لهم بالحق .

(٧) في (ب) : ولذلك . وفي المطبوعة : وكذلك رأيت منه كثيرا .

(٨) في (ب) : وكذلك رأيت لا اختلاف . وهو خلط من الناسخ .

(٩) قوله : وبين فرق المتصوفة . ساقطة في (د) .

(١٠) له : سقطت من (أ ب ط) .

(١١) أي رد الحق الذي مع الخصم عند الاختلاف والخصومة ، أو أنها تنكر الاختلاف ابتداء .

ابتداء، لكن نور على نور (١) .

وهذا القسم - الذي سميناها: اختلاف التنوع - كل واحد من المختلفين مصيب فيه بلا تردد، لكن الدم واقع على من بغى على الآخر فيه، وقد دل القرآن على حمد كل واحد من الطائفتين في مثل ذلك (٢) إذا لم يحصل (٣) بغى كما في قوله: ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّيَنَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (٤) .

وقد كانوا (٥) اختلفوا في قطع الأشجار فقطع قوم وترك آخرون.

وكما في قوله: ﴿ وَذَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ

وَكَانَا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۗ ﴾ (٦)

فخص سليمان بالفهم وأثنى عليهما بالعلم والحكم.

وكما في إقرار النبي ﷺ - يوم بني قريظة (٧) - (١) لمن صلى العصر في وقتها، ولن

(١) في المطبوعة زاد: ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور . وهي زيادة ليست في المخطوطات .

(٢) في المطبوعة: هذا .

(٣) في المطبوعة زاد: من إحداهما .

(٤) سورة الحشر: من الآية ٥ .

(٥) في المطبوعة: زيادة وتغيير في العبارة حيث قال: وقد كان الصحابة في حصار بني النضير اختلفوا في قطع الأشجار والنخيل .

(٦) سورة الأنبياء: الآيتان ٧٨ ، ٧٩ .

(٧) بنو قريظة هم: حي من اليهود نزل قبل الإسلام حول المدينة، وهم حلفاء الأوس ولهم مزارع وقصور وحصون قرب المدينة . كانوا قد وادعهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على أن لا يجاربوا ولا يمالقوا عليه عدوه، لكنهم نقضوا عهدهم يوم الأحزاب مع الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم وظاهره الأحزاب من مشركي قريش وغطفان، فلما أفضل الله الأحزاب وأذهب رجهم جاء جبريل عليه السلام بالأمر من الله بأن يتوجه الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه إلى بني قريظة قبل أن يضعوا أسلحتهم، فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: " لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة " فحاصرهم الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم بأن: " تقتل مقاتلتهم، وتسي ذراريهم "، فقال له رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: " قضيت بحكم الله " . انظر القصة بطولها في: السيرة النبوية لابن كثير (٣/ ٢٢٣-٢٤٣) . وانظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع

آخرها إلى أن وصل إلى بني قريظة (٢) .

وكما في قوله ﷺ ﴿ إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ ﴾ (٣) فله

أجر ﴿ (٤) .. ونظائره كثيرة.

وإذا جعلت هذا (٥) قسماً آخر صار الاختلاف ثلاثة أقسام (٦) .

وأما القسم الثاني من الاختلاف المذكور في كتاب الله: فهو ما حمد فيه إحدى

الطائفتين، وهم المؤمنون، وذم فيه الأخرى (٧) كما في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا

بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ (٨) إلى قوله: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا آفَتَتَلَّ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا

---

النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم . في فتح الباري (٧/ ٤٠٧ - ٤١٦) .

(١) في المطبوعة زاد: وقد كان أمر المنادي ينادي: " لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة " وهذه الزيادة لا توجد في النسخ الأخرى .  
(٢) وذلك إشارة للحديث المتفق عليه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو قوله: " لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة " ، فبعض الصحابة صلى في الطريق الصلاة في وقتها ، وآخرون أخروها حتى وصلوا إلى بني قريظة بعد فوات وقت العصر ، فأقرهم الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم جميعاً . وفي مسلم (الظهر) بدل العصر . انظر : البخاري ، كتاب الخوف ، باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء ، في فتح الباري حديث رقم (٩٤٦) ، (٢/ ٤٣٦) ، وطرف الحديث رقم (٤١١٩) ، وصحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب المبادرة بالغزو حديث رقم (١٧٧٠) ، (٣/ ١٣٩١) .

(٣) في المطبوعة : قال : ولم يصب . بدل : فأخطأ .

(٤) جاء هذا الحديث متفقاً عليه بلفظ : " إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر " . انظر : صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام ، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ، الحديث رقم (٧٣٥٢) في فتح الباري (١٣/ ٣١٨) . وصحيح مسلم ، كتاب الأفضية ، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ، الحديث رقم (١٧١٦) ، (٣/ ١٣٤٢) .

(٥) الإشارة إلى الاختلاف التنوع الذي يكون كل واحد من المختلفين فيه مصيباً .

(٦) وهذه الأقسام الثلاثة كما بينها المؤلف تكون هي : (أ) ما يذم فيه كلا الطائفتين المتنازعتين ، وهو من اختلاف التنوع ، وهو القسم الأول . (ب) ما يذم فيه إحدى الطائفتين المتنازعتين ، وتحمد الأخرى ، وهو من اختلاف التضاد ، وهو القسم الثاني . (ج) ما يحمد فيه كلا الطائفتين المتنازعتين ، ويكون هو القسم الثالث .

(٧) وذم فيه الأخرى : ساقطة من (ب) .

(٨) في المطبوعة : سرد الآية .

جَاءَتْهُمْ الْيَبِئْتُ وَلَكِنْ اٰخْتَلَفُوْا فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا اٰقْتَتَلُوْا ﴿١﴾ .

فقوله: ﴿ وَلَكِنْ اٰخْتَلَفُوْا فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ ﴾ (٢) حمد لإحدى الطائفتين

- وهم المؤمنون - وذم للآخري، وكذلك قوله: ﴿ هٰذَانِ حَصْمَانِ اٰخْتَصَمُوْا فِي رَبِّهِمْ <sup>ط</sup>

فَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ ﴾ (٣) إلى قوله (٤) ﴿ اِنَّ اللّٰهَ يُدْخِلُ الَّذِيْنَ

ءَامَنُوْا وَعَمِلُوْا الصّٰلِحٰتِ ﴾ (٥) مع ما ثبت في الصحيح عن أبي ذر رضي الله عنه " أنها نزلت في

المقتلتين (٦) يوم بدر: علي (٧) وحمزة (٨) وعبيدة (٩) والذين بارزوه من قريش وهم:

(١) سورة البقرة : الآية ٢٥٣ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٣ .

(٣) سورة الحج آية : ١٩ .

(٤) في المطبوعة : سرد الآيات .

(٥) سورة الحج : من الآيات ١٩ - ٢٣ .

(٦) في (ب) : المقاتلين . أو المقتلين .

(٧) هو الصحابي الجليل : علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي ، أبو الحسن ، رابع الخلفاء الراشدين ، وابن عم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأول من أسلم بعد خديجة ، وقيل : بعدها وبعد أبي بكر وهو صبي ، زوجه الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ابنته فاطمة ، واستخلفه في فراشه يوم الهجرة على ودائع الناس ، وحضر سائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأبلى في الحرب والجهاد والمبارزة ، وفتح الله على يديه خيبر ، بويع بالخلافة بعد عثمان حتى قتله عبد الرحمن بن ملجم سنة (٤٠ هـ) ، وكان أفضى الصحابة ومن أعلمهم رضي الله عنه . انظر : البداية والنهاية (٧ / ٣٢٤ - ٣٦٢) ، وطبقات ابن سعد (٣ / ١٩ - ٤٠) .

(٨) هو الصحابي الجليل : عم رسول الله ، وأخوه من الرضاعة : حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ، أسلم في السنة الثانية من البعثة فقوي جانب المسلمين لأن حمزة من أعز قريش وأقواها شكيمة ، وهاجر وشهد بدرا وأحدا وفيها قتل سنة (٣ هـ) ، وكان يسمى أسد الله وأسود رسوله . انظر : (٢ / ٤٦ - ٥٠)؛ وطبقات ابن سعد (٣ / ٨) .

(٩) هو الصحابي الجليل : عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشي ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، أسلم مبكرا في مكة ، ثم هاجر إلى المدينة ، وكان له منزلة عالية عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وعقد له أول لواء للمهاجرين ، وشهد بدرا وبارز فيها عتبة من المشركين ، فاختلفا ضربتين فتوفي على إثرها رضي الله عنه . انظر أسد الغابة (٢ / ٣٥٦ ، ٣٥٧) .

عتبة وشيبة والوليد <sup>(١)</sup> .

وأكثر الاختلاف الذي يؤول إلى الأهواء بين الأمة من القسم الأول <sup>(٢)</sup> وكذلك آل إلى سفك الدماء، واستباحة الأموال، والعداوة والبغضاء؛ لأن <sup>(٣)</sup> إحدى الطائفتين لا تعترف للأخرى بما معها من الحق ولا تنصفها بل تزيد على ما مع نفسها <sup>(٤)</sup> من الحق زيادات من الباطل والأخرى كذلك.

وكذلك <sup>(٥)</sup> جعل الله مصدره <sup>(٦)</sup> البغي في قوله: ﴿ وَمَا اِخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ

بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ <sup>(٧)</sup> ﴾ لأن البغي: مجاوزة الحد.

وذكر هذا في غير موضع من القرآن ليكون عبرة لهذه الأمة.

وقريب من هذا الباب: ما خرجاه في الصحيحين عن أبي الزناد <sup>(٨)</sup> عن الأعرج <sup>(٩)</sup> عن

أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ ذُرُوبِي <sup>(١٠)</sup> مَا تَرَكْتُمْ فَإِنَّمَا هَلِكُ <sup>(١١)</sup> مِنْ كَانَ

(١) عتبة وشيبة هما ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشيان ، كان من عتاة المشركين وأشدهم على رسول الله وعلى المؤمنين حربا وإيذاء ، فكانا ممن دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأعيانهم . أما الوليد فهو ابن عتبة بن ربيعة المذكور ، وكان أيضا من عتاة قريش في مكة . انظر : البداية والنهاية (٣ / ٢٧٣)

(٢) وهو ما يذم فيه كلا الطائفتين المتنازعتين .

(٣) في (ج) : لا أن ، وهو خطأ .

(٤) في (ب ج) : أنفسها .

(٥) في (ب) : ولهذا .

(٦) في المطبوعة : مصدر الاختلاف البغي .

(٧) سورة البقرة : من الآية ٢١٣ .

(٨) هو : عبد الله بن ذكوان الأموي - بالولاء - من أئمة السلف ، قال أحمد : ثقة ، أمير المؤمنين - يعني في

الحديث - وقال البخاري : أصح الأسانيد : أبو الزناد عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، توفي سنة (١٣٠ هـ) .

انظر خلاصة التذهيب (١٩٦)؛ والجرح والتعديل (٥ / ٤٩ ، ٥٠) ، (ت ٢٢٧) .

(٩) هو : عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، أبو داود ، المدني ، مولى ربيعة بن الحارث ، عالم ثقة ثبت ، من الطبقة الثالثة ، مات

بالإسكندرية سنة (١١٧ هـ) . انظر : الجرح والتعديل (٥ / ٢٩٧) ، (ت ١٤٠٨)؛ وتقريب التهذيب (١ / ٥٠١) ، (ت

(١١٤٢) .

(١٠) في البخاري : دعوي .

قبلكم بكثرة سؤاها واختلافها على أنبيائها، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر<sup>(٢)</sup> فأتوا منه ما استطعتم ﴿<sup>(٣)</sup> فأمرهم بالإمساك عما لم يؤمروا به<sup>(٤)</sup> معللا<sup>(٥)</sup> بأن سبب هلاك الأولين إنما كان كثرة السؤال، ثم الاختلاف على الرسل بالمعصية، كما أخبرنا الله عن بني إسرائيل من مخالفتهم أمر موسى في الجهاد وغيره، وفي كثرة سؤاها عن صفات البقرة<sup>(٦)</sup> .

لكن هذا الاختلاف<sup>(٧)</sup> على الأنبياء: هو<sup>(٨)</sup> - والله أعلم - مخالفة الأنبياء<sup>(٩)</sup> كما يقول: اختلف الناس على الأمير إذا خالفوه.

والاختلاف الأول: مخالفة<sup>(١٠)</sup> بعضهم بعضا<sup>(١١)</sup> وإن كان الأمران متلازمين أو أن الاختلاف عليه<sup>(١٢)</sup> هو الاختلاف فيما بينهم، فإن اللفظ يحتمله.

(١) في البخاري : فإنما أهلك من كان قبلكم سؤاها .

(٢) في البخاري : بشيء .

(٣) رواه البخاري في كتاب الاعتصام ، باب الاقتداء بسنن رسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم . انظر : فتح الباري حديث رقم (٧٢٨٨) ، (١٣ / ٢٥١) . بهذا الإسناد . ومسلم في كتاب الحج ، باب فرض الحج مرة في العمر ، حديث رقم (١٣٣٧) ، (٢ / ٩٧٥) بغير هذا الإسناد الذي ذكره المؤلف كما أنه رواه بهذا الإسناد -الذي أشار إليه المؤلف - وأسانيد أخرى كلها عن أبي هريرة ، في كتاب الفضائل ، باب توقيره صلى الله عليه وعلى آله وسلم وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه ، أو لا يتعلق به تكليف ، حديث رقم (١٣٣٧) ، (٤ / ١٨٣٠ ، ١٨٣١) بألفاظ متقاربة وفيهما بعض الاختلاف عن الألفاظ التي أوردها المؤلف .

(٤) في (أ ج د ط) : به ساقطة .

(٥) في المطبوعة : معللا ذلك .

(٦) في المطبوعة زاد : التي أمرهم بذبحها .

(٧) في (أ ب ط) : اختلاف .

(٨) في (ب ط) : وهو .

(٩) في المطبوعة : للأنبياء .

(١٠) في (ب) : بمخالفة .

(١١) في (أ ب ط) : لبعض .

(١٢) أي على الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم .



ثم الاختلاف كله <sup>(١)</sup> قد يكون في التتريل والحروف، كما في حديث ابن مسعود <sup>(٢)</sup> وقد يكون في التأويل كما يحتمله حديث عبد الله بن عمرو، فإن حديث عمرو بن شعيب <sup>(٣)</sup> يدل على ذلك، إن كانت هذه القصة <sup>(٤)</sup> قال أحمد في المسند: حدثنا إسماعيل <sup>(٥)</sup> حدثنا داود بن أبي هند <sup>(٦)</sup> عن عمرو بن شعيب عن أبيه <sup>(٧)</sup> عن جده <sup>(٨)</sup> ﴿ أن نفرا كانوا جلوسا بباب النبي ﷺ فقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا؟ وقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا؟ فسمع ذلك رسول الله ﷺ فخرج فكأتما فقي في وجهه حب الرمان <sup>(٩)</sup> ! فقال: " أهبذا أمرتم؟ أو بهذا بعثتم: أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟ إنما ضلت الأمم

(١) في (ط) : قد يكون كله .

(٢) وهو المشار إليه (١/١٤٣) .

(٣) هو : عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص ، اضطرب قول أئمة الجرح والتعديل فيه ، وغالبهم على توثيقه ، إنما أنكروا عليه بعض رواياته عن أبيه عن جده ، وهو ثقة في نفسه ، قال ابن حجر في التقريب : " صدوق " أخرج له الأربعة . انظر : تقريب التهذيب (٢/٧٢) ، (ت ٦٠٧)؛ وتهذيب التهذيب (٨٠/٤٨ - ٥٥) ، (ت ٨٠) .

(٤) في (ب) : القضية .

(٥) هو : إسماعيل ابن عليّ - وعليّ أمه - وأبوه : إبراهيم بن مقسم ، أبو بشر الأسدي ، أحد الأئمة الأعلام الحفاظ الثقات المتقين ، ولد سنة (١١٠ هـ) وتوفي سنة (١٩٣ هـ) . انظر الجرح والتعديل (٢/١٥٣ - ١٥٤)؛ وخلاصة التهذيب (ص ٣٢) .

(٦) هو : داود بن أبي هند وكنيته : أبو بكر ، أبوه مولى آل الأعمش القشيريين ، ثقة كثير الحديث ، توفي سنة (١٣٩ هـ) . انظر : طبقات ابن سعد (٧/٢٥٥)؛ والجرح والتعديل (٣/٤١١ ، ٤١٢) ، (ت ١٨٨١) .

(٧) أبوه هو : شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص ، صدوق ، ثبت سماعه من جده ، يعد من الطبقة الثامنة . انظر : تقريب التهذيب (١/٣٥٣) ، (ت ٨٤) .

(٨) أي جد شعيب وهو : عبد الله بن عمرو بن العاص الصحابي ، مرت ترجمته (١/١٢٩) . وقال بعضهم : إن المقصود جد عمرو بن شعيب وهو محمد بن عبد الله بن عمرو وعلى هذا تكون روايته مرسله؛ لأن جده محمد ليست له صحبة ، لكن هذا رأي مرجوح قد فنده الأئمة . انظر : تهذيب التهذيب (٤/٣٥٦) ، (٨/٤٨ - ٥٥) .

(٩) يعني أن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم احمر وجهه من الغضب كما لو فقي في وجهه حب الرمان ، وحب الرمان أحمر .

قبلكم في (١) مثل هذا؛ إنكم لستم مما ههنا في شيء، انظروا الذي أمرتم (٢) به فاعملوا به،  
والذي نهيتهم (٣) عنه فانتهوا عنه ﴿ (٤) (٥) وقال (٦) حدثنا يونس (٧) (٨) حدثنا حماد بن  
سلمة (٩) عن حميد (١٠) ومطر (١١) الوراق،.....

- (١) في المطبوعة : يمثل . وهو خلاف النسخ والمسنَد .  
(٢) في المطبوعة : أمرتكم . وهو خلاف النسخ والمسنَد .  
(٣) في المطبوعة : نهيتكم ، وهو خلاف النسخ والمسنَد .  
(٤) عنه : زائدة في جميع النسخ ، فليست في حديث المسنَد المشار إليه .  
(٥) الحديث أخرجه أحمد في المسنَد (٢ / ١٩٦) . ورجاله ثقات ، وأخرج ابن ماجه نحوه في المقدمة ، باب في  
القدر ، الحديث رقم (٨٥) ، (١ / ٣٣) ، وقال صاحب الزوائد في حديث ابن ماجه : " هذا إسناد صحيح  
ورجاله ثقات " .  
(٦) يعنى : أحمد بن حنبل .  
(٧) في (ب) : يونس بن محمد .  
(٨) هو : يونس بن محمد بن مسلم المؤدب ، البغدادي ، من التاسعة ، ثقة صدوق ، كذا قال أبو زرعة ، وأبو  
حاتم ، ويحيى بن معين وغيرهم ، مات رحمه الله سنة (٢٠٧هـ) . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ٣٨٦) ، (ت  
٤٨٩) . وانظر : الجرح والتعديل (٩ / ٢٤٦) (ت ١٠٢٣) ، باب الميم .  
(٩) هو : حماد بن سلمة بن دينار أبو سلمة ، مولى ربيعة بن مالك ، من بني تميم ، قال ابن سعد : " قالوا : وكان  
حماد بن سلمة ثقة كثير الحديث ، وربما حدث بالحديث المنكر " وتغير حفظه أخيرا ، وهو من كبار الطبقة  
الثامنة ، وكان عالما جليلا كثير الحديث ، ثقة عابدا . انظر : طبقات ابن سعد (٧ / ٢٨٢)؛ وتقريب التهذيب  
(١ / ١٩٧) ، (ت ٥٤٢) .  
(١٠) هو : حميد بن أبي حميد (طرخان) الطويل ، أبو عبيدة ، بصري من الطبقة الرابعة ، مولى لطحة الطلحات  
الخزاعي ، وقال عنه رجال الحديث : ثقة كثير الحديث ، مدلس ، وربما دلس عن أنس بن مالك ، مات سنة (١٤٢هـ) . انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد (٧ / ٢٥٢) . وتقريب التهذيب لابن حجر (١ / ٢٠٢) ، (ت  
٥٨٩) .  
(١١) هو : مطر بن طهمان الوراق ، الخراساني ، أبو رجاء ، روى عن الحسن وقتادة ورجاء بن حيوة ، وغيرهم ،  
وروى عنه شعبة ، وحماد بن سلمة ، وحماد بن زيد وغيرهم ، وعده ابن سعد من الطبقة الرابعة من البصريين ،  
وقال : " وكان فيه ضعف في الحديث " ، وقال عنه يحيى بن معين : " ضعيف في حديث عطاء بن أبي رباح " ،  
وقال أيضا : " مطر الوراق صالح " ، وذكر ابن أبي حاتم : " حدثنا عبد الرحمن قال : سئل أبو زرعة عن  
مطر الوراق فقال : صالح ، كأنه لين أمره " ، وقال ابن حجر في التقريب : " صدوق كثير الخطأ " مات سنة  
١٢٥هـ ، أخرج له مسلم والأربعة . انظر : تهذيب التهذيب (٧ / ١٦٧ ، ١٦٨)؛ وتقريب التهذيب (٢ /  
٢٥٢) ، (ت ١١٦٤)؛ والطبقات الكبرى لابن سعد (٧ / ٢٥٤) .

وداود بن أبي هند (١) (٢) أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه، وهم يتنازعون في القدر (٣)  
فذكر الحديث (٤) وقال أحمد (٥)

حدثنا أنس (٦) بن عياض، حدثنا أبو حازم (٧) عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن  
جده قال: ﴿لقد جلست أنا وأخي (٨) مجلسا ما أحب أن لي به حمر النعم: أقبلت أنا  
وأخي، وإذا مشيخة (٩) من صحابة (١٠) رسول الله ﷺ جلوس عند باب من أبوابه،  
فكرهنا أن نفرق بينهم فجلسنا حجرة (١١) إذ ذكروا آية من القرآن فتماروا (١٢) فيها  
حتى ارتفعت أصواتهم فخرج رسول الله ﷺ مغضبا، قد احمر وجهه يرميهم بالتراب،  
ويقول: " مهلا يا قوم، بهذا أهلكتم الأمم من قبلكم: باختلافهم على أنبيائهم وضربهم

(١) في (أ) : زاد : عن عمرو بن . . ولم يكمل .

(٢) وكلهم عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، انظر : المسند (٢ / ١٩٦) .

(٣) في (ب) : وذكر الحديث .

(٤) الحديث في مسند أحمد (٢ / ١٩٦) .

(٥) ابن حنبل .

(٦) هو : أنس بن عياض الليثي المدني ، أبو ضمرة ، عده ابن سعد في الطبقة السابعة من التابعين من أهل المدينة ،  
وقال - أي ابن سعد - فيه : " وكان ثقة كثير الحديث " ، روى عن ربيعة الرأي ، وأبي حازم وغيرهما ، قال  
فيه أبو زرعة : " لا بأس به " ، وقال يحيى بن معين : " ثقة " . انظر : الطبقات لابن سعد (٥ / ٤٣٦) ؛  
والجرح والتعديل (٢ / ٢٨٩) .

(٧) هو : سلمة بن دينار الأعرج التمار ، المدني القاضي ، مولى الأسود بن سفيان ، وثقه أحمد بن حنبل وغيره ،  
قال في تقريب التهذيب : " ثقة عابد " مات في خلافة المنصور . انظر : الجرح والتعديل (٤ / ١٥٩) ، ترجمة (٧٠١) ؛  
وتقريب التهذيب (١ / ٣١٦) ، ترجمة (٣٦٠) .

(٨) لم أجد ما يدل على من هو المقصود بأخيه في المصادر التي اطلعت عليها ، لكن لعله أخوه محمد بن عمرو بن  
العاص ، وهذا هو الذي يظهر لي ؛ لأن المراجع لم تذكر له أخا غير محمد هذا . انظر : الإصابة (٣ / ٣) ، ٣٨١ ؛  
والفتح الرباني للبنا (١٨ / ٤٠) .

(٩) المشيخة : جمع شيخ ، وهم كبار السن والقدر والمترلة .

(١٠) في (ب) والمطبوعة : أصحاب . وفي مسند أحمد كما أثبتته .

(١١) أي : ناحية . انظر : القاموس المحيط ، فصل الحاء ، باب الراء (٢ / ٤) .

(١٢) تماروا : تجادلوا .

الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم يتزل يكذب بعضه بعضا، وإنما <sup>(١)</sup> أنزل <sup>(٢)</sup> يصدق بعضه بعضا، فما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه ﴿٣﴾ .

وقال أحمد حدثنا أبو معاوية <sup>(٤)</sup> حدثنا داود بن أبي هند، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: ﴿خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم، والناس يتكلمون في القدر قال: فكأنما تفقأ <sup>(٥)</sup> في وجهه حب الرمان من الغضب قال: فقال لهم: " ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم ﴾ ، قال <sup>(٦)</sup> فما غبظت نفسي بمجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم أشهده ما غبظت نفسي بذلك المجلس أي <sup>(٧)</sup> لم أشهده <sup>(٨)</sup> .

هذا حديث محفوظ عن عمرو بن شعيب رواه عنه الناس، ورواه ابن ماجه <sup>(٩)</sup> في سننه

(١) قوله : " وإنما أنزل يصدق بعضه بعضا " ، سقطت من النسختين : ( ج د ) ، وهي موجودة في مسند أحمد .

(٢) أنزل : سقطت من ( ط ) .

(٣) الحديث رواه أحمد في المسند ( ٢ / ١٨١ ) ، وله شاهد عنده أيضا ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ( ٢ / ١٨٥ ) مختصرا ، وله شواهد أخرى سيذكرها المؤلف هنا .

(٤) هو : محمد بن حازم الضرير ، أبو معاوية ، مولى لبني سعد ، قال فيه أحمد بن حنبل : " أبو معاوية الضرير في غير حديث الأعمش مضطرب لا يحفظها حفظا جيدا " ، وقال في تقريب التهذيب : " ثقة ، أحفظ الناس لحديث الأعمش ، وقد يهم في حديث غيره " ، مات سنة ( ٩٥ هـ ) . انظر : الجرح والتعديل ( ٧ / ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ترجمة رقم ( ١٣٦٠ ) ؛ وتقريب التهذيب لابن حجر ( ٢ / ٢٥٧ ) ، ( ت ١٦٧ ) .

(٥) في ( أ ج د ط ) : يفقأ . لكنه في ( ب ) والمطبوعة والمسند كما أثبتته . وفي ابن ماجه : ( يفقأ ) .

(٦) أي : عبد الله بن عمرو بن العاص .

(٧) في المطبوعة : إذ . وما أثبتته أصح كما في المسند .

(٨) الحديث رواه أحمد في المسند ( ٢ / ١٧٨ ) مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه .

(٩) رواه ابن ماجه بهذا اللفظ : ( حدثنا علي بن محمد ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا داود بن أبي هند ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أصحابه وهم يتخصمون في القدر ، فكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب ، فقال : " بهذا أمرتم أو لهذا خلقتم ؟ تضربون القرآن بعضه ببعض . بهذا هلك الأمم قبلكم " ، قال : فقال عبد الله بن عمرو : ما غبظت نفسي بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما غبظت نفسي بذلك المجلس وتخلفتي عنه ) . انظر : سنن ابن ماجه ، المقدمة ، باب في القدر ، حديث رقم ( ٨٥ ) ، ( ١ / ٣٣ ) . وقد أشرت إلى قول صاحب الزوائد أن الحديث صحيح الإسناد ورجاله ثقات .

---

من حديث أبي معاوية، كما سقناه.

وقد كتب أحمد في رسالته <sup>(١)</sup> إلى المتوكل <sup>(٢)</sup> هذا الحديث، وجعل يقول لهم في مناظرته يوم الدار <sup>(٣)</sup> " إنا قد نهيينا أن نضرب كتاب الله بعضه ببعض " وهذا لعلمه - رحمه الله - بما في خلاف هذا الحديث من الفساد العظيم.

---

(١) ذكر هذه الرسالة ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد (ص ٤٦١ ، ٤٦٢) ، تحقيق د . عبد الله التركي .  
وذكرها أيضا أبو نعيم في الحلية (٩/ ٢١٦ - ٢١٧) في ترجمة الإمام أحمد .  
(٢) هو : جعفر بن المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور العباس ، الخليفة العباسي ، ولد سنة (٢٠٧هـ) ، وبويع له بالخلافة بعد أخيه الواثق سنة (٢٣٢هـ) ، وكانت خلافته نصرا للسنّة وأهلها وقمعا للبدع وأهلها ، فقد أفرج عن الإمام أحمد في فتنة القول بخلق القرآن وأكرمه وأكرم علماء الحديث والسنّة ، وضيق على أهل البدع وأصحاب الفرق (١٠/ ٣٤٩ ، ٣٥٢) .  
(٣) هي دار إسحاق بن إبراهيم وزير الخلافة العباسية .

وقد روى هذا المعنى الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقال: " حديث حسن غريب " وقال: " وفي الباب عن عمر <sup>(١)</sup> وعائشة <sup>(٢)</sup> وأنس <sup>(٣)</sup> " <sup>(٤)</sup> .

وهذا باب واسع لم نقصد <sup>(٥)</sup> له ههنا، وإنما الغرض التنبيه على ما يخاف على الأمة من موافقة الأمم قبلها؛ إذ الأمر في هذا الحديث - كما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم - <sup>(٦)</sup> أصل

(١) هو ثاني الخلفاء الراشدين : عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، أسلم قبل الهجرة بخمس سنين ، وقوي جانب المسلمين بإسلامه فقد أظهروا دعوتهم بعده ، ولي الخلافة سنة (١٣هـ) ، وفتح الفتوحات في الشام والعراق ومصر ، ومصر الأمصار ، ودون الدواوين ، وكان آتياً في العدل والحزم والسداد وقوة التدابير والسياسة والحكمة والشجاعة ، توفي مطعوناً سنة (٢٤هـ) . انظر : أسد الغابة (٤/ ٥٢ - ٧٨) .

(٢) عائشة : أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق ، زوج الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، تزوجها في مكة وعمرها ست سنين ودخل بها في المدينة وعمرها تسع في السنة الثانية للهجرة ، ولم يتزوج بكراً غيرها ، وهي أحب أزواجه إليه ، أنزل الله براءتها من الإفك من السماء ، حفظت من السنة كثيراً ، وهي أعلم النساء ، أخبرها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوماً أن جبريل يقرئها السلام ، توفي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعمرها ١٨ سنة وأخبر أنها أفضل النساء وأنها زوجة في الجنة ، توفيت رضي الله عنها سنة (٥٨هـ) وعمرها (٦٧) سنة . انظر : البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٩١ - ٩٤) .

(٣) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام الأنصاري الخزرجي ، خادم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، شهد بدرًا وهو لم يبلغ سن الرشد ، خدم الرسول عشر سنين ، فكان من المكثرين لرواية الحديث ، دعا له الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم بكثرة المال والولد ودخول الجنة ، واستعمله أبو بكر وعمر على عمالة البحرين وشكراه في ذلك ، ثم استقر منزله بالبصرة حتى توفي بهاسنة (٩٣هـ) . عن أكثر من مائة سنة . انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (١/ ٧١) ، (ت ٢٧٧) . وانظر : البداية والنهاية (٩/ ٨٨ - ٩٢) .

(٤) في الترمذي : كتاب القدر ، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر ، حديث رقم (٢١٣٣) ، (٤/ ٤٤٣) ، ونصه : " حدثنا عبد الله بن معاوية الجمحي البصري ، حدثنا صالح المري ، عن هاشم بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى احمر وجهه ، حتى كأنما فقي في وجنتيه الرمان ، فقال : " أهذا أمرتم ؟ أم بهذا أرسلت إليكم ؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر؛ عزمت عليكم ، عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه " . قال أبو عيسى : " وفي الباب : عن عمر وعائشة وأنس ، وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث صالح المري ، وصالح المري له غرائب يفرد بها لا يتابع عليها " .

(٥) في (ب) : لم يقصد له هنا .

(٦) تتضح العبارة إذا قلنا : أن أصل هلاك بني آدم إنما . . إلخ ، أي بزيادة (أن) .

هلاك بني آدم: " إنما كان التنازع في القدر "، وعنه نشأ مذهب المجوس<sup>(١)</sup> القائلين بالأصلين: النور والظلمة، ومذهب<sup>(٢)</sup> الصابئة<sup>(٣)</sup> وغيرهم القائلين بقدم العالم، ومذاهب كثير من مجوس هذه الأمة<sup>(٤)</sup> وغيرهم.

وهذا مذهب<sup>(٥)</sup> كثير ممن عطل الشرائع.

فإن القوم تنازعوا في علة فعل الله سبحانه وتعالى لما فعله، فأرادوا أن يثبتوا شيئاً يستقيم لهم به تعليل فعله<sup>(٦)</sup>. بمقتضى قياسه سبحانه على المخلوقات، فوقوعوا في غاية<sup>(٧)</sup> الضلال؛ إما بأن<sup>(٨)</sup> فعله ما زال لازماً له، وإما بأن<sup>(٩)</sup> الفاعل اثنان؛ وإما بأنه<sup>(١٠)</sup> يفعل

(١) المجوس : قوم يعبدون النور والنار والظلمة والشمس والقمر ، ويزعمون أن للكون إلهين ، وهم في بلاد فارس وما حولها ، وقد قضى الإسلام على هذه النحلة ظاهراً ، لكن بقيت لها آثار في بعض الطوائف كالشيعة ، وإخوان الصفا ، والبهائية ، والنصيرية الباطنية ، والقدرية وغيرها .

(٢) في (ط) : ومذاهب .

(٣) الصابئ في اللغة : الذي يترك دينه إلى دين آخر ، والصابئة قوم يعبدون الكواكب والملائكة ، وقيل : هم قوم لا دين لهم إنما هم باقون على فطرتهم ، ورجح هذا ابن كثير . انظر : تفسير ابن كثير (١ / ١٠٤) .

(٤) مجوس هذه الأمة : أطلقه السلف على القدرية ، وقد وردت بتسمية القدرية (مجوس هذه الأمة) آثار بعضها مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، منها ما ذكر ابن ماجه في سننه ، الحديث رقم (٩٢) ، (١ / ٣٥)؛ وأبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب القدر ، الحديث رقم (٤٦٩١)؛ وأحمد في مسنده (٢ / ١٢٥) ، (٥ / ٤٠٧)؛ وابن أبي عاصم في كتاب السنة (١ / ١٤٤ ، ١٤٥) ، الحديث رقم (٣٢٩) . وسائر هذه الروايات ضعفها أئمة الحديث ، لكن يعضد بعضها بعضاً ، ووجه تسمية القدرية بمجوس هذه الأمة أنهم حين قالوا بأن الله تعالى لم يخلق الشر ولم يقدره ، اضطروا إلى القول بأن الإنسان هو خالق أفعاله ، كما تزعم المعتزلة ، فهم بهذا أشبهوا المجوس ، بل تابعوهم بقولهم : إن الله إله الخير والنور ، والشر والظلمة لها خالق آخر غيره بزعمهم ، تعالى الله عما يقوله الظالمون علواً كبيراً . انظر : الفرق بين الفرق (ص ٩٤ ، ٩٥) . وانظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨ / ٢٥٨ - ٢٦١) .

(٥) في (أ ط) : مذاهب .

(٦) فعله : سقطت من (أ) .

(٧) في (أ ب ط) : عامة .

(٨) في المطبوعة قال : بأن زعموا .

(٩) في المطبوعة قال : بأن زعموا .

(١٠) في المطبوعة قال : بأن زعموا .

البعض، والخلق<sup>(١)</sup> يفعلون البعض، وإما بأن ما فعله لم يأمر بخلافه، وما أمر به لم يقدر خلافه وذلك حين عارضوا بين فعله وأمره، حتى أقر فريق بالقدر وكذبوا بالأمر، وأقر فريق بالأمر وكذبوا بالقدر، حين<sup>(٢)</sup> اعتقدوا جميعاً أن اجتماعهما محال، وكل منهما مبطل بالتكذيب بما صدق به الآخر.

وأكثر ما يكون ذلك لوقوع المنازعة في الشيء القليل قبل إحكامه وجمع حواشيه وأطرافه ولهذا قال: ﴿ ما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه ﴾<sup>(٣)</sup> (٤).

والغرض<sup>(٥)</sup> بذكر هذه الأحاديث: <sup>(٦)</sup> التنبيه من الحديث<sup>(٧)</sup> على مثل ما في القرآن من قوله تعالى: ﴿ وَخُضُّمٌ كَالَّذِي خَاضُوا ﴾<sup>(٨)</sup>.

ومن ذلك: ما روى الزهري<sup>(٩)</sup> عن سنان بن أبي سنان الدؤلي<sup>(١٠)</sup> عن أبي واقد الليثي<sup>(١١)</sup> أنه قال: ﴿ خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حدثاء<sup>(١)</sup> عهد بكفر،

(١) والخلق : سقطت من (أ) .

(٢) في (ط) : حتى .

(٣) مسلم العلم (٢٦٦٦) ، ابن ماجه المقدمة (٨٥) ، أحمد (١٨١/٢) .

(٤) الحديث مر (ص١٦٢) .

(٥) في المطبوعة : في ذكر .

(٦) في المطبوعة : هو التنبيه .

(٧) في المطبوعة : والسنة .

(٨) سورة التوبة : من الآية ٦٩ .

(٩) هو : محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري ، من بني زهرة بن كلاب ، أبو بكر ، هو أول من دون الحديث وسمع عن بعض الصحابة ، تابعي مدني ، ومن الحفاظ الثقات ، ومن المكثرين للحديث مع إتقان وفقه ، يعد من الطبقة الرابعة ، توفي رحمه الله سنة (١٢٥هـ) . انظر : تقريب التهذيب (٢/٢٠٧) ، ترجمة (٧٠٢) ؛ والجرح والتعديل (٨/٧١ - ٧٤) ، ترجمة (٣١٨) .

(١٠) هو : سنان بن أبي سنان الدؤلي - أو الديلي - تابعي ، مدني من الطبقة الثالثة ، قال في تقريب التهذيب : ثقة ، مات سنة (١٠٥هـ) . انظر : تقريب التهذيب (١/٣٣٤) ، ترجمة (٥٣٧) .

(١١) هو الصحابي الجليل : الحارث بن عوف بن أسيد بن جابر الليثي ، أبو واقد قيل : إنه شهد بدرًا كما شهد الفتح وحنين ، وكان يحمل راية قومه ، كما شهد تبوك ، واليرموك ، توفيسنة (٦٨هـ) ، وقيل : (٨٥هـ)



وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينيطون<sup>(٢)</sup> بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط؟ فقال رسول الله ﷺ الله أكبر! إنها السنن<sup>(٣)</sup> قلتم - والذي نفسي بيده - كما قالت بنو إسرائيل لموسى<sup>(٥)</sup> ﴿ أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾<sup>(٦)</sup> لتركبن سنن من كان قبلكم ﴿ رواه مالك<sup>(٧)</sup> والنسائي<sup>(٨)</sup> والترمذي وقال: (هذا حديث حسن صحيح)<sup>(٩)</sup> ولفظه ﴿ لتركبن سنة من كان قبلكم ﴾<sup>(١٠)</sup> (١).

- . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة (٤ / ٢١٥ ، ٢١٦) ، ترجمة رقم (١٢١١) . وانظر : أسد الغابة (٥ / ٣١٩ ، ٣٢٠) .
- (١) في المطبوعة : حديثو .
- (٢) في المطبوعة : ينيطون ، ومعنى ينوطون : يعلقون .
- (٣) السنن : جمع (سنة) وهي الطريقة والوجهة ، والمقصود : إنها الطريقة التي سلكها من قبلكم من الأمم كاليهود والنصارى حين وقعوا في هذه البدع ، والحديث يفسره آخره . انظر : مختار الصحاح ، مادة (س ن ن) ، (ص٣١٧) .
- (٤) في (ط) : بني .
- (٥) لموسى : سقت من (أ ب ط) .
- (٦) سورة الأعراف آية : ١٣٨ .
- (٧) هو : مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي ، أبو عبد الله ، الإمام الفقيه ، والمحدث الحافظ ، إمام دار الهجرة ، وأحد الأئمة الأربعة ، ينسب إليه المذهب المالكي ، روى عن كثير من التابعين ، وروى عنه خلق كثير من المحدثين الحفاظ ، وكان في غاية الدقة والثقة في الحديث ، لذلك قال البخاري : أصح الأسانيد : مالك عن نافع ، عن ابن عمر ، ويعد في الطبقة السابعة من التابعين من أهل المدينة ، له مصنفات أشهرها : الموطأ ، توفي رحمه الله سنة (١٧٩هـ) وعمره (٨٥) سنة . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ٢٢٣) ، ترجمة (٨٥٩)؛ والبداية والنهاية (١٠ / ١٧٤) .
- (٨) هو : أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن نمر بن دينار النسائي ، أبو عبد الرحمن ، والنسائي نسبة إلى (نسا) ، قرية بخرسان ، الإمام الحافظ الثقة ، صاحب السنن المعروفة بسنن النسائي ، أحد الكتب الستة التي اتفقت الأمة على اعتمادها وقبولها ، كان إماما مشهورا له بالعلم والفضل والتقوى والصلاح ، توفي رحمه الله سنة (٣٠٣) عن خمس وثمانين سنة . انظر : البداية والنهاية (١١ / ١٢٣ ، ١٢٤)؛ وتقريب التهذيب (١ / ١٦) ، ترجمة رقم (٥٧) .
- (٩) سنن الترمذي (٤ / ٤٧٥) .
- (١٠) الترمذي الفتن (٢١٨٠) ، أحمد (٥ / ٢١٨) .

وقد قدمت ما خرجاه في الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

﴿ لتبتعن سنن من كان قبلكم، حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه " قالوا يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: "فمن؟" ﴾ (٢) (٣) .

وما رواه البخاري (٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ لتأخذن أمي مأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع " ، قالوا: فارس والروم؟ قال: " فمن الناس إلا أولئك؟ ﴾ (٥) (٦) .

وهذا كله خرج منه مخرج الخبر عن وقوع ذلك، والذم لمن يفعله، كما كان يخبر عما يفعله الناس بين يدي الساعة من الأشرار والأمور المحرمات.

فعلم أن مشابقتها (٧) اليهود والنصارى، وفارس والروم، مما ذمه الله ورسوله، وهو المطلوب ولا يقال: فإذا كان الكتاب والسنة قد دلا على وقوع (٨) ذلك، فما فائدة النهي

- 
- (١) الحديث أخرجه أحمد في المسند (٥ / ٢١٨) في مسند أبي واقد الليثي ، والترمذي في كتاب الفتن ، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم ، حديث رقم (٢١٨٠) ، (٤ / ٤٧٥) ، وصححه كما ذكر المؤلف ، ولم أحده في موطأ مالك ولا في سنن النسائي (السنن الصغرى) .
- (٢) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٨٨٩) ، مسلم العلم (٢٦٦٩) ، أحمد (٨٤/٣) .
- (٣) مر الكلام حول الحديث ص (٧٩) ، وهو في البخاري حديث رقم (٧٣١٩) ، (٧٣٢٠) . وفي مسلم رقم (٢٦٦٩) من أكثر من طريق ، إلا أنه ليس في روايتي البخاري ومسلم قوله : " حذو القذة بالقذة " إنما جاء في الصحيحين : " شبرا بشبر وذراعا بذراع " .
- (٤) هو الإمام : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري ، أبو عبد الله صاحب أصح كتاب بعد كتاب الله ، وهو صحيح البخاري ، اتفقت الأمة على إمامته في الحديث ، قال ابن حجر في التقريب : " جبل الحفظ ، وإمام الدنيا في فقه الحديث " ، توفي سنة (٢٥٦هـ) ، وعمره (٦٢) سنة . انظر : تقريب التهذيب ( ٢ / ١٤٤ ) ، (ت ٤٣) .
- (٥) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٨٨٨) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٩٤) ، أحمد (٣٦٧/٢) .
- (٦) انظر : صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " لتبتعن سنن من كان قبلكم " ، الحديث رقم (٧٣١٩) من فتح الباري (١٣ / ٢٠٠) .
- (٧) في المطبوعة : مشاهة هذه الأمة ، وهو بيان لمرجع الضمير .
- (٨) في (ب) : فعل ذلك .

عنه؟ لأن الكتاب والسنة أيضا <sup>(١)</sup> قد <sup>(٢)</sup> دلا على أنه لا يزال في هذه الأمة طائفة متمسكة بالحق الذي بعث <sup>(٣)</sup> به محمد <sup>(٤)</sup> ﷺ إلى قيام الساعة <sup>(٥)</sup> وأنها لا تجتمع على ضلالة <sup>(٦)</sup> ففي النهي عن ذلك تكثير لهذه الطائفة المنصورة، وتثبيتها، وزيادة إيمانها، فنسأل الله المجيب أن يجعلنا منها <sup>(٧)</sup> .

وأیضا: لو فرض أن الناس لا يترك أحد منهم هذه المشابهة المنكرة؛ لكان في العلم بها معرفة القبيح، والإيمان بذلك؛ فإن <sup>(٨)</sup> نفس العلم والإيمان بما كرهه الله خير، وإن لم يعمل به، بل فائدة العلم والإيمان أعظم من فائدة مجرد العمل الذي لم يقترن به علم، فإن الإنسان إذا عرف المعروف وأنكر المنكر كان خيرا من أن يكون ميت القلب لا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا، ألا ترى أن النبي ﷺ قال: ﴿ من رأى منكم منكرا فليغيره بيده؛ فإن لم يستطع فبلسانه؛ فإن لم يستطع فبقلبه؛ وذلك أضعف الإيمان ﴾ <sup>(٩)</sup> <sup>(١٠)</sup> رواه مسلم.

وفي لفظ: ﴿ ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل ﴾ <sup>(١١)</sup> <sup>(١)</sup> .

(١) في (ب) : سقطت أيضا .

(٢) في (أ د ط) : سقط قد .

(٣) في المطبوعة : بعث الله .

(٤) في المطبوعة : محمدا .

(٥) أحاديث الطائفة التي تمسك بالحق إلى قيام الساعة أحاديث صحيحة وثابتة وكثيرة في الصحاح والسنن والمسانيد ، وقد ذكر المؤلف منها الكثير .

(٦) حديث : ( لا تجتمع أمي على ضلالة ) مر . انظر فهرس الأحاديث .

(٧) في (ب) : منهم . وقوله : فنسأل الله المجيب أن يجعلنا منها : ساقطة من (أ) .

(٨) بذلك فإن : سقطت من (أ) .

(٩) مسلم الإيمان (٤٩) ، الترمذي الفتن (٢١٧٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٨) ، أبو داود الصلاة (١١٤٠) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٧٥) ، أحمد (١٠/٣) .

(١٠) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، وأن الإيمان يزيد وينقص ، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان ، حديث رقم (٤٩) ، (١/٦٩) .

(١١) مسلم الإيمان (٥٠) .

وإنكار القلب هو: الإيمان بأن هذا منكر، وكرهته لذلك<sup>(٢)</sup> .  
فإذا حصل هذا، كان في القلب<sup>(٣)</sup> إيمان وإذا فقد<sup>(٤)</sup> القلب معرفة هذا المعروف  
وإنكار هذا المنكر؛ ارتفع هذا الإيمان من القلب.  
وأيضا فقد يستغفر الرجل من الذنب مع إصراره عليه أو يأتي بجسنت تمحوه، أو  
تمحو بعضه، وقد يقلل منه، وقد تضعف همته في طلبه إذا علم أنه منكر، ثم لو فرض أنا  
علمنا أن الناس لا يتركون المنكر، ولا يعترفون بأنه منكر لم يكن ذلك مانعا من إبلاغ  
الرسالة وبيان العلم، بل ذلك لا يسقط وجوب الإبلاغ ولا وجوب الأمر والنهي في  
إحدى الروایتين عن أحمد - وقول كثير من أهل العلم.  
على أن هذا ليس موضع استقصاء<sup>(٥)</sup> ذلك، والله الحمد على ما أخبر به النبي ﷺ من  
أنه: ﴿ لا تزال<sup>(٦)</sup> من أمته طائفة ظاهرة على الحق حتى يأتي أمر الله ﴾ .  
وليس هذا الكلام من خصائص هذه المسألة، بل هو وارد في كل منكر قد أخبر  
الصادق بوقوعه.

---

(١) هذا اللفظ أيضا في صحيح مسلم ، في الكتاب والباب المذكورين آنفا ، حديث رقم (٥٠) ، (١ / ٧٠) ،  
وسياق الحديث ، في جهاد الذين يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون .

(٢) في (ب) : كذلك .

(٣) في (أ) : القلوب .

(٤) في (أ ط) : وإذا فقد من القلب .

(٥) للمؤلف رحمه الله كلام مفصل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تجد شيئا منه في مجموع الفتاوى (٢٨ /  
١٢١ - ١٧١) ، وطبع في رسالة مستقلة أيضا .

(٦) في (ب) : لا يزال .

ومما يدل من القرآن على النهي عن مشاهمة الكفار قوله سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامِنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١) قال قتادة (٢) وغيره (٣) " كانت اليهود تقوله استهزاء، فكره (٤) الله للمؤمنين أن يقولوا مثل قولهم " (٥) ؛ وقال أيضا: " كانت اليهود تقول للنبي ﷺ راعنا سمعك، يستهزءون بذلك (٦) وكانت (٧) في اليهود قبيحة " .

وروى أحمد (٨) ..... عن عطية (٩) (١٠) قال (١١) " كان يأتي ناس من اليهود فيقولون: راعنا سمعك، حتى قالها ناس من المسلمين، فكره الله لهم ما قالت (١) سورة البقرة الآية ١٠٤ .

(٢) هو : قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي ، أبو الخطاب ، البصري الأعمى ، أحد علماء التابعين ، عده ابن سعد من الطبقة الثالثة من البصريين ، وكان من الحفاظ النادرين ، قال محمد بن سيرين : هو من أحفظ الناس ، وقال أحمد بن حنبل : هو أحفظ أهل البصرة ، ومع حفظه كان فقيها ، وعالما بالتفسير ، قال في تقريب التهذيب : " ثقة ثبت " توفي رحمه الله سنة (١١٧هـ) وعمره (٥٧) سنة . انظر : البداية والنهاية لابن كثير ( ٩ / ٣١٣)؛ وتقريب التهذيب (٢ / ١٢٣) ، ترجمة (٨١) ، حرف قاف ، وطبقات ابن سعد (٧ / ٢٢٩) .  
(٣) هذا التفسير هو المشهور عند مفسري الصحابة والسلف كابن عباس ، وأبي العالية ، وأبي مالك ، والربيع بن أنس ، وعطية العوفي . انظر : تفسير ابن كثير (١ / ١٤٨ ، ١٤٩)؛ وتفسير ابن جرير (١ / ٣٧٤) .  
(٤) في (ب ج) : فكرهه .

(٥) انظر : تفسير ابن جرير (١ / ٣٧٤)؛ وتفسير ابن كثير (١ / ١٤٩)؛ وفتح القدير للشوكاني (١ / ١٢٥) .

(٦) تفسير ابن جرير (١ / ٣٧٤) .

(٧) في (ج) : فكانت .

(٨) لا أدري من أحمد هذا ؟ فلعله أحمد بن إسحاق ، كما أشار إلى ذلك ابن جرير في تفسيره (١ / ٣٧٤) ، وهو أحمد بن إسحاق بن عيسى الأهوازي البزار ، قال النسائي : صالح ، ومات سنة (٢٥٠هـ) . انظر : تهذيب التهذيب (١ / ١٤ ، ١٥) ، (ت ٩) .

(٩) هو : عطية بن سعد بن جنادة العوفي ، من جديلة قيس ، أبو الحسن ، قال في تقريب التهذيب : " صدوق يخطئ كثيرا ، كان شيعيا مدلسا " ، وضعفه أحمد ، وقال يحيى بن معين : صالح ، وقال ابن سعد في الطبقات : " وكان ثقة إن شاء الله ، وله أحاديث صالحة ، ومن الناس من لا يحتج به " ، توفي سنة (١١١هـ) . انظر : الجرح والتعديل (٦ / ٣٨٢) ، (ت ٢١٢٥)؛ وطبقات ابن سعد (٦ / ٣٠٤)؛ وتقريب التهذيب (٢ / ٢٤) ، (ت ٢١٦) .

(١٠) في المطبوعة : عطية العوفي ، وبقية النسخ لم تذكر العوفي .

(١١) انظر : تفسير ابن جرير (١ / ٣٧٤) ، وانظر : تفسير ابن كثير (١ / ١٤٩) .

اليهود فيقولون: راعنا سمعك، حتى قالها ناس من المسلمين، فكره الله لهم ما قالت اليهود ."

وقال عطاء<sup>(١)</sup> " كانت لغة في الأنصار في الجاهلية " <sup>(٢)</sup> .

وقال أبو العالية<sup>(٣)</sup> " إن مشركي العرب كانوا إذا حدث بعضهم بعضا يقول أحدهم<sup>(٤)</sup> لصاحبه: أرعني<sup>(٥)</sup> سمعك؛ فنهوا عن ذلك " <sup>(٦)</sup> وكذلك قال الضحاك<sup>(٧)</sup> .

فهذا كله يبين أن هذه الكلمة نُهي المسلمون عن قولها؛ لأن اليهود كانوا يقولونها - وإن كانت من اليهود قبيحة ومن المسلمين لم تكن قبيحة - لما كان<sup>(٨)</sup> في مشابھتهم فيها من مشابھة الكفار، وتطريقهم<sup>(٩)</sup> <sup>(١٠)</sup> إلى بلوغ غرضهم.

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى

(١) هو : عطاء بن أبي رباح ، وأبو رباح أبوه ، اسمه : أسلم ، الفهري ، مولاهم ، أحد كبار التابعين المكيين ، وكان عالما فاضلا ، ثقة ، كثير الحديث ، فقيها ، أدرك كثيرا من الصحابة وروى عنهم ، مات سنة (١١٤ هـ) ، وله من العمر (٨٨) سنة . انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد (٥ / ٤٦٧ - ٤٧٠)؛ وتقريب التهذيب (٢٢ / ٢) ، (ت ١٩٠) ، حرف (ع) .

(٢) انظر : تفسير ابن جرير (١ / ٣٧٤)؛ وتفسير ابن كثير (١ / ٤٩) .

(٣) هو : رفيع بن مهران الرياحي ، من بني تميم ، بصري ، وثقه يحيى بن معين ، وأبو زرعة ، وقال في تقريب التهذيب : " ثقة كثير الإرسال " ، مات رحمه الله سنة ٩٠ هـ . انظر : تقريب التهذيب (١ / ٢٥٢) ، (ت ١٠٥) .

(٤) في (ج د) : (أحدهم) سقطت .

(٥) في المطبوعة : راعني .

(٦) انظر : تفسير ابن جرير (١ / ٣٧٤)؛ وتفسير ابن كثير (١ / ١٤٩) .

(٧) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي ، الخرساني ، تابعي ، جليل ، إمام في التفسير ، قال الثوري : " خذوا التفسير عن أربعة : مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والضحاك " قال في تقريب التهذيب : " صدوق ، كثير الإرسال " وثقه ابن حبان وأحمد ، وضعفه يحيى بن سعيد القطان ، توفي رحمه الله سنة (١٠٥ هـ) . انظر : البداية والنهاية لابن كثير (٩ / ٢٢٣)؛ وتقريب التهذيب (١ / ٣٧٣) ، (ت ١٧) .

(٨) في المطبوعة : لما كانت مشابھتهم .

(٩) في المطبوعة : وطريقهم .

(١٠) التطريق : مأخوذ من الطريق ، والمعنى : إفساح الطريق لهم ليبلغوا مرادهم من هذه الكلمة القبيحة . انظر : مختار الصحاح ، مادة (طرق) ، (ص ٣٩١) .

اللَّهُ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴿١﴾ .

ومعلوم أن الكفار فرقوا دينهم، وكانوا شيعا<sup>(٢)</sup> كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا

كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ ﴿٣﴾ .

وقال: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ ﴿٤﴾ (٥) .

وقال: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ

فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿٦﴾ .

وقال عن اليهود: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالَّذِينَ

بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿٧﴾ .

وقد قال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ ﴿٨﴾ وذلك

يقتضي تبرؤه منهم في جميع الأشياء.

ومن تابع غيره في بعض أموره فهو منه في ذلك الأمر؛ لأن قول القائل: أنا من هذا،

وهذا مني - أي أنا من نوعه، وهو من نوعي - لأن الشخصين لا يتحدان إلا بالنوع،

كما في قوله تعالى: ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ ﴿٩﴾ وقوله عليه الصلاة والسلام لعلي:

(١) سورة الأنعام : الآية ١٥٩ .

(٢) في (ب) وقع خلط من الناسخ هنا حيث أعاد الآية وما بعدها مرة أخرى .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٠٥ .

(٤) في (ب) : البيئات ، وهو خطأ .

(٥) سورة البينة : الآية ٤ .

(٦) سورة المائدة : الآية ١٤ .

(٧) سورة المائدة : الآية ٦٤ .

(٨) سورة الأنعام آية : ١٥٩ .

(٩) في (ج د ط) : (بعضهم) ، فيكون على هذا : قوله تعالى : (بعضهم من بعض) ، سورة التوبة : من الآية ٦٧

﴿ أنت مني وأنا منك ﴾<sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup> فقول القائل: لست من هذا في شيء، أي لست

مشاركاً له في شيء، بل أنا متبرئ من جميع أموره.

وإذا كان الله قد برأ<sup>(٤)</sup> الله رسوله ﷺ<sup>(٥)</sup> من جميع أمورهم؛ فمن كان متبعا للرسول ﷺ حقيقة كان متبرئاً كتبرئه، ومن كان<sup>(٦)</sup> موافقا لهم كان مخالفا للرسول بقدر موافقته لهم، فإن الشخصين المختلفين من كل وجه في دينهما، كلما شابهت أحدهما؛ خالفت الآخر<sup>(٧)</sup>.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ

أَوْ تَخْفَوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾<sup>(٨)</sup> إلى آخر السورة<sup>(٩)</sup>.

وقد روى مسلم في صحيحه عن العلاء بن عبد الرحمن<sup>(١٠)</sup> عن أبيه<sup>(١)</sup> عن أبي

(١) سورة آل عمران : الآية ١٩٥ ، وسورة النساء : الآية ٢٥ .

(٢) البخاري الصلح (٢٥٥٣) .

(٣) هذا جزء من حديث رواه الترمذي عن البراء بن عازب ، في كتاب المناقب - في مناقب علي- ، الباب (٢١) ، وقال الترمذي : " هذا حديث حسن صحيح " . انظر : سنن الترمذي (٥ / ٦٣٥) ، حديث رقم (٣٧١٦) . كما رواه البخاري في كتاب الصلح ، الباب السادس ، حديث رقم (٢٦٩٩) ، (٥ / ٣٠٣ ، ٣٠٤) من فتح الباري ، وكذلك أخرجه في كتاب المغازي ، باب عمرة القضاء ، حديث رقم (٤٢٥١) ، وأحمد في المسند (٥ / ٢٠٤) في مسند أسامة بن زيد رضي الله عنه .

(٤) في (د) : رسول الله .

(٥) في (ب) : لم يذكر .

(٦) في المطبوعة : كان متبرئاً منهم كتبرئه صلى الله عليه وآله وسلم منهم .

(٧) في (ط) : الأخرى .

(٨) سورة البقرة : الآية ٢٨٤ .

(٩) في المطبوعة : سرد الآيتين إلى آخر السورة .

(١٠) هو : العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب ، مولى الحرقة من جهينة ، وهو مدني من الطبقة الخامسة ، قالوا عنه : صدوق ربما يهيم ، روى عنه الثقات ، وربما أنكر بعضهم من حديثه أشياء ، وقد وثقه أحمد بن حنبل ، مات سنة بضع وثلاثين ومائة هجرية . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ٩٢ ، ٩٣) ، (ت ٢٨٦)؛ والجرح والتعديل (٦ / ٣٥٧) ، باب العين (ت ١٩٧٤) .





الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴿١﴾ قَالَ: نَعَمْ ﴿٢﴾ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴿٣﴾ ، قَالَ: نَعَمْ  
 ﴿٤﴾ وَأَعْفُ عَنَّا وَأَغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٥﴾ ،  
 قَالَ: نَعَمْ ﴿٦﴾ .

فحذرهم النبي ﷺ أن يتلقوا أمر الله بما تلقاه ﴿٦﴾ . أهل الكتابين ﴿٧﴾ وأمرهم بالسمع والطاعة؛ فشكر الله لهم ذلك، حتى رفع الله عنهم الآصار والأغلال ﴿٨﴾ التي كانت على من كان ﴿٩﴾ قبلنا ﴿١٠﴾ .

وقال الله في صفته ﷺ ﴿١١﴾ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴿١٢﴾ فأخبر الله سبحانه أن رسوله عليه الصلاة والسلام يضع الآصار والأغلال التي كانت على أهل الكتاب.

ولما دعا المؤمنون بذلك أخبر ﴿١٢﴾ الرسول أنه ﴿١٣﴾ قد استجاب دعاءهم.

وهذا وإن كان رفعا للإيجاب والتحريم فإن الله يجب أن يؤخذ برخصه كما يكره أن

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٦ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٨٦ .

(٣) سورة البقرة آية : ٢٨٦ .

(٤) (نعم) : سقطت من (ط) .

(٥) الحديث في صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق ، حديث رقم (١٢٥) ، (١/١١٥ ، ١١٦)؛ وفي مسند أحمد (٢/٤١٢) .

(٦) في (أ ط) : بما تلقاه به .

(٧) من هنا حتى قوله : من كان قبلنا (سطر ونصف تقريبا) : سقط من (ط) .

(٨) الأغلال : سقطت من (أ ج د) . والآصار : جمع إصر ، وهو الذنب والثقل ، والأغلال : هي القيود ، راجع : مختار الصحاح ، مادة (ا ص ر) ، (ص١٨) ، ومادة (غ ل ل) ، (ص٤٧٨) .

(٩) كان : سقطت من (ب) .

(١٠) في المطبوعة : قبلهم .

(١١) سورة الأعراف : من الآية ١٥٧ .

(١٢) في المطبوعة : أخبرهم الرسول أن الله قد استجاب . . إلخ .

(١٣) انظر التعليق السابق .

تؤتى معصيته<sup>(١)</sup> قد صح ذلك عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup> .

كما<sup>(٣)</sup> كان النبي عليه الصلاة والسلام يكره مشابهة أهل الكتابين في هذه الآصار والأغلال، وزجر أصحابه عن التبتل<sup>(٤)</sup> وقال: ﴿ لا رهبانية<sup>(٥)</sup> في الإسلام ﴾<sup>(٦)</sup> وأمر بالسحور<sup>(٧)</sup> ونهى عن المواصلة<sup>(٨)</sup> <sup>(٩)</sup> وقال فيما يعيب<sup>(١)</sup> أهل الكتابين ويحذر موافقتهم<sup>(٢)</sup>

(١) ورد ذلك في المسند عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته " مسند الإمام أحمد (٢ / ١٠٨) ، في مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنه . وذكره السيوطي في الجامع الصغير ، وقال : حديث صحيح ، وذكر أنه رواه عن ابن عمر أحمد في المسند ، وابن حبان في صحيحه والبيهقي في شعب الإيمان . انظر : الجامع الصغير (١ / ٢٨٨) ، الحديث رقم ( ١٨٩٤ ) . وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه في كتاب الصيام ، الحديث رقم (٢٠٢٧) ، (١ / ٢٥٩) ، ولفظه : " إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تترك معصيته " .

(٢) انظر التعليق السابق .

(٣) في (أ ط) والمطبوعة : وكذلك ، وفي (ب) : ولذلك .

(٤) التبتل : الانقطاع عن الدنيا لعبادة الله تعالى . انظر : مختار الصحاح (ص ٤٠) ، مادة (ب ت ل) .

(٥) الرهبانية ، والترهب : التبعيد ، والانقطاع عن الناس للعبادة ، والتشديد على النفس في ذلك ، كما يفعل الرهبان : وهم النصارى الذين يتعبدون في الصوامع ويعتزلون بها عن الناس ، ويتركون ملاذ الدنيا ، ومخالطة الناس ، ويشددون على أنفسهم في العبادة كالصوم ، ويتركون الدعوة والجهاد . انظر : القاموس المحيط ، فصل الرءاء ، باب الباء (١ / ٧٩) .

(٦) ورد الحديث بهذا اللفظ في شرح السنة للبخاري (٢ / ٣٧١) ، قال بعد أن ذكر حديث : " إن سياحة أمي الجهاد . . . " . إلخ ، قال : ويروى : " لا رهبانية في الإسلام " ، ولم يذكر سنده ، لكن له شواهد في مسند أحمد (٦ / ٢٢٦) ، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعثمان بن مظعون : " يا عثمان ، إن الرهبانية لم تكن علينا . . . " الحديث . ورجاله ثقات ، وفي سنن الدارمي وفيه : " إني لم أؤمر بالرهبانية " انظر سنن الدارمي (٢ / ١٣٣) ، وأشار السيوطي إلى حديث جاء فيه : " ولا ترهب في الإسلام " لعبد الرزاق في الجامع عن طاوس مرسلا ، وقال : ضعيف (٢ / ٧٤٦) ، ح (٩٨٨٠) وانظر : التعليق على هامش شرح السنة للبخاري (٢ / ٣٧١) ، وذكره العجلوني في كشف الخفا لكنه لم يذكر عنه شيئا إلا قول ابن حجر : " لم أره بهذا اللفظ " . انظر : كشف الخفا (٢ / ٥٢٨) ، رقم (٣١٥٤) .

(٧) فقال صلى الله عليه وآله وسلم : " تسحروا فإن في السحور بركة " متفق عليه ، في البخاري ، كتاب الصوم ، باب بركة السحور من غير إيجاب ، انظر : فتح الباري ، حديث رقم (١٩٢٣) ، (٤ / ١٣٩) وفي مسلم ، كتاب الصيام ، باب فضل السحور وتأكيد استحبابه ، حديث رقم (١٠٥٩) ، (٢ / ٧٧٠) .

(٨) أي مواصلة الصيام ليومين فأكثر بلياليهما .

(٩) روى ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " نهي عن الوصال . . . " الحديث في صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، باب النهي عن الوصال في الصوم ، حديث رقم (١١٠٢) ، (٢ / ٧٧٤) . وفي صحيح البخاري ،

---

---

(١) ﴿فتلك بقاياهم في الصوامع﴾ (٣) (٤) (٥) وهذا باب واسع جدا.

- 
- كتاب الصوم ، باب الوصال ، حديث رقم (١٩٦٢) ، من فتح الباري (٤/ ٢٠٣) ، وللحديث طرق وشواهد كثيرة في السنن والمسانيد والصحاح وسائر كتب السنة .
- (١) في (ب ط) : يعيب به .
- (٢) في المطبوعة : ويجدرنا عن موافقتهم .
- (٣) أبو داود الأدب (٤٩٠٤) .
- (٤) الصوامع جمع صومعة وهي : بناء يتخذها النصارى للعبادة يكون رأسه دقيقا . وانظر : القاموس المحيط ، باب العين ، فصل الصاد (٢/ ٥٣) .
- (٥) هذا جزء من حديث طويل أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب في الحسد ، الحديث رقم (٤٩٠٤) ، (٥/ ٢٠٩) ، ورجاله ثقات وفيهم ابن أبي العمياء مقبول .

وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنهُمْ ۗ ﴾ (١) وقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ ۗ ﴾ (٢) يعيب بذلك المنافقين الذين تولوا اليهود... إلى قوله: ﴿ لَا تَتَّخِذْ قَوْمًا يُمُونُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَن حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۗ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۗ ﴾ (٣) إلى قوله: ﴿ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللهِ ۗ ﴾ (٤) .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ۗ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۗ ﴾ (٦) إلى قوله: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۗ ﴾ (٧) إلى قوله: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِن بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ ۗ ﴾ (٨) .... (٩) (١٠) (١١) فعقد (١٢) سبحانه الموالاتة بين المهاجرين والأنصار،

(١) سورة المائدة : الآية ٥١ .

(٢) سورة المجادلة : الآية ١٤ .

(٣) سورة المجادلة آية : ٢٢ .

(٤) سورة المجادلة : الآية ٢٢ .

(٥) في (أ) : أسقط : في سبيل الله ، فيكون قدمها هناك وتركها هنا ، وهو كما قلت : خطأ من الناسخ .

(٦) سورة الأنفال آية : ٧٢ .

(٧) سورة الأنفال آية : ٧٣ .

(٨) سورة الأنفال آية : ٧٥ .

(٩) سورة الأنفال : من الآيات ٧٢ - ٧٥ .

(١٠) في المطبوعة زاد : الآيات .

(١١) من هنا حتى قوله : إلى يوم القيامة (سطر ونصف تقريبا) سقط من (أ) .

(١٢) في المطبوعة : فعقد الله .

وبين من آمن<sup>(١)</sup> بعدهم وهاجر<sup>(٢)</sup> وجاهد إلى يوم القيامة.

والمهاجر: من هجر ما نهى الله عنه<sup>(٣)</sup> والجهاد باق إلى يوم القيامة<sup>(٤)</sup>.

فكل شخص يمكن أن يقوم به هذان الوصفان، إذ كان كثير<sup>(٥)</sup> من النفوس اللينة تميل إلى هجر السيئات دون الجهاد، والنفوس القوية قد تميل إلى الجهاد دون هجر السيئات، وإنما عقد<sup>(٦)</sup> الموالاة لمن جمع<sup>(٧)</sup> الوصفين، وهم أمة محمد<sup>(٨)</sup> حقيقة.

وقال: ﴿ إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾<sup>(٩)</sup>

ونظائر هذا في غير موضع من القرآن: يأمر سبحانه بموالاة المؤمنين حقا - الذين هم حزبه وجنده - ويخبر أن هؤلاء لا يوالون الكافرين ولا يوادونهم.

(١) في (أ) والمطبوعة: من بعدهم .

(٢) في (أ): وهاجروا وجاهدوا .

(٣) جاء ذلك في الحديث الذي رواه البخاري وفيه: " والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه . . " إلخ الحديث ، رواه البخاري في كتاب الإيمان ، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، حديث رقم (١٠) ، من فتح الباري (١ / ٥٣) ، والحديث رقم (٦٤٨٤) ، كتاب الرقاق ، باب الانتهاء عن المعاصي (١١ / ٣١٦) .

(٤) جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه أبو داود ومنه: " والجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أممي الدجال . . " الحديث رواه أبو داود في كتاب الجهاد ، باب في الغزو مع أئمة الجور ، حديث رقم (٢٥٣٢) ، (٣ / ٤٠) وفي سند الحديث يزيد بن أبي نضلة ، قال ابن حجر في تهذيب التهذيب: مجهول . والأحاديث التي تدل على بقاء الجهاد والقتال في سبيل الله إلى يوم القيامة كثيرة جدا ، منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه مسلم: " لن يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصاة من المسلمين حتى تقوم الساعة " ، صحيح مسلم ، كتاب الإمامة ، باب (٥٣) ، الحديث رقم (١٩٢٢) ، (٣ / ١٥٢٤)؛ ومسند أحمد (٥ / ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١٠٣ ، ١٠٤) .

(٥) في (ج): إذا . وفي . (د): إذا كان كثير .

(٦) في المطبوعة: عقد الله .

(٧) في المطبوعة: جمع بين .

(٨) في المطبوعة: أسقط (حقيقة) ثم زاد: صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذين آمنوا به إيماننا صادقا . وهذا خلاف جميع النسخ .

(٩) سورة المائدة: الآيتان ٥٥ ، ٥٦ .

والموالة<sup>(١)</sup> والموادة: وإن كانت متعلقة بالقلب، لكن المخالفة في الظاهر<sup>(٢)</sup> أعون<sup>(٣)</sup> على مقاطعة الكافرين ومباينتهم.

ومشاركتهم في الظاهر: إن لم تكن<sup>(٤)</sup> ذريعة أو سببا قريبا أو بعيدا إلى نوع ما من الموالة<sup>(٥)</sup> والموادة، فليس فيها مصلحة المقاطعة والمباينة، مع أنها تدعو إلى نوع ما من المواصلة - كما توجهه الطبيعة<sup>(٦)</sup> وتدل عليه العادة - ولهذا كان السلف رضي الله عنهم يستدلون بهذه الآيات على ترك الاستعانة بهم في الولايات.

فروى الإمام أحمد بإسناد صحيح، عن أبي موسى<sup>(٧)</sup> رضي الله عنه قال: " قلت لعمر رضي الله عنه إن لي كاتبنا نصرانيا قال: ما لك؟ قاتلك الله، أما سمعت الله يقول: ﴿يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ ۚ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾<sup>(٨)</sup> ألا اتخذت حنيفا؟ قال:

(١) في (ب) : الموالة : دون واو العطف .

(٢) أي في الأعمال والسلوك ، كاللباس والأكل والشرب وعمل بعض العبادات والشعائر .

(٣) في المطبوعة قال : أهون على المؤمنين من مقاطعة الكافرين ومباينتهم . اهـ ، وأظنه تصرف زائد عن أصل الكتاب؛ لأنه خالف جميع النسخ ، حيث أجمعت على ما أثبتته .

(٤) في (ب) : يكن .

(٥) في (أ ط) : الموادة والموالة .

(٦) الطبيعة هنا بمعنى الفطرة والجلبة ، والسجية التي جبل عليها الإنسان . انظر : مختار الصحاح (ص ٣٨٧) ، (ط ب ع) . لا كما يطلقها الفلاسفة وكثير من الكتاب المحدثين . بمعنى : مجموعة العناصر والعوامل الكونية التي يزعمون أنها تؤثر في بعضها تأثيرا مستقلا عن إرادة الخالق سبحانه ، أو كما يزعم الملاحدة : أنها هي وحدها الوجود ، وهي وحدها المؤثر والمؤثر فيه ، وليس لها خالق مدبر متصرف ، تعالى الله عما يقوله الظالمون علوا كبيرا .

(٧) هو الصحابي الجليل : عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر الأشعري ، أبو موسى ، قدم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة قبل الهجرة ، فأسلم ، وهاجر المجرتين ، والثالثة من اليمن أول إسلامه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة ، وكان حسن الصوت بالقرآن ، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على زبيد وعدن وساحل اليمن ، واستعمله عمر على الكوفة والبصرة ، وفتح الأهواز وأصبهان ، وتوفي بالكوفة سنة (٥٠ هـ) . انظر : تهذيب الأسماء واللغات ، للنووي ، القسم الأول ، ٢/ ٢٦٨ ، ترجمة رقم (٤٢٥) .

(٨) في المطبوعة : الأشعري .

(٩) سورة المائدة : من الآية ٥١ .

قلت: يا أمير المؤمنين، لي كتابته وله دينه. قال: لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذهم الله، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله " (١) ولما دل عليه معنى الكتاب: وجاءت (٢) سنة رسول الله ﷺ وسنة خلفائه الراشدين، التي أجمع الفقهاء عليها بمخالفتهم وترك التشبه بهم.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ **إن اليهود والنصارى**

**لا يصبغون فخالقوهم** ﴾ (٣) (٤) أمر بمخالفتهم؛ وذلك يقتضي أن يكون جنس (٥)

مخالفتهم أمرا مقصودا للشارع؛ لأنه: إن كان الأمر بجنس المخالفة حصل المقصود، وإن كان الأمر بالمخالفة في تغيير الشعر فقط، فهو لأجل ما فيه من المخالفة فالمخالفة: إما علة مفردة (٦) أو علة (٧) أخرى، أو بعض علة، وعلى (٨) التقديرات (٩) تكون مأمورا بها مطلوبة من (١٠) الشارع؛ لأن الفعل المأمور به إذا عبر عنه (١١) . بلفظ مشتق من معنى أعم

(١) لم أعثر عليه في مسند الإمام أحمد (مسند أبي موسى) وقد أشار البيهقي في سننه إلى قصة تشبه ما أورده المؤلف . انظر : سنن البيهقي (٢٠٤ / ٩) في كتاب الجزية ، باب لا يدخلون مسجدا بغير إذن .

(٢) في المطبوعة : وجاءت به . وعلى ما أثبتته من جميع النسخ المخطوطة يكون في العبارة غموض ، وعبارة المطبوعة فيها توضيح للكلام ، مع أن الكلام يصح بما أثبتته أيضا لكن فيه ركاكة ، فيغلب على ظني أن النسخ - وربما المؤلف - أسقط كلمة أو حرفا سهوا . فتأمل .

(٣) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٧٥) ، مسلم اللباس والزينة (٢١٠٣) ، النسائي الزينة (٥٠٧١) ، أبو داود الترحل (٤٢٠٣) ، ابن ماجه اللباس (٣٦٢١) ، أحمد (٣٠٩/٢) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، انظر : فتح الباري حديث رقم (٣٤٦٢) ، (٦ / ٤٩٦) ، وحديث رقم (٥٨٩٩) . وصحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة ، باب في مخالفة اليهود في الصبغ ، حديث رقم (٢١٠٣) ، (٣ / ١٦٦٣) .

(٥) في (أ) : بجنس .

(٦) أي أن المخالفة هي وحدها تكون علة للنهي .

(٧) من هنا حتى قوله : فلا بد أن يكون (ثلاثة أسطر تقريبا) : سقطت من (أ) .

(٨) في المطبوعة : وعلى جميع التقديرات . وهو أتم للمعنى لكنه خلاف جميع النسخ المخطوطة .

(٩) في (ط) : وعلى التقديرين .

(١٠) في المطبوعة : للشارع .

(١١) في (ط) : إذا عبر به عن لفظ .



- 
- من ذلك الفعل؛ فلا بد أن يكون ما منه الاشتقاق أمرا مطلوباً، لا سيما إن ظهر لنا أن <sup>(١)</sup>
- المعنى المشتق منه معنى مناسب للحكمة، كما لو قيل للضيف: أكرمه، بمعنى أطعمه، أو <sup>(٢)</sup>
- للشيخ الكبير: وقره، بمعنى اخفض صوتك له، أو نحو <sup>(٣)</sup> ذلك.

---

(١) أن : سقطت من (أ) .

(٢) في (ج د) : أو الشيخ . وفي المطبوعة : وللشيخ .

(٣) في (ب) : أو نحو ذلك . وفي المطبوعة : أو نحوه .

:

\* (١): أن الأمر إذا تعلق باسم مفعول مشتق من معنى كان المعنى (٢) علة للحكم، كما في قوله **وَعَلَيْكَ** ﴿ فَاَقْتُلُوا <sup>(٣)</sup> الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٤) وقوله (٥) ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ ﴾ (٦) وقول النبي ﷺ ﴿ **عودوا المريض وأطعموا الجائع وفكوا العاني** ﴾ (٧) (٨) وهذا كثير معلوم.

فإذا (٩) كان نفس الفعل المأمور به مشتقا من معنى أعم منه؛ كان نفس الطلب والاقتضاء قد علق بذلك المعنى الأعم، فيكون مطلوبا بطريق الأولى.

\* : أن جميع الأفعال مشتقة، سواء كانت (١٠) مشتقة من المصدر، أو

(١) ميزت هذا الوجه والوجه التالية له من هذا التقسيم بوضع هذه العلامة \* قبل كل وجه منها تمييزا لها عن غيرها ، لأن التقسيمات ستداخل ، وسيذكر المؤلف تحت هذا التقسيم وجوها هي : ١- أن الأمر إذا تعلق باسم مفعول مشتق من معنى؛ كان المعنى علة للحكم . ٢- أن جميع الأفعال مشتقة (على ما بينه المؤلف ) . ٣ - أن عدول الأمر عن لفظ الفعل الخاص به إلى لفظ أعم منه معنى لا بد له من فائدة . ٤- أن العلم بالعام يقتضي العلم بالخاص وكذلك القصد . ٥- أنه رتب الحكم على الوصف بحرف الفاء فيدل على أنه علة له من غير وجه .

(٢) في المطبوعة : كان ذلك المعنى .

(٣) جاء في جميع النسخ : (اقتلوا) . . ونص الآية (فاقتلوا) . . لذلك أثبتته كما هو في المطبوعة ، ومثله قوله : (فأصلحوا) .

(٤) سورة التوبة : من الآية ٥ .

(٥) وقوله : ساقطة من (أ ط) .

(٦) سورة الحجرات : الآية ١٠ .

(٧) البخاري الجهاد والسير (٢٨٨١) ، أبو داود الجنائز (٣١٠٥) ، أحمد (٣٩٤/٤) ، الدارمي السير (٢٤٦٥) .

(٨) هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه ، عن أبي موسى الأشعريين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال

: " فكوا العاني - يعني الأسير - وأطعموا الجائع وعودوا المريض " . انظر : فتح الباري ، كتاب الجهاد ، باب

فكك الأسير ، حديث رقم (٣٠٤٦) ، (٦ / ١٦٧) ، وأخرجه أيضا في مواضع أخرى كثيرة . كما أخرج

الحديث أبو داود في سننه بلفظ : " فكوا العاني وأطعموا الجائع " في كتاب السير ، باب في فكك الأسير (٢ /

٢٢٣)؛ وأحمد في المسند (٤ / ٣٩٤ ، ٤٠٦) .

(٩) في (ج د) : فإن .

(١٠) في المطبوعة : كانت هي .

كان المصدر مشتقا منها، أو كان كل (١) منهما (٢) مشتقا من الآخر، بمعنى: أن بينهما مناسبة في اللفظ والمعنى، لا بمعنى: أن أحدهما أصل والآخر فرع، بتمثلة المعاني المتضايقة (٣) كالأبوة والبنوة أو كالأخوة من الجانبين، ونحو ذلك.

فعلى كل حال: إذا أمر بفعل كان نفس مصدر الفعل أمرا مطلوبا للأمر، مقصودا له كما في قوله: اتَّقُوا اللَّهَ (٤) و (٥) ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٦) و ﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (٧) و ﴿ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ (٨) و ﴿ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا ﴾ (٩) .

فإن نفس التقوى، والإحسان، والإيمان، والعبادة (١٠) أمور مطلوبة مقصودة، بل هي نفس المأمور به.

ثم المأمور به أجناس لا يمكن أن (١١) تقع إلا معينة، وبالتعيين تقترن (١٢) بها أمور غير مقصودة (١٣) للأمر، لكن لا يمكن العبد إيقاع الفعل المأمور به؛ إلا مع أمور معينة له، فإنه

(١) في المطبوعة : كل واحد .

(٢) في (ب) : منها .

(٣) أي : التي يضاف وينسب بعضها إلى بعض كإضافة الابن إلى الأب على أن الابن فرع عن الأب وعلى أن الأب أصل للابن ، وهذا بخلاف اشتقاق الفعل من المصدر ، والعكس ، فإن الاشتراك بينهما لا يعني أن أحدهما أصل للآخر ولا العكس ، إنما مناسبة تقع بينهما .

(٤) قوله تعالى : ( اتقوا الله ) ، ( واتقوا الله ) : ورد في القرآن الكريم أكثر من خمسين مرة .

(٥) في المطبوعة : زاد بين كل آيتين : وقوله .

(٦) سورة البقرة : من الآية ١٩٥ .

(٧) سورة النساء : من الآية ١٣٦ ؛ وسورة الحديد : من الآية ٧ .

(٨) سورة المائدة : من الآيتين ٧٢ ، ١١٧ . وفي (د ج ط) : (اعبدوا الله ربكم) ، فلعل النسخ أسقطوا لفظ (ربي) .

(٩) سورة يونس : من الآية ٨٤ .

(١٠) زاد في المطبوعة : والتوكل .

(١١) لا يمكن أن : ساقطة من (أ) .

(١٢) في (أ) والمطبوعة : تقترن .

(١٣) في (أ) والمطبوعة : غير مقصودة الفعل للأمر .

إذا قال: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ <sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup> فلا بد إذا أعتق العبد رقبة أن يقترب بهذا المطلق تعيين:

من سواد، أو بياض، أو طول، أو قصر، أو عربية، أو عجمية، أو غير ذلك من الصفات، لكن المقصود: هو المطلق المشترك بين <sup>(٣)</sup> هذه المعينات.

وكذلك <sup>(٤)</sup> إذا قيل: اتقوا الله <sup>(٥)</sup> وخالفوا اليهود؛ فإن التقوى تارة تكون بفعل واجب: من صلاة، أو صيام، وتارة تكون بترك محرم: من كفر أو زنا، أو نحو ذلك، فخصوص ذلك الفعل إذا دخل في التقوى لم يمنع دخول غيره، فإذا رئي رجل على <sup>(٦)</sup> زنا فقيل: له اتق الله؛ كان أمرا له <sup>(٧)</sup> بعموم التقوى، داخلا فيه خصوص <sup>(٨)</sup> ترك ذلك الزنا؛ لأن سبب اللفظ العام لا بد أن يدخل فيه. كذلك إذا قيل: " إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم " <sup>(٩)</sup> كان أمرا بعموم المخالفة، داخلا فيه المخالفة بصبغ اللحية؛ لأنه سبب اللفظ العام.

وسببه: أن الفعل <sup>(١٠)</sup> فيه عموم وإطلاق لفظي ومعنوي فيجب الوفاء به، وخروجه على سبب يوجب <sup>(١١)</sup> أن يكون داخلا فيه لا يمنع أن يكون غيره داخلا فيه - <sup>(١٢)</sup> وإن

(١) سورة النساء آية : ٩٢ .

(٢) وردت في القرآن الكريم : (فتحير رقة ) ، (وتحرير رقة ) ، (أو تحرير رقة ) في ستة مواضع أولها ، على ترتيب السور ، سورة النساء : من الآية ٩٢ .

(٣) في المطبوعة : من .

(٤) في (د) : كذلك . دون واو العطف .

(٥) في (ج د) : أو خالفوا .

(٦) في المطبوعة : هم بزنا . وهو أليق ، لكنه خلاف جميع النسخ .

(٧) في (ج د) : سقطت : له .

(٨) في المطبوعة : الأمر بخصوص ذلك . . الخ .

(٩) هذا لفظ الحديث الذي مر ذكره قبل قليل (ص ١٨٥) وهو في الصحيحين كما أشرت .

(١٠) أي فعل المخالفة في قوله : " فخالفوهم " .

(١١) في المطبوعة : توجب .

(١٢) أي كون الأمر بالمخالفة جاء هنا لأجل الصبغ لا يمنع أن يكون غير الصبغ من هدي أهل الكتاب داخلا في عموم الأمر بالمخالفة .

قيل: إن اللفظ العام يقصر<sup>(١)</sup> على سببه - لأن العموم هاهنا من جهة المعنى - فلا يقبل من التخصيص ما يقبله العموم اللفظي.

فإن قيل: الأمر بالمخالفة أمر بالحقيقة المطلقة وذلك<sup>(٢)</sup> لا عموم فيه بل يكفي فيه المخالفة في<sup>(٣)</sup> أمر ما، وكذلك سائر ما يذكرونه فمن أين اقتضى ذلك المخالفة في غير ذلك الفعل المعين؟.

قلت: هذا سؤال قد يورده بعض المتكلمين في عامة الأفعال المأمور بها ويلبسون به على الفقهاء وجوابه من وجهين<sup>(٤)</sup>

: أن التقوى والمخالفة ونحو ذلك من الأسماء والأفعال المطلقة قد يكون العموم فيها من جهة عموم الكل لأجزائه<sup>(٥)</sup> لا من جهة عموم الجنس لأنواعه؛ فإن العموم ثلاثة أقسام:

١ - عموم الكل لأجزائه: وهو ما لا يصدق فيه الاسم العام، ولا أفراده<sup>(٦)</sup> على جزئه.

٢ - عموم الجميع<sup>(٧)</sup> لأفراده: وهو ما يصدق فيه أفراد الاسم العام على آحاده.

٣ - عموم الجنس لأنواعه وأعيانه: وهو ما يصدق فيه نفس الاسم العام على أفراده.

: عموم الكل لأجزائه في الأعيان والأفعال والصفات كما في قوله تعالى:

﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾<sup>(٨)</sup> فإن اسم الوجه يعم الخد والجبين<sup>(١)</sup> والجبهة ونحو ذلك

(١) في (ج د) : يقتصر .

(٢) وذلك : سقطت من (ج د) .

(٣) من هنا حتى قوله : في غير ذلك الفعل المعين (سطر تقريبا) : سقطت من (ط) .

(٤) الوجه الأول ذكره المؤلف هنا والوجه الثاني هو : العموم المعنوي ، وهو أن المخالفة مشتقة وإنما أمر بها لمعنى كونها مخالفة ، وسيذكره (ص ١٧٣) .

(٥) من هنا حتى قوله : وهو ما لا يصدق (سطر ونصف تقريبا) : ساقط من (أ) .

(٦) في (ط) : ولأفراده على حذوه .

(٧) في المطبوعة : الجمع . وهو أتم للمعنى لكنه خلاف جميع النسخ .

(٨) سورة المائدة : من الآية ٦ .

وكل واحد من هذه الأجزاء ليس هو الوجه فإذا غسل بعض هذه الأجزاء لم يكن غاسلا للوجه لانتفاء<sup>(٢)</sup> المسمى بانتفاء جزئه.

وكذلك في الصفات والأفعال إذا قيل: صل فصلى ركعة وخرج بغير سلام أو قيل: صم فصام بعض يوم لم يكن ممثلا لانتفاء معنى الصلاة المطلقة والصوم<sup>(٣)</sup> المطلق وكذلك إذا قيل: أكرم<sup>(٤)</sup> هذا الرجل. فأطعمه وضربه لم يكن ممثلا؛ لأن الإكرام المطلق يقتضي فعل ما يسره وترك ما يسوءه.

فلما<sup>(٥)</sup> قال النبي ﷺ ﴿مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ﴾<sup>(٦)</sup> (٧)

فلو أطعمه بعض كفايته وتركه جائعا لم يكن مكرما له؛ لانتفاء أجزاء<sup>(٨)</sup> الإكرام، ولا يقال: الإكرام حقيقة مطلقة وذلك يحصل بإطعام<sup>(٩)</sup> لقمة كذلك<sup>(١٠)</sup> إذا قال: خالفوهم. فالمخالفة<sup>(١١)</sup> المطلقة تنافي الموافقة في بعض الأشياء، أو في أكثرها على طريق التساوي؛ لأن المخالفة المطلقة ضد<sup>(١٢)</sup> الموافقة المطلقة فيكون الأمر بأحدهما نهيًا عن الآخر، ولا

(١) في (ب) : والحاجين .

(٢) في (ج د) : الاسم المسمى .

(٣) والصوم : سقطت من (أ) .

(٤) في (أ) : الزم .

(٥) في المطبوعة : كما قال .

(٦) البخاري الأدب (٥٦٧٢) ، مسلم الإيمان (٤٧) ، أحمد (٤٣٣/٢) .

(٧) هذا جزء من حديث جاء في الصحيحين وغيرهما : فقد رواه البخاري في صحيحه . انظر : فتح الباري ،

كتاب الأدب ، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه ، حديث رقم (٦١٣٦ ، ٦١٣٨) ، (١٠ / ٥٣٢) ،

ورقم (٦٠١٨) ، (٦٤٧٥ ، ٦٤٧٦) . انظر : صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الحث على إكرام الجار

والضيف حديث رقم (٤٧ ، ٤٨) ، (١ / ٦٨ ، ٦٩) . كما روي الحديث في سائر السنن والمسانيد .

(٨) في (ب) : جزء .

(٩) في المطبوعة : بإطعام أي شيء ولو لقمة . وهي زيادة على جميع النسخ .

(١٠) في المطبوعة : وكذلك .

(١١) في (أ) : المخالفة .

(١٢) في (ط) : ضدا للموافقة .

يقال: إذا خالف<sup>(١)</sup> في شيء ما فقد حصلت المخالفة، كما لا يقال: إذا وافقه في شيء ما فقد حصلت الموافقة.

وسر ذلك الفرق بين مفهوم اللفظ المطلق وبين المفهوم المطلق من اللفظ، فإن اللفظ يستعمل مطلقا ومقيدا.

فإذا أخذت المعنى المشترك بين جميع<sup>(٢)</sup> موارد مطلقها ومقيدها؛ كان أعم من المعنى المفهوم منه عند إطلاقه وذلك المعنى المطلق يحصل بحصول بعض مسميات اللفظ في أي استعمال حصل من استعمالاته المطلقة والمقيدة.

وأما معناه في حال إطلاقه فلا يحصل بعض معانيه عند التقييد بل يقتضي أمورا كثيرة لا يقتضيها اللفظ المقيد.

فكثيرا ما يغلط الغالطون هنا. ألا ترى أن الفقهاء يفرقون بين الماء المطلق وبين المائية المطلقة الثابتة في المني والمتغيرات وسائر المائعات، فأنت تقول عند التقييد: أكرم الضيف بإعطاء<sup>(٣)</sup> هذا الدرهم. فهذا إكرام مقيد، فإذا قلت: أكرم الضيف. كنت أمرا بمفهوم اللفظ المطلق وذلك يقتضي أمورا لا تحصل بحصول إعطاء<sup>(٤)</sup> درهم فقط<sup>(٥)</sup>.

(٦) كما يعم قوله تعالى:

﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾<sup>(٨)</sup> كل مشرك.

(١) في (أ ط) : خالفه .

(٢) في (ط) : بين جمع .

(٣) في المطبوعة : بإعطائه .

(٤) في المطبوعة : إعطائه الدرهم .

(٥) فقط : ساقطة من (أ ط) .

(٦) في المطبوعة : من أقسام العموم .

(٧) في المطبوعة : عموم الجنس . ولعله أصح ، لكنه خلاف جميع النسخ المخطوطة .

(٨) سورة التوبة : من الآية ٥ .

يقتل مسلم بكافر ﴿ (٢) (٣) جميع أنواع القتل والمسلم (٤) والكافر.

إذا تبين هذا فالمخالفة المطلقة لا تحصل بالمخالفة في شيء ما إذا كانت الموافقة قد حصلت في أكثر منه (٥) وإنما تحصل بالمخالفة في جميع الأشياء أو في غالبها، إذ المخالفة المطلقة ضد الموافقة المطلقة فلا يجتمعان، بل الحكم للغالب وهذا تحقيق جيد، لكنه (٦) مبني على مقدمة وهو (٧) أن المفهوم من لفظ المخالفة عند الإطلاق، يعم المخالفة في عامة الأمور الظاهرة، فإن خفي هذا (٨) في هذا الموضع المعين فخذ في:

\* (٩): وهو العموم المعنوي وهو أن المخالفة مشتقة، وإنما أمر بها لمعنى كونها مخالفة، كما تقدم تقريره (١٠) وذلك ثابت في كل فرد من أفراد (١١) المخالفة فيكون العموم ثابتاً من جهة المعنى المعقول، وبهذين الطريقتين يتقرر العموم في قوله تعالى:

(١) في (ب ج): والثالث . وفي (أ ط): والثالث : عموم الجنس . .

(٢) البخاري الجهاد والسير (٢٨٨٢) ، مسلم الحج (١٣٧٠) ، النسائي القسامة (٤٧٤٤) ، ابن ماجه الديات (٢٦٥٨) ، أحمد (٧٩/١) ، الدارمي الديات (٢٣٥٦) .

(٣) هذا جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه : انظر : فتح الباري ، كتاب العلم ، باب كتابة العلم ، حديث رقم (١١١) ، (١ / ٢٠٤) ، والأحاديث (٣٠٤٧ ، ٦٩٠٣ ، ٦٩١٥) ، ورواه الترمذي وقال : " حديث علي حديث حسن صحيح " . انظر : سنن الترمذي ، كتاب الديات ، باب ما جاء : لا يقتل مسلم بكافر ، حديث رقم (١٤١٢) ، (٤ / ٢٤ ، ٢٥) تحقيق إبراهيم عطوة . كما روي الحديث في سائر السنن والمسانيد .

(٤) في المطبوعة : المسلم والكافر .

(٥) في (ج د) : في كثير منه .

(٦) في (أ ط) : لكن .

(٧) في المطبوعة : وهي . وهي أقرب للسياق لكنها خلاف النسخ الأخرى .

(٨) في المطبوعة : فإن خفي هذا الموضع المعين .

(٩) هذا هو الوجه الثاني من وجوه الرد على من يقول بأن الأمر بالمخالفة أمر بالحقيقة المطلقة ، وذلك لا عموم فيه ،

والوجه الأول هو المذكور (ص١٨٦) ، وأشارت إلى ذلك بالهامش .

(١٠) انظر : (ص١٨٦-١٨٥) .

(١١) في المطبوعة : الأفراد .



﴿ فَاعْتَبِرُوا يٰٓأُولِيَ الْآبْصَارِ ﴾<sup>(١)</sup> وغير ذلك من الأفعال.

وإن كان أكثر الناس إنما يفرعون إلى الطريق الثاني وقل منهم من يتفطن<sup>(٢)</sup> للطريق الأول وهو<sup>(٣)</sup> أبلغ إذا صح.

ثم نقول:<sup>(٤)</sup> هب أن الإجزاء يحصل بما<sup>(٥)</sup> يسمى مخالفة، لكن الزيادة على القدر المحزئ مشروعة؛ إذا كان الأمر مطلقا كما في قوله: ﴿ أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا ﴾<sup>(٦)</sup> ونحو ذلك من الأوامر المطلقة.

● <sup>(٧)</sup> : في أصل التقرير<sup>(٨)</sup> أن عدول<sup>(٩)</sup> الأمر عن لفظ الفعل الخاص به إلى لفظ أعم منه معنى كعدوله<sup>(١٠)</sup> عن لفظ: أطعمه. إلى لفظ: أكرمه. وعن لفظ: فاصبغوا.<sup>(١١)</sup> إلى لفظ:<sup>(١٢)</sup> فخالقوهم.<sup>(١٣)</sup> لا بد له من فائدة، وإلا فمطابقة اللفظ للمعنى أولى من إطلاق اللفظ العام وإرادة الخاص، وليست هنا فائدة تظهر إلا تعلق القصد بذلك المعنى العام المشتمل على هذا

(١) سورة الحشر : من الآية ٢ .

(٢) في (ج د) : يفطن .

(٣) في المطبوعة : وهذا .

(٤) في (ط) : يقول .

(٥) في المطبوعة : بأي .

(٦) سورة الحج : من الآية ٧٧ .

(٧) هذا ثالث الوجوه التي بدأت (ص ١٨٢) والتي أشرت إليها في الهامش .

(٨) في (ج د) : التغيير .

(٩) في المطبوعة : العدول بالأمر .

(١٠) في المطبوعة : كالعدول .

(١١) في (ج د) : اصبغوا .

(١٢) إلى لفظ : ساقطة من (ط) .

(١٣) في (ب ج) : خالفوهم .

الخاص (١) وهذا بين عند التأمل.

\* : أن العلم بالعام عاما يقتضي العلم بالخاص، والقصد العام (٢) عاما  
يوجب القصد للمعنى الخاص، فإنك إذا علمت أن كل مسكر خمر، وعلمت أن النبيذ  
مسكر، كان علمك بذلك الأمر العام وبحصوله في الخاص موجبا لعلمك (٣) بوصف  
الخاص كذلك إذا كان قصدك طعاما مطلقا، أو مالا مطلقا، وعلمت وجود طعام  
معين أو مال معين في مكان حصل قصدك له إذ العلم والقصد يتطابقان في مثل هذا  
والكلام يبين مراد المتكلم ومقصوده.

فإذا أمر بفعل باسم دال على معنى عام مريدا به فعلا خاصا كان ما ذكرناه من  
الترتيب الحكمي يقتضي أنه قاصد بالأول (٤) لذلك المعنى العام وأنه إنما قصد ذلك الفعل  
الخاص لحصوله به.

ففي قوله: أكرمه. طلبان طلب (٥) للإكرام المطلق وطلب لهذا الفعل الذي يحصل به  
الفعل (٦) المطلق؛ وذلك؛ لأن حصول المعين مقتض (٧) لحصول المطلق، وهذا معنى  
صحيح، إذا صادف فطنة من الإنسان وذكاء؛ انتفع به في كثير من المواضع وعلم به طريق  
البيان والدلالة.

بقي (٨) أن يقال هذا يدل على أن (٩) جنس المخالفة أمر مقصود للشارع وهذا

---

(١) من قوله : وهذا بين . . إلى قوله : يقتضي العلم بالخاص (بعد سطر) : سقط من : (ج د) ، ولعله سهو من  
الناسخين .

(٢) العام : ساقطة من (أ) .

(٣) في (ب) : لعملك .

(٤) في المطبوعة : بالأولى .

(٥) في (ب) : الإكرام .

(٦) في (أ) والمطبوعة : يحصل به المطلق .

(٧) في (ب) : مقتضى .

(٨) في (ب ج) : يبقى .

(٩) أن : سقطت من (ط) .

صحيح لكن قصد الجنس قد يحصل الاكتفاء فيه <sup>(١)</sup> بالمخالفة في بعض الأمور، فما زاد على ذلك لا حاجة إليه. قلت: إذا ثبت أن الجنس مقصود في الجملة <sup>(٢)</sup> كان ذلك حاصلًا في كل فرد من أفرادهِ ولو فرض أن الوجوب سقط بالبعض؛ لم يرفع <sup>(٣)</sup> حكم الاستحباب عن الباقي.

وأيضًا فإن ذلك يقتضي النهي عن موافقتهم؛ لأن <sup>(٤)</sup> من قصد مخالفتهم <sup>(٥)</sup> بحيث <sup>(٦)</sup> أمر <sup>(٧)</sup> بإحداث فعل يقتضي مخالفتهم فيما لم تكن الموافقة فيه من فعلنا، ولا قصدنا كيف <sup>(٨)</sup> لا ينهانا عن أن نفعل فعلا فيه موافقتهم سواء قصدنا موافقتهم أو لم نقصدها. \*  
: أنه رتب الحكم على الوصف بحرف الفاء فيدل هذا <sup>(٩)</sup> على أنه

علة له من غير وجه حيث قال: إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم. فإنه يقتضي أن علة <sup>(١٠)</sup> الأمر بهذه المخالفة كونهم لا يصبغون فالتقدير: اصبغوا؛ لأنهم لا يصبغون وإذا كان علة الأمر بالفعل عدم فعلهم له دل على أن قصد المخالفة لهم ثابت بالشرع، وهو المطلوب يوضح ذلك أنه لو لم يكن لقصد مخالفتهم تأثير في الأمر بالصبغ لم يكن لذكرهم فائدة، ولا حسن تعقيبه به، وهذا وإن دل على أن <sup>(١١)</sup> مخالفتهم أمر مقصود للشرع فذلك لا ينفي أن يكون <sup>(١٢)</sup> في نفس الفعل الذي حولفوا فيه مصلحة مقصودة مع قطع النظر

(١) في (ب) : به .

(٢) في (ج د) : في الحكمة .

(٣) في (أ) : لم يرتفع .

(٤) في (ب) : لا من قصد ، وفي المطبوعة : لأنه .

(٥) في (ب) : لمخالفتهم .

(٦) في (ب) : لحيث .

(٧) في المطبوعة : أمرنا .

(٨) في المطبوعة : فكيف .

(٩) في المطبوعة : هذا الترتيب .

(١٠) في (ب) أنه علل الأمر : وفي (ط) : أنه علة الأمر .

(١١) أن : ساقطة من (ط) .

(١٢) في المطبوعة : تكون .

عن مخالفتهم فإن هنا شيعين:

: أن نفس المخالفة لهم في الهدى الظاهر مصلحة ومنفعة لعباد الله المؤمنين لما في مخالفتهم من المجانبة والمباينة التي توجب المباحة عن أعمال أهل الجحيم، وإنما يظهر بعض المصلحة في ذلك لمن تنور قلبه حتى رأى ما اتصف به المغضوب عليهم والضالون من المرض<sup>(١)</sup> الذي ضرره أشد من ضرر أمراض الأبدان.

: أن نفس ما هم عليه من الهدى والخلق قد يكون مضرا أو منقصا فينهى عنه، ويؤمر بضده<sup>(٢)</sup> لما فيه من المنفعة والكمال، وليس شيء من أمورهم إلا<sup>(٣)</sup> وهو إما مضر أو ناقص<sup>(٤)</sup>؛ لأن ما بأيديهم من الأعمال المبتدعة والمنسوخة ونحوها مضرة، وما بأيديهم مما لم ينسخ أصله فهو يقبل الزيادة والنقص، فمخالفتهم فيه بأن يشرع ما يحصله على وجه الكمال، ولا يتصور أن يكون شيء من أمورهم كاملا قط، فإذا المخالفة فيها منفعة وصلاح لنا في كل أمورهم<sup>(٥)</sup> حتى ما هم عليه من إتقان بعض<sup>(٦)</sup> أمور دنياهم قد يكون مضرا بأمر<sup>(٧)</sup> الآخرة أو بما هو أهم منه من أمر الدنيا<sup>(٨)</sup> لمخالفة فيه صلاح لنا.

وبالجملة فالكفر بمتزلة مرض القلب<sup>(٩)</sup> وأشد ومتى كان القلب مريضا لم يصح شيء من الأعضاء صحة مطلقة، وإنما الصلاح أن لا تشبه<sup>(١٠)</sup> مريض القلب في شيء من أمورهم، وإن<sup>(١١)</sup> خفي عليك مرض ذلك العضو لكن يكفيك أن فساد الأصل لا بد أن

(١) في المطبوعة : من مرض القلب الذي ضرره .

(٢) في (ط) : ويؤيد قصده .

(٣) إلا : ساقطة من (ط) .

(٤) في (ب) : وإما ناقص .

(٥) في المطبوعة : في كل أمورنا .

(٦) بعض : سقطت في المطبوعة .

(٧) في المطبوعة : بأحزتنا ، وفي (ج د) : بالآخرة .

(٨) في المطبوعة : أمر دنيانا .

(٩) في (ج د) والمطبوعة : أو أشد .

(١٠) في المطبوعة : تشابه .

(١١) في (ط) : إن خفي .

يؤثر في الفرع، ومن انتبه لهذا قد يعلم بعض الحكمة التي أنزلها الله<sup>(١)</sup> فإن من في قلبه مرض قد يرتاب<sup>(٢)</sup> في الأمر بنفس المخالفة لعدم استبانته لفائدته، أو يتوهم أن هذا من جنس أمر الملوك والرؤساء القاصدين للعلو في الأرض، ولعمري إن النبوة غاية الملك الذي يؤتيه الله من يشاء ويتزعه ممن يشاء، ولكن ملك<sup>(٣)</sup> هو غاية صلاح من أطاعه<sup>(٤)</sup> من العباد في معاشهم ومعادهم<sup>(٥)</sup>.

وحقيقة الأمر: أن جميع أعمال الكافر وأموره لا بد فيها من خلل يمنعها أن تتم<sup>(٦)</sup> منفعة بها.

ولو فرض صلاح شيء من أموره على التمام، لاستحق<sup>(٧)</sup> بذلك ثواب الآخرة، ولكن كل أموره إما فاسدة وإما ناقصة، فالحمد لله على نعمة الإسلام التي هي أعظم النعم، وأم كل خير كما يحب ربنا ويرضى.

فقد تبين أن نفس مخالفتهم أمر مقصود للشارع في الجملة، ولهذا كان الإمام أحمد بن حنبل<sup>(٨)</sup> وغيره من الأئمة<sup>(٩)</sup> يعللون<sup>(١٠)</sup> الأمر بالصبيغ<sup>(١١)</sup> بعلّة المخالفة قال حنبل<sup>(١٢)</sup> سمعت أبا عبد الله يقول: ما أحب لأحد إلا أن يغير الشيب، لا يتشبه بأهل الكتاب؛ لقول

(١) في (ب) : الله تعالى .

(٢) في (ج د) : ارتاب .

(٣) في المطبوعة : لكن ملك النبوة .

(٤) في المطبوعة : من أطاع الرسول .

(٥) في المطبوعة : في معاشه ومعاده .

(٦) في المطبوعة : أن تتم له منفعة بما .

(٧) في (ب ط) : لا يستحق .

(٨) بن حنبل : سقطت من (ب) .

(٩) في المطبوعة : رضي الله عنهم .

(١٠) في (أ) : يعللون أن الأمر .

(١١) في (ط) : لصبيغ .

(١٢) هو : حنبل بن إسحاق بن حنبل الشيباني ، أبو علي ، ابن عم الإمام أحمد بن حنبل ، ومن تلاميذه الذين رووا عنه الكثير من المسائل ، وقال عنه الدارقطني : كان صدوقا ، توفي رحمه الله سنة (٢٧٣ هـ) بواسط .

انظر : طبقات الحنابلة (١ / ١٤٣ - ١٤٥) ، (ت١٨٨) .

النبي ﷺ ﴿غيروا الشيب، ولا تشبهوا بأهل الكتاب﴾ (١) (٢) .

وقال إسحاق بن إبراهيم (٣) سمعت أبا عبد الله يقول لأبي (٤) : يا أبا هاشم (٥)  
اخضب ولو مرة واحدة، أحب لك (٦) أن تخضب، ولا تشبه باليهود.  
وهذا اللفظ الذي احتج به أحمد قد رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول  
الله ﷺ ﴿غيروا الشيب، ولا تشبهوا باليهود﴾ (٧) (٨) . قال الترمذي: حديث حسن

(١) الترمذي اللباس (١٧٥٢) .

(٢) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة بلفظ: "غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود"، وقال الترمذي: "حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح"، وقال: "وفي الباب عن الزبير وابن عباس وجابر وأبي ذر وأنس، وأبي رثة والجهمة وأبي الطفيل وجابر بن سمرة وأبي جعيفة وابن عمر" سنن الترمذي، كتاب اللباس، باب ما جاء في الخضاب، الحديث رقم (١٧٥٢) ، (٤ / ٢٣٢) . وأخرجه أحمد في المسند (١ / ١٦٥) ، عن الزبير بن العوام (٢ / ٢٦١ ، ٤٩٩) ، عن أبي هريرة وفيه زيادة: (ولا بالنصاري)، وكذلك (ص٣٥٦) ، باختلاف يسير في ألفاظه، وأخرجه النسائي في كتاب الزينة (٨ / ١٣٨) . وأخرجه الإمام البغوي في شرح السنة، في باب الخضاب من كتاب اللباس، الحديث رقم (٣١٧٥) ، (١٢ / ٨٩) ، عن أبي هريرة ولفظه: "غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود والنصاري" .

(٣) هو: إسحاق بن إبراهيم بن هانئ النيسابوري، أبو يعقوب، ولد سنة (٢١٨ هـ)، وخدم الإمام أحمد وهو ابن تسع سنين، وكان ذا دين وورع، ونقل عن الإمام أحمد مسائل كثيرة جيدة؛ منها ما هو مطبوع الآن وأشهرت إليه في هذا الهامش، توفي سنة (٢٧٥ هـ) . انظر: طبقات الخنابلة (١ / ١٠٨ ، ١٠٩) ، (ت) (١٢١) .

(٤) في الكلام سقط فقد وجدته في كتاب مسائل الإمام أحمد لإسحاق بن إبراهيم هكذا: "سمعت أبا عبد الله يقول لأبي هاشم: يا أبا هاشم . . الخ الكتاب المذكور (٢ / ١٤٨) ، كما أن أبا إسحاق وهو إبراهيم بن هانئ معروف وكنيته: أبو إسحاق، فهو غير أبي هاشم . انظر: طبقات الخنابلة (١ / ٩٧) ، (ت) (١٠٥) ، كما أن أبا هاشم معروف وهو زياد بن أيوب التالية ترجمته .

(٥) هو: زياد بن أيوب بن زياد البغدادي، أبو هاشم، الملقب بـ (دلويه)، وكان أحمد يلقبه بشعبة الصغير، وهو ثقة حافظ، من الطبقة العاشرة، توفي سنة (٢٥٢ هـ) وعمره (٨٦) سنة . أخرج له البخاري وغيره . انظر: تقريب التهذيب (١ / ٢٦٥) ، (ت) (٨٨) .

(٦) لك: ساقطة من (أ) .

(٧) الترمذي اللباس (١٧٥٢) .

(٨) انظر: كتاب مسائل الإمام أحمد، برواية إسحاق بن إبراهيم النيسابوري (٢ / ١٤٨) ، الرواية رقم (١٨٣٢)

صحيح (١) .

وقد رواه النسائي من حديث محمد بن كنانة (٢) عن هشام بن (٣) عروة (٤) عن عثمان بن عروة (٥) عن أبيه (٦) عن الزبير (٧) عن النبي ﷺ قال: ﴿غَيَّرُوا الشَّيْبَ، وَلَا تُشَبِّهُوا بِالْيَهُودِ﴾ (٨) (٩) ورواه أيضا من حديث عروة عن عبد الله بن عمر لكن قال النسائي: كلاهما ليس بمحفوظ (١٠) .

- (١) انظر: سنن الترمذي، كتاب اللباس، باب ما جاء في الخضاب، الحديث رقم (١٧٥٢)، (٤ / ٢٣٢) .
- (٢) في (ب): ابن كنانة، والصحيح ما أثبتته، وهو أبو يحيى محمد بن عبد الله بن عبد الأعلى الأسدي، وكناسة: لقب أبيه أو جده، قال في تقريب التهذيب: "صدوق عارف بالآداب"، مات سنة (٢٠٧ هـ) وعمره قريبا من التسعين. انظر: تقريب التهذيب (٢ / ١٧٧ - ١٧٨)، ترجمة (٣٨٩) .
- (٣) في (أ): هشام بن عمرو عن أبيه، وهو خلط من الناسخ. انظر: تقريب التهذيب (٢ / ٣١٩)، (ت) ٩٢ هـ .
- (٤) هو: هشام بن عروة بن الزبير بن العوام، الأسدي القرشي، ثقة فقيه متقن، وربما دلس. أخرج له الستة، توفي سنة (١٤٦ هـ) وعمره (٨٧) سنة. انظر: تقريب التهذيب (٢ / ٣١٩)، (ت) ٩٢ هـ .
- (٥) هو: عثمان بن عروة بن الزبير بن العوام، الأسدي القرشي، أخو هشام الراوي عنه، ثقة متقن، أخرج له البخاري ومسلم وغيرهما، وكان من خطباء الناس وعلمائهم، توفي سنة (١٣٦ هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٧ / ١٣٨)، (ت) ٢٨٧ ع .
- (٦) هو: عروة بن الزبير بن العوام، الأسدي القرشي، من كبار الطبقة الثانية من التابعين، وكان فقيها عالما عابدا، ثقة كثير الحديث، توفي سنة (٩٣ هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٧ / ١٨٠، ١٨٥)، (ت) ٣٥١ ع .
- (٧) هو الصحابي الجليل: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي، أبو عروة، وجد هشام وعثمان السابقة تراجمهم، والزبير ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وحواريه، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى، أسلم مبكرا وهو صغير، وهاجر المهجرتين، وشهد سائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حتى قال له الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "فذاك أبي وأمي"، وحضر الجمل فذكره علي قول رسول الله له: "إنك تقاتل عليا وأنت له ظالم"، فرجع وندم فلحقه ابن جرموز فقتله سنة (٣٦ هـ). انظر: الإصابة (١ / ٥٤٥)، (ت) ٢٧٨٩ .
- (٨) الترمذي اللباس (١٧٥٢) .
- (٩) مر الكلام عن الحديث (ص ٢٠٠)، وانظر: سنن النسائي (٨ / ١٣٧، ١٣٨) .
- (١٠) في (ط): كلاهما غير محفوظ، وهو كذلك في سنن النسائي (٨ / ١٣٨) .

وقال الدارقطني<sup>(١)</sup> المشهور عن عروة مرسلًا<sup>(٢)</sup> .

وهذا اللفظ دل<sup>(٣)</sup> على الأمر بمخالفتهم<sup>(٤)</sup> والنهي عن مشابكتهم فإنه إذا نهي عن التشبه بهم في بقاء بيض الشيب الذي ليس من فعلنا، فلأن ينهى عن إحداث التشبه بهم أولى، ولهذا كان هذا<sup>(٥)</sup> التشبه<sup>(٦)</sup> يكون محرماً بخلاف الأول.

وأيضاً ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ﴿خالفوا المشركين، أحفوا<sup>(٧)</sup> الشوارب، وأوفوا<sup>(٨)</sup> اللحي﴾ . رواه البخاري

ومسلم<sup>(٩)</sup> وهذا لفظه فأمر بمخالفة المشركين مطلقاً ثم قال: ﴿أحفوا الشوارب<sup>(١٠)</sup>

وأوفوا<sup>(١١)</sup> اللحي﴾ . وهذه الجملة الثانية بدل من الأولى، فإن الإبدال يقع في الجمل

---

(١) هو : الحافظ علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي- الدارقطني : نسبة إلى دارقطن محلة ببغداد- كان عالماً حافظاً فقيهاً على مذهب الشافعي ، صنف السنن ، والمختلف والمؤتلف ، توفي سنة (٣٨٥ هـ) ، وكانت ولادته سنة (٣٠٦ هـ) . انظر : وفيات الأعيان (٣ / ٢٩٧ ، ٢٩٨) ، (ت٤٣٤)؛ واللباب في تهذيب الأنساب (١ / ٤٨٣) .

(٢) الحديث المرسل : هو ما يسقط في سنده اسم الصحابي ، وعرفه الشيخ في مجموع الفتاوى بقول : " أما المرسل من الحديث : أن يرويه من دون الصحابة ، ويحتمل أنه أخذه عن غيره " . انظر : مجموع الفتاوى (١٨ / ٣٨)؛ وتدريب الراوي (١ / ١٩٥ ، ١٩٦) .

(٣) في (ب) والمطبوعة : أدل .

(٤) في (ب) : لمخالفتهم .

(٥) هذا : سقطت من (أ) .

(٦) في المطبوعة : التشبه بهم يكون .

(٧) في (أ) : حفوا .

(٨) في المطبوعة : وأعفوا .

(٩) رواه البخاري بلفظ : " أمهكوا الشوارب واعفوا اللحي " . انظر : فتح الباري ، كتاب اللباس ، باب إعفاء اللحي ، حديث رقم (٥٨٩٣) ، (١٠ / ٣٥١) . ورواه مسلم بهذا اللفظ الذي أورده المؤلف ، ولفظ : " أحفوا الشوارب؛ واعفوا اللحي " ، ولفظ : " جزوا الشوارب وأرخوا اللحي ، وخالفوا المحوس " ومعنى الألفاظ واحد . انظر : صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب خصال الفطرة ، حديث رقم (٢٥٩) ، (٢٦٠) ، (١ / ٢٢٢) .

(١٠) في (ط) : الشارب ، ولعله سهو من الناسخ .

(١١) في المطبوعة : وأعفوا .



كما يقع في المفردات كقوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُم سُوَاءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ

وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾<sup>(١)</sup> فهذا الذبح والاستحياء هو سوء العذاب كذلك هنا هذا<sup>(٢)</sup> هو

المخالفة للمشركين المأمور بها هنا<sup>(٣)</sup> لكن الأمر بها أولا بلفظ مخالفة<sup>(٤)</sup> المشركين دليل

على أن جنس المخالفة أمر مقصود للشارع وإن عينت هنا في هذا الفعل فإن تقديم

المخالفة<sup>(٥)</sup> علة<sup>(٦)</sup> تقدم العام على الخاص كما يقال: أكرم ضيفك: أطعمه، وحادثه.

فأمرك بالإكرام أولا دليل على أن إكرام الضيف مقصود، ثم عينت<sup>(٧)</sup> الفعل الذي يكون

إكراما<sup>(٨)</sup> في ذلك الوقت.

والتقرير من هذا الحديث شبيهه بالتقرير من قوله: لا يصبغون فخالقوهم. وقد روى

مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿جزوا الشوارب،

وأرخوا اللحى، خالفوا الجوس﴾<sup>(٩)</sup> (١٠).

فعقب الأمر بالوصف المشتق المناسب، وذلك دليل على أن مخالفة الجوس<sup>(١١)</sup> أمر

مقصود للشارع، وهو العلة في هذا الحكم، أو علة أخرى، أو بعض علة، وإن كان الأظهر

عند الإطلاق: أنه علة تامة؛ ولهذا لما فهم السلف كراهة التشبه بالجوس، في هذا وغيره،

كرهوا أشياء غير منصوطة بعينها عن النبي ﷺ من هدى الجوس.

(١) سورة البقرة: من الآية ٤٩، وفي (ب): سرد الآية إلى آخرها: ٣٠ وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ٣٠.

(٢) هذا: سقطت من (أ).

(٣) هنا: سقطت من (ط).

(٤) في (د): المخالفة دليل، بزيادة: آل، وبسقوط: المشركين.

(٥) قوله: تقديم المخالفة علة: سقطت من (أ).

(٦) في (ب): عليه.

(٧) في (ب): عين.

(٨) في (ب): "إكراما ما في ذلك"، وفي المطبوعة: "إكراما له في ذلك".

(٩) مسلم الطهارة (٢٦٠)، أحمد (٣٦٦/٢).

(١٠) الحديث في صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، حديث رقم (٢٦٠)، (١ / ٢٢٢).

(١١) في (ج د): أن المخالفة للمجوس.

وقال المروزي <sup>(١)</sup> سألت أبا عبد الله - يعني أحمد بن حنبل - عن حلق القفا <sup>(٢)</sup> فقال: هو من فعل الجوس، ومن تشبه بقوم فهو منهم <sup>(٣)</sup> .

وقال أيضا: قيل لأبي عبد الله: يكره <sup>(٤)</sup> للرجل أن يخلق قفاه، أو وجهه. فقال: أما أنا فلا أحلق قفائي.

وقد روي فيه <sup>(٥)</sup> حديث مرسل عن <sup>(٦)</sup> قتادة كراهيته <sup>(٧)</sup> وقال: إن حلق القفا من فعل الجوس <sup>(٨)</sup> .

قال <sup>(٩)</sup> وكان <sup>(١٠)</sup> أبو عبد الله يخلق قفاه وقت الحجامة.

وقال أحمد <sup>(١١)</sup> أيضا: لا بأس أن يخلق قفاه وقت <sup>(١٢)</sup> الحجامة <sup>(١)</sup> .

(١) في (ب د) والمطبوعة: المروزي، بالزاي، والصحيح بالذال، نسبة إلى مرو الروذ بخراسان. انظر: الأعلام للزركلي (١ / ٢٠٥)؛ وطبقات الحنابلة (١ / ٥٦)، وكذلك في المغني والشرح الكبير (المروزي) (١ / ٧٥) في المغني؛ وشذرات الذهب (٢ / ١٦٦)، والمروزي هو أحمد بن محمد بن الحجاج بن عبد العزيز، أبو بكر، المروزي، من أصحاب الإمام أحمد المقربين إليه فكان يأنس به وينسب إليه لورعه وفضله، وروى عن الإمام أحمد مسائل كثيرة، توفي سنة (٢٧٥). انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١ / ٥٦ - ٦٣)، (ت ٥٠) وشذرات الذهب (٢ / ١٦٦).

(٢) حلق القفا: المقصود به حلق شعر الرأس من القفا، أي مؤخرة الرأس.

(٣) انظر: المغني والشرح الكبير (١ / ٧٥) في المغني فقد ذكر هذه الرواية، وانظر: المصنف لعبد الرزاق فقد ذكر ما يشبه هذا عن عمر بن الخطاب (١١ / ٤٥٣، ٤٥٤).

(٤) في المطبوعة: تكره.

(٥) أي: حلق القفا.

(٦) في (أ): عن أبي قتادة ولعل ما أثبتته من النسخ الأخرى أصح؛ لأنه ورد عن قتادة التابعي أنه روى عن عمر شيئا في كراهة حلق القفا، كما أن الإرسال يكون من التابعي، وأبو قتادة صاحبي. انظر: مصنف عبد الرزاق (١١ / ٤٥٤).

(٧) في (ب ط): كراهته، وفي المطبوعة: عن قتادة في كراهيته، والمقام يتطلبها؛ لأن في العبارة ركازة، فإذا قلنا (في كراهيته) استقام الكلام.

(٨) انظر: مصنف عبد الرزاق (١١ / ٤٥٣، ٤٥٤)، الأثر رقم (٢٠٩٨٦).

(٩) أي: المروزي.

(١٠) في (د): فكان.

(١١) أي: ابن حنبل.

(١٢) في (ب) والمطبوعة: قبل الحجامة.

وقد روى عنه ابن منصور<sup>(٢)</sup> قال: سألت أحمد عن حلق القفا<sup>(٣)</sup> فقال: لا أعلم فيه حديثا إلا ما يروى عن إبراهيم<sup>(٤)</sup> أنه كره قردا يرقوس<sup>(٥)</sup> وذكر الخلال<sup>(٦)</sup> هذا وغيره. وذكره أيضا بإسناده عن الهيثم بن حميد<sup>(٧)</sup> قال: حف القفا من شكل الجحوس. وعن المعتمر بن سليمان التيمي<sup>(٨)</sup> قال: كان أبي إذا جز شعره لم<sup>(٩)</sup> يخلق قفاه. قيل له: لم؟ قال: كان يكره أن يتشبه بالعجم<sup>(١٠)</sup>.

والسلف تارة<sup>(١١)</sup> يعللون الكراهة بالتشبه بأهل الكتاب، وتارة بالتشبيه بالأعاجم،

(١) ذكر ذلك في المعني والشرح الكبير (١ / ٧٥).

(٢) هو سعيد بن منصور، تأتي ترجمته (ص ٢١١).

(٣) في (ج د): قال.

(٤) لعله إبراهيم النخعي، هو: إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، أبو عمران، الكوفي الفقيه، ثقة إلا أنه يرسل كثيرا، مات سنة (٩٦ هـ)، وعمره (٥٠) سنة. انظر: تقريب التهذيب (١ / ٤٦)، (ت ٣٠١) أ.

(٥) في (ب): قرع دايرقوس، وفي (ج): قردا برقوس، وفي (د): دابر قوس. ولم أجد هذه الكلمة في المراجع التي اطلعت عليها، لكنني أفهم من سياق الكلام هنا أنها بمعنى حلق القفا، ويغلب على ظني أنها فارسية، والله أعلم.

(٦) هو: أحمد بن محمد بن هارون، أبو بكر، من كبار أتباع الإمام أحمد، سمع عن تلاميذ الإمام وأبنائه، وعني بأقواله ومسائله، ورحل في سبيل ذلك، وكتبها عالية ونازلة، فنال منها وسبق غيره فيها، حتى صار إماما في مذهب أحمد، توفي رحمه الله سنة (٣١١ هـ). انظر: طبقات الحنابلة (٢ / ١٢ - ١٥)، ترجمة رقم ٥٨٢.

(٧) هو: الهيثم بن حميد الغساني مولاهم، أبو أحمد، أو أبو الحارث، قال ابن معين: لا بأس به، وقال أحمد بن حنبل: لا أعلم إلا خيرا، وقال أبو داود: قدرني ثقة، وضعفه أبو مسهر، كما اهتم بالقول بالقدر، وقد عده ابن حبان في الثقات. انظر: تهذيب التهذيب (١١ / ٩٢، ٩٣)، ترجمة (١٥٤ هـ).

(٨) هو: معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي، أبو محمد، البصري، كان يلقب بالطفيل، وثقه ابن حبان وابن معين وابن سعد، وقال ابن خراش: صدوق يخطئ إذا حدث من حفظه، وإذا حدث من كتابته فهو ثقة، ولد سنة (١٠٠ هـ)، توفي سنة (١٨٧ هـ). انظر: تهذيب التهذيب (١٠ / ٢٢٧)، ترجمة (٤١٥) م.

(٩) في (ج): لما، وهو بعيد.

(١٠) وذلك أن العجم الذين لم يتمسكوا بهدي الإسلام كانوا يخلقون أقيمتهم.

(١١) في (أ ب ط): يعللون تارة.

وكلا العلتين منصومة <sup>(١)</sup> في السنة مع أن الصادق عليه السلام قد أخبر بوقوع المشاهدة لهؤلاء وهؤلاء كما <sup>(٢)</sup> قدمنا بيانه.

وعن شداد بن أوس رضي عنه <sup>(٣)</sup> قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿خالفوا اليهود، فإنهم لا يصلون في نعالهم، ولا خفافهم﴾ <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup> رواه أبو داود <sup>(٦)</sup>.

وهذا مع أن نزع اليهود نعالهم مأخوذ عن موسى عليه السلام لما قيل له: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ <sup>(٧)</sup>.

عن عمرو بن العاص رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿فصل ما بين صيامنا وصيام أهل

(١) في المطبوعة: منصوص .

(٢) في (أ ط) : كما قد قدمنا .

(٣) هو الصحابي الخليل : شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي الأنصاري ، ابن أخي حسان بن ثابت رضي الله عنه . قال فيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم : " وتكون أنت وولدك من بعدك أئمة فيهم إن شاء الله تعالى " وقال فيه عبادة بن الصامت : " شداد بن أوس من الذين أوتوا العلم والحلم " . سكن بعد الفتوح بجمص ، وقيل : ببيت المقدس ، توفي سنة ( ٥٨ هـ ) رضي الله عنه . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة ( ٢ / ١٣٩ ، ١٤٠ ) ، ترجمة ( ٣٨٤٧ ) .

(٤) أبو داود الصلاة ( ٦٥٢ ) .

(٥) المقصود أن اليهود يتعدون بالصلاة بلا خفاف ولا نعال ، لذلك كان الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم يصلي في نعليه أحيانا ، ولم يداوم على ذلك ، وكذلك ينبغي للمسلم أن يصلي أحيانا بنعاله إذا توفرت شروط الصلاة فيها من الطهارة وعدم وجود فرش أو أذى لبعض المصلين ، ونحو ذلك تحقيقا لما ورد في السنة من مخالفة اليهود ، أما ما يفعله بعض الناس من الإصرار على الصلاة بالنعال بكل حال فلا أجد له دليلا ، والله أعلم .

(٦) انظر : سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة في النعل ، حديث رقم ( ٦٥٢ ) ، ( ١ / ٤٢٧ ) . ورواه الحاكم في المستدرک وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " وقال الذهبي في التلخيص : " صحيح " . انظر : المستدرک على الصحيحين للحاكم وبهامشه التلخيص للذهبي ( ١ / ٢٦٠ ) ، كتاب الصلاة .

(٧) في المطبوعة : فاخلع وهو الصحيح ، لذلك أثبتته ، أما بقية النسخ : ٣٠ اخلع نعليك ٣٠ وهي من الآية ١٢ من سورة طه .

الكتاب أكلة السحر ﴿ (١) (٢) رواه مسلم في صحيحه (٣) .

وهذا يدل على أن الفصل بين العبادتين (٤) أمر مقصود للشارع وقد صرح بذلك فيما رواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلوات الله عليه قال: ﴿ لا يزال الدين ظاهرا ما عجل الناس الفطر؛ لأن اليهود والنصارى يؤخرون ﴾ (٦) (٧) .

وهذا نص في أن ظهور الدين الحاصل بتعجيل الفطر (٨) لأجل مخالفة اليهود والنصارى.

وإذا كان (٩) مخالفتهم سببا لظهور الدين فإنما (١٠) المقصود بإرسال الرسل أن يظهر دين الله على الدين كله، فيكون (١١) نفس مخالفتهم من أكبر مقاصد البعثة. وهكذا روى أبو داود من حديث أبي أيوب (١٢) الأنصاري (١) رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه

---

(١) مسلم الصيام (١٠٩٦) ، الترمذي الصوم (٧٠٩) ، النسائي الصيام (٢١٦٦) ، أبو داود الصوم (٢٣٤٣) ، أحمد (٢٠٢/٤) ، الدارمي الصوم (١٦٩٧) .

(٢) في (ط) : السحور .

(٣) انظر : صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، باب فضل السحور ، حديث رقم (١٠٩٦) ، (٢ / ٧٧١) تحقيق محمد فؤاد .

(٤) أي : عبادة المسلمين وعبادة أهل الكتاب .

(٥) في (أ ط) : قال .

(٦) أبو داود الصوم (٢٣٥٣) ، ابن ماجه الصيام (١٦٩٨) ، أحمد (٤٥٠/٢) .

(٧) انظر سنن أبي داود ، كتاب الصوم ، باب ما يستحب من تعجيل الفطر ، حديث رقم (٢٣٥٣) ، (٢ / ٧٦٣) .  
(٨) وسنن ابن ماجه ، كتاب الصيام ، باب ما جاء في تعجيل الإفطار ، الحديث رقم (١٦٩٨) ، (١ / ٥٤١) ، (٥٤٢) . وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . المستدرك (١ / ٤٣١) .

(٨) في المطبوعة : هو لأجل .

(٩) في المطبوعة : كانت .

(١٠) في (ط) : قلنا . أو : قلنا . غير واضحة .

(١١) في (أ) والمطبوعة : فتكون .

(١٢) هو الصحابي الجليل : خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة الأنصاري ، من بني النجار ، ومن السابقين إلى الإسلام ، شهد العقبة وبدرا وما بعدهما ، وكان نزل عنده النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين قدم المدينة

الله ﷺ قال: ﴿ لا تزال <sup>(٢)</sup> أمي بخير أو <sup>(٣)</sup> على الفطرة ما لم يؤخروا المغرب إلى أن

تشتبك النجوم <sup>(٤)</sup> ورواه ابن ماجه <sup>(٥)</sup> من حديث العباس <sup>(٦)</sup> ورواه الإمام أحمد من <sup>(٧)</sup>

حديث السائب بن يزيد <sup>(٨)</sup> .

وقد جاء مفسرا تعليله: لا يزالون بخير ما لم يؤخروا المغرب إلى طلوع النجم <sup>(٩)</sup>  
مضاهاة لليهودية، <sup>(١٠)</sup> ويؤخروا <sup>(١١)</sup> الفجر إلى محاق <sup>(١٢)</sup> النجوم مضاهاة للنصرانية <sup>(١٣)</sup> .

مهاجرا حتى بني مسجده وبيوته ، وشهد سائر الفتوح ، وداوم على الجهاد حتى شهد غزوة القسطنطينية مع  
يزيد بن معاوية ومات هناك سنة (٥٢ هـ) . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة (١ / ٤٠٥) ، (ت ٢١٦٣) .

(١) في (أ ب ط) : سقطت : الأنصاري .

(٢) في (ب) : لا يزال .

(٣) في المطبوعة : أو قال على الفطرة .

(٤) انظر : سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب وقت المغرب ، الحديث رقم (٤١٨) ، (١ / ٢٩١) .

(٥) انظر : سنن ابن ماجه ، كتاب الصلاة ، باب وقت صلاة المغرب ، الحديث رقم (٦٨٩) ، (١ / ٢٢٥) .

(٦) هو الصحابي الجليل : العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ، عم رسول الله صلى الله عليه  
وعلى آله وسلم ، أسلم بعد أسره في غزوة بدر ، وقيل : بأنه أسلم قبل الهجرة لكنه كان يكتم إسلامه ، وكانت مواقفه  
في نصرة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بمكة محمودة ، وكان المسلمون يتقوون به حتى قبل إسلامه ، وكان  
العباسييدا في قومه قبل الإسلام وبعده ، فكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعظمه ويكرمه ، وكان الصحابة  
من بعده يقدمونه ويشاورونه ، توفي بالمدينة سنة (٣٢ هـ) . انظر : أسد الغابة (٣ / ١٠٩ - ١١٢) .

(٧) انظر : مسند الإمام أحمد (٣ / ٤٤٩)؛ وأخرجه الحاكم في المستدرک (١ / ١٩٠ ، ١٩١) ، وقال : حديث  
صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

(٨) هو الصحابي الجليل : السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة بن الأسود الكندي ، أو الأزدي ، له ولأبيه صحبة ،  
مسح الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم رأسه ودعا له ، وشرب من وضوء الرسول صلى الله عليه وعلى  
آله وسلم ، واستعمله عمر على سوق المدينة ، وتوفي بها سنة (٩٥ هـ) ، ويقال : إنه آخر من مات بها من  
الصحابة . انظر : الإصابة (٢ / ١٢ ، ١٣) ، (ت ٣٠٧٧) .

(٩) في المطبوعة : النجوم .

(١٠) في المطبوعة : لليهود .

(١١) في المطبوعة : وما لم يؤخروا .

(١٢) الحاق : يقال : محقه : أبطله ومحاه ، والقمر : اختفى نوره ، فمحاق النجوم بمعنى اختفائها وذهاب نورها  
بسبب تزايد نور الشمس عند طلوعها . انظر : القاموس المحيط ، فصل الميم ، باب القاف (٣ / ٢٩١) .

(١٣) في (أ ط) : النصرانية .

قال (١) سعيد بن منصور (٢) حدثنا أبو معاوية (٣) حدثنا الصلت بن بهرام (٤) عن الحارث (٥) بن وهب عن أبي (٦) عبد الرحمن الصنابحي (٧) قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ لا تزال أمتي على مسكة ما لم ينتظروا بالمغرب اشتباك النجوم مضاهاة لليهودية (٨) ولم ينتظروا بالفجر محاق النجوم مضاهاة (٩) للنصرانية (١٠) ولم (١١) يكلوا الجنائز إلى أهلها ﴾ (١٢) .

(١) في (ب ج) والمطبوعة : وقال .

(٢) هو : سعيد بن منصور بن شعبة ، الخراساني ، المروزي ، أبو عثمان ، من رواة الحديث وحفاظه المشاهير ، فكان إماما ثقة ثبتا ، أثنى عليه ووثقه كل من : أحمد بن حنبل والخليلي ، وأبي حاتم ، وابن حبان ، وغيرهم ، مات رحمه الله سنة (٢٢٧ هـ) . انظر : تهذيب التهذيب (٤ / ٨٩ ، ٩٠ ) ، ترجمة رقم (١٤٨) س .

(٣) هو : محمد بن حازم . مرت ترجمته . انظر : فهرس الأعلام .

(٤) هو : الصلت بن بهرام التميمي الكوفي ، قليل الحديث ، ثقة صدوق ، قال ابن أبي حاتم عن أبيه : " صدوق ليس له عيب إلا الإرجاء " . انظر : تهذيب التهذيب (٤ / ٤٣٢) ، ترجمة رقم (٧٥٠) ص .

(٥) الحارث بن وهب : ذكره ابن حجر في تعجيل المنفعة وذكر عن البخاري : أن روايته عن الصنابحي مرسله ، وكذلك ذكر ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣ / ٩٢) ، (ت٤٢٧) . انظر : تعجيل المنفعة (ص٨٠ ، ٨١) ، (ت١٦٤) .

(٦) في المطبوعة : عن عبد الرحمن ، وهو الصحيح ، قال في تهذيب التهذيب : " ومن قال : عن أبي عبد الرحمن فقد أخطأ ، قلب اسمه فجعله كنيته " . تهذيب التهذيب (٦ / ٢٢٩) ، ترجمة عبد الرحمن بن عسيلة رقم (٤٦٥) ع .

(٧) هو : عبد الرحمن بن عسيلة بن عسل بن عسال المرادي ، الصنابحي ، أبو عبد الله ، من كبار التابعين ، أسلم في عهد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهاجر إليه من اليمن فوجده قد مات ، ثقة كثير المناقب ، وذكره البخاري فيمن توفي بين السبعين والثمانين للهجرة . انظر : تهذيب التهذيب (٦ / ٢٢٩ ، ٢٣٠) ، ترجمة (٤٦٥) ع .

(٨) في (ب) : لليهود .

(٩) في المطبوعة : وما لم .

(١٠) في (أ ط) : النصرانية .

(١١) في المطبوعة : وما لم .

(١٢) هذا الحديث رواه أحمد في مسنده مع اختلاف يسير في ألفاظه (٤ / ٣٤٩) في مسند أبي عبد الله الصنابحي ، وقالوا بأن حديثه مرسل؛ لأنه لم يسمع من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ذكر ذلك عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتابه المراسيل (ص١٢١ ، ط١ ، ، (١٣٩٧ هـ) وذكره عن يحيى بن معين ، وأبي زرعة ، وأبي حاتم ، وعليه سائر أئمة الحديث .

وقال سعيد بن منصور: حدثنا عبيد الله <sup>(١)</sup> بن إيراد <sup>(٢)</sup> بن لقيط <sup>(٣)</sup> عن أبيه <sup>(٤)</sup> عن ليلى <sup>(٥)</sup> امرأة بشير <sup>(٦)</sup> بن الخصاصية <sup>(٧)</sup> قالت: أردت أن أصوم يومين مواصلة <sup>(٨)</sup> فنهاني عنه بشير <sup>(٩)</sup> وقال: إن رسول الله ﷺ نهاني عن ذلك وقال: ﴿ إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ النَّصَارَى، صَوْمُوا كَمَا أَمْرَكُمُ اللَّهُ <sup>(١٠)</sup> وَأَتَمُّوا الصَّوْمَ كَمَا أَمْرَكُمُ اللَّهُ ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ فَأَفْطَرُوا ﴾ . وقد رواه أحمد في المسند <sup>(١١)</sup> .

فعل النهي عن الوصال بأنه صوم النصارى وهو كما قال رسول الله ﷺ <sup>(١٢)</sup> ويشبهه <sup>(١٣)</sup>

- 
- (١) في (ب) : عبد الله . والصحيح ما أثبتته من بقية النسخ .
- (٢) في المطبوعة : ابن زياد . وهو خطأ ، والصحيح : ابن إيراد ، كما في جميع النسخ الأخرى ، وفي المسند أيضا .
- (٣) هو : عبيد الله بن إيراد بن لقيط السدوسي ، الكوفي ، أبو السليل ، وثقه ابن حبان وابن معين ، وكان ابن المبارك يعجب به ، كما وثقه النسائي والعجلي وغيرهم ، وقال ابن حجر : صدوق وقال البزار : ليس بالقوي ، وأخرج له البخاري ومسلم وغيرهما ، توفي سنة (١٦٩ هـ) . انظر : تهذيب التهذيب (٧ / ٤) ، ترجمة (٥) .
- (٤) أبو عبيد الله ، هو : إيراد بن لقيط السدوسي ، وثقه ابن معين وابن حبان والنسائي ويعقوب بن سفيان ، وقال أبو حاتم : صالح الحديث ، وأخرج له البخاري ومسلم وغيرهما . تهذيب التهذيب (١ / ٣٨٦) ، (ت٧٠٧) أ .
- (٥) هي : ليلى السدوسية الشيبانية ، كان اسمها : جهمة ، فسامها الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ليلى ، وهي امرأة بشير بن الخصاصية الصحابي الجليل ، صحابية ، وذكرها ابن حبان في ثقات التابعين ، وقال : يقال إن لها صحبة . انظر : تهذيب التهذيب (١٢ / ٤٠٦ ، ٤٠٧) ، ترجمة (٢٧٥٣) .
- (٦) في المطبوعة : بشر ، وهو خطأ ، فالصحيح : بشير ، كما في جميع النسخ المخطوطة .
- (٧) هو الصحابي الجليل : بشير بن معبد بن ضباب بن سبع بن سدوس ، كان اسمه : زحما ، فسامه الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم : بشيرا ، والخصاصية إحدى جداته ، سكن البصرة . انظر : تهذيب التهذيب (١ / ٤٦٨) ، ت (٨٦٦) .
- (٨) في (ب) : زاد : فيهما .
- (٩) في المطبوعة : بشر . والصحيح ما أثبتته .
- (١٠) في المطبوعة : ثم أتموا .
- (١١) مسند أحمد ، (٤ / ٢٢٥) في مسند بشير بن الخصاصية ، وإسناده صحيح ، كما ذكر ذلك ابن حجر في فتح الباري (٤ / ٢٠٢) .
- (١٢) في (ب) : كما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم .
- (١٣) في (ج د) : وشبهه .



أن يكون من رهبانيتهم التي ابتدعوها.

وعن حماد<sup>(١)</sup> عن ثابت<sup>(٢)</sup> عن أنس رضي الله عنه ﴿ أن اليهود كانوا إذا حاضت<sup>(٣)</sup> المرأة فيهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوها في البيوت فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> فأنزل الله عز وجل ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ <sup>ط</sup> قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ <sup>ط</sup> ﴾<sup>(٦)</sup> إلى آخر الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اصنعوا كل شيء إلا النكاح. فبلغ ذلك اليهود، فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه، فجاء أسيد بن حضير<sup>(٧)</sup> وعباد بن بشر<sup>(٨)</sup> فقالا: يا رسول الله، إن اليهود تقول كذا وكذا، أفلا نجامعنهم. فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أن<sup>(٩)</sup>

(١) هو: حماد بن سلمة، كما هو في صحيح مسلم، وستأتي الإشارة إلى موقع الحديث في مسلم، وقد مرت ترجمته.

(٢) هو ثابت بن أسلم البناي، البصري، أبو محمد، من أصحاب أنس بن مالك الذين لازموه وأكثروا الرواية عنه، ثقة، صالح، عابد، توفي سنة (١٢٣ هـ)، وقيل (١٢٧ هـ) انظر: تهذيب التهذيب (٢ / ٢، ٣، ٤)، ترجمة رقم (٢) ث.

(٣) في (ب): فيهم المرأة.

(٤) النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: لم تذكر في (أ).

(٥) في المطبوعة: انتهى هنا وقال: إلى آخر الآية، وهو خلاف النسخ الأخرى، كما أثبتته.

(٦) سورة البقرة: من الآية ٢٢٢.

(٧) هو الصحابي الجليل: أسيد بن الحضير بن سماك بن عبيك الأنصاري، الأشهلي، من السابقين إلى الإسلام من الأنصار، وهو أحد النقباء ليلة العقبة، حضر أحداً وكان ممن ثبت، آخى الرسول بينه وبين زيد بن حارثة، وقال فيه الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: " نعم الرجل أسيد بن حضير"، وكان أبو بكر يقدمه، توفيسنة (٢٠ هـ) في عهد عمر. انظر: الإصابة (١ / ٤٩)، ترجمة (٢٨٥) أ.

(٨) هو الصحابي الجليل: عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري، أسلم قبل الهجرة بالمدينة، وشهد بدرًا وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى صدقات سليم ومزينة، ثم بني المصطلق، وشهد اليمامة في قتال مسيلمة، وأبلى بلاء حسناً حتى استشهد فيها، وذلك سنة (١٢ هـ)، وعمره (٤٥) سنة رضي الله عنه. انظر: طبقات ابن سعد (٣ / ٤٤٠، ٤٤١).

(٩) في (ب): أنه.

قد وجد <sup>(١)</sup> عليهما فخرجا فاستقبلهما <sup>(٢)</sup> هدية من لبن إلى النبي ﷺ فأرسل في آثارهما <sup>(٣)</sup> فسقاها، فعرفنا أنه لم يجد عليهما ❁ رواه مسلم <sup>(٤)</sup> .

فهذا الحديث يدل على كثرة ما شرعه الله لنبيه من مخالفة اليهود بل على أنه خالفهم في عامة أمورهم حتى قالوا: ما يريد أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه.

ثم إن المخالفة كما سنبينه <sup>(٥)</sup> تارة تكون في أصل الحكم وتارة في وصفه <sup>(٦)</sup> .

ومجانبة الحائض: لم يخالفوا في أصله <sup>(٧)</sup> بل خولفوا <sup>(٨)</sup> في وصفه <sup>(٩)</sup> حيث شرع الله مقارنة الحائض في غير محل الأذى، فلما أراد بعض الصحابة أن يعتدي <sup>(١٠)</sup> في المخالفة إلى ترك ما شرعه الله، تغير وجه رسول الله ﷺ وهذا الباب - باب الطهارة - كان على اليهود <sup>(١١)</sup> فيه أغلال <sup>(١٢)</sup> عظيمة فابتدع النصارى ترك ذلك كله حتى إنهم لا ينجسون شيئا، بلا شرع من الله <sup>(١٣)</sup> فهدى الله الأمة الوسط بما شرعه لها إلى وسط <sup>(١٤)</sup> من ذلك وإن كان ما كان عليه اليهود كان أيضا مشروعًا، فاجتناب ما لم يشرع الله اجتنابه

(١) وجد: أي غضب . انظر: مختار الصحاح ، مادة ( و ج د ) ، ( ص ٧١٠ ) .

(٢) في ( ب ) : فاستقبلتهما .

(٣) في المطبوعة : في إثرهما .

(٤) انظر : صحيح مسلم ، كتاب الحيض ، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها ، حديث رقم ( ٣٠٢ ) ، ( ١ ) / ( ٢٤٦ ) .

(٥) في المطبوعة : سنبينه .

(٦) في ( ب ج د ) : في صفته .

(٧) في المطبوعة : أصلها .

(٨) في المطبوعة : خالفوا .

(٩) في المطبوعة : وصفها .

(١٠) في المطبوعة : يتعدى .

(١١) في ( ب ) : اليهودية .

(١٢) في ( ط ) : أغلاط .

(١٣) في المطبوعة : قدم وأخر ، فقال : فابتدع النصارى ذلك كله بلا شرع من الله ، حتى أنهم لا ينجسون شيئا .

(١٤) في المطبوعة : الوسط .

مقاربة لليهود<sup>(١)</sup> وملابسة ما شرع الله اجتنابه مقاربة للنصارى وخير المهدي هدي محمد ﷺ .

وعن أبي أمامة<sup>(٢)</sup> عن عمرو بن عبسة<sup>(٣)</sup> قال: كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة فإنهم<sup>(٤)</sup> ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان، قال: فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً، فقعدت على راحلي فقدمت عليه فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً جراًء عليه<sup>(٥)</sup> قومه، فتلطفت<sup>(٦)</sup> حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال<sup>(٧)</sup> أنا نبي. فقلت: وما نبي؟ قال<sup>(٨)</sup> أرسلني الله. فقلت: بأي شيء أرسلك؟ قال: أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء. فقلت<sup>(٩)</sup> له: من معك على هذا؟ قال: حر وعبد. قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال فقلت: إني متبعك. قال: إنك لا<sup>(١٠)</sup>

(١) في (أ) : اليهود .

(٢) هو الصحابي الجليل : صدي بن عجلان بن الحارث بن وهب الباهلي ، أبو أمامة ، قيل : إنه شهد أحداً وشهد صفيين مع علي بن أبي طالب ، ثم سكن الشام حتى توفي بها سنة ( ٨٦ هـ ) رضي الله عنه . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة ( ٢ / ١٨٢ ) ، ترجمة رقم ( ٤٠٥٩ ) ، باب ( ص د ) .

(٣) هو الصحابي الجليل : عمرو بن عبسة بن خالد بن عامر بن غاضرة السلمي ، أو نجيح ، أسلم قديماً بمكة ، ثم رجع إلى بلاده ، ثم هاجر إلى المدينة ، كما هو في سياق حديثه هذا ، قبل الفتح ، فشهدا ثم نزل حمص فتوفي بها في خلافة عثمان ، وكان قبل أن يسلم اعتزل الأصنام - كما ذكر هنا - رضي الله عنه . انظر : الإصابة ( ٣ / ٥ ، ٦ ) ، ترجمة ( ٥٩٠٣ ) عمرو .

(٤) في ( ط ) : وأنهم .

(٥) في المطبوعة : فإذا هو رسول الله . وفي مسلم كما أثبتته .

(٦) جراًء عليه : أي هم جراًء عليه ، والجراًء : الشجاعة والإقدام ، والمقصود بما هنا : التسلط والإيذاء . انظر : مختار الصحاح ، مادة ( ج ر أ ) ، ( ص ٩٨ ) .

(٧) تلطفت : أي دخلت برفق . انظر : مختار الصحاح ، مادة ( ل ط ف ) ، ( ص ٥٩٨ ) .

(٨) في المطبوعة : فقال .

(٩) في المطبوعة : فقال .

(١٠) في ( ب ) : قلت .

(١١) في المطبوعة : لن . وفي مسلم كما أثبتته .

تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى <sup>(١)</sup> حالي وحال الناس، ولكن ارجع إلى أهلك، فإذا سمعت بي قد ظهرت فائتني. قال <sup>(٢)</sup> فذهبت إلى أهلي، وقدم <sup>(٣)</sup> رسول الله ﷺ المدينة، وكنت في أهلي فجعلت أتخبر <sup>(٤)</sup> الأخبار وأسأل الناس حين <sup>(٥)</sup> قدم نفر من أهل <sup>(٦)</sup> يثرب <sup>(٧)</sup> من أهل المدينة. فقلت: ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة؟ فقالوا: الناس إليه سراع، وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك. فقدمت المدينة، فدخلت عليه، فقلت <sup>(٨)</sup> يا رسول الله، أتعرفني قال: نعم، أنت الذي لقيتني بمكة. قال: فقلت: يا نبي الله، أخبرني عما علمك الله وأجهله، أخبرني عن الصلاة قال: صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع <sup>(٩)</sup> فإنها تطلع حين <sup>(١٠)</sup> تطلع بين قرني <sup>(١١)</sup> شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صل فإن الصلاة مشهودة <sup>(١٢)</sup> محضورة <sup>(١٣)</sup> حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة فإن <sup>(١٤)</sup> حينئذ تسجر جهنم، فإذا أقبل الفياء فصل، فإن الصلاة مشهودة محضورة، حتى تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس، فإنها تغرب بين قرني شيطان <sup>(١٥)</sup> وحينئذ يسجد لها الكفار ❀ وذكر الحديث <sup>(١)</sup> رواه

(١) في (ب) : إلى حالي .

(٢) في (ج د) : سقطت قال .

(٣) أي : حين هاجر .

(٤) في (ج د) والمطبوعة : أستخبر . وفي مسلم كما أثبتته .

(٥) في المطبوعة : حتى .

(٦) في (ب) : من أهلي .

(٧) في المطبوعة : أي من أهل .

(٨) في (ب) : قلت .

(٩) في (ط) : ترفع .

(١٠) حين تطلع : سقطت من (أ) .

(١١) في (ط) : الشيطان .

(١٢) في (ب) : محضورة . بالصاد المهملة . والصحيح ما أثبتته كما هو في مسلم .

(١٣) ومعنى مشهودة محضورة : أي تحضرها الملائكة .

(١٤) كذا في جميع النسخ وفي صحيح مسلم . وعليه يكون اسم إن : ضمير الشأن محذوفا .

(١٥) في (ط) : الشيطان .

مسلم.

فقد نهى النبي ﷺ عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت الغروب، معللاً<sup>(٢)</sup> بأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان<sup>(٣)</sup> وأنه حينئذ يسجد لها الكفار.

ومعلوم أن المؤمن لا يقصد السجود إلا لله تعالى، وأكثر الناس قد لا يعلمون أن طلوعها وغروبها بين قرني شيطان<sup>(٤)</sup> ولا أن الكفار يسجدون لها، ثم إنه ﷺ نهى عن الصلاة في هذا الوقت حسماً لمادة المشاهدة بكل طريق، ويظهر بعض فائدة ذلك بأن من الصابئة المشركين اليوم<sup>(٥)</sup> ممن يظهر الإسلام ويعظم الكواكب، ويزعم أنه يخاطبها بجوائجه، ويسجد لها وينحر ويذبح.

وقد صنف<sup>(٦)</sup> بعض المنتسبين إلى الإسلام في مذهب المشركين من الصابئة والبراهمة كتباً في عبادة الكواكب توسلاً بذلك زعموا إلى مقاصد دنيوية من الرئاسة<sup>(٧)</sup> وغيرها وهي من السحر الذي كان<sup>(٨)</sup> عليه الكنعانيون<sup>(٩)</sup> الذين<sup>(١٠)</sup> ملوكهم النماردة<sup>(١)</sup> الذين

(١) انظر : صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب إسلام عمرو بن عبسة- حديث رقم (٨٣٢) ، (١ / ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١) . ورواه أحمد- أيضاً- في المسند (٤ / ١١٢) في مسند عمرو بن عبسة رضي الله عنه .

(٢) في المطبوعة : معللاً ذلك النهي بأنها . وهي زيادة لا توجد في النسخ الأخرى .

(٣) في (ط) : الشيطان .

(٤) في (أ ط) : الشيطان .

(٥) اليوم : ساقطة من (ج د) .

(٦) في (أ) : وصف .

(٧) في (أ) : من الربانية .

(٨) كان : سقطت من (أ د) .

(٩) الكنعانيون : قبائل سامية تنسب إلى كنعان بن كوش بن سام بن نوح ، كانت تقطن سواحل الخليج- خليج جزيرة العرب- ، ثم انتقلت إلى سوريا وأرض فلسطين- وهي بلاد بيت المقدس- وبعث الخليل عليه السلام وهي هناك . انظر : البداية والنهاية (١ / ١٤٠) . وانظر : القلائد الجمان للقلقشندي (ص٣٢)؛ ولسان العرب (٨ / ٣١٦) .

(١٠) في المطبوعة : الذين كان ملوكهم .

بعث الله<sup>(٢)</sup> الخليل صلوات الله وسلامه عليه بالحنيفية وإخلاص الدين كله لله إلى هؤلاء المشركين.

فإذا كان في هذه الأزمنة من يفعل مثل هذا، تحققت حكمة الشارع صلوات الله وسلامه عليه<sup>(٣)</sup> في النهي عن الصلاة في هذه الأوقات، سدا للذريعة وكان فيه تنبيه على أن كل ما يفعله المشركون من العبادات ونحوها، مما يكون كفرا أو معصية بالنية، ينهى المؤمنون عن ظاهره وإن لم يقصدوا به قصد المشركين سدا للذريعة وحسما للمادة. ومن هذا الباب أنه ﷺ كان إذا صلى إلى عود أو عمود جعله على<sup>(٤)</sup> حاجبه الأيمن أو الأيسر ولم يصمد<sup>(٥)</sup> له صمدا<sup>(٦)</sup>.

ولهذا نهي عن الصلاة إلى ما عبد من دون الله في الجملة، وإن لم يكن العابد يقصد ذلك، ولهذا ينهى<sup>(٧)</sup> عن السجود لله بين يدي الرجل وإن لم يقصد الساجد ذلك لما فيه من مشابهة السجود لغير الله، فانظر كيف قطعت الشريعة المشابهة في الجهات وفي الأوقات وكما لا يصلى إلى القبلة التي يصلون إليها كذلك لا يصلى إلى ما يصلون له بل هذا أشد

(١) النماردة : جمع نمرد . نسبة إلى : النمروذ بن كنعان بن كوش ، الملك الذي حاج إبراهيم في ربه . انظر : البداية والنهاية ( ١ / ١٤٠ ) .

(٢) في (أ ط) : الذين بعث الخليل . .

(٣) في (ب ج د) : صلوات الله عليه وسلامه .

(٤) في (ب ج د) والمطبوعة : إلى . لكنها في مسلم كما أثبتته من (أ ط) .

(٥) الصمد : هو القصد . يقال : صمده ، أي : قصده . انظر : مختار الصحاح ، مادة (ص م د) ، (ص ٣٦٩) .

(٦) جاء ذلك في حديث رواه أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة- باب إذا صلى إلى سارية ونحوها- حديث رقم ( ٦٩٣ ) ، ( ١ / ٤٤٥ ) ، ولفظ الحديث : عن ضباعة بنت المقداد بن الأسود عن أبيها ، قال : " ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يصلي إلى عود ولا عمود ولا شجرة إلا جعله على حاجبه الأيمن أو الأيسر ، ولا يصمد له صمدا " ومثله في مسند أحمد ( ٦ / ٤ ) في مسند المقداد بن الأسود ، بلفظ أبي داود إلا أنه قال : (صلى) ، بدل : (يصلي) وسند الحديث ليس بالقوي؛ لأن فيه الوليد بن كامل لين الحديث ، وضباعة بنت المقداد مجهولة . انظر : تهذيب التهذيب ( ٢ / ٣٣٥ ) ، ترجمة الوليد بن كامل (٨٢) ، (ص ٦٠٤ ) ، ( ٢ / ٣٨٦ ، ٣٨٧ ) . وانظر : عون المعبود ( ٢ ) .

(٧) في (ب) : نهي .

فسادا، فإن القبلة شريعة من الشرائع<sup>(١)</sup> قد تختلف باختلاف شرائع الأنبياء، أما السجود لغير الله وعبادته فهو محرم في الدين الذي اتفقت عليه رسل الله كما قال سبحانه وتعالى:

﴿ وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وأیضا<sup>(٣)</sup> عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه رأى رجلا يتكئ على يده اليسرى وهو قاعد في الصلاة فقال له: لا تجلس هكذا، فإن هكذا يجلس الذين يعذبون<sup>(٤)</sup> وفي رواية

تلك<sup>(٥)</sup> صلاة المغضوب عليهم<sup>(٦)</sup> وفي رواية ﴿ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَجْلِسَ الرَّجُلُ فِي

الصلاة وهو معتمد<sup>(٧)</sup> على يده ﴾<sup>(٨)</sup> . رواه أبو داود<sup>(٩)</sup> .

ففي هذا الحديث النهي عن هذه الجلسة معللا بأنها جلسة المعذنين، وهذه مبالغة في مجانبة هديهم.

وأیضا فروى<sup>(١٠)</sup> البخاري عن مسروق<sup>(١١)</sup> عن عائشة أنها كانت تكره أن يجعل<sup>(١٢)</sup>

(١) في (ب) : شرائع .

(٢) سورة الزخرف : من الآية ٤٥ .

(٣) في المطبوعة : وعن ابن عمر .

(٤) انظر : سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب كراهة الاعتماد على اليد في الصلاة ، حديث رقم (٩٩٤) ، ( ١ / ٦٠٥ ) .

(٥) في (ط) : قال بدل : تلك .

(٦) المصدر السابق ، الحديث رقم (٩٩٣) .

(٧) في (أ) : يعتمد .

(٨) المصدر السابق ( ١ / ٦٠٤ ) ، الحديث رقم (٩٩٢) .

(٩) في المطبوعة قال : روى هذا كله أبو داود .

(١٠) في المطبوعة : فقد روى .

(١١) هو : مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي ، الكوفي ، من كبار أئمة التابعين وفقهائهم ، ثقة عابد

، أخرج له الستة ، ومات سنة (٦٣ هـ) . انظر : تقريب التهذيب ( ٢ / ٢٤٢ ) ، (ت) (١٠٥٥) .

(١٢) في المطبوعة : أن يجعل الرجل يده .

يده في خاصرته، وتقول: إن اليهود تفعله. <sup>(١)</sup> ورواه أيضا من حديث أبي هريرة قال: ﴿نهي

عن الخصر <sup>(٢)</sup> في الصلاة﴾ <sup>(٣)</sup> وفي لفظ: ﴿نهي أن يصلي الرجل مختصرا﴾. <sup>(٤)</sup> (٥)

قال <sup>(٦)</sup> وقال هشام <sup>(٧)</sup> وأبو هلال <sup>(٨)</sup> عن ابن سيرين <sup>(٩)</sup> عن أبي هريرة <sup>(١٠)</sup> نهي النبي ﷺ <sup>(١١)</sup> وهكذا رواه مسلم في صحيحه: نهي رسول الله ﷺ. <sup>(١٢)</sup>

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، الحديث رقم (٣٤٥٨) ، (٦ / ٤٩٧) من فتح الباري .

(٢) في المطبوعة : التخصر ، وفي البخاري كما أثبتته . انظر : فتح الباري (٣ / ٨٨) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب العمل في الصلاة ، باب الخصر في الصلاة ، الحديث رقم (١٢١٩) ، (٣ / ٨٨) فتح الباري .

(٤) البخاري الجمعة (١١٦٢) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٤٥) ، الترمذي الصلاة (٣٨٣) ، النسائي الافتتاح (٨٩٠) ، أبو داود الصلاة (٩٤٧) ، أحمد (٣٩٩/٢) ، الدارمي الصلاة (١٤٢٨) .

(٥) صحيح البخاري في الكتاب والباب السابقين ، الحديث رقم (١٢٢) ، (٣ / ٨٨) فتح الباري .

(٦) أي البخاري .

(٧) قال ابن حجر في فتح الباري (٣ / ٢١) : " وقال هشام ، يعني ابن حسان " . وترجمته : هشام بن حسان الأزدي الفردوسي ، البصري ، أبو عبد الله ، من الأئمة الحفاظ ، وثقه ابن معين ، وابن سعد ، والعجلي ، وذكره ابن حبان في الثقات ، كما وثقه غيرهم ، توفي سنة (١٤٨ هـ) رحمه الله . انظر : تهذيب التهذيب (١١ / ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧) ، ترجمة (٧٥) هـ .

(٨) أبو هلال ، هو : محمد بن سليم الراسبي ، البصري ، قال أبو حاتم فيما نقله عنه ابنه عبد الرحمن : " محله الصدق لم يكن بذاك المتين " ، وقال يحيى بن معين : " أبو هلال الراسبي صويلح " ، وقال أبو زرعة : " لين " ، وقال أحمد بن حنبل : " أحتمل حديثه إلا أنه يخالف في حديث قتادة " ، ومات أبو هلال سنة (١٦٥ هـ) . انظر : الجرح والتعديل (٧ / ٢٧٣) ، ترجمة رقم (١٤٨٤) ؛ وطبقات ابن سعد (٧ / ٢٧٨) .

(٩) هو : محمد بن سيرين ، أبو بكر ، و (سيرين) قيل : اسم أبيه ، وقيل : اسم أمه ، وهو الأرحج ، وأبوه مولى أنس بن مالك ، كان من سبي عين التمر فاشتراه أنس وكتبه ، وقال هشام بن حسان : " هو أصدق من أدركت من البشر " ، وقال ابن سعد : " وكان ثقة مأمونا عاليا رفيعا فقيها إماما كثير العلم ورعا " ، توفي رحمه الله سنة (١١٠ هـ) ، وذكر ابن سعد أن أمه صفية مولاة أبي بكر . انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد (٧ / ١٩٣) ؛ والبداية والنهاية لابن كثير (٩ / ٢٦٧) .

(١٠) في (ب) : رضي الله عنه .

(١١) انظر : فتح الباري ، كتاب العمل في الصلاة ، باب الخصر في الصلاة ، حديث رقم (١٢١٩) ، (١٢٢٠) ، (٣ / ٨٨) .

(١٢) انظر : صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب كراهة الاختصار في الصلاة ، حديث رقم (٥٤٥) ، (١ / ٣٨٧) .



وعن زياد بن (١) صبيح (٢) قال: ﴿صليت إلى جنب ابن عمر فوضعت يدي على خاصرتي، فلما صلى قال: هذا الصلب في الصلاة، وكان (٣) رسول الله ﷺ ينهى عنه.﴾  
رواه أحمد (٤) وأبو داود (٥) والنسائي (٦).

وأيضاً عن جابر (٧) بن عبد الله رضي الله عنهما (٨) أنه قال: ﴿اشتكى رسول الله ﷺ فصلينا وراءه وهو قاعد وأبو بكر (٩) يسمع الناس تكبيره، فالتفت إلينا فرآنا قياماً، فأشار إلينا فقعدنا، فصلينا بصلاته قعوداً، فلما سلم قال: إن كدتم أنفاً (١٠) تفعلون فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود، فلا تفعلوا، اتمموا بأئمتكم إن صلى قائماً

(١) في (ج د ط) : بن صبيح ، وما أثبتته أصح كما هو في (أ ب) والمطبوعة .

(٢) هو : زياد بن صبيح الحنفي المكي ، ويقال : البصري ، قال إسحاق بن راهويه عنه : رجل صالح ثقة ، وكذلك وثقه الأئمة كالنسائي وابن حبان ، والعجلي ، وهو تابعي مديني من الطبقة الرابعة . انظر : تهذيب التهذيب (٣ / ٣٧٤) ، ترجمة (٦٨١) ز؛ وتقريب التهذيب (١ / ٢٦٨) ، ترجمة (١١٥) ز .

(٣) في (د) : فكان .

(٤) انظر : مسند أحمد (٢ / ١٠٦) في مسند ابن عمر ، وفيه زيادة : " فضرِبَ يدي " ، قبل : " فلما صلى " .

(٥) انظر : سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب في التخصر والإقعاء ، الحديث رقم (٩٠٣) ، (١ / ٥٥٦) .

(٦) انظر : سنن النسائي ، كتاب الصلاة ، باب النهي عن التخصر في الصلاة (٢ / ١٢٧) ، وفي روايته اختلاف يسير في السياق والألفاظ ، والحديث صحيح الإسناد .

(٧) هو الصحابي الجليل : جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم ، الأنصاري السلمي ، أحد المكثرين للرواية عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، شهد العقبة ، وأكثر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، كانت له بعد وفاة رسول الله حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم ، توفيسنة (٧٤ هـ) أو (٧٦ هـ) . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة (١ / ٢١٣) ، ترجمة رقم (١٠٢٦) .

(٨) في (ب) : عنه . والثنية أصح لأن لأبيه صحبة . انظر : الإصابة (١ / ٢١٣) .

(٩) هو : عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر القرشي ، أبو بكر الصديق ، خليفة رسول الله ، أول من أسلم من الرجال ، ولد بعد عام الفيل بستين ونصف ، ولازم الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم قبل البعثة وبعدها ، وصحبه في الهجرة وحضر المشاهد كلها ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأفضل الصحابة ، بويع بالخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى توفي في جمادى الأولى سنة (١٣ هـ) وعمره (٦٣) سنة . انظر : الإصابة (٢ / ٣٤١ - ٣٤٤) ، (ت ٤٨١٧) .

(١٠) في (ج د ط) : أن تفعلوا . وفي مسلم : " لتفعلون " .

فصلوا قياما وإن صلى قاعدا فصلوا قعودا ﴿١﴾ . رواه مسلم <sup>(١)</sup> وأبو داود <sup>(٢)</sup> من حديث

الليث <sup>(٣)</sup> عن أبي الزبير <sup>(٤)</sup> عن جابر..

ورواه <sup>(٥)</sup> أبو داود وغيره <sup>(٦)</sup> من حديث الأعمش <sup>(٧)</sup> عن أبي سفيان <sup>(٨)</sup> عن جابر

قال: ﴿١﴾ ركب رسول الله ﷺ فرسا بالمدينة فصرعه على جذم <sup>(١٠)</sup> نخلة فانقطعت <sup>(١١)</sup>

(١) انظر: صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب اتمام المأموم بالإمام ، حديث رقم (٤١٣) ، (١ / ٣٠٩) .  
(٢) انظر: سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب الإمام يصلي من قعود ، حديث رقم (٦٠٦) ، (١ / ٤٠٥) .  
(٣) هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي ، أبو الحارث ، الإمام المصري ، من كبار الأئمة في وقته في الفقه والعلم والفتوى ، ومن رواة الحديث الحفاظ الثقات ، وثقه سائر أئمة الحديث ، قال ابن حجر في تهذيب التهذيب : " وقال ابن حبان في الثقات : كان من سادات أهل زمانه فقهها وورعا وعلمها وفضلا وسخاء " ، توفي رحمه الله سنة (١٧٥ هـ) ، وكانت ولادته سنة (٩٥ هـ) . انظر : تهذيب التهذيب (٨ / ٤٥٩ - ٤٦٥) ، ترجمة رقم (٨٣٢) ل .

(٤) هو : محمد بن أسلم بن تدرس الأسدي- مولاهم- أبو الزبير ، المكّي ، وثقه ابن معين والنسائي وابن سعد وغيرهم ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : لم ينصف من قدح فيه ، مات سنة (١٢٦ هـ) رحمه الله . انظر : تهذيب التهذيب (٩ / ٤٤٠ - ٤٤٣) ، ترجمة رقم (٧٢٧) م .  
(٥) في (أ) : رواه أبو داود ، وهو خطأ من الناسخ .

(٦) ممن أخرجه أيضا : ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة ، باب ما جاء في " إنما جعل الإمام ليؤتم به " ، الحديث رقم (١٢٤٠) ، (١ / ٣٩٣) مختصرا بنحو رواية مسلم وأبي داود السابقة .

(٧) هو : سليمان بن مهران الكاهلي ، أبو محمد ، المشهور بالأعمش ولد سنة (٦٠ هـ) من الأئمة الثقات قال ابن سعد : وكان الأعمش صاحب قرآن وفرائض وعلم بالحديث " وعده ابن سعد في الطبقة الرابعة ، من الكوفيين ، وثقه ابن معين وأبو حاتم ، وقال أبو زرعة : إمام ، توفي سنة (١٤٨ هـ) . انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد (٦ / ٣٤٢) . وانظر : الجرح والتعديل (٤ / ١٤٦ ، ١٤٧) ، ترجمة (٦٣٠) .

(٨) هو : طلحة بن نافع القرشي ، مولاهم ، المكّي ، أو الواسطي ، روى عن بعض الصحابة كعبد الله بن عمر وابن عباس وجابر وغيرهم ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال أبو بكر البزار : هو ثقة في نفسه ، وقال أحمد : ليس به بأس ، وكذلك قال النسائي وابن عدي . انظر : تهذيب التهذيب (٥ / ٢٦ ، ٢٧) ، ترجمة رقم (٤٤) ط .

(٩) في المطبوعة زاد : اسم أبي سفيان : طلحة بن نافع الأسدي . واقتصر في بقية النسخ وسنن أبي داود على الكنية ، كما أثبتته .

(١٠) أي : أصل نخلة . انظر : القاموس المحيط ، فصل الجيم ، باب الميم (٤ / ٨٨) .

(١١) في المطبوعة : فانفكت . وكذلك في سنن أبي داود .

قدمه، فأتيناه نعوده، فوجدناه في مشربة<sup>(١)</sup> لعائشة يسبح جالسا. قال: فقمنا خلفه، فسكت عنا، ثم أتينا مرة أخرى نعوده فصلى المكتوبة جالسا، فقمنا خلفه، فأشار إلينا فقعدنا. قال: <sup>(٢)</sup> فلما قضى الصلاة. قال: إذا صلى الإمام جالسا فصلوا جلوسا وإذا صلى الإمام <sup>(٣)</sup> قائما فصلوا قياما، ولا تفعلوا كما يفعل أهل فارس بعظمتها ﴿<sup>(٤)</sup> وأظن في غير رواية أبي داود ﴿ ولا تعظموني كما يعظم الأعاجم بعضها بعضا ﴾<sup>(٥)</sup> .

ففي هذا الحديث أنه أمرهم بترك القيام الذي هو فرض في الصلاة، وعلل ذلك بأن قيام المأمومين مع قعود الإمام يشبه فعل فارس والروم بعظمتهم، في قيامهم وهم قعود. ومعلوم أن المأموم إنما نوى أن يقوم <sup>(٦)</sup> لله <sup>(٧)</sup> لا <sup>(٨)</sup> لإمامه وهذا تشديد <sup>(٩)</sup> عظيم في النهي عن القيام للرجل القاعد، ونهى أيضا عما <sup>(١٠)</sup> يشبه ذلك، وإن لم يقصد به ذلك، ولهذا نهي عن السجود لله بين يدي الرجل، وعن الصلاة إلى ما قد <sup>(١١)</sup> عبد من دون الله، كالنار ونحوها.

(١) المشربة : الغرفة . انظر : لسان العرب ( ١ / ٤٩١ ) شرب .

(٢) في (د) : سقطت : قال .

(٣) في (ب) : سقطت : الإمام .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب الإمام يصلي من قعود ، الحديث رقم (٦٠٢) ، ( ١ / ٤٠٣ ، ٤٠٤ ) وأشهرت إليه في ابن ماجه أنفا ورجاله رجال الصحيح .

(٥) بل أخرج أبو داود قريبا من هذا ولفظه : عن أبي أمامة قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم متوكئا على عصا ، فقمنا إليه ، فقال : " لا تقوموا كما تقوم الأعاجم ، يعظم بعضها بعضا " سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب في قيام الرجل للرجل ، الحديث رقم (٥٢٣٠) ، ( ٥ / ٣٩٨ ) . ومثله في مسند أحمد ( ٥ / ٢٥٣ - ٢٥٦ ) . وهذا الحديث معناه صحيح وثابت كما جاء في الحديث السابق في مسلم وغيره .

(٦) في المطبوعة : يقوى .

(٧) في (ج) : لم يذكر اسم الجلالة (الله) .

(٨) في (أ) : أن يقوم لله قانتا . الخ .

(٩) في (أ) : شديد .

(١٠) من هنا حتى قوله : عما يشبه فعل فارس والروم (سطران ونصف تقريبا) : ساقطة من (أ) .

(١١) قد : ساقطة من المطبوعة .

وفي هذا الحديث أيضا نهي عما يشبهه (١) فعل (٢) فارس والروم وإن كانت (٣) نيتنا غير نيتهم (٤) لقوله (٥) فلا تفعلوا. فهل بعد هذا في النهي عن مشابهمهم في مجرد الصورة غاية.

ثم هذا الحديث سواء كان محكما في قعود الإمام أو منسوخا فإن الحجة منه قائمة؛ لأن نسخ القعود لا يدل على فساد تلك العلة وإنما يقتضي أنه قد عارضها ما ترجح عليها مثل كون القيام فرضا في الصلاة فلا يسقط الفرض بمجرد المشابهة الصورية، وهذا محل اجتهاد، وأما المشابهة الصورية إذا (٦) لم تسقط فرضا كانت (٧) تلك العلة التي علل بها رسول (٨) الله ﷺ سليمة (٩) عن معارض أو (١٠) نسخ؛ لأن القيام في الصلاة ليس بمشابهة في الحقيقة فلا يكون محذورا فالحكم إذا علل بعلّة، ثم نسخ مع بقاء العلة، فلا بد من أن (١١) يكون غيرها ترجح (١٢) عليها وقت النسخ (١٣) أو ضعف تأثيرها أما أن تكون (١٤) في نفسها باطلة فهذا محال هذا كله لو كان الحكم هنا منسوخا فكيف، والصحيح أن هذا الحديث محكم قد عمل به غير واحد من الصحابة بعد وفاة رسول (١٥) الله ﷺ مع كونهم

(١) في (ب) : يشتهه .

(٢) في (ج د ط) : أفعال .

(٣) في (د ط) : كان .

(٤) في (أ) : وإن كان نبينا غير نبيهم .

(٥) في (أ ط) : كقوله .

(٦) في المطبوعة : فإذا . وفي (د) : في إذا .

(٧) في المطبوعة : فإن .

(٨) في (ب) : النبي .

(٩) في المطبوعة : تكون سليمة .

(١٠) في المطبوعة : أو عن نسخ .

(١١) في المطبوعة : فلا بد أن .

(١٢) في (ب) : يرجح .

(١٣) في المطبوعة : النسخ .

(١٤) أي العلة التي علل بها الحكم .

(١٥) في (ب) : النبي .

علموا صلاته (١) في (٢) مرضه (٣) .

وقد استفاض عنه ﷺ الأمر به استفاضة صحيحة صريحة يمتنع معها أن يكون حديث المرض (٤) ناسخا له على ما هو مقرر في غير هذا الموضوع إما (٥) بجواز الأمرين إذ فعل القيام لا ينافي فعل القعود، وإما بالفرق بين المبتدئ (٦) للصلاة قاعدا و (٧) الصلاة التي ابتدأها الإمام قائما لعدم دخول هذه الصلاة (٨) في قوله. وإذا صلى قاعدا ولعدم المفسدة التي علل بها، ولأن بناء فعل آخر الصلاة على أولها أولى من بنائها على صلاة الإمام ونحو ذلك من الأمور المذكورة في غير هذا الموضوع.

وأیضا فعن عبادة بن الصامت (٩) ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا تبع جنازة لم يقعد حتى توضع في اللحد، فعرض (١٠) له حبر (١١) فقال: هكذا نصنع يا محمد. قال:

(١) في المطبوعة: بصلاته .

(٢) في المطبوعة زاد: الذي توفي فيه .

(٣) ممن عمل به من الصحابة: جابر بن عبد الله، وأسيد بن حضير، وأبو هريرة وغيرهم. انظر: شرح السنة للبغوي (٣ / ٤٢٢) في باب إذا صلى الإمام قاعدا .

(٤) في المطبوعة: حديث مرض موته .

(٥) في (ب): لجواز .

(٦) في (ب): بالصلاة .

(٧) في المطبوعة: وبين الصلاة .

(٨) (الصلاة): سقطت من (أ ج د) .

(٩) هو الصحابي الجليل: عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر الخزرجي الأنصاري، أحد نقباء الأنصار، وكنيته: أبو الوليد، شهد بدرًا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على بعض الصدقات، وكان ممن جمع القرآن في زمن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وكان يعلم أهل الصفة القرآن، وأرسله عمر بن الخطاب مع بعض الصحابة إلى أهل الشام يعلمونهم القرآن ويفقهونهم في الدين، فأقام بجمص، ثم بفلسطين، ثم رجع إلى المدينة في خلاف بينه وبين معاوية فرده عمر إلى الشام وقال لمعاوية: لا إمرة لك عليه، وتوفي بالرملة، وقيل: بيت المقدس سنة (٣٤ هـ)، وعمره (٧٢) سنة. انظر: أسد الغابة (٣ / ١٠٦، ١٠٧) .

(١٠) في المطبوعة: فتعرض .

(١١) أي من يهود. والخبر في اللغة: العالم. انظر: القاموس المحيط، فصل الحاء، باب الراء (٢ / ٢)، والخبر: واحد الأحبار، وهم علماء اليهود ورجال دينهم .

فجلس رسول الله ﷺ وقال: خالفوهم. رواه أبو (١) داود وابن (٢) ماجه والترمذي (٣) وقال: بشر بن رافع (٤) ليس بالقوي في الحديث (٥).

قلت: قد اختلف العلماء في القيام للجنائز إذا مرت ومعها إذا شيعت، وأحاديث الأمر بذلك كثيرة مستفيضة ومن اعتقد نسخها أو نسخ القيام للمارة (٦) فعمدته حديث علي (٧) وحديث عبادة هذا.

وإن كان القول بهما (٨) ممكناً؛ لأن المشيع يقوم لها حتى توضع عن أعناق الرجال لا في اللحد فهذا الحديث إما أن يقال به جمعا بينه وبين غيره، أو (٩) ناسخا لغيره وقد علل المخالفة ومن لا يقول به يضعفه، وذلك لا يقدر في الاستشهاد والاعتضاد به على جنس المخالفة.

(١) انظر: سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب القيام للجنائز، الحديث (٣١٧٦)، (٣ / ٥٢٠) ولفظه قريب من هذا اللفظ مع اختلاف يسير، ومنه زيادة: "اجلسوا، خالفوهم".

(٢) انظر: سنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في القيام للجنائز، حديث رقم (١٥٤٥)، (١ / ٤٩٣) بهذا اللفظ، وعلق المحقق بعد الحديث: "وقال السندي: قيل إنساده ضعيف".

(٣) انظر: سنن الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الجلوس قبل أن توضع، حديث رقم (١٠٢٠)، (٣ / ٣٤٠).

(٤) هو: بشر بن رافع الحارثي، أبو الأسباط، النجرائي، ضعفه أحمد والترمذي والنسائي وأبو حاتم، وقال البخاري: لا يتابع في حديثه. انظر: تهذيب التهذيب (١ / ٤٤٨ - ٤٥٠)، (ت ٨٢٣).

(٥) قال الترمذي: "هذا حديث غريب، وبشر بن رافع ليس بالقوي في الحديث". سنن الترمذي (٣ / ٣٤٠)، وعلى هذا يكون الحديث ضعيفا، لكن يشهد له حديث علي الذي سيشير إليه المؤلف، وانظر الهامش رقم (٥) هنا.

(٦) في (ط): للجنائز. والمقصود بقوله: للمارة، أي: للجنائز المارة.

(٧) حديث علي رواه مسلم ولفظه: "عن علي قال: رأينا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قام فقمنا، وقعد فقمنا - يعني في الجنائز"، وفي لفظ: "قام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ثم قعد" وفي لفظ: "إن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قام، ثم قعد" صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب نسخ القيام للجنائز، الحديث رقم (٩٦٢)، (٢ / ٦٦١، ٦٦٢).

(٨) في المطبوعة زاد: كليهما.

(٩) في المطبوعة زاد: يكون.

وقد روى البخاري عن عبد الرحمن بن القاسم <sup>(١)</sup> أن القاسم <sup>(٢)</sup> كان يمشي بين يدي الجنازة، ولا يقوم لها ويخبر عن عائشة <sup>(٣)</sup> قالت: كان أهل الجاهلية يقومون لها، يقولون <sup>(٤)</sup> "إذا رأوها: كنت في أهلك ما كنت. مرتين <sup>(٥)</sup> فقد استدل من كره القيام <sup>(٦)</sup> بأنه كان <sup>(٧)</sup> من فعل الجاهلية وليس ال غرض هنا الكلام في عين هذه المسألة.

وأیضا عن <sup>(٨)</sup> ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ﴿اللحد لنا والشق لغيرنا رواه أهل السنن الأربعة﴾ <sup>(٩)</sup> <sup>(١٠)</sup> وعن جرير بن عبد <sup>(١)</sup> الله <sup>(٢)</sup> قال:

(١) هو : عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، تابعي مدني جليل ، من الطبقة السادسة ، يعد من أكابر علماء المدينة وصالحيهم وأخبارهم في زمنه ، وكبير القدر عند عامة المسلمين ، كثير الحديث ، اتفق سائر علماء الحديث على توثيقه ، ذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب أن ابن حبان قال في الثقات عنه أنه : " كان من سادات أهل المدينة فقها وعلماء وديانة ، وفضلا وحفظا وإتقانا " ، توفي رحمه الله سنة ( ١٢٦ هـ ) بالشام . انظر : تهذيب التهذيب ( ٦ / ٢٥٤ ) ، ترجمة رقم ( ٥٠١ ) .

(٢) هو : القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، من كبار التابعين ، من الطبقة الثانية ، وهو أبو عبد الرحمن - السابقة ترجمته - الذي روى عنه هنا ، ذكر ابن سعد عن الواقدي ، قوله : " وكان ثقة ، وكان رفيعا عاليا فقيها ، إماما كثير الحديث ورعا " يعني القاسم ، فهو من مشاهير علماء التابعين وثقاتهم وساداتهم ، توفي رحمه الله سنة ( ١٠٦ هـ ) . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ( ٥ / ١٧٨ - ١٩٤ ) . انظر : تهذيب التهذيب ( ٨ / ٣٣٣ - ٣٣٥ ) ، ترجمة رقم ( ٦٠١ ) .

(٣) في المطبوعة : " أنها قالت " . والصحيح ما أثبتته كما في جميع النسخ المخطوطة وفي البخاري .

(٤) يقولون : ساقطة من (أ) .

(٥) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب مناقب الأنصار ، باب أيام الجاهلية . انظر : فتح الباري ( ٧ / ١٤٨ ) ، حديث رقم ( ٣٨٣٧ ) .

(٦) يعني للجنازة .

(٧) في المطبوعة : كان فعل .

(٨) في المطبوعة : فعن .

(٩) الترمذي الجنائز ( ١٠٤٥ ) ، النسائي الجنائز ( ٢٠٠٩ ) ، أبو داود الجنائز ( ٣٢٠٨ ) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز ( ١٥٥٤ ) .

(١٠) وهم : أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه . انظر : سنن أبي داود ، كتاب الجنائز ، باب في اللحد ، حديث رقم ( ٣٢٠٨ ) ، ( ٣ / ٥٤٤ ) . وانظر : سنن الترمذي ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : " اللحد لنا والشق لغيرنا " ، حديث رقم ( ١٠٤٥ ) ، ( ٣ / ٣٦٣ ) ، وقال - أي الترمذي - : " حديث ابن عباس حديث حسن غريب من هذا الوجه " ، وقال قبل ذلك : " وفي الباب عن جرير بن عبد الله وعائشة وابن عمر وجابر " ( ٣ / ٣٦٣ ) ،

قال: قال رسول الله ﷺ ﴿اللحد لنا والشق لغيرنا﴾<sup>(٣)</sup> رواه أحمد<sup>(٤)</sup> وابن ماجه<sup>(٥)</sup>  
وفي رواية لأحمد ﴿: والشق لأهل الكتاب.﴾<sup>(٦)</sup> وهو مروى من طرق<sup>(٧)</sup> فيها لين  
لكن يصدق<sup>(٨)</sup> بعضها بعضا<sup>(٩)</sup>.

وفيه التنبيه على مخالفتنا لأهل الكتاب حتى في وضع الميت في أسفل القبر.

- 
- والحديث بمجموع طرقه صحيح . انظر : الجامع الصغير ( ٢ / ٤٧٤ ) ، حديث رقم ( ٧٧٤٧ ) ، قال  
السيوطي : حديث صحيح . انظر : سنن النسائي ، كتاب الجنائز ، باب : اللحد والشق ( ٤ / ٨٠ ) .  
وانظر : سنن ابن ماجه ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في استحباب اللحد ، حديث رقم ( ١٥٥٤ ) ، ( ١ / ٤٩٦ ) .
- (١) في المطبوعة : البحلي .
- (٢) هو الصحابي الحليل : جرير بن عبد الله بن جابر - الشليل - بن مالك البحلي ، نسبة إلى قبيلة بجيلة ، وكنيته  
: أبو عبد الله ، أسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأربعين يوما ، وكان حسن الصورة ، وهو  
سيد في قومه ، ولما دخل على الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم أكرمه وقال : " إذا أتاكم كريم قوم  
فأكرموه " . وكان له في حض المسلمین على القتال في القادسية وغيرها أثر كبير ، وأمره عمر على بجيلة -  
قبيلته - . ومات سنة ( ٥٤ هـ ) . انظر : أسد الغابة ( ١ / ٢٧٩ ، ٢٨٠ ) .
- (٣) الترمذي الجنائز ( ١٠٤٥ ) ، النسائي الجنائز ( ٢٠٠٩ ) ، أبو داود الجنائز ( ٣٢٠٨ ) ، ابن ماجه ما جاء في  
الجنائز ( ١٥٥٤ ) .
- (٤) انظر : مسند أحمد ( ٤ / ٣٥٧ ، ٣٥٩ ) في مسند جرير بن عبد الله .
- (٥) انظر : سنن ابن ماجه ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في استحباب اللحد ، حديث رقم ( ١٥٥٥ ) ، ( ١ / ٤٩٦ ) .
- (٦) مسند أحمد ( ٤ / ٣٦٢ ، ٣٦٣ ) في مسند جرير بن عبد الله ، وذكره السيوطي في الجامع الصغير ( ٢ / ٤٧٤ ) ،  
الحديث رقم ( ٧٧٤٨ ) ، وقال : حديث صحيح .
- (٧) في ( أ ط ) : من طريق .
- (٨) في المطبوعة : يعضد .
- (٩) هذا بالنسبة للحديث بهذا اللفظ ، أما أحاديث استحباب اللحد فهي صحيحة ، فقد روى مسلم في صحيحه  
أن سعد بن أبي وقاصقال في مرضه الذي مات فيه : " ألدوا لي لحدا ، وانصبوا علي اللبن نصبا ، كما صنع  
برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم " . انظر : صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب : اللحد ونصب  
اللبن على الميت ، حديث رقم ( ٩٦٦ ) ، ( ٢ / ٦٦٥ ) .



وأيضاً عن عبد الله بن مسعود <sup>(١)</sup> رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه ﴿ ليس منا من ضرب الحدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية ﴾ <sup>(٢)</sup> متفق عليه <sup>(٣)</sup> ودعوى الجاهلية ندب الميت، وتكون دعوى الجاهلية في العصبية.

ومنه قوله فيما رواه أحمد عن أبي بن كعب <sup>(٤)</sup> قال: قال رسول الله صلوات الله عليه ﴿ من تعزى بعزاء <sup>(٥)</sup> الجاهلية، فأعضوه <sup>(٦)</sup> بمن <sup>(٧)</sup> أبيه، ولا تكنوا ﴾ <sup>(٨)</sup>.

(١) في (ب) : عن ابن مسعود .

(٢) البخاري الجنائز (١٢٣٦) ، مسلم الإيمان (١٠٣) ، الترمذي الجنائز (٩٩٩) ، النسائي الجنائز (١٨٦٢) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٥٨٤) ، أحمد (٣٨٦/١) .

(٣) انظر : صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ليس منا من شق الجيوب ، حديث رقم (١٢٩٤) ، (٣ / ١٦٣) من فتح الباري . وأطرافه في فتح الباري رقم (١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ٣٥١٩) في لفظ الأول منها : " لطم الحدود " . وانظر : صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب تحريم ضرب الحدود ، حديث رقم (١٠٣) ، ١ / ٩٩ .

(٤) هو الصحابي الجليل : أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية ، الأنصاري النجاري ، كان من أصحاب العقبة الثانية ، وشهد بدرًا وأحدًا وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، سيد القراء ، ومن أصحاب الفتيا في الصحابة ، وقال له الرسول : " ليهنك العلم أبا المنذر " ، وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : " إن الله أمرني أن أقرأ عليك " ، وكان عمر يسميه : سيد المسلمين ، توفي في خلافة عثمان سنة (٢٣ هـ) . انظر : الإصابة (١ / ١٩ ، ٢٠) ، (ت ٣٢) .

(٥) قال البغوي في شرح السنة : " قوله : من تعزى بعزاء الجاهلية : أي انتسب وانتسب ، كقولهم : يا فلان ، ويا لبني فلان ، يقال : عزوت الرجل وعزيتته : إذا نسبته ، وكذلك كل شيء تنسبه إلى شيء " . شرح السنة للبغوي (١٣ / ١٢١) ، شرح الحديث رقم (٣٥٤١) .

(٦) فأعضوه بمن أبيه : الهن : الذكر . أي قولوا له : اعضض ذكر أهلك . ولا تكنوا . أي : صرحوا بلفظ الذكر بدون كناية ، وهذا دليل على شناعة التعزى بعزاء الجاهلية . انظر : شرح السنة للبغوي (١٣ / ١٢١) .

(٧) في (أ ط) : فأعضوه هن .

(٨) مسند أحمد (٥ / ١٣٦) ورواه أيضاً عبد الله بن الإمام أحمد بسند آخر عن أبي بن كعب . انظر : المسند (٥ / ١٣٣) وإسناد الحديث صحيح .

وأيضاً عن أبي مالك الأشعري <sup>(١)</sup> رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿أربع في أمي من أمر الجاهلية لا يتركوهن <sup>(٢)</sup> الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من حرب <sup>(٣)</sup>﴾ رواه مسلم.

ذم في <sup>(٤)</sup> الحديث من دعا <sup>(٥)</sup> بدعوى الجاهلية، وأخبر أن بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم ذم لمن لم يتركه، وهذا كله يقتضي أن ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في دين الإسلام، وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها، ومعلوم أن إضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم <sup>(٦)</sup> وهذا كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَبْرَجَنَّ تَبْرَجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى <sup>(٧)</sup>﴾ <sup>(٨)</sup> فإن في <sup>(٩)</sup> ذلك ذم للتبرج وذم لحال الجاهلية الأولى، وذلك يقتضي المنع من مشابهمهم في الجملة.

ومنه قوله لأبي ذر <sup>(١٠)</sup> رضي الله عنه لما عبر رجلاً بأمه: ﴿إنك امرؤ فيك جاهلية <sup>(١)</sup>﴾ <sup>(٢)</sup>.

(١) أبو مالك هذا اختلف فيه اختلافاً كثيراً، والأرجح أنه: الحارث بن الحارث الأشعري، له صحبة. انظر: تهذيب التهذيب (١٢ / ٢١٨، ٢١٩)، (ت ١٠٠٢)؛ والإصابة (١ / ٢٧٥)، (ت ١٣٨٤).

(٢) في (ب): لا يتركوهن.

(٣) انظر: صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، حديث رقم (٩٣٥)، (٢ / ٦٤٤).

(٤) في المطبوعة: في هذا الحديث.

(٥) في (أ ج د ط): ادعى.

(٦) ومن المؤلم أنه بدأت في بعض العرب اليوم - من القوميين والبعثيين وغيرهم - شعارات وكتابات تتبنى إحياء منكرات الجاهلية وأوثانها وتقاليدها وأعرافها وأسواقها وشتى آثارها الحسية والمعنوية، بدعوى إحياء التراث والوطنية، وهذا ضلال مبین، كما سيبين المؤلف.

(٧) سورة الأحزاب آية: ٣٣.

(٨) سورة الأحزاب: من الآية ٣٣.

(٩) في المطبوعة: فإن ذلك ذم للتبرج، وذم لحال الجاهلية الأولى.

(١٠) هو الصحابي الجليل: جندب بن جنادة بن سكن الغفاري أبو ذر، كان من السابقين إلى الإسلام، ولما أسلم بمكة أعلن إسلامه، وكان المسلمون يستخفون آنذاك، ورفع صوته أمام قريش بالشهادتين فضربوه، ثم رجع إلى قومه، ثم هاجر إلى المدينة بعد بدر وأحد، وكان صادق اللهجة، وذكروا أن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم وصفه بذلك

فإنه ذم لذلك الخلق ولأخلاق الجاهلية التي لم يجئ بها الإسلام.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ

سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup> فإن إضافة الحمية إلى الجاهلية اقتضى<sup>(٤)</sup>

ذمها فما كان من<sup>(٥)</sup> أخلاقهم وأفعالهم، فهو كذلك.

ومن هذا ما رواه البخاري في صحيحه، عن عبيد الله<sup>(٦)</sup> بن أبي يزيد<sup>(٧)</sup> أنه سمع ابن

عباس قال: ثلاث<sup>(٨)</sup> خلال من خلال الجاهلية الطعن في الأنساب والنياحة، ونسيت

الثالثة قال سفيان<sup>(٩)</sup> ويقولون: إنها الاستسقاء<sup>(١٠)</sup> بالأنواء<sup>(١١)</sup>.

، كما قال فيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أيضا: "يرحم الله أبا ذر، يعيش وحده ويموت وحده، ويبعث وحده"، فلما حصل منه بعض الخلاف مع عثمانوخاف عثمان افتراق الناس وفتتهم فسيره إلى الريدة، فمات بهاسنة (٢٣)، وصلى عليه ابن مسعود. انظر: الإصابة (٤ / ٦٢ - ٦٤)، ترجمة رقم (٣٨٤) الكنى.

(١) البخاري الإيمان (٣٠)، مسلم الإيمان (١٦٦١)، أبو داود الأدب (٥١٥٧)، أحمد (١٦١/٥).

(٢) الحديث جاء في الصحيحين وغيرهما: انظر: صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، فتح الباري، حديث رقم (٣٠)، (١ / ٨٤) وحديث رقم (٦٠٥٠)؛ وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل، حديث رقم (١٦٦١)، (٣ / ١٢٨٢، ١٢٨٣) من ثلاث طرق؛ ومسنده أحمد (١٦١ / ٥).

(٣) سورة الفتح: الآية ٢٦.

(٤) في المطبوعة: يقتضي، والمعنى متقارب.

(٥) في المطبوعة سقطت: من.

(٦) في المطبوعة: عبد الله، والصحيح: عبيد الله انظر: إسناده في فتح الباري (٧ / ١٥٦).

(٧) هو: عبيد الله بن أبي يزيد المكي، مولى آل قارظ بن شيبه، وثقة النسائي والعجلي وابن معين وأبو زرعة، وغيرهم، وقال ابن سعد: "ثقة كثير الحديث" وعده ابن سعد في الطبقة الثالثة من المكين، ومات سنة (١٢٦ هـ) وعمره (٨٦) سنة. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥ / ٤٨١ - ٤٨٢)؛ وتهذيب التهذيب (٧ / ٥٦، ٥٧)، ترجمة رقم (١٠٩).

(٨) ثلاث: ساقطة من (أ).

(٩) هو: سفيان بن عيينة: مرت ترجمته، انظر فهرس الأعلام.

(١٠) في (ط): ويقولون إنها الأنواء.

(١١) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب القسامة، في الجاهلية، فتح الباري، حديث رقم (٣٨٥٠)،

(٧ / ١٥٦).

وروى مسلم في صحيحه، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت ﴾ <sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup> فقلوه: هما بهم كفر <sup>(٣)</sup>. أي هاتان الخصلتان هما كفر قائم بالناس فنفس الخصلتين كفر حيث <sup>(٤)</sup> كانتا من أعمال الكفار <sup>(٥)</sup> وهما قائمتان بالناس لكن ليس كل من قام به شعبة من شعب الكفر يصير <sup>(٦)</sup> كافرا الكفر المطلق حتى تقوم به حقيقة الكفر كما أنه ليس كل من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمنا <sup>(٧)</sup> حتى يقوم به أصل الإيمان <sup>(٨)</sup> وفرق بين الكفر المعرف باللام كما في قوله ﷺ ليس بين العبد وبين الكفر - أو الشرك - إلا ترك الصلاة <sup>(٩)</sup> <sup>(١٠)</sup> وبين كفر منكر في الإثبات.

وفرق أيضا بين معنى الاسم المطلق إذا قيل: كافر أو مؤمن. وبين المعنى المطلق للاسم

(١) مسلم الإيمان (٦٧)، أحمد (٤٩٦/٢).

(٢) انظر صحيح مسلم كتاب الإيمان باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة حديث رقم (٦٧) (١) / ٨٢.

(٣) كفر: أثبتها من (ب) وهي ساقطة من بقية النسخ.

(٤) حيث "ساقطة من (أ)".

(٥) في المطبوعة: من أعمال الكفر.

(٦) في المطبوعة: يصير بها كافرا.

(٧) في المطبوعة: يصير بها مؤمنا.

(٨) في المطبوعة: وحقيقته.

(٩) مسلم الإيمان (٨٢)، النسائي الصلاة (٤٦٤).

(١٠) الحديث رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة (١ / ٨٨) حديث، رقم (٨٢) من طريقتين: بلفظ: إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة) والرواية الأخرى بنفس اللفظ إلا أنه قال: "بين الرجل". إلخ الحديث، وأبو داود في كتاب السنة، باب في رد الإرجاء، حديث رقم (٤٦٧٨)، (٥ / ٥٨، ٥٩)، بلفظ: "بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة" والترمذي كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، حديث رقم (٢٦١٨، ٢٦١٩، ٢٦٢٠) بألفاظ توافق ما في مسلم وأبي داود، وقال الترمذي (حديث حسن صحيح)، (٥ / ١٣).

في جميع موارد كما في قوله: لا ترجعوا بعدي كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض<sup>(١)</sup> .  
 فقوله: <sup>(٢)</sup> ﴿يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ﴾ تفسير الكفار في هذا الموضوع،  
 وهؤلاء يسمون كفارا تسمية مقيدة، ولا يدخلون في الاسم المطلق إذا قيل: كافر  
 ومؤمن.<sup>(٤)</sup> كما أن قوله تعالى: ﴿مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾<sup>(٥)</sup> سمي المني ماء تسمية مقيدة  
 ولم يدخل في الاسم المطلق حيث قال: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾<sup>(٦)</sup> .

ومن هذا الباب ما أخرجاه في الصحيحين عن عمرو بن دينار<sup>(٧)</sup> عن جابر بن عبد  
 الله قال: ﴿غزونا مع رسول الله ﷺ وقد تاب<sup>(٨)</sup> معه ناس من المهاجرين حتى كثروا،  
 وكان من المهاجرين رجل لعاب<sup>(٩)</sup> فكسع<sup>(١٠)</sup> أنصاريًا، فغضب الأنصاري غضبا شديدا  
 حتى تداعوا وقال الأنصاري: يا لأنصار. وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فخرج النبي ﷺ

(١) الحديث في الصحيحين وغيرهما : ورواه البخاري في كتاب العلم ، باب الإنصات للعلماء ، حديث رقم ( ١٢١ ) من فتح الباري ، ( ١ / ٢١٧ ) كما أخرجه في مواضع أخرى رقم ( ٤٤٠٥ ) ، ( ٦٨٦٩ ) ، ( ٧٠٨٠ ) .  
 ورواه مسلم في كتاب الإيمان ، باب معنى قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، " لا ترجعوا بعدي كفار  
 يضرب بعضكم رقاب بعض " حديث رقم ( ٦٥ ، ٦٦ ) ، ( ١ / ٨١ — ٨٢ ) .

(٢) فقوله : ساقطة من ( ط ) .

(٣) في المطبوعة : بعضكم بعضا .

(٤) في المطبوعة : أو مؤمن .

(٥) سورة الطارق : من الآية ٦ .

(٦) سورة المائدة : من الآية ٦ .

(٧) وهو : عمرو بن دينار الجمحي — مولاهم — أبو محمد ، الأثرم ، من علماء التابعين ، وحفاظهم وفقهائهم ،  
 وثقه الأئمة ، وقال ابن سعد في طبقاته ، وكان عمرو ثقة ثبتا كثير الحديث " وكان مفتي أهل مكة في زمانه ،  
 توفي سنة ( ١٢٦ هـ ) . انظر : تهذيب التهذيب ( ٨ / ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ) ؛ والطبقات الكبرى لابن سعد ( ٥ /  
 ٤٨٠ ) .

(٨) تاب : أي اجتمع وجاء . انظر : مختار الصحاح ، مادة ( ث و ب ) ، ( ص ٨٩ ) .

(٩) لعاب : كثير اللعب .

(١٠) كسع : أي ضرب دبره بيده ، أو بصدر قدمه : انظر : القاموس المحيط ، باب العين ، فصل الكاف ، ( ٣ /

فقال: ما بال دعوى الجاهلية، ثم قال: ما شأنهم؟ فأخبر<sup>(١)</sup> بكسعة المهاجري للأنصاري  
قال: فقال النبي ﷺ دعوها فإنها خبيثة<sup>(٢)</sup> وقال عبد الله<sup>(٣)</sup> بن أبي ابن سلول: أو قد<sup>(٤)</sup>  
تداعوا علينا، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. قال<sup>(٥)</sup> عمر: ألا تقتل<sup>(٦)</sup>  
يا نبي<sup>(٨)</sup> الله هذا الخبيث - لعبد الله -<sup>(٩)</sup> فقال النبي ﷺ لا يتحدث الناس أنه كان<sup>(١٠)</sup>  
يقتل أصحابه ﴿<sup>(١١)</sup>﴾ .

ورواه مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر<sup>(١٢)</sup> قال: ﴿اقتل غلامان غلام من  
المهاجرين وغلام من الأنصار فنأى المهاجر<sup>(١٣)</sup> يا للمهاجرين ونأى الأنصاري: يا  
للأنصار فخرج رسول<sup>(١٤)</sup> الله ﷺ فقال: ما هذا؟ أدعوى الجاهلية؟ قالوا: لا يا رسول

(١) في المطبوعة: فأخبروه، وفي البخاري كما أثبتته .

(٢) في المطبوعة: منتنة، وهي في البخاري بلفظ " خبيثة " وفي مسلم بلفظ: " منتنة " .

(٣) هو: رأس المنافقين في عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد  
الخرجي، أبو الحباب، المشهور بابن سلول، وسلول جدته لأبيه، كان سيد الخزرج قبيل الإسلام، فكانوا يرمعون  
تويجه بالملك، وبعد بدر أظهر الإسلام، وأخذ يعمل المكائد بالمسلمين، من التخذيل عن الجهاد، والإرجاف والاستهزاء  
، والشماتة عند المصائب، ونشر الأكاذيب والبهتان، مات في عهد الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فلما صلى  
عليه نماه الله عن ذلك بقوله تعالى: ٣٠ ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره، إنهم كفروا بالله ورسوله  
وماتوا وهم فاسقون ٣٠ سورة التوبة: الآية ٨٤ انظر: الأعلام للزركلي (٤ / ٦٥) .

(٤) في (أ ب): ابن أبي سلول، وهو خطأ، ولعله من الناسخ .

(٥) في (أ): أو قد .

(٦) في المطبوعة: فقال .

(٧) في (أ) والمطبوعة: تقتل .

(٨) في (ج د) والمطبوعة: يا رسول الله .

(٩) في (ب): يعني عبد الله .

(١٠) في المطبوعة: أنه يقتل .

(١١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ما ينهى من دعوى الجاهلية . انظر: فتح الباري، حديث  
رقم (٣٥١٨)، (٦ / ٥٤٦) .

(١٢) في المطبوعة: رضي الله عنه .

(١٣) في (ب ج د ط) والمطبوعة: المهاجري، وما أثبتته من (أ) أصح كما في مسلم .

(١٤) في (أ ب ط): النبي .

الله، إلا أن غلامين اقتتلا فكسع أحدهما الآخر فقال: لا بأس ولينصر <sup>(١)</sup> الرجل أخاه ظلما أو مظلوما، إن كان ظلما فلينصه فإنه له نصر وإن كان مظلوما فلينصره ﴿ <sup>(٢)</sup> فهذان الاسمان <sup>(٣)</sup> المهاجرون والأنصار اسمان شرعيان جاء بهما الكتاب والسنة وسماههما الله بهما كما سماها المسلمون <sup>(٤)</sup> من قبل وفي هذا، وانتساب الرجل إلى المهاجرين <sup>(٥)</sup> أو الأنصار انتساب حسن محمود عند الله وعند رسوله، ليس من المباح الذي يقصد به التعريف فقط، كالانتساب إلى القبائل والأمصار، ولا من المكروه أو المحرم، كالانتساب إلى ما يفضي <sup>(٦)</sup> إلى بدعة أو معصية أخرى.

ثم مع هذا لما دعا كل <sup>(٧)</sup> منهما طائفة منتصرا بما أنكر النبي ﷺ ذلك وسماها دعوى الجاهلية حتى قيل له: إن الداعي بها إنما هما غلامان لم يصدر ذلك من الجماعة فأمر بمنع الظالم، وإعانة المظلوم لبيّن النبي <sup>(٨)</sup> ﷺ أن المحذور <sup>(٩)</sup> إنما هو تعصب الرجل لطائفته مطلقا فعل أهل <sup>(١٠)</sup> الجاهلية، فأما نصرها بالحق من غير عدوان فحسن واجب أو مستحب.

ومثل هذا ما روى أبو داود وابن ماجه عن وائلة بن الأسقع <sup>(١١)</sup> ﷺ قال: قلت:

(١) في المطبوعة: لينصر .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب نصر الأخ ظلما أو مظلوما ، حديث رقم (٢٥٨٤) ، (٤) / (١٩٩٨) .

(٣) في (ط) : اسمان .

(٤) في (ب) : مسلمين .

(٥) في (أ ب) والمطبوعة : والأنصار .

(٦) في (أ ب) : يقتضي بدعة .

(٧) في المطبوعة : كل واحد منهما .

(٨) في (أ ج د ط) : لبيّن صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(٩) في المطبوعة : أن المحذور من ذلك .

(١٠) في (ب) : فعل الجاهلية .

(١١) هو الصحابي الحليل : وائلة بن الأسقع بن كعب بن عامر ، من بني ليث بن عبد مناة ، أسلم قبل غزوة تبوك ، وشهدها ، وكان يتزل ناحية المدينة قبل إسلامه ، فلما أسلم كان من أهل الصفة ، وبعد وفاة الرسول صلى

﴿ يا رسول الله ما العصبية قال: أن تعين قومك على الظلم ﴾ (١) (٢) .

وعن سراقه بن مالك بن جعشم المدلجي (٣) قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال:

﴿ خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم ﴾ (٤) رواه أبو داود (٥) .

وروى (٦) أيضا عن جبير بن (١) مطعم (٢) أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ ليس منا من

الله عليه وعلى آله وسلم ذهب إلى الشام ، وكان يشهد المغازي ، فشهد فتح دمشق وحمص وغيرها ، وتوفي بدمشق سنة (٨٥ هـ) وعمره (١٠٥) سنين . انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد (٧ / ٤٠٧ ، ٤٠٨) . وانظر : الإصابة (٣ / ٦٢٦) ، ترجمة رقم (٩٠٨٧) . (١) أبو داود الأدب (٥١١٩) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٤٩) .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب في العصبية ، حديث رقم (٥١١٩) ، (٥ / ٣٤١) ، ورواه ابن ماجه من حديث فسيلة عن أبيها ، وقد ذكر ابن حجر وغيره أن فسيلة بنت وائلة بن الأسقع ، ونصه عن فسيلة : " سمعت أبي يقول : سألت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، أمن العصبية أن يجب الرجل قومه ؟ قال : " لا ، ولكن من العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم " . انظر : سنن ابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب العصبية ، حديث رقم (٣٩٤٩) ، (٢ / ١٣٠٢) ، وفي نسب فسيلة بنت وائلة ، انظر : الإصابة (٣ / ٦٢٦) ، في ترجمة وائلة بن الأسقع ، رقم (٩٠٨٧) ، وقد سماها : نسيلة . وقال ابن حجر في التقریب : " مقبولة من الرابعة " (٢ / ٥٩٣) ، وسماها جميلة .

(٣) هو الصحابي الجليل : سراقه بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن تيم بن مدلج ، الكتاني ، المدلجي ، من بني مدلج ، كان قبل إسلامه ممن طلب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأبا بكر أثناء الهجرة ليسلمه لقريش ، فساخت رجل فرسه ، فعلم أنها معجزة للرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم فعصى الخبر عنه وعن صاحبه أبي بكر وأعطاه الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم كتابا فأسلم بعد حنين ، وكان قال له الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم : " كيف بك إذا لبست سوارى كسرى ومنطقته وتاجه ؟ " فلما فتحت فارس جاء عمر بها فألبسه إياها تحقيقا لوعده رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومعجزته ، وقال عمر : الحمد لله الذي سلبيهما كسرى بن هرمز ، وألبسهما سراقه بن مالك أعرابيا من بني مدلج ، وكان سراقه شاعرا ، توفي سنة (٢٤ هـ) . انظر : أسد الغابة (٢ / ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦) .

(٤) أبو داود الأدب (٥١٢٠) .

(٥) انظر : سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب في العصبية ، حديث رقم (٥١٢٠) ، (٥ / ٣٤١) ، وفي الحديث أيوب بن سويد ، قال أبو داود : " أيوب بن سويد ضعيف " . سنن أبي داود (٥ / ٣٤١) ، وأيوب بن سويد هو : الرملي السيباني أبو مسعود ، ضعفه أحمد وابن معين والبخاري ، وأبو حاتم والنسائي ، وسائر أئمة الحديث ، توفي سنة (٢٠٢ هـ) . انظر : تهذيب التهذيب (١ / ٤٠٥ ، ٤٠٦) ، وترجمته (٧٤٥) .

(٦) في المطبوعة : أبو داود .



دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية ﴿ (٣) (٤) .

وروى (٥) أيضا عن ابن مسعود (٦) عن النبي ﷺ قال: ﴿ من نصر قومه على غير

الحق فهو كالبعير الذي ردي (٧) فهو يترع بذنبه ﴿ (٨) .

فإذا كان هذا (٩) التداعي في هذه (١٠) الأسماء و (١١) هذا الانتساب (١٢) الذي يجبه الله ورسوله فكيف بالتعصب مطلقا، والتداعي للنسب والإضافات التي هي: إما مباحة، أو مكروهة.

(١) في (ج) : معظم ، وهو خطأ .

(٢) هو الصحابي الجليل : جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل ، القرشي ، كان من حلماء قريش وساداتها ، وكان نسابة ، يؤخذ عنه النسب لقريش ولعامة العرب ، وكان أبوه المطعم قد أجاز الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما قدم من الطائف حين رده تقيف لما دعاهم إلى الإسلام ، كما أن المطعم أحد الذين قاموا في نقض الصحيفة الجائرة لمقاطعة المسلمين وبني هاشم وبني المطلب ، أسلم جبير قبل الفتح ، وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليلة قربه من مكة في غزوة الفتح : " إن بمكة أربعة نفر من قريش أربأ بهم عن الشرك وأرغب لهم في الإسلام . . " وذكر منهم (جبير بن مطعم) ، توفي سنة (٥٧ هـ) . انظر : أسد الغابة (١ / ٢٧١ ، ٢٧٢) .

(٣) أبو داود الأدب (٥١٢١) .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب في العصبية ، حديث رقم (٥١٢١) ، (٥ / ٣٤٢) ، كما أخرج مسلم بمعناه في كتاب الإمارة ، حديث رقم (١٨٤٨) عن أبي هريرة .

(٥) في المطبوعة : أبو داود .

(٦) في المطبوعة : رضي الله عنه .

(٧) في (ج د ط) : تردى ، ومعناه : أسقط ، أو : سقط في بئر ، أو : تهور من جبل ، ونحوه ، ويترع : يجذب ويقتلع . انظر : مختار الصحاح ، مادة (ردى) (ص ٢٤٠) ، ومادة (نزع) (ص ٦٥٤) .

(٨) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب في العصبية ، حديث رقم (٥١١٨) ، (٥ / ٣٤١) وهو صحيح الإسناد . كما أخرجه أبو داود موقوفا على ابن مسعود برقم (٥١١٧) ، (٥ / ٣٤٠) ، المرجع نفسه .

(٩) في (ب) : على التداعي .

(١٠) في المطبوعة : في الأسماء .

(١١) في المطبوعة : وفي هذا الانتساب .

(١٢) يقصد الانتساب إلى المهاجرين والأنصار ، الذي جاء في الحديث السابق : يا للمهاجرين ، يا للأنصار .

وذلك أن الانتساب إلى الاسم الشرعي أحسن من الانتساب إلى غيره، ألا ترى إلى ما رواه أبو داود من حديث محمد بن إسحاق<sup>(١)</sup> عن داود بن الحصين<sup>(٢)</sup> عن عبد الرحمن بن أبي عقبة<sup>(٣)</sup> عن أبي عقبة<sup>(٤)</sup> وكان مولى من أهل فارس قال: ﴿شهدت مع رسول الله ﷺ أحدا فضربت رجلا من المشركين فقلت: خذها<sup>(٥)</sup> وأنا الغلام الفارسي، فالتفت إلي<sup>(٦)</sup> فقال: هلا قلت: خذها مني وأنا الغلام الأنصاري ﴿<sup>(٧)</sup> .

(١) هو : محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار المطلي ، مولاهم ، المدني ، نزيل العراق ، من الحفاظ المكثرين للحديث ، وصاحب " المغازي " المشهور ، ومن الأئمة المشهود لهم بالفضل والعلم والحفظ ، وقد تكلم فيه بعضهم ، لكن تصدى لذلك كثير من أئمة الحديث ووثقوه حتى قالوا : إنه لم يتكلم فيه سوى مالك وهشام بن عروة ، ووجهوا كلامهما فيه بتوجيه يبرئه من الطعن في روايته للحديث ، وسائر الأئمة يوثقه ، قال أبو زرعة : " وابن إسحاق رجل قد أجمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ عنه ، وقد اختبره أهل الحديث فرأوا صدقا وخيرا " ، وقد وثقه ابن معين ، والعجلي وابن سعد ، وابن حبان ، وابن المبارك ، وغيرهم ، وأخذ عليه بعضهم روايته عن بني إسرائيل ، وتساهله في رواية المغازي والسير ، وتدليسه أحيانا ، وقد روى له مسلم في المتابعات ، وعلق له البخاري ، ومن أهم أعماله الجليلة : جمع السيرة وكتابتها ، توفي سنة ( ١٥٢ هـ ) . انظر : تهذيب التهذيب ( ٩ / ٣٨ - ٤٦ ) ، ترجمة رقم ( ٥١ ) .

(٢) هو : داود بن الحصين مولى عمرو بن عثمان بن عفان ، أبو سليمان ، المدني ، قال ابن عيينة : كنا نتقي حديثه ، وقال ابن معين : ثقة ، وقال أبو زرعة : لين ، وقال ابن عدي : صالح الحديث ، وقال ابن المديني : ما روى عن عكرمة فممنكر ، وقال النسائي : ليس به بأس ، وذكره ابن حبان في الثقات ، كما وثقه ابن سعد والعجلي وخلاصة القول أن داود ثقة إلا في عكرمة كما أنه متهم برأي الخوارج لكنه لا يدعو إلى بدعته ، توفي سنة ( ١٣٥ هـ ) . انظر : الجرح والتعديل ( ٣ / ٤٠٨ ) ، ترجمة رقم ( ١٨٧٤ ) ؛ وتقريب التهذيب ( ١ / ٢٣١ ) ، ترجمة ( ٥ ) د .

(٣) هو : عبد الرحمن بن أبي عقبة ، الفارسي ، المدني ، مولى الأنصار ، ذكره ابن حبان في الثقات ، يروي المراسيل ، وقال ابن حجر في تقريب التهذيب : مقبول ، من الثالثة . انظر : تهذيب التهذيب ( ٦ / ٢٣٢ ) ، ترجمة رقم ( ٤٧٢ ) ؛ وتقريب التهذيب ( ١ / ٤٩٢ ) ، ترجمة ( ١٠٥١ ) .

(٤) هو : أبو عقبة ، أبو عبد الرحمن الراوي عنه هنا ، الفارسي ، مولى الأنصار ، قيل : اسمه ( رشيد ) ، وله صحبة . انظر : تهذيب التهذيب ( ١٢ / ١٧١ ) ، ترجمة ( ٨٠٥ ) في الكنى .

(٥) في المطبوعة : خذها مني وأنا . الخ ، وكذلك في أبي داود .

(٦) في المطبوعة : رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وكذلك في أبي داود .

(٧) رواه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب في العصبية ، حديث رقم ( ٥١٢٣ ) ، ( ٥ / ٣٤٣ ) . وابن ماجه في سننه ، كتاب الجهاد ، باب النية في القتال ، حديث رقم ( ٢٨٧٤ ) ، ( ٢ / ٩٣١ ) . والحديث في إسناده

حضه (١) رسول الله ﷺ على الانتساب إلى الأنصار، وإن كان بالولاء، وكان إظهار هذا أحب إليه من الانتساب إلى فارس بالصرافة، وهي نسبة حق، ليست محرمة. ويشبهه -والله أعلم- أن يكون من حكمة ذلك: أن النفس تحامي عن الجهة التي تنتسب (٢) إليها فإذا (٣) كان ذلك لله كان خيرا للمرء.

فقد دلت هذه الأحاديث على أن إضافة الأمر إلى الجاهلية يقتضي ذمه، والنهي عنه، وذلك يقتضي المنع من (٤) أمور الجاهلية مطلقا، وهو المطلوب في هذا الكتاب (٥).

ومثل هذا ما روى (٦) سعيد بن أبي سعيد (٧) عن أبيه (٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿إن الله قد أذهب عنكم (٩) عبية (١٠) الجاهلية وفخرها بالآباء: مؤمن تقي أو فاجر شقي، أنتم بنو آدم وادم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها (١١) التن﴾ (١)

عن عبد الرحمن بن أبي عقبة يروي المراسيل ، وقد وثقه ابن حبان ، وقال : يروي المراسيل كما أشرت في ترجمته .

(١) في (أ) : حضه وأن رسول الله ، وهو خلط من الناسخ .

(٢) في (ج ط) : تنسب .

(٣) فإذا : سقطت من المطبوعة .

(٤) في المطبوعة : من كل أمور الجاهلية .

(٥) الكتاب : سقطت من (ج د ط) .

(٦) في (ب) : عن سعيد .

(٧) هو : سعيد بن أبي سعيد كيسان المقبري المدني ، من الحفاظ المتقين الثقات ، وثقه الأئمة ، وقالوا : اختلط قبل

موته بأربع سنين ، وتوفي سنة : (١١٧ هـ) ، وقيل : (١٢٣ هـ) . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ٣٨ - ٤٠

، ترجمة رقم (٦١) .

(٨) هو : أبو سعيد ، الراوي عنه هنا ، كيسان بن سعيد المقبري ، مولى أم شريك ، ويقال : هو الذي يقال له :

صاحب العباس ، ثقة ، ثبت ، من الطبقة الثانية ، توفي سنة (١٠٠ هـ) . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ١٣٧

، ترجمة رقم (٨١) .

(٩) في (أ) : غيبة الجاهلية فخرها ، وفي (ب) : عبية الجاهلية ، وفي (ط) : عبية الجاهلية ، وكله تحريف .

(١٠) العبية : الكبر والنخوة والفخر ، انظر : شرح السنة للبعوي (١٣ / ١٢٤) .

(١١) في المطبوعة : بأنفها .

رواه أبو داود وغيره<sup>(٢)</sup> وهو صحيح.

فأضاف العيبة<sup>(٣)</sup> والفخر إلى الجاهلية يذمها<sup>(٤)</sup> بذلك وذلك يقتضي ذمها بكونها

مضافة<sup>(٥)</sup> إلى الجاهلية وذلك يقتضي ذم<sup>(٦)</sup> الأمور المضافة إلى الجاهلية.

ومثله ما روى مسلم في صحيحه عن أبي قيس زياد بن رباح<sup>(٧)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه<sup>(٨)</sup>

عن النبي صلوات الله عليه أنه قال: ﴿ من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية،

ومن قاتل تحت راية عمية<sup>(٩)</sup> يغضب لعصية، أو يدعو إلى عصية، أو ينصر عصية فقتل

فقتله<sup>(١٠)</sup> جاهلية<sup>(١١)</sup> ومن خرج على أمي يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشى من

(١) رواه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب في التفاخر بالأحساب ، حديث رقم (٥١١٦) ، (٥ / ٣٣٩ ، ٣٤٠) ، وقد أشار المؤلف إلى أنه صحيح .

(٢) ممن رواه أيضا الترمذي في سننه كتاب المناقب باب في فضل الشام واليمن حديث رقم (٣٩٥٥) ورقم (٣٩٥٦) ، (٥ / ٧٣٤ ، ٧٣٥) ، وفي لفظ الترمذي اختلاف يسير وتقديم وتأخير . قال الترمذي : " وفي الباب عن ابن عمر وابن عباس " . وقال بعد الحديث الأول (٣٩٥٥) : " وهذا حديث حسن غريب " ، وقال بعد الحديث الثاني (٣٩٥٦) : " وهذا أصح عندنا من الحديث الأول ، وسعيد المقبري قد سمع أبا هريرة ، ويروي عن أبيه أشياء كثيرة عن أبي هريرة رضي الله عنه " . سنن الترمذي (٥ / ٧٣٤ ، ٧٣٥) .

(٣) في (ب) : العيبة ، وهو خطأ كما ذكرت .

(٤) في المطبوعة : يذمهما .

(٥) في المطبوعة : ذمهما بكونهما مضافين . بالثنائية ، وهي مفردة في جميع النسخ ، كما أثبتته .

(٦) في المطبوعة : ذم كل الأمور .

(٧) كذا جاء في المطبوعة ، وفي جميع النسخ : ابن رباح ، وكذلك في بعض كتب التراجم ، لكن أكثرها على أنه ابن رباح - بالياء- كما في مسلم أيضا ، وهو : زياد بن أبي رباح المدني ، أو البصري ، أبو قيس ، وكناه بعضهم بأبي رباح ، من حفاظ الحديث ، وثقه الأئمة ، من الطبقة الثالثة . انظر : تهذيب التهذيب (٣ / ٣٦٦ ، ٣٦٧) ، ترجمة رقم (٦٧٢) .

(٨) سقطت من (ج د) .

(٩) في المطبوعة : عمياء ، والصحيح ما أثبتته كما في مسلم ، والعمية : الأمر الأعمى الذي لا يستبين وجهه ، كما سيذكر المؤلف في الصفحة التالية . انظر : الحاشية على صحيح مسلم (٣ / ١٤٧٦) .

(١٠) كذا في (أ ط) : وقتله . وكذلك في صحيح مسلم ، وفي (ب ج د) : فقتله .

(١١) في المطبوعة : قتل قتلة جاهلية .

مؤمنها، ولا يفى لذي عهد عهده<sup>(١)</sup> فليس مني ولست منه ﴿٢﴾ .

ذكر ﷺ في هذا الحديث الأقسام الثلاثة التي يعقد لها الفقهاء باب قتال أهل القبلة من البغاة<sup>(٣)</sup> والعداة وأهل العصية.

الخارجون عن طاعة السلطان، فنهى عن نفس الخروج عن الطاعة والجماعة وبين أنه إن<sup>(٤)</sup> مات، ولا طاعة عليه<sup>(٥)</sup> مات ميتة جاهلية، فإن أهل الجاهلية من العرب ونحوهم لم يكونوا يطيعون أميرا عاما على ما هو<sup>(٦)</sup> معروف من سيرتهم. الذي يقاتل تعصبا لقومه، أو أهل بلده ونحو ذلك وسمى الراية عمية<sup>(٧)</sup> لأنه الأمر الأعمى الذي لا يدري وجهه فكذلك قتال العصية يكون عن غير علم بجواز قتال هذا.

وجعل قتلة المقتول قتلة جاهلية سواء غضب بقلبه، أو دعا بلسانه، أو<sup>(٩)</sup> ضرب بيده وقد فسر ذلك فيما رواه مسلم أيضا<sup>(١٠)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل في أي شيء قتل، ولا يدري المقتول على أي

(١) في (ب ج د) والمطبوعة : لذي عهدها ، وفي مسلم كما أثبتته من (أ ط) .

(٢) انظر : صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (٣ / ١٤٧٦ ، ١٤٧٧) ، حديث رقم (١٨٤٨) ، من طرق بينها اختلافات يسيرة في ألفاظها .

(٣) في المطبوعة : البغاء .

(٤) في (ب) : من مات .

(٥) في المطبوعة : لإمام .

(٦) في (ط) : على ما هو عليه معروف .

(٧) هذا هو القسم الثاني .

(٨) في المطبوعة : عمياء .

(٩) في (أ ب ط) : أو نصر .

(١٠) أيضا : سقطت من (أ ب) .

(١١) في (أ) : النبي .

شيء قتل فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: الهرج <sup>(١)</sup> القاتل والمقتول في النار ﴿ (٢)

: الخوارج <sup>(٣)</sup> على الأمة <sup>(٤)</sup> إما من العداة الذين غرضهم الأموال كقطاع

الطريق ونحوهم، أو غرضهم الرياسة كمن يقتل أهل المصر <sup>(٥)</sup> الذين هم <sup>(٦)</sup> تحت حكم غيره مطلقا، وإن لم يكونوا مقاتلة، أو من الخارجين عن السنة الذين يستحلون دماء أهل القبلة مطلقا كالحروية <sup>(٧)</sup> الذين قتلهم علي رضي الله عنه.

ثم إنه ﷺ سمي الميتة والقتلة ميتة جاهلية وقتلة جاهلية على وجه الذم لها والنهي عنها وإلا لم يكن قد زجر عن ذلك.

فعلم أنه كان قد قرر <sup>(٨)</sup> عند أصحابه أن ما أضيف إلى الجاهلية من ميتة، أو قتلة ونحو ذلك فهو مذموم منهي عنه وذلك يقتضي ذم كل ما كان من أمور <sup>(٩)</sup> الجاهلية وهو المطلوب.

(١) الهرج : الفتنة والاختلاط والقتل . انظر : مختار الصحاح ، مادة (هـ ر ج) ، (ص ٦٩٤) .

(٢) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل . الخ ، حديث رقم (٢٩٠٨) من طريقين فيهما بعض الاختلاف عن السياق الذي ذكره المؤلف . ولفظ الأول : " والذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل في أي شيء قتل . ولا يدري المقتول في أي شيء قتل " . ولفظ الثاني : " والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيم قتل ولا المقتول فيم قتل " فقيل : كيف ذلك ؟ قال : " الهرج ، القاتل والمقتول في النار " . (٤ / ٢٢٣١ ، ٢٢٣٢) .

(٣) في (ج د) : الخوارج على الأمة .

(٤) أي الذين يخرجون على الأمة لأي غرض ، وليس المقصود بهم فرقة الخوارج فحسب .

(٥) في المطبوعة : مصر .

(٦) هم : سقطت من (ب ط) .

(٧) الحروية : اسم يطلق على الخوارج في عهد علي ، نسبة إلى حروراء : موضع قرب الكوفة ، نزل به الخوارج حين اعتزلوا جيش علي رضي الله عنه . انظر : البداية والنهاية (٧ / ٢٧٨ - ٢٨٠) . وانظر : معجم البلدان (٢ / ٢٤٥) .

(٨) في المطبوعة : قد تقرر . وهم أتم للمعنى ، لكنه خلاف جميع النسخ المخطوطة .

(٩) في (أ) : من أموره .

ومن هذا ما أخرجاه في الصحيحين عن المعرور بن سويد<sup>(١)</sup> قال ﴿ رأيت أبا ذر عليه حلة وعلى غلامه مثلها، فسألته عن ذلك فذكر أنه ساب رجلا على عهد رسول الله ﷺ فعيره بأمه فأتى الرجل النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال له النبي ﷺ إنك امرؤ فيك جاهلية وفي رواية قلت: على ساعتي هذه من كبر السن قال: نعم هم إخوانكم وخولكم<sup>(٢)</sup> جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه<sup>(٣)</sup> مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه<sup>(٤)</sup> .

ففي هذا الحديث أن كل ما كان من الجاهلية فهو مذموم؛ لأن قوله: فيك جاهلية. ذم لتلك الخصلة، فلولا أن هذا الوصف يقتضي ذم ما اشتمل عليه لما حصل به المقصود. وفيه أن التعبير بالأنساب من أخلاق الجاهلية.

وفيه أن الرجل<sup>(٥)</sup> مع فضله وعلمه ودينه قد يكون فيه بعض هذه الخصال المسماة بجاهلية وبيهودية<sup>(٦)</sup> ونصرانية<sup>(٧)</sup> ولا يوجب ذلك كفره، ولا فسقه.

وأیضا ما رواه مسلم في صحيحه عن نافع<sup>(٨)</sup> بن جبیر بن مطعم<sup>(٩)</sup> عن ابن عباس

---

(١) هو : أبو أمية ، المعرور بن سويد الأسدي ، أحد بني سعد بن الحارث ، كوفي من الطبقة الثانية ، من حفاظ الحديث المكثرين الثقات ، عمر (١٢٠) سنة . انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد (٦ / ١١٨)؛ وتقريب التهذيب (٢ / ٢٦٣) ، ترجمة رقم (١٢٦٥) م .

(٢) في (ج) : وحر لكم . وهو تحريف . ومعنى خولكم : أي عبيدكم وإمائكم .

(٣) في (ج د) : ويلبسه .

(٤) الحديث في البخاري ، كتاب الإيمان ، باب المعاصي من أمر الجاهلية ، انظر : فتح الباري ، حديث رقم (٣٠) ، (١ / ٨٤) ، وحديث رقم (٦٠٥٠) ، (١٠ / ٤٦٥) ، مع اختلاف يسير في ألفاظ والسياق عما ساقه المؤلف هنا . وفي صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب إطعام المملوك مما يأكل ، حديث رقم (١٦٦١) ، (٣ / ١٢٨٢ - ١٢٨٣) من عدة طرق ، وفيها اختلاف في ترتيب السياق عما ذكره المؤلف ، لكن الألفاظ التي ساقها هنا كلها وردت في البخاري ومسلم بتفاوت يسير في السياق .

(٥) يعني به المسلم مطلقا ، رجلا كان أو امرأة لكنه قال : الرجل ، على سبيل التغليب .

(٦) في المطبوعة : ويهودية .

(٧) في (ج د) : وبنصرانية .

(٨) في المطبوعة : عن جبیر بن مطعم ، أي : (عن) بدل (ابن) ، وهو خطأ من المطبوعة وما أثبتته هو الصحيح .

رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ﴿أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم،<sup>(٢)</sup>

ومبتغ<sup>(٣)</sup> في الإسلام سنة جاهلية،<sup>(٤)</sup> ومطلب<sup>(٥)</sup> دم امرئ بغير حق ليريق دمه ﴿<sup>(٦)</sup>.

أخبر ﷺ أن أبغض الناس إلى الله هؤلاء الثلاثة وذلك؛ لأن الفساد إما في الدين وإما في الدنيا فأعظم فساد الدنيا قتل النفوس بغير الحق، ولهذا كان أكبر الكبائر بعد أعظم فساد الدين الذي هو الكفر.

وأما فساد الدين فنوعان: نوع يتعلق بالعمل، ونوع يتعلق بمحل<sup>(٧)</sup> العمل.

فأما المتعلق بالعمل فهو ابتغاء سنة الجاهلية<sup>(٨)</sup>.

وأما ما يتعلق بمحل العمل فالإلحاد في الحرم؛ لأن أعظم محال العمل الحرم<sup>(٩)</sup> وانتهاك حرمة المحل المكاني أعظم من انتهاك حرمة المحل الزماني ولهذا حرم من تناول المباحات ومن الصيد والنبات في البلد الحرام ما لم يحرم مثله في الشهر الحرام.

(١) هو : نافع بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل القرشي ، المدني ، من الطبقة الثالثة ، ثقة فاضل ، مات سنة (٩٩ هـ) . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ٢٩٥) ، ترجمة رقم (١٦) ن؛ والطبقات الكبرى لابن سعد (٥ / ٢٠٥ - ٢٠٧) .

(٢) الإلحاد : الميل عن القصد ، والعدول عن الحق . والمقصود هنا : انتهاك حرمة الحرم سواء بفعل المعاصي وارتكاب الكبائر ، أو بإيذاء الناس أو قتلهم ، أو انتهاك حرماقتهم وأمنهم ، أو بفعل ما خص الله الحرم بالنهي عنه فيه من تحريم قتل الصيد وعضد الشجر به ونحو ذلك .

(٣) في (ج د) : ومبتدع .

(٤) في (ب ط) : السنة الجاهلية .

(٥) في (ط) : ومطيل . وفي المطبوعة : ومطل . وفي البخاري كما أثبتته .

(٦) المؤلف - رحمه الله - أشار إلى أن هذا الحديث في مسلم ، ولم أجد فيه بهذا اللفظ ، وإنما وجدته في البخاري بهذا السند وبهذا اللفظ الذي ساقه هنا . انظر : صحيح البخاري ، كتاب الديات ، باب من طلب دم امرئ : بغير حق ، في فتح الباري ، حديث رقم (٦٨٨٢) ، (١٢ / ٢١٠) ، وفيه : ليهرق ، بدل : ليريق ، وهما بمعنى واحد .

(٧) أي مكان العمل : كالحرم ، والمساجد ، ونحو ذلك .

(٨) في (ب ط) : السنة الجاهلية .

(٩) في المطبوعة : هو الحرم .



ولهذا كان الصحيح أن حرمة القتال في البلد الحرام باقية كما دلت عليه النصوص الصحيحة بخلاف الشهر الحرام فلهذا والله أعلم ذكر ﷺ الإلحاد في الحرم وابتغاء سنة جاهلية (١) .

والمقصود (٢) أن من هؤلاء الثلاثة من ابتغى في الإسلام سنة جاهلية فسواء قيل: متبع (٣) أو مبتغ، فإن الابتغاء هو الطلب (٤) والإرادة فكل من أراد في الإسلام أن يعمل بشيء من سنن الجاهلية دخل في هذا الحديث.

والسنة الجاهلية كل عادة كانوا عليها فإن السنة هي العادة وهي الطريق التي تتكرر لنوع الناس (٥) مما يعدونه عبادة، أو لا يعدونه عبادة قال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ (٦) وقال النبي ﷺ ﴿ لتتبعن سنن من كان قبلكم ﴾ (٧) (٨) والاتباع هو الاقتفاء والاستئناس، فمن عمل بشيء من سننهم فقد اتبع (٩) سنة جاهلية، وهذا نص عام يوجب تحريم متابعة كل شيء من سنن الجاهلية في أعيادهم وغير أعيادهم (١٠) ولفظ الجاهلية قد يكون اسماً للحال وهو الغالب في الكتاب والسنة، وقد يكون اسماً لذي الحال.

(١) في (ط) : الجاهلية .

(٢) في (أ ب ط) : والمقصود هنا أن من .

(٣) في (ج د) : مبتغ أو غير مبتغ . وفي المطبوعة : مبتغياً أو غير مبتغ .

(٤) في (ط) : المطلوب .

(٥) في المطبوعة : قال : تتكرر لتتسع لأنواع الناس . وهو خلاف جميع النسخ .

(٦) سورة آل عمران : من الآية ١٣٧ .

(٧) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٨٨٩) ، مسلم العلم (٢٦٦٩) ، أحمد (٨٤/٣) .

(٨) الحديث مر تخريجه ، راجع فهرس الأحاديث .

(٩) في (ج د) : تبع .

(١٠) ومن ذلك ما يحاول بعض الناس اليوم إحياءه من أمور الجاهلية الأولى على أنها من التراث الذي يعتز به ، كإحياء اسم عكاظ : وهو سوق من أسواق الجاهلية ، ودار الندوة : وهي من متدييات قريش في الجاهلية ، ونحو ذلك .

فمن الأول قول (١) النبي ﷺ لأبي ذر **﴿ إنك امرؤ فيك جاهلية ﴾** (٢) (٣) .

وقول عمر: إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة (٤) وقول عائشة: كان النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء (٥) وقولهم: يا رسول الله، كنا في جاهلية (٦) وشر (٧) أي في حال جاهلية، أو طريقة جاهلية، أو عادة جاهلية ونحو ذلك.

فإن (٨) الجاهلية وإن كانت (٩) في الأصل صفة، لكنه غلب عليه الاستعمال حتى صار اسماً، ومعناه قريب من معنى المصدر، وأما الثاني فتقول طائفة جاهلية وشاعر جاهلي، وذلك نسبة إلى الجهل الذي هو عدم العلم، أو عدم اتباع العلم فإن من لم يعلم الحق، فهو

(١) في (ب) : قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(٢) البخاري الإيمان (٣٠) ، مسلم الإيمان (١٦٦١) ، أبو داود الأدب (٥١٥٧) ، أحمد (١٦١/٥) .

(٣) مر الحديث (ص ٢٣٥) .

(٤) هذا جزء من حديث ورد في الصحيحين وغيرهما ، ولفظ البخاري : عن عبد الله بن عمر ، عن عمر بن الخطاب أنه قال : يا رسول الله ، إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام ، فقال له النبي صلى الله عليه وعلى وآله وسلم : " أوف نذرك " فاعتكف ليلة . صحيح البخاري ، كتاب الاعتكاف ، باب من لم ير عليه إذا اعتكف صوما ، حديث رقم (٢٠٤٢) ، من فتح الباري (٤ / ٢٨٤) . كما أخرجه أيضا في نفس الصفحة رقم (٢٠٤٣) تحت باب : إذا نذر في الجاهلية أن يعتكف ، ثم أسلم . بسياق آخر . وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب نذر الكافر وما يفعل فيه إذا أسلم ، حديث رقم (١٦٥٦) ، (٣ / ١٢٧٧) .

(٥) هذا جزء من حديث ورد في البخاري وأبي داود من حديث طويل أوله في البخاري : عن عروة بن الزبير ، أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وعلى وآله وسلم أخبرته : أن النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء . الخ الحديث ، وفيه : " فلما بعث محمد صلى الله عليه وعلى وآله وسلم بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم " . صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب لا نكاح إلا بولي ، حديث رقم (٥١٢٧) من فتح الباري (٩ / ١٨٢) ، ١٨٣ ؛ وسنن أبي داود ، كتاب الطلاق ، باب في وجوه النكاح التي كان يتناكح بها أهل الجاهلية ، حديث رقم (٢٢٧٢) ، (٢ / ٧٠٢) .

(٦) في (ط) : الجاهلية .

(٧) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري أيضا في كتاب الفتن ، باب الأمر إذا لم تكن جماعة ، حديث رقم (٧٠٨٤) من فتح الباري (١٣ / ٢٥) ، عن حذيفة بن اليمان : كان الناس يسألون رسول الله عن الخير . الخ الحديث . ورواه مسلم في كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين . الخ ، حديث رقم (١٨٤٧) ، (٣ / ١٤٧٥ ، ١٤٧٦) .

(٨) في المطبوعة : فإن لفظ الجاهلية .

(٩) في (ط) : كانت . وفي بقية النسخ : كان .

جاهل جهلا بسيطا، فإن اعتقد خلافه، فهو جاهل جهلا مركبا، فإن قال خلاف الحق  
عالم بالحق، أو غير عالم فهو جاهل أيضا كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ  
قَالُوا سَلَمًا ۗ﴾ (١) وقال النبي ﷺ ﴿إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا فَلَا يَرِفْثُ (٢) وَلَا  
يَجْهَلُ (٣)﴾ .

ومن هذا قول بعض شعراء (٤) العرب .

(٥) .

وهذا كثير وكذلك من عمل بخلاف الحق فهو جاهل وإن علم أنه مخالف للحق كما  
قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ (٦) قال أصحاب  
محمد ﷺ كل من عمل سوءا فهو جاهل (٧) (٨) .

(١) سورة الفرقان : من الآية ٦٣ .

(٢) في المطبوعة : فلا يرفث ولا يفسق ولا يجهل . بزيادة : ولا يفسق ، وليست في مسلم والبخاري ولا في أبي  
داود .

(٣) هذا جزء من حديث جاء في الصحيحين وغيرهما . فقد أخرجه البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله  
عليه وعلى آله وسلم قال : " الصيام حنة ، فلا يرفث ولا يجهل . . " الحديث ، في صحيح البخاري ، كتاب  
الصوم ، باب فضل الصوم — حديث رقم (١٨٩٤) من فتح الباري (٤ / ١٠٣) . وأخرجه مسلم في كتاب  
الصيام ، باب حفظ اللسان للصائم ، حديث رقم (١١٥١) ، (٢ / ٨٠٦) ولفظه : " إذا أصبح أحدكم يوما  
صائما ، فلا يرفث ، ولا يجهل . . " الحديث . وأبو داود ، وهو مطابق لما نص عليه المؤلف هنا ، ولفظه : "   
الصيام حنة ، إذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل . . " الحديث ، انظر : سنن أبي داود ، كتاب  
الصوم ، باب الغيبة للصائم ، حديث رقم (٢٣٦٣) ، (٢ / ٧٦٨) .

(٤) في المطبوعة : الشعراء .

(٥) هذا البيت من قصيدة طويلة لعمر بن كلثوم الشاعر الجاهلي ، وهي إحدى المعلقات السبع المشهورة . انظر :  
كتاب شرح القصائد السبع لأبي بكر الأنباري (ص ٤٢٦) .

(٦) سورة النساء : من الآية ١٧ .

(٧) في (ب) : زاد : وإن علم أنه مخالف للحق .

(٨) انظر : تفسير ابن جرير (٤ / ٢٠٢ ، ٢٠٣) ، حيث ذكر أقوال الصحابة والتابعين في ذلك ، وكلها تؤكد  
هذا المعنى الذي أشار إليه المؤلف .

وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول، أو فعل فمتى صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه، أو ضعفه في القلب بمقاومة<sup>(١)</sup> ما يعارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلا بهذا الاعتبار.

ومن هنا<sup>(٢)</sup> تعرف دخول الأعمال في مستحق<sup>(٣)</sup> الإيمان حقيقة لا مجازا وإن لم يكن كل من ترك شيئا من الأعمال كافرا، ولا<sup>(٤)</sup> خارجا عن أصل مسمى الإيمان وكذلك اسم العقل ونحو ذلك من الأسماء.

ولهذا<sup>(٥)</sup> يسمي الله تعالى أصحاب هذه الأحوال موتى وعميا وصما<sup>(٦)</sup> وبكما وضالين وجاهلين، ويصفهم بأنهم لا يعقلون، ولا يسمعون.

ويصف المؤمنين بأولي الألباب وأولي<sup>(٧)</sup> النهي، وأنهم مهتدون، وأن لهم نورا، وأنهم يسمعون ويعقلون.

فإذا تبين ذلك فالناس قبل مبعث الرسول ﷺ كانوا في حال جاهلية<sup>(٨)</sup> منسوبة إلى الجهل،<sup>(٩)</sup> فإن ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال إنما أحدثه لهم جاهل<sup>(١٠)</sup> وإنما يفعله جاهل.

وكذلك كل ما يخالف ما جاءت<sup>(١١)</sup> به المرسلون من يهودية ونصرانية فهي جاهلية

(١) في المطبوعة : أو ضعف القلب عن مقاومة ما يعارضه . وقد أجمعت النسخ المخطوطة على ما أثبتته .

(٢) من هنا حتى قوله : وإن لم يكن (سطر واحد تقريبا) : ساقط من (أ) .

(٣) في المطبوعة : : في مسمى الإيمان .

(٤) قد فصل المؤلف هذا الموضوع واستوفاه في كتابه (الإيمان) فليراجع . وفي المطبوعة : أو خارجا .

(٥) في (ب) : أسما .

(٦) وصما : ساقطة من (أ) .

(٧) في المطبوعة : والنهي .

(٨) في (ب) : جاهلية جهلاء .

(٩) في (أ ب ط) : الجاهل .

(١٠) في المطبوعة : جهال .

(١١) في المطبوعة : جاء به .

وتلك كانت الجاهلية العامة فأما بعد مبعث <sup>(١)</sup> الرسول ﷺ <sup>(٢)</sup> قد تكون في مصر دون مصر كما هي في دار الكفار وقد تكون في شخص دون شخص كالرجل قبل أن يسلم فإنه <sup>(٣)</sup> في جاهلية وإن كان في دار الإسلام.

فأما في زمان مطلق فلا جاهلية بعد مبعث محمد ﷺ <sup>(٤)</sup> فإنه لا تزال <sup>(٥)</sup> من أمته طائفة ظاهرين <sup>(٦)</sup> على الحق إلى قيام الساعة.

والجاهلية المقيدة قد تقوم في بعض ديار المسلمين وفي كثير من الأشخاص <sup>(٧)</sup> المسلمين كما قال ﷺ ﴿ **أربع في أمي من أمر الجاهلية** ﴾ <sup>(٨)</sup> <sup>(٩)</sup> وقال لأبي ذر: ﴿ **إنك امرؤ فيك جاهلية** ﴾ <sup>(١٠)</sup> <sup>(١١)</sup> ونحو ذلك.

فقوله في هذا الحديث: ومبتغ <sup>(١٢)</sup> الإسلام سنة جاهلية. يندرج <sup>(١٣)</sup> فيه كل جاهلية مطلقة، أو <sup>(١٤)</sup> مقيدة يهودية، أو نصرانية، أو مجوسية، أو صابئة <sup>(١)</sup> أو وثنية، أو مركبة <sup>(٢)</sup>

(١) في المطبوعة: فأما بعد ما بعث الله الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(٢) في المطبوعة وفي (ط): فالجاهلية المطلقة قد تكون في مصر دون مصر ، كما هي في دار الكفار . الخ .

(٣) في المطبوعة: فإنه يكون في جاهلية .

(٤) وعليه: فإن إطلاق هذه العبارات على المسلمين عموماً ، أو على بلد من بلدانهم أو مجتمع من مجتمعاتهم دون تقييده بحالة ، أو عمل ، أو تصرف ، أو شخص معين : يعتبر خطأً وتساهلاً ينبغي أن يتحاشاه المسلم ، وما نزع إليه بعض الكتاب والباحثين والمفكرين من إطلاق عبارات المجتمع الجاهلي على المجتمعات الإسلامية أو بعضها - دون تقييد أو تخصيص لمن يستحق ذلك شرعاً - فإنه نهج غير سليم ويخالف القواعد الشرعية ، ومنهج السلف الصالح .

(٥) في (ب): لا يزال .

(٦) في (ب): ظاهرون .

(٧) في المطبوعة: وفي كثير من المسلمين .

(٨) مسلم الجنائز (٩٣٤) ، أحمد (٣٤٣/٥) .

(٩) انظر الحديث (١ / ٢٣٤) .

(١٠) البخاري الإيمان (٣٠) ، مسلم الأيمان (١٦٦١) ، أبو داود الأدب (٥١٥٧) ، أحمد (١٦١/٥) .

(١١) انظر الحديث (١ / ٢٣٦) .

(١٢) في (ب): ومتبع .

(١٣) في (ج د): تندرج .

(١٤) في المطبوعة: أو غير مقيدة . ولا يستقيم به المعنى .

(٢) من ذلك، أو بعضه، أو منتزعة من بعض هذه الملل الجاهلية فإنها جميعها (٣) مبتدعها (٤) ومنسوخها صارت جاهلية بمبعث محمد ﷺ وإن كان لفظ الجاهلية لا يقال غالبا إلا على حال العرب التي كانوا عليها فإن المعنى واحد.

وفي الصحيحين عن نافع (٥) عن ابن عمر (٦) ﴿ أن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ على الحجر أرض ثمود فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا ويعلفوا الإبل العجين وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردّها الناقة ﴾ (٧) (٨).

ورواه البخاري من حديث عبد الله بن دينار (٩) عن ابن عمر: ﴿ أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من بئرها (١٠) ولا يستقوا منها فقالوا:

- 
- (١) في (د) : أو صابئية .  
(٢) في المطبوعة : أو شركية . وفي (ج د) : أو مشركية .  
(٣) في (أ) : جميعا .  
(٤) في (ب) : أو منسوخها .  
(٥) هو نافع ، أبو عبد الله ، المدني ، مولى عبد الله بن عمر ، ثقة ثبت فقيه ، قال بعض المحدثين ومنهم البخاري : أصح الأسانيد : مالك عن نافع عن ابن عمر ، بعثه عمر بن عبد العزيز لمصر يعلم الناس ، ومات سنة (١١٧ هـ) . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ٢٩٦) ، (ت ٣٠) ؛ والبداية والنهاية لابن كثير (٩ / ٣١٩) .  
(٦) هو الصحابي الجليل : عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي ، ولد سنة ثلاث من البعثة وهاجر للمدينة وهو ابن عشر ، وأسلم مع أبيه ، عرض على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم بدر ، ثم أحد فاستصغره ، وأجازته في الخندق ، واشتهر بالورع والعبادة ، وكان ممن اعتزل الفتنة بعد مقتل عثمان توفي سنة (٧٣ هـ) . انظر : الإصابة (٢ / ٣٤٧ - ٣٥٠) ، (ت ٤٨٣٤) .  
(٧) البخاري أحاديث الأنبياء (٣١٩٩) ، أحمد (١١٧/٢) .  
(٨) انظر : صحيح مسلم ، واللفظ هنا له ، كتاب الزهد ، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، حديث رقم (٢٩٨١) ، (٤ / ٢٢٨٦) .  
(٩) هو : عبد الله بن دينار العدوي - مولاهم - أبو عبد الرحمن ، المدني ، مولى عبد الله بن عمر ، ثقة ، من الطبقة الرابعة ، أخرج له الستة ، ومات سنة (١٢٧ هـ) . انظر : تقريب التهذيب (١ / ٤١٣) ، (ت ٢٨٤) .  
(١٠) في البخاري : من بئرها . وغي (أ) : أبيارها . وفي (ط) : آبارها .

قد عجننا منها واستقينا، فأمرهم النبي ﷺ أن يطرحوا ذلك العجين، ويهريقوا ذلك الماء ﴿<sup>(١)</sup>﴾ .

وفي حديث جابر <sup>(٢)</sup> عن النبي ﷺ أنه قال: لما مر بالحجر: ﴿ لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين، إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم ما أصابهم ﴾ <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup> .

فنهى رسول الله ﷺ عن الدخول إلى أماكن المعذنين إلا مع البكاء، خشية أن يصيب الداخل ما أصابهم ونهى عن الانتفاع بمياههم حتى أمرهم مع حاجتهم في تلك الغزوة <sup>(٦)</sup> وهي أشد غزوة كانت على المسلمين أن يعلفوا النواضح <sup>(٧)</sup> بعجين مائهم. وكذلك أيضا روي عنه ﷺ أنه ﴿ نهى عن الصلاة في أماكن العذاب ﴾ فروي أبو داود عن سليمان بن داود <sup>(٨)</sup> أخبرنا <sup>(٩)</sup> ابن وهب <sup>(١)</sup> حدثني ابن لهيعة <sup>(٢)</sup> ويحيى بن

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ٣٠ وإلى ثمود أخاهم صالحا ٣٠ . الخ، حديث رقم (٣٣٧٨) من فتح الباري (٦ / ٣٧٨)، وكذلك حديث رقم (٣٣٧٩) في الصفحة نفسها .

(٢) في (ب): رضي الله عنه . وفي (أ): وفي حديث عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أي أسقط: جابر .

(٣) البخاري الصلاة (٤٢٣)، مسلم الزهد والرقائق (٢٩٨٠)، أحمد (١١٧/٢) .

(٤) هذا الحديث أخرجاه في الصحيحين عن ابن عمر، انظر: صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ٣٠ وإلى ثمود أخاهم صالحا ٣٠ . الخ، حديث رقم (٣٣٨٠) من فتح الباري (٦ / ٣٧٨، ٣٧٩) . وانظر: صحيح مسلم، كتاب الزهد، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلا أن تكونوا باكين .

حديث رقم (٢٩٨٠)، (٤ / ٢٢٨٥) .

(٥) في (أ ب ط): فنهى صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(٦) في المطبوعة زاد: وهي غزوة العسرة .

(٧) في المطبوعة: النواضح، وهو تصحيف . والنواضح: هي الإبل التي يستقى عليها .

(٨) هو: سليمان بن داود بن حماد بن سعد المهري، أبو الربيع، من أهل الفضل والفقہ والزهد، وثقه النسائي، وذكره ابن حبان في الثقات، توفي سنة (٢٥٣ هـ)، وكانت ولادته سنة (١٧٨ هـ) . انظر: تهذيب

التهذيب (٤ / ١٧٦، ١٨٧)، ترجمة رقم (٣١٧) س .

(٩) في (ب): أنبأنا .

أزهر<sup>(٣)</sup> عن عمار بن سعد<sup>(٤)</sup> المرادي عن أبي صالح الغفاري<sup>(٥)</sup> أن عليا رضي الله عنه مر ببابل وهو يسير، فجاءه المؤذن يؤذنه بصلاة العصر فلما برز منها، أمر المؤذن فأقام الصلاة فلما فرغ قال: ﴿إن حيي<sup>(٦)</sup> النبي ﷺ فهاني أن أصلي في المقبرة، وهاني أن أصلي في أرض بابل؛ فإنها ملعونة﴾<sup>(٨)</sup>.

(١) هو : عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي - مولاهم - أبو محمد ، المصري ، الفقيه ، قال أحمد : " كان ابن وهب له عقل ودين وصلاح " ، كما وثقه ابن معين والعجلي والخليلي وغيرهم . وقال ابن سعد : " وكان كثير العلم ثقة فيما قال : حدثنا ، وكان يدللس " ، توفي سنة ( ١٩٧ هـ ) ، وكانت ولادته سنة ( ١٢٥ هـ ) . انظر : تهذيب التهذيب ( ٦ / ٧١ - ٧٤ ) ، ترجمة رقم ( ١٤٠ ) ع ؛ والطبقات الكبرى لابن سعد ( ٧ / ٥١٨ ) .

(٢) هو : عبد الله بن لهيعة بن عقبة بن فرعان الحضرمي المصري الفقيه القاضي ، واختلفوا في توثيقه وتضعيفه اختلافا كثيرا خلاصته : أن ابن لهيعة ثقة في أول أمره لكنه لا يضبط ، وفي آخر أمره ساءت حاله خاصة بعد احتراق كتبه ، وقد اختلط عقله في آخر عمره ، ووثقوه في رواية ابن المبارك ، وابن وهب عنه ، توفي سنة ( ١٧٤ هـ ) ، وكانت ولادته سنة ( ٩٦ هـ ) . انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ( ٧ / ٥١٦ ) ؛ وتقريب التهذيب ( ١ / ٤٤٤ ) ، ترجمة رقم ( ٥٧٤ ) عبد الله .

(٣) هو : يحيى بن أزهر المصري ، مولى قریش ، ذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب عن ابن بكير أنه قال : يحيى بن أزهر من أهل مصر ، وأثنى عليه خيرا ، وذكره ابن حبان في الثقات . انظر : تهذيب التهذيب ( ١١ / ١٧٦ ) ، ترجمة رقم ( ٣٠١ ) .

(٤) هو : عمار بن سعد السلهمي المرادي ، قال ابن حجر في تهذيب التهذيب : " ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال ابن يونس : ثقة . توفي سنة ( ١٤٨ هـ ) وكان فاضلا " تهذيب التهذيب ( ٧ / ٤٠١ ، ٤٠٢ ) ، ترجمة رقم ( ٦٥٠ ) .

(٥) هو : سعيد بن عبد الرحمن الغفاري ، أبو صالح ، المصري ، قال ابن حجر في تهذيب التهذيب : " ذكره ابن حبان في الثقات " ، وقال العجلي : " مصري تابعي ثقة وروايته عن علي مرسله " . انظر : تهذيب التهذيب ( ٤ / ٥٨ ، ٥٩ ) ، ترجمة رقم ( ١٠٠ ) س .

(٦) في المطبوعة : حبيبي . وكذا في أبي داود ، ومعناها واحد .

(٧) النبي : لا توجد في ( أ ط ) .

(٨) انظر : سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب في المواضع التي لا تجوز فيها الصلاة ، حديث رقم ( ٤٩٠ ) ، ( ١ / ٣٢٩ ) . وقال الخطابي في معالم السنن في هامش هذا الحديث : " قلت : في إسناد هذا الحديث مقال ، ولا أعلم أحدا من العلماء حرم الصلاة في أرض بابل ، وقد عارضه ما هو أصح منه وهو قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : " جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا . . " الخ ، وذكر توجيهها للحديث لو ثبت . انظر : هامش سنن أبي داود ( ١ / ٣٢٩ ) . لكن المؤلف هنا سيذكر بعد قليل سنداً للحديث أصح من هذا السند مما يقوي



ورواه أيضا عن أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أيضا أخبرني يحيى بن أزهر وابن لهيعة عن الحجاج بن شداد<sup>(١)</sup> عن أبي صالح الغفاري عن علي<sup>(٢)</sup> بمعناه ولفظه: "فلما خرج منها" مكان "برز"<sup>(٣)</sup>.

وقد روى الإمام أحمد في رواية ابنه عبد الله<sup>(٤)</sup> بإسناد أوضح<sup>(٥)</sup> من هذا عن علي<sup>(٦)</sup> نحو من هذا: أنه كره الصلاة بأرض بابل<sup>(٧)</sup> أو أرض الخسف، أو نحو ذلك<sup>(٨)</sup>.

وكره الإمام<sup>(٩)</sup> أحمد الصلاة في هذه الأماكن اتباعا لعلي<sup>(١٠)</sup> وقوله: نهاني أن أصلي في أرض بابل؛ فإنها ملعونة. يقتضي أن لا يصلي في أرض ملعونة.

الحديث ، كما أخرج هذا الحديث البيهقي في سننه (٢ / ٤٥١) ، باب من كره الصلاة في موضع الخسف وموضع العذاب .

(١) هو : الحجاج بن شداد الصنعاني ، يعد في المصريين ، قال ابن حجر في تهذيب التهذيب : " روى له أبو داود حديثا واحدا في الصلاة ببابل . قلت : وذكره ابن حبان في الثقات " . وذكر عن ابن القطان قوله : " لا يعرف حاله " . انظر : تهذيب التهذيب (٢ / ٢٠٢) ، ترجمة رقم (٣٧٣) ح .  
(٢) في (ب) : رضي الله عنه .

(٣) انظر : سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب في المواضع التي لا يجوز فيها الصلاة ، حديث رقم (٤٩١) ، (١ / ٣٣٠) ؛ والسنن الكبرى للبيهقي (٢ / ٤٥١) .

(٤) هو : عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، أبو عبد الرحمن ، ولد سنة (٢١٣ هـ) ، وكان رجلا صالحا صادق اللهجة ، ثقة ، وروى عن أبيه مسائل كثيرة ، تولى القضاء في خلافة المكنفي ، توفي سنة (٢٩٠ هـ) . انظر : طبقات الحنابلة (١ / ١٨٠ - ١٨٨) ، (ت ٢٤٩) ؛ وتقريب التهذيب (١ / ٤٠١) ، (ت ١٧٩) .

(٥) في المطبوعة : بإسناد أصح .

(٦) في (أ ط) : عليه السلام . ولعلها من وضع النساخ؛ لأنه ليس من عادة الشيخ أن يقولها .

(٧) بابل : مدينة قديمة كانت عاصمة للعراق قبل الإسلام ، وهي تقع على الفراق قرب الحلة على مسافة (١٦٠ ك) . انظر : معجم البلدان لياقوت (١ / ٣٠٩) . وانظر : المنجد في الأدب والعلوم (ص ٥٦) .

(٨) ذكر البخاري تعليقا في كتاب الصلاة ، باب الصلاة في مواضع الخسف (١ / ٥٣٠) من فتح الباري . والمقصود بأرض الخسف : أرض بابل ، وقالوا بأن الخسف ما ذكره تعالى في قوله : ٣٠ فأتى الله بنيانهم من القواعد ٣٠ . الآية . انظر : فتح الباري (١ / ٥٣٠) .

(٩) الإمام : ساقطة من (أ ب) .

والحديث المشهور في الحجر يوافق هذا، فإنه إذا كان قد نهي عن الدخول إلى أرض العذاب: دخل في ذلك الصلاة، وغيرها (١).

ويوافق ذلك قوله سبحانه عن مسجد الضرار: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ (٢) فإنه كان من أمكنة العذاب قال سبحانه: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانَهَارٍ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ (٣) وقد روى أنه لما هدم خرج منه دخان (٤) وهذا كما أنه ندب إلى الصلاة في أمكنة الرحمة كالمساجد الثلاثة (٥) ومسجد قباء (٦) فكذلك نهي عن الصلاة في أماكن (٧) العذاب.

فأما أماكن الكفر والمعاصي، التي لم يكن فيها عذاب إذا جعلت مكانا للإيمان، أو الطاعة: فهذا حسن، كما ﴿أمر النبي ﷺ أهل الطائف أن يجعلوا المسجد مكان

(١) في المطبوعة: وغيرها من باب أولى. وهي زيادة عما في النسخ المخطوطة.

(٢) سورة التوبة: من الآية ١٠٨.

(٣) سورة التوبة: من الآية ١٠٩.

(٤) كتب السيرة تذكر أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمر بإحراقه. انظر: سيرة النبي لابن إسحاق؛ وتهذيب ابن هشام (٤ / ٩٥٦)؛ والسيرة النبوية لابن كثير (٤ / ٤٠).

(٥) أخرج البخاري في كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، حديث رقم (١١٨٩) من فتح الباري (٣ / ٦٣) من حديث أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد الرسول - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ومسجد الأقصى "، وقال في الحديث الذي يليه رقم (١١٩٠) أيضا عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: " صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ".

(٦) أخرج الترمذي في سننه، أبواب الصلاة، باب الصلاة في مسجد قباء، الحديث رقم (٣٢٤)، (٢ / ١٤٥، ١٤٦) أن أسيد بن ظهير الأنصاري حدث عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: " الصلاة في مسجد قباء كعمرة "، وقال الترمذي: " حديث أسيد حديث حسن غريب "، ورواه الحاكم في المستدرک (١ / ٤٨٧)، وقال: " هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، إلا أن أبا الأبرد أحد رواة الحديث مجهول " أ هـ، وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يزور مسجد قباء كل يوم سبت ويصلي فيه ركعتين. انظر: فتح الباري، الحديث رقم (١١٩٣، ١١٩٤)، (٣ / ٦٩)؛ وصحيح مسلم، الحديث رقم (١٣٩٩)، (٢ / ١٠١٦، ١٠١٧).

(٧) في (أ): أمكنة.

طواغيتهم ﴿١﴾ .

﴿ وأمر أهل اليمامة أن يتخذوا المسجد مكان بيعة كانت عندهم ﴾ (٢) .

وكان (٣) مسجده ﷺ مقبرة، (٤) فجعله ﷺ مسجدا بعد نبش القبور (٥) .

فإذا كانت الشريعة قد جاءت بالنهي عن مشاركة الكفار في المكان الذي حل بهم فيه العذاب، فكيف بمشاركتهم في الأعمال التي يعملونها (٦) .

فإنه إذا قيل: هذا العمل (٧) الذي يعملونه لو تجرد عن مشابھتهم لم يكن محرما، ونحن لا نقصد التشبه بهم فيه، (٨) فنفس الدخول إلى المكان ليس بمعصية لو تجرد عن كونه أثرهم ونحن لا نقصد التشبه بهم، بل المشاركة في العمل أقرب إلى اقتضاء العذاب من

---

(١) أخرج أبو داود عن عثمان بن أبي العاص ، أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : " أمره أن يجعل مسجد الطائف حيث كان طواغيتهم " سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب في بناء المساجد ، حديث رقم (٤٥٠) ، (١ / ٣١١) . كما أخرج ابن ماجه أيضا في كتاب المساجد والجماعات ، باب أين يجوز بناء المسجد ، بلفظه إلا أنه قال : " حيث كان طاغيتهم " ، حديث رقم (٧٤٣) ، (١ / ٢٤٥) .

(٢) جاء في حديث رواه النسائي من حديث طلق بن عليقال : " خرجنا وفدا إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فبايعناه وصلينا معه ، وأخبرناه أن بأرضنا بيعة لنا ، فاستوهبناه من فضل طهوره ، فدعنا بماء فتوضأ وتضمض ، ثم صبه في إداوة وأمرنا فقال : " اخرجوا فإذا أتيتم أرضكم فاكسروا بيعتكم ، وانضحوا مكائها بهذا الماء واتخذوها مسجدا . . " الحديث . إلى أن قال : " واتخذناها مسجدا فننادينا فيه بالأذان " الحديث . انظر : سنن النسائي ، كتاب المساجد ، باب اتخاذ البيع مساجد (٢ / ٣٨ ، ٣٩) ، قال صاحب الفتح الرباني : وسنده جيد .

(٣) في المطبوعة : وكان موضع مسجده .

(٤) زاد في المطبوعة : للمشركين .

(٥) ورد في الصحيحين وغيرهما أن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، لما وصل المدينة مهاجرا ، وأمر ببناء المسجد كان فيه قبور المشركين ، فأمر بها الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم فنبتت . انظر : صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكائها مساجد ؟ ، حديث رقم (٤٢٨) من فتح الباري (١ / ٥٢٤) . وانظر : صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب ابتناء مسجد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، حديث رقم (٥٢٤) ، (١ / ٣٧٣) .

(٦) في المطبوعة زاد : واستحقوا بها العذاب .

(٧) العمل : سقطت من (ج د) .

(٨) من هنا (فيه) إلى قوله : (ونحن لا نقصد التشبه بهم) سقطت من (ج د) .

---

---

الدخول إلى الديار فإن جميع ما يعملونه مما ليس من أعمال المسلمين السابقين، إما كفر، وإما معصية، وإما شعار كفر، أو معصية<sup>(١)</sup> وإما مظنة للكفر والمعصية، وإما أن يخاف أن يجر إلى معصية<sup>(٢)</sup> وما أحسب أحدا ينازع في جميع هذا ولئن نازع فيه فلا يمكنه أن ينازع في أن المخالفة فيه أقرب إلى المخالفة في الكفر والمعصية وأن حصول هذه المصلحة في الأعمال أقرب من حصولها في المكان.

ألا ترى أن متابعة النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين في أعمالهم أنفع وأولى من متابعتهم في مساكنهم ورؤية آثارهم<sup>(٣)</sup>.

---

(١) في المطبوعة : أو شعار معصية . بزيادة : شعار .

(٢) في المطبوعة : المعصية .

(٣) ولو كان للناس في تتبع آثار الأنبياء ومساكنهم وقبورهم مصلحة دينية ، أو معاشية لأرشدنا الله إليها ، ولما خفيت على الخلق كثير من تلك الآثار والمساكن والقبور .

وأيضاً ما<sup>(١)</sup> هو صريح في الدلالة ما روى أبو داود في سننه حدثنا عثمان بن أبي شيبة<sup>(٢)</sup> حدثنا أبو النضر<sup>(٣)</sup> يعني هاشم بن القاسم حدثنا عبد الرحمن بن ثابت<sup>(٤)</sup> حدثنا حسان بن عطية<sup>(٥)</sup> عن أبي منيب الجرشي<sup>(٦)</sup> عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ﴿من تشبه بقوم فهو منهم﴾<sup>(٧)</sup> <sup>(٨)</sup> وهذا إسناد جيد فإن ابن أبي شيبة وأبا النضر وحسان بن عطية ثقات مشاهير أجلاء من رجال الصحيحين وهم أجل من أن يحتاجوا إلى أن يقال: هم من رجال الصحيحين.

وأما عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان فقال يحيى بن معين<sup>(٩)</sup> وأبو زرعة<sup>(١٠)</sup> وأحمد بن

(١) في المطبوعة : مما .

(٢) هو : عثمان بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبيسي ، أبو الحسن بن أبي شيبة ، صاحب التفسير والمسنَد المشهور ، من الطبقة العاشرة من الكوفيين ، من حفاظ الحديث الثقات المشاهير ، قال ابن حجر في تقريب التهذيب : " ثقة حافظ شهير وله أوهام ، وقيل : كان لا يحفظ القرآن " ، مات سنة (٢٣٩ هـ) وعمره (٨٣) سنة . وانظر : تقريب التهذيب لابن حجر (٢ / ١٣ ، ١٤) ، ترجمة رقم (١٠٧) .

(٣) هو : هاشم بن القاسم بن مسلم الليثي ، مولاهم ، البغدادي ، أبو النضر ، مشهور بكنيته ويلقب بقبصر ، من الطبقة التاسعة في البغداديين وكان ثقة ، قال ابن حجر في تقريب التهذيب : " ثقة ثبت " ، توفي سنة (٢٠٧ هـ) ، وعمره (٧٣) سنة . انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد (٧ / ٣٣٥) ؛ وتقريب التهذيب لابن حجر (٢ / ٣١٤) ، ترجمة رقم (٣٩) هـ .

(٤) هو : عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان العنسي الدمشقي ، صدوق يخطئ ، مات سنة (١٦٥ هـ) . انظر : التقريب (١ / ٤٧٤) ، (ت ٨٨٦) . ويأتي كلام المؤلف عنه في المتن بعد سطور .

(٥) هو حسان بن عطية الحاربي ، مولاهم ، أبو بكر الدمشقي ، ثقة فقيه عابد . مات بعد (١٢٠ هـ) بقليل . انظر : تقريب التهذيب (١ / ١٦٢) ، ترجمة رقم (٢٣٧) ح .

(٦) هو : أبو المنيب الجرشي الأحذب ، الدمشقي ، من الطبقة الرابعة ، ثقة وقد تكلم عنه المؤلف أيضاً بما فيه الكفاية . وانظر : تقريب التهذيب (٢ / ٤٧٧) ، ترجمة رقم (١٤٣) ؛ والكنى (١ / ٢٥٢) .

(٧) أبو داود اللباس (٤٠٣١) .

(٨) سنن أبي داود ، كتاب اللباس ، باب في لبس الشهرة ، الحديث رقم (٤٠٣١) ، (٤ / ٣١٤) وسيأتي تفصيل الكلام عن الحديث في (١ / ٢٧٢) .

(٩) هو الإمام الحافظ : يحيى بن معين بن عون الغطفاني ، مولاهم ، أبو زكريا ، البغدادي ، من الثقات الحفاظ المشهورين ، إمام الجرح والتعديل ، ومن أقران الإمام أحمد بن حنبل ، وهو من الجهابذة النقاد ، المجمع على

عبد الله<sup>(٢)</sup> ليس به بأس<sup>(٣)</sup> .

وقال عبد الرحمن بن إبراهيم دحيم<sup>(٤)</sup> هو ثقة وقال أبو حاتم<sup>(٥)</sup> هو مستقيم الحديث<sup>(٦)</sup> .

وأما أبو<sup>(٧)</sup> منيب<sup>(٨)</sup> الجرشي فقال: فيه أحمد بن عبد الله العجلي هو ثقة وما علمت أحدا ذكره بسوء وقد سمع منه حسان بن عطية وقد احتج الإمام أحمد<sup>(٩)</sup> وغيره بهذا الحديث.

وهذا الحديث أقل أحواله<sup>(١٠)</sup> أن<sup>(١١)</sup> يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره

---

إمامتهم وفضلهم توفي سنة (١٣٣ هـ) وعمره بضع وسبعون سنة انظر الجرح والتعديل (١ / ٣١٤ - ٣١٨)؛ وتقريب التهذيب (٢ / ٣٥٨) ، ترجمة رقم (١٨١) ي .

(١) هو : عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ الرازي ، أبو زرعة ، من كبار الأئمة المشهورين الثقات ، وهو أيضا من أئمة الجرح والتعديل والنقاد الجهابذة ، مات سنة (٢٦٤ هـ) ، وعمره (٦٤) سنة . انظر : تقريب التهذيب (١ / ٥٣٦) ، ترجمة رقم (١٤٧٩) عبيد الله . انظر : الجرح والتعديل (١ / ٣٢٨ - ٣٤٩) .

(٢) في المطبوعة : العجلي وكذلك ذكر في جميع النسخ حين ذكر اسمه بعد قليل . هو أحد أئمة الجرح والتعديل في زمانه : أحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن العجلي الكوفي ، نزيل طرابلس المغرب ، وصاحب : التاريخ والجرح والتعديل ، ويعد من الأئمة الحفاظ في الحديث ، توفي سنة (٢٦١ هـ) ، وعمره (٨٠) سنة . انظر : شذرات الذهب لابن العماد (١ / ١٤١) الجزء الثاني .

(٣) في (ج د) : ليس فيه بأس .

(٤) هو : عبد الرحمن بن إبراهيم بن عمرو ، العثماني - مولاهم - أبو سعيد ، الدمشقي ، الملقب بدحيم ، من الثقات الحفاظ المتقين ، مات سنة (٢٤٥ هـ) ، وعمره (٧٥) سنة . انظر : تقريب التهذيب (١ / ٤٧١) ، ترجمة رقم (٨٥٦) ع عبد الرحمن .

(٥) هو : محمد بن إدريس بن المنذر الخنظلي ، أبو حاتم ، الرازي ، الإمام المشهور ، الحافظ ، أحد الأئمة المشهود لهم بالصلاح والحفظ والإتقان ، مع العلم بالرجال والجرح والتعديل ، توفي سنة (٢٧٧ هـ) ، وكان مولده سنة (١٩٥ هـ) . انظر : تهذيب التهذيب (٩ / ٣١ - ٣٤) ، ترجمة رقم (٤٠) م محمد .

(٦) في (ط) : سقيم الحديث . وهو خطأ من الناسخ؛ لأن أبا حاتم وثقه مرة ، وأخرى قال : شامي ، لا بأس به . انظر : الجرح والتعديل (٥ / ٢١٩) ، (ت ١٠٣١) . فالناسخ حرف كلمة مستقيم فصارت : سقيم .

(٧) في (ج د) : أسقطت (أبو) ولعله سهو من الناسخين .

(٨) في (ب) : أبو حبيب .

(٩) في (ج د) أحمد : سقطت .

(١٠) في (ب) : قال وأقل أحوال هذا الحديث .

يقتضي كفر المتشبه بهم كما في قوله: ﴿ وَمَنْ يَتَّوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> وهو نظير ما سنده عن عبد الله بن عمرو<sup>(٣)</sup> أنه قال<sup>(٤)</sup> من بنى بأرض المشركين وصنع نيروزهم ومهرجانهم<sup>(٥)</sup> وتشبه بهم حتى يموت حشر معهم يوم القيامة<sup>(٦)</sup>.

فقد يحمل هذا على التشبه المطلق فإنه يوجب الكفر، ويقتضي تحريم أبعاض ذلك وقد يحمل على أنه<sup>(٧)</sup> منهم في القدر المشترك الذي<sup>(٨)</sup> شابههم فيه فإن كان كفرا، أو معصية، أو شعارا لها<sup>(٩)</sup> كان حكمه كذلك.

وبكل حال يقتضي تحريم التشبه<sup>(١٠)</sup> بعلّة كونه تشبها، والتشبه يعم من فعل الشيء لأجل أنهم فعلوه وهو نادر ومن تبع<sup>(١١)</sup> غيره في فعل لغرض له في ذلك إذا كان أصل الفعل مأخوذا عن ذلك الغير، فأما من فعل الشيء واتفق أن الغير فعله أيضا ولم يأخذه أحدهما عن صاحبه، ففي كون هذا تشبها نظر لكن قد ينهى عن هذا لئلا يكون ذريعة إلى التشبه، ولما فيه من المخالفة، كما أمر بصيغ اللحي<sup>(١٢)</sup> وإحفاء الشوارب، مع أن قوله ﷺ

﴿ غيروا الشيب، ولا تشبهوا باليهود. ﴾<sup>(١٣)</sup><sup>(١٤)</sup> دليل على أن التشبه بهم يحصل بغير

- 
- (١) في المطبوعة : أنه .  
(٢) سورة المائدة : من الآية ٥١ .  
(٣) في المطبوعة : ابن عمر .  
(٤) قال : ساقطة من (أ ب) .  
(٥) النيروز : هو أول السنة القبطية . والمهرجان : عيد الفرس .  
(٦) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٩ / ٢٣٤) .  
(٧) في المطبوعة : صار منهم .  
(٨) في (ج د) : يشابههم .  
(٩) في المطبوعة قال : أو شعارا للكفر أو للمعصية . وليست في المخطوطات .  
(١٠) في المطبوعة زيادة وحذف في العبارات قال : وبكل حال ، فهو يقتضي التشبه بهم . الخ .  
(١١) في (أ ب ط) : اتبع .  
(١٢) في المطبوعة : وإعفائها . وهي زيادة ليست في النسخ المخطوطة .  
(١٣) الترمذي اللباس (١٧٥٢) .  
(١٤) انظر : تخريج الحديث (ص ٢٠٠) .

قصد منا، ولا فعل بل بمجرد ترك تغيير ما خلق فينا وهذا أبلغ من الموافقة الفعلية الاتفاقية.  
وقد روى في هذا الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه نهي عن التشبه

بالأعاجم وقال: ﴿من تشبه بقوم فهو منهم﴾<sup>(١)</sup> (٢) ذكره القاضي أبو يعلى<sup>(٣)</sup>.

وبهذا احتج غير واحد من العلماء على كراهة أشياء من زي غير المسلمين قال محمد بن أبي حرب<sup>(٤)</sup> سئل أحمد عن نعل سندي<sup>(٥)</sup> يخرج فيه. فكرهه للرجل والمرأة وقال: إن كان للكنيف<sup>(٦)</sup> والوضوء<sup>(٧)</sup> وأكره الصرار<sup>(٨)</sup>. وقال: هو من زي العجم.  
وقد سئل سعيد بن عامر<sup>(٩)</sup> عنه فقال: سنة نبينا أحب إلينا من سنة باكهن<sup>(١)</sup>.

(١) أبو داود اللباس (٤٠٣١).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "من تشبه بقوم فهو منهم" (٤ / ٣١٤)، الحديث رقم (٤٠٣١)؛ وأحمد في المسند عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "بعثت بين يدي الساعة." الحديث، إلى قوله: "ومن تشبه بقوم فهو منهم"، مسند أحمد (٢ / ٥٠)، وقد تقدم قول المؤلف عنه بأن إسناده جيد - يعني إسناده أبي داود - وقال في الفتاوى (٢٥ / ٣٣١): "هذا حديث جيد"، وذكره ابن حجر في فتح الباري (٦ / ٩٨)، وذكر له شاهدا مرسلًا بإسناد حسن، وذكره السيوطي في الجامع الصغير وأشار أنه "حسن" (١ / ٥٩٠)، حديث رقم (٨٥٩٣)، وقال الألباني في صحيح الجامع الصغير: "صحيح"، رقم (٦٠٢٥).

(٣) هو: محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد الفراء، أبو يعلى، القاضي، من مشاهير علماء الحنابلة في القرن الخامس الهجري، ومن فحول العلماء في الأصول والفروع وسائر فنون العلم، تولى القضاء، وله مصنفات كثيرة منها: الأحكام السلطانية، والكفاية، والعدة، وشرح الخرقى وغيرها، توفي سنة (٤٥٨ هـ)، وكانت ولادته سنة (٣٨٠). انظر: طبقات الحنابلة (٢ / ١٩٣ - ٢٣٠).

(٤) في المطبوعة: بن حرب. والصحيح ما أثبتته من المخطوطات، وهو: محمد بن نقيب بن أبي حرب الجرجاني، كان أحمد بن حنبل يكاتبه ويسأل عن أخباره، نقل عن الإمام وروى عنه مسائل جيدة. انظر: طبقات الحنابلة (١ / ٣٣١)، (ت ١٠٥).

(٥) نسبة إلى بلاد السند.

(٦) الكنيف في اللغة: الساتر، وهو المرحاض. انظر: مختار الصحاح، مادة (ك ن ف)، (ص ٥٨٠).

(٧) في المطبوعة زاد: فلا بأس، وهو أتم للمعنى.

(٨) الصرار كما يظهر من العبارة: نوع من أنواع الأحذية التي يلبسها العجم.

(٩) هو: سعيد بن عامر الضبيعي البصري، أبو محمد، من الصالحين الأخيار الثقات، وسيتكلم عنه المؤلف، ولد سنة (١٢٢ هـ)، وتوفي سنة (٢٠٨ هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٤ / ٥٠، ٥١)، (ت ٧٩).



وقال في رواية المروزي وقد سأله عن النعل السندي فقال: أما أنا فلا أستعملها، ولكن إن<sup>(٢)</sup> كان للطين، أو المخرج<sup>(٣)</sup> فأرجو، وأما من أراد الزينة فلا<sup>(٤)</sup> ورأى على باب المخرج نعلا سنديا فقال: يتشبه<sup>(٥)</sup> بأولاد الملوك.

وقال<sup>(٦)</sup> حرب الكرماني<sup>(٧)</sup> <sup>(٨)</sup> قلت لأحمد: فهذه النعال الغلاظ قال: هذه السنديّة قال: إذا كان للوضوء<sup>(٩)</sup> أو للكنيف، أو لموضع ضرورة فلا بأس.<sup>(١٠)</sup> وكأنه كره أن يمشي فيها<sup>(١١)</sup> في الأزقة قيل: فالنعل من الخشب. قال: لا بأس بها أيضا<sup>(١٢)</sup> إذا كان موضع ضرورة.

قال حرب حدثنا أحمد بن نصر<sup>(١٣)</sup> حدثنا حبان بن موسى،<sup>(١)</sup> قال: سئل ابن

(١) باكهن : هو اسم ملك الهند ، كما سيذكر المؤلف .

(٢) في المطبوعة : إذا .

(٣) لم أعرف ما المقصود بالمخرج ، إلا أن يكون محل قضاء الحاجة (الكنيف) أو الانتعال للخروج لا للزينة .

(٤) انظر : مسائل الإمام أحمد للنيسابوري (٢ / ١٤٥ ، ١٤٦) .

(٥) في (ب) : تتشبه . وفي (هـ) : تشبه . وفي المطبوعة : تتشبه .

(٦) في (ج د ط) : وقال أيضا .

(٧) في المطبوعة : أيضا ، بعد الكرماني .

(٨) هو : حرب بن إسماعيل بن خلف الحنظلي الكرماني ، رجل جليل من أتباع الإمام أحمد بن حنبل ، سمع منه

بعض المسائل ، ونقلها عنه أتباع الإمام أحمد كالخلال وغيره ، وهو فقيه بلده ، وجعل إليه السلطان أمر الحكم

في بلده . انظر : طبقات الحنابلة (١ / ١٤٥) .

(٩) في المطبوعة : هذه السنديّة إذا كانت . الخ .

(١٠) وهذا بمعنى الكلام السابق ، انظر : مسائل الإمام أحمد للنيسابوري (٢ / ١٤٥ ، ١٤٦) .

(١١) في المطبوعة : بها .

(١٢) أيضا : ساقطة من (أ) .

(١٣) هو أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي ، أبو عبد الله ، من الفضلاء الثقات ، امتحن أيام الواثق في مسألة خلق

القرآن ، فلم يجب إلى القول بالبدعة (خلق القرآن) وأصر على إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ، كما

أثبتها الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فقتله الواثق ، ونصب رأسه بيغداد سنة (٢٣١ هـ) ،

وكان قتله وقتل كثيرين من أمثاله من أجلاء السلف وامتحنهم من نتائج بدع المعتزلة ، أدعياء الحرية ! انظر :

تقريب التهذيب (١ / ٢٧) ، ترجمة رقم (١٣٤) ؛ وطبقات الحنابلة (١ / ٨١ ، ٨٢) ، ترجمة رقم (٧٥) .

المبارك<sup>(٢)</sup> عن هذه النعال الكرمانية<sup>(٣)</sup> فلم تعجبه وقال: أما في هذه غنية عن تلك؟. وروى الخلال<sup>(٤)</sup> عن أحمد بن إبراهيم الدورقي<sup>(٥)</sup> قال: سألت سعيد بن عامر عن لباس النعال السبتية<sup>(٦)</sup><sup>(٧)</sup> فقال: زي نبينا أحب إلينا من زي باكهن ملك الهند، ولو كان في مسجد المدينة لأخرجوه من المدينة.

سعيد بن عامر الضبعي إمام أهل البصرة علما ودينا، من شيوخ الإمام أحمد قال يحيى بن سعيد القطان وذكر عنده سعيد بن عامر<sup>(٨)</sup> فقال: هو شيخ المصر<sup>(٩)</sup> منذ أربعين سنة<sup>(١٠)</sup> وقال أبو مسعود بن الفرات<sup>(١)</sup> ما رأيت بالبصرة مثل سعيد بن عامر<sup>(٢)</sup>.

(١) هو: حبان بن موسى بن سوار السلمى المروزي، أبو محمد، روى عنه البخاري ومسلم وغيرهما، من الثقات المشهود لهم بالفضل، مات سنة (٢٣٣ هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٢ / ١٧٤، ١٧٥)، ترجمة رقم (٣١٥).

(٢) هو الإمام الجليل: عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي، مولاهم، المروزي، أبو عبد الرحمن، إمام أهل عصره في العلم والتقوى والصلاح والفضل والرياسة، ومن مشاهير أئمة الحديث الحفاظ الثقات، وصفه ابن عيينة قائلا: "كان فقيها عالما عابدا زاهدا شيخا شجاعا شاعرا". ١ هـ، كما كان سخيا ناصحا للأمة، سيذا من سادات المسلمين، توفي رحمه الله بـ (هيت) منصرفه من الغزو سنة (١٨١)، وعمره (٦٣). انظر: تهذيب التهذيب (٥ / ٣٨٢ - ٣٨٧)، (ت ٦٥٧).

(٣) نسبة إلى بلاد كرمان جنوب شرق العراق، أو بلاد كرمان التي بالهند. انظر: معجم البلدان (ص ٤٥٤، ٤٥٥) الجزء الرابع.

(٤) هو: أحمد بن محمد بن هارون، أبو بكر، الخلال، مرت ترجمته (ص ٢٠٦). انظر: مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص ٦١٨).

(٥) هو: أحمد بن إبراهيم بن كثير بن زيد الدورقي النكري، البغدادي، من الثقات الحفاظ، من كبار الذين صحبوا الإمام أحمد بن حنبل ونقلوا عنه، مات سنة (٢٤٦ هـ). انظر: تقريب التهذيب (١ / ٩، ١٠)، ترجمة رقم (٣)؛ ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص ٦١٠).

(٦) النعال السبتية: نسبة إلى السبت، وهو جلود البقر المدبوغة بالقرظ، أو هو: كل جلد مدبوغ بالقرظ. انظر: القاموس المحيط (١ / ١٥٤)، فصل السين، باب التاء.

(٧) في (ج): السبتة.

(٨) في المطبوعة زاد: الضبعي.

(٩) في المطبوعة: البصرة.

(١٠) انظر: تهذيب التهذيب (٤ / ٥٠).

وقال الميموني<sup>(٣)</sup> رأيت أبا عبد الله عمامته تحت ذقنه، ويكره غير ذلك وقال: العرب عمامتها<sup>(٤)</sup> تحت أذقانها<sup>(٥)</sup> وقال أحمد في رواية الحسن بن محمد<sup>(٦)</sup> يكره أن لا<sup>(٧)</sup> تكون العمامة تحت الحنك كراهية شديدة، وقال: إنما يتعمم<sup>(٨)</sup> بمثل ذلك اليهود والنصارى والمجوس<sup>(٩)</sup>.

ولهذا أيضا كره أحمد لباس أشياء كانت شعار الظلمة في وقته من السواد<sup>(١٠)</sup> ونحوه

(١) هو أحمد بن الفرات بن خالد الضبي الرازي ، أبو مسعود ، من أهل الحديث والفتيا ، ومن أحفظ الناس لأخبار رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ومن الحفاظ الكبار ، وله التصانيف الكثيرة ، ومن الراسخين في العلم ، وثقه الأئمة ، وقال ابن حجر في تقريب التهذيب : " تكلم فيه بلا مستند " ، توفي سنة ( ٢٥٨ هـ ) . انظر : تهذيب التهذيب ( ١ / ٦٦ ، ٦٧ ) ، ترجمة رقم ( ١١٧ ) ؛ وتقريب التهذيب ( ١ / ٢٣ ) ، ترجمة رقم ( ١٠٢ ) .

(٢) انظر : تهذيب التهذيب ( ٤ / ٥٠ ) .

(٣) هو : عبد الملك بن عبد الحميد بن مهران الميموني الرقي ، أبو الحسن ، من الفضلاء الثقات من أصحاب الإمام أحمد ، كان أحمد يقدمه ويجله ، لازمه أكثر من عشرين سنة ، وروى عنه مسائل كثيرة ، ولد سنة ( ١٨١ هـ ) ، وتوفي سنة ( ٢٧٤ هـ ) . انظر : طبقات الحنابلة ( ١ / ٢١٢ - ٢١٦ ) ، ترجمة رقم ( ٢٨٢ ) .

(٤) في ( أ ب ط ) : أعمتها .

(٥) انظر : المغني والشرح الكبير ( ١ / ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ) تجد ما يشير إلى هذا بالمعنى وليس بالنص .

(٦) هو : الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني ، روى عن الإمام أحمد ، وهو صاحب الشافعي ، عدوه من الثقات ، مات سنة ( ٢٦٠ هـ ) . انظر : طبقات الحنابلة ( ١ / ١٣٨ ) ، ترجمة رقم ( ١٧٢ ) ؛ وتقريب التهذيب ( ١ / ١٧٠ ) ، ترجمة رقم ( ٣١٥ ) .

ح .

(٧) في ( ب ) : ألا يكون ، وفي المطبوعة : أن تكون ، بحذف ( لا ) النافية ، وهو بعيد؛ لأنه يتغير المعنى المراد ، وتوضحه العبارة التي قبله وهي قوله : " عمامته تحت ذقنه " .

(٨) في ( ط ) : يتعمم بحذف ( إنما ) .

(٩) انظر : المغني والشرح الكبير ( ١ / ٣٠٩ ، ٣١٠ ) ، تجد فيه ما يشير إلى هذا المعنى من كون عمامت المسلمين تحت الحنك وعمائم أهل الكتاب بخلاف ذلك .

(١٠) المقصود بالسواد هنا : اللباس الذي لونه أسود من قبل الرجال ، خاصة العمامة السوداء ، وهي شعار ولاية وخلفاء الدولة العباسية ، وقد وقع من بعضهم في عهد الإمام أحمد رحمه الله شيء من الظلم ، ومن ذلك ما حصل من حمل الناس على التلفظ ببدعة القول بخلق القرآن . ولعل هذا ما أشار إليه الإمام أحمد من كراهة السواد؛ لأنه شعار الظلمة ، والله أعلم .

وكره هو وغيره <sup>(١)</sup> تغميض العين <sup>(٢)</sup> في الصلاة وقال: هو من فعل اليهود <sup>(٣)</sup> .  
وقد <sup>(٤)</sup> روى أبو <sup>(٥)</sup> حفص العكبري <sup>(٦)</sup> بإسناده عن بلال بن أبي حدرد <sup>(٧)</sup> قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ **تعددوا، واحشوشنوا، وانتعلوا، وامشوا حفاة.** ﴾ <sup>(٨)</sup> .

وهذا مشهور محفوظ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كتب إلى المسلمين، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في كلام الخلفاء الراشدين.

وقال الترمذي: حدثنا <sup>(٩)</sup> قتيبة <sup>(١٠)</sup> ..... حدثنا ابن <sup>(١١)</sup> لهيعة عن عمرو بن

(١) ورد أن الإمام أحمد كره لبس الأحمر وقال: يقال: أول من لبسه آل قارون وآل فرعون، وكره كذلك لبس الأسود. انظر: الإنصاف (١ / ٤٨٢).

(٢) في (ب): العينين.

(٣) انظر: المغني والشرح الكبير (١ / ٦٦٢) في المغني.

(٤) في (ب): وروى.

(٥) أبو: سقطت من (ط).

(٦) هو: عمر بن إبراهيم بن عبد الله، أبو حفص، العكبري، المعروف بابن المسلم، من كبار فقهاء الحنابلة في القرن الرابع الهجري، وله اختيارات جيدة في مسائل المذهب وغيرها، ذكر له ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة مصنفات منها: المقنع وشرح الخرقى والخلاف بين أحمد ومالك، وتوفي أبو حفص سنة (٣٨٧ هـ). انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (٢ / ١٦٣-١٦٦)، ترجمة (٦٢٧).

(٧) في (أ): بلال بن حدود، ولم أجد ترجمة لبلال بن أبي حدرد هذا إلا ما ذكره العجلوني في كشف الخفا: أن أبا نعيم أخرج هذا الحديث عن القعقاع بن أبي حدرد، والبغوي أخرجه عن ابن أبي حدرد دون أن يسميه، والطبراني أخرجه عن عبد الله بن أبي حدرد، كما أنا ابن حجر أشار إلى هذا الحديث في الإصابة وإلى أن البغوي وابن شاهين، والطبراني أخرجه عن القعقاع بن أبي حدرد، والله أعلم، راجع كشف الخفا (١ / ٣٧٨)؛ والإصابة (٣ / ٢٣٩).

(٨) قال في كشف الخفا: "رواه الطبراني في معجمه الكبير، وابن شاهين في الصحابة، وأبو الشيخ وأبو نعيم في المعرفة" وذكر الحديث، ثم قال: وأخرجه البغوي أيضا في معجم الصحابة "وذكر أنه أخرجه الطبراني في الكبير، وآخرون. انظر: كشف الخفا ومزيل الإلباس (١ / ٣٧٨)، الحديث رقم (١٠١٨)، وذكره ابن حجر في ترجمة القعقاع بن أبي حدرد، في الإصابة، وذكر أنه رواه كل من البغوي وابن شاهين والطبراني عن القعقاع بن أبي حدرد سمع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقوله: راجع الإصابة (٣ / ٢٣٩).

(٩) حدثنا: سقطت من (هـ).

(١٠) هو: قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف الثقفي، أبو رجاء، من الحفاظ الثقات الأثبات، توفي سنة (٢٤٠ هـ) وعمره (٩٠) سنة. انظر: تقريب التهذيب (٢ / ١٢٣)، ترجمة رقم (٨٥).

شعيب عن أبيه عن جده: أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود، ولا بالنصارى؛ فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع، وتسليم النصارى الإشارة بالأكف ﴾ (٢). (٣) قال (٤) وروى ابن المبارك هذا الحديث عن ابن لهيعة ولم يرفعه (٥). وهذا وإن كان فيه ضعيف فقد تقدم الحديث المرفوع من تشبه بقوم فهو منهم (٦) وهو محفوظ عن حذيفة بن اليمان أيضا من قوله وحديث ابن لهيعة يصلح للاعتضاد كذا كان يقول أحمد وغيره (٧). وأيضا ما روى أبو داود (٨) حدثنا قتيبة بن سعيد الثقفي (٩) حدثنا محمد بن ربيعة (١٠) حدثنا أبو الحسن العسقلاني (١١) عن أبي جعفر بن محمد بن (١٢) علي بن ركانة، أو محمد

(١) ابن : ساقطة من (أ) .

(٢) الترمذي الاستئذان والآداب (٢٦٩٥) .

(٣) في (ب) : بالكف .

(٤) أي : أبو عيسى الترمذي .

(٥) وقال الترمذي أيضا قبل ذلك ، بعد الحديث ، " هذا حديث إسناده ضعيف " انظر : سنن الترمذي ، كتاب الاستئذان ، باب ما جاء في كراهية إشارة اليد بالسلام ، حديث رقم (٢٦٩٥) ، (٥ / ٥٦ ، ٥٧) ، وقد بين المؤلف هنا أن الحديث رغم ضعفه فله ما يعضده .

(٦) الحديث مر (ص ٢٧٢) .

(٧) انظر : تهذيب التهذيب (٥ / ٣٧٣ — ٣٧٩)؛ وميزان الاعتدال (٢ / ٤٧٧)؛ وتذكرة الحفاظ (١ / ٢٣٩) .

(٨) في (أ) : قال : حدثنا .

(٩) في (أ) : قال : حدثنا .

(١٠) هو : محمد بن ربيعة الكلابي ، الرؤاسي الكوفي ، أبو عبد الله ، ابن عم وكيع ، وثقة أكثر أئمة الحديث والجرح ، كابن معين والدارقطني وابن حبان وأبو داود وغيرهم ، يعد من الطبقة التاسعة من الكوفيين . انظر : تهذيب التهذيب (٩ / ١٦٢ ، ١٦٣) ، ترجمة رقم (٢٣٥) .

(١١) قال ابن حجر في تقريب التهذيب : أبو الحسن العسقلاني مجهول ، من السابعة " انظر : تقريب التهذيب (٢ / ٤١٢) ، ترجمة رقم (٤١) الكنى ح .

(١٢) وكذلك أبو جعفر بن محمد بن علي بن ركانة ، قال ابن حجر : مجهول من السادسة " تقريب التهذيب (٢ / ٤٠٦) ، (ت ١٤) .

بن علي بن ركانة <sup>(١)</sup> عن أبيه أن ركانة <sup>(٢)</sup> صارع النبي ﷺ فصصره النبي ﷺ قال ركانة: وسمعت النبي ﷺ يقول: ﴿ فرق ما بيننا وبين المشركين العمائم <sup>(٣)</sup> على القلائس ﴾ <sup>(٤)</sup> .

وهذا يقتضي أنه حسن عند أبي داود ورواه الترمذي أيضا عن قتيبة وقال: غريب وليس إسناده بالقائم، ولا نعرف أبا الحسن، <sup>(٥)</sup> ولا ابن ركانة <sup>(٦)</sup> .

وهذا القدر لا يمنع أن يعتضد بهذا الحديث ويستشهد به، وهذا بين في أن مفارقة المسلم المشرك في اللباس أمر مطلوب للشارع <sup>(٧)</sup> كقوله: ﴿ فرق <sup>(٨)</sup> ما بين الحلال

والحرام الدف والصوت ﴾ <sup>(٩)</sup> فإن التفريق بينهما مطلوب في الظاهر، إذ الفرق بالاعتقاد

---

(١) هو : محمد بن علي بن يزيد بن ركانة ، صدوق ، من الطبقة السادسة ، أخرج له أبو داود انظر : تقريب التهذيب ( ٢ / ١٩٣ ) .

(٢) هو الصحابي الجليل : ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب القرشي ، وهو الذي صارعه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فصصره النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مرتين أو ثلاثا ، وكان من أشد قريش ، أسلم مع مسلمة الفتح ، ، ثم نزل المدينة ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحاديث ، توفي في خلافة عثمان ، وقيل : سنة ( ٤٢ هـ ) . انظر : أسد الغابة ( ٢ / ١٨٧ ، ١٨٨ ) .

(٣) في المطبوعة : بالعمائم ، الصحيح ما أثبتته كما في أبي داود .

(٤) أخرجه أبو داود ، في سننه ، كتاب اللباس ، باب في العمائم ، حديث رقم ( ٤٠٧٨ ) ، ( ٤ / ٣٤٠ ، ٣٤١ ) والقلانس جمع قلنسوة ، وهي لباس يكون تحت العمامة يشبه الطاقية ، وإن صح الحديث فإنه يفيد أن المشركين يلبسون العمائم دون أن تكون تحتها قلانس ، وأن المسلمين مأمورون بمخالفتهم فيكون لبس العمامة على القلنسوة من السنة ، والله أعلم .

(٥) في المطبوعة : العسقلاني ، وكذلك في الترمذي ( ٤ / ٢٤٨ ) .

(٦) انظر : سنن الترمذي ، كتاب اللباس ، باب العمائم على القلائس ، حديث رقم ( ١٧٨٤ ) ، ( ٤ / ٢٤٧ ) ، وقال في الحديث كما ذكر المؤلف إلا أن فيه زيادة " هذا حديث حسن غريب " وقال بعد أبي الحسن " العسقلاني " ( ٤ / ٢٤٨ ) كما أشرت آنفا .

(٧) في (أ) زاد : بدون العمامة : وهو خلط من الناسخ فقد أسقطها في محلها (بعد سطرين) .

(٨) في المطبوعة : فصل : وكذلك في الترمذي ( ٣ / ٣٩٨ ) .

(٩) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب النكاح ، باب ما جاء في إعلان النكاح ، عن محمد بن حاطب الجمحي ، ، قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم " فصل ما بين الحلال . " إلخ الحديث ، حديث رقم ( ١٠٨٨ ) ، ( ٣ / ٣٩٨ ) وقال الترمذي : " حديث محمد بن حاطب حديث حسن " وقال : " وفي الباب عن عائشة وجابر والربيع بنت معوذ " ( ٣ / ٣٩٨ ) . كما أخرجه أحمد في المسند ( ٣ / ٤١٨ ) ، ( ٤ / ٧٧ ) .

والعمل بدون العمامة <sup>(١)</sup> حاصل فلولا أنه مطلوب بالظاهر أيضا لم يكن فيه فائدة.  
وهذا كما أن الفرق بين <sup>(٢)</sup> الرجال والنساء لما <sup>(٣)</sup> كان مطلوبا ظاهرا وباطنا  
﴿ لعن <sup>(٤)</sup> المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء وقال: أخرجوهم  
من بيوتكم ﴾ <sup>(٥)</sup> ونفى المخنث <sup>(٦)</sup> لما كان رجلا متشبهها في الظاهر بغير <sup>(٧)</sup> جنسه  
وأیضا عن أبي غطفان المري <sup>(٨)</sup> قال <sup>(٩)</sup> سمعت عبد الله بن عباس رضي الله <sup>(١٠)</sup> عنهما  
يقول: حين ﴿ صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا: يا رسول الله إنه يوم  
تعظمه اليهود والنصارى. قال رسول الله ﷺ إذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم

- 
- وابن ماجه في كتاب النكاح ، باب إعلان النكاح ، حديث رقم (١٨٩٦) ، (١ / ٦١١)؛ والنسائي في كتاب  
النكاح ، باب إعلان النكاح بالصوت وضرب الدف (٢ / ٦ / ١٢٧) بشرح السيوطي وحاشية السندي .
- (١) بدون العمامة : ساقطة من (أ) ، وقد زادها قبل سطرين كما أشرت .  
(٢) في (ط) : من الرجال والنساء .  
(٣) لما : سقطت من (أ) .  
(٤) في المطبوعة : صلى الله عليه وعلى آله وسلم .  
(٥) أخرجه البخاري عن ابن عباس قال : " لعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم المخنثين من الرجال  
والمرجلات من النساء وقال : " أخرجوهم من بيوتكم " قال : فأخرج النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم  
فلانا وأخرج عمر فلانة " كتاب اللباس ، باب إخراج المتشبهين بالنساء من البيوت . حديث رقم (٥٨٨٦)  
من فتح الباري ، (١٠ / ٣٣٣) . وأحاديث النهي عن تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال مشهورة  
مستفيضة في سائر الصحاح والسنن والمسانيد ، وأفرد لها العلماء أبوابا في كتب الحديث والفقهاء وغيرها .  
(٦) نفس المصدر السابق .  
(٧) في (أ ب ط) : بغير بني جنسه ، والمخنث هو : الذي يتشبه بالنساء في حركاته وكلامه ولباسه ونحو ذلك .  
انظر : فتح الباري (٩ / ٣٣٤) .  
(٨) هو أبو غطفان بن طريف — وقيل ابن مالك — المري قيل : اسمه سعد ، كان كاتب عثمان ، ثم كتب لمروان  
— وكان قليل الحديث ، وهو مدني ثقة ، عده ابن سعد من الطبقة الثانية ، وقال ابن حجر : من كبار الثالثة .  
انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد (٥ / ١٧٦) ، وانظر : تقريب التهذيب (٢ / ٤٦١) ، ترجمة رقم (١٨)  
الكنى .  
(٩) قال : سقطت من المطبوعة .  
(١٠) رضي الله عنهما سقطت من (أ د ط) .

التاسع. قال: فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ ﴿<sup>(١)</sup>﴾ رواه مسلم في صحيحه <sup>(٢)</sup>.

وروى الإمام <sup>(٣)</sup> أحمد عن ابن عباس <sup>(٤)</sup> قال: قال رسول الله ﷺ ﴿صوموا يوم عاشوراء وخالفوا فيه <sup>(٥)</sup> اليهود وصوموا قبله يوماً <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup> أو بعده يوماً﴾ .

ورواه سعيد <sup>(٨)</sup> بالإسناد ولفظه: ﴿صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود وصوموا

يوماً قبله، أو يوماً بعده﴾ <sup>(٩)</sup> والحديث <sup>(١٠)</sup> رواه ابن أبي ليلى <sup>(١١)</sup> عن داود بن علي <sup>(١٢)</sup> عن أبيه عن جده ابن عباس <sup>(١)</sup>.

(١) مسلم الصيام (١١٣٤) ، أبو داود الصوم (٢٤٤٥) ، أحمد (٣١٠/١) ، الدارمي الصوم (١٧٥٩) .  
(٢) انظر : صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، باب أي يوم يصام عاشوراء ، حديث رقم (١١٣٣) ، (٢ / ٧٩٧ ، ٧٩٨)

(٣) في (ب) قال : وروى أحمد .

(٤) في (ب) : رضي الله عنهما .

(٥) فيه : سقطت من (أ ب ط) .

(٦) في (أ ب ط) قال : ويعدّه يوماً : وهو خطأ ، وفي المطبوعة : يوماً قبله أو يوماً بعده ، وفي المسند كما أثبتته .

(٧) مسند الإمام أحمد (٢٤١ / ١) في مسند ابن عباس .

(٨) هو : سعيد بن منصور .

(٩) البخاري الصوم (١٩٠٠) ، مسلم الصيام (١١٣٤) ، الترمذي الصوم (٧٥٥) ، أبو داود الصوم (٢٤٤٥) ،

ابن ماجه الصيام (١٧٣٤) ، أحمد (٢٤١/١) ، الدارمي الصوم (١٧٥٩) .

(١٠) كذا في (أ ط) : وفي (ج د ب) والمطبوعة : والحديث الذي رواه . إلخ " والصحيح ما أثبتته؛ لأن هذا السند هو الذي خرجه به أحمد في هذا الحديث الذي ساقه آنفا .

(١١) هو : محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي ، أبو محمد ، قاضي الكوفة ، الفقيه ، ضعفه أحمد بن حنبل ، وقال : كان فقه ابن أبي ليلى أحب إلينا من حديثه ، وقال ابن خزيمة ، ليس بالحافظ وإن كان فقيها عالما ، وهذا رأي سائر أهل الحديث قالوا بأنه عالم فاضل صدوق لكن شغله القضاء فساء حفظه . انظر : تهذيب التهذيب (٩ / ٣٠١ ، ٣٠٣) ، ترجمة (٥٠١) .

(١٢) هو : داود بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي ، تولى إمارة مكة والمدينة وغيرهما كما تولى موسم الحج ، مقبول الحديث ، توفي وهو أمير على المدينة سنة (١٣٣ هـ) وعمره (٥٢) سنة ، انظر تقريب التهذيب (١) / (٢٣٣) ترجمة رقم (٢٩) .



عن أبيه عن جده ابن عباس (١) .

فتدبر هذا يوم عاشوراء يوم فاضل يكفر (٢) سنة ماضية (٣) صامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه ورغب فيه، ثم لما قيل له قبيل وفاته: إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى. أمر بمخالفتهم بضم يوم آخر إليه، وعزم على ذلك (٤) .

ولهذا استحب العلماء منهم الإمام أحمد أن يصوم تاسوعاء وعاشوراء، وبذلك عللت الصحابة رضي الله عنهم.

قال سعيد بن منصور: حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار، سمع عطاء سمع (٥) ابن عباس رضي الله عنهما (٦) يقول: صوموا التاسع والعاشر، خالفوا اليهود (٧) .

وأيضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما (٨) عن النبي ﷺ قال: ﴿ إِنَّا أُمَّةٌ أَمِيَّةٌ؛ لَا

نَكْتُبُ وَلَا نَحْسِبُ، الشَّهْرُ: هَكَذَا وَهَكَذَا ﴾ (٩) . يعني مرة: تسعة وعشرين، ومرة:

(١) هذا هو سند الحديث الذي ذكر الشيخ هنا أن أحمد رواه عن ابن عباس — كما ذكرت — راجع المسند (١) / (٢٤١) .

(٢) في (ب): يكفر فيه ، وفي المطبوعة : يكفر صيامه .

(٣) ورد في الصحيح أن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال عن يوم عاشوراء : " أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله " وهو جزء من حديث رواه مسلم في كتاب الصيام ، باب (٣٦) ، حديث رقم (١١٦٢) ، (٢ / ٨١٨) .

(٤) في المطبوعة : على فعل ذلك .

(٥) في المطبوعة : عن ابن عباس .

(٦) رضي الله عنهما : سقطت من (ج د) والمطبوعة .

(٧) أخرجه البيهقي (٤ / ٢٨٧) . وعبد الرزاق في المصنف (٤ / ٢٨٧) وهو صحيح الإسناد ، فعبد الرزاق رواه عن ابن جريح ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، وكلهم ثقات . انظر : تقريب التهذيب ، ترجمة عبد الرزاق (١ / ٥) ، و ترجمة ابن جريح (١ / ٥٢٠) و ترجمة عطاء بن أبي رباح الراوي عن ابن عباس هنا (٢ / ٢٢) .

(٨) في المطبوعة : عن عمر ، وهو خلاف النسخ المخطوطة ، وخلاف البخاري ومسلم ، فهو عن ابن عمر كما أثبتته .

(٩) رضي الله عنهما : سقطت من (ج د) .

(١٠) البخاري الصوم (١٨١٤) ، مسلم الصيام (١٠٨٠) ، النسائي الصيام (٢١٤٠) ، أبو داود الصوم (٢٣١٩) ، أحمد (٤٣/٢) ، مالك الصيام (٦٣٤) ، الدارمي الصوم (١٦٨٤) .

ثلاثين. رواه البخاري ومسلم<sup>(١)</sup>.

فوصف هذه الأمة بترك الكتاب<sup>(٢)</sup> والحساب الذي يفعله غيرها من الأمم في أوقات عبادتهم وأعيادهم، وأحالتها على الرؤية حيث قال- في غير حديث-: ﴿صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته﴾<sup>(٣)</sup> وفي رواية: ﴿صوموا من الوضح إلى الوضح﴾<sup>(٤)</sup> أي من الهلال إلى الهلال<sup>(٦)</sup>.

وهذا: دليل على ما أجمع عليه المسلمون- إلا من شذ من بعض المتأخرين المخالفين<sup>(٧)</sup> المسبوقين بالإجماع- من أن مواقيت الصوم والفطر والنسك إنما تقام بالرؤية عند إمكانها، لا بالكتاب والحساب، الذي تسلكه الأعاجم من الروم والفرس، والقبط، والهند، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى.

وقد روي عن<sup>(٨)</sup> غير واحد من أهل العلم: أن أهل الكتابين قبلنا إنما أمروا بالرؤية - أيضا - في صومهم وعبادتهم، وتأولوا على ذلك قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : " لا نكتب ولا نحسب " ، حديث رقم (١٩١٣) من فتح الباري (٤ / ١٣٦) ، وصحيح مسلم ، كتاب الصيام ، باب وجوب صوم رمضان برؤية الهلال . . إلخ ، تابع حديث رقم (١٠٨٠) ، (٢ / ٧٦١) .

(٢) في المطبوعة : الكتابة .

(٣) البخاري الصوم (١٨١٠) ، مسلم الصيام (١٠٨١) ، الترمذي الصوم (٦٨٤) ، النسائي الصيام (٢١١٧) ، ابن ماجه الصيام (١٦٥٥) ، أحمد (٤٩٧/٢) ، الدارمي الصوم (١٦٨٥) .

(٤) أخرجه في الصحيحين ، وهو مستفيض في سائر كتب السنة . انظر : صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : " إذا رأيتم الهلال فصوموا ، وإذا رأيتموه فأفطروا " ، حديث رقم (١٩٠٩) من فتح الباري (٤ / ١١٩) . وصحيح مسلم ، كتاب الصوم ، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال . . إلخ ، تابع حديث رقم (١٠٨٠) ، (٢ / ٧٥٩) .

(٥) ذكره السيوطي في الجامع الصغير (٢ / ١٠٣) ، وقال : (طب) ، (ح) ، أي : رواه : الطبراني في الكبير ، هو حديث حسن .

(٦) من الهلال إلى الهلال : سقطت من (ب أ ط) .

(٧) في (أ ط) : الخالفين .

(٨) في المطبوعة : وقد روى غير واحد .

كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴿١﴾ ولكن أهل الكتابين بدلوا.

ولهذا نهى النبي ﷺ عن تقدم رمضان باليوم واليومين <sup>(٢)</sup> وعلل الفقهاء ذلك بما يخاف من أن يزداد في الصوم المفروض ما ليس منه <sup>(٣)</sup> كما زاده أهل الكتاب، من النصرارى، فإنهم زادوا في صومهم، وجعلوه فيما بين الشتاء والصيف، وجعلوا له طريقة من الحساب يتعرفونه <sup>(٤)</sup> بها.

وقد يستدل بهذا الحديث، على خصوص النهي عن أعيادهم، فإن أعيادهم معلومة بالكتاب والحساب، والحديث فيه عموم.

أو يقال: إذا نهينا عن ذلك في عيد الله ورسوله، ففي غيرها <sup>(٥)</sup> من الأعياد والمواسم أولى وأحرى، ولما <sup>(٦)</sup> في ذلك من مضارعة الأمة الأمية سائر الأمم. وبالجملة فالحديث يقتضي اختصاص هذه الأمة بالوصف الذي فارقت به غيرها، وذلك يقتضي أن ترك المشاهدة للأمم <sup>(٧)</sup> أقرب إلى حصول الوفاء بالاختصاص.

وأيضاً ففي الصحيحين عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف <sup>(٨)</sup> أنه سمع معاوية <sup>(٩)</sup> عام

(١) سورة البقرة: من الآية ١٨٣ .

(٢) أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: " لا يتقدم أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجل كان يصوم صومه فليصم ذلك اليوم " ، وهذا لفظ البخاري في كتاب الصوم ، باب لا يتقدم رمضان بصوم يوم ولا يومين ، حديث (١٩١٤) من فتح الباري ، (٤ / ١٢٧ — ١٢٨) ، ولفظ مسلم: " لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين إلا رجلاً كان يصوم صوماً فليصمه " ، صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، باب لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين ، حديث رقم (١٠٨٢) ، (٢ / ٧٦٢) . ورواه سائر أصحاب الصحاح والسنن والمسائيد .

(٣) في (أ) : فيه .

(٤) في (أ) : يتعرفونه ، وهو تحريف من الناسخ ، وفي (ط) : يعرفونه .

(٥) في المطبوعة : غيره ، وهو أقرب للسياق .

(٦) في (ب) والمطبوعة : أو لما .

(٧) في (أ ط) : مشاهدة الأمم .

(٨) هو : حميد بن عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة القرشي ، من الطبقة الثانية ، من التابعين ، مدني ثقة ، مات سنة (١٠٥هـ) ، وقال ابن سعد : (٩٥هـ) ، وعمره (٧٣) سنة . انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد (٥ / ١٥٣ ، ١٥٤) ؛ وتقريب التهذيب (١ / ٢٠٣) ، ترجمة رقم (٦٠٣) ح .

حج على المنبر، وتناول قصة<sup>(٢)</sup> من شعر كانت في يد حرسى<sup>(٣)</sup> فقال: " يا أهل المدينة، أين علماؤكم؟ سمعت رسول<sup>(٤)</sup> الله ﷺ ينهى عن مثل هذه ويقول: ﴿ إِنَّمَا هَلَكْتُ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذُوا نِسَاءَهُمْ ﴾<sup>(٥)</sup> (٦) وفي رواية سعيد بن المسيب - في الصحيح - أن معاوية قال ذات يوم: " إنكم أحدثتم<sup>(٧)</sup> زي سوء، وإن نبي الله<sup>(٨)</sup> ﷺ نهى عن الزور"، قال: وجاء رجل بعصا على رأسها خرقة. قال معاوية: " ألا وهذا الزور". قال قتادة: " يعني ما يكثر به النساء أشعارهن من الخرق"<sup>(٩)</sup>.

وفي رواية عن ابن المسيب - في الصحيح - قال: " قدم معاوية المدينة، فخطبنا، وأخرج كبة من شعر، فقال: ما كنت أرى أن أحدا يفعله إلا اليهود، إن رسول الله ﷺ بلغه، فسماه الزور".

فقد أخبر النبي ﷺ<sup>(١٠)</sup> عن وصل الشعر: " أن بني إسرائيل هلكوا حين أحدثه نساؤهم" يحذر أمته مثل ذلك، ولهذا قال معاوية: " ما كنت أرى أن أحدا يفعله إلا اليهود".

(١) في (ب) : رضي الله عنه .

(٢) في (ج د) : قبضة ، وأظنه تصحيف من النساخ .

(٣) الحرسى : الذي يتولى الحراسة ونحوها ، وفي (ط) : حرسى ، وفي (أ) : يدي حرسى .

(٤) في (ج د ط) : النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وفي البخاري كما أثبتته .

(٥) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٨١) ، مسلم اللباس والزينة (٢١٢٧) ، الترمذي الأدب (٢٧٨١) ، النسائي الزينة (٥٢٤٥) ، أبو داود الترجل (٤١٦٧) ، أحمد (٩٥/٤) ، مالك الجامع (١٧٦٥) .

(٦) الحديث مروى في الصحيحين وقد مر تخريجه من مسلم (ص ١٣٣) ، وهذا اللفظ للبخاري ، كتاب اللباس ، باب وصل الشعر ، حديث رقم (٥٩٣٢) ، (١٠ / ٣٧٣) من فتح الباري .

(٧) في المطبوعة : اتخذتم ، وفي مسلم كما هو مثبت .

(٨) في المطبوعة : النبي ، وفي صحيح مسلم كما هو مثبت .

(٩) أخرج هاتين الروايتين عن ابن المسيب : مسلم في صحيحه ، مع حديث حميد بن عبد الرحمن الذي أخرجه البخاري أيضا . انظر : صحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة ، حديث رقم (٢١٢٧) ، (٣ / ١٦٧٩) ، وقد ذكر فيه جميع الروايات التي سردها المؤلف هنا .

(١٠) النبي : ساقطة من (أ) .

فما كان من زي اليهود، الذي لم يكن عليه المسلمون: إما أن يكون مما يعذبون عليه، أو مظنة لذلك، أو يكون تركه حسما لمادة ما عذبوا عليه، لا سيما إذا لم يتميز ما هو الذي عذبوا عليه من غيره، فإنه يكون قد اشتبه المحذور بغيره، فيترك الجميع كما أن ما يخبرونا <sup>(١)</sup> به <sup>(٢)</sup> لَمَّا اشتبه صدقه بكذبه: ترك الجميع.

وأیضا ما <sup>(٣)</sup> روى نافع عن ابن عمر <sup>(٤)</sup> قال: قال رسول الله ﷺ - أو قال: قال عمر

-: ﴿ إذا كان لأحدكم ثوبان فليصل فيهما، فإن لم يكن <sup>(٥)</sup> له إلا ثوب فليتز به <sup>(٦)</sup> ولا

يشتمل اشتمال اليهود ﴾ رواه أبو داود وغيره، بإسناد صحيح <sup>(٧)</sup> .

وهذا المعنى صحيح عن النبي ﷺ من رواية جابر وغيره أنه: ﴿ أمر في الثوب الضيق،

بالانزاع دون الاشتمال ﴾ <sup>(٨)</sup> . <sup>(٩)</sup> وهو قول جمهور أهل العلم، وفي مذهب أحمد

قولان <sup>(١٠)</sup> .

وإنما الغرض: أنه قال: ﴿ لا يشتمل اشتمال اليهود ﴾ <sup>(١١)</sup> فإن إضافة <sup>(١)</sup> المنهي عنه

(١) أي أهل الكتاب ، وفي المطبوعة : يخبرون .

(٢) به : سقطت من (أ) .

(٣) في (ب) : لما روى .

(٤) في (ب) : رضي الله عنهما .

(٥) في (أ ج د ط) والمطبوعة : فإن لم يكن له إلا ثوب ، وفي (ب) وأبي داود كما هو مثبت .

(٦) به : سقطت من (ج د) .

(٧) انظر : سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب إذا كان الثوب ضيقا يتزر به ، حديث رقم (٦٣٥) ، (١ / ٤١٨ )

(٨) واشتمال اليهود فسره الخطابي بقوله : " هو أن يجلل بدنه الثوب ويسبله من غير أن يشيل طرفه " . انظر :

معالم السنن في هامش سنن أبي داود (١ / ٤١٨) .

(٩) البخاري الصلاة (٣٥٤) ، مسلم الصلاة (٥١٨) ، أبو داود الصلاة (٦٣٣) ، أحمد (٣٣٥/٣) .

(١٠) انظر : صحيح مسلم ، كتاب اللباس ، باب النهي عن اشتمال الصماء ، حديث رقم (٢٠٩٩) ، (٣ / ١٦٦١)؛

وصحيح البخاري ، كتاب اللباس ، باب (٢٠ ، ٢١) ، الأحاديث من (٥٨١٩ - ٥٨٢٢) من فتح الباري (١٠ /

٢٧٨ - ٢٧٩)؛ وسنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب إذا كان الثوب ضيقا ، حديث رقم (٦٣٤) ، (١ / ٤١٧) .

(١١) انظر : الإنصاف (١ / ٤٦٩ - ٤٧٠) .

(١٢) أبو داود الصلاة (٦٣٥) ، أحمد (١٤٨/٢) .

إلى اليهود، دليل على أن هذه الإضافة تأثيراً في النهي، كما تقدم التنبيه عليه.  
 وأيضاً فمما <sup>(٢)</sup> ناهنا الله سبحانه فيه <sup>(٣)</sup> عن مشاهمة أهل الكتاب، وكان حقه أن يقدم  
 في دلائل <sup>(٤)</sup> الكتاب: قوله سبحانه: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا  
 نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ ﴾ <sup>(٥)</sup> .  
 فقوله: ولا يكونوا مثلهم <sup>(٦)</sup> فهي مطلق عن مشاهمتهم <sup>(٧)</sup> وهو خاص أيضاً في النهي  
 عن مشاهمتهم في قسوة قلوبهم، وقسوة القلوب من ثمرات المعاصي.

وقد وصف الله سبحانه بها اليهود في غير موضع، فقال تعالى: ﴿ فقلنا أضربوه ببعضها  
 كذلك يحيي الله الموتى ويريككم آياته لعلكم تعقلون ﴾ <sup>(٨)</sup> ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ  
 فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً <sup>(٩)</sup> وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ  
 فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ <sup>(٩)</sup> وقال  
 تعالى: ﴿ وَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي  
 مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا

(١) إضافة : ساقطة من المطبوعة .

(٢) في (ج د) : مما .

(٣) في (ب ط) : مما ناهنا عنه سبحانه عن مشاهمة . . إلخ .

(٤) كذا في جميع النسخ المخطوطة . وفي المطبوعة : أوائل الكتاب . ولعله يقصد بدلائل الكتاب : ما مر من الاستدلال من  
 كتاب الله على النهي عن مشاهمة الكفار وأهل الكتاب (ص ٩٣) ، وكذلك قوله : أوائل الكتاب؛ فالقصد واحد .

(٥) سورة الحديد : من الآية ١٦ ، وفي المطبوعة أكمل الآية .

(٦) لعله يقصد مفهوم الآية ، وإلا فليس هذا نصها . لذلك قال في المطبوعة : (وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ)  
 وهو نص الآية .

(٧) هذه الجملة وما بعدها وهي : " مشاهمتهم وهو خاص أيضاً في النهي عن " : سقطت من (د) .

(٨) في (ب) وقف هنا ، وقال : الآية . وأظنه اختصار من الناسخ .

(٩) سورة البقرة : الآيتان ٧٣ ، ٧٤ .

حَسَنًا لَّا كَفَرْنَا عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَا دَخَلْنَاكُمْ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿١﴾ (٢) إِلَى  
 قوله: ﴿فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ  
 وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۗ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۗ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ  
 إِنَّ اللَّهَ سُبْحٌبُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ .

وإن قوما من هذه الأمة، ممن ينسب إلى علم أو دين (٤) قد (٥) أخذوا من هذه  
 الصفات (٦) بنصيب، يرى ذلك من له بصيرة، فنعوذ بالله من كل ما يكرهه الله ورسوله،  
 ولهذا: كان السلف يحذرونهم (٧) هذا.

فروى البخاري - في صحيحه - عن أبي الأسود (٨) قال: " بعث أبو موسى إلى قراء  
 البصرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرءوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة  
 وقرائهم، فاتلوه، ولا يطولن عليكم الأمد، فتقسو قلوبكم، كما قست قلوب من كان  
 قبلكم، وإنا كنا نقرأ سورة كنا (٩) نشبهها في الطول والشدة ببراءة، فأنسيتها، غير أني

(١) سورة المائدة آية : ١٢ .

(٢) في المطبوعة : سرد الآية .

(٣) سورة المائدة : الآيتان ١٢ ، ١٣ .

(٤) في (أ) : إلى علم ودين .

(٥) في (ب) : لقد .

(٦) أي من الصفات التي اتصف بها أهل الكتاب وغيرهم من الأمم التي ضلت ، مثل قسوة القلوب والاختلاف ،  
 والرهابية وتحريف كلام الله ، وغير ذلك مما سيذكره المؤلف .

(٧) في المطبوعة : يحذرون .

(٨) هو : أبو الأسود الدؤلي - أو الديلي - واسمه : ظالم بن عمرو بن سفيان ، من بني عدي بن الدليل ، البصري  
 القاضي ، أول من وضع علم النحو بأمر من علي بن أبي طالبقال : إنه أسلم على عهد النبي صلى الله عليه  
 وعلى آله وسلم ، قاتل مع علي يوم الجمل ، وصفوه بأنه ذو دين وعقل ولسان وبيان وفهم وذكاء وحزم ،  
 وهو من ثقات التابعين ، توفي سنة(٦٩هـ) ، وعمره (٨٥) سنة . انظر : تهذيب التهذيب (١٢ / ١٠ ، ١١)  
 ، ترجمة رقم (٥٢) الكنى .

(٩) كنا : ساقطة من المطبوعة ، وفي مسلم كما هو مثبت .

حفظت منها: (لو كان لابن آدم واديان من مال<sup>(١)</sup> لا بتغى<sup>(٢)</sup> واديا ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب). وكنا نقرأ سورة كنا<sup>(٣)</sup> نشبهها بإحدى المسبحات، فأنسيتها، غير أني حفظت منها: (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة).<sup>(٤)</sup> "

فحذر أبو موسى القراء عن<sup>(٥)</sup> أن يطول عليهم الأمد، فتفسو قلوبهم.

ثم لما كان نقض الميثاق يدخل فيه نقض ما عهد إليهم من الأمر والنهي، وتحريف الكلم عن مواضعه، بتبديل<sup>(٦)</sup> وتأويل كتاب الله أخبر ابن مسعود<sup>(٧)</sup> بما يشبه ذلك. فروى الأعمش، عن عمارة بن عمير<sup>(٨)</sup> عن الربيع بن عميلة الفزاري<sup>(٩)</sup> (١٠) (١١) حدثنا عبد الله<sup>(١٢)</sup> حديثا ما سمعت حديثا هو أحسن منه إلا كتاب الله، أو رواية عن

(١) في المطبوعة: من ذهب. وفي مسلم كما هو مثبت.

(٢) في (ب): لا بتغى لهما.

(٣) كنا: سقطت من (ب).

(٤) هذا الحديث لم أحده بطوله في البخاري، وإنما أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب لو أن لابن آدم واديان لا بتغى ثالثا، حديث رقم (١٠٥٠)، (٢ / ٧٢٦)، بهذا اللفظ، وإنما أخرج البخاري جزءا منه عن ابن عباس وعبد الله بن الزبير وأنس، ولفظ رواية ابن عباس: "لو كان لابن آدم واديان من مال لا بتغى ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب"، والروايات الأخرى قريية، من هذا مع اختلاف يسير في الألفاظ والسياق. انظر: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال، الأحاديث رقم (٦٤٣٦، ٦٤٣٧، ٦٤٣٨، ٦٤٣٩، ٦٤٤٠)، (١١ / ٢٥٣) من فتح الباري.

(٥) عن: ساقطة من المطبوعة.

(٦) في (أ ب ط): تبديل تأويل، وفي المطبوعة: وتبديل وتأويل.

(٧) في المطبوعة: رضي الله عنه.

(٨) هو: عمارة بن عمير التيمي الكوفي، من الطبقة الرابعة، قال ابن حجر: ثقة، ثبت، مات بعد المائة، وقيل: قبلها بستين. انظر: تقريب التهذيب (٢ / ٥٠)، ترجمة (٣٧٧) ع.

(٩) في المطبوعة: بن أبي عميلة، وهو خلاف ما جاء في النسخ الأخرى وتهذيب التهذيب.

(١٠) هو: الربيع بن عميلة الفزاري الكوفي، ذكر في تهذيب التهذيب أن ابن معين وابن حبان وابن سعد والعجلي، وثقوه. انظر: تهذيب التهذيب (٣ / ٢٤٩، ٢٥٠)، وترجمة رقم (٤٧٦).

(١١) الفزاري: ساقطة من (أ ط).

(١٢) يعني ابن مسعود رضي الله عنه.



رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup> ﴿ إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد قست قلوبهم، فاخترعوا كتابا من عند أنفسهم، اشتتهه قلوبهم، واستحلته<sup>(٢)</sup> أنفسهم، وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم، حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، كأنهم لا يعلمون، فقالوا اعرضوا هذا الكتاب على بني إسرائيل فإن تابعوكم فاتركوهم، وإن خالفوكم فاقتلوهم، ثم قالوا: لا، بل أرسلوا إلى فلان رجل من علمائهم، فاعرضوا عليه هذا الكتاب، فإن تابعكم فلن يخالفكم أحد بعده<sup>(٣)</sup> وإن خالفكم فاقتلوه، فلن يختلف عليكم بعده<sup>(٤)</sup> أحد، فأرسلوا إليه، فأخذ ورقة فكتب فيها كتاب الله، ثم جعلها في قرن، ثم علقها في عنقه، ثم لبس عليها الثياب، ثم أتاهم فعرضوا عليه الكتاب، فقالوا: أتؤمن بهذا؟ فأوما إلى صدره فقال: آمنت بهذا، ومالي لا أؤمن بهذا؟ - يعني الكتاب الذي في القرن- فخلوا سبيله وكان له أصحاب يغشونه، فلما مات نبشوه فوجدوا القرن، فوجدوا<sup>(٥)</sup> فيه الكتاب، فقالوا: ألا ترون قوله: آمنت بهذا، ومالي لا أؤمن بهذا<sup>(٦)</sup>؟ إنما عنى هذا الكتاب، فاختلف بنو إسرائيل على بضع وسبعين ملة، وخير مللهم: أصحاب ذي القرن، ﴿ قال عبد الله: " وإن من بقي منكم سيرى منكرا، وبحسب امرئ يرى<sup>(٧)</sup> منكرا لا يستطيع أن يغيره، أن يعلم الله من قلبه أنه له كاره " <sup>(٨)</sup> .

(١) في المطبوعة : قال .

(٢) في (أ) : واستحبتة .

(٣) بعده : سقطت من (أ) .

(٤) في (ط) : أحد بعده .

(٥) في (أ ط) : ووجدوا .

(٦) لا : ساقطة من (أ) .

(٧) في (أ) : رأى .

(٨) ذكر ابن جرير الطبري هذا مختصرا في تفسيره جامع البيان ، والمشهور بتفسير الطبري في تفسير سورة الحديد ، عند قوله تعالى : " أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ " سورة الحديد : من الآية ١٦ ، ( ٢٧ / ١٣٢ ) ، وذكره ابن كثير بطوله مع اختلاف يسير في ألفاظه ، عن ابن أبي حاتم بسنده عن ابن مسعود . انظر : تفسير ابن كثير ( ٦ / ٥٥٩ ، ٥٦٠ ) ، طبعة دار الأندلس المحففة ( ١٣٨٥ هـ ) في تفسير الآية المشار إليها .

ولما نهى <sup>(١)</sup> الله عن التشبه بهؤلاء الذين قست قلوبهم، ذكر أيضا في آخر السورة حال الذين ابتدعوا الرهبانية، فما رعوها حق رعايتها فعقبها بقوله: <sup>(٢)</sup> ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ <sup>(٣)</sup> لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ <sup>(٤)</sup> وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ <sup>(٥)</sup> وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ <sup>(٦)</sup> ﴿٤﴾ فَإِنِ الْإِيمَانُ بِالرَّسُولِ: <sup>(٧)</sup> تصديقه وطاعته <sup>(٨)</sup> واتباع شريعته، وفي ذلك مخالفة للرهبانية؛ لأنه لم يبعث بها، بل نهى عنها، وأخبر: أن من اتبعه <sup>(٩)</sup> كان له أجران، وبذلك جاءت <sup>(١٠)</sup> الأحاديث الصحيحة، من طريق ابن عمر وغيره، في مثلنا ومثل أهل الكتاب.

وقد صرح <sup>(١١)</sup> بذلك <sup>(١٢)</sup> فيما رواه أبو داود في سننه، من حديث ابن وهب <sup>(١٣)</sup> وأخبرني سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء <sup>(١٤)</sup> أن سهل بن أبي أمامة <sup>(١٥)</sup> حدثه أنه دخل هو وأبوه على أنس بن مالك بالمدينة، فقال: إن رسول الله <sup>(١٦)</sup> كان يقول: ﴿ لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم، فإن قوما شددوا على أنفسهم، فشدد الله عليهم، فتلك

(١) في (ط) : ولما نهى سبحانه .

(٢) في المطبوعة : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله . . إلخ الآيات .

(٣) من هنا إلى قوله : فإن الإيمان بالرسول (سطر تقريبا) : سقط من (أ ط) .

(٤) سورة الحديد : الآيتان ٢٨ ، ٢٩ .

(٥) في المطبوعة : هو تصديقه .

(٦) في (أ) : وإطاعته .

(٧) في المطبوعة زاد : من أهل الكتاب .

(٨) جاءت : ساقطة من (أ) .

(٩) بذلك : ساقطة من (أ) .

(١٠) هو : عبد الله بن وهب ، كذا في أبي داود ، وهو القرشي ، مولاهم ، مرت ترجمته . انظر : فهرس الأعلام .

(١١) هو : سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء الكناني المصري ، قال ابن حجر في التقریب : " مقبول ، من السابعة " . انظر : تقریب التهذيب ( ١ / ٣٠٠ ) ، ترجمة رقم (٢١٣) سعيد .

(١٢) هو : سهل بن أبي أمامة : وأبو أمامة : أسعد بن سهل بن حنيف الأنصاري ، الأوسي . ذكر ابن حجر عن ابن معين والعجلي وابن حبان أنه ثقة ، توفي بالإسكندرية . انظر : تهذيب التهذيب ( ٤ / ٢٤٦ - ٢٤٧ ) ، (ت ٤٢٢) س .

بقاياهم في الصوامع والديارات <sup>(١)</sup> رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ﴿ <sup>(٢)</sup> .

هذا <sup>(٣)</sup> الذي في رواية اللؤلؤي <sup>(٤)</sup> عن أبي داود، وفي رواية ابن داسة <sup>(٥)</sup> عنه: أنه دخل هو وأبوه على أنس بن مالك بالمدينة، في زمان عمر بن عبد العزيز <sup>(٦)</sup> وهو أمير بالمدينة، فإذا هو يصلي صلاة خفيفة، كأنها صلاة المسافر <sup>(٧)</sup> أو قريبا منها، فلما سلم قال: يرحمك الله، أرأيت هذه الصلاة المكتوبة أم شيء تنفلته؟ قال: إنها <sup>(٨)</sup> للمكتوبة، وإنها لصلاة رسول الله ﷺ كان يقول: ﴿ لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله <sup>(٩)</sup> عليكم، فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله <sup>(١٠)</sup> عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات <sup>(١١)</sup> .

(١) في (أ) : والديار .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب في الحسد ، حديث رقم (٤٩٠٤) ، (٥ / ٢٠٩ - ٢١٠) ، وللحديث بقية في بعض نسخ أبي داود ، وسيدكرها المؤلف هنا ، وسمى هذه : رواية اللؤلؤي .

(٣) من هنا : قوله : ( هذا الذي في رواية اللؤلؤي . . ) إلى نهاية قوله : ( ما كتبناها عليهم ) ص ٢٩٧ : سقطت من (ج) ، أي أنه أدخل قوله : ثم غدا من الغد . . إلخ في رواية اللؤلؤي ، بينما أهمل رواية ابن داسة ، وأظنه خلطا من الناسخ .

(٤) اللؤلؤي هو : محمد بن أحمد بن عمر البصري ، اللؤلؤي ، أبو علي ، هو آخر من روى عن أبي داود سننه . انظر : اللباب في تهذيب الأنساب (٣ / ١٣٤) ، باب اللام والواو .

(٥) هو : محمد بن أبي بكر بن عبد الرزاق بن داسة التمار ، تلميذ أبي داود ، وهو واللؤلؤي - السابقة ترجمته - اللذان يرويان عن أبي كتابه السنن ، توفي سنة (٣٤٦هـ) . انظر : ترجمة أبي داود في مقدمة سننه التي أعدها عزت الدعاس (١ / ٨) ، وانظر : شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٢ / ٣٧٣) .

(٦) هو : الخليفة العادل ، أمير المؤمنين ، عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي ، ويسمى : الخليفة الراشد الخامس؛ لصلاحه وعدله ، ولد بالمدينة المنورة سنة (٦١هـ) ، وتولى إمارتها في عهد الوليد بن الملك ، ثم استوزره سليمان بن عبد الملك بالشام ، وعهد إليه بالخلافة بعد وفاته سنة (٩٩هـ) ، فرجع المظالم وولى على الناس خيارهم وعم في عهده الأمن والرخاء والعدل رغم قصر عهده ، توفي سنة (١٠١هـ) . انظر : البداية والنهاية (٩ / ١٩٢ - ١٩٦)؛ والأعلام للزركلي (٥ / ٥٠) .

(٧) في (أ ط) : مسافر .

(٨) في (أ) : المكتوبة .

(٩) في (أ ب ط) : لم يذكر اسم الجلالة .

(١٠) في (أ ب ط) : لم يذكر اسم الجلالة .

(١١) في (أ ط) : والديار ، والصحيح ما أثبتته ، والديارات هي دور الرهبان والراهبات من النصراني . انظر : المعجم الوسيط (١ / ٣٠٦) ، والقاموس المحيط ، فصل الدال ، باب الراء ، (٢ / ٣٤) .

رهبانية ابتدعوها، ما كتبناها عليهم ❁ .

ثم غدا من الغد، فقال: ألا تركب لتنظر ولتعتبر<sup>(١)</sup>؟ قال: نعم، فركبوا<sup>(٢)</sup> جميعا، فإذا بديارٍ بادَ أهلها وانقضوا وفنوا، خاوية على عروشها، قال: أتعرف هذه الديار؟ فقال: نعم، ما<sup>(٣)</sup> أعرفني بها وبأهلها، هؤلاء أهل ديار أهلكم الله<sup>(٤)</sup> يبيغهم وحسدكم؛ إن الحسد يطفئ نور الحسنات، والبغي يصدق ذلك أو يكذبه، والعين تزني والكف، والقدم، والجسد، واللسان، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه<sup>(٥)</sup> .

فأما سهل بن أبي أمامة، فقد وثقه يحيى بن معين وغيره، وروى له<sup>(٦)</sup> مسلم وغيره. أما ابن أبي العمياء، فمن أهل بيت المقدس ما أعرف حاله<sup>(٧)</sup> لكن رواية أبي داود للحديث، وسكوته عنه: يقتضي أنه حسن عنده، وله شواهد في الصحيح<sup>(٨)</sup> .

فأما ما فيه من وصف صلاة رسول الله ﷺ بالتخفيف: ففي الصحيحين عنه - أعني: أنس بن مالك - قال: " كان النبي ﷺ يوجز الصلاة ويكملها " <sup>(٩)</sup> .

وفي الصحيحين أيضا عنه قال: " ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة، ولا أتم من

(١) في (ب ط) : لتنظر ونعتبر ، وفي المطبوعة : وننظر لنعتر ، وفي أبي داود كما أثبتته .

(٢) في المطبوعة : فركبا .

(٣) في (أ ب ط) : فقال : ما أعرفني ، وفي أبي داود : فقلت : ما أعرفني .

(٤) في (أ ط) : أهلكم البغي والحسد ، وكذلك أبي داود .

(٥) هذا هو الحديث السابق الذي أشرت إليه في سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب في الحديث ، حديث رقم (

٤٩٠٤ ) ، ( ٥ / ٢٠٩ ، ٢١٠ ) .

(٦) له : سقطت من (أ) .

(٧) ذكرت أن ابن حجر قال : مقبول . وقال في التهذيب ( ٤ / ٥٧ ) : " ذكره ابن حبان في الثقات " .

(٨) سيذكر المؤلف شيئا منها هنا .

(٩) في (أ) : رسول الله .

(١٠) رواه البخاري في كتاب الأذان ، باب الإيجاز في الصلاة وإكمالها ، حديث رقم (٧٠٦) من فتح الباري ، ( ٢ /

٢٠١ ) . ومسلم في كتاب الصلاة ، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام ، حديث رقم (٤٦٩) ، ( ١ / ٣٤٢ ) ،

ولفظه : " عن أنس أن النبي وعلى آله وسلم كان يوجز في الصلاة ويتم " ، وفي لفظ : " أن رسول الله صلى الله عليه

وعلى آله وسلم كان من أخف الناس صلاة في تمام " .

صلاة النبي ﷺ " . زاد البخاري: " وإن كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف، مخافة أن تفتتن أمه " (١) .

وما ذكره أنس بن مالك من التخفيف: هو (٢) بالنسبة إلى ما كان يفعله بعض الأمراء وغيرهم في قيام الصلاة، فإن منهم من كان يطيل القيام (٣) زيادة على ما كان النبي ﷺ يفعله في غالب الأوقات، ويخفف (٤) الركوع والسجود والاعتدال فيهما (٥) عما كان النبي ﷺ يفعله في غالب الأوقات، ولعل أكثر الأئمة، أو كثيرا منهم، كانوا قد صاروا يصلون كذلك، ومنهم من كان (٦) يقرأ في الأخيرتين (٧) مع الفاتحة، سورة، وهذا كله قد صار مذاهب لبعض الفقهاء، وكان الخوارج أيضا قد تعمقوا وتنطعوا كما وصفهم النبي ﷺ بقوله: ﴿ يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم ﴾ (٨) (٩) .

ولهذا لما صلى علي (١٠) ﷺ بالبصرة قال عمران (١١) (١) " لقد أذكرني (٢) هذا صلاة

(١) انظر : صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي ، حديث رقم (٧٠٨) من فتح الباري (١ / ٢٠١ ، ٢٠٢)؛ وصحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام ، تحت الرقم السابق (٤٦٩) (١ / ٣٤٢) ، وفيه الزيادة التي أشار الشيخ هنا أنها في البخاري ولفظها في مسلم : " كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يسمع بكاء الصبي مع أمه وهو في الصلاة ، فيقرأ بالسورة الخفيفة أو بالسورة القصيرة " .

(٢) في المطبوعة : فهو .

(٣) القيام : ساقطة من المطبوعة .

(٤) في (ب) : وتخفيف .

(٥) فيهما : ساقطة من (المطبوعة) .

(٦) كان : ساقطة من (أ ط) .

(٧) في المطبوعة : بالأخرين ، وفي (ط) : في الأخيرين .

(٨) البخاري المناقب (٣٤١٤) ، مسلم الزكاة (١٠٦٤) ، أحمد (٦٥/٣) .

(٩) هذا جزء من حديث ورد في الصحيحين وغيرهما : انظر : صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة ، حديث رقم (٣٦١٠) من فتح الباري ، (٦ / ٦١٧)؛ وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ، حديث رقم (١٤٨) ، (٢ / ٧٤٤) .

(١٠) في المطبوعة : ابن أبي طالب .

(١١) في المطبوعة : ابن حصين .

صلاة رسول الله ﷺ " (٣) .

وكانت صلاة رسول ﷺ (٤) الله معتدلة: كان يخفف القيام والقعود، ويطيل الركوع والسجود.

وقد جاء هذا مفسرا، عن أنس بن مالك نفسه، فروى النسائي عن قتيبة (٥) عن العطاف بن خالد (٦) عن زيد بن أسلم (٧) قال: " دخلنا على أنس بن مالك، فقال: صليتم؟ قلنا: نعم. قال: يا جارية، هلمي لي وضوءا، ما صليت وراء إمام أشبه بصلاة رسول الله ﷺ من إمامكم هذا - قال زيد - وكان عمر بن عبد العزيز يتم الركوع والسجود، ويخفف القيام والقعود (٨) .

وهذا حديث صحيح، فإن العطاف بن خالد المخزومي قال فيه يحيى بن معين - غير مرة - : " هو ثقة " (٩) . وقال أحمد بن حنبل: " هو من أهل مكة، ثقة صحيح الحديث،

---

(١) هو الصحابي الجليل : عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي الكعبي ، أبو نجيذ ، أسلم عام خيبر وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عدة غزوات ، وبعثه عمر بن الخطاب إلى البصرة يفتقه أهلها ، وتولى قضاء البصرة في عهد عبد الله بن عامر ، ثم استعفى فأعفاه ، وكان مجاب الدعوة ، ولم يشهد الفتنة ، توفي سنة (٥٢هـ) . انظر : أسد الغابة (٤ / ١٣٧ ، ١٣٨) .

(٢) في (أ) : ذكرني .

(٣) قول عمران في صلاة علي ورد في البخاري في أكثر من موضع وبألفاظ . انظر : الأحاديث في فتح الباري ، رقم (٧٨٤) و (٧٨٦) و (٨٢٦) .

(٤) في (أ ط) : النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(٥) هو : قتيبة بن سعيد الثقفي ، ثقة . مرت ترجمته . انظر : فهرس الأعلام .

(٦) هو : عطاف بن خالد بن عبد الله بن العاص المخزومي ، أبو صفوان ، المدني ، قال في تقريب التهذيب : " صدوق يهم ، من السابعة ، مات قبل مالك " . تقريب التهذيب (٢ / ٢٤) ، (ت ٢١٢) ع . وذكر المؤلف توثيق الأئمة له كأحمد وابن معين .

(٧) هو : زيد بن أسلم العدوي ، أبو عبد الله ، أبوه مولى عمر بن الخطاب المدني ، قال ابن حجر : " ثقة عالم ، كان يرسل ، من الثالثة " ، توفي سنة (١٣٦هـ) . انظر : تقريب التهذيب (١ / ٢٧٢) ، (ت ١٥٧) ز .

(٨) سنن النسائي ، كتاب الافتتاح ، تخفيف القيام والقراءة ، (٢ / ١٦٦) .

(٩) انظر : تهذيب التهذيب (٧ / ٢٢١ ، ٢٢٣) ، ترجمة رقم (٤٠٩) ، وقد ذكر أن أحمد قال : " هو من أهل المدينة " .

روى عنه نحو مائة حديث " (١) .

وقال ابن عدي: " يروي قريبا من مائة حديث، ولم أر بجديته بأسا إذا حدث عنه ثقة " (٢) .

وروى أبو داود والنسائي من حديث عبد الله بن إبراهيم بن عمر بن كيسان (٣) حدثني أبي عن وهب بن مانوس (٤) سمعت سعيد بن جبير (٥) يقول: " سمعت أنس بن مالك يقول: ما صليت وراء أحد بعد رسول الله ﷺ أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الفتى - يعني عمر بن عبد العزيز - قال: فحزرتنا (٦) في ركوعه عشر تسيحات، وفي سجوده عشر تسيحات " (٧) .

وقال يحيى بن معين: " إبراهيم بن عمر بن كيسان: يماي ثقة " (٨) . وقال هشام بن يوسف: " أخبرني إبراهيم بن عمر، وكان من أحسن الناس صلاة " (٩) ؛ وابنه عبد

(١) انظر: المصدر السابق .

(٢) انظر: المصدر السابق .

(٣) عرفه المؤلف بما يكفي ، وكذلك أبوه إبراهيم ، ذكر عنهما الشيخ ما فيه غنى عن ترجمتهما .

(٤) هو : العدني ، ويقال : البصري . انظر : تهذيب التهذيب ( ١١ / ١٦٦ ) ، ( ت ٢٨٧ ) ، و ، وقد تكلم عنه الشيخ أيضا بما يكفي .

(٥) هو : سعيد بن جبير بن هشام الأسدي ، مولاهم ، الكوفي ، أبو عبد الله ، وقيل : أبو محمد ، من أئمة السلف ، من الطبقة الثالثة ، ومن الفقهاء والعلماء الصالحين الثقات ، وكان عابدا فاضلا ورعا ، خرج مع ابن الأشعث على الحجاج والي بني أمية ، فلما تمكن منه الحجاج قتله ، وذلك سنة ( ٩٥ هـ ) وعمره ( ٤٩ ) ، وقيل ( ٤٧ ) سنة . انظر : تهذيب التهذيب ( ٤ / ١١ - ١٤ ) ، ترجمة ( ١٤ ) .

(٦) حزرتنا : قدرنا وحرصنا . انظر : مختار الصحاح ، مادة ( ح ر ز ) ، ( ص ١٣٣ ) .

(٧) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب مقدار الركوع والسجود ، حديث رقم ( ٨٨٨ ) ، ( ١ / ٥٥١ ) ؛ وسنن النسائي ، كتاب الافتتاح ، باب عدد التسييح في السجود ، ( ٢ / ٢٢٤ ، ٢٢٥ ) ؛ ومسنند أحمد ( ٣ / ١٦٢ ) ، ( ١٦٣ ) ، وقد تكلم المؤلف عن إسناد الحديث بما يكفي .

(٨) في ( أ ) : قال .

(٩) انظر تهذيب التهذيب ( ١ / ١٤٧ ) ، ( ت ٢٦٣ ) .

(١٠) المصدر السابق .

الله قال فيه أبو حاتم: " صالح الحديث " (١) .

ووهب بن مانوس - بالنون - يقوله (٢) عبد الله هذا (٣) وكان عبد الرزاق (٤) يقوله:  
بالباء المنقوطة بواحدة (٥) من أسفل. وهو شيخ كبير (٦) قديم، قد أخذ عنه إبراهيم هذا،  
واتبع ما حدثه (٧) به، ولولا ثقته عنده لما عمل بما حدثه (٨) به، وحديثه موافق لرواية زيد  
بن أسلم، وما أعلم فيه قدحا.

وروى مسلم في صحيحه، من حديث حماد بن سلمة، أخبرنا (٩) ثابت (١٠) عن أنس (١١)  
قال: " ما صليت خلف أحد أوجز صلاة من صلاة رسول الله ﷺ في تمام، كانت صلاة  
رسول الله ﷺ متقاربة، وكانت صلاة أبي بكر رضي الله عنه (١٢) متقاربة، فلما كان عمر (١٣) مد  
في صلاة الفجر، وكان رسول الله ﷺ إذا قال: سمع الله لمن حمده، قام حتى نقول: (١٤) قد  
أوهم، ثم يسجد ويقعد بين السجدين، حتى نقول: (١٥) قد أوهم " (١٦) .

(١) انظر: الجرح والتعديل (٥ / ٣) ، ترجمة رقم (١١) .

(٢) في (ج) : يقول .

(٣) يقصد : عبد الله بن إبراهيم بن عمر بن كيسان ، المذكور آنفا .

(٤) هو : عبد الرزاق بن همام الصنعائي ، مرت ترجمته ، انظر : فهرس الأعلام .

(٥) في (أ) : واحدة ، والمقصود أن عبد الرزاق يسميه : ابن بانوس .

(٦) كبير : ساقطة من (أ ط) .

(٧) في (ط) : ما حدث .

(٨) في (ط) : ما حدث به .

(٩) في (أ) : أنا ثابت ، أي : أنبانا .

(١٠) هو : ثابت بن أسلم البناني البصري ، مرت ترجمته ، انظر : فهرس الأعلام .

(١١) في المطبوعة : بن مالك .

(١٢) ساقطة من (أ ط) .

(١٣) في (ط) : بن الخطاب .

(١٤) في (ب) : يقول .

(١٥) في (ب) : يقول .

(١٦) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب اعتدال أركان الصلاة وتحفيفها في تمام ، حديث رقم (٤٧٣) ، (١ / ٣٤٤) ،

وأوهم : بمعنى غلط وسها . انظر : مختار الصحاح ، مادة (و ه م) ، (ص ٧٣٨) .



ورواه أبو داود، من حديث حماد بن سلمة، أنبأنا<sup>(١)</sup> ثابت وحميد، عن أنس بن مالك، قال: " ما صليت خلف رجل أوجز صلاة من رسول الله ﷺ في تمام، وكان رسول الله ﷺ إذا قال: " سمع الله لمن حمده قام " حتى نقول<sup>(٢)</sup> قد أوهم. ثم يكبر ثم يسجد. وكان يقعد بين السجدين حتى نقول قد أوهم " <sup>(٣)</sup> .

فجمع أنس رضي<sup>(٤)</sup> الله عنه في هذا الحديث الصحيح، بين الإخبار بإيجاز النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الصلاة وإتمامها، وبين أن من إتمامها الذي أخبر به: إطالة الاعتدالين، وأخبر في الحديث المتقدم: أنه ما رأى<sup>(٥)</sup> أوجز من صلاته، ولا أتم. فيشبهه - والله أعلم - أن يكون الإيجاز عاد إلى القيام، والإتمام إلى الركوع والسجود؛ لأن القيام، لا يكاد يفعل إلا تاما، فلا يحتاج إلى الوصف بالإتمام، بخلاف الركوع والسجود والاعتدالين.

وأىضا، فإنه بإيجاز القيام، وإطالة الركوع والسجود تصير الصلاة تامة، لاعتدالها وتقاربها، فيصدق قوله: " ما رأيت أوجز ولا أتم " .

فأما إن أعيد الإيجاز إلى نفس ما أتم<sup>(٦)</sup> والإتمام إلى نفس ما أوجز<sup>(٧)</sup>؛ فإنه يصير في الكلام تناقضا، لأن من طول القيام على قيامه<sup>(٨)</sup> لم يكن دونه في إتمام القيام، إلا أن يقال: الزيادة في الصورة تصير<sup>(٩)</sup> نقصا في المعنى، وهذا خلاف ظاهر اللفظ، فإن الأصل: أن

(١) في (ط) : أخبرنا .

(٢) في (أ ب) : يقول .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب طول القيام من الركوع ، وبين السجدين ، حديث رقم (٨٥٣) ، (١) / ٥٣٢ ورجاله ثقات .

(٤) ساقطة من (ب ج د) .

(٥) في (ط) : ما روى ، ولعله تحريف من الناسخ .

(٦) في المطبوعة : إلى لفظ : لا أتم .

(٧) في المطبوعة أيضا قال : إلى لفظ : لا أوجز .

(٨) في المطبوعة : صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(٩) في (ب) : يصير .

يكون معنى الإيجاز والتخفيف غير معنى الإتمام والإكمال؛ ولأن زيد بن أسلم قال: " كان عمر يخفف القيام والقعود، ويتم الركوع والسجود " فعلم أن لفظ الإتمام عندهم، هو إتمام الفعل الظاهر.

وأحاديث أنس كلها تدل<sup>(١)</sup> على أن النبي ﷺ كان يطيل الركوع والسجود والاعتدالين، زيادة على ما يفعله<sup>(٢)</sup> أكثر الأئمة. وسائر<sup>(٣)</sup> روايات الصحيح تدل على ذلك.

ففي الصحيحين: عن حماد بن زيد، عن ثابت، عن أنس بن مالك قال: " إني لا آلو أن أصلي بكم<sup>(٤)</sup> كما كان رسول الله ﷺ يصلي بنا ".

قال ثابت: " فكان أنس يصنع شيئاً لا أراكم تصنعونه: وإذا رفع رأسه من الركوع انتصب قائماً، حتى يقول القائل: قد نسي، وإذا رفع رأسه من السجدة<sup>(٥)</sup> مكث، حتى يقول القائل<sup>(٦)</sup> قد نسي " <sup>(٧)</sup>.

وفي رواية - في الصحيح - " وإذا رفع رأسه بين السجدين " <sup>(٨)</sup>.

وفي<sup>(٩)</sup> رواية للبخاري، من حديث شعبة، عن ثابت: " كان أنس ينعت لنا صلاة رسول الله ﷺ فكان يصلي، <sup>(١٠)</sup> وإذا رفع رأسه من الركوع قام حتى نقول<sup>(١)</sup> قد نسي<sup>(٢)</sup> فهذا يبين

(١) في (ب) : يدل .

(٢) في المطبوعة : فعله .

(٣) سائر : ساقطة من (أ) .

(٤) في المطبوعة : لكم ، وفي مسلم والبخاري كما أثبتته .

(٥) في (ط) : في السجدة .

(٦) في المطبوعة : نقول .

(٧) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب المكث بين السجدين ، حديث رقم (٨٢١) فتح الباري (٢ / ٣٠١) .

وصحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب اعتدال أركان الصلاة وتخفيفها في تمام ، حديث رقم (٤٧٢) ، (١ / ٣٤٤) ، واللفظ لمسلم ، ولفظ البخاري اختلافه يسير .

(٨) انظر : صحيح البخاري ، الحديث السابق .

(٩) في (ب) : لرواية .

(١٠) كذا في (ط) ، وفي صحيح البخاري ، وفي (ب ج د) والمطبوعة : فإذا .

يبين لك أن أنسا أراد بصلاة رسول الله ﷺ إطالة الركوع والسجود، والرفع فيهما، على ما كان الناس يفعلونه، وتقصير القيام عما كان الناس يفعلونه (٣) .

وروى مسلم في صحيحه، من حديث جعفر بن سليمان (٤) عن ثابت، عن أنس قال: " كان رسول الله ﷺ يسمع بكاء الصبي مع أمه، وهو في الصلاة، فيقرأ بالسورة الخفيفة أو بالسورة القصيرة " (٥) .

فبين أن التخفيف الذي كان يفعله (٦) هو تخفيف القراءة، وإن كان ذلك يقتضي (٧) ركوعا وسجودا يناسب القراءة، ولهذا قال: " كانت صلاته متقاربة "، أي يقرب بعضها من بعض.

وصدق أنس (٨) فإن النبي ﷺ كان يقرأ في الفجر بنحو الستين إلى المائة (٩) يقرأ في الركعتين بطول المفصل بـ: الم. تتزيل، وهل أتى، وبالصفات، وبقاف؛ وربما قرأ أحيانا بما هو أطول من ذلك، وأحيانا بما هو أخف (١٠) .

(١) في (ب) : يقول .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب الطمأنينة حين يرفع رأسه من الركوع ، حديث رقم (٨٠٠) من فتح الباري ، (٢ / ٢٨٧) .

(٣) قوله : وتقصير القيام عما كان الناس يفعلونه : سقطت من (ج د) .

(٤) هو : جعفر بن سليمان الضبي ، البصري ، أبو سليمان ، من الطبقة الثامنة ، ثقة ، أخرج له البخاري ومسلم ، قال ابن حجر في التقریب : " صدوق زاهد لكنه كان يتشيع " ، توفي سنة (١٧٨هـ) . انظر : تقریب التهذيب (١ / ١٣١) ، (ت ٨٣)

ج .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام ، حديث رقم (٤٧٠) ، (١ / ٣٤٢)

(٦) في المطبوعة : صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(٧) من هنا حتى قوله : (قريبا من قيامه بقدر معظمه) ، (ص ٣١٢) ، سطر (٤) ، ورقة كاملة من المخطوطة (د) ساقطة .

(٨) في (أ ط) : رضي الله عنه .

(٩) انظر : صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب القراءة في الفجر ، حديث رقم (٧٧١) من فتح الباري (٢ / ٢٥١) ، وصحيح مسلم ، حديث رقم (٦٤٧) ، (١ / ٤٤٧) .

(١٠) انظر : صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، الأحاديث رقم (٤٥٧) ، (٤٥٨) ، (١ / ٣٣٦ ، ٣٣٧) ، ورقم (٨٧٩) ، (٢ / ٥٩٩) .

فأما عمر رضي الله عنه فكان يقرأ في الفجر بيونس، وهود، ويوسف، ولعله <sup>(١)</sup> علم أن الناس حلفه يؤثرون ذلك.

وكان معاذ رضي الله عنه قد صلى حلفه <sup>(٢)</sup> الآخرة ثم ذهب إلى بني عمرو بن عوف بقباء، فقرأ فيها بسورة البقرة <sup>(٣)</sup> فأنكر النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> ذلك. وقال: ﴿أفتان أنت يا معاذ، إذا أمت الناس فخفف، فإن من ورائك الكبير والضعيف وذا الحاجة. هلا قرأت بسبح اسم ربك الأعلى، والشمس وضحاها، ونحوها <sup>(٥)</sup> من السور؟﴾ <sup>(٦)</sup>.

فالتخفيف الذي أمر به النبي صلى الله عليه وسلم معاذًا، وغيره من الأئمة، هو ما كان يفعله - بأبي هو <sup>(٧)</sup> وأمي - صلى الله عليه وسلم فإنه <sup>(٨)</sup> كما قال أنس: " كان أخف الناس صلاة في تمام ".  
وقد <sup>(٩)</sup> قال: ﴿صلوا كما رأيتموني أصلي﴾ <sup>(١٠)</sup> <sup>(١١)</sup>.

ثم إن عرض حال عرف منها إثارة المأمومين للزيادة على ذلك فحسن، فإنه صلى الله عليه وسلم قرأ في

---

(١) في (أ ط) : رضي الله عنه .

(٢) أي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى آله وسلم ، وقد فسرها في المطبوعة في المتن ، وكان الأولى أن يضعها في الهامش .

(٣) أي قرأها في الصلاة .

(٤) في (أ) : عليه ذلك .

(٥) في المطبوعة : ونحوها .

(٦) هذا الحديث بمعناه ورد في الصحيحين وغيرهما . انظر : صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب من شك إمامه

إذا طول ، حديث رقم (٧٠٥) من فتح الباري (٢ / ٢٠٠)؛ وصحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب القراءة في

العشاء ، حديث رقم (٤٦٥) ، (١ / ٣٣٩) .

(٧) في (ط) : هو بأبي وأمي .

(٨) في (ط) : فإنه كان كما قال أنس .

(٩) قوله : وقد قال : " صلوا كما رأيتموني أصلي " : ساقطة من (أ) .

(١٠) البخاري الأذان (٦٠٥) ، الدارمي الصلاة (١٢٥٣) .

(١١) أخرجه البخاري في أكثر من موضع . انظر : كتاب الأذان ، باب الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة . . إلخ

، حديث رقم (٦٣١) ، (٢ / ١١١) من فتح الباري . وفيه : " وصلوا كما رأيتموني أصلي " . وأحمد في

المسند (٥ / ٥٣) ، في مسند الحويرث بن مالك وفيه : " وصلوا كما تروني أصلي " .

المغرب: بطولى الطوليين<sup>(١)</sup> وقرأ فيها بالطور.

وإن عرض ما يقتضي التخفيف عن ذلك فعل، كما قال في بقاء الصبي ونحوه.  
فقد تبين<sup>(٢)</sup> أن حديث أنس تضمن مخالفة من خفف الركوع والسجود، تخفيفا  
كثيرا، ومن طول القيام تطويلا كثيرا. وهذا الذي وصفه أنس،<sup>(٣)</sup> ووصفه سائر الصحابة.  
فروى<sup>(٤)</sup> مسلم في صحيحه، وأبو داود في سننه<sup>(٥)</sup> عن هلال بن أبي حميد<sup>(٦)</sup> عن  
عبد الرحمن بن أبي ليلي<sup>(٧)</sup> عن البراء بن عازب<sup>(٨)</sup> قال: " رمقت الصلاة مع محمد ﷺ  
فوجدت قيامه، فركعته، فاعتداله بعد ركوعه، فسجدته، فجلسته بين السجدين، فجلسته  
ما بين التسليم والانصراف: قريبا من السواء " <sup>(٩)</sup> .

وروى مسلم أيضا في صحيحه، عن شعبة<sup>(١٠)</sup> عن الحكم<sup>(١)</sup> قال: " غلب على

---

(١) طولي الطوليين: أي أطول السورتين اللتين هما المائة والأعراف، وقيل: الأنعام والأعراف، وعلى التقديرين  
فطولاهما هي الأعراف. انظر: فتح الباري (٢ / ٢٤٧)؛ جامع الأصول (٥ / ٣٤٤).

(٢) في (ب): بين .

(٣) في (ب ج): بواو واحدة .

(٤) في المطبوعة: وروى .

(٥) في سننه: ساقطة من (ب ج) .

(٦) هو: هلال بن أبي حميد الجهني، مولاهم، ويقال: ابن حميد، الكوفي، الصديقي، ذكر ابن حجر عن ابن معين وابن  
حبان والنسائي توثيقه، وأخرج له البخاري ومسلم وغيرهما. انظر: تهذيب التهذيب (١١ / ٧٧)، ترجمة رقم (١٢٢).

(٧) هو: عبد الرحمن بن أبي ليلي الأنصاري المدني، من الطبقة الثانية من التابعين، إمام حافظ ثقة، مات بوقعة  
الجماحم سنة (٨٦هـ). انظر: تقريب التهذيب (١ / ٤٩٦)، ترجمة (١٠٩٤) ع.

(٨) هو الصحابي الجليل: البراء بن عازب بن الحارث بن عدي، الأوسي الأنصاري، من صغار الصحابة، غزا  
مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أربع عشرة غزوة، وشهد مع علي الجمل وصفين، وقاتل  
الخوارج، وقبل ذلك افتتح الري وشهد غزوة تستر مع أبي موسى. انظر الإضافة (١ / ١٤٧)، حرف الباء .  
(٩) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب اعتدال أركان الصلاة وتخفيفها في تمام، حديث رقم (٤٧١)، (١ / ٣٤٣)

(١٠) هو: شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي، مولاهم، الواسطي، ثم البصري، أبو بسطام، من الثقات الأئمة  
الحفاظ المتقنين، قال ابن حجر في التقريب: " كان الثوري يقول: هو أمير المؤمنين في الحديث، وهو أول

الكوفة رجل - قد سماه - زمن ابن الأشعث<sup>(٢)</sup> قال: فأمر أبا عبيدة بن عبد الله<sup>(٣)</sup> أن يصلي بالناس، فكان يصلي، فإذا رفع رأسه من الركوع قام قدر ما أقول: اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد".

قال الحكم: " فذكرت ذلك لعبد الرحمن بن أبي ليلى، فقال: " سمعت البراء بن عازب يقول: كانت صلاة رسول الله ﷺ وركوعه، وإذا رفع رأسه من الركوع<sup>(٤)</sup> وسجوده، وما بين السجدين، قريبا من السواء ". قال شعبة: " فذكرته لعمر بن مرة<sup>(٥)</sup> . فقال: قد رأيت عبد الرحمن بن أبي ليلى، فلم تكن صلاته هكذا<sup>(٦)</sup> .

وروى البخاري<sup>(٧)</sup> هذا الحديث - ما خلا القيام والقعود - قريبا من السواء<sup>(١)</sup> .

---

من فتنش بالعراق عن الرجال ، وذب عن السنة ، وكان عابدا ، من السابعة ، مات سنة ستين " ، يعني : ومائة (١٦٠هـ) . تقريب التهذيب ( ١ / ٣٥١ ) ترجمة رقم (٦٧) ش .

(١) هو : الحكم بن عتيبة الكندي الكوفي ، أبو محمد ، قال ابن حجر في التقريب : " ثقة ، ثبت ، فقيه ، إلا أنه ربما دلس ، من الخامسة " ، توفي سنة ( ١١٣ هـ ) وعمره نيف وستون سنة . انظر : تقريب التهذيب ( ١ / ١٩٢ ) ، ترجمة رقم (٤٩٤) ح .

(٢) هو : عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي ، خرج على الحجاج ، وصارت له معه وقائع طويلة ، واستولى على سجستان وكرمان وفارس والبصرة ، حتى حدثت بينهما موقعة دير الجماجم التي دامت أكثر من ١٠٠ يوم انتهت بهزيمة ابن الأشعث فلجأ إلى رتبيل ملك الترك ، وبتهديد الحجاج أرسل رتبيل رأس ابن الأشعث إليه سنة (٨٥هـ) . انظر : البداية والنهاية لابن كثير ( ٩ / ٣٥ - ٣٧ ، ٣٩ - ٤٢ ) ؛ والأعلام للزركلي ( ٣ / ٣٢٣ ، ٣٢٤ ) .

(٣) هو : أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، تابعي جليل ، من الثالثة ، كوفي ، ثقة ، مات بعد سنة (٨٠هـ) . انظر : تهذيب التهذيب ( ٢ / ٤٤٨ ) ، (ت ٨٦) الكنى .

(٤) في المطبوعة : من ركوعه ، وفي مسلم : كما أثبتته .

(٥) هو : عمرو بن مرة بن عبد الله بن طارق الجملي المرادي ، أبو عبد الله ، الكوفي ، الأعمى ، قال ابن حجر في التقريب : " ثقة عابد ، كان لا يدلس ، ورمي بالإرجاء ، من الخامسة ، مات سنة ثمان عشرة ومائة وقيل : قبلها " . تقريب التهذيب ( ٢ / ٧٨ ) ، ترجمة رقم (٦٧٧) ع .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب اعتدال أركان الصلاة وتخفيفها في تمام ، تابع حديث رقم (٤٧١) ، ( ١ / ٣٤٣ - ٣٤٤ ) .

(٧) في (ط) : وروى الحارث ، وهو تحريف من الناسخ .

وذلك لأنه <sup>(٢)</sup> لا شك أن القيام - قيام القراءة - وقعود التشهد يزيد على بقية الأركان، لكن لما كان ﷺ يوجز القيام، ويتم بقية الأركان، صارت قريبا من السواء.

فكل واحدة من الروايتين تصدق الأخرى، وإنما البراء: تارة قرب ولم يحدد، وتارة استثنى وحدد، وإنما جاز أن يقال في القيام مع بقية الأركان: قريبا، بالنسبة إلى الأمراء الذين <sup>(٣)</sup> يطيلون القيام، ويخففون الركوع والسجود، حتى يعظم التفاوت.

ومثل هذا: " أنه ﷺ صلى صلاة الكسوف، فقرأ في الركعة <sup>(٤)</sup> بنحو من سورة البقرة وركع. فكان ركوعه نحواً من قيامه، وكذلك سجوده " <sup>(٥)</sup> .

ولهذا نقول في أصح القولين: إن ركوع صلاة الكسوف وسجودها يكون قريبا من قيامه بقدر معظمه، أكثر من النصف.

ومن أصحابنا وغيرهم من قال: إذا قرأ البقرة، يسبح في الركوع والسجود، بقدر قراءة مائة آية <sup>(٦)</sup> . وهو ضعيف مخالف للسنة.

وكذلك <sup>(٧)</sup> روى مسلم في صحيحه، عن أبي سعيد <sup>(٨)</sup> وغيره <sup>(٩)</sup> أن النبي ﷺ كان يقول: بعد الرفع من الركوع من الذكر <sup>(١٠)</sup> ما يصدق حديث أنس والبراء <sup>(١)</sup> .

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب المكث بين السجدين، حديث رقم (٨٢٠) من فتح الباري، (٢ / ٣٠٠، ٣٠١) .

(٢) لأنه: سقطت من (ط) .

(٣) في (ب): الأمر الذي .

(٤) في المطبوعة زاد: الأولى .

(٥) جاء ذلك في حديث طويل أخرجه مسلم في كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار، تابع حديث رقم (٩٠٤)، (١ / ٦٢٣)، وجاء فيه: (ثم ركع نحواً مما قام)، وقال: (وركوعه نحواً من سجوده) .

(٦) انظر: المغني مع الشرح الكبير (٢ / ٢٧٥) في المغني .

(٧) في (ب): وكذا .

(٨) في المطبوعة: الخدري . وهو توضيح للاسم ينبغي أن يكون في الحاشية .

(٩) وغيره: ساقطة من (ب ج د) والمطبوعة .

(١٠) من الذكر: سقطت من (ط) .

وكذلك صلاة رسول الله ﷺ التطوع: فإنه كان إذا صلى بالليل<sup>(٢)</sup> وحده طول لنفسه ما شاء، وكان<sup>(٣)</sup> يقرأ في الركعة بالبقرة وآل عمران والنساء، ويركع<sup>(٤)</sup> نحواً من قيامه، ويرفع نحواً من ركوعه، ويسجد نحواً من قيامه، ويجلس نحواً من سجوده<sup>(٥)</sup>.  
ثم هذا القيام الذي وصفه أنس وغيره بالخفة، والتخفيف الذي أمر به النبي ﷺ قد فسره النبي<sup>(٦)</sup> بفعله وأمره وبلغ ذلك أصحابه فإنه لما صلى على المنبر قال: ﴿إِنَّمَا فَعَلْتُ هَذَا لِتَأْتُمُوا بِي وَلِتَعْلَمُوا صَلَاتِي﴾<sup>(٧)</sup> (٨) وقال لمالك بن الحويرث<sup>(٩)</sup> وصاحبه<sup>(١٠)</sup>  
﴿صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصَلِّي﴾<sup>(١١)</sup> (١٢).

وذلك: أنه ما من فعل في الغالب إلا وقد يسمى خفيفاً بالنسبة إلى ما هو أطول منه،

- 
- (١) انظر: صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع، حديث رقم (٤٧٧)، (١) / (٣٤٧) ولفظه: عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا رفع رأسه من الركوع قال: "ربنا لك الحمد ملء السموات والأرض...". الحديث. ومثله عن عبد الله بن أبي أوفى، وعن عبد الله بن عباس. انظر: صحيح مسلم، الكتاب والباب المشار إليهما سابقاً.  
(٢) بالليل: ساقطة من (ط).  
(٣) في (أ ط): فكان.  
(٤) قوله: نحواً من قيامه ويرفع: سقطت من (ط).  
(٥) جاء ذلك في حديث أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، حديث رقم (٧٧٢)، (١) / (٥٣٦، ٥٣٧).  
(٦) النبي: سقطت من (ب). وفي (أ ط): رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.  
(٧) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٤٤)، النسائي المساجد (٧٣٩)، أبو داود الصلاة (١٠٨٠)، أحمد (٣٣٩/٥).  
(٨) هذا جزء من حديث أخرجه في الصحيحين: انظر: صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الخطبة على المنبر، حديث رقم (٩١٧)، من فتح الباري، (٢) / (٣٩٧)، ورواه مسلم في كتاب المساجد، باب جواز الخطوة والخطوتين في الصلاة، حديث رقم (٥٤٤)، (١) / (٣٨٦، ٣٨٧)، وأحمد في المسند (٥) / (٣٣٩) في مسند سهل بن سعد.  
(٩) هو الصحابي الجليل: مالك بن الحويرث بن أشيم بن زياد الليثي، سكن البصرة، وله أحاديث في الصحيحين والسنن، توفي سنة (٧٤هـ). انظر: الإصابة (٣) / (٣٤٢، ٣٤٣)، (ت) (٧٦١٧).  
(١٠) لم أجد لصاحبه ذكراً في المصادر التي اطلعت عليهما، وانظر: فتح الباري (٢) / (١١٢).  
(١١) البخاري الأذان (٦٠٥)، الدارمي الصلاة (١٢٥٣).  
(١٢) الحديث في صحيح البخاري، وقد مر تخريجه (ص) (٣٠٨).



ويسمى طويلا بالنسبة إلى ما هو أخف منه، فلا حد له في اللغة، وليس الفعل<sup>(١)</sup> من العادات: كالإحراز، والقبض، والاصطياد، وإحياء الموات، حتى يرجع في حده إلى عرف اللفظ، بل هو من العبادات، والعبادات<sup>(٢)</sup> يرجع<sup>(٣)</sup> في صفتها ومقاديرها إلى الشارع، كما يرجع في أصلها إلى الشارع.

ولأنه لو جاز الرجوع فيه إلى عرف الناس في الفعل، أو في مسمى التخفيف، لاختلقت الصلاة الشرعية الراتبية، التي يؤمر<sup>(٤)</sup> بها في غالب الأوقات، عند عدم المعارضات المقتضية للطول أو للقصر، اختلافا متباينا<sup>(٥)</sup> لا ضبط له، ولكان لكل أهل عصر ومصر، ولكان لكل أهل حي وسكة، بل لأهل كل مسجد عرف في معنى اللفظ، وفي عادة الفعل، مخالفا لعرف الآخرين، وهذا مخالف لأمر الله ورسوله حيث قال: ﴿صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُوهُنَّ أَصْلِي﴾<sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup> ولم يقل: كما يسميه أهل أرضكم خفيفا، أو كما يعتادونه، وما أعلم أحدا من العلماء يقول ذلك فإنه؛ يفضي إلى تغيير الشريعة، وموت السنن، إما بزيادة وإما بنقص، وعلى هذا دلت سائر روايات الصحابة. فروى مسلم في صحيحه عن زهير<sup>(٨)</sup> عن سماك بن حرب<sup>(٩)</sup> قال: " سألت جابر بن

(١) في المطبوعة زاد: في الصلاة، وهو تفسير للكلمة، وكان الأولى إثباته في الحاشية؛ لأنه لا يوجد في كل النسخ المخطوطة.

(٢) في (ج): العبادات. وهو تصحيف.

(٣) في (ب): ترجع.

(٤) في المطبوعة: أمرنا.

(٥) في المطبوعة: مباينا.

(٦) البخاري الأذان (٦٠٥)، الدارمي الصلاة (١٢٥٣).

(٧) الحديث مر تخريجه (ص ٣٠٨).

(٨) هو: زهير بن معاوية بن حديج بن الرحيل بن زهير الجعفي، أبو خيثمة، الكوفي، من الحفاظ الثقات المكثرين للحديث، أخرج له الستة وغيرهم، توفي سنة (١٧٢هـ)، وكانت ولادته سنة (١٠٠هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٣ / ٣٥١ - ٣٥٣)، (ت ٦٤٨).

(٩) هو: سماك بن حرب بن أوس بن خالد الدهلي البكري الكوفي، أبو المغيرة، صدوق، من الطبقة الرابعة، توفي سنة (١٢٣هـ). انظر: تقريب التهذيب (١ / ٣٣٢)، ترجمة رقم (٥١٩) س.

سمرة عن صلاة النبي (١) فقال: كان يخفف الصلاة، ولا يصلي صلاة هؤلاء "، قال: " وأبأي أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الفجر بقاف والقرآن المجيد، ونحوها " (٢) .

وروى أيضا عن شعبة، عن سماك، عن جابر بن سمرة (٣) قال: " كان النبي ﷺ يقرأ في الظهر بالليل إذا يغشى، وفي العصر بنحو ذلك، وفي الصبح أطول من ذلك " (٤) .

وهذا يبين ما رواه مسلم أيضا، عن زائدة (٥) حدثنا سماك، عن جابر بن سمرة: " أن النبي ﷺ كان يقرأ في الفجر بقاف والقرآن المجيد وكانت (٦) صلاته بعد تخفيفا " (٧) أنه أراد - والله أعلم - بقوله: " وكانت صلاته بعد "، أي بعد الفجر، أي أنه يخفف الصلوات التي بعد الفجر، عن الفجر (٨) .

فإنه في الرواية الأولى جمع بين وصف صلاة رسول الله ﷺ بالتخفيف، وأنه كان يقرأ في الفجر بقاف (٩) .

وقد ثبت في الصحيح عن أم سلمة (١٠) ﴿ أنها سمعت النبي ﷺ يقرأ في الفجر بالطور

(١) في (ب ج د) والمطبوعة: عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وفي مسلم: كما أثبتته من (أ ط) .

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب القراءة في الصبح، تابع حديث رقم (٤٥٨)، (١ / ٣٣٧) .

(٣) هو الصحابي الجليل: جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب بن حجير، العامري السوائي، حليف بني زهرة، وأبوه صحابي كذلك، توفيسنة (٧٤ هـ) . انظر: الإصابة (١ / ٢١٢)، ترجمة رقم (١٠١٨) .

(٤) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب القراءة في الصبح، حديث رقم (٤٥٩)، (١ / ٣٣٧) .

(٥) هو: زائدة بن قدامة الثقفي، أبو الصلت، الكوفي، ثقة، ثبت، صاحب سنة، وكان شديدا على أهل البدع، استشهد غازيا في أرض الروم سنة (١٦١ هـ) . انظر: تهذيب التهذيب (٣ / ٣٠٦ - ٣٠٧)، (ت ٥٧١) .

(٦) في المطبوعة: وكان، وكذلك في مسلم .

(٧) صحيح مسلم، الكتاب والباب السابقين، الحديث (٤٥٨)، (١ / ٣٣٧) .

(٨) عن الفجر: ساقطة من (ط) .

(٩) من هنا حتى قوله: (ولأن سائر الصحابة)، ص (٣١٨) سطر (٣) سقط من (أ ط) ما يعادل ورقة من المخطوطتين .

(١٠) هي الصحابية الجليلة: أم المؤمنين، أم سلمة، هند بنت أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو المخزومية القرشية، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعد وفاة زوجها سنة (٤ هـ)، أسلمت قديما في

في حجة الوداع، وهي طائفة من حول الناس تسمع قراءته ﴿ (١) (٢) وما عاش بعد حجة

الوداع إلا قليلاً، والطور من نحو (٣) سورة قاف.

وثبت في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما (٤) أنه قال: " إن أم

الفضل (٥) (٦) ..... سمعته وهو يقرأ ﴿ وَالْمُرْسَلَتِ عُرْفًا ﴿ (٧) فقالت:

يا بني، لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة، إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب (٨) .

فقد أخبرت أم الفضل: أن ذلك آخر ما سمعته يقرأ بها في المغرب، وأم الفضل لم تكن من المهاجرات، بل هي من المستضعفين، كما قال ابن عباس: (٩) كنت أنا وأمي (١٠) من

مكة وهاجرت إلى الحبشة ، وأصابها في سبيل دينها بلاء فصبرت ، وكانت ذات جلد ورأي وجمال ، ماتت سنة (٦٢ هـ) . انظر : الإصابة (٤ / ٤٥٨) ، (ت ١٣٠٨) .

(١) البخاري الحج (١٥٥٢) ، مسلم الحج (١٢٧٦) ، النسائي مناسك الحج (٢٩٢٥) ، أبو داود المناسك (١٨٨٢) ، ابن ماجه المناسك (٢٩٦١) ، أحمد (٣١٩/٦) ، مالك الحج (٨٣٢) .

(٢) انظر : صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب طواف النساء مع الرجال ، حديث رقم (١٦١٩) ، (٣ / ٤٨٠) ( من فتح الباري ، مع حديث رقم (١٦٢٦) ، (٣ / ٤٨٦) ، حيث يفيد الحديث الثاني أن الصلاة هي صلاة الصبح ، والأول فيه أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قرأ سورة الطور . والنسائي ، كتاب مناسك الحج ، باب طواف الرجال مع النساء ، (٦ / ٢٢٣ ، ٢٢٤) .

(٣) في المطبوعة : نحو من .

(٤) رضي الله عنهما : سقطت من (ج د) .

(٥) هي : لبابة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهرم ، الهلالية ، أم الفضل ، زوج العباس بن عبد المطلب ، صحابية جلييلة ، وهي لبابة الكبرى ، أم عبد الله والفضل وغيرهما ، أسلمت قبل الهجرة ، وماتت في خلافة عثمان رضي الله عنهما . انظر : الإصابة (٤ / ٣٩٨) ، (ت ٩٤٢) .

(٦) في مسلم : أن أم الفضل بنت الحارث (١ / ٣٣٨) .

(٧) سورة المرسلات : الآية ١ .

(٨) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب القراءة في الصبح ، حديث رقم (٤٦٢) ، (١ / ٣٣٨) . وصحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب القراءة في المغرب ، حديث رقم (٧٦٣) من فتح الباري ، (٢ / ٢٤٦) .

(٩) في (ب) : رضي الله عنه .

(١٠) في المطبوعة : كنت أنا وأبي ، وهو خطأ ، فأبوه العباس لم يكن من المستضعفين . انظر : فتح الباري (٨ / ٢٥٥)

المستضعفين، الذين عذرهم الله " (١) . فهذا السماع كان متأخرا.  
وكذلك في الصحيح عن زيد بن ثابت (٢) " أنه سمع النبي ﷺ يقرأ في المغرب بطولي  
الطوليين (٣) . وزيد من صغار الصحابة.  
وكذلك (٤) صلى بالمؤمنين (٥) في الفجر بمكة، وأدركته سعدة عند ذكر موسى  
وهارون (٦) فهذه الأحاديث وأمثالها، تبين أنه ﷺ كان في آخر حياته يصلي في الفجر  
بطوال المفصل، وشواهد هذا كثيرة (٧) ؛ ولأن سائر الصحابة اتفقوا على أن هذه كانت  
صلاة رسول الله ﷺ التي ما زال يصليها، ولم يذكر أحد أنه نقص (٨) صلاته في آخر  
عمره عما (٩) كان يصليها، وأجمع (١٠) الفقهاء على أن السنة أن يقرأ في الفجر بطوال  
المفصل.

وقوله: " ولا يصلي صلاة هؤلاء " إما أن يريد به: من كان يطيل الصلاة على (١١)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ، تفسير سورة النساء ، باب قوله : " وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ " ،  
رقم (٤٥٨٧) من فتح الباري ، (٨ / ٢٥٥) .

(٢) هو الصحابي الجليل : زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد الأنصاري الخزرجي ، من صغار الصحابة ، أول  
مشاهده الخندق ، وكانت معه راية بني النجار ، ومن كتاب الوحي ، وتعلم القرآن صغيرا ، فأمره النبي صلى  
الله عليه وعلى آله وسلم أن يتعلم السريانية ليأمن مكر اليهود فكان يقرأ ويكتب له بها ، وجمع القرآن في عهد  
أبي بكر ، وقال فيه الرسول : " أفرضكم زيد " ، ومن العلماء الراسخين ، توفي سنة (٤٥ هـ) . انظر :  
الإصابة (١ / ٥٦١ ، ٥٦٢) ، ترجمة رقم (٢٨٨٠) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب القراءة في المغرب ، حديث رقم (٧٦٤) من فتح الباري ، (٢ / ٢٤٦)  
.

(٤) في (ب) : ولذلك .

(٥) أي قرأ سورة المؤمنون . انظر : فتح الباري (٢ / ٢٥٥) .

(٦) جاء ذلك في حديث أخرجه مسلم ، كتاب الصلاة ، باب القراءة في الصبح ، حديث رقم (٤٥٥) ، (١ / ٣٣٦) .

(٧) في (ج) : كثير .

(٨) في (ب) : نقص .

(٩) في (ب) : كما .

(١٠) وأجمع : ساقطة من (ط) .

(١١) في (أ) : عن هذه .

هذا أو <sup>(١)</sup> من كان ينقصها عن ذلك، أي إنه كان ﷺ يخففها، ومع ذلك: فلا يحذفها حذف هؤلاء الذين يحذفون الركوع والسجود، والاعتدالين، كما دل عليه حديث أنس والبراء، أو كان أولئك الأمراء ينقصون القراءة، أو القراءة وبقية الأركان، عما كان النبي ﷺ يفعله. كما روى أبو قرعة <sup>(٢)</sup> قال: " أتيت أبا سعيد الخدري <sup>(٣)</sup> وهو مكثور <sup>(٤)</sup> عليه، فلما تفرق الناس عنه، قلت: إني لا أسألك عما سألك هؤلاء عنه، قلت: أسألك عن صلاة رسول الله ﷺ؟ فقال: ما لك في ذلك من خير فأعادها عليه، فقال: كانت صلاة الظهر تقام، فينطلق أحدنا إلى البقيع فيقضي حاجته ثم يأتي أهله فيتوضأ، ثم يرجع إلى المسجد، ورسول الله ﷺ في الركعة الأولى "

وفي رواية " مما يطولها " <sup>(٥)</sup> رواه مسلم في صحيحه <sup>(٦)</sup> .

فهذا يبين لك أن أبا سعيد رأى صلاة الناس أنقص من هذا.

وفي الصحيحين عن أبي برزة <sup>(٧)</sup> قال: " كان رسول الله ﷺ يصلي الصبح فينصرف الرجل، فيعرف جليسه، وكان يقرأ في الركعتين، أو إحداهما ما بين الستين إلى المائة " هذا لفظ البخاري <sup>(٨)</sup> .

(١) في المطبوعة : ومن .

(٢) هكذا ورد اسمه في جميع النسخ : أبو قرعة ، والأصح أن اسمه : قرعة ، بدون أبو ، وهو قرعة بن يحيى أبو الغادية البصري ، وثقه أئمة الحديث ، من الطبقة الثالثة ، وأخرج أحاديثه أهل الكتب الستة وغيرهم . انظر : تهذيب التهذيب ( ٨ / ٣٧٧ ) ، ( ت ٦٦٧ ) ، وكذا في مسلم " قرعة " ، ( ١ / ٣٣٥ ) ؛ وتقريب التهذيب ( ٢ / ١٢٦ ) ، ( ت ١١١ ) ق .

(٣) في المطبوعة : رضي الله عنه .

(٤) مكثور عليه : أي الناس من حوله كثير لطلب العلم في الظهر وقضاء الحوائج ونحوه .

(٥) في (أ) : مما يطيلها .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب القراءة في الظهر والعصر ، حديث رقم (٤٥٤) ، ( ١ / ٣٣٥ ) .

(٧) هو الصحابي الجليل : أبو برزة ، نضلة بن عبيد ، وقيل : نضلة بن عبد الله الأسلمي ، نزل البصرة ، ثم مرو ، ثم عاد إلى البصرة وبها توفي سنة (٦٠ هـ) . انظر : أسد الغابة ( ٥ / ١٤٦ ، ١٤٧ ) الكنى .

(٨) انظر : صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب القراءة في الفجر ، حديث رقم (٧٧١) من فتح الباري ، ( ٢ / ٢٥١ ) .

وعن عبد الله <sup>(١)</sup> بن عمر رضي الله عنهما قال: إن كان رسول الله ﷺ ليأمرنا بالتخفيف، وإن كان ليؤمرنا بالصافات، رواه أحمد والنسائي <sup>(٢)</sup> .

وعن الضحاك بن عثمان <sup>(٣)</sup> عن بكير بن عبد الله <sup>(٤)</sup> عن سليمان بن يسار <sup>(٥)</sup> عن أبي هريرة قال: " ما صليت وراء أحد أشبه صلاة برسول الله ﷺ من فلان " قال سليمان: " كان يطيل الركعتين الأوليين من الظهر، ويخفف الأخيرتين، ويخفف العصر، ويقرأ في المغرب بقصار المفصل، ويقرأ في العشاء بوسط المفصل ويقرأ في الصبح بطوال المفصل <sup>(٦)</sup> "، رواه النسائي وابن ماجه، وهذا إسناد على شرط مسلم.

والضحاك بن عثمان قال فيه أحمد ويحيى <sup>(٧)</sup> " هو ثقة " <sup>(٨)</sup> وقال فيه ابن سعد: " كان ثبتاً " <sup>(٩)</sup> .

ويدل على ما ذكرناه: ما روى مسلم في صحيحه عن عمار بن ياسر <sup>(١٠)</sup> قال: قال

(١) في (ب) : عن ابن عمر .

(٢) مسند أحمد (٢ / ٢٦)؛ وسنن النسائي ، كتاب الإمامة ، باب الرخصة للإمام في التطويل ، (٢ / ٩٥) ، وإسناده صحيح .

(٣) هو : الضحاك بن عثمان بن عبد الله بن خالد بن حزام الأسدي الحزامي ، أبو عثمان ، المدني ، من السابعة ، قال ابن حجر في التقريب : " صدوق يهيم " ، أخرج له مسلم وأصحاب السنن . تقريب التهذيب (١ / ٣٧٣) ، (ت ١١) ض .

(٤) هو : بكير بن عبد الله بن الأشج ، مولى بني مخزوم ، أبو عبد الله ، المدني ، نزيل مصر ، قال ابن حجر في التقريب : " ثقة ، من الخامسة " ، توفي سنة (١٢٠ هـ) . تقريب التهذيب (١ / ١٠٨) ، (ت ١٣٧) ب .

(٥) هو : سليمان بن يسار الهلالي المدني ، مولى ميمونة ، وقيل : مولى أم سلمة ، وأحد الفقهاء السبعة ، من كبار الطبقة الثالثة ، ثقة ، فاضل ، مات على رأس المائة هجرية . انظر : تقريب التهذيب (١ / ٢٣١) ، ترجمة (٥٠٥) س .

(٦) أخرجه النسائي في كتاب الافتتاح ، باب تخفيف القراءة والقيام ، (٢ / ١٦٧) . وأخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة ، باب القراءة في الظهر والعصر ، حديث رقم (٨٢٧) ، (١ / ٢٧٠) مختصراً .

(٧) يحيى : هو ابن معين .

(٨) انظر : تهذيب التهذيب (٤ / ٤٤٧) ، (ت ٧٧٧) .

(٩) المصدر السابق ، وقد راجعت ترجمة المذكور في الطبقات الكبرى لابن سعد (المطبوعة) ، فلم أجده (٥ / ٤٢٢) .

(١٠) هو الصحابي الجليل : عمار بن ياسر بن عامر بن مالك العنسي ، حليف بني مخزوم ، من السابقين الأولين للإسلام ، وعذب في ذات الله هو وأبوه وأمه ، وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول لهم : " صبرا

رسول الله ﷺ ﴿ إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته، مئة (١) من فقهه، فأطيلوا

الصلاة، وأقصروا الخطبة (٢) وإن من البيان لسحرا ﴾ (٣) .

فقد جعل طول الصلاة علامة على فقه الرجل، وأمر بإطالتها، وهذا الأمر إما أن يكون عاما في جميع الصلوات، وإما أن يكون المراد به صلاة الجمعة. فإن كان اللفظ (٤) عاما فظاهر، وإن كان المراد (٥) صلاة الجمعة (٦) فإذا أمر بإطالتها، مع كون الجمع فيها يكون (٧) عظيما، فيه من الضعفاء والكبار وذوي الحاجات ما ليس في غيره (٨) ومع كونها تفعل في شدة الحر، مسبوقه بخطبتين: فالفجر ونحوها التي تفعل وقت البرد، مع قلة الجمع: أولى وأحرى. والأحاديث في هذا كثيرة.

وإنما ذكرنا هذا تفسيرا (٩) لما في حديث أنس، من تقدير صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إذ قد يحسب من يسمع هذه الأحاديث: أن فيها نوع تناقض، أو يستمسك (١٠) بعض الناس ببعضها دون بعض، ويجهل معنى ما تمسك به.

آل ياسر ، فإن موعدكم الجنة " ، هاجر إلى المدينة وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ، وقتل في صيفين سنة ( ٣٧ هـ) . انظر : الإصابة ( ٢ / ٥١٣ ) ، ( ت ٥٧٠٤ ) .

(١) مئة : أي علامة . انظر : شرح النووي ( ٦ / ١٥٨ ) ؛ ومختار الصحاح ، مادة (م أن) ، ( ص ٦١٢ ) .  
(٢) في (أ ب ط) : الخطب ، وفي مسلم كما هو مثبت من (ج د) والمطبوعة .  
(٣) صحيح مسلم ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، حديث رقم (٨٦٩) ، ( ٢ / ٥٩٤ ) .  
(٤) في (د) قال : فإن كان اللفظ وإن كان المراد ، فإذا أمر بإطالتها . . إلخ ، ففيه حذف وتغيير ، وأظن ذلك خلط من الناسخ .

(٥) في المطبوعة : المراد به .

(٦) في (ب) : تكرار لقوله : وإن كان المراد صلاة الجمعة ، ولعله سهو من الناسخ .

(٧) في (ب) : فيكون .

(٨) في المطبوعة : غيرها .

(٩) في المطبوعة : التفسير .

(١٠) في المطبوعة : أو يتمسك .

وأما في حديث أنس المتقدم من قول <sup>(١)</sup> النبي ﷺ ﴿ لا تشددوا على أنفسكم، فيشدد الله عليكم، فإن قوما شددوا على أنفسهم، فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات <sup>(٢)</sup> رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ﴾ <sup>(٣)</sup> . ففيه نهي النبي ﷺ عن التشدد في الدين بالزيادة على المشروع.

والتشديد: تارة يكون باتخاذ ما ليس بواجب، ولا مستحب: بمثلة الواجب والمستحب في العبادات <sup>(٤)</sup> وتارة باتخاذ ما ليس بمحرم، ولا مكروه. بمثلة المحرم والمكروه، في الطيبات. وعلل ذلك بأن الذين شددوا على أنفسهم من النصارى، شدد الله عليهم لذلك، حتى آل الأمر إلى ما هم عليه من الرهبانية المبتدعة.

وفي هذا تنبيه على كراهة النبي ﷺ مثل ما عليه النصارى من الرهبانية المبتدعة، وإن كان كثير من عبادنا، قد وقعوا في بعض ذلك متأولين معذورين، أو غير متأولين <sup>(٥)</sup> . وفيه أيضا تنبيه على أن التشديد على النفس ابتداء، يكون سببا لتشديد آخر، يفعله الله: إما بالشرع وإما بالقدر.

فأما بالشرع: فمثل ما كان النبي ﷺ يخافه في زمانه من زيادة إيجاب أو تحريم، كنحو ما خافه لما اجتمعوا لصلاة <sup>(٦)</sup> التراويح معه <sup>(٧)</sup> ولما كانوا يسألون عن أشياء لم تحرم،

(١) في (ب) : من قوله .

(٢) في (أ ط) : والديار .

(٣) الحديث مر تخريجه (ص ٢٩٦) .

(٤) في (ط) : في العادات .

(٥) في المطبوعة زاد : ولا معذورين .

(٦) في (أ) : للصلاة للتراويح .

(٧) وذلك أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم صلى التراويح وصلى الصحابة خلفه ، فلما صلى الفجر قال لهم : " أما بعد ، فإنه لم يخف علي مكانكم ، ولكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها " ، الحديث في صحيح البخاري ، كتاب صلاة التراويح ، باب فضل من قام رمضان ، حديث (٢٠١٢) ، (٤ / ٢٥٠ - ٢٥١) من فتح الباري .



ومثل: أن من نذر شيئا من الطاعات وجب عليه فعله، وهو منهي عن نفس عقد النذر، وكذلك الكفارات الواجبة بأسباب.

وأما بالقدر: فكثير<sup>(١)</sup> قد رأينا وسمعنا من كان يتنطع في أشياء، فيبتلى أيضا بأسباب تشدد الأمور<sup>(٢)</sup> عليه، في الإيجاب والتحریم، مثل كثير من الموسوسين في الطهارة<sup>(٣)</sup> إذا زادوا على المشروع، ابتلوا بأسباب توجب حقيقة عليهم أشياء<sup>(٤)</sup> مشقة ومضرة.

وهذا المعنى الذي دل عليه الحديث، موافق لما قدمناه في قوله تعالى: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾<sup>(٥)</sup> من أن ذلك يقتضي كراهة موافقتهم في الآصار والأغلال.

والآصار: ترجع إلى الإيجابات الشديدة.

والأغلال: هي التحريمات الشديدة.

فان الإصر: هو الثقل والشدة، وهذا شأن ما وجب.

والغل: يمنع المغلول من الانطلاق، وهذا شأن المحظور.

وعلى هذا دل قوله سبحانه ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا

تَعْتَدُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾<sup>(٦)</sup> . وسبب نزولها مشهور.

وعلى هذا ما في الصحيحين عن أنس بن مالك قال: ﴿ جاء ثلاثة رهط إلى بيوت

(١) في المطبوعة قال : فكثيرا ما .

(٢) في (أ ب ط) : الأمر .

(٣) في المطبوعة : الطهارات .

(٤) في المطبوعة : أشياء فيها عظيم مشقة .

(٥) سورة الأعراف : الآية ١٥٧ .

(٦) سورة المائدة : الآية ٨٧ .

أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ (١) فلما أخبروا (٢) كأنهم تقالوها، فقالوا:  
وأين نحن من النبي ﷺ (٣) وقد غفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟  
فقال أحدهم (٤) أما أنا فأصلي الليل أبدا.  
وقال (٥) الآخر: أنا أصوم الدهر أبدا.  
وقال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا.  
فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: " أنتم الذين (٦) قلمتم كذا وكذا؟ أما والله إني  
لأحشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن  
رغب عن سنتي فليس مني ﴿ ﴾ ، رواه البخاري، وهذا لفظه (٧) ومسلم، ولفظه: عن أنس:  
﴿ أن نفرا من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر فقال بعضهم:  
لا أتزوج النساء. وقال بعضهم: لا أكل اللحم. وقال بعضهم: لا أنام على فراش (٨) .  
فحمد الله وأثنى فقال: " ما بال أقوام قالوا كذا وكذا (٩) ؟ لكني أصلي وأنام، وأصوم  
وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني ﴿ ﴾ (١٠) .

(١) في (ب ج د) : عن عبادته ، والمطبوعة : عن عبادة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وفي البخاري  
كما أثبتته .

(٢) في المطبوعة : فلما أخبروا بها . وفي البخاري كما أثبتته .

(٣) في المطبوعة : وقد ، وفي البخاري كما أثبتته .

(٤) في (ج د) : أحدهما ، وفي البخاري كما أثبتته .

(٥) في (ب ج د) : قال الآخر ، وفي البخاري كما أثبتته .

(٦) الذين : ساقطة من (أ ط) .

(٧) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح ، حديث رقم (٥٠٦٣) من فتح الباري ، (٩ / ١٠٤) .

(٨) في (ب ج د) : على فراشي ، وفي المطبوعة : فرش ، وفي مسلم كما أثبتته .

(٩) في المطبوعة زاد : وكذا .

(١٠) صحيح مسلم ، كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه . . إلخ ، حديث رقم (١٤٠١)

، (٢ / ١٠٢٠) .

والأحاديث الموافقة لهذا كثيرة في بيان أن سنته التي هي الاقتصاد: في العبادة، وفي ترك الشهوات؛ خير من رهبانية النصارى، التي هي: ترك عامة الشهوات من النكاح وغيره، والغلو في العبادات صوما وصلاة.

وقد خالف هذا - بالتأويل ولعدم العلم - طائفة من الفقهاء والعباد، ومثل هذا ما رواه أبو داود في سننه، عن العلاء بن عبد الرحمن<sup>(١)</sup> عن القاسم بن عبد الرحمن<sup>(٢)</sup> عن أبي أمامة: ﴿ أن رجلا قال: يا رسول الله ائذن لي بالسياحة<sup>(٣)</sup> قال: رسول الله ﷺ " إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله ﴾<sup>(٤)</sup> فأخبر النبي ﷺ بأن أمته<sup>(٥)</sup> سياحتهم الجهاد في سبيل الله.

وفي حديث آخر: ﴿ إن السياحة هي الصيام ﴾<sup>(٦)</sup> أو ﴿ السائحون هم

---

(١) كذا في جميع النسخ: العلاء بن عبد الرحمن، لكنه في أبي داود (٣ / ١٢): العلاء بن الحارث، أما العلاء بن عبد الرحمن فقد مرت ترجمته. والعلاء بن الحارث هو: العلاء بن الحارث بن عبد الوارث الحضرمي، أبو وهب، الدمشقي، وثقه ابن المديني وابن معين وغيرهما، وهو أعلم أصحاب مكحول وأفقهم، ورمي بالقدر، وخلط في آخر أمره، توفي سنة (١٣٦ هـ) وعمره (٧٠) سنة. انظر: تهذيب (٨ / ١٧٧، ١٧٨)، ترجمة رقم (٣١٨).  
(٢) هو: القاسم بن عبد الرحمن الدمشقي، أبو عبد الرحمن، الشامي، مولى آل أبي بن حرب الأموي، وثقه بعض الأئمة، وتكلم فيه آخرون، وخلاصة القول فيه: أنه صدوق ثقة فيما يرويه عن الثقات، ومنكر الحديث في الضعفاء، كما أنه كثير الإرسال، مات سنة (١١٢ هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٨ / ٣٢٢ - ٣٢٤)، ترجمة رقم (٥٨١) ق.  
(٣) كذا: (بالسياحة) في كل النسخ المخطوطة. أما في المطبوعة وأبي داود: في السياحة.  
(٤) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في النهي عن السياحة، حديث رقم (٢٤٨٦)، (٣ / ١٢). وأخرجه الحاكم في المستدرک (٢ / ٧٣)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.  
(٥) أمته: ساقطة من (أ ط).

(٦) أخرج ابن جرير بسنده عن عبيد بن عمير، قال: سئل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن السائحين فقال: " هم الصائمون ". وأخرج ابن جرير أيضا بسنده عن أبي هريرة قال: قال لي رسول الله " السائحون هم الصائمون ". كما أورد أقوال الصحابة والسلف كابن عباس وابن مسعود، وسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك والحسن وغيرهم. انظر: تفسير ابن جرير الطبري (١١ / ٢٨، ٢٩)، عند تفسير قوله تعالى: " التائبون العابدون " سورة التوبة: الآية ١١٢.

الصائمون ﴿<sup>(١)</sup>﴾ أو نحو ذلك <sup>(٢)</sup> . وذلك تفسير لما ذكره الله تعالى في القرآن <sup>(٣)</sup> من

قوله: ﴿السَّيِّحُونَ﴾ <sup>(٤)</sup> . وقوله ﴿سَيِّحَتٍ﴾ <sup>(٥)</sup> .

وأما السياحة التي هي الخروج في البرية لغير <sup>(٦)</sup> مقصد معين فليست من عمل هذه الأمة. ولهذا قال الإمام أحمد: " ليست السياحة من الإسلام في شيء، ولا من فعل النبيين ولا الصالحين " <sup>(٧)</sup> مع أن جماعة من إخواننا قد ساحوا السياحة المنهي عنها <sup>(٨)</sup> متأولين في ذلك، أو غير عالمين بالنهاي عنه، وهي من الرهبانية المبتدعة التي قيل فيها ﴿لا رهبانية في الإسلام﴾ <sup>(٩)</sup> .

والغرض هنا: بيان ما جاءت به الحنفية: من مخالفة <sup>(١١)</sup> اليهود فيما أصابهم من القسوة عن ذكر الله، وعمّا أنزل <sup>(١٢)</sup> ومخالفة النصارى فيما هم عليه من الرهبانية المبتدعة، وإن كان قد ابتلي بعض المنتسبين منا إلى علم أو دين بنصيب من هذا، أو من هذا <sup>(١٣)</sup> .  
ومثل هذا ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما <sup>(١٤)</sup> قال: قال رسول الله ﷺ غداة <sup>(١٥)</sup>

(١) نفس التعليق السابق .

(٢) نفس التعليق السابق .

(٣) في القرآن : سقطت من (ب) .

(٤) سورة التوبة : من الآية ١١٢ .

(٥) سورة التحريم : من الآية ٥ .

(٦) في (ج د) : بغير .

(٧) مسائل الإمام أحمد للنيسابوري (٢ / ١٧٦) .

(٨) وهي كما فسرها المؤلف : الخروج في البرية لغير مقصد معين ، وذلك على وجه الترهين والتصوف كما يفعل الدراويش .

(٩) في المطبوعة : التي قال فيها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(١٠) جاء ذلك في حديث مر تخريجه (ص ١٨٠) .

(١١) في (أ) : لمخالفة اليهود .

(١٢) في المطبوعة زاد : من الهدى الذي به حياة القلوب . وهو تفسير للكلمة ، الأولى أن يكون في الحاشية .

(١٣) في المطبوعة زاد أيضا : ففيهم شبهة هؤلاء وهؤلاء .

(١٤) رضي الله عنهما : سقطت من (أ ج د ط) .

(١٥) في (أ) : غدا ، ولعل الهاء سقطت سهوا .

العقبة وهو على ناقته: ﴿ القط لي حصى ﴾<sup>(١)</sup> فلقطت له سبع حصيات، من<sup>(٢)</sup> حصى الخذف، فجعل ينفذهن في كفه ويقول: ﴿ أمثال هؤلاء فارموا ﴾<sup>(٣)</sup> ، ثم قال: ﴿ أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين ﴾<sup>(٤)</sup> ، رواه أحمد والنسائي وابن ماجه<sup>(٥)</sup> من حديث عوف بن أبي جميلة<sup>(٦)</sup> عن زياد بن حصين<sup>(٧)</sup> عن أبي العالية عنه<sup>(٨)</sup> وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم.

وقوله: ﴿ إياكم<sup>(٩)</sup> والغلو في الدين ﴾ عام في جميع أنواع الغلو، في الاعتقاد والأعمال.

والغلو: مجاوزة الحد بأن يزداد الشيء في حمده<sup>(١٠)</sup> أو ذمه على ما يستحق، ونحو ذلك. والنصارى أكثر غلوا في الاعتقادات والأعمال<sup>(١١)</sup> من سائر الطوائف، وإياهم نهي الله

(١) النسائي مناسك الحج (٣٠٥٩) ، ابن ماجه المناسك (٣٠٢٩) ، أحمد (٢١٥/١) .

(٢) في المطبوعة : مثل ، وهو خلاف ما ورد في روايات الحديث وهي : (من) في رواية لأحمد ، و (هن) في أحمد والنسائي وابن ماجه .

(٣) النسائي مناسك الحج (٣٠٥٩) ، ابن ماجه المناسك (٣٠٢٩) ، أحمد (٢١٥/١) .

(٤) ابن ماجه المناسك (٣٠٢٩) ، أحمد (٢١٥/١) .

(٥) انظر : مسند أحمد (١ / ٢١٥) و (٣٤٧) في مسند عبد الله بن عباس . وسنن ابن ماجه ، كتاب المناسك ، باب قدر حصى الرمي ، حديث رقم (٣٠٢٩) ، (٢ / ١٠٠٨)؛ وسنن النسائي ، كتاب المناسك ، باب التقاط الحصى (٥ / ٢٦٨) .

(٦) هو : عوف بن أبي جميلة الأعرابي البصري ، قال عنه ابن حجر في التقریب : " ثقة رمي بالقدر والتشيع " ، توفي سنة (١٤٧ هـ) وعمره ست وثمانون ، أخرج له كل أصحاب الكتب الستة . انظر : تقریب التهذيب (٢ / ٨٩) ، ترجمة (٧٩٣) ع .

(٧) هو : زياد بن الحصين بن قيس الحنظلي ، أو الرياحي ، البصري ، أبو خزيمه ، قال عنه ابن حجر في التقریب : " ثقة يرسل ، من الطبقة الرابعة " ، أخرج له مسلم والنسائي وابن ماجه وأحمد . انظر : تقریب التهذيب (١ / ٢٦٧) ، (ت ١٠١) .

(٨) يعني ابن عباس .

(٩) في (أ) : وإياكم .

(١٠) في المطبوعة : يزداد في حمد الشيء .

(١١) في (أ ط) : في الاعتقاد والعمل .

عن الغلو في القرآن، في قوله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكُتَبُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ (١) .

وسبب هذا اللفظ العام: رمي الجمار، وهو داخل فيه، فالغلو فيه: مثل الرمي بالحجارة (٢) الكبار، ونحو ذلك. بناء على أنه قد أبلغ من الحصى الصغار (٣) .  
ثم علل ذلك: بأن ما أهلك من (٤) قبلنا إلا (٥) الغلو في الدين، كما تراه في النصارى، وذلك يقتضي: أن مجانية هديهم مطلقا أبعد عن (٦) الوقوع فيما به هلكوا، وأن المشارك لهم في بعض هديهم، يخاف عليه أن يكون هالكا.

ومن ذلك: أنه ﷺ حذرنا من مشاهمة من قبلنا، في أنهم كانوا يفرقون في الحدود بين الأشراف والضعفاء، وأمر أن يسوى (٧) بين الناس في ذلك، وإن كان كثير من ذوي الرأي والسياسة قد يظن أن إعفاء الرؤساء أجود في السياسة.

ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، في شأن المخزومية التي سرقت (٨) لما كلم أسامة (٩) ..... فيها (١٠) رسول الله ﷺ قال: ﴿يا أسامة أتشفع في حد من

حدود الله؟ ! إنما هلك بنو إسرائيل أنهم كانوا: إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا

(١) سورة النساء : من الآية ١٧١ .

(٢) في المطبوعة : مثل رمي الحجارة الكبار .

(٣) في المطبوعة : على أنه قد بالغ في الحصى الصغار . وبه يتغير معنى العبارة .

(٤) في المطبوعة : من كان .

(٥) إلا : ساقطة من (أ ط) .

(٦) في (أ) : من .

(٧) في (أ) : نسوي .

(٨) وهي : فاطمة بنت الأسود بن عبد الأسد ، وقيل : أم عمرو بنت سفيان بن عبد الأسد . انظر : فتح الباري (

١٢ / ٨٨) .

(٩) هو الصحابي الجليل : أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي ، حب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وابن حبه ، ولد في الإسلام ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على جيش عظيم ، فلما مات صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنفذه أبو بكر ، وكان أسامة ممن اعتزل الفتنة بعد مقتل عثمان . توفي في خلافة معاوية سنة (٥٤) . انظر : الإصابة (١ / ٣١) ، (ت ٨٩) .

(١٠) فيها : ساقطة من (ب ج د) والمطبوعة .

سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتم يدها ﴿ (١) (٢) .

وكان بنو مجزوم من أشرف (٣) بطون قريش، واشتد عليهم أن تقطع يد امرأة منهم، فبين النبي ﷺ أن هلاك بني إسرائيل، إنما كان في تخصيص رؤساء الناس بالعفو عن العقوبات، وأخبر أن فاطمة ابنته - التي هي أشرف النساء - لو سرقت، وقد أعادها الله من ذلك، لقطع يدها؛ ليبين: أن وجوب العدل والتعميم في الحدود، لا يستثنى منه بنت (٤) الرسول، فضلا عن بنت غيره.

وهذا يوافق ما في الصحيحين، عن عبد الله بن مرة (٥) (٦) عن البراء بن عازب قال: ﴿ مر على النبي ﷺ بيهودي، محمد مجلود، فدعاهم، فقال: " هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ " قالوا: نعم. فدعا رجلا من علمائهم قال: " أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ " قال: لا، ولولا أنك نشدتنى بهذا لم أخبرك، نجده: الرحم، ولكنه كثر في أشرفنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، فقلنا: تعالوا فلنجتمع (٧) على شيء نقيمه على الشريف

(١) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٨٨)، مسلم الحدود (١٦٨٨)، الترمذي الحدود (١٤٣٠)، النسائي قطع السارق (٤٩٠٢)، أبو داود الحدود (٤٣٧٣)، ابن ماجه الحدود (٢٥٤٧)، أحمد (١٦٢/٦)، الدارمي الحدود (٢٣٠٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء وكتاب الحدود. انظر: كتاب الحدود، باب رقم (٥٤)، الحديث رقم (٣٤٧٥) من فتح الباري (٦ / ٥١٣). وأخرجه مسلم في كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، حديث رقم (١٦٨٨)، (٣ / ١٣١٥).

(٣) في (أ): أشرف.

(٤) في (أ): بنت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

(٥) هو: عبد الله بن مرة الهمداني الخارفي الكوفي، وثقه ابن معين والنسائي وأبو زرعة والعجلي وابن سعد، وأخرج له الستة، توفي سنة (١٠٠ هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٦ / ٢٤، ٢٥)، ترجمة رقم (٣٥) ع.

(٦) في (أ): عبد الله بن سمرة. وهو تحريف، فالصحيح ما أثبتته كما في صحيح مسلم.

(٧) في (ط): فلنجمع. وفي مسلم كما أثبتته.

والوضع، فجعلنا التحميم والجلد مكان (١) الرجم فقال ﷺ " اللهم إني أول من أحيا أمرك، إذ (٢) أماتوه ﴿ فأمر به فرجم، فأنزل الله ﷻ ﴿ \* يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا تَحْزُنَكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ (٣) إلى قوله (٤) ﴿ إِنَّ أُوْتِيْتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ ﴾ (٥) .

يقول: ائتوا محمدا فإن أمركم بالتحميم (٦) والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٧) وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٨) ﴿ (٧) في الكفار كلها " (٨) .

وأيضا ما روى مسلم في صحيحه عن جندب بن عبد الله البجلي (٩) قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: ﴿ إني أبرأ إلى الله أن يكون لي (١٠) منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلا، كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني (١١) أنهاكم عن ذلك ﴾ (١) .

(١) في (أ) : وكان الرجم . وفي مسلم كما أثبتته .

(٢) في (أ) : إذا أماتوه . وفي مسلم كما أثبتته .

(٣) سورة المائدة آية : ٤١ .

(٤) في المطبوعة سرد الآية . لكنه في صحيح مسلم كما أثبتته من النسخ المخطوطة .

(٥) سورة المائدة : الآية ٤١ .

(٦) التحميم هو : تسويد الوجه بالفحم ونحوه . انظر : مختار الصحاح ، مادة ( ح م م ) ، ( ص ١٥٧ ) .

(٧) سورة المائدة : من الآية ٤٧ .

(٨) صحيح مسلم ، كتاب الحدود ، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى ، حديث رقم ( ١٧٠٠ ) ، ( ٣ / ١٣٢٧ ) ،

( ٩ ) ، وله شواهد في صحيح البخاري . انظر : الأرقام ( ٦٨١٩ ) ، ( ٦٨٤١ ) فتح الباري .

(٩) هو : جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي ، له صحبة ليست بالقديمة ، سكن الكوفة ثم البصرة . انظر : أسد

الغاية ( ١ / ٣٠٤ ، ٣٠٥ ) .

(١٠) لي : ساقطة من (أ) .

(١١) في (ب ط) : فياني .



وصف ﷺ أن الذين كانوا قبلنا كانوا يتخذون قبور الأنبياء<sup>(٢)</sup> والصالحين مساجد وعقب<sup>(٣)</sup> هذا الوصف بالأمر بحرف الفاء، أن لا يتخذوا القبور مساجد، وقال إنه ﷺ ينهانا<sup>(٤)</sup> عن ذلك. ففيه دلالة على أن اتخاذ من قبلنا سبب لنهينا؛ إما مظهر للنهي، وإما<sup>(٥)</sup> موجب للنهي، وذلك يقتضي: أن أعمالهم دلالة<sup>(٦)</sup> وعلامة على أن الله ينهانا<sup>(٧)</sup> عنها، أو أنها علة مقتضية للنهي.

وعلى التقديرين: يعلم أن مخالفتهم أمر مطلوب للشارع في الجملة، والنهي عن هذا العمل بلعنة اليهود والنصارى مستفيض عنه ﷺ ففي الصحيحين، عن أبي هريرة رضي عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿قاتل الله اليهود<sup>(٨)</sup>؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد<sup>(٩)</sup>﴾ .

وفي لفظ<sup>(١٠)</sup> لمسلم: ﴿لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ، حديث رقم (٥٣٢) ، (١) / ٣٧٧ - ٣٧٨ .

(٢) في (ب) : أنبيائهم .

(٣) في المطبوعة : وعدى .

(٤) في (أ) : نهانا .

(٥) في (أ ط) : أو موجب .

(٦) في (ط) : دالة .

(٧) في (ط) : نهانا .

(٨) في المطبوعة زاد : والنصارى . وهو خلاف جميع النسخ المخطوطة ، وخلاف ما اطلعت عليه من رواية الصحيحين فهي كما أثبتته .

(٩) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، الباب (٥٥) ، الحديث (٤٣٧) من فتح الباري (١ / ٥٣٢)؛ وصحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور . . ، حديث رقم (٥٣٠) ، (١ / ٣٧٦) .

(١٠) في (ب) : وفي لفظ مسلم .

وفي الصحيحين عن عائشة، وابن عباس<sup>(٣)</sup> قالوا: " لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: ﴿ لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ﴾<sup>(٤)</sup> يجذر ما صنعوا " <sup>(٥)</sup> .

وفي الصحيحين أيضا عن عائشة: " أن أم سلمة وأم حبيبة<sup>(٦)</sup> ذكرتا لرسول الله ﷺ كنيسة رأيتها<sup>(٧)</sup> بأرض الحبشة، يقال لها: مارية. وذكرتا<sup>(٨)</sup> من حسننها<sup>(٩)</sup> وتصاوير فيها. فقال رسول الله ﷺ ﴿ أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح، أو الرجل الصالح، بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور<sup>(١٠)</sup> أولئك شرار الخلق عند الله ﷻ ﴾<sup>(١)</sup> .

(١) البخاري الجنائز (١٣٢٤) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣١) ، النسائي المساجد (٧٠٣) ، أحمد (٦) / (١٢١) ، الدارمي الصلاة (١٤٠٣) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ، تابع الحديث السابق (٥٣٠) ، (١) / ٣٧٧ .

(٣) في (ب) : رضي الله عنهم .

(٤) البخاري الصلاة (٤٢٥) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣١) ، النسائي المساجد (٧٠٣) ، أحمد (٦) / (١٤٦) ، الدارمي الصلاة (١٤٠٣) .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، الباب (٥٥) ، الحديث (٤٣٥ ، ٤٣٦) من فتح الباري (١) / (٥٣٢) ؛ وصحيح مسلم ، كتاب المساجد ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور . . ، الحديث (٥٣١) ، (١) / (٣٧٧) .

(٦) هي : أم المؤمنين ، أم حبيبة ، واسمها : رملة بنت أبي سفيان بن حرب ، أسلمت قديما وهاجرت إلى الحبشة ، فلما تنصر زوجها عبيد الله بن جحش تزوجها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، توفيت بالمدينة سنة (٤٤ هـ) . انظر : الإصابة (٤ / ٣٠٥ - ٣٠٧) ، (ت) (٤٣٢) .

(٧) في المطبوعة : رأتها . وفي الصحيحين والنسخ كما أثبتته .

(٨) في (ب) : ذكرتها حسننها .

(٩) في (ج) : جنسها . ولعله خطأ من الناسخ .

(١٠) في (ب) : الصورة .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج﴾<sup>(٢)</sup> رواه أهل السنن الأربعة<sup>(٣)</sup> وقال الترمذي: " حديث حسن " <sup>(٤)</sup> وفي بعض نسخه: " صحيح " <sup>(٥)</sup> .

فهذا التحذير منه واللعن عن مشابهة أهل الكتاب في بناء المسجد على قبر الرجل الصالح<sup>(٦)</sup> صريح في النهي عن المشابهة في هذا<sup>(٧)</sup> ودليل على الحذر من<sup>(٨)</sup> جنس أعمالهم، حيث لا يؤمن في سائر أعمالهم أن تكون من<sup>(٩)</sup> هذا الجنس.

ثم من المعلوم ما قد ابتلي به كثير من هذه الأمة، من بناء المساجد على القبور<sup>(١٠)</sup>

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب هل تبنش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد ، الحديث رقم (٤٢٦) من فتح الباري (١ / ٥٢٣) ، ورقم (٤٣٤ ، ١٣٤١ ، ٣٨٧٨) . وصحيح مسلم ، كتاب المساجد ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ، الحديث رقم (٥٢٨) ، (١ / ٣٧٥) .

(٢) الترمذي الصلاة (٣٢٠) ، النسائي الجنائز (٢٠٤٣) ، أبو داود الجنائز (٣٢٣٦) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٥٧٥) ، أحمد (٣٣٧/١) .

(٣) أبو داود ، كتاب الجنائز ، باب في زيارة النساء القبور ، الحديث (٣٢٣٦) ، (٣ / ٥٥٨)؛ والترمذي ، أبواب الصلاة ، باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجدا ، حديث رقم (٣٢٠) ، (٢ / ١٣٦)؛ وابن ماجه ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في النهي عن زيارة النساء القبور ، حديث (١٥٧٤ ، ١٥٧٥ ، ١٥٧٦)؛ والنسائي ، الجنائز ، باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور (٤ / ٩٤ ، ٩٥) .

(٤) انظر : سنن الترمذي (٢ / ١٣٧) .

(٥) انظر : تعليق أحمد محمد شاكر على الحديث في الترمذي (٢ / ١٣٧) ، حيث أفاد أن للحديث شواهد ترفعه لدرجة الصحيح لغيره .

(٦) الصالح : ساقطة من (أ) .

(٧) في (ب) : في هذا الدليل ، ودليل . . إلخ .

(٨) في (أ) : على جنس . وفي (ب) والمطبوعة : عن جنس .

(٩) في (ط) : في هذا الجنس .

(١٠) من أكبر المصائب التي دعت المسلمين في عصورهم المتأخرة تساهل فريق منهم في بناء المساجد والقباب على القبور ، ثم إصرارهم على هذه البلية ، وهم الآن يستزيدون منها رغم نصح الناصحين ، وتبصير المستبصرين لهم ، وأنت ترى توافر النصوص وثبوتها في التحذير والنهي عن ذلك ، بل إن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما اهتم بشيء في مرض موته كاهتمامه بهذا الأمر الخطير أن تقع فيه أمته ، ومع هذا لا نزال نرى لهذه البدعة قبولا وانتشارا ونسمع لها أئمة ودعاة ومنافحين ، ولم يقتصر الأمر على مجرد البناء على القبور ، بل لقد

واتخاذ القبور مساجد بلا بناء، وكلا الأمرين محرم ملعون فاعله بالمستفيض من السنة، وليس هذا موضع استقصاء ما في ذلك من سائر الأحاديث والآثار؛ إذ الغرض القاعدة الكلية، وإن كان تحريم ذلك قد ذكره غير واحد من علماء الطوائف من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم؛ ولهذا كان السلف من الصحابة والتابعين يبالغون في المنع مما يجزى إلى مثل هذا.

وفيه من الآثار ما لا يليق<sup>(١)</sup> ذكره هنا، حتى روى أبو يعلى الموصلي<sup>(٢)</sup> في مسنده: (٣) - حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة<sup>(٤)</sup> حدثنا زيد<sup>(٥)</sup> بن الحباب<sup>(٦)</sup> حدثنا جعفر بن إبراهيم<sup>(٧)</sup> - من ولد ذي الجناحين - حدثنا علي بن عمر<sup>(٨)</sup> عن أبيه<sup>(١)</sup> عن علي بن حسين<sup>(٢)</sup> أنه

---

اتخذت هذه القبور مزارات ومعابد وقبيلات ، يطاف بها ويدعى فيها المخلوقون من دون الخالق ، فنسأل الله أن يظهر بلاد المسلمين وقلوب من ابتلي منهم من هذا الرجس .

(١) لا يليق ذكره : أي لا يتأتى ولا يمكن ، لكثرتة وطوله .

(٢) هو : أحمد بن علي بن المثني التميمي الموصلي ، أبو يعلى ، الحافظ ، من أشهر علماء الحديث في عصره ، نعتة الذهبي بمحدث الموصل ، وله مصنفات ، منها : المعجم ، ومسندان؛ صغير وكبير ، وكان ثقة صالحا متقنا ، توفي سنة (٣٠٧ هـ) وعمره (٩٩) . انظر : شذرات الذهب (٢ / ٢٥٠)؛ والأعلام للزركلي (١ / ١٧١) . (٣) في المطبوعة : بسنده .

(٤) هو : عبد الله بن محمد بن إبراهيم - وإبراهيم هو أبو شيبة - بن عثمان ، أبو بكر بن شيبة الكوفي ، الواسطي الأصل ، صاحب التصانيف المشهورة ، من الثقات الحفاظ المشاهير ، من الطبقة العاشرة ، توفي سنة (٢٣٥ هـ) . انظر : تقريب التهذيب (١ / ٤٤٥) ، ترجمة رقم (٥٨٩) ع .

(٥) في المطبوعة : يزيد ، وهو خطأ ، وفي جميع النسخ زيد .

(٦) هو : زيد بن الحباب ، أبو الحسين ، العكلي ، كان بالكوفة ، وأصله من خراسان ، قال ابن حجر في التقريب : " صدوق يخطئ في حديث الثوري " . أخرج له مسلم وأصحاب الكتب الستة عدا البخاري ، توفي سنة (٢٠٣ هـ) . انظر : تقريب التهذيب (١ / ٢٧٣) ، (ت ١٧٨) ز .

(٧) هو : جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، قال ابن حجر في لسان الميزان : " قال ابن حبان : يعتبر بحديثه من غير روايته عن أبيه " . انظر : الجرح والتعديل (٢ / ٤٧٤) ، (ت ١٩٢٨) ؛ ولسان الميزان (٢ / ١٠٦ - ١٠٧) ، (ت ٤٣٢) ج .

(٨) هو : علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ذكره ابن أبي حاتم وسكت عنه ، وكذلك ذكره البخاري في التاريخ الكبير ، وقال : روى عنه جعفر بن إبراهيم ، ولم يذكر عنه شيئا أيضا . انظر : الجرح والتعديل (٦ / ١٩٦) ، (ت ١٠٧٨)؛ والتاريخ الكبير (٦ / ٢٨٩) ، (ت ٢٤٣١) .

رأى رجلا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها، فيدعو، فنهاه، فقال: " ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي (٣) عن النبي ﷺ (٤) ؟ قال: ﴿ لا تتخذوا قبوري عيدا، ولا بيوتكم قبورا، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم ﴾ (٥) . وأخرجه محمد بن عبد الواحد المقدسي الحافظ (٦) في مستخرجه (٧) .

(١) هو : عمر بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب ، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل وسكت عنه ، وكذلك البخاري في التاريخ الكبير . انظر : الجرح والتعديل (٦ / ١٢٤) ، (ت ٦٧٧)؛ والتاريخ الكبير (٦ / ١٧٩) ، (ت ٢٠٩٧) .

(٢) كذا في (أ) ، وهو الأصح ، وفي المطبوعة والنسخ الأخرى : ابن الحسن . وهو : علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، زين العابدين . قال ابن حجر : " ثقة ثبت عابد فقيه فاضل مشهور " ، قال ابن عيينة : عن الزهري : " ما رأيت قرشيا أفضل منه " . من الثالثة . مات سنة (٩٣ هـ) ، أخرج له الستة . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ٣٥) ، (ت ٣٢١) ع .

(٣) أبوه الحسين بن علي ، وجدته علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهما .

(٤) في (أ ط) : عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(٥) أبو داود المناسك (٢٠٤٢) ، أحمد (٣٦٧/٢) .

(٦) هو : ضياء الدين محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن السعدي المقدسي الصالحي ، الحافظ الإمام ، محدث عصره ، ولد سنة (٥٦٩ هـ) ، وله مصنفات كثيرة في الفقه والحديث والتوحيد . لم أجد مستخرجه الذي أشار إليه المؤلف هذا ذكرا إلا أن يكون كتابه (الأحاديث المختارة) ، لأنه في الأحاديث التي يصلح أن يحتج بها سوى ما في الصحيحين ، ويرجح هذا ما سيذكره المؤلف في هذا الكتاب . انظر (٢ / ١٤١) . توفي سنة (٦٤٣ هـ) . انظر : الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (٢ / ٢٣٦ - ٢٤١) .

(٧) أشار ابن حجر في لسان الميزان إلى هذا الحديث عند ترجمة جعفر بن إبراهيم ، وخرجه من أكثر من طريق : الأولى : أشار إليها المؤلف هنا عن أبي يعلى الموصلي وذكرها مختصرة . الثانية : عن إسماعيل بن إسحاق القاضي في كتابه فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم . الثالثة : عن ابن أبي عاصم في كتاب فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وذكر في الأخيرة آخر الحديث فقط ، وفصل الأولى . انظر : لسان الميزان (٢ / ١٠٦ ، ١٠٧) في ترجمة جعفر بن إبراهيم (٤٣٢) ج . وللحديث شاهد جيد أيضا سيشير إليه المؤلف في الصفحة التالية ، كما ذكره السيوطي في الجامع الصغير بلفظ : " صلوا في بيوتكم ، ولا تتخذوها قبورا ، ولا تتخذوا بيوتكم قبورا ، وصلوا علي وسلموا ، فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم " ، وقال السيوطي : حديث صحيح (٢ / ٩٧) . كما أخرجه الإمام إسماعيل بن إسحاق القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بإسناد آخر عن علي بن حسين وبألفاظ مقاربة لما ذكره المؤلف هنا ، الحديث رقم (٢٠) ، (ص ١٠ ، ١١) ، والحديث بمجموع طرقه وشواهد يصل لدرجة الصحيح إن شاء الله .

وروى سعيد بن منصور في سننه: حدثنا عبد العزيز بن محمد <sup>(١)</sup> أخبرني سهيل بن أبي سهيل <sup>(٢)</sup> قال: " رأيت الحسن بن الحسن <sup>(٣)</sup> بن علي بن أبي طالب <sup>(٤)</sup> رضي الله عنه عند القبر فناداني، وهو في بيت فاطمة <sup>(٥)</sup> يتعشى، فقال: هلم إلى العشاء، فقلت: لا أريده، فقال: مالي رأيتك عند القبر؟ قلت: سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " إذا دخلت المسجد فسلم. ثم قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ لا تتخذوا قبوري عيداً، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر، لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم ﴾ <sup>(٦)</sup> ، ما أنت ومن بالأندلس إلا سواء " <sup>(٧)</sup> .

ولهذا ذكر الأئمة - أحمد وغيره، من أصحاب مالك وغيرهم - : إذا سلم على

- (١) هو : عبد العزيز بن محمد بن عبيد الدراوردي المدني ، أبو محمد ، صدوق سيئ الحفظ يخطئ ، مات سنة ( ١٨٦ هـ ) . انظر : تهذيب التهذيب ( ٦ / ٣٥٣ - ٣٥٥ ) ، ( ت ٦٧٧ ) ع .
- (٢) في ( ب ج د ) : سهل . ولعل ( سهيل ) أصح ، ولم أحد له ترجمة وافية ، لكن أشار إليه البخاري في التاريخ الكبير ، وقال : " سهيل عن حسن بن حسن ، روى عنه محمد بن عجلان ، منقطع " ، كما أشار إليه ابن أبي حاتم الرازي في الجرح والتعديل وسكت عنه . انظر : التاريخ الكبير ( ٤ / ١٠٥ ) ، ( ت ٢١٢٢ ) و . انظر : الجرح والتعديل ( ٤ / ٢٤٩ ) ، ( ت ١٠٧١ ) .
- (٣) في المطبوعة : رأيت علي الحسن بن علي . وهو خطأ . وفي ( ط ) : رأيت الحسن بن علي . وهو خطأ كذلك .
- (٤) قال ابن حجر عنه : " صدوق من الرابعة " ، مات سنة ( ٩٧ هـ ) ، وعمره بضع وخمسون سنة . انظر : تقريب التهذيب ( ١ / ١٦٥ ) ، ترجمة ( ٢٦٢ ) ح .
- (٥) هي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وعلى وآله وسلم . وتأني ترجمتها رضي الله عنها ( ص ٤٣٤ ) .
- (٦) أبو داود المناسك ( ٢٠٤٢ ) ، أحمد ( ٣٦٧/٢ ) .
- (٧) أخرجه بهذا الإسناد الإمام إسماعيل بن إسحاق القاضي ، في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، الحديث رقم ( ٣٠ ) ، وليس فيه قوله : " وما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء " ، وأخرجه بإسناد آخر في الحديث رقم ( ٢٠ ) ، وفي ألفاظه اختلاف يسير ، وقد أشرت إليه في هامش الحديث السابق ، وقوله : " ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء " ، من كلام الحسن لا من كلام الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم . والله أعلم . وأخرجه البزار بمسنده عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : " لا تجعلوا قبوري عيداً ولا بيوتكم قبوراً ، وصلوا عليّ وسلموا فإن صلاتكم تبلغني " ، وقال البزار عن هذا : وهذا غير منكر وقد روي من غير وجه : " لا تجعلوا قبوري عيداً ولا بيوتكم قبوراً " . كشف الأستار عن زوائد البزار ( ١ / ٣٣٩ ، ٣٤٠ ) ، رقم ( ٧٠٧ ) . انظر : التوسل والوسيلة للمؤلف ( ص ٧٣ ) .

---

النبي ﷺ وقال ما ينبغي له أن يقول، ثم أراد أن يدعو، فإنه يستقبل القبلة<sup>(١)</sup> ويجعل  
الحجرة عن يساره.

---

(١) انظر : إغاثة الطالبين (٢ / ١٤٣) للسيد البكري .

روى مسلم في صحيحه، عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين<sup>(٢)</sup> عن أبيه<sup>(٣)</sup> عن جابر في حديث حجة الوداع، قال: " حتى إذا زالت الشمس - يعني يوم عرفة - أمر بالقصواء<sup>(٤)</sup> فرحلت له<sup>(٥)</sup> فأتى بطن الوادي<sup>(٦)</sup> فخطب الناس وقال: ﴿إِنْ دَمَاءَكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ﴾<sup>(٧)</sup> هذا، في شهركم هذا<sup>(٨)</sup> في بلدكم هذا<sup>(٩)</sup> ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي<sup>(١٠)</sup> موضوع<sup>(١١)</sup> ودماء الجاهلية موضوعة<sup>(١٢)</sup> وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث - كان مسترضعا في بني سعد فقتلته

(١) في المطبوعة زاد الناشر: " في ذكر فوائد خطبته صلى الله عليه وعلى آله وسلم العظيمة في يوم عرفة " ، وكان الأولى أن يوضع في الهامش الأسفل أو الجانبي؛ لأنه لا يوجد في النسخ المخطوطة . وكلمة (فصل) سقطت من المطبوعة .

(٢) هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، الشهير بجعفر الصادق ، من الأئمة الثقات الفقهاء المشاهير ، أخرج له البخاري ومسلم وسائر أصحاب السنن ، توفي سنة (١٤٨ هـ) . انظر : تقريب التهذيب (١ / ١٣٢) ، ترجمة (٩٢) ج .

(٣) هو : محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبو جعفر الباقر ، من الأئمة الثقات الفضلاء المشاهير ، أخرج له البخاري ومسلم وسائر الأئمة ، توفي سنة (١١٠ هـ) . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ١٩٢) ، ترجمة (٥٤٢) م .

(٤) القصواء : اسم ناقته صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(٥) له : سقطت من (ط) . ورحلت له : أي شد على ظهرها الرحل ليركبها . انظر : مختار الصحاح ، مادة (ر ح ل) ، (ص ٢٣٧) .

(٦) وادي عرنة .

(٧) أي : يوم عرفة .

(٨) أي : شهر ذي الحجة .

(٩) أي : البلد الحرام (مكة) .

(١٠) في (ب) قال : قدمي هذا . وهو خلاف ما في مسلم والنسخ الأخرى .

(١١) أي : باطل ومرفوض .

(١٢) أي : باطلة وهدر ، لا قود لها بعد الإسلام؛ لأنها إنما قامت على الظلم والحمية والعصبية الجاهلية .



هذيل-، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع من<sup>(١)</sup> ربانا ربا العباس بن عبد المطلب<sup>(٢)</sup> فإنه موضوع كله. فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله؛ ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح؛ ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تسألون عني<sup>(٣)</sup> فماذا أنتم قائلون؟". قالوا: نحن نشهد أنك قد بلغت، وأديت ونصحت. فقال - بإصبعه السبابة<sup>(٤)</sup> يرفعها إلى السماء وينكبها<sup>(٥)</sup> إلى الناس-: "اللهم اشهد<sup>(٦)</sup> - ثلاث مرات -"، ثم أذن، فأقام<sup>(٧)</sup> فصلي الظهر؛ ثم أقام، فصلي العصر، ولم يصل بينهما شيئا، ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف ﴿ وذكر تمام الحديث<sup>(٨)</sup> .

فقال<sup>(٩)</sup> ﷺ ﴿ كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ﴾<sup>(١٠)</sup> (١١). وهذا يدخل فيه ما كانوا عليه من العادات والعبادات، مثل دعواهم: يا لفلان<sup>(١٢)</sup> ويا لفلان،

(١) من ربانا: سقطت من (ج د). وهي في مسلم موجودة. وفي (أ ط): "من" ساقطة.

(٢) هو: عم الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم. مرت ترجمته. انظر: فهرس الأعلام.

(٣) عني: ساقطة من (ك أ).

(٤) السبابة هي التي تلي الإبهام، فأصابع اليد بالترتيب هي: ١- الإبهام، ٢- السبابة، ٣- الوسطى، ٤- الخنصر، ٥- البنصر.

(٥) في المطبوعة: (وينكبها). وكلا اللفظين وارد. انظر: هامش صحيح مسلم (٢ / ٨٩٠) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٦) في (أ ط): اللهم اشهد، اللهم اشهد، ثلاث مرات.

(٧) في (أ ط): ثم أقام.

(٨) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حديث رقم (١٢١٨)، (٢ / ٨٨٦) وما بعدها.

(٩) في المطبوعة: يقول.

(١٠) مسلم الحج (١٢١٨)، أبو داود المناسك (١٩٠٥)، الدارمي المناسك (١٨٥٠).

(١١) من الحديث السابق.

(١٢) في (أ): يا لفلان. وفي (ط): يا فلان ويا فلان.

ومثل أعيادهم، وغير ذلك من أمورهم.

ثم خص - بعد ذلك - الدماء والأموال التي كانت تستباح باعتقادات جاهلية، من الربا الذي كان في ذمم أقوام، ومن قتل في الجاهلية قبل إسلام القاتل وعهده، أو قبل إسلام المقتول وعهده: إما لتخصيصها بالذكر بعد العام، وإما لأن<sup>(١)</sup> هذا إسقاط لأمر معينة، يعتقد<sup>(٢)</sup> أنها حقوق، لا لسنن عامة لهم، فلا تدخل في الأول، كما لم تدخل الديون التي ثبتت ببيع صحيح، أو قرض، ونحو ذلك.

ولا يدخل في هذا اللفظ: ما كانوا عليه في الجاهلية، وأقره الله في الإسلام، كالمناسك، وكدية المقتول بمائة<sup>(٣)</sup> وكالقسامة، ونحو ذلك؛ لأن أمر الجاهلية معناه المفهوم منه: ما كانوا عليه مما لم يقره الإسلام، فيدخل في ذلك: ما كانوا عليه وإن لم<sup>(٤)</sup> ينه في الإسلام عنه بعينه.

وأيضاً ما روى أبو داود والنسائي وابن ماجه، من حديث عياش<sup>(٥)</sup> بن عباس<sup>(٦)</sup> عن أبي الحصين<sup>(٧)</sup> - يعني الهيثم بن شفي<sup>(٨)</sup> - قال: " خرجت أنا وصاحب لي يُكنى أبا عامر - رجل من المعافر<sup>(٩)</sup> - لنصلي<sup>(١٠)</sup> بإيلياء<sup>(١)</sup> وكان قاصهم رجل<sup>(٢)</sup> من الأزدي

(١) في (ط) : وأما أن .

(٢) في المطبوعة : يعتقدون .

(٣) في المطبوعة : من الإبل .

(٤) في (د) : ولم ينه عنه .

(٥) في (أ) : من حديث عباس عن أبي الحصين . وفي (ب ط) : من حديث عياش بن عباس . والصحيح ما أثبتته .

(٦) هو : عياش بن عباس القتباني المصري ، قال ابن حجر : " ثقة " من الطبقة السادسة ، روى له مسلم وبقية

أصحاب الكتب الستة عدا البخاري ، مات سنة (١٣٣ هـ) ، وسيتكلم المؤلف في توثيقه بعد سرد الحديث .

انظر : تقريب التهذيب (٢ / ٩٥) ، (ت ٨٤٩) ع .

(٧) في المطبوعة : المصري .

(٨) هو : الهيثم بن شفي الرعيني ، أبو الحصين ، الحجري ، المصري ، ثقة ، من الطبقة الثانية . انظر : تقريب

التهذيب (٢ / ٣٢٧) ، (ت ١٧٧) .

(٩) هو عبد الله بن جابر المعافري الحجري ، المصري ، مقبول ، من الثالثة ، أخرج له أبو داود والنسائي . تقريب

التهذيب (٢ / ٤٤٤) ، (ت ١٥) .

(١٠) في (أ) : لنصلي ماء بإيليا . وهو خلط من الناسخ .

يقال له: أبو ريحانة<sup>(٣)</sup> من الصحابة. قال أبو الحصين: فسبقتني صاحبي إلى المسجد، ثم ردفته فجلست إلى جنبه، فسألني: هل أدركت قصص أبي ريحانة؟ قلت: لا. قال: سمعته يقول: هني رسول الله ﷺ عن عشر: عن الوشر<sup>(٤)</sup>؛ والوشم<sup>(٥)</sup>؛ والنتف<sup>(٦)</sup>؛ وعن مكامعة<sup>(٧)</sup> الرجل الرجل بغير شعار؛ ومكامعة المرأة المرأة بغير شعار؛ وأن يجعل الرجل بأسفل ثيابه حريرا، مثل الأعاجم؛ أو يجعل على منكبيه حريرا، مثل الأعاجم؛ وعن النهي<sup>(٨)</sup>؛ وركوب النمر<sup>(٩)</sup>؛ ولبوس الخاتم إلا لذي سلطان<sup>(١٠)</sup>. وفي رواية عن أبي ريحانة قال: "بلغني أن رسول الله ﷺ... " (١١) هذا الحديث محفوظ من حديث عياش بن عباس. رواه عنه المفضل<sup>(١٢)</sup> بن فضالة، وحيوة بن شريح المصري<sup>(١)</sup> ويحيى

(١) إيلياء: هي بيت المقدس. انظر: معجم البلدان لياقوت (١ / ٢٩٣).

(٢) في (ج د): رجلا. على أنه خبر كان. ومعنى قاصهم: الذي يتلو عليهم الأخبار والأحاديث والقصص والمواعظ.

(٣) هو: سمعون بن يزيد بن خنافة، الأزدي، صحابي جليل، صحب الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم وروى عنه أحاديث، وسكن بيت المقدس، وشهد فتح دمشق، وقدم مصر، واشتهر بكنيته: أبو ريحانة. انظر: أسد الغابة (٣ / ٣) ش م.

(٤) الوشر: هو أن تحدد المرأة أسناتها وترققها. انظر: مختار الصحاح، مادة (و ش ر)، (ص ٧٢٣).

(٥) الوشم: غرز الجلد بإبرة ونحوها وذر شيء عليها يصبغ الجلد. انظر: مختار الصحاح، مادة (و ش م)، (ص ٧٢٣).

(٦) المقصود بالنتف هنا: نتف المرأة الشعر من وجهها، أو نتف الرجل لحيته أو حاجبه، ونتف الشعر الأبيض، ونتف الشعر عند المصيبة، ونحو ذلك. انظر: عون المعبود (١١ / ٩٧).

(٧) المكامعة: المضاجعة بين الرجلين أو المرأتين بدون ستر بينهما. انظر: مختار الصحاح، مادة (ك م ع)، (ص ٥٧٩).

(٨) في (ب): النهي. وهو خطأ. والنهي: من النهب وهو الغارة والسلب، كما تطلق على ما ينهب أيضا. انظر: لسان العرب (١ / ٧٧٣، ٧٧٤)، مادة (نهب).

(٩) أي: ركوب جلود النمر، قيل: لألها من زبي الأعاجم. انظر: عون المعبود (١١ / ٩٨).

(١٠) سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب من كرهه (أي الحرير)، حديث رقم (٤٠٤٩)، (٤ / ٣٢٥، ٣٢٦)؛ وسنن

النسائي، في كتاب الزينة، باب النتف، (٨ / ١٤٣، ١٤٤)؛ ومسنده أحمد (٤ / ١٣٤). وذكره السيوطي في

الجامع الصغير (٢ / ٧٠١)، الحديث رقم (٩٤٩٤)، وقال: "حديث حسن" ولم أحده في سنن ابن ماجه.

(١١) أخرجه النسائي بلفظ: "بلغنا"، كتاب الزينة، باب تحريم الوشر (٨ / ١٤٩).

(١٢) هو: المفضل بن فضالة بن عبيد بن ثمامة الرعيبي، ثم القتباني، أبو معاوية، المصري القاضي، من أهل

الفضل والدين، ثقة في الحديث، توفي سنة (١٨١ هـ)، وكانت ولادته سنة (١٠٧ هـ). انظر: تهذيب

التهذيب (١٠ / ٢٧٣، ٢٧٤)، (ت ٤٩١) م.

بن أيوب<sup>(٢)</sup> . وكل منهم ثقة، وعياش بن عباس روى له مسلم، وقال يحيى بن معين: " ثقة " <sup>(٣)</sup> . وقال أبو حاتم: " صالح " <sup>(٤)</sup> . وأما أبو الحصين - الهيثم بن شفي - قال الدارقطني: شفي بفتح الشين وتخفيف الفاء، وأكثر المحدثين يقولون: شفي، وهو غلط. وأبو عامر الحجري<sup>(٥)</sup> فشيخان، قد روى عن كل واحد <sup>(٦)</sup> منهما أكثر من واحد. وهما من الشيوخ القدماء.

وهذا الحديث قد أشكل على أكثر الفقهاء، من جهة أن يسير الحرير قد دل على جوازه نصوص متعددة، ويتوجه تحريمه على الأصل، وهو: أن يكون صلى الله عليه وعلى آله وسلم إنما كره أن يجعل الرجل على أسفل ثيابه، أو على منكبيه حريرا، مثل الأعاجم، فيكون المنهي عنه نوعا كان <sup>(٧)</sup> شعارا للأعاجم. فنهى عنه <sup>(٨)</sup> لذلك، لا لكونه حريرا؛ فإنه لو كان النهي <sup>(٩)</sup> عنه لكونه حريرا لعم الثوب كله، ولم يخص هذين الموضعين، ولهذا قال فيه: " مثل الأعاجم " .

والأصل في الصفة: أن تكون لتقيد الموصوف، لا لتوضيحه. وعلى هذا يمكن تخريج ما رواه أبو داود بإسناد صحيح عن سعيد بن أبي عروبة <sup>(١٠)</sup> عن قتادة، عن الحسن، عن <sup>(١)</sup>

(١) هو : حيوة بن شريح بن صفوان التميمي ، أبو زرعة ، المصري ، قال ابن حجر في التقریب : " ثقة ثبت فقيه زاهد ، من السابعة ، مات سنة ثمان ، وقيل : تسع وخمسين " ، يعني : ومائة ( ١٥٨ هـ ) . روى له أصحاب الكتب الستة . انظر : تقریب التهذيب ( ١ / ٢٠٨ ) ، ( ت ٦٥٨ ) ح .

(٢) هو : يحيى بن أيوب الغافقي ، أبو العباس ، المصري ، قال ابن حجر : " صدوق ربما أخطأ ، من السابعة " ، توفي سنة ( ١٦٨ هـ ) ، روى له أصحاب الكتب الستة . انظر : التقریب ( ٢ / ٣٤٣ ) ، ( ت ٢٢ ) ي .

(٣) انظر : الجرح والتعديل ( ٧ / ٦ ) .

(٤) انظر : الجرح والتعديل ( ٧ / ٦ ) .

(٥) في المطبوعة : الأزدي .

(٦) واحد : سقطت من (أ ب ط) .

(٧) في (أ) : شعار الأعاجم . وفي (ط) : أو شعارا للأعاجم .

(٨) في (أ) : كذلك .

(٩) في (ب) : المنهي عنه .

(١٠) هو : سعيد بن أبي عروبة ، مهران اليشكري - مولاهم - البصري ، أبو النضر ، قال ابن حجر : " ثقة حافظ له تصانيف ، لكنه كثير التدليس ، واختلط ، وكان من أثبت الناس في قتادة " ، من الطبقة السابعة ،

عمران بن حصين، أن نبي الله ﷺ قال: ﴿ لا أركب الأرجوان <sup>(٢)</sup> ولا ألبس المعصفر، ولا ألبس القميص المكف بالحرير . قال <sup>(٣)</sup> فأوماً الحسن إلى جيب قميصه، قال: وقال: " ألا <sup>(٤)</sup> وطيب الرجال ريح لا لون له، ألا وطيب النساء لون لا ريح له ﴾ . قال سعيد: " أراه قال: إنما حملوا قوله في طيب النساء: على أنها إذا خرجت، فأما إذا كانت عند زوجها فلتطيب بما شاءت " <sup>(٥)</sup> . أو يخرج هذا الحديث على الكراهية فقط. وكذلك قد يقال في الحديث الأول <sup>(٦)</sup> لكن في ذلك نظر.

وأيضا، ففي الصحيحين عن رافع بن خديج <sup>(٧)</sup> قال: ﴿ قلت: يا رسول الله! إنا لاقو العدو غدا، وليس معنا مدى <sup>(٨)</sup> أفندبح بالقصب <sup>(٩)</sup> ؟ فقال: ما أهر الدم، وذكر اسم الله

---

توفي سنة (١٥٦ هـ) ، وأخرج له أصحاب الكتب الستة . انظر : تقريب التهذيب ( ١ / ٣٠٢ ) ، ( ت ٢٢٦ ) .

- (١) في (أ) : عن الحسن بن عمران . وهو تحريف من الناسخ .
- (٢) الأرجوان : يطلق على شجر له ورد ، ويطلق على الصبغ الأحمر ، وعلى الثوب المصبوغ بالأحمر ، وهذا الأخير هو المعنى في الحديث . قال الخطابي : في معالم السنن : " وأراه أراد به المياثر الحمر وقد تتخذ من ديباج وحرير ، وقد ورد فيه النهي . . " . معالم السنن للخطابي في هامش سنن أبي داود ( ٤ / ٣٢٤ ) . وانظر : المعجم الوسيط ( ١ / ١٣ ) ، باب الهمزة .
- (٣) قال : سقطت من المطبوعة .
- (٤) في (أ) : إلا طيب . فأسقط واو العطف .
- (٥) انظر : سنن أبي داود ، كتاب اللباس ، باب من كرهه (أي : لبس الحرير) ، حديث رقم (٤٠٤٨) ، ( ٤ / ٣٢٤ ) . وللحديث شاهد في الترمذي ، الحديث رقم (٢٧٨٨) ، كتاب الأدب ، باب طيب الرجال والنساء ( ٥ / ١٠٧ ) . وقال الترمذي : " هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه " . وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ( ٣ / ٢٤٦ ) .
- (٦) وهو حديث أبي ریحانة الذي جاء النهي فيه عن أن يجعل الرجل في أسفل ثيابه وعلى منكبيه حريرا مثل الأعاجم ، أي أنه يخرج على الكراهة .
- (٧) هو الصحابي الجليل : رافع بن خديج بن رافع بن عدي بن يزيد الأنصاري الأوسي ، استصغره الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم أحد وأجازته فخرج بها وما بعدها ، وكان عريف قومه في المدينة ، ومات بها على أثر جراح أصابته يوم أحد ، فانتفضت عليه بعد عمر طويل سنة (٥٩ هـ) ، وقيل : (٧٣) ، وعمره (٨٦) سنة . انظر : الإصابة ( ١ / ٤٩٥ - ٤٩٦ ) ، ( ت ٢٥٢٦ ) د .
- (٨) المدى : جمع مدية وهي الشفرة (السكين) . انظر : مختار الصحاح ، مادة (م د ي) ، ( ص ٦١٩ ) .

عليه، فكل، ليس السن والظفر، وسأحدثكم عن ذلك، أما السن: فعظم، وأما الظفر:  
فمدى الحبشة ﴿٢﴾ .

نهى النبي ﷺ عن الذبح بالظفر، معللا بأنها <sup>(٣)</sup> مدى الحبشة، كما علل السن: بأنه عظم. وقد اختلف الفقهاء في هذا، فذهب أهل الرأي: إلى أن علة النهي كون الذبح بالسن والظفر يشبه الخنق، أو هو مظنة الخنق، والمنخنة محرمة، وسوغوا على هذا: الذبح بالسن والظفر المتزوجين؛ لأن التذكية بالآلات المنفصلة المحددة <sup>(٤)</sup> لا خنق فيه. والجمهور منعوا من ذلك مطلقا؛ لأن النبي ﷺ استثنى السن والظفر مما أهر الدم <sup>(٥)</sup> فعلم أنه من المحدد الذي لا يجوز التذكية به، ولو كان لكونه خنقا، لم يستثنه، والمظنة إنما تقام مقام الحقيقة إذا كانت الحكمة خفية أو غير منضبطة، فأما مع ظهورها وانضباطها فلا.

وأیضا، فإنه مخالف لتعليل رسول الله ﷺ المنصوص في الحديث، ثم اختلف هؤلاء: هل يمنع من التذكية بسائر <sup>(٦)</sup> العظام، عملا بعموم العلة؟ على قولين، في مذهب أحمد وغيره. وعلى الأقوال الثلاثة <sup>(٧)</sup> فقولہ ﷺ ﴿وأما الظفر، فمدى الحبشة﴾ <sup>(١)</sup> بعد قوله:

(١) القصب : قال في لسان العرب : " القصب كل نبات ذو أنابيب ، واحدهما قصبه ، وكل نبات كان ساقه أنابيب وكعوبا فهو قصب " . انظر : لسان العرب ( ١ / ٦٧٤ ) ، مادة (قصب) .

(٢) انظر : صحيح البخاري ، كتاب الشركة ، باب قسمة الغنم ، حديث رقم (٢٤٨٨) من فتح الباري ( ٥ / ١٣١ ) ، وأيضا الأرقام (٢٥٠٧) ، (٣٠٧٥) وغيرها . وصحيح مسلم ، كتاب الأضاحي ، باب جواز الذبح بكل ما أهر الدم ، إلا السن والظفر وسائر العظام ، حديث رقم (١٩٦٨) ، (٣ / ١٥٥٨) .

(٣) في (ب ج د) : بأنه . و (بأهما) أصح لغة .

(٤) في (ب) والمطبوعة : المحدودة .

(٥) انظر : المغني والشرح الكبير ( ١١ / ٤٣ ، ٤٥ ) من المغني . وانظر : بداية المجتهد ونهاية المقتصد ( ١ / ٥٤٨ ، ٥٤٩ ) .

(٦) في (أ) : بسائر الطعام . وفي (ط) : كسائر العظام .

(٧) هي بإيجاز : أولا : أن علة النهي بالذبح بالسن والظفر كونه يشبه الخنق ، وعلى هذا يجوز الذبح بالسن والظفر المتزوجين . ثانيا : المنع من الذبح بهما مطلقا؛ لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم استثناهما مما أهر الدم ، فهو من المحدد الذي لا يجوز التذكية به . ثالثا : أن النهي يشمل سائر العظام عملا بعموم الأدلة .

﴿ سأحدثكم عن ذلك ﴾ يقتضي أن هذا الوصف - وهو كونه مدى الحبشة - له تأثير

في المنع: إما أن يكون علة، أو دليلاً على العلة؛ أو وصفاً من أوصاف العلة، أو دليلها<sup>(٢)</sup> والحبشة في أظفارهم طول، فيذكون بها دون سائر الأمم، فيجوز أن يكون نهي<sup>(٣)</sup> عن ذلك؛ لما فيه من مشابھتهم فيما يختصون به.

وأما العظم: فيجوز أن يكون نهي عن التذكية به<sup>(٤)</sup> كنهيه عن الاستنجاء به؛ لما فيه من تنجيسه على الجن، إذ الدم نجس، وليس الغرض هنا ذكر مسألة الزكاة بخصوصها<sup>(٥)</sup> فإن فيها كلاماً ليس هذا موضعه.

وأيضاً، في الصحيحين عن الزهري<sup>(٦)</sup> عن سعيد بن المسيب<sup>(٧)</sup> قال: " البحيرة التي يمنح<sup>(٨)</sup> درها للطواغيت، فلا يجلبها أحد من الناس، والسائبة: كانوا يسيبونها لآلهم، لا يحمل عليها شيء "، وقال: قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ ﴿ رأيت عمرو بن عامر

الخراعي<sup>(٩)</sup> يجر قصبه في النار، كان أول من سيب السوائب ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) البخاري الشركة (٢٣٥٦)، مسلم الأضاحي (١٩٦٨)، الترمذي الأحكام والفوائد (١٤٩١)، النسائي الضحايا (٤٤١٠)، أحمد (٤٦٣/٣).

(٢) أي دليل العلة.

(٣) في المطبوعة: نهي.

(٤) به: ساقطة من (أ).

(٥) في (ب): خصوصها.

(٦) هو الإمام: محمد بن مسلم بن شهاب. مرت ترجمته. انظر: فهرس الأعلام.

(٧) هو الإمام: سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي المخزومي، من أئمة التابعين وعلمائهم الأثبات، ومن الفقهاء الكبار، قال ابن حجر: " من كبار الثانية، اتفقوا على أن مراسلاته أصح المراسيل، وقال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه ". مات بعد التسعين هجرية وقد ناهز الثمانين. انظر: تقريب التهذيب (١ / ٣٠٥، ٣٠٦)، (ت ٢٦٠) س.

(٨) في (ط): يمنح ردها الطواغيت.

(٩) ذكر عنه المؤلف ما يكفي للتعريف به. وانظر: فتح الباري (٦ / ٥٤٧ - ٥٤٩).

وروى مسلم، من حديث سهيل<sup>(٢)</sup> بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:  
قال رسول الله صلوات الله عليه ﴿ رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف، أخا<sup>(٣)</sup> بني كعب، وهو  
يجر قصبه في النار ﴾<sup>(٤)</sup> .

وللبخاري، من حديث أبي صالح<sup>(٥)</sup> عن أبي هريرة: أن رسول الله صلوات الله عليه قال: ﴿ عمرو  
بن لحي بن قمعة بن خندف، أبو خزاعة ﴾<sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup> .

هذا من العلم المشهور: أن عمرو بن لحي هو<sup>(٨)</sup> أول من نصب الأنصاب حول  
البيت، ويقال: إنه جلبها من البلقاء<sup>(٩)</sup> من<sup>(١٠)</sup> أرض الشام، متشبهًا بأهل البلقاء، وهو  
أول من سيب السائبة، ووصل الوصيلة، وحمل الحام، فأخبر النبي صلوات الله عليه أنه رآه ﴿ يجر قصبه

(١) صحيح البخاري ، كتاب المناقب وباب قصة خزاعة ، حديث رقم (٣٥٢١) من فتح الباري (٦ / ٥٤٧)؛ وصحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ، تابع الحديث رقم (٢٨٥٦) ، (٤ / ٢١٩٢) . انظر : هامش صحيح مسلم (٤ / ٢١٩١) .

(٢) في (أ) : سهل . والصحيح ما أثبتته ، وهو : سهيل بن أبي صالح ، ذكوان السمان ، أبو يزيد ، المدني ، صدوق ، أخرج له الخمسة والبخاري تعليقا ومقرونا . توفي في خلافة المنصور . انظر : تقريب التهذيب (١ / ٣٣٨) ، (ت ٥٨٠) .

(٣) في بعض نسخ مسلم : أبا بني كعب .

(٤) صحيح مسلم ، الكتاب والباب السابقان ، حديث رقم (٢٨٥٦) ، (٤ / ٢١٩١ - ٢١٩٢) .

(٥) هو : ذكوان ، أبو صالح ، السمان الزيات المدني ، مولى جويرية بنت الأحس الغطفاني ، من الثقات الأجلاء الصالحين ، أخرج له الستة ، توفي سنة (١٠١هـ) . انظر : تهذيب التهذيب (٣ / ٢١٩ - ٢٢٠) ، (ت ٤١٧) .

(٦) البخاري المناقب (٣٣٣٢) .

(٧) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب قصة خزاعة ، الحديث رقم (٣٥٢٠) من فتح الباري (٦ / ٥٤٧) .

(٨) هو : ساقطة من (أ ط) .

(٩) البلقاء : هي البلاد الواقعة بين الشام ووادي القرى شمال جزيرة العرب ، وقاعدتها عمّان ، فهي تشكل جزءا من الأردن الآن ، وكانت قديما من أعمال دمشق . انظر : معجم البلدان لياقوت (١ / ٤٨٩) .

(١٠) من : ساقطة من (أ) .



﴿ في النار ﴾<sup>(١)</sup> وهي الأمعاء ومنه سمي القصاب بذلك؛ لأنها تشبه القصب، ومعلوم أن

العرب قبله كانوا على ملة أبيهم إبراهيم على شريعة التوحيد، والحنيفية السمحة، دين أبيهم<sup>(٢)</sup> إبراهيم.

فتشبه عمرو بن لحي - وكان عظيم أهل مكة يومئذ؛ لأن خزاعة كانوا ولاة البيت قبل قريش، وكان سائر العرب متشبهين بأهل مكة؛ لأن فيها بيت الله، وإليها الحج، ما زالوا معظمين من زمن إبراهيم عليه السلام -، فتشبه عمرو بمن رآه في الشام، واستحسن بعقله ما كانوا عليه، ورأى أن في تحريم ما حرمه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، تعظيماً لله وديننا، فكان ما فعله أصل الشرك في العرب، أهل دين إبراهيم، وأصل تحريم الحلال، وإنما فعله متشبهاً فيه بغيره من أهل الأرض، فلم يزل الأمر يتزايد ويتفاقم حتى غلب على أفضل الأرض الشرك بالله ﷻ وتغيير دينه<sup>(٣)</sup> إلى أن بعث الله رسوله ﷺ فأحيا ملة إبراهيم عليه السلام وأقام التوحيد، وحلل ما كانوا يجرمون.

وفي سورة الأنعام، من عند قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ

وَأَلْأَنْعَمِ نَصِيبًا ﴾<sup>(٤)</sup> إلى قوله: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ

وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ﴾<sup>(٥)</sup> إلى آخر السورة، خطاب مع هؤلاء الضرب؛ ولهذا يقول

تعالى في أنثائها: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا

حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ ﴾<sup>(٦)</sup>.

ومعلوم أن مبدأ هذا التحريم: ترك الأمور المباحة تديننا، وأصل هذا التدين: هو من

(١) البخاري المناقب (٣٣٣)، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٥٦).

(٢) أبيهم: ساقطة من (أ ب ط).

(٣) في المطبوعة: وتغيير دينه الحنيف، وهو خلاف جميع النسخ.

(٤) سورة الأنعام آية: ١٣٦.

(٥) سورة الأنعام: من الآيات ١٣٦-١٤٠.

(٦) سورة الأنعام: من الآية ١٤٨.

التشبه بالكفار، وإن لم يقصد (١) التشبه بهم.

فقد تبين لك: أن من أصل دروس دين الله وشرائعه، وظهور الكفر والمعاصي: التشبه بالكافرين، كما أن من أصل كل خير: المحافظة على سنن الأنبياء وشرائعهم، ولهذا عظم وقع البدع في الدين، وإن لم يكن فيها تشبه بالكفار، فكيف إذا جمعت الوصفين؟

ولهذا جاء في الحديث: ﴿ ما ابتدع قوم بدعة إلا نزع عنهم من السنة مثلها ﴾ (٢) (٣).

وأيضا، فقد (٤) روى أبو داود في سننه، وغيره من حديث هشيم (٥) أخبرنا أبو بشر (٦) عن أبي عمير بن..... أنس (٧) عن عمومة له من الأنصار، قال:

﴿ اهتم النبي ﷺ للصلاة، كيف يجمع الناس لها؟ فقليل له: انصب راية عند حضور الصلاة، فإذا رآوها آذن (٨) بعضهم بعضا، فلم يعجبه ذلك، قال: فذكروا له القنْع (٩)

(١) في المطبوعة: وإن لم يقصد المتدين. وهي زيادة ليست في النسخ المخطوطة.

(٢) أحمد (٤/١٠٥).

(٣) أخرج أحمد في مسنده عن غضيف بن الحرث في حديث جاء في آخره. قال: لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: " ما أحدث قوم بدعة إلا رفع الله مثلها من السنة. " الحديث. المسند (٤ / ١٠٥) وذكره السيوطي في الجامع الصغير، وقال: " حديث حسن ". الجامع الصغير (٢ / ٤٨٠)، حديث رقم (٧٧٩٠).

(٤) في (أ ط): فروى.

(٥) هو: هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمي، أبو معاوية بن أبي خازن، الواسطي، ثقة، حافظ، ثبت، متفق على إمامته، قال ابن حجر: " ثقة، ثبت، كثير التدليس، والإرسال الخفي "، مات سنة (١٨٣ هـ) وقد قارب الثمانين. انظر: تقريب التهذيب (٢ / ٣٢٠)، (ت ١٠٣) هـ.

(٦) هو: جعفر بن إياس، أبو بشر بن أبي وحشية، قال عنه ابن حجر: " ثقة، من أثبت الناس في سعيد بن جبیر، وضعفه شعبة في حبيب بن سالم وفي مجاهد "، أخرج له الستة، وهو يعد من الطبقة الخامسة، توفي سنة (١٢٦ هـ). انظر: تقريب التهذيب (١ / ١٢٩)، (ت ٧٠) ج.

(٧) هو: أبو عمير بن أنس بن مالك الأنصاري، أكبر ولد أنس، وقيل: اسمه عبد الله، قال ابن حجر في التقريب: " ثقة ". انظر: تقريب التهذيب (٢ / ٤٥٦)، (ت ١٩٢).

(٨) في (أ ط): آذن.

(٩) في (ط): النقع.

شبور اليهود، فلم يعجبه ذلك، وقال: " هو من أمر اليهود "، قال: فذكروا<sup>(١)</sup> له الناقوس، فقال: " هو من فعل<sup>(٢)</sup> النصرى "، فانصرف عبد الله بن زيد بن عبد ربه<sup>(٣)</sup> وهو مهتم لهم النبي ﷺ فأري الأذان في منامه، قال: فغدا على رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: يا رسول الله! إني لبين نائم ويقظان، إذ أتاني آت، فأراني الأذان، قال: وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد رآه قبل ذلك، فكتبه عشرين يوما قال: ثم أخبر النبي ﷺ فقال: " له ما منعك أن تخبرنا ؟ "، فقال: سبقني عبد الله بن زيد، فاستحييت، فقال رسول الله ﷺ " يا بلال قم فانظر ما يأمرك به عبد الله بن زيد فافعله " قال: " فأذن بلال "، قال: أبو بشر: " فحدثني أبو عمير: أن الأنصار تزعم أن عبد الله بن زيد، لولا أنه كان يومئذ مريضا، لجعله رسول الله ﷺ مؤذنا ﴿ (٤) .

وروى سعيد بن منصور في سننه: حدثنا أبو عوانة<sup>(٥)</sup> عن مغيرة<sup>(٦)</sup> عن عامر الشعبي<sup>(٧)</sup>

(١) في (أ) : فذكر .

(٢) في (أ ط) : هو من أمر النصرى .

(٣) هو الصحابي الجليل : عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الأنصاري الخزرجي الحارثي ، شهد العقبة وبدرا وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ومات سنة (٣٢هـ) وعمره (٦٤) سنة ، وصلى عليه عثمان ، رضي الله عنهما . انظر : الإصابة (٢ / ٣١٢) ، (ت ٤٦٨٦)؛ وأسد الغابة (٣ / ١٦٥ - ١٦٧) .

(٤) انظر : سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب بدء الأذان ، حديث رقم (٤٩٨) و (١ / ٣٣٥ - ٣٣٧) .

(٥) هو : وضاح بن عبد الله الشكري الواسطي البزار ، أبو عوانة ، اشتهر بكنيته ، قال ابن حجر : " ثقة ، ثبت من السابعة " ، روى له أصحاب الكتب الستة ، وهو صاحب المسند ، توفي سنة (١٧٦هـ) . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ٣٣١) ، (ت ٣٣) و .

(٦) هو : المغيرة بن مقسم الضبي ، مولاهم ، أبو هشام ، الكوفي الفقيه ، وثقة ابن معين والعجلي والنسائي وابن سعد وغيرهم ، وكان يدللس ، ذكره ابن حجر عن ابن فضل ، توفي سنة (١٣٦هـ) . انظر : تهذيب التهذيب (١٠ / ٢٦٩ ، ٢٧٠) ، (ت ٤٨٢) .

(٧) هو : عامر بن شراحيل الشعبي ، الإمام المشهور ، قال ابن حجر : " ثقة مشهور ، فقيه فاضل ، من الثالثة ، قال مكحول : ما رأيت أفقه منه " ، توفي سنة (١٠٣هـ) وعمره (٨٠) سنة . انظر : تقريب التهذيب (١ / ٣٨٧) ، (ت ٤٦) ع .

أن رسول الله ﷺ اهتم<sup>(١)</sup> بالصلاة اهتماما شديدا، تبين<sup>(٢)</sup> ذلك فيه، وكان فيما اهتم به من أمر الصلاة<sup>(٣)</sup> أن ذكر الناقوس، ثم قال: " هو من أمر<sup>(٤)</sup> النصارى ". ثم أراد أن يبعث رجلا يؤذنون الناس بالصلاة، في الطرق، ثم قال: " أكره أن أشغل رجلا عن صلاتهم بأذان غيرهم " <sup>(٥)</sup> وذكر رؤيا عبد الله بن زيد.

ويشهد لهذا ما أخرجاه في الصحيحين، عن أبي قلابة<sup>(٦)</sup> عن أنس قال: ﴿ لما أكثر الناس، ذكروا أن يعلموا<sup>(٧)</sup> وقت الصلاة بشيء يعرفونه، فذكروا أن ينوروا نارا، ويضربوا ناقوسا، فأمر بلال أن يشفع الأذان ويوتر الإقامة ﴾ <sup>(٨)</sup> .

وفي الصحيحين، عن ابن جريج<sup>(٩)</sup> عن نافع عن ابن عمر قال: ﴿ كان المسلمون حين قدموا المدينة، يجتمعون فيتحننون الصلاة<sup>(١٠)</sup> وليس ينادي بهم أحد، فتكلموا يوما في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: قرنا مثل قرن

(١) في المطبوعة : بأمر الصلاة .

(٢) في المطبوعة : ليتبين .

(٣) أن : سقطت من ( ج د ) .

(٤) في المطبوعة : فعل .

(٥) لم أجد في القسم المطبوع من سنن سعيد بن منصور .

(٦) هو : عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي البصري ، أبو قلابة ، قال ابن حجر : " ثقة ، فاضل ، كثير الإرسال " أخرج له الستة ، ومات بالشام هاربا من القضاء سنة ( ١٠٤ هـ ) . انظر : التقريب ( ١ / ٤١٧ ) ، ( ت ٣١٩ ) ؛ وطبقات ابن سعد ( ٧ / ١٨٣ - ١٨٥ ) .

(٧) في ( أ ط ) : يعلموهم .

(٨) صحيح البخاري : كتاب الأذان ، باب بدء الأذان ، حديث رقم ( ٦٠٣ ) من فتح الباري ، ( ٢ / ٧٧ ) ؛ وصحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب الأمر بشفع الأذان ؛ وإيتار الإقامة ، حديث رقم ( ٣٧٨ ) ، ( ١ / ٢٨٦ ) .

(٩) هو : عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي ، مولاهم ، المكي أبو الوليد ، أحد الأعلام الفقهاء المشاهير ، من الثقات الفضلاء ، يرسل ويدلس ، روى له أصحاب الكتب الستة وغيرهم ، توفي سنة ( ١٥٠ هـ ) وقد جاوز السبعين . انظر : تقريب التهذيب ( ١ / ٥٢٠ ) ، ( ت ١٣٢٤ ) ع ؛ وخلاصة تذهيب التهذيب ( ص ٢٤٤ ) .

(١٠) في المطبوعة : للصلاة ، وفي البخاري كما أثبتته من النسخ المخطوطة ، وفي مسلم : للصلوات .

اليهود، فقال عمر: **أولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة؟ فقال رسول الله ﷺ " يا بلال قم فناد بالصلاة" (١)** .

ما يتعلق بهذا الحديث: من شرع (٢) الأذان، ورؤيا عبد الله بن زيد وعمر، وأمر عمر أيضا بذلك، وما روي من أن النبي ﷺ كان قد سمع الأذان ليلة أسري (٣) به. إلى غير ذلك، ليس هذا موضع ذكره، وذكر الجواب عما قد يستشكل منه.

وإنما الغرض هنا: أن النبي ﷺ لما كره بوق اليهود المنفوخ بالفم، وناقوس النصارى المضروب باليد، علل هذا بأنه من أمر اليهود، وعلل هذا بأنه من أمر النصارى؛ لأن ذكر الوصف عقيب الحكم، يدل على أنه علة له، وهذا يقتضي نهي عن كل ما هو من أمر اليهود والنصارى.

هذا مع أن قرن اليهود يقال: إن أصله مأخوذ عن موسى عليه السلام، وأنه كان يضرب بالبوق في عهده، وأما ناقوس النصارى فمبتدع، إذ عامة شرائع النصارى أحدثها أبحارهم ورهبانهم.

وهذا (٤) يقتضي كراهة هذا النوع من الأصوات مطلقا في غير الصلاة (٥) أيضا؛ لأنه من أمر اليهود والنصارى، فإن النصارى يضربون بالنواقيس في أوقات متعددة غير أوقات عباداتهم.

وإنما شعار الدين الحنيف: الأذان المتضمن للإعلان بذكر الله، الذي به تفتح أبواب السماء، فتهرب (٦) الشياطين، وتترل الرحمة.

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب بدء الأذان ، حديث رقم (٦٠٤) من فتح الباري ، (٢ / ٧٧)؛ وصحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب بدء الأذان ، حديث رقم (٣٧٧) ، (١ / ٢٨٥) .

(٢) في المطبوعة : شرح .

(٣) في (ط) : ليلة الإسراء به .

(٤) في المطبوعة : وهو .

(٥) في (أ ط) : في غير الصلوات .

(٦) في (أ ط) : وتهرب الشياطين .

وقد ابتلي كثير من هذه الأمة، من الملوك وغيرهم، بهذا الشعار اليهودي والنصراني (١) حتى إنا رأيناهم في هذا الخميس الحقير (٢) الصغير (٣) يزفون (٤) البخور، ويضربون له بنواقيس صغار، حتى إن من الملوك من كان يضرب بالأبواق، والدبادب (٥) في أوقات الصلوات الخمس، وهو (٦) نفس ما كرهه رسول الله ﷺ ومنهم من كان يضرب بها طرفي النهار، تشبها منه - زعم (٧) - بذي القرنين، ووكل ما دون ذلك إلى ملوك الأطراف.

وهذه المشابهة لليهود والنصارى، وللأعاجم (٨) من الروم والفرس، لما غلبت على ملوك المشرق (٩) هي وأمثالها، مما خالفوا به هدي المسلمين، ودخلوا فيما كرهه الله ورسوله؛ سلط عليهم الترك الكافرون (١٠) الموعود بقتالهم، حتى فعلوا في العباد والبلاد ما لم يجر في دولة الإسلام مثله، وذلك تصديق قوله ﷺ ﴿لتركن سنن من كان قبلكم﴾ (١١) (١) كما تقدم.

(١) في المطبوعة: شعار اليهود والنصارى .

(٢) في (أ ط) : الحقير : ساقطة .

(٣) الخميس الصغير : يوم من أيام النصارى التي يحتفلون بها ، وهو الواقع قبل آخر خميس من أيام صومهم ، ويحتفلون بهذا الخميس الصغير تقدما للاحتفال بيوم الخميس الكبير وهو آخر صوم النصارى ، وهو عيد المائدة . انظر : التفاصيل عن هذا الخميس في (١ / ٥٣١) ، وما بعدها من هذا الكتاب .

(٤) في (أ) : يرقون البخور ، وفي المطبوعة : يبخرون البخور ، ومعنى يزفون البخور : يحملونه ويقدمونه .

(٥) الدبادب : الطبول ونحوها .

(٦) في (ط) : وهي .

(٧) كذا في جميع النسخ المخطوطة ، وفي المطبوعة : كما زعم ، وهو أتم للمعنى .

(٨) وللأعاجم : ساقطة من (ط) .

(٩) في (ب ج د) والمطبوعة : ملوك الشرق .

(١٠) في المطبوعة : سلط الله عليهم الترك الكافرين . والمقصود بالترك الكافرين هنا : التتار الذين اجتاحتوا بلاد المسلمين في القرن السابع الهجري ، وسيشير المؤلف إلى أن التتار هم بادية الترك (١ / ٤١٨) ، كما ذكر الفلقشندي في كتابه (القلائد في التعريف بقبائل عرب الزمان) أن التتار يدخلون في جنس الترك ، (ص ٢٨) ، تحقيق إبراهيم الأنباري .

(١١) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٨٨٩) ، مسلم العلم (٢٦٦٩) ، أحمد (٣ / ٨٤) .

وكان المسلمون على عهد نبيهم، وبعده، لا يعرفون وقت الحرب إلا السكينة وذكر<sup>(٢)</sup> الله سبحانه، قال قيس بن عباد: (٣) - وهو من كبار التابعين<sup>(٤)</sup> - : " كانوا يستحبون خفض الصوت: عند الذكر، وعند القتال، وعند الجنائز " (٥) .

وكذلك سائر الآثار تقتضي أنهم كانت عليهم السكينة، في هذه المواطن، مع امتلاء القلوب بذكر الله، وإجلاله وإكرامه. كما أن حالهم في الصلاة كذلك.

وكان رفع الصوت في هذه المواطن الثلاثة<sup>(٦)</sup> من عادة أهل الكتاب والأعاجم، ثم قد ابتلى بها كثير من هذه الأمة. وليس هذا موضع استقصاء ذلك.

وأيضاً، فعن عمرو بن ميمون الأودي<sup>(٧)</sup> (٨) قال: ﴿ قال عمر رضي الله عنه كان أهل الجاهلية، لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس، ويقولون: أشرق ثبير، كيما نغير، قال: فخالفهم النبي صلوات الله عليه وآله وأفاض قبل طلوع الشمس ﴾ (٩) (١٠) .

- 
- (١) مر الحديث وتخرجه (ص ١٦٩) . انظر : فهرس الأحاديث .
- (٢) في (ب) : وذكر اسم الله تعالى .
- (٣) في المطبوعة : بن عبادة ، وهو وهم ، فالصحيح بن عباد .
- (٤) هو : قيس بن عباد الضبيعي ، البصري ، أبو عبد الله ، قال ابن حجر : " ثقة ، من الثانية ، مخضرم ، مات بعد الثمانين ، ووهم من عده من الصحابة " روى له البخاري ومسلم وغيرهما ، مات بعد الثمانين هجرية . انظر : تقريب التهذيب ( ٢ / ١٢٩ ) ، (ت ١٥٢) ق .
- (٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ، كتاب الجنائز ، باب كراهية رفع الصوت في الجنائز ( ٤ / ٧٤ ) . وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ، كتاب الجنائز ، باب في رفع الصوت ( ٤ / ٢٧٤ ) . وانظر : مصنف عبد الرزاق ( ٤ / ٤٥٣ ) .
- (٦) في (أ ط) : الثلاث .
- (٧) في المطبوعة : الأزدي ، والصحيح كما هو مثبت : الأودي .
- (٨) هو : عمرو بن ميمون الأودي ، أبو عبد الله ، ويقال : أبو يحيى ، ثقة ، عابد ، مشهور ، روى له أصحاب الكتب الستة وغيرهم ، مات سنة (٧٤هـ) . انظر : تقريب التهذيب ( ٢ / ٨٠ ) ، (ت ٦٨٩) ع .
- (٩) البخاري الحج ( ١٦٠٠ ) ، الترمذي الحج ( ٨٩٦ ) ، النسائي مناسك الحج ( ٣٠٤٧ ) ، أبو داود المناسك ( ١٩٣٨ ) ، ابن ماجه المناسك ( ٣٠٢٢ ) ، أحمد ( ٥٠ / ١ ) .
- (١٠) أخرجه البخاري في كتاب الحج ، باب متى يدفع من جمع ، حديث رقم ( ١٦٨٤ ) من فتح الباري ، ( ٣ / ٥٣١ ) مع اختلاف يسير في ألفاظه ، والترمذي في كتاب الحج ، باب ما جاء أن الإفاضة قبل طلوع الشمس ،

وقد روي في هذا الحديث - فيما أظنه - أنه قال: ﴿ خالف هدينا هدي  
المشركين ﴾<sup>(١)</sup> وكذلك<sup>(٢)</sup> كانوا يفيضون من عرفات قبل الغروب<sup>(٣)</sup> فخالفهم  
النبي ﷺ بالإفاضة بعد الغروب، ولهذا: صار الوقوف إلى ما بعد الغروب واجبا عند  
جماهير العلماء، وركنا عند بعضهم، وكرهوا شدة الإسفار<sup>(٤)</sup> صبيحة جمع.  
ثم الحديث قد ذكر فيه قصد المخالفة للمشركين.

وأیضا فعن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ لا تشربوا في آنية الذهب  
والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة ﴾<sup>(٥)</sup> متفق عليه<sup>(٦)</sup>.

وعن جبیر بن نفيیر<sup>(٧)</sup> عن عبد الله بن عمرو قال: ﴿ رأى رسول الله ﷺ علي ثوبين

---

حديث رقم (٨٩٦)، (٣ / ٢٤٢). وأحمد في المسند (١ / ٣٩، ٤٢، ٥٠، ٥٤) في مسند عمر بن الخطاب، وألفاظه قريبة من سياق المؤلف هنا.

(١) أخرج البيهقي في السنن الكبرى عن المسور بن مخرمة، وذكر حديثا عن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه ذكر أن المشركين يدفعون من عرفة عند غروب الشمس حتى تكون على رؤوس الجبال، ثم قال: " هدينا مخالف هديهم " وذكر أنهم يدفعون من المشعر الحرام عند طلوع الشمس، ثم قال: " هدينا مخالف لهم " كما ذكره مراسلا أيضا. وقد اختصرت الحديث عن السنن الكبرى للبيهقي (٥ / ١٢٥)، باب الدفع من المزدلفة.

(٢) في (ب): ولذلك.

(٣) في (أ ب ط): قبل غروب الشمس.

(٤) في المطبوعة: بالفجر.

(٥) البخاري الأظعمة (٥١١٠)، مسلم اللباس والزينة (٢٠٦٧)، الترمذي الأشربة (١٨٧٨)، النسائي الزينة (٥٣٠١)، أبو داود الأشربة (٣٧٢٣)، ابن ماجه الأشربة (٣٤١٤)، أحمد (٣٩٧/٥)، الدارمي الأشربة (٢١٣٠).

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الأشربة، باب الشرب في آنية الذهب، وباب آنية الفضة، حديث رقم (٥٦٣٢)، ورقم (٥٦٣٣)، (١٠ / ٩٤ - ٩٦). ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة. حديث رقم (٢٠٦٧)، من طرق كثيرة وألفاظ (٣ / ١٦٣٧ - ١٦٣٨).

(٧) هو: جبیر بن نفيیر بن مالك بن عامر الحضرمي الحمصي، من الطبقة الثانية، مخضرم، ولأبيه صحبة، وهو ثقة جليل، روى له مسلم وأصحاب السنن الأربعة، والبخاري في الأدب المفرد، توفي سنة (٨٠هـ). انظر: تقريب التهذيب (١ / ١٢٦)، (ت ٤٤).



معصفرين فقال: " إن هذه من ثياب الكفار، فلا <sup>(١)</sup> تلبسها ﴿﴾ رواه مسلم <sup>(٢)</sup> .

علل النهي عن لبسها بأنها: من ثياب الكفار، وسواء أراد أنها مما يستحله الكفار بأنهم <sup>(٣)</sup> يستمتعون بخلاقهم في الدنيا، أو مما يعتاده الكفار لذلك.  
كما أنه في الحديث قال: <sup>(٤)</sup> إنهم يستمتعون بآنية الذهب والفضة في الدنيا، وهي للمؤمنين في الآخرة، ولهذا كان العلماء يجعلون اتخاذ الحرير وأواني الذهب والفضة تشبها بالكفار.

ففي الصحيحين عن أبي عثمان النهدي <sup>(٥)</sup> قال: ﴿﴾ كتب إلينا عمر رضي الله عنه ونحن بأذربيجان، مع عتبة بن فرقد: يا عتبة إنه ليس من كد أبيك، ولا من كد أمك، فأشبع المسلمين في رحالهم مما تشبع منه في رحلك، وإياكم <sup>(٦)</sup> والتنعيم، وزى أهل الشرك، ولبوس الحرير، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي عن لبوس الحرير، وقال: " إلا هكذا " - ورفع لنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأصبعيه <sup>(٧)</sup> الوسطى والسبابة وضمهما ﴿﴾ <sup>(٨)</sup> .

(١) في (ج د) : لا تلبسها .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة ، باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر ، حديث رقم (٢٠٧٧) ، ( ٤ / ١٦٤٧ ) .

(٣) بأنهم : ساقطة من (ج د) .

(٤) يقصد معنى الحديث ، وليس هذا نصه ، فقد ساق نصه في الحديث المتفق عليه قبل قليل .

(٥) في (ب) : المهندي . المطبوعة : الهندي . والصحيح كما هو مثبت ، وهو : عبد الرحمن بن مل بن عمرو بن عدي النهدي ، أبو عثمان ، أسلم وصدق ، ولم ير النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وثقة ابن المديني وأبو حاتم والنسائي ، من العباد الصالحين ، توفي سنة (١٠٠هـ) وعمره أكثر من (١٣٠) سنة ، انظر : خلاصة تهذيب الكمال (ص ٢٣٥) .

(٦) في المطبوعة : وإياك .

(٧) في (أ ط) : أصبعيه .

(٨) هذا لفظ مسلم وفيه زيادة : " إنه ليس من كدك " . صحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم استعمال إناء الذهب . . إلى قوله : والحرير على الرجال . . تابع الحديث رقم (٢٠٦٩) ، الرقم الخاص بالحديث (١٢) ، ( ٣ / ١٦٤٢ ) ، أخرجه البخاري مختصرا ، كتاب اللباس ، باب لبس الحرير للرجال ، حديث رقم (٥٨٣٠) من فتح الباري ، ( ١٠ / ٢٨٤ ) .

وروى أبو بكر الخلال، بإسناد عن محمد بن سيرين، أن حذيفة بن اليمان أتى بيتا، فرأى فيه حارستان<sup>(١)</sup> فيه أباريق الصفر والرصاص، فلم يدخله، وقال: " من تشبه بقوم فهو منهم " <sup>(٢)</sup> . وفي لفظ آخر: ( فرأى شيئا من زي العجم فخرج وقال: من تشبه بقوم فهو منهم).

وقال علي بن أبي صالح<sup>(٣)</sup> السواق<sup>(٤)</sup> " كنا في وليمة، فجاء أحمد بن حنبل، فلما دخل نظر إلى كرسي في الدار عليه فضة، فخرج فلحقه صاحب الدار، فنفض يده في وجهه وقال: زي المجوس! زي المجوس! " <sup>(٥)</sup> . وقال في رواية صالح<sup>(٦)</sup> ( إذا كان في <sup>(٧)</sup> الدعوة مسكر، أو شيء من منكر آنية المجوس: الذهب والفضة، أو ستر الجدران بالثياب، خرج ولم يطعم).

ولو تتبعنا ما في هذا الباب<sup>(٨)</sup> عن النبي ﷺ مع ما دل عليه كتاب الله لطال<sup>(٩)</sup> .

(١) في ( ج د ) والمطبوعة : حادثتين .

(٢) يظهر أن هذا جاء في كتاب الجامع للخلال ، ولم أحده .

(٣) كذا في جميع النسخ : ابن أبي صالح ، والصحيح : ابن أبي صبح . انظر : طبقات الحنابلة ( ١ / ٢٣٤ ) .

(٤) علي ابن أبي صبح السواق : ذكره ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة وقال : (حكى عن إمامنا أشياء ) ، ذكره في الطبقة الأولى ( ١ / ٢٣٤ ) ، ترجمة رقم (٣٢٦) .

(٥) ذكره ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة ( ١ / ٢٣٤ ) ، وذكر بدل كلمة (عليه فضة ) : (عليه صورة ) .

(٦) هو : صالح بن الإمام أحمد بن حنبل ، أبو الفضل ، وأكبر أولاد الإمام أحمد ، ولي قضاء ، أصبهان وطرسوس ، من الفضلاء الصالحين الثقات ، اشتهر بالكرم والسخاء ، مات بأصبهان سنة (٢٦٦هـ) ، وكانت ولادته سنة (٢٠٣هـ) . انظر : طبقات الحنابلة ( ١ / ١٧٣ - ١٧٦ ) ، ( ت ٢٣٢ ) .

(٧) في ( ب ) : في الوليمة الدعوة .

(٨) يعني ما ورد في السنة من النهي عن التشبه بالكفار والأعاجم ونحوهم .

(٩) في المطبوعة زاد : بنا القول .

من ذلك: أن أمير المؤمنين عمر، في الصحابة رضي الله عنهم، ثم عامة الأئمة بعده، وسائر الفقهاء، جعلوا في الشروط المشروطة<sup>(٢)</sup> على أهل الذمة من النصارى وغيرهم، فيما شرطوه على أنفسهم: " أن نوقر المسلمين، ونقوم لهم من مجالسنا، إذا<sup>(٣)</sup> أرادوا الجلوس، ولا نتشبه بهم في شيء من لباسهم<sup>(٤)</sup> قلنسوة، أو عمامة، أو نعلين، أو فرق شعر، ولا نتكلم بكلامهم، ولا نكتنن بكناهم، ولا نركب السروج، ولا نتقلد السيوف، ولا نتخذ شيئاً من السلاح، ولا نحمله، ولا ننقش خواتيمنا بالعربية، ولا نبيع الخمر، وأن نجزم مقادير عوسنا، وأن نلزم زينا حيثما كان، وأن نشد الزنانير<sup>(٥)</sup> على أوساطنا، وأن لا نظهر الصليب على كنائسنا، ولا نظهر صليبا<sup>(٦)</sup> ولا كتبنا<sup>(٧)</sup> في شيء من طرق المسلمين، ولا أسواقهم، ولا نضرب بنواقيسنا في كنائسنا إلا ضرباً خفياً<sup>(٨)</sup> ولا نرفع أصواتنا مع موتانا، ولا نظهر النيران معهم في شيء من طرق المسلمين " رواه حرب<sup>(٩)</sup>

(١) أي : إجماع الصحابة والتابعين والأئمة من بعدهم على الأمر بمخالفة الكفار والنهي عن مشابهمتهم في الجملة ، حيث ذكر المؤلف قبل ذلك الأدلة من القرآن ، ثم من السنة .

(٢) المشروطة : سقطت من ( ج ) .

(٣) في المطبوعة : إن .

(٤) في المطبوعة : ملابسهم .

(٥) الزنانير : جمع زنار : وهو حزام يشده النصارى على أوساطهم . انظر : القاموس المحيط ، فصل الزاي ، باب الرء ( ٣ / ٤٢ ) .

(٦) في ( ب ) : صليبا .

(٧) في المطبوعة زاد : من كتب ديننا .

(٨) في المطبوعة : خفياً .

(٩) هو حرب الكرماني : سبقت ترجمته . انظر : فهرس الأعلام .

بإسناد جيد (١) .

وفي رواية أخرى رواها الخلال: " وأن لا تضرب بنواقيسنا إلا ضربا خفيا (٢) في جوف كنائسنا ولا نظهر عليها صليبا ولا نرفع أصواتنا في الصلاة ولا القراءة في كنائسنا فيما يحضره المسلمون، وأن لا نخرج صليبا ولا كتابا (٣) في سوق المسلمين، ولا نخرج باعوثا - والباعوث: يخرجون يجتمعون كما يخرج (٤) يوم الأضحى والفطر - ولا شعانينا ولا نرفع أصواتنا مع موتانا، ولا نظهر النيران معهم في أسواق المسلمين، وأن لا نجاورهم بالخنازير (٥) ولا نبيع الخمر... " إلى أن قال: " وأن نلزم زينا حيثما كنا، وأن لا نتشبه بالمسلمين في لبس قلنسوة (٦) ولا عمامة، ولا نعلين، ولا فرق شعر، ولا في مراكبهم، ولا نتكلم بكلامهم، ولا نكتني بكناهم، وأن نجزم مقادم رءوسنا، ولا نفرق نواصينا، وأن نشد الزناير على أوساطنا " (٧) .

وهذه الشروط أشهر شيء في كتب الفقه والعلم، وهي مجمع عليها في الجملة، بين العلماء من الأئمة المتبوعين، وأصحابهم، وسائر الأئمة، ولولا شهرتها عند الفقهاء لذكرنا ألفاظ كل طائفة فيها. وهي أصناف:

:

\* ما مقصوده: التمييز عن المسلمين، في الشعور واللباس والأسماء والمراكب والكلام، ونحوها؛ لتمييز المسلم عن الكافر، ولا يتشبه أحدهما بالآخر (٨) في الظاهر، ولم يرض

(١) أخرج البيهقي أكثره، مع اختلاف في السياق، بسنده في السنن الكبرى، كتاب الجزية، باب الإمام يكتب كتاب الصلح على الجزية (٩ / ٢٠٢). انظر: أحكام أهل الذمة لابن القيم (٢ / ٦٦١، ٦٦٢).

(٢) في المطبوعة: خفيفا.

(٣) ولا كتابا: ساقطة من (أ).

(٤) في المطبوعة زيادة واختلاف في العبارات: إنهم يخرجون مجتمعين كما نخرج... إلخ.

(٥) في (ب ط): بالجنائز. وما أثبتته أصح. انظر: أحكام أهل الذمة لابن القيم (٢ / ٧٢٥).

(٦) في (ب): ولا قلنسوة.

(٧) انظر: السنن الكبرى للبيهقي (٩ / ٢٠٢)، وانظر: أحكام أهل الذمة لابن القيم (٢ / ٦٥٩، ٦٦٠).

(٨) في المطبوعة: ولا يشبه أحدهما الآخر.

عمر رضي الله عنه والمسلمون بأصل التمييز، بل بالتمييز<sup>(١)</sup> في عامة الهدى، على تفاصيل معروفة في غير هذا الموضوع.

وذلك يقتضي: إجماع المسلمين على التمييز<sup>(٢)</sup> عن الكفار ظاهراً، وترك التشبه بهم ولقد كان أمراء الهدى، مثل العمرين<sup>(٣)</sup> وغيرهما، يبالغون في تحقيق ذلك بما يتم به المقصود.

ومقصودهم من هذا التمييز: كما روى الحافظ أبو الشيخ الأصبهاني<sup>(٤)</sup> بإسناده في شروط أهل الذمة، عن خالد بن عرفطة<sup>(٥)</sup> قال: " كتب عمر رضي الله عنه إلى الأمصار: أن تجز نواصبيهم - يعني النصارى - ولا يلبسوا لبسة<sup>(٦)</sup> المسلمين؛ حتى يعرفوا " <sup>(٨)</sup> .  
وقال القاضي أبو يعلى في مسألة حدثت في وقته: " أهل الذمة مأمورون بلبس الغيار، فإن امتنعوا؛ لم يجوز لأحد من المسلمين صبغ<sup>(٩)</sup> ثوب من ثيابهم؛ لأنه لم يتعين عليهم صبغ ثوب بعينه " .

(١) في (ج د) والمطبوعة: التمييز .

(٢) في المطبوعة: التميز .

(٣) العمران: عمر بن الخطاب، وعمر بن عبد العزيز، أو عمر بن الخطاب وأبو بكر الصديق، سماهما العمرين من باب التغليب كما يقال: القمران، وللشمس والقمر والأول أرجح لأمرين: الأول: أن ما أثر عن عمر بن عبد العزيز من أحكام أهل الذمة أكثر مما أثر عن أبي بكر. والثاني: أن أهل الذمة في عهد عمر بن عبد العزيز أكثر منهم في عهد أبي بكر. والله أعلم .

(٤) هو الحافظ الكبير: أبو محمد، عبد الله بن محمد بن جعفر بن أحمد بن فارس، الأصبهاني، ولد سنة (٢٤٨ هـ)، وكان من المحدثين الثقات، توفي سنة (٣٤٦ هـ). انظر: اللباب في تهذيب الأنساب (١ / ٦٩). وانظر: لسان الميزان (٧ / ٦٤)، (ت ٦٠٧)، مادة (الكئي).

(٥) هو الصحابي الجليل: خالد بن عرفطة بن سنان العذري، استخلفه سعد بن أبي وقاص على الكوفة، وبعثه معاوية إلى عبد الله بن أبي الحوساء حين خرج عليه فقتله خالد، وتوفي سنة (٦٠ هـ). انظر: أسد الغابة (٢ / ٨٧، ٨٨).

(٦) في (ج د) والمطبوعة: وأن لا يجوزوا. والصحيح ما أثبتته كما مر في النص السابق .

(٧) في (ج د): ألبسة. وفي المطبوعة: لبس .

(٨) انظر: أحكام أهل الذمة لابن القيم (ص ٧٤٣).

(٩) في (أ): صنيع. وفي (ب): صبيغ .

قلت: وهذا فيه خلاف: هل يلزمون<sup>(١)</sup> بالتغيير أم<sup>(٢)</sup> الواجب<sup>(٣)</sup> إذا امتنعوا أن نغير نحن؟ وأما وجوب أصل المغايرة: فما علمت فيه خلافا.

وقد روى أبو الشيخ الأصبهاني، في شروط أهل الذمة بإسناده، أن عمر بن الخطاب كتب: " أن لا تكاتبوا أهل الذمة، فتجري بينكم وبينهم المودة، ولا تكنوهم، وأذلوهم ولا تظلموهم، ومروا نساء أهل الذمة: أن<sup>(٤)</sup> يعقدن زناراتهن، ويرخين نواصيهن، ويرفعن عن سوقهن؛ حتى يعرف زيهن من المسلمات، فإن رغبين<sup>(٥)</sup> عن ذلك، فليدخلن في<sup>(٦)</sup> الإسلام طوعا أو كرها."

وروى أيضا أبو الشيخ<sup>(٧)</sup> بإسناده، عن محمد بن قيس<sup>(٨)</sup> وسعد<sup>(٩)</sup> بن عبد الرحمن بن حبان، قالوا: " دخل ناس من بني تغلب على عمر بن عبد العزيز وعليهم العمائم كهيئة العرب، فقالوا يا أمير المؤمنين ألقنا بالعرب، قال: فمن أنتم؟ قالوا نحن بنو تغلب، قال: أولستم من أوسط العرب؟ قالوا: نحن نصارى، قال: عليّ بجلهم<sup>(١٠)</sup> فأخذ من نواصيهم، وألقى العمائم، وشق رداء كل واحد شبرا، يحتزم به، وقال: لا تركبوا السروج، واركبوا على الأكف، ودلوا رجليكم<sup>(١١)</sup> من شق واحد " <sup>(١)</sup>.

(١) هم : سقطت من ( ج د ) والمطبوعة .

(٢) في ( أ ) : أو .

(٣) في المطبوعة زاد : علينا .

(٤) في المطبوعة : أن لا يعقدن .

(٥) في ( ب ) : زغن ، من الزيغ .

(٦) في ( ج د ) والمطبوعة : إلى الإسلام .

(٧) أي : الأصبهاني .

(٨) لا أدري من هو محمد بن قيس هذا ، فلعله قاص عمر بن عبد العزيز ، أو قاضيه ، المدني . انظر : التاريخ الكبير للبخاري ( ١ / ٢١٢ ، ٢١٣ ) ، ( ت ٦٦٦ ) .

(٩) في ( ج د ) والمطبوعة : سعيد . وكذلك ورد اسمه في أحكام أهل الذمة لابن القيم ( ٢ / ٧٤٤ ) ، ولم أجد له ترجمة .

(١٠) الجلم : هو ما يجز به الشعر ونحوه ، وهو آلة كالمقص . انظر : مختار الصحاح ، مادة ( ج ل م ) ، ( ص ١٠٨ ) .

(١١) في المطبوعة : أرجلكم .

وعن مجاهد أبي<sup>(٢)</sup> الأسود قال: " كتب عمر بن عبد العزيز: أن لا يضرب الناقوس خارجا من الكنيسة<sup>(٣)</sup> ". وعن معمر<sup>(٤)</sup> " أن عمر بن عبد العزيز كتب: أن امنع من قبلك، فلا يلبس نصراني قباء، ولا ثوب حز، ولا عصب، وتقدم في ذلك أشد التقدم، واكتب فيه حتى لا يخفى على أحد نهي عنه، وقد ذكر لي أن كثيرا ممن قبلك من النصارى قد راجعوا لبس العمائم، وتركوا لبس<sup>(٥)</sup> المناطق على أوساطهم واتخذوا الوفر<sup>(٦)</sup> والجمام<sup>(٧)</sup> وتركوا التقصيص، ولعمري إن كان يصنع ذلك فيما قبلك، إن ذلك بك ضعف وعجز، فانظر كل شيء كنت نهيت عنه، وتقدمت فيه، إلا تعاهدته وأحكمته ولا ترخص فيه، ولا تعد عنه شيئا " <sup>(٨)</sup>.

ولم أكتب سائر ما كانوا يأمرؤن به في أهل الكتاب؛ إذ الغرض هنا: التمييز.

وكذلك فعل جعفر بن محمد بن هارون المتوكل<sup>(٩)</sup> بأهل الذمة في خلافته، واستشار<sup>(١٠)</sup> في ذلك الإمام<sup>(١١)</sup> أحمد بن<sup>(١٢)</sup> حنبل، وغيره، وعهوده في ذلك، وجوابات أحمد بن حنبل له معروفة.

(١) انظر: أحكام أهل الذمة لابن القيم (٢ / ٧٤٢).

(٢) في المطبوعة: ابن الأسود، ولم أجد له ترجمة.

(٣) ذكره ابن القيم في أحكام أهل الذمة (٢ / ٧١٦).

(٤) هو: معمر بن راشد. مرت ترجمته. انظر: فهرس الأعلام.

(٥) لبس: ساقطة من (ب).

(٦) الوفر: جمع وفرة، وهي: الشعر المجتمع على الرأس، وما جاوز شحمة الأذن منه. انظر: القاموس المحيط،

فصل الواو، باب الرء (٢ / ١٦٠)، والجمام: جمع جممة، وهي: مجتمع شعر الرأس. انظر: المصدر السابق

، فصل الجيم، باب الميم (٤ / ٩٢، ٩٣).

(٧) في المطبوعة: والجمم.

(٨) ذكره ابن القيم في أحكام أهل الذمة (٢ / ٧٤١، ٧٤٢).

(٩) هو: الخليفة العباسي. مرت ترجمته. انظر: فهرس الأعلام.

(١٠) في المطبوعة: واستشارته.

(١١) الإمام: ساقطة من (ب).

(١٢) ابن حنبل: ساقطة من (ب ج د).

\* ما يعود بإخفاء منكرات دينهم، وترك إظهارها <sup>(٢)</sup> كمنعهم من إظهار الخمر والناقوس، والنيران والأعياد، ونحو ذلك.

\* : ما يعود بإخفاء شعار دينهم <sup>(٣)</sup> كأصواتهم بكتابهم.

فاتفق عمر رضي الله عنه والمسلمون معه وسائر العلماء بعدهم <sup>(٤)</sup> ومن وفقه الله تعالى من ولاية الأمور <sup>(٥)</sup> على منعهم من أن يظهروا في دار الإسلام شيئاً مما يختصون به، مبالغة في أن لا يظهروا في دار الإسلام خصائص المشركين، فكيف إذا عملها المسلمون وأظهروها <sup>(٦)</sup> .

\* : ما يعود بترك إكرامهم وإلزامهم الصغار <sup>(٧)</sup> الذي شرعه الله تعالى.

ومن المعلوم: أن تعظيم أعيادهم، ونحوها، بالموافقة، فيها <sup>(٨)</sup> نوع من إكرامهم <sup>(٩)</sup> فإنهم يفرحون بذلك، ويسرون به، كما يغتمون بإهمال أمر دينهم الباطل.

(١) أي : شروط الذمة ، والتي أشار المؤلف إلى الأول منها (ص ٣٦٥) .

(٢) هذا هو الصنف الثاني من شروط الذمة .

(٣) وهذا هو الصنف الثالث .

(٤) في المطبوعة : بعده .

(٥) في ( ط ) : في الأمر .

(٦) في ( ب ) والمطبوعة : وأظهروها هم .

(٧) هذا هو الصنف الرابع والأخير من أصناف شروط أهل الذمة .

(٨) في المطبوعة : هو نوع .

(٩) في ( ط ) : من كرامتهم .



أن هذه القاعدة، قد أمر بها غير واحد، من الصحابة والتابعين، في أوقات متفرقة، وقضايا متعددة، وانتشرت ولم ينكرها منكر.

فعن قيس بن أبي حازم <sup>(٢)</sup> قال: " دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه على امرأة من أمّس <sup>(٣)</sup> يقال لها: زينب <sup>(٤)</sup> فرآها لا تتكلم، فقال: ما لها لا تتكلم؟ قالوا: حجت مصمته، فقال لها: تكلمي! فإن هذا لا يحل، هذا عمل الجاهلية، فتكلمت فقالت: من أنت؟ قال: امرؤ من المهاجرين، قالت: أي المهاجرين؟ قال: من قريش. قالت: من أي قريش؟ قال: إنك لسؤول! وقال: أنا أبو بكر، قالت: ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية؟ قال: بقاؤكم عليه ما استقامت لكم أئمتكم، قالت: وما الأئمة؟ قال: أما كان لقومكم رعوس وأشرف يأمرؤهم فيطيعونهم؟! قالت: بلى، قال: فهم أولئك على الناس " رواه البخاري في صحيحه <sup>(٥)</sup> .

فأخبر أبو بكر: أن الصمت المطلق لا يحل، وعقب ذلك بقوله: هذا من عمل الجاهلية، قاصداً بذلك عيب هذا العمل، وذمه <sup>(٦)</sup> .

(١) الوجه الأول بدأ من أول الفصل .

(٢) هو : قيس بن أبي حازم البجلي ، أبو عبد الله ، الكوفي ، من التابعين الثقات الأجلاء ، ويقال : إن له رؤية ، والأصح أنه قدم إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليبيعه فوجده قد مات فبايع أبا بكر ، وأخرج له السنة ، توفي في حدود سنة (٩٠ هـ) ، وعمره قد جاوز المائة سنة . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ١٢٧) ، (ت ١٣٢)؛ وتهذيب التهذيب (٨ / ٣٨٦ ، ٣٨٩) ، (ت ٦٨٩) .

(٣) في (ط) : من أمّس . والصحيح ما أثبتته . انظر : فتح الباري (٧ / ١٤٧ - ١٤٨) . وأمّس : قبيلة من بجيلة . انظر : فتح الباري (٧ / ١٥٠) .

(٤) قال في فتح الباري : زينب بنت المهاجر ، روى حديثها محمد بن سعد في الطبقات ، وذكر عن ابن منده أنها أدركت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وروت عن أبي بكر . انظر : فتح الباري (٧ / ١٥٠) .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب أيام الجاهلية ، الحديث رقم (٣٨٣٤) ، (٧ / ١٤٧ - ١٤٨) فتح الباري .

(٦) ويشبه هذا ما يفعله بعض الناس في أكثر بلاد المسلمين وغيرها من الإضراب عن الطعام ونحوه احتجاجا على أمر ما ، والقوانين الوضعية تحمي هذا العمل وتجعله نوعا من الاحتجاج المشروع مهما كان مبرره ، وأرى أنه عمل جاهلي لا يستند إلى أي أصل مشروع ، فهو عرف باطل ، لا يُحقّ حقا ولا يُبطل باطلا ، فهو أشبه

وتعقيب الحكم بالوصف: دليل على أن الوصف علة، ولم يشرع في الإسلام. فيدخل في هذا: كل ما اتخذ من عبادة، مما كان أهل الجاهلية يتعبدون به، ولم يشرع الله التعبد به في الإسلام، وإن لم ينوه عنه بعينه، كالمكاء والتصدية، فإن الله تعالى قال عن الكافرين: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً﴾<sup>(١)</sup>.

والمكاء: الصفير ونحوه.

والتصدية: التصفيق.

فاتخاذ هذا قرينة وطاعة من عمل الجاهلية، الذي لم يشرع في الإسلام.

وكذلك: بروز المحرم وغيره للشمس، حتى لا يستظل بظل، أو ترك الطواف بالثياب المتقدمة<sup>(٢)</sup> أو ترك كل<sup>(٣)</sup> ما عمل في غير الحرم، ونحو ذلك من أمور الجاهلية التي كانوا يتخذونها عبادات، وإن كان قد جاء نهي خاص في عامة هذه الأمور، بخلاف السعي بين الصفا والمروة، وغيره من شعائر الحج، فإن ذلك من شعائر الله، وإن كان أهل الجاهلية قد كانوا يفعلون ذلك في الجملة.

وقد قدمنا ما رواه البخاري في صحيحه، عن عمر بن الخطاب: أنه كتب إلى المسلمين المقيمين ببلاد فارس: "إياكم وزى أهل الشرك"<sup>(٤)</sup>.

وهذا نهي منه للمسلمين عن كل ما كان من زى المشركين.

---

بالتصرفات الصبائية التي يجب أن لا يؤبه بها مهما كان مبررها؛ لأن إحقاق الحق والأمر بالمعروف، وإبطال الباطل وإنكار المنكر ودفع الظلم، كل ذلك إنما يكون باليد أو باللسان أو بالقلب، حسب الاستطاعة، أما الإضراب عما ينفع الإنسان في أمور معاشه فهو نوع من جلب الضرر للنفس قد يصل إلى قتلها وهو ما يسمى بالانتحار، وهذا محرم.

(١) سورة الأنفال: من الآية ٣٥.

(٢) في المطبوعة: بالثياب العادية.

(٣) في (ج د): أو ترك ما عمل.

(٤) مر (ص ٣٦١).

وقال الإمام أحمد في المسند: حدثنا يزيد (١) حدثنا عاصم (٢) عن أبي عثمان النهدي، عن عمر أنه قال: " اتزروا، وارتدوا، وانتعلوا، والبسوا الخفاف، والسرراويلات، والقوا الركب، وانزوا نزوا، وعليكم بالمعدية، وارموا الأغراض، وذروا التنعم وزي العجم، وإياكم والحري، فإن رسول الله ﷺ قد نهى عنه، وقال: ﴿ لا تلبسوا من الحري، إلا ما كان هكذا ﴾، وأشار رسول الله ﷺ بإصبعيه ﴿ (٣) (٤) .

وقال أحمد: حدثنا حسن بن موسى (٥) حدثنا زهير، حدثنا عاصم الأحول، عن أبي عثمان قال: " جاءنا كتاب عمر رضي الله عنه ونحن بأذربيجان: يا عتبة بن فرقد (٦) إياكم والتنعم، وزي أهل الشرك، ولبوس الحري، فإن رسول الله ﷺ ﴿ نهانا عن لبوس الحري وقال: " إلا هكذا " ورفع لنا رسول الله ﷺ أصبعيه ﴿ (٧) (٨) وهذا ثابت على شرط

(١) هو : يزيد بن هارون بن وادي- ويقال : ابن زاذان- بن ثابت السلمي ، مولا هم ، الواسطي ، أبو خالد ، من الأئمة الأعلام الحفاظ المشاهير ، اتفقوا على توثيقه وإمامته . توفي سنة ( ١٨٦ هـ ) ، وكانت ولادته سنة ( ١١٧ هـ ) . انظر : تهذيب التهذيب ( ١١ / ٣٦٦ - ٣٦٩ ) ، ( ت ٧١١ ) ي .

(٢) هو : عاصم بن سليمان الأحول البصري ، أبو عبد الرحمن ، تولى قضاء المدائن ، وتولى الحسبة في الكوفة في المكايل والأوزان ، من الحفاظ الثقات . مات سنة ( ١٤٢ هـ ) . انظر : تهذيب التهذيب ( ٥ / ٤٢ ، ٤٣ ) ، ( ت ٧٣ ) ع .

(٣) النسائي الزينة ( ٥٣١٢ ) ، أبو داود اللباس ( ٤٠٤٢ ) ، ابن ماجه الجهاد ( ٢٨٢٠ ) ، أحمد ( ٤٣ / ١ ) .

(٤) مسند أحمد ( ١ / ٤٣ ) في مسند عمر بن الخطاب ، وأورد ابن حجر في فتح الباري حديثا قريبا من هذا عن الإسماعيلي من طريق علي بن الجعد عن شعبة . انظر : فتح الباري ( ١٠ / ٢٨٦ ) ، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف عن معمر ، عن قتادة ، عن عمر مطولا ولم يذكر الحري . انظر : المصنف ( ١١ / ٨٥ ، ٨٦ ) ، الحديث رقم ( ١٩٩٩٤ ) .

(٥) هو : الحسن بن موسى الأشيب ، أبو علي ، البغدادي ، قاضي الموصل وغيرها ، ثقة ، من الطبقة التاسعة ، أخرج له الستة . توفي سنة ( ٢٢٩ هـ ) . انظر : تقريب التهذيب ( ١ / ١٧١ ) ، ( ت ٣٢٣ ) .

(٦) هو الصحابي الحليل : عتبة بن فرقد بن يربوع بن حبيب السلمي ، شهد خيبر ، وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم غزوتين ، ولاه عمر بن الخطاب بعض جيوش الفتوح ، ففتح الموصل ثم نزل الكوفة ، وتوفي بها . انظر : الإصابة ( ٢ / ٤٥٥ ) ، ( ت ٥٤١٢ ) .

(٧) أحمد ( ١٦ / ١ ) .

(٨) مسند أحمد ( ١ / ١٦ ) في مسند عمر بن الخطاب ، وللحديث شواهد في الصحيحين كما سيأتي .

الصحيحين (١) .

وفيه: أن عمر رضي الله عنه أمر بالمعدية، وهي زي (٢) بني معد بن عدنان، وهم العرب، فالمعدية نسبة إلى معد، ونهى عن زي العجم وزبي المشركين، وهذا عام كما لا يخفى، وقد تقدم هذا مرفوعا. والله أعلم به.

وروى الإمام أحمد في المسند: حدثنا أسود بن عامر (٣) حدثنا حماد بن سلمة عن أبي سنان (٤) عن عبيد بن آدم (٥) وأبي مریم (٦) وأبي شعيب (٧) أن عمر كان بالجابية - فذكر فتح بيت المقدس - قال حماد بن سلمة: فحدثني أبو سنان عن عبيد بن آدم قال: " سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لكعب: أين ترى أن أصلي، فقال: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة، فكانت القدس كلها بين يديك، فقال: عمر ضاهيت اليهودية، لا، ولكن أصلي حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم إلى القبلة فصلى، ثم جاء

(١) له شاهد في البخاري مختصر: انظر: كتاب اللباس، باب لبس الحرير للرجال، الأحاديث (٥٨٢٨ - ٥٨٣٠) فتح الباري (١٠ / ٢٨٤)؛ وفي صحيح مسلم، كتاب اللباس، الباب (٢)، الحديث رقم (٢٠٦٩)، الرواية (١٢) ، (١٣)، (٣٦ / ١٦٤٢) .

(٢) زي: ساقطة من (أ) .

(٣) هو: الأسود بن عامر الشامي - الملقب بشاذان - أبو عبد الرحمن، وثقه ابن المديني وغيره، وأخرج له الستة ، توفي سنة (٢٠٨ هـ) . انظر: خلاصة التذهيب (ص ٣٧) .

(٤) هو: عيسى بن سنان الحنفي، أبو سنان، القسملبي الفلسطيني، نزيل البصرة، قال ابن حجر: " لين الحديث " من السادسة، وضعفه أحمد والنسائي، وقواه ابن حبان. انظر: تقريب التهذيب (٢ / ٩٨)، (ت ٨٨٠) ع؛ وخلاصة التذهيب (ص ٣٠٢) .

(٥) عبيد بن آدم: ذكره الرازي في الجرح والتعديل، وقال: " سمع عمر بن الخطاب، وروى عن أبي هريرة " ولم يذكر فيه شيئا، وقال ابن حجر في تعجيل المنفعة: " وذكره ابن حبان في الثقات " . انظر: الجرح والتعديل (٥ / ٤٠١)، (ت ١٨٥٧)؛ وتعجيل المنفعة (ص ٢٧٦)، (ت ٧٠٠) .

(٦) لعله: إياس بن صبيح الحنفي، أبو مریم، ولي القضاء بالبصرة، وهو أول من وليها، استعمله أبو موسى الأشعري (ولم أجد في كتب التراجم التي اطلعت عليها ما يفيدني بالجزم من هو أبو مریم هذا) . انظر: تهذيب التهذيب (١٢ / ٢٣٢) .

(٧) في (أ): وأبي مریم بن شعيب . وهو تحريف .

(٨) قال ابن حجر في تعجيل المنفعة: " أبو شعيب عن عمر روى عنه أبو سنان، لا يعرف " وذكر كلاما يفيد أنه مجهول . انظر: تعجيل المنفعة (١ / ٤٩٥)، (ت ١٣٠٩) .

فبسط رداءه فكنس الكناسة في رداءه، وكنس الناس (١) .

قلت: صلاة النبي الله ﷺ في مسجد بيت المقدس في ليلة الإسراء: قد رواها مسلم في صحيحه، من حديث حماد بن سلمة، عن ثابت (٢) عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، قال:- فركبته حتى أتيت المقدس. قال: فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء. قال: ثم دخلت المسجد، فصليت فيه ركعتين ثم خرجت، فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال: جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة. قال: ثم عرج بنا إلى السماء ﴾ (٣) (٤) وذكر الحديث.

وقد كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ينكر أن يكون صلى فيه؛ لأنه لم يبلغه ذلك، واعتقد أنه لو صلى فيه لوجب على الأمة الصلاة فيه. فعمر رضي الله عنه عاب على كعب (٥) مضاهاة اليهودية، أي مشابقتها في مجرد استقبال الصخرة؛ لما فيه من مشابهاة من يعتقدها قبلة باقية، وإن كان المسلم لا يقصد أن يصلي إليها.

وقد كان لعمر رضي الله عنه في هذا الباب من السياسات المحكمة، ما هي مناسبة لسائر سيرته

---

(١) مسند أحمد (١ / ٣٨) مسند عمر بن الخطاب ، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٧ / ٥٨) ، وقال : " هذا إسناد جيد ، اختاره الحافظ ضياء الدين المقدسي في كتابه المستخرج " . وانظر : المنار المنيف لابن القيم (ص ٨٨ ، ٨٩) مع الحاشية .

(٢) هو : ثابت بن أسلم البناني . مرت ترجمته . انظر : فهرس الأعلام .

(٣) البخاري بدء الخلق (٣٥٣) ، مسلم الإيمان (١٦٢) ، أحمد (٣ / ١٤٩) .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، حديث رقم (١٦٢) ، (١ / ١٤٥) .

(٥) هو : كعب بن ماتع الحميري ، أبو إسحاق ، المعروف بكعب الأخبار ، تابعي مخضرم ، كان من أهل اليمن فسكن الشام ، أسلم في عهد أبي بكر ، وقيل : أيام عمر ، وكان قبل ذلك على دين اليهود ، ثقة ، أخرج له مسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه ، مات في خلافة عثمان وقد زاد عمره عن المائة . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ١٣٥) ، (ت ٥٣) . وانظر : تهذيب التهذيب (٨ / ٤٣٨ - ٤٤٠) ، (ت ٧٩٣) ك .

المرضية، فإنه ﷺ هو الذي استحالت ذنوب الإسلام بيده غربا، فلم يفر عبقرى فريه، حتى صدر الناس بعطن<sup>(١)</sup> فأعز<sup>(٢)</sup> الإسلام، وأذل الكفر وأهله، وأقام شعار<sup>(٣)</sup> الدين الحنيف، ومنع من كل أمر فيه تذرع<sup>(٤)</sup> إلى نقض عرى الإسلام، مطيعا في ذلك لله ورسوله، وقافا عند كتاب الله، ممثلا لسنة رسول الله ﷺ محتذيا حذو صاحبيه، مشاورا في أموره للسابقين الأولين، مثل: عثمان وعلي وطلحة<sup>(٥)</sup> والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم، وغيرهم، ممن له علم، أو فقه، أو رأي، أو نصيحة للإسلام وأهله.

حتى إن العمدة في الشروط على أهل الكتاب على شروطه، وحتى منع من<sup>(٦)</sup> استعمال كافر أو ائتمانه على أمر الأمة، وإعزازه بعد إذ أذله الله، حتى روي عنه أنه حرق الكتب العجمية وغيرها.

(١) جاء ذلك في حديث متفق عليه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : " أريت في المنام أني أنزع بدلو بكرة ، على قليب ، فجاء أبو بكر فترع ذنوبا أو ذنوبين نزعا ضعيفا والله يغفر له ، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربا فلم أر عبقرى يفري فريه ، حتى روى الناس وضربوا بعطن " . انظر : صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عمر بن الخطاب ، حديث رقم (٣٦٨٢) من فتح الباري (٧ / ٤١)؛ وصحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل عمر ، حديث رقم (٢٣٩٣) ، (٣ / ١٨٦٢) .

(٢) في (أ ط) : فأطد .

(٣) في المطبوعة : شعائر .

(٤) في المطبوعة : نزوع .

(٥) هو الصحابي الجليل : طلحة بن عبيد الله بن عمرو بن كعب القرشي التيمي ، أبو محمد ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام ، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر وأحد الستة أصحاب الشورى الذين عينهم عمر ، وأحد نفر الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم أحد ووقاه السهام بيده حتى شلت يده ، ورمي بسهم يوم الجمل فساح منه الدم حتى مات سنة (٣٦ هـ) ، وعمره (٦٤) سنة . انظر : الإصابة (٢ / ٢٢٩ ، ٢٣٠) ، (ت ٤٢٦٦) . وبقية الصحابة الذين وردت أسماءهم هنا قد مرت تراجمهم . راجع فهرس الأعلام .

(٦) من : سقطت من المطبوعة .

وهو الذي منع أهل البدع من أن ينبغوا، وألزمهم<sup>(١)</sup> ثوب الصغار، حيث فعل بصبيغ بن عسل التميمي ما فعل في قصته المشهورة<sup>(٢)</sup>.

وسياتي عنه<sup>(٣)</sup> إن شاء الله تعالى، في خصوص أعياد الكفار، من النهي عن الدخول عليهم فيها، ومن النهي عن تعلم رطانة الأعاجم، ما يبين<sup>(٤)</sup> به<sup>(٥)</sup> قوة شكيمته، في النهي عن مشاهدة الكفار والأعاجم، ثم ما كان عمر قد قرره من السنن والأحكام والحدود.

فعثمان رضي الله عنه أقر ما فعله عمر، وجرى على سنته في ذلك، فقد علم موافقة عثمان لعمر في هذا الباب.

وروى سعيد<sup>(٦)</sup> في سننه: حدثنا هشيم، عن خالد الحذاء<sup>(٧)</sup> عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب<sup>(٨)</sup> عن أبيه<sup>(٩)</sup> قال: "خرج علي رضي<sup>(١)</sup> الله عنه، فرأى قوما قد

(١) في المطبوعة: والبسهم.

(٢) قال: ابن القيم في أحكام أهل الذمة: "وقال عمر بن الخطاب لصبيغ بن عسل وقد سأله عن مسائل، فأمر بكشف رأسه، وقال: لو رأيتك مخلوق لأخذت الذي فيه عينك حتى أن تكون من الخوارج". أحكام أهل الذمة (٢ / ٧٥٠). وذكر ابن حجر في الإصابة أنه كان يسأل عن متشابه القرآن، فضربه عمر حتى دمي رأسه، فقال: حسبك قد ذهب الذي كنت أجد في رأسي. الإصابة (٢ / ١٩٨). كما ذكره الدارمي بسننه في باب من هاب الفتيا وكره التنطع (١ / ٥٤). وصبيغ هذا هو: صبيغ بن عسل، ويقال: ابن سهل الخنظلي، ويقال: التميمي، له إدراك، أي أنه أدرك النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، واقمه عمر برأى الخوارج فحصل منه ما حصل في القصة الواردة آنفا. انظر: الإصابة (٢ / ١٩٨، ١٩٩).

(٣) في (ب): وسيأتي ذكرها. وفي المطبوعة: وستأتي عند ذكرها.

(٤) في (ب) والمطبوعة: يتبين.

(٥) في المطبوعة زاد: ثبوت.

(٦) يعني ابن منصور. وكذا في (ب).

(٧) هو: خالد بن مهران، أبو المنازل، البصري الحذاء، قال ابن حجر: "وهو ثقة يرسل، من الخامسة، وقد أشار حماد بن زيد إلى أن حفظه تغير لما قدم من الشام، وعاب عليه بعضهم دخوله في عمل السلطان" روى له جميع أصحاب الكتب الستة. انظر: تقريب التهذيب (١ / ٢١٩)، (ت ٨٢) خ.

(٨) هو: عبد الرحمن بن سعيد بن وهب الهمداني الخيواني، قال ابن حجر: "ثقة من الرابعة"، أخرج له مسلم والترمذي وابن ماجه والبخاري في الأدب المفرد. انظر: تقريب التهذيب (١ / ٤٨٢)، (ت ٩٥٧) ع.

(٩) أبوه هو: سعيد بن وهب الهمداني الخيواني، كان يقال له: القراد، كوفي مخضرم ثقة، أخرج له البخاري في الأدب المفرد ومسلم والنسائي، توفي سنة (٧٦ هـ). انظر: تقريب التهذيب (١ / ٣٠٧) س.

سدلوا، فقال: ما لهم ؟ كأنهم اليهود خرجوا من فهرهم " (٢) . ورواه ابن المبارك وحفص بن غياث (٣) عن خالد.

وفيه: " أنه رأى قوما قد سدلوا في الصلاة، فقال: كأنهم اليهود خرجوا من فهورهم (٤) " (٥) .

وقد روينا عن ابن عمر وأبي هريرة: " أنهما كانا يكرهان السدل في الصلاة (٦) .  
وقد روى أبو داود، عن سليمان الأحول (٧) وعسل (٨) بن سفيان (٩) عن عطاء، عن أبي هريرة: ﴿ أن رسول الله ﷺ نهى عن السدل في الصلاة، وأن يغطي الرجل فاه ﴾ (١٠) (١١) . ومنهم من رواه عن عطاء، عن النبي ﷺ مرسلا، لكن قال

(١) في (أ ط) : عليه السلام .

(٢) في المطبوعة : من فهورهم . وسيأتي تفسيرها في المتن . انظر : (ص ٣٨٤) .

(٣) هو : حفص بن غياث بن طلق بن معاوية النخعي ، الكوفي ، القاضي ، أبو عمر ، قال ابن حجر : " ثقة فقيه ، تغير حفظه قليلا في الآخر ، من الثامنة " ، توفي سنة (١٩٥ هـ) ، وقد قارب الثمانين . انظر : تقريب التهذيب (١ / ١٨٩) ، (ت ٤٦٥) .

(٤) في المطبوعة : فهورهم .

(٥) انظر : مصنف عبد الرزاق (١ / ٣٦٤) ، (خ ١٤٢٣)؛ وسنن البيهقي (٢ / ٢٤٣)؛ ومصنف ابن أبي شيبة (٢ / ٢٥٩) .

(٦) انظر : المصنف لابن أبي شيبة ، حيث أخرج عنهما بسنده في كتاب الصلاة ، باب من كره السدل في الصلاة (٢ / ٢٥٩) .

(٧) هو : سليمان بن أبي سليم المكي الأحول ، وثقه أحمد وابن معين والنسائي وغيرهم ، وأخرج له الستة ، يعد من الطبقة الخامسة . انظر : تهذيب التهذيب (٤ / ٢١٨) ، (ت ٣٦٨)؛ وتقريب التهذيب (١ / ٣٣٠) ، (ت ٤٩٢) .

(٨) في (ط) : وعلي بن سفيان . وهو تحريف لعسل .

(٩) هو : عسل بن سفيان التميمي اليربوعي ، أبو قرّة ، البصري ، ضعفه ابن معين وأحمد ، وتكلم فيه ابن سعد والبخاري والنسائي وذكره ابن حبان في الثقات . وقال : " يخطئ ويخالف على قلة روايته " . تهذيب التهذيب (٧ / ١٩٤) ، (ت ٣٦٩) .

(١٠) الترمذي الصلاة (٣٧٨) ، أبو داود الصلاة (٦٤٣) ، أحمد (٢ / ٢٩٥) .

(١١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب ما جاء في السدل في الصلاة ، الحديث رقم (٦٤٣) ، (١ / ٤٢٣)؛ والترمذي ، كتاب الصلاة ، باب ما جاء في كراهية السدل في الصلاة ، الحديث رقم (٣٧٨) ، (٢ / ٢١٧)؛ وأحمد في المسند (٢ / ٢٩٥ ، ٣٤١) . والترمذي وأحمد لم يذكرنا تغطية الفم . وأخرجه الحاكم في



هشيم: حدثنا عامر الأحول<sup>(١)</sup> قال: " سألت عطاء عن السدل في الصلاة، فكرهه. فقلت: عن النبي ﷺ؟ قال: عن النبي ﷺ " <sup>(٢)</sup> والتابعي إذا أفتى <sup>(٣)</sup>. بما رواه دل على ثبوته عنده.

لكن قد روي عن عطاء، من وجوه جيدة: أنه كان لا يرى بالسدل بأسا، وأنه كان يصلي سادلا<sup>(٤)</sup> فلعل هذا كان قبل أن يبلغه الحديث، ثم لما بلغه رجع، أو لعله نسي الحديث، والمسألة مشهورة، وهو: عمل الراوي بخلاف روايته، هل يقدر فيها؟ <sup>(٥)</sup>.  
والمشهور عن أحمد وأكثر العلماء: أنه <sup>(٦)</sup> لا يقدر فيها؛ لما تحتمله المخالفة من وجوه غير ضعف الحديث.

المستدرک عن سليمان الأحول عن عطاء ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وقال الحاكم : " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجا فيه تغطية الرجل فاه في الصلاة " . المستدرک ( ١ / ٢٥٣ ) .

(١) هو : عامر بن عبد الواحد الأحول البصري . قال ابن حجر : " صدوق يخطئ ، من الطبقة السادسة " . وقال أحمد : " ليس بقوي في الحديث " ، وقال ابن معين : " ليس به بأس " . وقال أبو حاتم : " هو ثقة لا بأس به " . انظر : تقريب التهذيب ( ١ / ٣٨٩ ) ، ( ت ٥٩ ) ع؛ والجرح والتعديل ( ٦ / ٣٢٦ ، ٣٢٧ ) ، ( ت ١٨١٧ ) .

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ( ٢ / ٢٤٢ ) ، وقد أخرجه موصولا عن سليمان الأحول ، عن عطاء ، عن أبي هريرة ولفظه كما في أبي داود والحاكم ، ومنقطعا كما في رواية هشيم ، وقال : " وهذا الإسناد وإن كان منقطعا ففيه قوة للموصول قبله " . وانظر : المصنف لعبد الرزاق ( ١ / ٣٦٥ ) ، الحديث رقم ( ٣٦٥ ) ، حيث ذكر مثل رواية هشيم عن معمر ، عن عامر الأحول ، عن عطاء .  
(٣) في ( ط ) : إذا اقتدى .

(٤) ذكر أبو داود عن ابن جريج قال : " أكثر ما رأيت عطاء يصلي سادلا " ، سنن أبي داود ( ١ / ٤٢٤ ) ، رقم ( ٦٤٤ ) . كما ذكره البيهقي قال : " وروينا عن عطاء بن أبي رباح أنه صلى سادلا ، وكأنه نسي الحديث ، أو حملة على أن ذلك إنما لا يجوز للخيلاء ، وكأنه لا يفعل خيلاء ، والله أعلم " ، السنن الكبرى ( ٢ / ٢٤٢ ) ، وأخرج عبد الرزاق في المصنف عن ابن جريج قال : " رأيت عطاء يسدل ثوبه وهو في الصلاة " ، المصنف ( ١ / ٣٦٢ ) ، رقم ( ١٤٠٨ ) .

(٥) في المطبوعة : في روايته .

(٦) أنه : سقطت من ( ب ) .

وقد روى عبد الرزاق عن، بشر بن رافع، عن يحيى بن أبي كثير<sup>(١)</sup> كثير<sup>(٢)</sup> عن أبي عبيدة بن عبد الله<sup>(٣)</sup> " أن أباه كره السدل في الصلاة " <sup>(٤)</sup> . قال أبو عبيدة: ﴿ وكان أبي يذكر أن النبي ﷺ فهى عنه ﴾ <sup>(٥)</sup> .

وأكثر العلماء يكرهون السدل مطلقا. وهو مذهب أبي حنيفة<sup>(٦)</sup> والشافعي<sup>(٧)</sup> والمشهور عن أحمد<sup>(٨)</sup> . وعنه أنه<sup>(٩)</sup> إنما<sup>(١٠)</sup> يكرهه<sup>(١١)</sup> فوق الإزار دون القميص؛ توفيقا بين الآثار في ذلك، وحملا للنهي على<sup>(١٢)</sup> لباسهم المعتاد. ثم اختلف: هل السدل محرم يبطل الصلاة؟.

(١) هو : يحيى بن أبي كثير الطائي - مولاهم - أبو نصر ، اليمامي . قال ابن حجر : " ثقة ثبت لكنه يدللس ويرسل " من الطبقة الخامسة ، أخرج له أصحاب الكتب الستة وغيرهم . توفي سنة ( ١٣٢ هـ ) . انظر : تقريب التهذيب ( ١ / ٣٥٦ ) ، ( ت ١٥٨ ) ي .  
(٢) في (أ) : عن يحيى بن أبي عبيدة بن عبد الله . وهو خلط من الناسخ .  
(٣) هو : ابن مسعود . وقد زادها في المطبوعة ، وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود : مشهور بكنيته ، كوفي ثقة ، من الثالثة ، توفي بعد سنة ( ٨٠ هـ ) . انظر : التقريب ( ٢ / ٤٤٨ ) ، ( ت ٨٦ ) .  
(٤) مصنف عبد الرزاق ( ١ / ٣٦٤ ) ، حديث رقم ( ١٤١٧ ) . وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى وقال : تفرد به بشر بن رافع وليس بالقوي . السنن الكبرى للبيهقي ( ٢ / ٢٤٣ ) .  
(٥) نفس المرجع السابق .

(٦) هو : النعمان بن ثابت التميمي ، مولاهم ، الكوفي ، الإمام الفقيه ، أول الأئمة الأربعة ، ثقة عالم زاهد ورع ، أراداه المنصور على القضاء فأبى ورعا ، وهو من المقلين للرواية ، ولد سنة ( ٨٠ هـ ) ، وتوفي سنة ( ١٥٠ هـ ) . انظر : البداية والنهاية ( ١٠ / ١٠٧ - ١٠٨ ) ؛ والأعلام للزركلي ( ٨ / ٣٦ ) .

(٧) هو الإمام : محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع المظلي (الشافعي) الذي ينسب إليه المذهب الشافعي في الفقه ، أحد الأئمة الأربعة ، توفي سنة ( ٢٠٤ هـ ) ، وعمره ( ٥٤ ) سنة .

(٨) انظر : مسائل الإمام أحمد لأبي داود ( ص ٤٠ ) ، باب السدل ، والمغني والشرح الكبير ( ١ / ٦٢٣ ) من المغني .

(٩) أنه : ساقطة من (ط) .

(١٠) إنما : سقطت من (ب) .

(١١) في المطبوعة و (ط) : يكره .

(١٢) في المطبوعة : عن .

فقال ابن أبي موسى <sup>(١)</sup> فإن صلى سادلاً، ففي الإعادة روايتان، أظهرهما: لا يعيد.  
وقال أبو بكر عبد العزيز <sup>(٢)</sup> " إن لم تبد عورته؛ فلا <sup>(٣)</sup> يعيد باتفاق. ومنهم من لم  
يكره السدل، وهو قول مالك <sup>(٤)</sup> وغيره.

والسدل المذكور هو أن يطرح الثوب على أحد كتفيه، ولا يرد أحد طرفيه على  
كتفه الآخر <sup>(٥)</sup> هذا هو المنصوص عن أحمد، وعمله: بأنه فعل اليهود، وقال حنبل <sup>(٦)</sup> " قال  
أبو عبد الله: والسدل أن يسدل <sup>(٧)</sup> أحد طرفي الإزار ولا ينعطف به عليه، وهو لبس  
اليهود، وهو على الثوب وغيره <sup>(٨)</sup> مكروه السدل <sup>(٩)</sup> في الصلاة " <sup>(١٠)</sup> .

وقال صالح بن أحمد: " سألت أبي عن السدل في الصلاة؟ فقال: يلبس الثوب، فإذا لم  
يطرح أحد طرفيه على الآخر، فهو السدل " <sup>(١١)</sup> . وهذا هو الذي <sup>(١٢)</sup> عليه عامة العلماء.

(١) ترجمته ستأتي، انظر: فهرس الأعلام .

(٢) هو: عبد العزيز بن جعفر بن أحمد بن يزدان بن معروف، أبو بكر، المعروف بغلام الخلال، يعد من كبار  
علماء المذهب الحنبلي، وله اختيارات وآراء في الفقه كثيرة، ومن مصنفاته: الشافي، والمقنع، وتفسير القرآن  
، وزاد المسافر، والتنبيه، وغيرها، وكان رحمه الله مع فقهه ذا ورع وزهد، توفي سنة (٣٦٣ هـ)، وعمره  
(٧٨) سنة. انظر: طبقات الحنابلة (٢ / ١١٩ - ١٢٧)، (ت ٦١١) .

(٣) فلا يعيد: ساقطة من (أ) .

(٤) انظر: المدونة الكبرى للإمام مالك برواية سحنون عن ابن القاسم (١ / ١٠٨) .

(٥) في (ج د): الأخرى .

(٦) في المطبوعة: قال أحمد بن حنبل . وهو خطأ كما هو واضح في السياق .

(٧) أن يسدل: سقطت من (أ) .

(٨) في (أ ط): وغير الثوب .

(٩) السدل: ساقطة من المطبوعة .

(١٠) لم أجد هذا اللفظ وإنما وجدت ما يفيدته . انظر: مسائل الإمام أحمد لأبي داود (ص ٤٠) . وانظر: مسائل  
الإمام أحمد للنيسابوري (١ / ٥٩) .

(١١) انظر: مسائل الإمام أحمد للنيسابوري (١ / ٥٩) بمعناه .

(١٢) في (أ): وهذا هو النهي وعليه عامة العلماء .

وأما ما ذكره أبو الحسن الآمدي<sup>(١)</sup> وابن عقيل<sup>(٢)</sup> من أن السدل هو إسبال الثوب بحيث يتزل عن<sup>(٣)</sup> قدميه ويجره، فيكون هو إسبال الثوب، وجره المنهي عنه؛ فغلط مخالف لعامة العلماء وإن كان الإسبال والجر منهيًا عنه بالاتفاق والأحاديث فيه أكثر، وهو محرم على الصحيح، لكن ليس هو السدل.

وليس الغرض<sup>(٤)</sup> عين هذه المسألة، وإنما الغرض أن علياً عليه السلام شبه السادلين باليهود، مبينا بذلك كراهة فعلهم، فعلم أن مشابهة اليهود: أمر كان قد استقر عندهم كراهته. وفهر اليهود - بضم الفاء - : مدارسهم. وأصلها: بئر<sup>(٥)</sup> وهي عبرانية فعربت، هكذا ذكره الجوهري<sup>(٦)</sup> وكذلك ذكر ابن فارس<sup>(٧)</sup> وغيره: أن فهر اليهود: مدارسهم.

---

(١) هو : علي بن محمد بن عبد الرحمن البغدادي ، الآمدي ، من أصحاب القاضي أبي يعلى ، ومن كبار فقهاء الحنابلة في عصره ، له مؤلفات منها : عمدة الحاضر ، وكفاية المسافر ، توفي سنة (٤٦٧ هـ) . انظر : ذيل طبقات الحنابلة ( ١ / ٨ ، ٩ ) .

(٢) هو : علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن أحمد ، أبو الوفاء ، العالم الفقيه الحنبلي ، ولد سنة (٤٣١ هـ) ، برع في الفقه وأصوله ، وألف في ذلك المؤلفات الكثيرة ومن أشهرها : كتاب الفنون في شتى العلوم ، فيما يزيد عن مائتي مجلد ، والفصول ، والمفردات ، وعمدة الأدلة ، والإرشاد ، ونفي التشبيه ، وكان رحمه الله من المدافعين عن الإمام أحمد ومذهبه ، واتهم ببعض آراء المتدعة ، ويقال : إنه رجع وتاب ، توفي رحمه الله سنة (٥١٣ هـ) . انظر : الذيل على طبقات الحنابلة ( ١ / ١٤٢ ، ١٦٣ ) ، ( ت ٦٦ ) .

(٣) في (ج د) : على .

(٤) في المطبوعة : الغرض هنا .

(٥) في المطبوعة : بھرو .

(٦) هو : إسماعيل بن حماد الجوهري ، أبو نصر ، من أئمة اللغة ، ويعد من أذكى العالم النوادير ، وكان حسن الخط ، له مصنفات منها : الصحاح في اللغة ، وقد تلقاه العلماء بالقبول ، ومنها : كتاب في العروض ، ومقدمة في النحو ، توفي سنة (٣٩٣ هـ) . انظر : لسان الميزان ( ١ / ٤٠٠ ) ، ( ت ١٢٥٨ ) ؛ والأعلام للزركلي ( ١ / ٣١٣ ) .

(٧) هو : أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي ، أبو الحسين ، إمام في علوم شتى ، وخاصة اللغة ، له مصنفات منها : المحمل ، وحلية الفقهاء ، توفي سنة (٣٩٠ هـ) . انظر : وفيات الأعيان ( ١ / ١١٨ - ١١٩ ) ، ( ت ٤٩ ) .

وفي ( العين ) عن الخليل بن أحمد <sup>(١)</sup> أن <sup>(٢)</sup> فهر اليهود: مدارسهم.

وسنذكر عن علي رضي الله عنه من كراهة التكلم بكلامهم، ما يؤيد <sup>(٣)</sup> هذا، وما <sup>(٤)</sup> في الحديث المذكور من النهي عن تغطية الفم، فقد علله بعضهم بأنه فعل الجوس عند نيرانهم التي يعبدونها، فعلى هذا: تظهر <sup>(٥)</sup> مناسبة الجمع بين النهي عن السدل، وعن تغطية الفم، بما في كلاهما <sup>(٦)</sup> من مشابهة الكفار، مع أن في كل منهما معنى آخر يوجب الكراهة، ولا محذور في تعليل الحكم بعلتين.

فهذا عن الخلفاء الراشدين، وأما سائر الصحابة رضي الله عنهم فكثير، مثل: ما قدمناه عن حذيفة بن اليمان: أنه لما دعي إلى وليمة فرأى شيئاً من زي العجم خرج وقال: " من تشبه بقوم فهو منهم " <sup>(٧)</sup> .

وروى أبو محمد الخلال <sup>(٨)</sup> بإسناده عن عكرمة <sup>(٩)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنهما

---

(١) هو : الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليماني ، أبو عبد الرحمن ، إمام في النحو واللغة ، واضع علم العروض ، وهو أستاذ سيبويه ، ولد سنة ( ١٠٠ هـ ) . له كتاب ( العين ) في النحو ، وله مؤلفات أخرى ، توفي بالبصرة سنة ( ١٧٠ هـ ) . انظر : الأعلام للزركلي ( ٢ / ٣١٤ ) .

(٢) أن : ساقطة من ( أ ط ) .

(٣) في ( ج د ) : ما يؤيده .

(٤) في المطبوعة : وأما ما في الحديث . . فقد علله .

(٥) في ( ب ج د ) : يظهر .

(٦) في المطبوعة : كل منهما . وجاءت في جميع المخطوطات ( كلاهما ) والأصح لغة ( كليهما ) لأنها مضافة لمضمر .

(٧) انظر : التعليق ( ص ٣٦١ ) من هذا المجلد .

(٨) هو : الحسن بن محمد بن الحسن بن علي ، أبو محمد ، الخلال ، عالم فاضل من أهل بغداد ، ولد سنة ( ٣٥٢ هـ ) ، وله مؤلفات منها : أخبار الثقلاء ، والمجالس العشر ، خرج المسند على الصحيحين . انظر : الأعلام للزركلي ( ٢ / ٢١٣ ) .

(٩) هو : عكرمة البربري ، أبو عبد الله ، المدني ، مولى ابن عباس ، أصله من البربر ، من علماء التابعين ومن المتبحرين بالتفسير ، من كبار تلاميذ ابن عباس ، أتم ببدعة الخوارج الصفرية ، ووثقه أئمة الحديث ، قال ابن حجر : " ثقة ، ثبت ، عالم بالتفسير ، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ، ولا ثبت عنه بدعة ، من الثالثة ، مات سنة ( ١٠٧ هـ ) . انظر : تقريب التهذيب ( ٢ / ٣٠ ) ، ( ت ٢٧٧ ) ع ؛ وتهذيب التهذيب ( ٧ / ٢٦٣ - ٢٧٣ ) ، ( ت ٤٧٥ ) ع .

قال: " سأله رجل: أحتقن؟ قال: لا تبد (١) العورة، ولا تستن بسنة المشركين ".  
ف قوله: " لا تستن بسنة المشركين " (٢) عام.

وقال أبو داود: حدثنا الحسن بن علي (٣) حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا الحجاج بن حسان (٤) قال: " دخلنا على أنس بن مالك فحدثني أخي (٥) المغيرة (٦) قال: وأنت يومئذ غلام، ولك قرنان، أو قصتان، فمسح رأسك وبرك عليك وقال: احلقوا هذين، أو قصوهما (٧) فإن هذا زي اليهود (٨) ". (٩) علل النهي عنهما بأن ذلك زي اليهود، وتعليل النهي بعله يوجب أن تكون العلة مكروهة (١٠) مطلوب عدمها، فعلم أن زي اليهود - حتى في الشعر - مما يطلب عدمه، وهو المقصود.

وروى ابن أبي عاصم (١١) حدثنا وهب بن بقية (١) حدثنا خالد الواسطي (٢) عن

---

(١) في المطبوعة: احتقن لا تبد العورة .

(٢) قوله: (لا تستن بسنة المشركين): سقطت من (ج د) .

(٣) هو: الحسن بن علي بن محمد الهذلي الخلال الحلواني، نزيل مكة، أبو علي، " ثقة، حافظ، له تصانيف، من الحادية عشرة"، أخرج له البخاري ومسلم وغيرهما. انظر: تقريب التهذيب (١ / ١٦٨)، (ت ٢٩٦) ح .

(٤) هو: حجاج بن حسان العسبي البصري، وثقه أحمد وابن معين، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال النسائي: ليس به بأس، من الخامسة. انظر: تقريب التهذيب (١ / ١٥٢)، (ت ١٥٠) ح؛ وتهذيب التهذيب (٢ / ٢٠٠)، (ت ٣٧١) ح ( .

(٥) أخي: ساقطة من (د) .

(٦) كذا في جميع النسخ، والصحيح كما في سنن أبي داود: كما حدثني أخي المغيرة، وفي نسخة: المغيرة، قالت . . إلخ. انظر: سنن أبي داود (٤ / ٤١٢) مع الهامش، نسخة الدعاس. ومغيرة هي: بنت حسان التميمية، قال ابن حجر في التقريب: مقبولة، من الخامسة وهي من مستغربات الأسماء في النساء. انظر: تقريب التهذيب (٢ / ٦١٤) (ت ٧) م النساء .

(٧) في (أ): أو قصوهما .

(٨) انظر: سنن أبي داود، كتاب الترجل، باب ما جاء في الرخصة، حديث رقم (٤١٩٧)، (٤ / ٤١٢) .

(٩) من هنا حتى قوله: حتى في الشعر (سطر ونصف تقريباً): سقط من (ط) .

(١٠) في (أ): مكرها مطلوباً لعدمها .

(١١) هو: أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني البصري، من أئمة الحديث الحفاظ الثقات، ولي قضاء أصفهان بعد صالح بن أحمد، له مصنفات كثيرة من أشهرها: السنة، وهو مطبوع، والآحاد

عمران بن حدير<sup>(٣)</sup> عن أبي مجلز<sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup> أن معاوية قال: " إن تسوية القبور من السنة، وقد رفعت اليهود والنصارى، فلا تشبهوا بهم " <sup>(٦)</sup> .

يشير معاوية إلى ما رواه مسلم في صحيحه، عن فضالة بن عبيد<sup>(٧)</sup> ﴿ أنه أمر بقبر فسوي، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها ﴾ <sup>(٨)</sup> <sup>(٩)</sup> . رواه مسلم <sup>(١٠)</sup> .

وعن <sup>(١١)</sup> علي أيضا قال: ﴿ أمرني النبي ﷺ أن لا أدع قبرا مشرفا إلا سويته،

- 
- والمثاني ، والديات ، والأوائل ، وغيرها ، توفي سنة ( ٢٨٧ هـ ) ، وكنيته أبو بكر . انظر : البداية والنهاية لابن كثير ( ١١ / ٨٤ ) ؛ والأعلام للزركلي ( ١ / ١٨٩ ) .
- (١) هو : وهب بن بقية بن عثمان بن شابور بن عبيد بن آدم بن زياد الواسطي ، أبو محمد ، المعروف بـ ( وهبان ) ، وثقه ابن معين ، والخطيب ، وذكره ابن حبان في الثقات ، توفي سنة ( ٢٣٩ هـ ) ، وكانت ولادته سنة ( ١٥٥ هـ ) . انظر : تهذيب التهذيب ( ١١ / ١٥٩ - ١٦٠ ) ، ( ت ٢٧٠ ) و .
- (٢) هو : خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد الطمان الواسطي ، المزني ، مولاهم ، قال ابن حجر في التقريب : " ثقة ، ثبت ، من الثامنة " ، توفي سنة ( ١٨٢ هـ ) ، ومولده سنة ( ١١٠ هـ ) ، وقد أخرج له أصحاب الكتب الستة وغيرهم . انظر : تقريب التهذيب ( ١ / ٢١٥ ) ، ( ت ٤٦ ) خ .
- (٣) هو : عمران بن الحدير السدي ، أبو عبيدة ، البصري ، قال ابن حجر في التقريب : " ثقة ، من السادسة " ، توفي سنة ( ١٤٩ هـ ) ، أخرج له مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وغيرهم . انظر : تقريب التهذيب ( ٢ / ٨٢ ) ، ( ت ٧١٨ ) ع .
- (٤) هو : لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي البصري ، الشهير بأبي مجلز ، ثقة ، من كبار الطبقة الثالثة ، توفي سنة ( ١٠٦ هـ ) . انظر : تقريب التهذيب ( ٢ / ٣٤٠ ) ، ( ت ١ ) لا .
- (٥) في (أ) : عن أبي مخلد ، وهو تحريف .
- (٦) رجاله ثقات .
- (٧) هو الصحابي الجليل : فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس بن صهيب ، الأنصاري الأوسي ، أسلم قديما ولم يشهد بدرا ، وشهد بعدها أحدا ، وما بعدها من المشاهد ، كما شهد فتح الشام ومصر ، وولي الغزو ، وولاه معاوية قضاء دمشق بعد أبي الدرداء ، وتوفي في عهد معاوية سنة ( ٥٣ هـ ) . انظر : الإصابة ( ٣ / ٢٠٦ ) ، ( ت ٦٩٩٢ ) ف .
- (٨) مسلم الجنائز ( ٩٦٨ ) ، النسائي الجنائز ( ٢٠٣٠ ) ، أبو داود الجنائز ( ٣٢١٩ ) ، أحمد ( ١٨ / ٦ ) .
- (٩) انظر : صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب الأمر بتسوية القبر ، حديث رقم ( ٩٦٨ ) ، ( ٢ / ٦٦٦ ) .
- (١٠) رواه مسلم : سقطت من ( ج د ) .
- (١١) في المطبوعة زاد : وعن أبي الهياج الأسدي .
- (١٢) في (أ ط) : رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

ولا تماثلا إلا طمسته ﴿١﴾ . رواه مسلم.

وسنذكر - إن شاء الله تعالى - عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: " من بين ببلاد المشركين، وصنع نيروزهم، ومهرجانهم، حتى يموت: حشر معهم يوم القيامة " (٢) .  
وقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها: أنها كرهت الاختصار في الصلاة، وقالت (٣) " لا تشبهوا باليهود " . هكذا رواه بهذا اللفظ (٤) سعيد بن منصور، حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن مسلم (٥) عن مسروق، عن عائشة، وقد تقدم من رواية البخاري في المرفوعات (٦) .

وروى سعيد، حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح (٧) عن إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذؤيب (٨) قال: " دخلت مع ابن عمر مسجدا بالجحفة، فنظر إلى شرافات، فخرج إلى موضع فصلى فيه، ثم قال لصاحب المسجد: إني رأيت في مسجدك هذا - يعني

---

(١) انظر: صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر، حديث رقم (٩٦٩)، (٢ / ٦٦٦)، ولفظه: " عن أبي الهياج الأسدي، قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟ أن لا تدع تماثلا إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته " .

(٢) أخرجه البيهقي في سننه (٩ / ٢٣٤) .

(٣) في (أ ط) وقال: ولا يستقيم .

(٤) في (ب) : عن سعيد .

(٥) هو: مسلم بن صبيح الهمداني، أبو الضحى، الكوفي العطار، ثقة، فاضل، مات سنة (١٠٠ هـ)، أخرجه له الستة . انظر: تقريب التهذيب (٢ / ٢٤٥)، (ت ١٠٨٧) .

(٦) أخرجه عبد الرزاق في المصنف، كتاب الصلاة، باب وضع الرجل يده في خاصرته في الصلاة، حديث رقم (٣٣٣٨)، (٢ / ٢٧٣، ٢٧٤)، وإسناده صحيح عن معمر، عن الثوري، عن الأعمش بالإسناد الذي أشار إليه المؤلف، وفيه: " كما يصنع اليهود " . وأخرجه ابن أبي شيبة عن وكيع، عن الأعمش أيضا باللفظ الذي ذكره المؤلف: " لا تشبهوا باليهود "، وسبقت الإشارة إليه في البخاري، (ص ٢٢٤) من هذا الكتاب .

(٧) هو: عبد الله بن أبي نجيح - واسم أبي نجيح: يسار، المكّي، الثقفّي، مولاهم، أبو يسار، من المحدثين الثقات، وربما دلس، واتهم بالقول بالقدر، مات سنة (١٣١ هـ) . انظر: تهذيب التهذيب (٦ / ٥٤)، (ت ١٠١) .

(٨) هو: إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذؤيب الأسدي، وثقه أبو زرعة وابن سعد والدارقطني، وذكره ابن حبان في الثقات . انظر: تهذيب التهذيب (١ / ٣٢١، ٣١٣)، (ت ٥٧٠) أ .



الشرافات <sup>(١)</sup> - شبهتها بأنصاب الجاهلية، فمر <sup>(٢)</sup> بها أن تكسر " <sup>(٣)</sup> .  
وروى سعيد أيضا عن ابن مسعود: أنه كان يكره الصلاة في الطاق <sup>(٤)</sup> وقال: " إنه  
في <sup>(٥)</sup> الكنائس، فلا تشبهوا بأهل الكتاب " <sup>(٦)</sup> .  
وعن عبيد بن أبي الجعد <sup>(٧)</sup> قال: " كان أصحاب محمد ﷺ يقولون: إن من أشراط  
الساعة أن تتخذ المذابح في المسجد " <sup>(٨)</sup> . يعني الطاقات.  
وهذا الباب فيه كثرة عن الصحابة.  
وهذه القضايا التي ذكرناها: بعضها في مظنة الاشتهار، وما علمنا أحدا خالف ما  
ذكرناه عن الصحابة رضي الله عنهم، من كراهة التشبه بالكفار والأعاجم في الجملة، وإن  
كان بعض هذه المسائل المعينة فيها خلاف وتأويل ليس هذا موضعه.  
وهذا كما أنهم جمعوا على اتباع الكتاب والسنة <sup>(٩)</sup> وإن كان قد يختلف في بعض  
أعيان المسائل لتأويل <sup>(١٠)</sup> .  
فعلم اتفاقهم على كراهة التشبه بالكفار والأعاجم.

- 
- (١) الشرافات : جمع شرفة ، وهي ما يوضع في أعلى البناء ، من أبنية تزينها ، تكون مثلثة أو مربعة ونحو ذلك .  
(٢) في المطبوعة : تمر بها .  
(٣) انظر : مصنف ابن أبي شيبة ( ١ / ٣٠٩ ) ، وفيه ما يفيد هذا المعنى لا نصه .  
(٤) الطاق هو ما نسميه المحراب ، والطاق : ما عقد من الأبنية ، أي عطف وحي ، ومنه المحراب . انظر : القاموس  
المحيط ، باب القاف ، فصل الطاء ( ٣ / ٢٦٩ ) .  
(٥) في المطبوعة : من .  
(٦) انظر : المصنف لابن أبي شيبة ( ١ / ٥٩ ) ، كما أخرجه البزار بإسناد حسن عن ابن مسعود . انظر : كشف  
الاستار عن زوائد البزار ( ١ / ٢١٠ ) ، رقم ( ٤١٦ ) .  
(٧) هو : عبيد بن أبي الجعد الغطفاني ، قال ابن حجر : " صدوق من الثالثة " ، وثقه ابن حبان . انظر : تقريب  
التهذيب ( ١ / ٥٤٢ ) ، ( ت ١٥٣٩ ) ع ؛ وخلاصة التهذيب ( ص ٢٥٤ ) .  
(٨) أخرج عبد الرزاق عن الثوري ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبيد بن أبي الجعد الأشجعي ، عن كعب قال :  
( يكون في آخر الزمان قوم ينقص أعمارهم ويزينون مساجدهم ، ويتخذون بها مذابح كمدابح النصارى . . )  
إلخ . انظر : المصنف ( ٢ / ٤١٣ ) ، رقم ( ٣٩٠٣ ) . وانظر : السنن الكبرى للبيهقي ( ٢ / ٤٣٩ ) .  
(٩) في ( ط ) : فإن .  
(١٠) لتأويل : ساقطة من ( أ ) .

ما ذكره عامة علماء الإسلام من المتقدمين، والأئمة المتبوعين وأصحابهم، في تعليل النهي عن أشياء بمخالفة الكفار، أو مخالفة النصارى<sup>(١)</sup> أو مخالفة الأعاجم، وهو أكثر من أن يمكن استقصاؤه، وما من أحد له أدنى نظر في الفقه إلا وقد بلغه من ذلك طائفة، وهذا بعد التأمل والنظر، يورث علما ضروريا، باتفاق الأئمة، على النهي عن موافقة الكفار والأعاجم، والأمر بمخالفتهم.

وأنا أذكر من ذلك<sup>(٢)</sup> نكتا في مذاهب الأئمة المتبوعين اليوم، مع ما تقدم في أثناء الكلام عن غير واحد من العلماء.

فمن ذلك أن الأصل المستقر عليه<sup>(٣)</sup> في مذهب أبي حنيفة أن تأخير الصلاة أفضل من تعجيلها، إلا في مواضع يستثنونها، كاستثناء يوم الغيم، وكتعجيل الظهر في الشتاء - وإن كان غيرهم من العلماء يقول<sup>(٤)</sup> الأصل أن التعجيل أفضل - فيستحبون تأخير الفجر<sup>(٥)</sup> والعصر، والعشاء والظهر، إلا في الشتاء في غير الغيم<sup>(٦)</sup>. ثم قالوا: يستحب تعجيل المغرب؛ لأن تأخيرها مكروه لما فيه من التشبه باليهود، وهذا أيضا قول سائر الأئمة<sup>(٧)</sup> وهذه العلة منصوصة<sup>(٨)</sup> كما تقدم.

وقالوا أيضا: يكره السجود في الطاق؛ لأنه يشبه صنيع أهل الكتاب، من حيث تخصيص الإمام بالمكان، بخلاف ما إذا كان سجوده في الطاق، وهذا أيضا ظاهر مذهب

---

(١) أو مخالفة النصارى : سقطت من المطبوعة .

(٢) في (أ) : في ذلك .

(٣) عليه : ساقطة من (أ) .

(٤) في المطبوعة : أن الأصل .

(٥) في المطبوعة : التأخير للفجر .

(٦) انظر : الإفصاح لابن هبيرة ( ١ / ١٠٣ - ١٠٦ ) .

(٧) في (أ ب ط) : الأمة .

(٨) يشير إلى حديث النهي عن تأخير المغرب إلى اشتباك النجوم ، والذي مر (ص ٢١٠) .

أحمد وغيره <sup>(١)</sup> وفيه آثار صحيحة عن الصحابة: ابن مسعود، وغيره <sup>(٢)</sup> .

وقالوا: لا بأس أن يصلي وبين يديه مصحف معلق، أو سيف معلق؛ لأنهما لا يعبدان؛ وباعتباره: تثبت <sup>(٣)</sup> الكراهة <sup>(٤)</sup> ولا بأس أن يصلي على بساط فيه تصاوير؛ لأن فيه استهانة بالصورة، ولا يسجد على التصاوير <sup>(٥)</sup> ؛ لأنه يشبه عبادة الصور، وأطلق الكراهة في الأصل؛ لأن المصلي معظم <sup>(٦)</sup> .

قالوا: ولو لبس ثوبا فيه تصاوير كره <sup>(٧)</sup> ؛ لأنه يشبه <sup>(٨)</sup> حامل الصنم، ولا يكره تماثيل <sup>(٩)</sup> غير ذوي الروح؛ لأنه لا يعبد <sup>(١٠)</sup> .

وقالوا <sup>(١١)</sup> أيضا: إن صام يوم الشك ينوى أنه من رمضان، كره؛ لأنه تشبه بأهل الكتاب؛ لأنهم زادوا في مدة صومهم.

وقالوا: فإذا غربت الشمس، أفاض الإمام والناس معه على هيئتهم حتى يأتوا مزدلفة؛ لأن فيه إظهار مخالفة المشركين.

وقالوا أيضا لا يجوز الأكل والشرب والإدهان والتطيب في آنية الذهب والفضة،

---

(١) انظر: المغني والشرح الكبير (٢ / ٤٧) في المغني ، وفي العبارة غموض مما يشعر القارئ بأن فيها تناقضا من حيث إنه أشار إلى كراهة السجود في الطاق ، ثم استثنى من الكراهة السجود في الطاق ، ويظهر لي أنه يقصد أن الصلاة في الطاق بحيث يكون فيه كل جسم الإمام أن ذلك مكروه ، بخلاف ما إذا وقع فيه سجوده وبقية جسمه خارجه .

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) في (ج د) : تثبت .

(٤) في المطبوعة زاد : إلى غيرهما .

(٥) في المطبوعة : على الصورة .

(٦) في المطبوعة زاد : لله .

(٧) في (أ ط) : يكره .

(٨) في (د) : يشبه عبادة حامل الصنم .

(٩) في (أ ط) : تماثل .

(١٠) في (ط) : غير ذوي روح لأنهما لا تعبد .

(١١) في (أ) : قال .

للرجال والنساء؛ للنصوص، ولأنه تشبه بزى المشركين، وتنعم بتنعم المترفين والمسرفين<sup>(١)</sup>.  
وقالوا في تعليل المنع من لباس الحرير في حجة أبي يوسف<sup>(٢)</sup> ومحمد<sup>(٣)</sup> على أبي  
حنيفة، في المنع من افتراشه وتعليقه والستر به؛ لأنه من زى الأكاسرة، والجبابة، والتشبه  
بهم حرام.

قال عمر: " إياكم وزى الأعاجم " <sup>(٤)</sup> وقال محمد في الجامع الصغير: " ولا يتختم إلا  
بالفضة " <sup>(٥)</sup>

قالوا: وهذا نص على أن التختم بالحجر والحديد والصفير، حرام؛ للحديث المأثور:  
﴿ أن النبي ﷺ رأى على رجل خاتم صفر <sup>(٦)</sup> فقال: " مالي أجد منك ريح  
الأصنام؟ ﴾ <sup>(٨)</sup> ورأى على آخر خاتم حديد فقال: " ما لي أرى عليك حلية أهل

(١) انظر: المغني والشرح الكبير (١٠ / ٣٤٤) في المغني .

(٢) هو: القاضي أبو يوسف ، واسمه : يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري ، صاحب الإمام أبي حنيفة ، ولد  
سنة ( ١١٣ هـ ) فقيه عالم ، قلده الرشيد القضاء ، وتوفي سنة ( ١٨٢ هـ ) . انظر : وفيات الأعيان ( ٦ /  
٣٧٨ - ٣٨٨ ) ، ( ت ٨٢٤ ) ؛ والفوائد البهية ( ص ٢٢٥ - ٢٢٦ ) .

(٣) هو : محمد بن الحسن بن واقد الشيباني ، أبو عبد الله ، صاحب الإمام أبي حنيفة ، عالم فاضل فقيه ، وله  
مصنفات ، ولد سنة ( ١٣٢ هـ ) ، وتوفي سنة ( ١٨٩ هـ ) . انظر : وفيات الأعيان ( ٤ / ١٨٤ - ١٨٥ ) ،  
( ت ٥٦٧ ) ؛ والفوائد البهية في تراجم الحنفية ( ص ١٦٣ ) .

(٤) انظر : الهداية شرح بداية المبتدي ، للرشداني ( ٤ / ٨١ ) .

(٥) انظر : الهداية شرح بداية المبتدي ، للرشداني ( ٤ / ٨٢ ) .

(٦) في (أ) : إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

(٧) صفر : ساقطة من (أ) .

(٨) جاء ذلك في حديث عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم خاتم  
من شبه فقال له : ما لي أجد منك ريح الأصنام ؟ " فطرحة ، ثم جاء وعليه خاتم من حديد فقال : " ما لي  
أرى عليك حلية أهل النار ؟ " فطرحة فقال : يا رسول الله من أي شيء أتخذه ؟ قال : " اتخذه من ورق ولا  
تتمه مثقالا " . أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الخاتم ، باب ما جاء في خاتم الحديد ، حديث رقم ( ٤٢٢٣ )  
( ٤ / ٤٢٨ ، ٤٢٩ ) . والترمذي في كتاب اللباس ، باب ما جاء في الخاتم الحديد ، حديث رقم ( ١٧٨٥ ) ،  
( ٤ / ٢٤٨ ) . وقال الترمذي : " هذا حديث غريب ، وفي الباب عن عبد الله بن عمرو " . والنسائي في الزينة  
( ٨ / ١٧٢ ) ، وصححه ابن حبان ( ١٤٦٧ ) . وأخرجه الإمام  
البعوي في شرح السنة وقال : " وإسناده غريب " ( ٩ / ١٢١ ، ١٢٢ ) .

ومثل هذا كثير في مذهب أبي حنيفة وأصحابه .  
وأما مذهب مالك وأصحابه، ففيه ما هو أكثر من ذلك، حتى قال مالك فيما رواه  
ابن القاسم <sup>(٣)</sup> في المدونة: " لا يحرم بالأعجمية، ولا يدعو بها، ولا يحلف " <sup>(٤)</sup> .  
قال: " ونهى عمر رضي الله عنه عن رطانة الأعاجم وقال: " إنها حب " <sup>(٥)</sup> .  
قال: " وأكره الصلاة إلى حجر منفرد في الطريق وأما أحجار <sup>(٦)</sup> كثيرة فجائز " <sup>(٧)</sup> .  
قال: " ويكره ترك العمل يوم الجمعة كفعل أهل الكتاب يوم <sup>(٨)</sup> السبت والأحد " <sup>(٩)</sup> .  
قال: " ويقال: من تعظيم الله تعظيم ذي الشيبة المسلم <sup>(١٠)</sup> قيل: " فالرجل يقوم  
للرجل له الفضل والفقه ؟ قال: أكره ذلك، ولا بأس بأن <sup>(١١)</sup> يوسع له في مجلسه " .

(١) الترمذي اللباس (١٧٨٥) ، أبو داود الخاتم (٤٢٢٣) .

(٢) نفس التعليق السابق .

(٣) هو : عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي المصري ، أبو عبد الله ، إمام فقيه ، عالم زاهد ، من كبار تلاميذ الإمام مالك ، له كتاب (المدونة) رواه عن الإمام مالك ، قال ابن حجر في التقریب : " ثقة ، من العاشرة " ، توفي سنة (٢٩١ هـ) . انظر : تقریب التهذيب (١ / ٤٩٥) ، (ت ١٠٧٩) ع؛ والأعلام للزركلي (٣ / ٣٢٣) .

(٤) انظر : المدونة برواية سحنون عن ابن القاسم (١ / ٦٢ ، ٦٣) .

(٥) انظر : المدونة برواية سحنون عن ابن القاسم (١ / ٦٣) .

(٦) في (ب) : حجارة .

(٧) انظر : المدونة برواية سحنون عن ابن القاسم (١ / ١٠٩) .

(٨) في (أ) : في السبت والأحد .

(٩) المدونة (١ / ١٥٤) ، وقال : " قال مالك : وبلغني أن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كانوا يكرهون أن يترك الرجل العمل يوم الجمعة كما تركت اليهود والنصارى في السبت والأحد " .

(١٠) جاء في حديث أخرجه أبو داود في سننه عن أبي موسى الأشعري : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : " إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم " ، الحديث ، في كتاب الأدب ، باب في تزئيل الناس منازلهم ، حديث رقم (٤٨٤٣) ، (٥ / ١٧٤) ، وفي إسناده : أبو كنانة ، مجهول ، ويقال : إنه معاوية بن قره ، ولم يثبت ذلك . انظر : تقریب التهذيب (٢ / ٤٦٦) ، (ت ٢١) ، وبقية رجاله ثقات .

(١١) بأن : ساقطة من (أ) .

قال: " وقيام المرأة لزوجها حتى يجلس من فعل الجبابة، وربما يكون الناس ينتظرونه فإذا طلع قاموا، فليس هذا من فعل الإسلام، وهو فيما ينهى عنه من التشبه بأهل الكتاب والأعاجم"، وفيما ليس من عمل المسلمين، أشد من (١) عمل الكوفيين وأبلغ، (٢) مع (٣) أن الكوفيين يبالغون في هذا الباب، حتى تكلم أصحاب أبي حنيفة في تكفير من تشبه بالكفار في لباسهم وأعيادهم.

وقال بعض أصحاب مالك: من ذبح بطيخة في أعيادهم (٤) فكأنما ذبح حزييرا.  
وكذلك أصحاب الشافعي ذكروا هذا الأصل في غير موضع من مسائلهم، مما (٥) جاءت به الآثار، كما ذكر غيرهم من العلماء، مثل ما ذكروه في النهي عن الصلوات في الأوقات المنهي عن الصلاة فيها - مثل طلوع الشمس وغروبها - ذكروا تعليل ذلك بأن (٦) المشركين يسجدون للشمس حينئذ، كما في الحديث: ﴿إنها ساعة يسجد لها الكفار﴾ (٧) (٨).

وذكروا في السحور وتأخيره: أن ذلك فرق بين صيامنا وصيام أهل الكتاب.  
وذكروا في اللباس: النهي عما فيه تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال.  
وذكروا أيضا: ما جاء من أن المشركين كانوا يقفون بعرفات إلى اصفرار الشمس، ويفيضون من جمع بعد طلوع الشمس، وأن السنة جاءت بمخالفة المشركين في ذلك بالتعريف إلى الغروب، والوقوف بجمع إلى قبيل طلوع الشمس، كما جاء في الحديث:

(١) من عمل : ساقطة من (أ ط) .

(٢) من هنا حتى قوله : وأما كلام أحمد وأصحابه (بعد ورقة من المخطوطة ، ثلاث صفحات تقريبا) : ساقطة من (أ) .

(٣) في (ج د) : من .

(٤) في (ب ط) : عيدهم .

(٥) في المطبوعة : كما .

(٦) في (ب) : لأن .

(٧) مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٨٣٢) ، النسائي المواقيت (٥٧٢) ، أحمد (٤/١١٣) .

(٨) الحديث مر في (ص ٢١٨) . انظر : فهرس الأحاديث .

﴿ خالفوا المشركين ﴾<sup>(١)</sup> و ﴿ خالف هدينا هدي المشركين ﴾<sup>(٣)</sup> .

وذكروا أيضا: الشروط<sup>(٤)</sup> على أهل الذمة، منعهم<sup>(٥)</sup> عن التشبه بالمسلمين في لباسهم وغيره<sup>(٦)</sup> مما يتضمن منع المسلمين أيضا من مشابھتهم في ذلك تفريقا بين علامة المسلمين وعلامة الكفار.

وبالغ طائفة منهم، فنهوا عن التشبه بأهل البدع، فيما<sup>(٧)</sup> كان شعارا لهم، وإن كان<sup>(٨)</sup> مسنونا، كما ذكره طائفة منهم في تسنيم القبور، فإن مذهب الشافعي: أن الأفضل تسطيحها<sup>(٩)</sup> .

ومذهب أحمد وأبي حنيفة: أن الأفضل تسنيمها<sup>(١٠)</sup> .

ثم قال طائفة من أصحاب الشافعي: بل ينبغي تسنيمها في هذه الأوقات؛ لأن الرافضة تسطحها<sup>(١١)</sup> ففي تسطيحها تشبه بهم فيما<sup>(١٢)</sup> هو شعار لهم. وقالت طائفة: بل نحن نسطحها، فإذا سطحنها لم يكن تسطيحها شعارا لهم.

فاتفقت الطائفتان على<sup>(١٣)</sup> النهي عن التشبه بأهل البدع فيما هو شعار لهم، وإنما

---

(١) البخاري اللباس (٥٥٥٤) ، مسلم الطهارة (٢٥٩) ، الترمذي الأدب (٢٧٦٤) ، أبو داود الترجل (٤١٩٩) ، أحمد (١٦/٢) ، مالك الجامع (١٧٦٤) .

(٢) انظر : (ص ٢٠٣) .

(٣) انظر : (ص ٣٥٩) .

(٤) في (ب ط) : شروطا .

(٥) في (ط) : تمنعهم .

(٦) في (ط) : وغير لباسهم .

(٧) في (ط) والمطبوعة : مما .

(٨) في المطبوعة : وإن كان في الأصل مسنونا .

(٩) انظر : المعني والشرح الكبير (٢ / ٣٨٥) في المعني .

(١٠) نفس المرجع السابق .

(١١) في المطبوعة زيادات هنا : قال : لأن شعار الرافضة اليوم تسطيحها .

(١٢) في (ب) : مما .

(١٣) في المطبوعة : على أن .

تنازعوا<sup>(١)</sup> في أن التسطیح: هل يحصل به ذلك أم لا ؟

فإن كان هذا في التشبه بأهل البدع، فكيف بالكفار ؟

وأما كلام أحمد وأصحابه في ذلك فكثير جدا، أكثر من أن يحصر، قد قدمنا منه طائفة من كلامه عند ذكر النصوص، عند قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ من تشبه بقوم فهو منهم ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله: ﴿ أحفوا الشوارب، وأعفوا اللحى؛ لا تشبهوا بالمشركين ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله: ﴿ إنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة ﴾<sup>(٤)</sup> .

مثل قول أحمد: " ما أحب لأحد إلا أن<sup>(٥)</sup> يغير الشيب ولا يتشبه بأهل الكتاب " <sup>(٦)</sup> وقال لبعض أصحابه: " أحب لك أن تخضب ولا تشبه باليهود " <sup>(٧)</sup> وكره حلق القفا. وقال: " هو من فعل الجوس " <sup>(٨)</sup> ومن تشبه بقوم فهو منهم ". وقال: " أكره النعل الصرار، وهو من زي العجم " <sup>(٩)</sup> .

(١) في (ب ط) : تنازعا .

(٢) أبو داود اللباس (٤٠٣١) .

(٣) انظر : (ص ٢٦٩) .

(٤) البخاري اللباس (٥٥٥٤) ، مسلم الطهارة (٢٥٩) ، الترمذي الأدب (٢٧٦٣) ، النسائي الطهارة (١٥) ، أبو داود الترجل (٤١٩٩) ، أحمد (١٦/٢) ، مالك الجامع (١٧٦٤) .

(٥) انظر : (ص ٢٠٣) .

(٦) البخاري الأشربة (٥٣١٠) ، مسلم اللباس والزينة (٢٠٦٧) ، الترمذي الأشربة (١٨٧٨) ، النسائي الزينة (٥٣٠١) ، أبو داود الأشربة (٣٧٢٣) ، ابن ماجه الأشربة (٣٤١٤) ، أحمد (٣٩٧/٥) ، الدارمي الأشربة (٢١٣٠) .

(٧) انظر : (ص ٣٦٠) .

(٨) في المطبوعة : ما أحب لأحد أن يغير الشيب . وهو قلب للمعنى المراد .

(٩) انظر : مسائل الإمام أحمد للنيسابوري (٢ / ١٤٨) .

(١٠) مسائل الإمام أحمد للنيسابوري (٢ / ١٤٨) .

(١١) في المطبوعة زاد هنا : وقال .

(١٢) انظر : مسائل الإمام أحمد لأبي داود (ص ٢٦١) .



وكره تسمية الشهور بالعجمية<sup>(١)</sup> والأشخاص بالأسماء الفارسية، مثل: آذرماه. وقال للذي دعاه: زي الجوس، زي الجوس؟ ونفض يده في وجهه<sup>(٢)</sup> وهذا كثير في نصوصه<sup>(٣)</sup> لا يحصر.

وقال حرب الكرماني: " قلت لأحمد: الرجل يشد وسطه بجبل ويصلي؟ قال: على القباء لا بأس به. وكرهه على القميص، وذهب إلى أنه من زي<sup>(٤)</sup> اليهود، فذكرت له السفر، وأنا نشد ذلك على أوساطنا، فرخص فيه قليلا، وأما المنطقة والعمامة ونحو ذلك، فلم يكرهه، إنما كره الخيط، وقال: هو أشنع " <sup>(٥)</sup>.

قلت: وكذلك كره أصحابه أن يشد وسطه على الوجه الذي يشبه فعل أهل الكتاب. فأما ما سوى ذلك: فإنه لا يكره في الصلاة على الصحيح المنصوص، بل يؤمر من صلى في قميص واسع الجيب أن يحتزم، كما جاء في الحديث<sup>(٦)</sup>؛ لئلا يرى عورة نفسه.

وقال الفقهاء من أصحاب الإمام<sup>(٧)</sup> أحمد وغيره، منهم: القاضي أبو يعلى، وابن عقيل، والشيخ أبو محمد عبد القادر الجيلي<sup>(٨)</sup> وغيرهم؛ في أصناف اللباس وأقسامه: ومن اللباس المكروه: ما خالف زي العرب، وأشبه زي الأعاجم وعادتهم. ولفظ عبد

(١) بالعجمية : ساقطة من (أ ط) .

(٢) انظر : (ص ٣٦٢) .

(٣) أي نصوص الإمام أحمد .

(٤) زي : سقطت من المطبوعة .

(٥) انظر : المغني والشرح الكبير (١ / ٦٢٤) في المغني . وانظر : مسائل الإمام أحمد للنيسابوري (١ / ٥٩) .

(٦) جاء ذلك في حديث أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة قال : " نهى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يصلي الرجل حتى يحتزم " . المسند (٢ / ٤٧٢) ، كما أخرجه بلفظ آخر أيضا عن أبي هريرة (٢ / ٣٨٧ ، ٤٥٨) .

(٧) الإمام : سقطت من (ب ج د) .

(٨) هو : عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله الجيلي ثم البغدادي ، عالم فقيه صالح زاهد ، ولد سنة (٤٩٠ هـ) ، وتوفي سنة (٥٦١ هـ) ، وكان من الفقهاء الوعاظ وله كرامات ، إلا أن المتصوفة زادوا فيها وبالغوا ، ونسبوا إليه بعض الحكايات الباطلة والتي لا يقرها الشرع وتنافي الاعتقاد السليم ، وتخل بالتوحيد ، وكل ذلك كذب عليه ومحض افتراء كعادة المتصوفة عندما يقدسون أحدا . انظر : الذيل على طبقات الحنابلة (١ / ٢٩٠ - ٣٠١) .

القادر: " ويكره كل ما خالف زي العرب، وشابه زي الأعاجم " (١) .

وقال أيضا أصحاب أحمد وغيرهم منهم أبو الحسن الآمدي، المعروف بابن البغدادي - وأظنه نقله أيضا عن أبي عبد الله بن حامد - : " ولا يكره غسل اليدين في الإناء الذي أكل فيه؛ لأن النبي ﷺ فعله، وقد نص أحمد على ذلك، وقال: لم يزل العلماء يفعلون ذلك ونحن نفعله، وإنما تنكره العامة "، وغسل اليدين بعد الطعام مسنون، رواية واحدة (٢) .  
وإذا قدم ما يغسل فيه اليد، فلا يرفع حتى يغسل الجماعة أيديها (٣) ؛ لأن الرفع من زي الأعاجم، وكذلك قال (٤) الشيخ أبو محمد عبد القادر الجيلي: " ويستحب أن يجعل ماء اليد (٥) في طست (٦) واحد (٧) لما روي في الخبر: " لا تبددوا بيدد الله شملكم " (٨) .

وروي أنه ﷺ ﴿ نهي أن يرفع الطست (٩) حتى يطف ﴾ يعني يمتلىء.

وقالوا أيضا - ومنهم أبو محمد (١٠) عبد القادر - في تعليل كراهة حلق الرأس، على

إحدى الروايتين: لأن في ذلك تشبها بالأعاجم (١١) وقال ﷺ ﴿ من تشبه بقوم فهو

منهم ﴾ (١٢) (١) .

(١) الغنية لطالبي طريق الحق ، لعبد القادر الجيلاني (ص ٢٨) .

(٢) انظر : المعني والشرح الكبير (٨ / ١٢٠) في المعني .

(٣) في المطبوعة : أيديهم . والمعنى أنه يترك الإناء حتى يغسل الجميع أيديهم فيه .

(٤) في (ب) : ولذلك .

(٥) في (أ ط) : الأيدي .

(٦) كذا في (ب ج د) والمطبوعة : طست . بالسين المهملة . وفي (أ ط) : طشت . وطست وطشت : كلاهما

جائز لغة . وهو معرب . انظر : القاموس المحيط ، فصل الطاء ، باب التاء (١ / ١٥٨) . والطست : إناء كبير

مستدير من نحاس ونحوه يغسل فيه . انظر : المعجم الوسيط (٢ / ٥٦٣) .

(٧) في المطبوعة : واحدة .

(٨) لم أجده .

(٩) كذا في (ب ج د) والمطبوعة : الطست ، وفي (أ ط) : الطشت .

(١٠) أبو محمد : سقطت من (ب ج د) .

(١١) الغنية ، لعبد القادر الجيلاني (١ / ١٥ - ١٦) .

(١٢) أبو داود اللباس (٤٠٣١) .

بل قد ذكر طوائف من الفقهاء من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهما: كراهة أشياء؛ لما فيها من التشبه بأهل البدع، مثل ما قال غير واحد من الطائفتين - ومنهم عبد القادر: " ويستحب أن يتختم في يساره؛ للآثار، ولأن خلاف ذلك عادة وشعار للمبتدعة " (٢) .

وحتى إن طوائف من أصحاب الشافعي، استحبا تسنيم القبور، وإن كانت السنة عندهم تسطيحها؛ قالوا: لأن ذلك صار شعارا للمبتدعة.

وليس الغرض هنا (٣) تقرير أعيان هذه المسائل، ولا الكلام على ما قيل فيها بنفي ولا إثبات، وإنما الغرض بيان ما اتفق عليه العلماء من كراهة التشبه بغير أهل الإسلام. وقد يتردد العلماء في بعض فروع هذه القاعدة؛ لتعارض الأدلة فيها، أو لعدم اعتقاد بعضهم اندراجه في هذه القاعدة، مثل ما نقله الأثرم (٤) قال: سمعت أبا عبد الله يسأل عن لبس الحرير في الحرب؟ فقال: " أرجو أن لا يكون به بأس " (٥) .

قال: وسمعت أبا عبد الله يسأل عن المنطقة والحلية فيها؟ فقال: " أما المنطقة فقد كرهها قوم، يقولون: من (٦) زي العجم (٧) وكانوا يحتجزون العمائم ". وهذا إنما علق القول فيه؛ لأن في المنطقة منفعة عارضت ما فيها من التشبه، ونقل عن بعض السلف أنه كان يتمنطق (٨) فلهذا حكى الكلام عن غيره وأمسك. ومثل هذا: هل يجعل قولاً له إذا

(١) الحديث مر (ص ٢٦٩ ، ٢٧٢) .

(٢) الغنية (١ / ٢٤) .

(٣) من هنا حتى قوله : ما اتفق عليه العلماء (سطر ونصف تقريباً) ساقطة من (أ) .

(٤) هو : أحمد بن محمد بن هانئ الطائي - ويقال : الكلي - الأثرم ، الإسكافي ، من أصحاب الإمام أحمد الذين رووا عنه ، ونقل مسائل كثيرة ، وصنفها ورتبها أبواباً ، وكان عالماً حافظاً جليلاً القدر ، ثقة . توفي سنة ( ٢٧٣ هـ ) . انظر : طبقات الحنابلة ( ١ / ٦٦ - ٧٤ ) ، ترجمة رقم (٥٧)؛ وتقريب التهذيب ( ١ / ٢٥ ) ، (ت ١١٧) .

(٥) انظر : المغني والشرح الكبير ( ١ / ٦٢٧ ) في المغني .

(٦) في المطبوعة : هي زي الأعاجم .

(٧) في (ج د) والمطبوعة : الأعاجم .

(٨) في (أ ط) : يتمنطق .

سئل عن مسألة فحكي فيها جواب غيره ولم يردفه بموافقة ولا مخالفة ؟ فيه لأصحابه وجهان:

: نعم؛ لأنه لولا موافقته له <sup>(١)</sup> لما كان قد أجاب السائل <sup>(٢)</sup> لأنه إنما سأله عن قوله، ولم يسأله أن يحكي له مذاهب <sup>(٣)</sup> الناس.

: لا يجعل بمجرد ذلك قولاً له؛ لأنه إنما حكاها فقط، وبمجرد الحكاية لا يدل على الموافقة.

وفي لبس المنطقة أثر <sup>(٤)</sup> وكلام ليس هذا موضعه.

ولمثل هذا تردد كلامه في القوس الفارسية، فقال الأثرم: سألت أبا عبد الله عن القوس الفارسية ؟ فقال: " إنما كانت قسي الناس العربية ". ثم قال: " إن بعض الناس احتج بحديث عمر رضي الله عنه (جعاب وأدم) <sup>(٥)</sup> ". قلت: حديث أبي عمرو بن حماس <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup> ؟ قال: " نعم " <sup>(٨)</sup> . قال: أبو عبد الله يقول: " فلا تكون جعبة إلا للفارسية <sup>(٩)</sup> والنبيل فإنما هو قرن " .

(١) في المطبوعة : لكان .

(٢) في المطبوعة زاد : بغيره . بعد : السائل .

(٣) في المطبوعة : مذهب .

(٤) ذكر ابن القيم في زاد المعاد أن شيخ الإسلام ابن تيمية قال : لم يبلغنا أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم شد على وسطه منطقة . زاد المعاد ( ١ / ١٣١ ) .

(٥) الجعاب جمع جعبة وهي كنانة الشباب (التي توضع فيها السهام) . انظر : القاموس المحيط ، باب الباء ، فصل الجيم ( ١ / ٤٨ ) .

(٦) في ( ج د ) : ابن حماس . والصحيح بالسين المهملة .

(٧) هو : أبو عمرو بن حماس بن عمرو الليثي ، من الطبقة السادسة ، من العباد المجتهدين ، ذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب عن أبي حاتم أنه مجهول . وقال ابن حجر في التقریب : " مقبول " . توفي سنة ( ١٣٩ هـ ) .

انظر : تهذيب التهذيب ( ١٢ / ١٧٨ ) ، مادة (الكئي)؛ وتقریب التهذيب ( ٢ / ٤٥٤ ) ، ( ت ١٧١ ) ، مادة (الكئي) .

(٨) مسند عمر .

(٩) في ( ب ج د ) : إلا الفارسية .

قال الأثرم، قلت لأبي عبد الله: في تفسير مجاهد: ﴿ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ﴾<sup>(١)</sup>

قال: " كالجعبة للنبيل " <sup>(٢)</sup> قال: " فإن كان يسمي جعبة للنبيل، فليس ما احتج به الذي قال هذا بشيء "، ثم قال: " ينبغي أن يسأل عن هذا أهل العربية ".

قال أبو بكر: قيل لأبي عبد الله: الدراعة يكون <sup>(٣)</sup> لها فرج؟ فقال: " كان لخالد <sup>(٤)</sup> بن معدان دراعة لها فرج من بين يديها قدر ذراع " قيل لأبي عبد الله: فيكون لها فرج من خلفها؟ قال: " ما أدري، أما من بين يديها فقد سمعت، وأما من خلفها فلم أسمع " قال: إلا أن في ذلك سعة له عند الركوب <sup>(٥)</sup> ومنفعة ". قال: " وقد احتج بعض الناس في هذا بقوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ <sup>(٦)</sup> قال الأثرم: قلت لأبي عبد الله: واحتج بهذه الآية بعض الناس في القوس الفارسية، ثم قلت: إن أهل خراسان يزعمون أنه لا منفعة لهم في القوس العربية، وإنما النكاية عندهم للفارسية <sup>(٧)</sup> قال: " كيف؟ ! وإنما فتحت الدنيا بالعربية ". قال الأثرم: قلت لأبي عبد الله: ورأيتهم بالثغر لا يكادون يعدلون بالفارسية، قال: " إنما رأيت الرجل بالشام متنكبا قوسا عربية " <sup>(٨)</sup> .

وروى الأثرم، عن حفص بن عمر <sup>(٩)</sup> حدثنا رجاء بن مرجى <sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup> حدثني عبد الله

(١) سورة فصلت : من الآية ٥ .

(٢) انظر : تفسير مجاهد ، تحقيق السورتي ، (ص ٥٦٩) ، ط الأولى ، تفسير سورة فصلت : من الآية ٥ .

(٣) في (ج د) : تكون . والدريعية : الثوب من الصوف ، واللبة المشقوقة المقدم . انظر : المعجم الوسيط (١) / ٢٨٠ . طبعة المكتبة العلمية بطهران .

(٤) في (أ) : كان خالد .

(٥) في (ج د) : الركوع .

(٦) سورة الأنفال : من الآية ٦٠ .

(٧) في (أ) : الفارسية .

(٨) قال ابن قدامة في المغني : " وظاهر كلام أحمد إباحة الرمي بالقوس الفارسية ، ونص على جواز المسابقة بها " . انظر : المغني والشرح الكبير (١١ / ١٥٧) في المغني .

(٩) لا أدري من هو حفص بن عمر هذا ، فالذين يعرفون بهذا الاسم كثيرون ، ولكني لم أجد من أشار إلى حفص الذي روى عن رجاء وروى عنه الأثرم .

بن بشر<sup>(٣)</sup> عن أبي راشد الخبراني<sup>(٤)</sup> وأبي الحجاج السكسكي<sup>(٥)</sup> عن علي قال: ﴿بينما رسول الله ﷺ يتوكأ على قوس له عربية، إذ رأى رجلا معه قوس فارسية، فقال: " ألقها، فإنها<sup>(٦)</sup> ملعونة، ولكن عليكم بالقيسي<sup>(٧)</sup> العربية، وبرماح القنا، فيها يؤيد الله الدين، وبها يمكن لكم في الأرض ﴾<sup>(٨)</sup>.

ولأصحابنا في القوس الفارسية ونحوها كلام طويل، ليس هذا موضعه، وإنما نبهت بذلك على أن ما لم يكن من هدي المسلمين، بل هو<sup>(٩)</sup> من هدي العجم أو نحوهم، وإن ظهرت فائدته، ووضحت منفعته، تراهم يترددون فيه، ويختلفون؛ لتعارض الدليلين: دليل ملازمة الهدي الأول، ودليل استعمال هذا الذي فيه منفعة بلا مضرة، مع أنه ليس من العبادات<sup>(١٠)</sup> وتوابعها، وإنما هو من الأمور الدنيوية، وأنت ترى عامة كلام أحمد إنما

(١) هو: رجاء بن مرجى بن رافع الغفاري، أبو محمد بن أبي رجاء المروزي، حافظ ثقة متقن، إمام في علم الحديث، توفي سنة (٢٤٩ هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٣ / ٢٦٩، ٢٧٠)، (ت ٥٠٨) ر.  
(٢) في (ب أ ط): رجاء بن رجا. وفي (ج د): رجاء بن مرجا.

(٣) كذا في جميع النسخ: بن بشر، بالشين المعجمة، ومثله في سنن ابن ماجه (٢ / ٩٣٩). لكن أكثر كتب التراجم التي اطلعت عليها تسميه: ابن بسر، بالسين المهملة. وهو عبد الله بن بسر السكسكي الخبراني الحمصي، أبو سعيد، سكن البصرة، من الطبقة الخامسة، ضعيف، ضعفه يحيى بن سعيد القطان والنسائي وأبو حاتم والدارقطني. انظر: الجرح والتعديل (٥ / ١٢)، (ت ٥٧)؛ وتهذيب التهذيب (٥ / ١٥٩ - ١٦٠)، (ت ٢٧٢).

(٤) هو: أبو راشد الخبراني الحميري الحمصي، اسمه: أخضر - وقيل: النعمان - من كبار التابعين، قال فيه العجلي: "شامي تابعي ثقة لم يكن في زمانه بدمشق أفضل منه". وذكر ذلك ابن حجر في التهذيب. انظر: تهذيب التهذيب (١٢ / ٩١ - ٩٢)، (ت ٤٠٢)، مادة (الكنى).

(٥) لم أجد له ترجمة.

(٦) في المطبوعة: فهي.

(٧) في (ب ط): بقسي. وفي أن: بنفسي.

(٨) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الجهاد، باب السلام، الحديث رقم (٢٨١٠)، (٢ / ٩٣٩)، وإسناده عند ابن ماجه فيه عبد الله بن بسر، ضعيف، وأشعث بن سعيد، متروك. انظر: تهذيب التهذيب (٥ / ١٢٩ - ١٦٠).

(٩) هو: ساقطة من (ج د).

(١٠) في (ج د): أو. والمطبوعة: ولا.

---

يثبت الرخصة بالأثر عن عمر، أو بفعل خالد بن معدان<sup>(١)</sup> ليثبت بذلك أن ذلك كان يفعل على عهد السلف، ويقرون عليه، فيكون من هدي المسلمين، لا من هدي الأعاجم وأهل الكتاب، فهذا هو وجه الحجة، لا أن مجرد فعل خالد بن معدان حجة.

وأما ما في هذا الباب عن سائر أئمة المسلمين، من الصحابة والتابعين وسائر الفقهاء، فأكثر من أن يمكن ذكر عشره، وقد قدمنا في أثناء الأحاديث كلام بعضهم الذي يدل على كلام الباقيين، وبدون ما ذكرناه يعلم إجماع الأمة على كراهة التشبه بأهل الكتاب والأعاجم في الجملة، وإن كانوا قد يختلفون في بعض الفروع، إما لاعتقاد بعضهم أنه ليس من هدي الكفار، أو لاعتقاد أن فيه دليلا راجحا، أو لغير ذلك، كما أنهم مجمعون على اتباع الكتاب والسنة، وإن كان قد يخالف بعضهم شيئا من ذلك لنوع تأويل. والله سبحانه أعلم.

---

(١) هو : خالد بن معدان الكلاعي الحمصي ، أبو عبد الله ، من الثقات العباد المشهود لهم بالفضل ، من الطبقة الثالثة ، روى له جميع أصحاب الكتب الستة وغيرهم ، قال ابن حجر : " ثقة عابد يرسل كثيرا " . مات سنة ( ١٠٣ هـ ) . انظر : تقريب التهذيب ( ١ / ٢١٨ ) ، ( ت ٨٠ ) خ .

ومما يشبه الأمر بمخالفة الكفار: الأمر بمخالفة الشياطين، كما رواه مسلم في صحيحه،  
عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: ﴿ لا يأكلن أحدكم بشماله، ولا يشربن  
بها، فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بها ﴾ (١) (٢) .

وفي لفظ: ﴿ إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن  
الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله ﴾ (٣) (٤) ورواه مسلم أيضا عن الليث عن أبي  
الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ قال: ﴿ لا تأكلوا بالشمال، فإن الشيطان يأكل  
بالشمال ﴾ (٥) (٦) فإنه علل النهي عن الأكل والشرب بالشمال: بأن الشيطان يفعل  
ذلك؛ فعلم أن مخالفة الشيطان أمر مقصود مأمور به، ونظائره كثيرة.

وقريب من هذا: مخالفة من لم يكمل دينه من الأعراب ونحوهم؛ لأن كمال  
الدين: الهجرة (٧) فكان من آمن ولم يهاجر من الأعراب ونحوهم - ناقصا، قال الله  
سبحانه وتعالى: ﴿ أَلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ

---

(١) مسلم الأشربة (٢٠٢٠) ، الترمذي الأئمة (١٨٠٠) ، أبو داود الأئمة (٣٧٧٦) ، أحمد (١٢٨/٢) ،  
الدارمي الأئمة (٢٠٣٠) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الأشربة ، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما ، الحديث رقم (٢٠١٩) ،  
والحديث رقم (٢٠٢٠) ، (٣ / ١٥٩٨ ، ١٥٩٩) .

(٣) مسلم الأشربة (٢٠٢٠) ، الترمذي الأئمة (١٨٠٠) ، أبو داود الأئمة (٣٧٧٦) ، أحمد (٨/٢) ، مالك  
الجامع (١٧١٢) ، الدارمي الأئمة (٢٠٣٠) .

(٤) نفس المرجع السابق .

(٥) مسلم الأشربة (٢٠١٩) ، ابن ماجه الأئمة (٣٢٦٨) ، أحمد (٣٣٤/٣) .

(٦) نفس المرجع السابق .

(٧) في المطبوعة : بالهجرة .



عَلَى رَسُولِهِ ﷺ (١) (٢) .

وذلك مثل (٣) ما رواه مسلم في صحيحه عن ابن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم، ألا إنها العشاء، وهم يعتمون بالإبل ﴾ . وفي لفظ: أن النبي ﷺ قال: ﴿ لا يغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم العشاء، فإنها في كتاب الله: العشاء، فإنها تعتم بحلاب الإبل ﴾ (٥) (٦) .

وروى البخاري، عن عبد الله بن مغفل (٧) (٨) عن النبي ﷺ قال: ﴿ لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم المغرب ﴾ قال (٩) " والأعراب تقول: هي: العشاء " (١٠) .  
فقد كره موافقة الأعراب في اسم (١١) المغرب والعشاء، بالعشاء والعتمة، وهذه الكراهة عند بعض علمائنا تقتضي كراهة هذا الاسم مطلقا، وعند بعضهم إنما تقتضي (١٢) كراهة الإكثار منه، حتى يغلب على الاسم الآخر، وهو المشهور عندنا.

(١) سورة التوبة آية : ٩٧ .

(٢) في المطبوعة أكمل الآية ، سورة التوبة : الآية ٩٧ .

(٣) في المطبوعة : ومثل ذلك .

(٤) في (ب ج د) والمطبوعة : يغلبنكم . وفي مسلم : تغلبنكم ، كما هو مثبت . وكذلك البخاري .

(٥) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٦٤٤) ، أحمد (١٩/٢) .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب وقت العشاء وتأخيرها ، الحديث رقم (٦٤٤) ، (١) / (٤٤٥) .

(٧) في (ب) : ابن معقل . والصحيح : ابن مغفل ، كما هو مثبت .

(٨) هو : عبد الله بن مغفل بن عبد غنم بن عفيف المزني ، أبو سعيد - أبو زياد - صحابي جليل ، شهد بيعة الشجرة ، وهو أحد البكائين في غزوة تبوك ، وأحد العشرة الذين أرسلهم عمر إلى البصرة ليفقهوا الناس ، سكن البصرة ، ومات بها سنة (٦١ هـ) رضي الله عنه . انظر : الإصابة (٢ / ٣٧٢) ، (٤٩٧٢) .

(٩) قال : ساقطة من (ب) .

(١٠) صحيح البخاري ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب من كره أن يقال للمغرب العشاء ، الحديث رقم (٥٦٣) من فتح الباري (١ / ٤٣) .

(١١) في (أ ب ط) : اسمي .

(١٢) الجملة : (هذا الاسم مطلقا وعند بعضهم إنما تقتضي) : ساقطة من (ج د) .

---

وعلى التقديرين: ففي الحديث النهي عن موافقة الأعراب في ذلك، كما نهى عن موافقة الأعاجم.

واعلم أن بين التشبه بالكفار والشياطين، وبين التشبه بالأعراب والأعاجم فرقا يجب اعتباره، وإجمالا يحتاج إلى تفسير، وذلك:

أن نفس الكفر والتشيطان مذموم في حكم الله ورسوله وعباده المؤمنين، ونفس الأعرابية والأعجمية ليست مذمومة في نفسها عند الله تعالى وعند رسوله وعند عباده المؤمنين، بل الأعراب منقسمون:

إلى أهل جفاء، قال الله فيهم: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٤٧) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٤٨) ﴿١﴾ . وقال تعالى فيهم: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْعًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۗ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (٤٩) ﴿٢﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَئِئًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ (٥٠) ﴿٣﴾ .

وإلى أهل إيمان وبر، قال الله فيهم: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبًا عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۗ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ ۗ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٥١) ﴿٣﴾ .

وقد كان في أصحاب رسول الله ﷺ من وفد عليه ومن غيرهم من الأعراب، من هو

(١) سورة التوبة : الآيتان ٩٧ ، ٩٨ .

(٢) سورة الفتح : الآيتان ١١ ، ١٢ .

(٣) سورة التوبة : الآية ٩٩ .

أفضل من كثير من القرويين (١) .

فهذا كتاب الله يحمد بعض الأعراب، ويذم بعضهم، وكذلك فعل بأهل الأمصار، فقال سبحانه: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ <sup>ط</sup> وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ <sup>ط</sup> مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ <sup>ط</sup> نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ <sup>ع</sup> سَنُعَذِّبُهُمْ <sup>ع</sup> مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٣١﴾ ﴾ (٢) فبين أن المنافقين في الأعراب وذوي القرى، وعامة سورة التوبة فيها الذم للمنافقين من أهل المدينة ومن الأعراب، كما فيها الثناء على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وعلى الأعراب الذين يتخذون ما ينفقون قربات عند الله وصلوات الرسول.

وكذلك العجم وهم من سوى العرب من الفرس والروم والترك والبربر والحبشة وغيرهم ينقسمون إلى المؤمن والكافر، والبر والفاجر، كانقسام الأعراب (٣) قال الله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا <sup>ع</sup> إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنُكُمْ <sup>ع</sup> إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣٢﴾ ﴾ (٤) .

وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: ﴿ إن الله قد أذهب عنكم عبية (٥) الجاهلية، وفخرها بالآباء، مؤمن تقي وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب ﴾ (٦) .

(١) يقصد بالقرويين هنا : الحاضرة سكان المدن والقرى . مقابل البادية .

(٢) سورة التوبة : الآية ١٠١ .

(٣) في (أ ب ط) : العرب .

(٤) سورة الحجرات : الآية ١٣ .

(٥) في (أ ط) : عبية . والصحيح ما أثبتته . انظر : (١ / ٢٤٧) من هذا الكتاب . وعبية الجاهلية : كبرها وفخرها ونحوها بغير حق .

(٦) سبق تخريج الحديث . انظر : فهرس الأحاديث .

وفي حديث آخر روينا بإسناد صحيح من حديث سعيد الجريري<sup>(١)</sup> عن أبي نضرة<sup>(٢)</sup> حدثني - أو قال حدثنا - من شهد خطبة النبي ﷺ. بمعنى في وسط أيام التشريق، وهو على بعير، فقال: ﴿يا أيها الناس، ألا إن ربكم ﷻ واحد، ألا وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ألا لا فضل لأسود على أحمر إلا بالتقوى، ألا قد بلغت؟﴾، قالوا: نعم. قال: "ليبغ الشاهد الغائب" ﴿٣﴾ (٤).

وروي هذا الحديث عن أبي نضرة عن جابر.

وفي الصحيحين عن عمرو بن العاص<sup>(٥)</sup> أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إن آل فلان ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالحو المؤمنين﴾ ﴿٥﴾ (٦).

فأخبر<sup>(٧)</sup> عن بطن قريب النسب: أنهم ليسوا بمجرد النسب أولياءه، إنما وليه الله وصالحو المؤمنين من جميع الأصناف.

ومثل ذلك كثير بين في الكتاب والسنة، أن العبرة بالأسماء التي<sup>(٧)</sup> حمدها الله وذمها،

---

(١) في المطبوعة: سعد. وهو خطأ. وهو: سعيد بن إياس الجريري، البصري، أبو مسعود، قال في التقريب: "ثقة من الخامسة، اختلط قبل موته بثلاث سنين". أخرج له أصحاب الكتب الستة وغيرهم، ومات سنة (١٤٤ هـ). انظر: تقريب التهذيب (١ / ٢٩١)، (ت ١٢٧) س.

(٢) هو: المنذر بن مالك بن قطعة العبدي العوفي، البصري، أبو نضرة، وثقه النسائي وابن معين وأبو زرعة وابن سعد، توفي سنة (١٠٨ هـ). انظر: خلاصة التهذيب (ص ٢٨٧) مع الهامش.

(٣) أحمد (٤١١/٥).

(٤) أخرج أحمد بهذا السند نحو من هذا الحديث في مسنده (٥ / ٤١١) في حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ولم يسمه - وذكر الساعاتي في الفتح الرباني في هذا الحديث أن الهيثمي، قال: "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح". انظر: الفتح الرباني (١٢ / ٢٢٧). أما إسناده هنا - في المتن - فقد صححه المؤلف.

(٥) البخاري الأدب (٥٦٤٤)، مسلم الإيمان (٢١٥)، أحمد (٢٠٣/٤).

(٦) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب تيل الرحم ببلالها، الحديث رقم (٥٩٩٠) من فتح الباري (١٠ / ٤١٩). وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب موالات المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراء منهم، الحديث رقم (٢١٥)، (١ / ١٩٧).

(٧) في (أ): الذي.

كالمؤمن والكافر، والبر والفاجر، والعالم والجاهل.

ثم قد جاء الكتاب والسنة بمدح بعض الأعاجم، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٠٦﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴿١٠٧﴾ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٨﴾﴾ (١).

وفي الصحيحين، عن (٢) أبي الغيث (٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ﴿كنا جلوسا عند النبي صلوات الله عليه فأنزلت عليه سورة الجمعة ﴿١٠٦﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴿١٠٧﴾﴾ (٤) قال قائل: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجع حتى سأل ثلاثا، وفينا سلمان الفارسي (٥) فوضع رسول الله صلوات الله عليه يده على سلمان ثم قال: "لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء" (٦).

وفي صحيح مسلم، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلوات الله عليه ﴿لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس - أو قال: من أبناء فارس - حتى يتناوله﴾ (٧) (١).

(١) سورة الجمعة : الآيتان ٢ ، ٣ .

(٢) في المطبوعة : عن سالم أبي الغيث .

(٣) هو : سالم المدني ، أبو الغيث ، مولى عبد الله بن مطيع ، وثقه معين والنسائي وغيرهما ، وأخرج له أصحاب الكتب الستة ، من الطبقة الثالثة . انظر : خلاصة التهذيب (ص ١٣٢)؛ وتقريب التهذيب (١ / ٢٨١) ، (ت ٣١) س .

(٤) سورة الجمعة آية : ٣ .

(٥) هو الصحابي الجليل : سلمان الخير ، الفارسي ، أبو عبد الله ، أسلم عند قدوم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم المدينة ، وشهد الخندق وما بعدها ، وتوفي سنة (٣٣ هـ) ، ويقال : وعمره (٢٥٠) سنة . انظر : تهذيب التهذيب (٤ / ٢٣٧)

(٦) صحيح البخاري ، كتاب التفسير (سورة الجمعة) - باب قوله : (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) ، الحديث رقم (٤٨٩٧) ، (٤٨٩٨) من فتح الباري (٨ / ٦٤١) . وصحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل فارس ، تابع الحديث رقم (٢٥٤٦) ، (٤ / ١٩٧٢ ، ١٩٧٣) .

(٧) البخاري تفسير القرآن (٤٦١٥) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٥٤٦) ، الترمذي تفسير القرآن (٣٣١٠) ، أحمد (٤١٧/٢) .

وفي رواية ثالثة: ﴿ لو كان العلم عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس ﴾ (٢) " (٣) .  
وقد روى الترمذي عن أبي هريرة، ﴿ عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ  
يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ (٤) : " أنهم من أبناء فارس ﴾ (٥) إلى غير ذلك من آثار رويت  
في فضل رجال من أبناء فارس.

ومصداق ذلك ما وجد في التابعين ومن بعدهم، من أبناء فارس الأحرار والموالي، مثل  
الحسن (٦) وابن سيرين وعكرمة مولى ابن عباس، وغيرهم، إلى من وجد بعد ذلك فيهم  
من المبرزين في الإيمان والدين والعلم، حتى صار هؤلاء المبرزون (٧) أفضل من أكثر العرب.  
وكذلك في سائر أصناف العجم من الحبشة والروم والترك، وبينهم (٨) سابقون في  
الإيمان والدين (٩) لا يحصون كثرة، على ما هو معروف عند العلماء؛ إذ (١٠) الفضل  
الحقيقي: هو اتباع ما بعث الله به محمدا ﷺ من الإيمان والعلم باطنا وظاهرا، فكل من  
كان فيه أمكن: كان أفضل.

والفضل إنما هو بالأسماء المحمودة في الكتاب والسنة مثل: الإسلام، والإيمان، والبر،

- 
- (١) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل فارس ، الحديث رقم (٢٥٤٦) ، (٤ / ١٩٧٢) .  
(٢) هذه الجملة ، ابتداء من قوله : (حتى يتناولوه) قبل سطر ، إلى قوله : (وقد روى الترمذي) : سقطت من (ج د)  
(٣) هذه الرواية أخرجها أحمد في المسند (٢ / ٢٩٦ - ٢٩٧ ، ٤٢٠ ، ٤٢٢ ، ٤٦٩) ، وفيه : ناس ، بدل :  
رجال وأسانيده صحاح .  
(٤) سورة محمد آية : ٣٨ .  
(٥) المؤلف أشار إلى الحديث هنا بمعناه وهو في سنن الترمذي - كتاب تفسير القرآن - باب ومن سورة محمد ،  
الحديث رقم (٣٢٦٠ ، ٣٢٦١) بأطول مما ذكره فليرجع إليه .  
(٦) أي الحسن البصري .  
(٧) في (ب) : المبرزين .  
(٨) في (أ ط) : أو بينهم . وفي المطبوعة : وغيرهم .  
(٩) في (أ) : والذين لا يحصون كثرة .  
(١٠) في (ب) : إذا الفضل .

والتقوى، والعلم، والعمل الصالح، والإحسان، ونحو ذلك، لا بمجرد كون الإنسان عربياً، أو عجمياً، أو أسود، أو أبيض، ولا بكونه قروياً، أو بدوياً.

وإنما وجه النهي عن مشابهة الأعراب والأعاجم مع ما ذكرناه من الفضل فيهم، وعدم العبرة بالنسب والمكان مبني على أصل، وذلك: أن الله سبحانه وتعالى جعل سكنى القرى يقتضي من كمال الإنسان في العلم والدين، ورقة القلوب، ما لا يقتضيه سكنى البادية، كما أن البادية توجب من صلابة البدن والخلق، ومتانة الكلام ما لا يكون في القرى، هذا هو الأصل.

وإن جاز تخلف هذا المقتضى لمانع، وكانت البادية أحياناً أنفع من القرى، وكذلك (١) جعل الله الرسل من أهل القرى، فقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ۗ ﴾ (٢) وذلك لأن الرسل لهم الكمال في عامة الأمور، حتى في النسب، ولهذا قال الله سبحانه: ﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ ﴾ (٣) ذكر هذا بعد قوله: ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَعِذُونَكَ بِهِمْ أَغْنِيَاءَ رِضْوَانًا يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤) يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكُمْ قَدْ نَبَّأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٥) سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٦) تَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٧) الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا

(١) في (ب ج د) : ولذلك .

(٢) سورة يوسف : من الآية ١٠٩ .

(٣) سورة التوبة : الآية ٩٧ .



يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ (١) .

فلما ذكر الله المنافقين الذين استأذنوه في (٢) التخلف عن الجهاد في غزوة تبوك،  
وذمهم وهؤلاء كانوا من أهل المدينة، قال سبحانه: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا  
وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ۗ﴾ (٣) فإن الخير كله - أصله وفصله (٤)  
- منحصر في العلم والإيمان كما قال سبحانه: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا  
الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۗ﴾ (٥) وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾ (٦) .

و ضد الإيمان: إما الكفر الظاهر، أو النفاق الباطن، ونقيض العلم: عدمه.  
فقال سبحانه عن الأعراب: إنهم (٧) أشد كفرا ونفاقا من أهل المدينة وأحرى منهم أن  
لا يعلموا حدود الكتاب والسنة، والحدود: هي حدود الأسماء المذكورة، فيما أنزل (٨) الله  
من الكتاب والحكمة، مثل: حدود الصلاة والزكاة والصوم والحج، والمؤمن والكافر،  
والزاني والسارق والشارب، وغير ذلك حتى يعرف من الذي يستحق ذلك الاسم الشرعي  
من لا يستحقه، وما تستحقه مسميات تلك الأسماء: من الأحكام.  
ولهذا: روى أبو داود وغيره من حديث الثوري (٩) حدثني أبو موسى (١٠) عن وهب

(١) سورة التوبة: الآيات ٩٣ - ٩٧ .

(٢) في المطبوعة: استأذنونا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في التخلف . . إلخ .

(٣) سورة التوبة: الآية ٩٧ .

(٤) في (أ): وفضله .

(٥) سورة المجادلة: من الآية ١١ .

(٦) سورة الروم: من الآية ٥٦ .

(٧) في (ج د): بأنهم .

(٨) في (أ ط): فيما أنزله الله .

(٩) هو: سفيان . مرت ترجمته . انظر: فهرس الأعلام ، وانظر: سنن أبي داود (٣ / ٢٧٨) .

(١٠) قال في تقريب التهذيب: " أبو موسى عن وهب بن منبه ، مجهول ، من السادسة ، ووهب من قال : إنه  
إسرائيل بن موسى " ، وقال في تهذيب التهذيب : " شيخ يماي روى عن وهب بن منبه عن ابن عباس حديث

بن منبه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ - قال سفيان مرة: ولا أعلمه إلا عن النبي ﷺ - قال: ﴿ من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى السلطان افتتن ﴾ (١) (٢) .

ورواه أبو داود أيضا من حديث الحسن بن الحكم النخعي (٣) عن عدي بن ثابت (٤) عن شيخ من الأنصار، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ - بمعناه - وقال ﴿ ومن لزم السلطان افتتن ﴾ (٥) ، وزاد ﴿ وما ازداد عبد من السلطان دنوا إلا ازداد من الله عكبا بعدا ﴾ (٦) (٧) ولهذا: كانوا يقولون لمن يستغلظونه: إنك لأعرابي جاف، إنك لجلف جاف، يشيرون إلى غلظ عقله وحلقه.

: " من اتبع الصيد غفل " ، وعن سفيان الثوري ، مجهول ، قاله ابن القطان " . انظر : تقريب التهذيب ( ٢ / ٤٧٩ ) ، ( ت ١٦٧ ) ، مادة ( الكنى ) ؛ وتهذيب التهذيب ( ١٢ / ٢٥٢ ) ، ( ت ١١٦١ ) ، مادة ( الكنى ) .  
(١) الترمذي الفتن (٢٢٥٦) ، النسائي الصيد والذبائح (٤٣٠٩) ، أبو داود الصيد (٢٨٥٩) ، أحمد (٣٥٧/١) .  
(٢) انظر : سنن أبي داود ، كتاب الصيد ، باب في اتباع الصيد ، الحديث رقم (٢٨٥٩) ، (٣ / ٢٧٨) ؛ والترمذي ، كتاب الفتن ، باب (٦٩) ، الحديث رقم (٢٢٥٦) ، وقال الترمذي : " هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عباس ، لا نعرفه إلا من حديث الثوري " (٤ / ٥٢٤) ؛ والنسائي ، كتاب الصيد والذبائح ، باب اتباع الصيد (٧ / ١٩٥ ، ١٩٦) . وأخرجه أحمد في المسند (١ / ٣٥٧٠) ، وذكره السيوطي في الجامع الصغير وقال : " حديث حسن " (٢ / ٦١٠) ، الحديث رقم (٨٧٥٣) .  
(٣) هو : الحسن بن الحكم النخعي ، أبو الحكم ، الكوفي ، قال ابن حجر في التقريب : " صدوق يخطئ ، من السادسة " وثقه ابن معين ، وقال أبو حاتم : صالح الحديث ، ذكره ابن حجر في التهذيب ، مات سنة بضع وأربعين ومائة . انظر : تقريب التهذيب (١ / ١٦٥) ، (ت ٢٦٥) ح ؛ وتهذيب التهذيب (٢ / ٢٧١) ، (ت ٤٩٠) .

(٤) هو : عدي بن ثابت الأنصاري الكوفي ، وثقه أحمد والنسائي ، وقال أبو حاتم : صدوق ، واتهمه بعضهم بالتشيع ، قال ابن معين : شيعي مفرط ، وقال أحمد : ثقة إلا أنه كان يتشيع ، توفي سنة (١١٦) . انظر : تهذيب التهذيب (٧ / ١٦٥ ، ١٦٦) ، (ت ٣٢٩) . وانظر كتاب : يحيى بن معين وكتابه : التاريخ (٢ / ٣٩٧) ، تحقيق د . أحمد سيف .

(٥) الترمذي الفتن (٢٢٥٦) ، النسائي الصيد والذبائح (٤٣٠٩) ، أبو داود الصيد (٢٨٥٩) ، أحمد (٣٥٧/١) .  
(٦) أبو داود الصيد (٢٨٥٩) .  
(٧) انظر : سنن أبي داود ، كتاب الصيد ، باب اتباع الصيد ، الحديث رقم (٢٨٦٠) ، (٣ / ٢٧٨) .

ثم لفظ: ( الأعراب ) هو في الأصل: اسم لبادية العرب، فإن كل أمة <sup>(١)</sup> لها حضرة وبادية، فبادية العرب: الأعراب، ويقال: إن <sup>(٢)</sup> بادية الروم: الأرمن ونحوهم <sup>(٣)</sup> وبادية الفرس: الأكراد ونحوهم <sup>(٤)</sup> وبادية الترك <sup>(٥)</sup> التتار.

وهذا - والله أعلم - هو الأصل، وإن كان قد يقع فيه زيادة ونقصان. والتحقيق: أن سائر <sup>(٦)</sup> سكان البوادي لهم <sup>(٧)</sup> حكم الأعراب، سواء دخلوا في لفظ الأعراب أو لم يدخلوا، فهذا الأصل يوجب أن يكون جنس الحضرة أفضل من جنس البادية، وإن كان بعض أعيان البادية أفضل من أكثر الحضرة، مثلاً. ويقتضي: أن ما انفرد به <sup>(٨)</sup> البادية عن جميع جنس الحضرة - أعني في زمن السلف من الصحابة والتابعين - فهو ناقص عن فضل الحضرة، أو مكروه. فإذا وقع التشبه بهم فيما ليس من فعل الحضرة المهاجرين، كان ذلك إما مكروهاً، أو مفضياً إلى مكروه <sup>(٩)</sup> وهكذا العرب <sup>(١٠)</sup> والعجم.

---

(١) أمة : ساقطة من (ط) .

(٢) ويقال إن : ساقطة من (أ ط) .

(٣) ونحوهم : ساقطة من (أ ب ط) .

(٤) ونحوهم : ساقطة من (أ ب ط) .

(٥) في (أ) : وبادية التركمان الترك . وفي (ط) : وبادية الترك والتركمان .

(٦) سائر : سقطت من المطبوعة .

(٧) في (ج) : لم . وليس لها معنى .

(٨) في المطبوعة : أهل البادية .

(٩) في (ج د) والمطبوعة : المكروه .

(١٠) في المطبوعة : تغيير في العبارة : (وعلى هذا القول في) ، بدل (وهكذا) .

فإن الذي عليه أهل السنة والجماعة: اعتقاد أن جنس العرب أفضل من جنس العجم،  
عبرانيين<sup>(١)</sup> وسريانيين<sup>(٢)</sup> روميههم وفرسيهم<sup>(٣)</sup> وغيرهم.

وأن قريشا أفضل العرب، وأن بني هاشم: أفضل قريش، وأن رسول الله ﷺ أفضل بني  
هاشم. فهو: أفضل الخلق نفسا، وأفضلهم نسبا.

وليس فضل العرب، ثم قريش، ثم بني هاشم، لمجرد كون النبي ﷺ منهم، وإن كان هذا  
من الفضل، بل هم في أنفسهم أفضل، وبذلك يثبت<sup>(٤)</sup> لرسول الله ﷺ أنه أفضل نفسا  
ونسبا، وإلا لزم الدور.

ولهذا ذكر أبو محمد حرب بن إسماعيل<sup>(٥)</sup> الكرمانى، صاحب الإمام أحمد، في وصفه  
للجنة التي قال فيها: " هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر، وأهل السنة المعروفين بها،  
المقتدى بهم فيها، وأدركت من أدركت من علماء أهل العراق، والحجاز والشام وغيرهم  
عليها، فمن خالف شيئا من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أو عاب قائلها - فهو مبتدع  
خارج<sup>(٦)</sup> من الجماعة، زائل عن منهج السنة، وسبيل الحق، وهو مذهب أحمد، وإسحاق  
بن إبراهيم بن مخلد<sup>(٧)</sup> وعبد الله بن الزبير الحميدي<sup>(١)</sup> وسعيد بن منصور، وغيرهم ممن

---

(١) العبرانيون : اسم يطلق على بني إسرائيل ، والعبرانية لغتهم ، ويقال لمن تكلم العبرانية : عبراني . انظر :  
القاموس المحيط ، باب الرء ، فصل العين ( ٢ / ٨٦ ) ؛ ومعجم البلدان لياقوت ( ٤ / ٧٨ ) .

(٢) السريان ، هم : المسيحيون من أبناء اللغة السريانية ، والسريانية : لغة من اللغات المتفرعة عن الآرامية ، التي  
هي من اللغات السامية ؛ كالعربية والعبرانية . انظر : المنجد في الآداب والعلوم ، حرف الألف ( الآرامية ) ( ص  
١٢ ) ، وحرف السين ( السريان ) ( ص ٢٥٣ ) ، وكان بعض اليهود في عهد الرسول صلى الله عليه وعلى آله  
وسلم يتكلمون السريانية .

(٣) في ( ط ) والمطبوعة : رومهم وفرسهم .

(٤) في المطبوعة : ثبت .

(٥) في المطبوعة : ابن خلف .

(٦) في المطبوعة و ( ب ) : عن الجماعة .

(٧) هو : إسحاق بن راهويه . انظر : فهرس الأعلام .

جالسنا، وأخذنا عنهم العلم، وكان من قولهم أن الإيمان قول وعمل ونية"، وساق كلاماً طويلاً.... إلى أن قال: " ونعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها ونحبهم؛ لحديث رسول الله ﷺ ﴿ حب العرب إيمان وبغضهم نفاق ﴾<sup>(٢)</sup> ولا نقول بقول الشعوبية<sup>(٣)</sup> وأراذل

الموالي الذين لا يحبون العرب، ولا يقرون بفضلهم، فإن قولهم بدعة وخلاف".  
ويروى هذا الكلام عن أحمد نفسه<sup>(٤)</sup> في رسالة أحمد بن سعيد الإصطخري<sup>(٥)</sup> عنه  
- إن صحت - وهو قوله، وقول عامة أهل العلم.

وذهبت فرقة من الناس إلى<sup>(٦)</sup> أن لا فضل لجنس العرب على جنس العجم. وهؤلاء يسمون الشعوبية، لانتصارهم للشعوب، التي هي مغايرة للقبائل، كما قيل: القبائل: للعرب، والشعوب: للعجم.

ومن الناس من قد يفضل بعض أنواع العجم على العرب.

(١) هو الإمام: عبد الله بن الزبير بن عيسى القرشي الحميدي المكي، أبو بكر، ثقة حافظ فقيه، أجل أصحاب ابن عيينة، قال الحاكم: " كان البخاري إذا وجد الحديث عند الحميدي، لا يعدوه إلى غيره" من الطبقة العاشرة. مات سنة (٢١٩ هـ). انظر: تقريب التهذيب (١ / ٤١٥)، (ت ٣٠٥) ع.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک عن أنس، عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وقال الحاكم: " حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" وتعقبه الذهبي في التلخيص، فقال عن بعض رجال الحديث: " الهيثم متروك، ومعقل ضعيف"، المستدرک مع التلخيص (٤ / ٨٧). وذكره السيوطي في الجامع الصغير، وقال: " حديث ضعيف"، الجامع الصغير (١ / ٥٦٧)، رقم (٣٦٦٤). وانظر: المقاصد الحسنة (ص ٢٣)، الحديث رقم (٣١).

(٣) الشعوبية: جمع شعوبي- بالضم - وهو: من يحتقر أمر العرب، وينكر فضلهم، وسموا: شعوبية؛ لأنهم ينتصرون للشعوب الأخرى غير العرب. انظر: القاموس المحيط، فصل الشين، باب الراء (١ / ٩٠).

(٤) تجد هذه الرسالة مطولة في كتاب طبقات الحنابلة (١ / ٢٤ - ٣٦) في ترجمة أحمد بن جعفر الإصطخري بروايته عن الإمام أحمد.

(٥) المصادر التي اطلعت عليها تسميه: أحمد بن جعفر الإصطخري، وهو: أحمد بن جعفر بن يعقوب بن عبد الله أبو العباس الفارسي الإصطخري، روى عن الإمام أحمد هذه الرسالة التي أشار إليها المؤلف هنا. انظر: طبقات الحنابلة (١ / ٢٤)، (ت ٩)؛ ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص ١٢٥)، تحقيق عبد الله التركي.

(٦) إلى: ساقطة من (ط).

والغالب أن مثل هذا الكلام لا يصدر إلا عن نوع نفاق: إما في الاعتقاد، وإما في العمل المنبعث عن هوى النفس، مع شبهات اقتضت ذلك، ولهذا جاء في الحديث: ﴿حب العرب إيمان وبغضهم نفاق﴾<sup>(١)</sup> مع أن الكلام في هذه المسائل لا يكاد يخلو عن هوى<sup>(٢)</sup> للنفس، ونصيب للشيطان من الطرفين، وهذا محرم في جميع المسائل. فإن الله قد أمر المؤمنين بالاعتصام بجبل الله جميعاً، ونهاهم عن التفرق والاختلاف، وأمرهم<sup>(٣)</sup> بإصلاح ذات البين، وقال النبي ﷺ ﴿مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحسنى والسهر﴾<sup>(٤) (٥)</sup>.

وقال ﷺ ﴿لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخواناً، كما أمركم الله﴾<sup>(٦) (٧)</sup> وهذان حديثان صحيحان. وفي الباب من نصوص الكتاب والسنة ما لا يحصى. والدليل على فضل جنس العرب، ثم جنس قريش، ثم جنس بني هاشم: ما رواه

(١) مر تخريج الحديث قبل قليل .

(٢) في (أ ط) : النفس .

(٣) في (أ ط) : بصلاح .

(٤) البخاري الأدب (٥٦٦٥) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٦) ، أحمد (٢٧٠/٤) .

(٥) انظر : صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ، حديث رقم (٦٠١١) من فتح الباري ،

(١٠ / ٤٣٨)؛ وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، حديث رقم (٢٥٨٦) ، (٤ / ١٩٩٩ -

٢٠٠٠) .

(٦) البخاري النكاح (٤٨٤٩) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٦٣) ، أحمد (٣٩٤/٢) .

(٧) انظر : صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير ، حديث رقم (٦٠٦٥) فتح

الباري ، (١٠ / ٤٨١)؛ وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، حديث رقم (٢٥٦٣) ، باب تحريم

الظن والتجسس . . إلخ ، (٤ / ١٩٨٥ - ١٩٨٦) .

الترمذي، من حديث إسماعيل بن أبي خالد<sup>(١)</sup> عن يزيد بن أبي زياد<sup>(٢)</sup> عن عبد الله بن الحارث<sup>(٣)</sup> عن العباس بن عبد المطلب، رضي الله عنه قال، قلت ﴿ يا رسول الله، إن قريشا جلسوا فتذاكروا أحسابهم بينهم، فجعلوا مثلك كمثل نخلة في كبوة<sup>(٤)</sup> من الأرض، فقال النبي صلى الله عليه وسلم " إن الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم، ثم خير القبائل، فجعلني في خير قبيلة، ثم خير البيوت، فجعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفسا، وخيرهم بيتا ﴾<sup>(٥)</sup> قال الترمذي: هذا حديث حسن، وعبد الله بن الحارث هو ابن نوفل<sup>(٦)</sup> .

الكبي بالكسر والقصر، والكبة: الكناسة<sup>(٧)</sup> . وفي الحديث: " الكبوة " وهي مثل: الكبة<sup>(٨)</sup> .

والمعنى: أن النخلة طيبة في نفسها، وإن كان أصلها ليس بذاك<sup>(٩)</sup> فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه خير الناس نفسا ونسبا.

(١) هو : إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي ، مولا هم ، البحلي ، قال ابن حجر في التقریب : " ثقة ، ثبت ، من الرابعة " . أخرج له الستة ، ومات سنة ( ١٤٦ هـ ) . انظر : تقریب التهذيب ( ١ / ٦٨ ) ، ( ت ٥٠٣ ) أ .

(٢) هو : يزيد بن أبي زياد القرشي الهاشمي ، مولا هم ، الكوفي ، أبو عبد الله ، شيعي ، ضعفه ابن معين والنسائي وأبو حاتم والدارقطني وأبو زرعة وغيرهم ، توفي سنة ( ١٣٧ هـ ) . انظر : تهذيب التهذيب ( ١١ / ٣٢٩ - ٣٣١ ) ، ( ت ٦٣٠ ) ي .

(٣) هو : عبد الله بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب بن هاشم ، القرشي ، من كبار التابعين وفقهائهم ، ولد في عهد الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وذكر ابن سعد في طبقاته أنه تفل في فيه ، وولاه أهل البصرة عليهم أيام ابن الزبير ، ثم خرج إلى عمان ومات بها سنة ( ٨٤ هـ ) . انظر : تهذيب التهذيب ( ٥ / ١٨٠ - ١٨١ ) ، ( ت ٣١٠ ) ع؛ وطبقات ابن سعد ( ٥ / ٢٤ - ٢٧ ) .

(٤) انظر : سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب فضل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، حديث رقم ( ٣٦٠٧ ) ، ( ٥ / ٥٨٤ ) .

(٥) نفس المصدر السابق .

(٦) سنن الترمذي ( ٥ / ٥٨٤ ) .

(٧) في المطبوعة زاد : والتراب الذي يكس من البيت . وأظنه تفسيراً من أحد الكتاب أو النساخ .

(٨) انظر : القاموس المحيط ، فصل الكاف ، باب الراء ( ٤ / ٣٨٤ ) .

(٩) في ( ب ج د ) : براك .

وروى الترمذي أيضا من حديث الثوري<sup>(١)</sup> عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث، عن المطلب بن أبي وداعة<sup>(٢)</sup> قال: ﴿ جاء العباس إلى رسول الله ﷺ فكأنه سمع شيئا، فقام النبي ﷺ على المنبر فقال: " من أنا؟ " قالوا: أنت رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup> . قال: " أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب "، ثم قال: " إن الله خلق الخلق، فجعلني في خيرهم، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتا، فجعلني في خيرهم بيتا وخيرهم نفسا<sup>(٤)</sup> ﴾ قال الترمذي: " هذا<sup>(٥)</sup> حديث حسن<sup>(٦)</sup> " كذا وجدته في الكتاب، وصوابه: ﴿ فأنا خيرهم بيتا وخيرهم نفسا<sup>(٧)</sup> ﴾<sup>(٨)</sup> .

وقد روى أحمد هذا الحديث في المسند، من حديث الثوري، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن المطلب بن أبي وداعة، قال: قال العباس ﷺ ﴿ بلغه ﷺ بعض ما يقول الناس، قال: فصعد المنبر فقال: " من أنا؟ " قالوا: أنت رسول الله؟ قال: " أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقهم<sup>(٩)</sup> وجعلهم فرقتين، فجعلني في خير فرقة، وخلق القبائل، فجعلني في خير قبيلة،

(١) هو : سفيان كما أشرت سابقا .

(٢) هو : المطلب بن أبي وداعة ، الحارث بن صبيرة بن سعيد السهمي ، أبو عبد الله ، صحابي جليل ، أسلم يوم الفتح ، ونزل المدينة وتوفي بها . انظر : تقريب التهذيب ( ٢ / ٢٥٤ ) ، ( ت ١١٧٨ ) م ؛ والإصابة ( ٣ / ٤٢٥ ) ، ( ت ٨٠٢٨ ) م .

(٣) وسلم : ساقطة من (أ ط) .

(٤) سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب فضل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، حديث رقم (٣٦٠٨) ، (٥) / ٥٨٤) بلفظ مقارب ، وقال الترمذي : " هذا حديث حسن " .

(٥) هذا : ساقطة من (ط) .

(٦) سنن الترمذي ( ٥ / ٥٨٤ ) .

(٧) الترمذي المناقب (٣٦٠٧) ، أحمد (٢١٠/١) .

(٨) وكذا في نسخة الترمذي التي بين يدي أيضا ، تحقيق إبراهيم عطوه ، وما أشار المؤلف بأنه الصواب ، إنما هو في الحديث السابق في الترمذي ، رقم (٣٦٠٧) ، (٣ / ٥٨٤) .

(٩) في (ط) : في خير خلقه .



وجعلهم بيوتا، فجعلني في خيرهم بيتا، فأنا خيركم بيتا، وخيركم نفسا ﴿<sup>(١)</sup>﴾ .

أخبر ﷺ أنه ما انقسم الخلق فريقين <sup>(٢)</sup> إلا كان هو في خير الفريقين، وكذلك جاء حديث بهذا اللفظ.

وقوله في الحديث: ﴿خلق الخلق فجعلني في خيرهم، ثم خيرهم فرقتين فجعلني في

خير فرقة ﴿<sup>(٣)</sup>﴾ يحتمل شيئين:

أحدهما: أن الخلق هم الثقلان، أو هم جميع ما خلق في الأرض وبنو آدم خيرهم، وإن قيل بعموم الخلق حتى يدخل فيه الملائكة؛ كان فيه تفضيل جنس بني آدم على جنس الملائكة، وله وجه صحيح <sup>(٤)</sup> .

ثم جعل بني آدم فرقتين، والفرقتان: العرب والعجم. ثم جعل العرب قبائل، فكانت قريش أفضل قبائل العرب، ثم جعل قريشا بيوتا، فكانت بنو هاشم أفضل البيوت. ويحتمل أنه أراد بالخلق <sup>(٥)</sup> بني آدم، فكان في خيرهم، أي في ولد إبراهيم <sup>(٦)</sup> أو في العرب، ثم جعل بني إبراهيم فرقتين: بني إسماعيل، وبني إسحاق، أو جعل العرب عدنان وقحطان، فجعلني في بني إسماعيل، أو بني عدنان.

ثم جعل بني إسماعيل - أو بني عدنان - قبائل، فجعلني في خيرهم قبيلة: وهم قريش. وعلى كل تقدير، فالحديث صريح بتفضيل العرب على غيرهم <sup>(٧)</sup> .

---

(١) مسند الإمام أحمد (١ / ٢١٠) في مسند العباس بن عبد المطلب ، وله شاهد عند الحاكم في مستدركه عن طريق عبد الله بن عمر عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . انظر : مستدرك الحاكم (٤ / ٨٦) .

(٢) في (ب) : فرقتين .

(٣) الترمذي المناقب (٣٦٠٨) ، أحمد (١ / ٢١٠) .

(٤) للمؤلف بحث مستفيض ومفصل في مسألة " التفضيل بين الملائكة والناس " وخلاصته : أن حقيقة الملائكة أفضل من حقيقة الإنسان ، وأن الأنبياء وصالحى البشر أفضل من الملائكة . انظر : مجموع الفتاوى (٤ / ٣٥٠ - ٣٩٢) .

(٥) في (أ) : أنه أراد الخلق بني آدم .

(٦) في (ب) : عليه السلام .

(٧) قد فصل المؤلف القول في تفضيل العرب في مجموع الفتاوى (١٥ / ٣٣١ ، ٣٣٢) ، و (١٩ / ٣٠) ، و (٢٧ /

٤٧٢) ، وفي جامع الرسائل ، المجموعة الأولى ، تحقيق محمد رشاد سالم ، (ص ٢٨٦) .

وقد بين ﷺ أن هذا التفضيل يوجب المحبة لبني هاشم، ثم لقريش، ثم للعرب.  
 فروى الترمذي من حديث أبي عوانة <sup>(١)</sup> عن يزيد بن أبي زياد - أيضا - <sup>(٢)</sup> عن عبد  
 الله بن الحارث، حدثني <sup>(٣)</sup> المطلب بن أبي <sup>(٤)</sup> ربيعة <sup>(٥)</sup> بن الحارث بن عبد المطلب: ﴿ أن  
 العباس بن عبد المطلب، دخل على رسول الله ﷺ مغضبا، وأنا عنده، فقال: " ما  
 أغضبك؟ " قال: يا رسول الله، ما لنا ولقريش: إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة،  
 وإذا لقونا لقونا بغير ذلك، قال: فغضب رسول الله ﷺ حتى احمر وجهه، ثم قال: " والذي  
 نفسي بيده، لا يدخل قلب رجل الإيمان، حتى يحبكم الله ورسوله - ثم قال -: أيها  
 الناس، من آذى عمي فقد آذاني، فإنما عم الرجل صنو <sup>(٦)</sup> أبيه ﴿ <sup>(٧)</sup> قال الترمذي: " هذا  
 حديث حسن صحيح " <sup>(٨)</sup> .

ورواه أحمد في المسند مثل هذا من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن يزيد <sup>(٩)</sup> .  
 هذا ورواه أيضا من حديث جرير <sup>(١٠)</sup> عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث،

(١) مرت ترجمته ، وكذلك يزيد . انظر : فهرس الأعلام .

(٢) أيضا : سقطت من (ب) .

(٣) في (ب ط) : عبد المطلب ، وله وجه من الصحة ، فقد ورد أن اسمه المطلب ، وأنه عبد المطلب كما سيأتي .

(٤) في (ط) : ابن ربيعة ، حيث أسقط (أبي) .

(٥) هو المطلب ، وقيل : عبد المطلب ، ولعل الأول أرجح ، ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم  
 القرشي ، صحابي ، قيل : كان غلاما على عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وقيل : بل كان  
 رجلا في عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، سكن المدينة ثم انتقل إلى الشام في خلافة عمر ونزل  
 دمشق ، وتوفي بها سنة (٦١ هـ) ، وصلى عليه معاوية . انظر : الإصابة (٢ / ٤٣٠) ، (ت ٥٢٥٤ ع؛  
 والتقريب (١ / ٥١٧) ، (ت ١٢٩١) ، وأسد الغابة (٣ / ٣٣١ - ٣٣٢) ، و (٤ / ٣٧٣ ، ٣٧٤) .

(٦) الصنو : يطلق على الأخ الشقيق وعلى ابن العم ، والمقصود هنا : شقيقه . انظر : القاموس المحيط ، فصل  
 الصاد ، باب الواو (٤ / ٣٥٤) .

(٧) سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب مناقب العباس بن عبد المطلب ، حديث رقم (٣٧٥٨) ، (٥ / ٦٥٢) .

(٨) نفس المصدر السابق .

(٩) مسند أحمد (١ / ٢٠٧) .

(١٠) هو : جرير بن عبد الحميد بن قرط الضبي الكوفي ، نزيل الري وقاضيا ، قال في التقريب : " ثقة صحيح  
 الكتاب ، قيل : كان في آخر عمره بهم من حفظه " ، توفي سنة (١٨٨ هـ) ، وكان عمره (٧١) سنة ،

عن (١) عبد المطلب بن ربيعة قال: ﴿ دخل العباس على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: إنا لنخرج فنرى قريشا نتحدث، فإذا رأونا سكتوا، فغضب رسول الله ﷺ ودر عرق بين عينيه، ثم قال: " والله لا يدخل قلب امرئ إيمان حتى يحبكم لله ولقرايبي ﴾ (٢) (٣) .

فقد كان عند يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث، هذان الحديثان:  
أحدهما: في فضل القبيل الذي منه النبي ﷺ والثاني: في محبتهم، وكلاهما رواه عنه إسماعيل بن أبي خالد.

وما فيه من كون عبد الله بن الحارث يروي الأول: تارة عن العباس، وتارة عن المطلب بن أبي وداعة، والثاني عن عبد المطلب بن ربيعة، وهو ابن الحارث بن عبد المطلب، وهو من الصحابة، قد يظن أن هذا اضطراب في الأسماء من جهة يزيد، وليس هذا موضع الكلام فيه، فإن الحجّة قائمة بالحديث على كل تقدير، لا سيما وله شواهد تؤيد معناه.

ومثله أيضا في المسألة: ما رواه أحمد ومسلم والترمذي، من حديث الأوزاعي، عن شداد بن أبي (٤) عمار (٥) عن وائلة (٦) بن الأسقع، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:  
﴿ إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش

---

روى له أصحاب الكتب الستة وغيرهم . انظر : تقريب التهذيب ( ١ / ١٢٧ ) ، ( ت ٥٦ ) ج ؛ وخلاصة التذهيب ( ص ٦١ ) .

- (١) في المطبوعة : ابن ، وهو خطأ فعبد الله بن الحارث ليس ابنا لعبد المطلب ، وإنما روى عنه .
- (٢) الترمذي المناقب ( ٣٧٥٨ ) ، أحمد ( ١٦٥ / ٤ ) .
- (٣) مسند الإمام أحمد ( ١ / ٢٠٧ ، ٢٠٨ ) ، وإسناده حسن لأن يزيد بن أبي زياد مختلف فيه ، والله أعلم .
- (٤) في المطبوعة : ابن ، وفي ( ط ) : بن أبي عمار .
- (٥) هو : شداد بن عبد الله القرشي ، أبو عمار ، الدمشقي ، مولى معاوية بن أبي سفيان ، وثقه العجلي وأبو حاتم والدارقطني ، وقال ابن معين والنسائي : ليس به بأس ، وذكر ابن حبان في الثقات ، وأخرج له مسلم وغيره ، وهو من الطبقة الرابعة . انظر : تهذيب التهذيب ( ٤ / ٣١٧ ) ، ( ت ٥٤٣ ) ش ؛ وتقريب التهذيب ( ١ / ٣٤٧ ) ، ( ت ٣٠ ) ش .
- (٦) في ( أ ) قال : وابلة . والصحيح : وائلة .

بني هاشم، واصطفاي من بني هاشم ﴿ (١) (٢) هكذا رواه الوليد (٣) وأبو المغيرة (٤) المغيرة (٥)  
عن الأوزاعي (٦) .

ورواه أحمد والترمذي، من حديث محمد بن مصعب (٧) عن الأوزاعي (٨) ولفظه: ﴿ إن  
الله اصطفى من ولد إبراهيم: إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل: بني كنانة ﴿ (٩) ... (١٠)  
الحديث، قال الترمذي: " هذا حديث حسن صحيح " (١١) .

وهذا يقتضي أن إسماعيل وذريته صفوة ولد إبراهيم، فيقتضي أنهم أفضل من ولد  
إسحاق، ومعلوم أن ولد إسحاق الذين هم بنو إسرائيل أفضل العجم؛ لما فيهم من النبوة

(١) مسلم الفضائل (٢٢٧٦) ، الترمذي المناقب (٣٦٠٥) ، أحمد (١٠٧/٤) .

(٢) قوله : " واصطفاي من بني هاشم " : سقطت من (ج د) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، حديث رقم (٢٢٧٦) ، (٤ / ١٧٨٢ ) .

(٤) هو : الوليد بن مسلم القرشي ، مولاهم ، أبو العباس الدمشقي ، قال في التقريب : " ثقة ، لكنه كثير التدليس  
والتسوية " ، من الطبقة الثامنة ، روى له أصحاب الكتب الستة ، توفي سنة (١٩٥ هـ) . انظر : تقريب  
التهذيب (٢ / ٣٣٦) ، (ت ٨٩) و .

(٥) في (ب) : الوليد أبو المغيرة ، وهو خلط من الناسخ ، والصحيح ما أثبتته . انظر : الترمذي (٥ / ٥٨٣) ؛ والمسند (٤ /  
١٠٧) .

(٦) هو الإمام : عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو ، يحمده ، الشامي ، الأوزاعي ، أبو عمرو ، المحدث الحافظ  
الفقيه ، ولد سنة (٨٨ هـ) ، قال ابن سعد " وكان ثقة مأمونا صدوقا فاضلا خيرا ، كثير الحديث والعلم  
والفقه ، حجة " ، سكن بيروت ومات بها سنة (١٥٧ هـ) . انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد (٧ / ٤٨٨ ) ؛  
وتهذيب التهذيب (٦ / ٢٣٨ - ٢٤٢) ، (ت ٤٨٤) .

(٧) هو : محمد بن مصعب بن صدقة القرقيسي ، قال ابن حجر في التقريب : " صدوق ، كثير الغلط " ، توفي  
سنة (٢٠٨ هـ) . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ٢٠٨) ، (ت ٧٠٩) م .

(٨) عن الأوزاعي : سقطت من (أ) .

(٩) مسلم الفضائل (٢٢٧٦) ، الترمذي المناقب (٣٦٠٥) ، أحمد (١٠٧/٤) .

(١٠) انظر : سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب فضل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، حديث رقم (٣٦٠٥) ، (٥ /  
٥٨٣) ؛ ومسند أحمد (٤ / ١٠٧) في مسند وائلة بن الأسقع .

(١١) كلمة حسن من النسخة (ج) فقط ، حيث سقطت في بقية النسخ . وفي الترمذي كما أثبتته من (ج) :  
(حديث حسن صحيح) . انظر : سنن الترمذي (٥ / ٥٨٣) .

والكتاب، فمتى ثبت الفضل على هؤلاء، فعلى غيرهم بطريق الأولى، وهذا جيد، إلا أن يقال: الحديث يقتضي: أن (١) إسماعيل هو المصطفى من ولد إبراهيم، وأن بني كنانة هم المصطفون من ولد إسماعيل، وليس فيه ما يقتضي أن ولد إسماعيل أيضا مصطفون على غيرهم، إذا كان أبوهم مصطفى، وبعضهم مصطفى على بعض.

فيقال: لو لم يكن هذا مقصودا في الحديث؛ لم يكن لذكر اصطفاء إسماعيل فائدة إذا كان اصطفاؤه (٢) لم يدل على اصطفاء (٣) ذريته، إذ يكون على هذا التقدير (٤) لا فرق بين ذكر إسماعيل وذكر إسحاق.

ثم هذا - منضمًا إلى بقية الأحاديث - دليل على أن المعنى في جميعها واحد. واعلم أن الأحاديث في فضل قريش، ثم في فضل بني هاشم فيها كثرة، وليس هذا موضعها، وهي تدل أيضا على ذلك، إذ نسبة قريش إلى العرب كنسبة العرب إلى الناس، وهكذا جاءت الشريعة كما سنومئ إلى بعضه (٥).

فإن الله تعالى خص العرب ولسانهم بأحكام تميزوا بها، ثم خص قريشا على سائر العرب، بما جعل فيهم من خلافة النبوة، وغير ذلك من الخصائص.

ثم خص بني هاشم بتحريم الصدقة، واستحقاق قسط من الفيء، إلى غير ذلك من الخصائص، فأعطى الله سبحانه كل درجة من الفضل (٦) بحسبها، والله عليم حكيم ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي (٧) مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ (٨)﴾ و ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ

(١) من هنا: (أن)، إلى قوله: (أيضا مصطفون)، مكرر في (أ)، سطر ونصف تقريبا.

(٢) اصطفاؤه: سقطت من المطبوعة.

(٣) في المطبوعة: اصطفاؤه.

(٤) في (أ): هذا على التقدير.

(٥) انظر: الصفحات التالية حتى (ص ٤٦١).

(٦) في (ب): القبائل.

(٧) في (ج): بدأ من قوله: "يصطفى".

(٨) سورة الحج: من الآية ٧٥.

---

رِسَالَتُهُ<sup>ط</sup> ﴿ (١) ۥ (٢) .

وقد قال الناس في قوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ<sup>ط</sup> ﴾<sup>(٣)</sup> وفي قوله: ﴿ لَقَدْ

جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> أشياء ليس<sup>(٥)</sup> هذا موضعها.

---

(١) في (أ) : رسالاته ، وهي قراءة الجمهور غير حفص وابن كثير . انظر : التبصرة في القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ، (ص ٣٣٣) .

(٢) سورة الأنعام : من الآية ١٢٤ .

(٣) سورة الزخرف : من الآية ٤٤ .

(٤) سورة التوبة : من الآية ١٢٨ .

(٥) ليس : سقطت من (أ) .

ومن (١) الأحاديث التي تذكر في هذا (٢) ما رويناها من طرق معروفة إلى محمد بن إسحاق (٣) الصغاني (٤) حدثنا عبد الله بن بكر (٥) السهمي (٦) حدثنا يزيد بن عوانة (٧) عن محمد بن ذكوان (٨) - خال ولد (٩) حماد بن زيد - (١٠) عن عمرو بن دينار، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ﴿إنا لقعود بفناء النبي ﷺ إذ مرت بنا (١١) امرأة، فقال بعض القوم: هذه ابنة رسول الله ﷺ. فقال أبو سفيان: مثل محمد في بني هاشم، مثل الريحانة في وسط التنن، فانطلقت المرأة فأخبرت (١٢) النبي ﷺ فجاء النبي ﷺ يعرف في وجهه

(١) في (أ) : كرر هذا السطر من قوله : (ومن) ، إلى (معروفة) .

(٢) في المطبوعة : هذا المعنى ، أي بزيادة : المعنى .

(٣) في المطبوعة : الصنعاني ، وهو تحريف .

(٤) هو : محمد بن إسحاق بن جعفر الصغاني ، أبو بكر ، نزل بغداد ، وكان أحد الحفاظ الرحالين ، من الثقات الأثبات المتقين ، أخرج له مسلم والأربعة ، توفي سنة (٢٨٠ هـ) . انظر : تهذيب التهذيب (٩ / ٣٥ ، ٣٦) ، (ت ٤٧)

(٥) في (ط) : ابن أبي بكر . والصحيح ما أثبتته .

(٦) هو : عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي الباهلي ، أبو وهب ، البصري ، نزل بغداد ، ثقة ، حافظ ، من الطبقة التاسعة ، روى له أصحاب الكتب الستة ، وتوفي سنة (٢٠٨ هـ) . انظر : تقريب التهذيب (١ / ٤٠٤) ، (ت ٢١٠) .

(٧) هو : يزيد بن عوانة الكلبي ، قال في لسان الميزان : " يزيد بن عوانة الكلبي عن محمد بن ذكوان ، قال العقيلي : لا يتابع عليه " ، وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل وسكت عنه . انظر : لسان الميزان (٦ / ٢٩٢) ، (ت ١٠٤٢)؛ والجرح والتعديل (٩ / ٢٨٣) ، (ت ١١٩٦) .

(٨) هو : محمد بن ذكوان الأزدي الجهضمي - مولاهم - البصري ، المعروف بـ : خال ولد حماد بن زيد ، قال في التقريب : " ضعيف ، من السابعة " . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ١٦٠) ، (ن ٢٠٣) م .

(٩) ولد : سقطت من المطبوعة ، فقال : خال حماد بن زيد . والصحيح ما أثبتته . انظر : المصدر السابق .

(١٠) في (ط) : ابن يزيد والصحيح ما أثبتته ، وهو : حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي ، أبو إسماعيل ، البصري ، فقيه ، ثقة ، ثبت ، أخرج له الستة ، ومات سنة (١٧٩ هـ) وعمره (٨١) سنة . انظر : تقريب التهذيب (١ / ١٩٧) ، (ت ٥٤١) ح .

(١١) في (ط) : إذ مرت به .

(١٢) في (أ ط) : فأخبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

الغضب فقال: " ما بال أقوال تبلغني عن أقوام، إن الله خلق السموات سبعا فاختار العلى (١) منها، وأسكنها من شاء من خلقه، ثم خلق الخلق، فاختار من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشا، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأنا من خيار إلى خيار، فمن أحب العرب، فبحي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم ﴿ (٢) .

وأیضا في المسألة (٣) ما رواه الترمذي وغيره من حديث أبي بدر شجاع بن الوليد (٤) عن قابوس بن أبي ظبيان (٥) (٦) عن أبيه (٧) عن سلمان رضي الله عنه. قال: قال لي (٨) رسول الله ﷺ ﴿ يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك " قلت: يا رسول الله، كيف أبغضك وبك هداني الله ؟ قال: " تبغض العرب فتبغضني ﴿ (٩) .

(١) في المطبوعة: العلى .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر فضائل القبائل ، ( ٤ / ٧٣ ، ٧٤ ) ، وهذا الحديث فيه محمد بن ذكوان ، ضعيف ، لكن الحديث يقوى بمجموع الشواهد التي ذكرها المؤلف .

(٣) في (أ) : المسلمة ، وهو تحريف .

(٤) هو : شجاع بن الوليد بن قيس السكوني ، أبو بدر ، الكوفي ، من الطبقة التاسعة ، قال ابن حجر في التقريب : " صدوق ، ورع ، له أوهام " ، وقد أخرج له أصحاب الكتب الستة وغيرهم ، مات سنة ( ٢٠٤ هـ ) . انظر : تقريب التهذيب ( ١ / ٣٤٧ ) ، ( ت ٢٤ ) ش .

(٥) في (ب) : طبيان ، والصحيح ما أثبتته . انظر : تهذيب التهذيب ( ٧ / ٣٠٥ ) ، ( ت ٥٥٣ ) .

(٦) هو : قابوس بن أبي ظبيان الجني الكوفي ، ضعفه النسائي والدارقطني وابن حبان وابن سعد وغيرهم ، وقال أحمد في رواية ابنه عبد الله عنه : " ليس بذاك ، وقد روى عنه الناس " ، وقال أبو حاتم : " يكتب حديثه ولا يحتج به " ، وضعفه ابن معين مرة وثقه أخرى . وقال ابن حجر في التقريب : " فيه لين ، وهو من الطبقة السادسة " . انظر : لسان الميزان ( ٧ / ٣٣٧ ) ، ( ت ٤٣٨٥ ) ق ؛ ويحيى بن معين وكتابه التاريخ ( ٢ / ٤٧٩ ) ، حرف القاف ، تحقيق د . أحمد نور سيف .

(٧) هو : حصين بن جندب بن الحارث بن وحش بن مالك الجني ، أبو ظبيان ، الكوفي ، وثقه ابن معين والنسائي والعجلي والدارقطني وأبو زرعة وغيرهم ، توفي سنة ( ٩٠ هـ ) . انظر : تهذيب التهذيب ( ٢ / ٣٧٩ ، ٣٨٠ ) ، ( ت ٦٥٤ ) ح .

(٨) لي : ساقطة من المطبوعة .

(٩) الترمذي المناقب ( ٣٩٢٧ ) .



قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه <sup>(١)</sup> إلا من حديث أبي بدر شجاع بن الوليد <sup>(٢)</sup> .

فقد جعل النبي ﷺ بغض العرب سببا لفراق الدين، وجعل بغضهم مقتضيا لبغضه .  
ويشبه أن يكون النبي ﷺ خاطب بهذا سلمان - وهو سابق <sup>(٣)</sup> الفرس ذو الفضائل الماثورة - تنبيهها لغيره من سائر الفرس؛ لما علمه الله من أن الشيطان قد يدعو بعض <sup>(٤)</sup> النفوس إلى شيء من هذا.

كما أنه ﷺ لما قال: ﴿ يا فاطمة <sup>(٥)</sup> بنت محمد، لا أعني عنك من الله شيئا، يا عباس عم رسول الله، لا أعني عنك من الله شيئا، يا صفية <sup>(٦)</sup> عمة رسول الله، لا أعني عنك من الله شيئا، سلوني من مالي ما شئتم ﴾ <sup>(٧)</sup> كان في هذا تنبيه لمن انتسب لهؤلاء الثلاثة أن لا

(١) كذا في (أ) . وفي بقية النسخ : لا يعرف . وما أثبتته أصح كما في الترمذي .  
(٢) انظر : سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب مناقب في فضل العرب ، حديث رقم (٣٩٢٧) ، (٥ / ٧٢٣) .  
وأخرجه الحاكم في المستدرك ، كتاب معرفة الصحابة ، فضل كافة العرب (٤ / ٨٩) ، وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " . وقال الذهبي في التلخيص : " قلت : قابوس تكلم فيه " . انظر : هامش المستدرك (٤ / ٨٩) .

(٣) أي أسبقهم إلى الإسلام فهو أول فارسي أسلم .  
(٤) في (أ) : لبغض ، وقد سقطت من المطبوعة .  
(٥) هي : فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وزوج علي بن أبي طالب وأم الحسن والحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وتلقب بفاطمة الزهراء ، وهي أصغر بنات رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، تزوجها علي رضي الله عنهما سنة ثنتين من الهجرة ، وهي من الأربع سيدات نساء الجنة : فاطمة وخديجة ومريم وآسية ، وتوفيت رضي الله عنها في شهر رمضان سنة (١١ هـ) . انظر : الإصابة (٤ / ٣٧٧ - ٣٨٠) ، (ت ٨٣٠) .

(٦) هي : صفية بنت عبد المطلب بن هاشم القرشية ، عمة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ووالدة الزبير بن العوام ، وشقيقة حمزة بن عبد المطلب ، أسلمت وعاشت إلى خلافة عمر . انظر : الإصابة (٤ / ٣٤٨ ، ٣٤٩) ، (ت ٦٥٤) .  
(٧) انظر : صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب قوله تعالى : ٣٠ وأنذر عشيرتک الأقرين ٣٠ ، حديث رقم (٢٠٦ ، ٢٠٥) بألفاظ تختلف قليلا عن سياق المؤلف هنا (١ / ١٩٢ ، ١٩٣) ، وانظر سنن الترمذي ، كتاب الزهد ، باب ما جاء في إنذار النبي صلى الله عليه وآله وسلم قومه ، حديث رقم (٢٣١٠) ، (٤ / ٥٥٤ ، ٥٥٥) وفي سياقه اختلاف يسير .

يغتروا<sup>(١)</sup> بالنسب ويتركوا<sup>(٢)</sup> الكلم الطيب والعمل الصالح.

وهذا دليل على أن بغض جنس العرب، ومعاداتهم: كفر أو سبب للكفر، ومقتضاه: أنهم أفضل من غيرهم، وأن محبتهم سبب قوة الإيمان؛ لأنه لو كان تحريم بغضهم كتحريم بغض سائر الطوائف، لم يكن سببا لفراق الدين، ولا لبغض<sup>(٣)</sup> الرسول، بل كان يكون نوع عدوان، فلما جعله سببا لفراق الدين وبغض الرسول دل على أن بغضهم أعظم من بغض غيرهم، وذلك<sup>(٤)</sup> دليل على أنهم أفضل؛ لأن الحب والبغض يتبع<sup>(٥)</sup> الفضل، فمن كان بغضه أعظم، دل على أنه أفضل، ودل حينئذ على أن محبته دين؛ لأجل ما فيه من زيادة الفضل، ولأن ذلك ضد البغض، ومن كان بغضه سببا للعذاب بخصوصه، كان حبه سببا للثواب، وذلك دليل على الفضل.

وقد جاء ذلك مصرحا به في حديث آخر، رواه أبو طاهر السلفي<sup>(٦)</sup> في فضل العرب، من حديث أبي بكر بن أبي داود<sup>(٧)</sup> حدثنا عيسى<sup>(٨)</sup> بن حماد زغبة، حدثنا علي

(١) في (أ) : تغتروا .

(٢) في (أ) : تتركوا .

(٣) من هنا حتى قوله : دل على أن بغضهم ، (سطر تقريبا) ساقطة (أ) .

(٤) في (ط) : ودل دليل .

(٥) في (ط) : تبع .

(٦) هو : أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سلفة الأصبهاني ، أحد الحفاظ الكثيرين ، شافعي المذهب ، ولد سنة (٤٧٢ هـ) ، وتوفي سنة (٥٧٦ هـ) بالإسكندرية . انظر : وفيات الأعيان (١ / ١٠٥ ، ١٠٧) ، (ت ٤٤)؛ واللباب في تهذيب الأنساب (٢ / ١٢٦) .

(٧) هو : عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني ، الحفاظ الثقة ، صاحب المصنفات ، وهو ابن أبي داود صاحب السنن ، قال الدارقطني : ثقة إلا أنه كثير الخطأ في الكلام على الحديث ، وتكلم فيه أبوه ، وقال الخليلي : حافظ ، إمام وقته ، عالم متفق عليه ، توفي سنة (٣١٦ هـ) ، وكانت ولادته سنة (٢٣٥) . انظر : لسان الميزان (٣ / ٢٩٣ - ٢٩٧) ، (ت ١٢٣٨) ع .

(٨) هو : عيسى بن حماد بن مسلم بن عبد الله التجيبي ، أبو موسى ، المصري ، الملقب بزغبة - وقيل : هذا لقب أبيه - وثقه النسائي وأبو حاتم والدارقطني ، وذكره ابن حبان في الثقات ، أخرج له مسلم في صحيحه ، وأبو داود وغيرهما ، توفي سنة (٢٤٨ هـ) وعمره (٩٠) سنة . انظر : تهذيب التهذيب (٨ / ٢٠٩ ، ٢١٠) ، (ت ٣٨٦) ع .

بن الحسن الشامي<sup>(١)</sup> حدثنا خليلد بن دعلج<sup>(٢)</sup> عن يونس بن عبيد<sup>(٣)</sup> عن الحسن، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ ﴿حب أبي بكر وعمر من الإيمان، وبغضهما من الكفر، وحب العرب من الإيمان، وبغضهم من الكفر﴾<sup>(٤)</sup>.

وقد احتج حرب الكرماني وغيره بهذا الحديث، وذكروا لفظه: ﴿حب العرب إيمان، وبغضهم نفاق وكفر﴾<sup>(٥)</sup> (٦).

وهذا الإسناد وحده فيه نظر، لكن لعله روي من وجه آخر، وإنما كتبت لموافقته معنى حديث سلمان، فإنه قد صرح في حديث سلمان: بأن بغضهم نوع كفر، ومقتضى ذلك: أن حبهم نوع إيمان، فكان هذا موافقا له.

وكذلك قد رويت أحاديث، النكرة ظاهرة عليها، مثل ما رواه الترمذي من حديث حصين<sup>(٧)</sup> بن عمر، عن مخارق بن عبد الله<sup>(١)</sup> عن طارق بن شهاب<sup>(٢)</sup> (٣) عن عثمان بن

(١) قال فيه ابن حبان: لا يحل كتب حديثه إلا على جهة التعجب، وضعفه الدارقطني، بل كذبه مرة أخرى، وكذلك الحاكم وسائر النقاد. انظر: لسان الميزان (٤ / ٢١٢ - ٢١٤)، (ت ٥٦٢) ع.

(٢) هو: خليلد بن دعلج السدوسي البصري، وضعفه أحمد وابن معين وغيرهما، مات سنة (١٦٦ هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٣ / ١٥٨ - ١٥٩)، (ت ٣٠١) ح.

(٣) هو: يونس بن عبيد بن دينار العبدي، مولاهم، البصري، قال ابن سعد: "وكان ثقة كثير الحديث"، وكذلك وثقه سائر الأئمة كابن معين وابن المديني وأحمد والنسائي وغيرهم، توفي سنة (١٤٠ هـ). انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧ / ٢٦٠)؛ وتهذيب التهذيب (١١ / ٤٤٢ - ٤٤٥)، (ت ٨٥٥) ي.

(٤) ذكره السيوطي في الجامع الصغير وفيه زيادة عن حب الأنصار، وسب الصحابة، عن ابن عساكر، وقال السيوطي: "حديث ضعيف". انظر: الجامع الصغير (١ / ٥٦٧)، حديث رقم (٣٦٦٨).

(٥) وكفر: ساقطة من (أ).

(٦) رواه الحاكم في مستدركه (٤ / ٨٧) إلا أنه هنا زاد: وكفر، وليست في المستدرک، وقد تكلم المؤلف في إسناده.

(٧) هو: حصين بن عمر الأحمسي الكوفي، قال ابن حجر في التقريب: "متروك"، وقال البخاري فيما ذكره عنه ابن حجر في التقريب: "منكر الحديث"، وضعفه أحمد، وكذا سائر الأئمة، كما أشار المؤلف هنا، وهو من الطبقة الثامنة، مات ما بين: (١٨٠ - ١٩٠ هـ). انظر: تقريب التهذيب (١ / ١٨٣)، (ت ٤١٤)؛ وتهذيب التهذيب (٢ / ٣٨٥، ٣٨٦)، (ت ٦٦٨) ح.

بن عفان <sup>(٤)</sup> رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه ﴿ من غش العرب لم يدخل في شفاعتي، ولم

تله مودتي ﴾ <sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup> قال الترمذي: " هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حصين

بن عمر الأحمسي، عن مخارق. وليس حصين عند أهل الحديث بذاك القوي " <sup>(٧)</sup> .

قلت: هذا الحديث معناه قريب من معنى حديث سلمان، فإن الغش للنوع لا يكون

مع محبتهم، بل لا يكون إلا مع استخفاف <sup>(٨)</sup> أو مع بغض <sup>(٩)</sup> فليس معناه بعيدا، لكن حصين

هذا الذي رواه، قد أنكر أكثر الحفاظ أحاديثه، قال يحيى بن معين: " ليس بشيء " <sup>(١٠)</sup> وقال ابن

المديني: " ليس بالقوي، روى عن مخارق عن طارق أحاديث منكرا " <sup>(١١)</sup> وقال البخاري وأبو

زرعة: " منكر الحديث " <sup>(١٢)</sup> وقال يعقوب بن شيبه <sup>(١)</sup> " ضعيف جدا، ومنهم من يجاوز

---

(١) هو : مخارق بن عبد الله - وقيل : ابن خليفة - الأحمسي الكوفي ، أبو سعيد ، ثقة ، أخرج له البخاري في صحيحه والنسائي والترمذي وغيرهم ، وهو من الطبقة الثالثة . انظر : خلاصة التهذيب (ص ٣٧١)؛ وتقريب التهذيب (٢ / ٤٣٣) ، (ت ٩٦٥) م .

(٢) هو : طارق بن شهاب بن عبد شمس بن هلال ، البجلي الأحمسي ، أبو عبد الله ، الكوفي ، رأى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وروى عنه مراسلا ، وقيل : ليست له صحبة ، ووثقه ابن معين والعجلي وغيرهما ، مات سنة (٨٢ هـ) . انظر : تقريب التهذيب (٥ / ٣ ، ٤) ، (ت ٥) ط؛ والطبقات الكبرى لابن سعد (٦ / ٦٦) .

(٣) في (ب) : ابن شهان . والصحيح بالباء .

(٤) ابن عفان : سقطت من (ب ج د) .

(٥) الترمذي المناقب (٣٩٢٨) ، أحمد (٧٢/١) .

(٦) انظر : سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب مناقب في فضل العرب ، حديث رقم (٣٩٢٨) ، (٥ / ٧٢٤) ، وذكره عبد الله ابن الإمام أحمد في المسند (١ / ٧٢) ، وجادة قال : " وجدت في كتاب أبي . . إلخ " ، وذكره السيوطي في الجامع الصغير وقال : " حديث ضعيف " الجامع الصغير (٢ / ٦٢٦) ، حديث رقم (٨٨٨٠) .

(٧) نفس المصدر السابق .

(٨) في (د) : استخفاف ، وهو تصحيف .

(٩) في المطبوعة : استخفاف بهم ، وبغض لهم .

(١٠) انظر : تهذيب التهذيب (٢ / ٣٨٥ - ٣٨٦) .

(١١) انظر : تهذيب التهذيب (٢ / ٣٨٥ - ٣٨٦) .

(١٢) انظر : تهذيب التهذيب (٢ / ٣٨٥ - ٣٨٦) .

به الضعف إلى الكذب " (٢) وقال ابن عدي (٣) " عامة أحاديثه معاضيل، ينفرد عن كل من روى عنه " (٤) .

قلت: ولذلك لم يحدث أحمد ابنه بهذا الحديث، في الحديث المسند، فإنه قد كان كتبه عن محمد بن بشر (٥) (٦) عن عبد الله بن عبد الله بن الأسود (٧) عن حصين - كما رواه الترمذي - فلم يحدثه به، وإنما رواه عبد الله (٨) عنه في المسند، وجادة (٩) قال: " وجدت في كتاب أبي، حدثنا محمد بن بشر... وذكره... " (١٠) .

وكان أحمد رحمه الله (١١) - على ما تدل (١٢) عليه طريقته في المسند - إذا رأى أن الحديث موضوع، أو قريب من الموضوع (١٣) لم يحدث به، ولذلك (١) ضرب على

(١) هو : يعقوب بن شيبه بن الصلت بن عصفور ، أبو يوسف ، السدوسي بالولاء ، البصري ، نزيل بغداد ، أحد الأئمة الأعلام ، وصاحب المسند المجلد " المسند الكبير " ، وكان ثقة صدوقا ، توفي سنة (٢٦٢) ، وكانت ولادته سنة (١٨٢) . انظر : شذرات الذهب (٢ / ١٤٦)؛ والأعلام للزركلي (٨ / ١٩٩) .

(٢) انظر : تهذيب التهذيب (٥ / ٣٨٥) ، وقد ذكر ابن حجر أن الذي قال هذا : يعقوب بن سفيان .

(٣) هو : عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد بن مبارك بن القطان الجرجاني ، أبو أحمد ، أحد أئمة الحديث ورجاله ، صنف " الكامل في معرفة الضعفاء والمتروكين " وغيره ، ولد سنة (٢٧٧) ، توفي سنة (٣٦٥) . انظر : الأعلام للزركلي (٤ / ١٠٣)؛ وتذكرة الحفاظ (٢ / ٩٤٠) ، (ت ٨٩٣) .

(٤) انظر : تهذيب التهذيب (٢ / ٣٨٥) .

(٥) في (أ) : بن بسر . والصحيح ما أثبتته . انظر : ترجمته التالية .

(٦) هو : محمد بن بشر العبدي الكوفي ، أبو عبد الله ، عالم حافظ ثقة ، أخرج له الستة ، ويعد من الطبقة التاسعة ، توفي سنة (٢٠٣ هـ) . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ١٤٧) ، (ت ٧٣) ، وشذرات الذهب (٢ / ٧) .

(٧) هو : عبد الله بن عبد الله بن الأسود الحارثي الكوفي ، أبو عبد الرحمن ، قال ابن حجر في التقريب : " صدوق " ، وقال أبو حاتم : " ومجمله الصدق " ، من الطبقة التاسعة . انظر : الجرح والتعديل (٥ / ٩٢ ، ٩٣) ، (ت ٤٢٤)؛ وتقريب التهذيب (١ / ٤٢٦) ، (ت ٤٠٥) .

(٨) أي : عبد الله بن الإمام أحمد ، مرت ترجمته . انظر : فهرس الأعلام .

(٩) الوجادة : هي أن يقف على أحاديث بخط راويها لا يرويها الواحد ، وهو من باب المنقطع وفيه شوب اتصال . انظر : تدريب الراوي للسيوطي (٢ / ٦١) .

(١٠) مسند أحمد (١ / ٧٢) .

(١١) في (أ) : رضي الله عنه .

(١٢) في (ب ج د) : يدل .

(١٣) في (أ) زاد هنا : أو قريب . ولا معنى لها . فلعلها تكرار من الناسخ .

أحاديث رجال فلم يحدث بها في المسند؛ لأن النبي ﷺ قال: ﴿ من حدث عني بحديث وهو يرى أنه كذب: فهو أحد الكاذبين ﴾ (٢) (٣) .

وكذلك روى عبد الله بن أحمد في مسند أبيه، حدثنا إسماعيل أبو (٤) معمر (٥) حدثنا إسماعيل بن عياش، عن زيد بن جبيرة (٦) عن داود بن حصين، عن عبيد الله بن أبي رافع (٧) عن علي بن عبيد الله قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ لا يبغض العرب إلا منافق ﴾ (٨) (٩) وزيد بن

(١) في (أ) : وكذلك .

(٢) مسلم مقدمة (١) ، الترمذي العلم (٢٦٦٢) ، ابن ماجه المقدمة (٤١) ، أحمد (٢٥٥/٤) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، المقدمة ، باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين ، والتحذير من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (١ / ٩) معلقا وموصولا . وأخرجه الترمذي في كتاب العلم ، باب ما جاء فيمن روى حديثا وهو يرى أنه كذب ، حديث رقم (٢٦٦٢) عن المغيرة بن شعبة ، وقال الترمذي : " هذا حديث حسن صحيح " ، وقال : " وفي الباب عن علي بن أبي طالب وسمرة " (٥ / ٣٦) . وابن ماجه في المقدمة ، باب من حدث عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حديثا وهو يرى أنه كذب ، حديث رقم (٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١) .

(٤) في (أ ب) : ابن معمر ، وفي (ط) : أبو عمرو ، والصحيح أبو معمر ، كما هو في (ج د) .

(٥) هو إسماعيل بن إبراهيم بن معمر بن الحسن الهذلي ، أبو معمر ، القطيعي الهروي ، قال ابن سعد في الطبقات : " صاحب سنة وفضل وخير ، وهو ثقة ثبت " ، ووثقه ابن معين وغيره . وقد روى له البخاري ومسلم والنسائي وغيرهم ، مات سنة (٢٣٦ هـ) . انظر : تهذيب (١ / ٢٧٣ - ٢٧٤) ، (ت ٥١١) أ؛ والطبقات الكبرى لابن سعد (٧ / ٣٥٩) .

(٦) هو : زيد بن جبيرة بن محمود بن أبي جبيرة بن الضحاک الأنصاري ، أبو جبيرة ، المدني ، من الطبقة السابعة ، قال في التقريب : متروك . وقال يحيى بن معين : لا شيء ، وقال في الجرح والتعديل : حدثنا عبد الرحمن قال : سمعت أبي يقول : زيد بن جبيرة ضعيف الحديث ، منكر الحديث جدا ، متروك الحديث ، لا يكتب حديثه . انظر : تقريب التهذيب (١ / ٢٧٣) ، (ت ١٦٦) ز . وانظر : الجرح والتعديل للرازي (٣ / ٥٥٩) ، (ت ٢٥٢٨) .

(٧) هو : ابن مولى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : عبيد الله بن أبي رافع المدني ، ثقة ، أخرج له الستة وغيرهم ، وهو كاتب علي بن أبي طالب رضي الله عنه . انظر : تقريب التهذيب (١ / ٥٣٢) ، (ت ١٤٤١) ع .

(٨) أحمد (٨١/١) .

(٩) مسند الإمام أحمد (١ / ٨١) ، وفي إسناده زيد بن جبيرة ، وقد مر كلام أئمة الجرح والتعديل فيه آنفا ، وذكر المؤلف أيضا أنه منكر الحديث .

جبيرة عندهم منكر الحديث، وهو مدني، ورواية إسماعيل بن عياش عن غير الشاميين مضطربة.

وكذلك<sup>(١)</sup> روى أبو جعفر محمد بن عبد الله الحافظ الكوفي المعروف بمطين<sup>(٢)</sup> حدثنا<sup>(٣)</sup> العلاء بن عمرو الحنفي<sup>(٤)</sup> حدثنا<sup>(٥)</sup> يحيى بن يزيد الأشعري<sup>(٦)</sup> حدثنا<sup>(٧)</sup> ابن جريح<sup>(٨)</sup> عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ﴿أحبوا العرب لثلاث: لأني عربي، والقرآن عربي، ولسان أهل الجنة عربي﴾<sup>(٩)</sup>.

قال الحافظ السلفي: " هذا حديث حسن "

فما أدري: أراد حسن إسناده على طريقة المحدثين، أو حسن متنه على الاصطلاح

(١) في (ب) : ولذلك .

(٢) هو : محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي الحافظ ، محدث الكوفة ، قال ابن حجر في لسان الميزان : " قلت مطين ، وثقه الناس " ، ومطين لقبه . انظر : لسان الميزان ( ٥ / ٢٣٣ ) ، ( ٢٣٤ ) ، ( ت ٨١٥ ) .

(٣) في (أ) : أنبأنا .

(٤) هو : العلاء بن عمرو الحنفي ، الكوفي ، قال في لسان الميزان : " متروك " ، وضعفه النسائي وغيره ، وقال ابن حبان : " لا يجوز الاحتجاج به بحال " . انظر : لسان الميزان ( ٤ / ١٨٥ ، ١٨٦ ) ، ( ت ٤٨٦ ) .

(٥) في (ج د) : العلاء بن عمرو الحنفي بن يزيد الأشعري ، وهو خلط من النساخ .

(٦) لعله : يحيى بن يزيد الجزري ، أبو شيبة ، الرهاوي ، قال البخاري : لم يصح حديثه ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال ابن أبي حاتم : ليس به بأس . انظر : الجرح والتعديل ( ٩ / ١٩٨ ) ، ( ت ٨٢٦ ) . وانظر : تهذيب التهذيب ( ١١ / ٣٠٢ ، ٣٠٣ ) ، ( ت ٥٨٤ ) .

(٧) في (أ) : أنبأنا .

(٨) هو : عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح الأموي . مرت ترجمته . انظر : فهرس الأعلام .

(٩) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرک من طريقتين : أحدهما عن يحيى بن يزيد عن ابن جريح ، والثاني عن محمد بن الفضل ، عن ابن جريح ، وقال الحاكم : " حديث يحيى بن يزيد حديث صحيح ، وإنما ذكرت حديث محمد بن الفضل متابعا له " ، لكن تعقبه الذهبي فقال : " قلت : بل يحيى ضعفه أحمد وغيره ، وهو من رواية العلاء بن عمرو الحنفي ، وليس بعمدة ، وأما أبو الفضل فمتهم ، وأظن الحديث موضوعا " . راجع : المستدرک وبهامشه التلخيص ( ٤ / ٨٧ ) ، وأورده السيوطي في الجامع الصغير ، وقال : " حديث صحيح " . الجامع الصغير ( ١ / ٤٠ ) ، حديث رقم ( ٢٢٥ ) ، لكن أكثر الأئمة طعنوا في هذا الحديث بأنه منكر لا أصل له . انظر : لسان الميزان ( ٤ / ١٨٥ ، ١٨٦ ) . وقال في اللآلئ المصنوعة : قال العقيلي : " منكر ، لا أصل له " . اللآلئ المصنوعة ( ١ / ٤٤٢ ) ، الطبعة الأولى . والمؤلف ذكر هنا ما يفيد أن الحديث لا أصل له .

العام؟

وأبو الفرج بن الجوزي<sup>(١)</sup> ذكر هذا الحديث في الموضوعات، وقال: قال العقيلي<sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup> " لا أصل له " <sup>(٤)</sup> وقال ابن حبان: " يحيى بن يزيد <sup>(٥)</sup> يروي المقلوبات عن الأثبات فبطل الاحتجاج به " <sup>(٦)</sup> والله أعلم.

وأيضاً في المسألة: ما روى أبو بكر البزار<sup>(٧)</sup> حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري<sup>(٨)</sup> حدثنا أبو أحمد<sup>(٩)</sup> حدثنا عبد الجبار بن العباس<sup>(١٠)</sup> وكان رجلاً من أهل الكوفة، يميل إلى

(١) هو الإمام: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي، يرجع نسبه إلى أبي بكر الصديق، عالم في الحديث والتفسير والتاريخ وغيرها، ومن الوعاظ المشاهير، ومؤلف مكثراً. من أشهر مؤلفاته: زاد المسير في علم التفسير، والمنتظم في التاريخ، والموضوعات في الحديث، وتبليس إبليس في الوعظ... إلخ. توفي سنة (٥٩٧ هـ)، وكانت ولادته سنة (٥٠٨ هـ). انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٣ / ١٤٠ - ١٤٢)، (ت ٣٧٠)؛ والأعلام للزركلي (٣ / ٣١٦، ٣١٧).

(٢) في المطبوعة قال: الثعلبي، والصحيح: العقيلي، كما هو مثبت.

(٣) هو: محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي، صاحب كتاب "الضعفاء الكبير"، إمام عالم، جليل القدر، كثير التصانيف، حافظ، ثقة، توفي سنة (٣٢٢ هـ). انظر: تذكرة الحفاظ (٢ / ٨٣٣)، (ت ٨١٤).

(٤) انظر: اللآلئ المصنوعة (١ / ٢٣٠).

(٥) في (أ): زيد، ويزيد أصح.

(٦) انظر: تهذيب التهذيب (١١ / ٣٠٣).

(٧) هو: أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، أبو بكر، البزار، صاحب المسند الكبير، قال ابن حجر في لسان الميزان: "صديق مشهور"، وذكر أن الحاكم قال عنه: "يخطئ في الإسناد والتمن" وكذلك قال الدارقطني مثله، وهو من الحفاظ للحديث توفي سنة (٢٩٢ هـ). انظر: لسان الميزان (١ / ٢٣٧ - ٢٣٨)، (ت ٧٥٠).

(٨) هو إبراهيم بن سعيد الجوهري الطبري، أبو إسحاق، نزيل بغداد، من الثقات الحفاظ، روى له الجماعة سوى البخاري، مات سنة (٢٤٩ هـ). انظر: خلاصة التهذيب (ص ١٧). وتقريب التهذيب (١ / ٣٥)، (ت ٢٠٤) أ.

(٩) هو: محمد بن عبد الله بن الزبير بن عمرو بن درهم الأسدي، أبو أحمد، الزبيري، الكوفي من الحفاظ الثقات، قال ابن حجر في التقريب: "ثقة ثبت إلا أنه قد يخطئ في حديث الثوري". أخرج له الستة، توفي سنة (٢٠٣ هـ)، قال فيه ابن سعد: "وكان صدوقاً كثيراً الحديث". انظر: تقريب التهذيب (٢ / ١٧٦)، (ت ٣٧٧) م؛ وطبقات ابن سعد (٦ / ٤٠٢).

(١٠) هو: عبد الجبار بن العباس الشبامي الهمداني الكوفي، متشيع، ذكر ابن حجر عن أحمد وابن معين وأبي داود أنهم قالوا: لا بأس به، ووثقه أبو حاتم. انظر: تهذيب التهذيب (٦ / ١٠٢، ١٠٣)، (ت ٢٠٧) ع.



الشيعة، وهو صحيح الحديث مستقيم، وهذا - والله أعلم - كلام البزار، عن أبي إسحاق، عن أوس بن ضممعج<sup>(١)</sup> قال: قال سلمان: " نفضلكم يا معاشر العرب لتفضيل رسول الله ﷺ إياكم، لا ننكح نساءكم، ولا نؤمكم في الصلاة ".

وهذا إسناد جيد، وأبو أحمد هو - والله أعلم - محمد بن عبد الله الزبيري<sup>(٢)</sup> من أعيان العلماء الثقات، وقد أثنى عليه<sup>(٣)</sup> شيخه، والجوهري وأبو إسحاق السبيعي أشهر من أن يثنى عليهما، وأوس بن ضممعج ثقة روى له مسلم.

وقد أخبر سلمان أن رسول الله ﷺ فضل العرب، فإما إنشاء وإما إخبارا، فإنشاؤه ﷺ حكم لازم، وخبره: حديث صادق.

وتمام الحديث قد روي عن سلمان من غير هذا الوجه، رواه الثوري عن أبي إسحاق، عن أبي ليلي الكندي<sup>(٤)</sup> عن سلمان الفارسي أنه قال: " فضلتمونا يا معاشر<sup>(٥)</sup> العرب باثنتين، لا نؤمكم<sup>(٦)</sup> ولا ننكح نساءكم " رواه محمد بن أبي عمر العدني<sup>(٧)</sup> وسعيد<sup>(٨)</sup> في سننه، وغيرهما.

وهذا مما احتج به أكثر الفقهاء الذين جعلوا العربية من الكفاءة بالنسبة إلى العجمي،

---

(١) هو: أوس بن ضممعج الكوفي الحضرمي، ويقال: النخعي، من كبار التابعين، مخضرم، قال العجلي: كوفي تابعي ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر: تهذيب التهذيب (١ / ٣٨٣)، (ت ٧٠١).

(٢) في (ط): الدوسري، والصحيح ما أثبتته. وقد ترجمت له قبل قليل.

(٣) في (ط): وقد أثنى على شيخه، وهذا بعيد.

(٤) قيل: اسمه سلمة بن معاوية، وقيل: معاوية بن سلمة، وقيل: غير ذلك، وإنما اشتهر بأبي ليلي الكندي، الكوفي، قال ابن حجر في التقريب: " ثقة، من الثانية ". انظر: تقريب التهذيب (٢ / ٤٦٧)، (ت ٧) ل من الكنى.

(٥) في (ط): يا معشر.

(٦) في المطبوعة زاد: في الصلاة.

(٧) هو: محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني، نزيل مكة، ذكر ابن أبي حاتم عن أبيه قوله فيه: " كان رجلا صالحا وكان به غفلة "، إلى أن قال: " وهو صدوق "، وذكره ابن حبان في الثقات، وكان لازم ابن عيينة وصنف المسند، أخرج له مسلم والنسائي وغيرهما، توفي سنة (٢٤٣ هـ). انظر: الجرح والتعديل (٨ / ١٢٤ - ١٢٥)، (ت ٥٦٠). وانظر: شذرات الذهب (٢ / ١٠٤). وانظر: تهذيب التهذيب (٩ / ٥١٨ - ٥٢٠)، (ت ٨٤٧).

(٨) هو ابن منصور.

واحتج به أحمد في إحدى الروايتين على أن الكفاءة ليست حقا لواحد معين، بل هي من الحقوق المطلقة في النكاح، حتى إنه يفرق بينهما عند عدمها.

واحتج أصحاب الشافعي وأحمد بهذا على أن الشرف مما يستحق به التقديم في الصلاة.

ومثل ذلك ما رواه محمد بن أبي عمر العدني<sup>(١)</sup> حدثنا سعيد بن عبيد<sup>(٢)</sup> أنبأنا علي بن ربيعة<sup>(٣)</sup> عن ربيع بن فضلة<sup>(٤)</sup> أنه خرج في اثني عشر راكبا كلهم قد صحب محمدا ﷺ غيرة، وفيهم سلمان الفارسي، وهم في سفر، فحضرت الصلاة، فتدافع القوم، أيهم يصلي بهم، فصلى بهم رجل منهم أربعا، فلما انصرف قال سلمان: ما هذا؟ ما هذا؟ مرارا، نصف المربوعة - قال مروان<sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup> يعني نصف الأربع - نحن إلى التخفيف أفقر، فقال له القوم: " صل بنا يا أبا عبد الله؛ أنت أحقنا بذلك، فقال: لا، أنتم بنو إسماعيل الأئمة، ونحن الوزراء ".

وفي المسألة آثار غير ما ذكرته، في بعضها نظر، وبعضها موضوع، وأيضا فإن عمر بن الخطاب ﷺ لما وضع ديوان العطاء، كتب الناس على قدر أنسابهم فبدأ بأقربهم فأقربهم نسبا إلى رسول الله ﷺ فلما انقضت العرب ذكر العجم، هكذا كان الديوان على عهد الخلفاء الراشدين، وسائر الخلفاء من بني أمية وولد العباس، إلى أن تغير الأمر بعد ذلك.

(١) في المطبوعة قال : حدثنا .

(٢) هو : سعيد بن عبيد الطائي ، الكوفي ، أبو هذيل ، ثقة ، أخرج له البخاري ومسلم وغيرهما ، من الطبقة السادسة . انظر : تهذيب التهذيب ( ٤ / ٦٢ ) ، ( ت ١٠٦ ) س؛ وتقريب التهذيب ( ١ / ٣٠١ ) ، ( ت ٢٢٢ ) س .

(٣) هو : علي بن ربيعة بن نضلة الوالي الكوفي ، أبو المغيرة ، قال ابن حجر : " ثقة ، من كبار الثالثة " أخرج له الستة وغيرهم . انظر : تقريب التهذيب ( ٢ / ٣٧ ) ، ( ت ٣٤٠ ) ع .

(٤) لم أجد في المصادر التي اطلعت عليها .

(٥) لم أجد ما يشير إلى من هو مروان هذا .

(٦) في المطبوعة زاد : (جمع) .

وسبب هذا الفضل - والله أعلم - ما اختصوا به في عقولهم وألستهم وأخلاقهم وأعمالهم، وذلك أن الفضل: إما بالعلم النافع، وإما بالعمل الصالح. والعلم له مبدأ، وهو: قوة العقل الذي هو الفهم والحفظ، وتمام، وهو: قوة المنطق، الذي هو البيان والعبارة. والعرب هم أفهم من غيرهم، وأحفظ وأقدر على البيان والعبارة، ولسانهم أتم الألسنة بيانا وتمييزا للمعاني، جمعا وفرقا، يجمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل، إذا شاء المتكلم الجمع<sup>(١)</sup> ثم يميز بين كل شيئين مشتبهين بلفظ آخر مميز مختصر، كما تجده من لغتهم في<sup>(٢)</sup> جنس الحيوان، فهم - مثلا - يعبرون عن القدر المشترك بين الحيوان بعبارات جامعة، ثم يميزون بين أنواعه في أسماء كل أمر من أموره: من الأصوات، والأولاد، والمساكن، والأطفال<sup>(٣)</sup> إلى غير ذلك من خصائص اللسان العربي، التي لا<sup>(٤)</sup> يستراب فيها.

وأما العمل: فإن مبناه على الأخلاق وهي الغرائز المخلوقة في النفس، وغرائزهم أطوع للخير من غيرهم، فهم أقرب للسخاء، والحلم، والشجاعة، والوفاء، وغير ذلك من الأخلاق الحمودة، لكن كانوا قبل الإسلام طبيعة قابلة للخير، معطلة عن فعله، ليس عندهم علم منزل من السماء، ولا شريعة موروثة عن نبي، ولا هم أيضا مشتغلين ببعض العلوم العقلية المحضة، كالطب والحساب، ونحوها، إنما علمهم ما سمحت به قرائحهم: من الشعر والخطب، وما حفظوه من أنسابهم وأيامهم، وما احتاجوا إليه في دنياهم من الأنواء والنجوم، أو من الحروب.

فلما بعث الله محمدًا ﷺ بالهدى: الذي<sup>(٥)</sup> ما جعل الله في الأرض - ولا يجعل - أمرا

(١) في المطبوعة قال: في لغتهم من جنس.

(٢) في (ط) والمطبوعة: والأظفار.

(٣) في (ب): الذي.

(٤) في (ط): إلى السخاء.

(٥) في (ط): الذي جعله الله في الأرض.

أجل منه وأعظم قدرا، وتلقوه عنه بعد مجاهدته الشديدة لهم، ومعالجتهم على نقلهم عن تلك العادات الجاهلية، والظلمات الكفرية، التي كانت قد أحالت قلوبهم عن فطرتها، فلما تلقوا عنه ذلك الهدى العظيم<sup>(١)</sup> زالت تلك الريبون<sup>(٢)</sup> عن قلوبهم، واستنارت بهدى الله الذي أنزل على عبده ورسوله.

فأخذوا هذا الهدى العظيم، بتلك الفطرة الجيدة<sup>(٣)</sup> فاجتمع لهم الكمال بالقوة المخلوقة فيهم، والكمال الذي أنزل الله إليهم: بمثلة أرض جيدة<sup>(٤)</sup> في نفسها، لكن هي معطلة عن الحرث، أو قد نبت فيها شجر العضاة<sup>(٥)</sup> والعوسج<sup>(٦)</sup> وصارت مأوى الخنازير والسباع، فإذا طهرت عن المؤذي من الشجر والدواب، وازدرع فيها أفضل الحبوب والثمار، جاء فيها من الحرث ما لا يوصف مثله، فصار السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار أفضل خلق الله بعد الأنبياء، وصار أفضل الناس بعدهم: من اتبعهم بإحسان إلى يوم القيامة: من العرب والعجم.

وكان الناس إذ ذاك الخارجون عن هذا الكمال قسامين:

: من اليهود والنصارى، لم يقبل هدى الله.

: من العجم، الذين لم يشركوهم فيما فطروا عليه، وكان عامة العجم

حينئذ<sup>(٨)</sup> كفارا من: الفرس والروم، فجاءت الشريعة باتباع أولئك السابقين على الهدى

(١) العظيم : ساقطة من (ط) .

(٢) الريبون : جمع رين ، وهو الطبع والدنس . انظر : مختار الصحاح ، مادة (ري ن) ، (ص ٢٦٦) ، فالريبون هي : آثار الكفر والذنوب التي تحجب القلوب وتغشاها عن قبول الحق والاهتداء إليه .

(٣) في (ج د) : الجديدة .

(٤) في (ج د) : جديدة .

(٥) في (ب) : العضاة ، والعضاة : كل شجر له شوك ، أما العضاة فهي : شجرة تشبه الأثل تنبت في نجد ، اشتهرت بجودتها للوقود . انظر : لسان العرب ، مادة (عضه) و (غضا) .

(٦) العوسج : شجر من أشجار الشوك ، له ثمرة مدور صغير ، واحده : عوسجة . المصدر السابق (٢ / ٦٠٦) .

(٧) في (ج د) : وكانت .

(٨) في (ج د) : (حينئذ) رمز لها بـ : ح .

الذي رضي الله لهم، وبمخالفة من سواهم، إما لمعصيته وإما لتقيصته، وإما لأنه مظنة النقيصة.

فإذا نمت الشريعة عن مشابهة الأعاجم؛ دخل في ذلك ما عليه الأعاجم الكفار، قديما وحديثا، ودخل فيه <sup>(١)</sup> ما عليه الأعاجم المسلمون، مما لم يكن عليه السابقون الأولون، كما يدخل في مسمى الجاهلية العربية ما كان عليه أهل الجاهلية قبل الإسلام، وما عاد إليه كثير من العرب من الجاهلية التي كانوا عليها.

ومن تشبه من العرب بالعجم لحق بهم، ومن تشبه من العجم بالعرب لحق بهم، ولهذا كان الذين تناولوا العلم والإيمان من أبناء فارس، إنما حصل ذلك بمتابعتهم للدين الحنيف، بلوازمه من العربية وغيرها. ومن نقص <sup>(٢)</sup> من العرب إنما هو بتخلفهم عن هذا، وإما بموافقتهم للعجم، فيما السنة أن يخالفوا فيه، فهذا وجه <sup>(٣)</sup>.

وأیضا فإن الله تعالى لما أنزل كتابه باللسان العربي، وجعل رسوله مبلغا عنه للكتاب <sup>(٤)</sup> والحكمة بلسانه العربي، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به؛ لم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط اللسان، وصارت معرفته من الدين، وصار اعتبار التكلم به أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله، وأقرب إلى إقامة شعائر الدين، وأقرب إلى مشابحتهم <sup>(٥)</sup> للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، في جميع أمورهم.

وسنذكر إن شاء الله تعالى بعض ما قاله العلماء، من الأمر بالخطاب العربي، وكراهة

---

(١) في (ب ط) : في ذلك .

(٢) في (ب) : نقص .

(٣) في المطبوعة : فهذا أوجه . وهو خلاف النسخ المخطوطة . وملخص هذا الوجه : أن العربي ملازمة للدين الحنيف - الإسلام - فالعرب هم السابقون للإسلام ، ومن لحقهم من الفرس والروم وغيرهم واعتنق الإسلام وتمسك به؛ دخل معهم في الفضل وإن لم يكن عربي النسب . ومن تخلف عن الإسلام ، أو أحل ببعض أحكامه ، ووافق العجم فيما يخالف شعائر الإسلام وهدية؛ فإنه ينقص فضله وإن كان عربي النسب . والله أعلم .

(٤) في (ج د) : الكتاب .

(٥) في (د) : السابقين .

مداومة غيره لغير حاجة، واللسان تقارنه <sup>(١)</sup> أمور أخرى: من العلوم والأخلاق، فإن العادات لها تأثير عظيم فيما يحبه الله وفيما يكرهه، فهذا أيضا جاءت الشريعة بلزوم عادات السابقين الأولين، في أقوالهم وأعمالهم، وكراهة الخروج عنها إلى غيرها من غير حاجة.

فحاصله: أن النهي عن التشبيه بهم؛ لما يفضي إليه من فوت الفضائل، التي جعلها الله للسابقين الأولين، أو حصول النقائص التي كانت في غيرهم.

ولهذا: لما علم المؤمنون من أبناء فارس، وغيرهم، هذا الأمر، أخذ من وفقه الله منهم نفسه بالاجتهاد في تحقيق المشابهة بالسابقين، فصار أولئك من أفضل التابعين بإحسان إلى يوم القيامة، وصار كثير منهم أئمة لكثير من غيرهم، ولهذا كانوا يفضلون من الفرس من رأوه أقرب إلى متابعة السابقين، حتى قال الأصمعي <sup>(٢)</sup> فيما رواه عنه أبو طاهر السلفي في كتاب (فضل الفرس) قال: "عجم أصبهان قريش العجم" <sup>(٣)</sup>.

وروى أيضا السلفي بإسناد معروف عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون <sup>(٤)</sup> عن أسامة بن زيد <sup>(٥)</sup> عن سعيد بن المسيب قال: "لو أني لم أكن من قريش لأحببت أن أكون من فارس، ثم أحببت أن أكون من أصبهان" <sup>(٦)</sup>.

وروي بإسناد آخر، عن سعيد بن المسيب قال: لولا أني رجل من قريش لتمنيت أن

(١) في (ب): يقارنه .

(٢) هو الإمام: عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع، الأصمعي البصري، عالم بالحديث والعربية، وثقة الأئمة. توفي سنة (٢١٦ هـ)، وعمره (٨٨) سنة. انظر: تهذيب التهذيب (٦ / ٤١٥ - ٤١٧)، (ت ٨٦٨) ع؛ واللباب في تهذيب الأنساب (١ / ٧٠).

(٣) لم أجد كتاب فضل الفرس المذكور، وكذلك لم أجد هذه العبارة في غيره من المصادر التي اطلعت عليها.

(٤) هو: عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون، المدني، نزيل بغداد، مولى آل الهدير، قال ابن حجر في التقریب: "ثقة فقيه مصنف من السابعة" روى له الستة ومات سنة (١٦٤ هـ). انظر: تقریب التهذيب (١ / ٥١٠)، (ت ١٢٣١) ع. وفي (ط): قال: الماجشوني.

(٥) هو: أسامة بن زيد الليثي. انظر: فهرس الأعلام.

(٦) أخرجه أبو نعيم في كتابه "ذكر أخبار أصبهان" بسنده (١ / ٣٨، ٣٩).

أكون من أصبهان؛ لقول النبي ﷺ ﴿ لو كان الدين معلقا بالثريا لتناوله ناس من فارس من أبناء (١) العجم، أسعد الناس بما فارس وأصبهان ﴾ (٢) .

قالوا: وكان سلمان الفارسي من أهل أصبهان، وكذلك عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما، وغيرهما، فإن آثار الإسلام كانت بأصبهان أظهر منها غيرها، حتى قال الحافظ عبد القادر الرهاوي (٣) " ما رأيت بلدا بعد بغداد، أكثر حديثا من أصبهان " . وكان (٤) أئمة السنة علما وفقها، والعارفون بالحديث وسائر أمور الإسلام المحض، فيهم أكثر من غيرهم، حتى إنه قيل: إن قضائهم كانوا من فقهاء الحديث، مثل: صالح بن أحمد بن حنبل، ومثل: أبي بكر بن أبي عاصم، ومن بعدهم، وأنا لا أعلم حالهم بآخرة (٥) . وكذلك كل مكان أو شخص من أهل فارس، يمدح المدح الحقيقي: إنما يمدح لمشابته السابقين، حتى قد يختلف في (٦) فضل شخص على شخص، أو قول على قول، أو فعل على فعل؛ لأجل اعتقاد كل من المختلفين أن هذا أقرب إلى طريق السابقين الأولين، فإن الأمة مجمعة على هذه القاعدة وهي: فضل طريقة العرب السابقين، وأن الفاضل من تبعهم، وهو المطلوب هنا.

:

: أن الذي يجب على المسلم إذا نظر في الفضائل، أو تكلم فيها، أن يسلك سبيل العاقل الدين، الذي غرضه أن يعرف الخير، ويتحراه جهده، وليس غرضه الفخر

(١) في (ج د) : من فارس .

(٢) مر تخريج نحو هذا الحديث (ص ٤١٣) ، وانظر كتاب : ذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم (١ / ٣٨ ، ٣٩) .

(٣) هو : عبد القادر بن عبد الله ، الفهمي بالولاء ، الرهاوي ، ثم الحراني ، محدث حافظ له مصنفات ، منها : الأربعين المتباينة الإسناد والبلاد في الحديث ، توفي سنة (٦١٢ هـ) . انظر : الأعلام للزركلي (٤ / ٤٠) .

(٤) في (ج د) : وكانت .

(٥) يعني آخر الأمر في العصور التي تلت عصور التابعين .

(٦) من هنا حتى قوله : فضل طريق العرب (سطران تقريبا) : (ساقطة من (ط) .

على أحد، ولا الغمص<sup>(١)</sup> من أحد، فقد روى مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار  
المحاشمي<sup>(٢)</sup> قال: قال رسول الله ﷺ ﴿إنه أوحى إلي أن تواضعوا، حتى لا يفخر  
أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد﴾<sup>(٣) (٤)</sup>.

فنهى سبحانه على لسان رسوله عن نوعي الاستطالة على الخلق، وهي: الفخر  
والبغي؛ لأن المستطيل إن استطال بحق فقد افتخر، وإن كان بغير حق فقد بغي، فلا يجلب لا  
هذا ولا هذا، فإن كان الرجل من الطائفة الفاضلة، مثل: أن يذكر فضل بني هاشم أو  
قريش أو العرب أو بعضهم، فلا يكن حظه استشعار فضل نفسه، والنظر إلى ذلك، فإنه  
مخطئ في هذا؛ لأن فضل الجنس لا يستلزم فضل الشخص كما قدمناه، فرب حبشي أفضل  
عند الله من جمهور قريش، ثم هذا النظر يوجب نقصه وخروجه عن الفضل، فضلا عن أن  
يستعلي بهذا، أو يستطيل.

وإن كان من الطائفة الأخرى، مثل العجم، أو غير قريش، أو غير بني هاشم، فليعلم  
أن تصديقه لرسول الله ﷺ فيما أخبر وطاعته فيما أمر، ومحبة من أحبه الله، والتشبه بمن  
فضل الله، والقيام بالدين الحق، الذي بعث الله به محمدا؛ يوجب له أن يكون أفضل من  
جمهور الطائفة المفضلة، وهذا هو الفضل الحقيقي.

وانظر إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين وضع الديوان، وقالوا له: يبدأ أمير المؤمنين بنفسه

(١) في (ط) وفي المطبوعة: الغمص. وكلاهما بمعنى واحد: فالغمص هو: الاستصغار، يقال: غمصه: إذا  
استصغره ولم يره شيئا. والغمض هو: الازدراء. راجع: مختار الصحاح، مادة (غ م ض)، (ص ٤٨١)،  
ومادة (غ م ض) أيضا.

(٢) صحابي جليل، سكن البصرة وعاش إلى حدود سنة (٥٠ هـ). انظر: التقريب (٢ / ٩٠).

(٣) أبو داود الأدب (٤٨٩٥)، ابن ماجه الزهد (٤١٧٩).

(٤) انظر: صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة  
وأهل النار، الحديث رقم (٢٨٦٥) الخاص رقم (٦٤) في الباب. والحديث طويل هذا جزء منه، ومطلع هذه  
العبارة: "وإن الله أوحى إلي . . . إلخ كما ذكر هنا (٤ / ٢١٩٩).



فقال: لا (١) ولكن ضعوا عمر حيث وضعه الله. فبدأ بأهل بيت رسول الله ﷺ ثم (٢) من يليهم، حتى جاءت نوبته في بني عدي وهم متأخرون عن أكثر بطون قريش.

ثم هذا الاتباع للحق ونحوه، قدمه على عامة بني هاشم، فضلا عن غيرهم من قريش.  
: أن اسم العرب والعجم قد صار فيه اشتباه، فإننا قدمنا أن اسم العجم يعم في اللغة: كل من ليس من العرب، ثم لما كان العلم والإيمان في أبناء فارس أكثر منه في غيرهم من العجم؛ كانوا هم أفضل الأعاجم، فغلب لفظ العجم في عرف العامة المتأخرين عليهم، فصار حقيقة عرفية عامية فيهم.

واسم العرب في الأصل كان اسما لقوم جمعوا ثلاثة أوصاف (٣)

: أن لسانهم كان باللغة العربية.

: أنهم كانوا من أولاد العرب.

: أن مساكنهم كانت أرض العرب وهي: جزيرة العرب، التي هي من بحر القلزم (٤) إلى بحر البصرة (٥) ومن أقصى حجر باليمن، إلى أوائل الشام، بحيث كانت تدخل اليمن في دارهم، ولا تدخل (٦) فيها الشام، وفي هذه الأرض كانت العرب، حين المبعث وقبله.

فلما جاء الإسلام وفتحت الأمصار سكنوا سائر البلاد، من أقصى المشرق إلى أقصى

(١) لا : سقطت من (أ) .

(٢) ثم : سقطت من (أ) .

(٣) في (ب) : أصناف .

(٤) بحر القلزم هو المسمى الآن بالبحر الأحمر . انظر : معجم البلدان لياقوت ( ١ / ٣٤٤ ) .

(٥) بحر البصرة هو المسمى بالخليج العربي . ويسمى قديما : بحر فارس . انظر : المصدر السابق ( ١ / ٣٤٣ ، ٣٤٤ ) .

( ) .

(٦) في (ب) : ولا يدخل .

المغرب، وإلى سواحل الشام وأرمينية<sup>(١)</sup> وهذه كانت مساكن فارس والروم والبربر، وغيرهم.

ثم انقسمت هذه البلاد قسمين:

: ما غلب على أهله<sup>(٢)</sup> لسان العرب حتى لا يعرف عامتهم غيره، أو يعرفونه وغيره، مع ما دخل على لسان العرب من اللحن، وهذه غالب مساكن الشام، والعراق، ومصر، والأندلس، ونحو ذلك، وأظن أرض فارس وخراسان كانت هكذا قديما.

: ما العجمية كثيرة فيهم، أو غالبية عليهم، كبلاد الترك، وخراسان<sup>(٣)</sup> وأرمينية، وأذربيجان<sup>(٤)</sup> ونحو ذلك.

فهذه البقاع انقسمت: إلى ما هو عربي ابتداء، وإلى ما هو عربي انتقلا، وإلى ما هو عجمي.

وكذلك الأنساب<sup>(٥)</sup> ثلاثة أقسام:

قوم من نسل العرب، وهم باقون على العربية لسانا ودارا، أو لسانا<sup>(٦)</sup> لا دارا، أو دارا لا لسانا<sup>(٧)</sup>.

وقوم من نسل العرب، بل من نسل بني هاشم، صارت العجمية لسانهم ودارهم، أو أحدهما.

---

(١) أرمينية : هي البلاد الواقعة شمال العراق وشرق تركيا ، وجنوب شرق البحر الأسود ، وغرب بحر قزوين ، وهي داخلية في ملتقى حدود إيران مع تركيا والاتحاد السوفيتي ، وأكثرها في أراضي الاتحاد السوفيتي الآن . انظر : خارطة الشرق الأوسط في أطلس العالم (ص ١٣) .

(٢) في (ج د) : أهلها .

(٣) خراسان : بلاد واسعة أول حدودها ما يلي العراق غربا ، وتمتد شرقا حتى حدود الهند . انظر : معجم البلدان (٢ / ٣٥٠) .

(٤) أذربيجان : هي البلاد الواقعة الآن في أقصى شمال إيران من جهة بحر قزوين ، وقاعدتها مدينة تبريز المشهورة . انظر : معجم البلدان (١ / ١٢٨) . وانظر : أطلس العالم (ص ١٣) خريطة الشرق الأوسط .

(٥) في (أ) : الإنسان .

(٦) (٦ ، ٦) ما بين الرقمين : ساقط من (أ) .

(٧) (٥ ، ٦) ما بين الرقمين : ساقط من (أ) .

وقوم<sup>(١)</sup> مجهولو الأصل، لا يدري: أمن نسل العرب هم، أم من نسل العجم؟ وهم أكثر<sup>(٢)</sup> الناس اليوم، سواء كانوا عرب الدار واللسان، أو عجمًا في أحدهما. وكذلك انقسموا في اللسان ثلاثة أقسام: قوم يتكلمون بالعربية لفظًا ونغمة<sup>(٣)</sup>. وقوم يتكلمون بها لفظًا لا نغمة، وهم المتعربون الذين ما تعلموا اللغة ابتداءً من العرب، وإنما اعتادوا غيرها، ثم تعلموها، كغالب أهل العلم، ممن تعلم العربية. وقوم لا يتكلمون بها إلا قليلًا. وهذان القسمان، منهم من تغلب عليه العربية، ومنهم من تغلب عليه العجمية، ومنهم من قد يتكافأ في حقه الأمران: إما قدرة، وإما عادة. فإذا كانت العربية قد انقسمت: نسبا ولسانا ودارا؛ فإن الأحكام تختلف باختلاف هذه الأقسام<sup>(٤)</sup> خصوصا النسب واللسان. فإن ما ذكرناه من تحريم الصدقة على بني هاشم، واستحقاق نصيب من الخمس؛ ثبت لهم باعتبار النسب، وإن صارت ألسنتهم أعجمية. وما ذكرناه من حكم اللسان العربي وأخلاق العرب: يثبت لمن كان كذلك، وإن كان أصله فارسيًا، وينتفي عن من لم يكن كذلك وإن كان أصله هاشميا. والمقصود هنا: أن<sup>(٥)</sup> ما ذكرته من النهي عن التشبه بالأعاجم: إنما العبرة<sup>(٦)</sup> بما كان عليه صدر الإسلام، من السابقين الأولين، فكل ما كان إلى هداهم أقرب فهو المفضل، وكل ما خالف ذلك فهو المخالف، سواء كان المخالف لذلك اليوم عربي النسب، أو

(١) وقوم : سقطت من (أ) .

(٢) في (ج د) : من أكثر .

(٣) النغمة هي : جرس الكلمة والصوت . انظر : لسان العرب ، مادة (نغم) .

(٤) في المطبوعة : هذا الانقسام .

(٥) أن : سقطت من (ب) .

(٦) في المطبوعة : إنما العبرة فيه بما كان .

عربي اللسان، وهكذا جاء عن السلف:

فروى الحافظ أبو طاهر السلفي - في فضل العرب - بإسناده عن أبي شهاب الحنات (١) حدثنا حبان (٢) بن موسى، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي (٣) قال: " من ولد في الإسلام فهو عربي ". وهذا الذي يروى عن أبي جعفر: لأن من ولد في الإسلام، فقد ولد في دار العرب، واعتاد خطابها، وهكذا كان الأمر.

وروى (٤) السلفي عن المؤتمن (٥) الساجي (٦) عن أبي القاسم الخلال (٧) أنبأنا أبو محمد الحسن بن الحسين النوبختي (٨) حدثنا علي بن عبد الله بن مبشر (٩) (١٠) حدثنا محمد بن

(١) هو: عبد ربه بن نافع الكنايني الحنات، أبو شهاب، الأصغر، نزيل المدائن، قال ابن حجر: " صدوق، يهيم " من الطبقة الثامنة توفي سنة (١٧٢ هـ)، أخرج له البخاري ومسلم وغيرهما. انظر: تقريب التهذيب (١ / ٤٧١)، (ت) ٨٥١.

(٢) في (أ ب) وفي المطبوعة: جبار، والصحيح ما أثبتته. وهو: حبان بن موسى بن سوار السلمي أبو محمد المروزي، مرت ترجمته. انظر: فهرس الأعلام.

(٣) هو: أبو جعفر الباقر. مرت ترجمته. انظر: فهرس الأعلام.

(٤) في (ج د): وقد روى.

(٥) في المطبوعة: المؤتمر.

(٦) هو: المؤتمن بن أحمد بن علي الربيعي، المعروف بالساجي، عالم بالحديث، ثقة، توفي ببغداد سنة (٥٠٧ هـ)، وكانت ولادته سنة (٤٤٥ هـ). انظر: الأعلام للزركلي (٧ / ٣١٨).

(٧) هو: عبد الله بن الحسن بن محمد بن الحسن، أبو القاسم بن الخلال. انظر: تذكرة الحفاظ المجلد الثاني (ص) (١١٦٤) وفهارسها (ص ٧١).

(٨) في المطبوعة: قال: التولخي. وقال في الهامش: (كذا بالأصل)، والصحيح: النوبختي. كما هو في النسخ المخطوطة لدي، وكما جاء في لسان الميزان (٢ / ٢٠١)، (ت) (٩٠٩). وترجمته: الحسن بن الحسين بن علي بن أبي سهل النوبختي، أبو محمد، جاء في لسان الميزان عن المخالملي قال: " سماعه صحيح لكنه رافضي معتزلي " وعن البرقاني قوله: " كان معتزليا وكان يتشيع إلا أنه تبين أنه صدوق "، مات سنة (٤٥٢ هـ). انظر: لسان الميزان (٢ / ٢٠١)، (ت) (٩٠٩) ح.

(٩) في (أ) وفي المطبوعة: ابن بشر. والصحيح ابن مبشر. كما في بقية النسخ. انظر ترجمته التالية.

(١٠) هو: علي بن عبد الله بن مبشر، أبو الحسن، الواسطي، المحدث، توفي سنة (٣٢٤ هـ). انظر: شذرات الذهب (٢ / ٣٤٥).

حرب النشائي<sup>(١)</sup> حدثنا إسحاق الأزرق<sup>(٢)</sup> عن هشام بن حسان، عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه قال: ﴿من تكلم بالعربية فهو عربي، ومن أدرك له اثنان<sup>(٣)</sup> في الإسلام فهو عربي﴾<sup>(٤)</sup>. هكذا فيه. وأظنه: ﴿ومن أدرك له أبوان﴾.

فهنا - إن صح هذا الحديث - فقد علقت العربية فيه بمجرد اللسان، وعلقت في النسب بأن يدرك له أبوان في الدولة الإسلامية العربية، وقد يحتج بهذا القول<sup>(٥)</sup> أبو حنيفة<sup>(٦)</sup> أن من ليس له أبوان في الإسلام أو في الحرية، ليس كفؤاً لمن له أبوان في ذلك، وإن اشتركا<sup>(٧)</sup> في العجمية والعنافة.

ومذهب أبي يوسف: ذو الأب الواحد كذي الأبوين<sup>(٨)</sup> ومذهب الشافعي وأحمد<sup>(٩)</sup> لا عبرة بذلك، نص عليه أحمد<sup>(١٠)</sup>.

وقد روى السلفي، من حديث الحسن بن رشيق<sup>(١١)</sup> حدثنا أحمد بن الحسن بن

---

(١) كذا في المطبوعة: النشائي، وهو الصحيح، وفي بقية النسخ: النسائي. ولعله غلط من النساخ. وترجمته: محمد بن حرب بن حرمان النشائي الواسطي، أبو عبد الله، قال أبو حاتم: صدوق، وقال أبو القاسم الطبراني: كان ثقة، أخرج له البخاري ومسلم وأبو داود، توفي سنة (٢٥٥ هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٩ / ١٠٨، ١٠٩)، (ت ١٤٧).

(٢) هو: إسحاق بن يوسف بن مرداس، المخزومي الواسطي، المعروف بالأزرق، ثقة مأمون، أخرج له الستة، ولد سنة (١١٧ هـ)، وتوفي سنة (١٩٥ هـ). انظر: تهذيب التهذيب (١ / ٢٥٧)، (ت ٤٨٦) أ.

(٣) في (أ ط): إبنان. وفي (ج د): أبان.

(٤) لم أجده.

(٥) في (ج د): لأبي حنيفة. وفي (ط): لقول أبي حنيفة.

(٦) في المطبوعة: على أن.

(٧) في المطبوعة: وإن كان في العجمية والعنافة.

(٨) في المطبوعة: (كذي الأبوان) ولا يستقيم لغة.

(٩) في (ج د): أنه لا عبرة.

(١٠) انظر: الإفصاح لابن هبيرة (٢ / ١٢١)؛ ومسائل الإمام أحمد لأبي داود (ص ١٥٩).

(١١) هو: الحسن بن رشيق، العدل، أبو محمد، العسكري، مصري مشهور، عالي السند، قاله ابن حجر في لسان الميزان، وقال: لئنه الحافظ عبد الغني بن سعيد قليلا، ووثقه جماعة. وذكر أن الدارقطني أنكر عليه أنه كان يصلح في أصله، وأنه وثقه في مواضع أخرى، ولد سنة (٢٨٣ هـ)، وتوفي سنة (٣٨٠ هـ)، وعمره (٨٧). انظر: غاية النهاية (١ /

هارون <sup>(١)</sup> حدثنا العلاء بن سالم <sup>(٢)</sup> حدثنا قرة بن عيسى الواسطي <sup>(٣)</sup>  
حدثنا أبو بكر الهذلي <sup>(٤)</sup> عن مالك بن أنس، عن الزهري، عن أبي سلمة بن عبد  
الرحمن قال: ﴿ جاء قيس بن حطاطة <sup>(٥)</sup> إلى حلقة فيها صهيب الرومي <sup>(٦)</sup> وسلمان  
الفرسي، وبلال الحبشي، فقال: هذا الأوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل فما بال  
هؤلاء؟ فقام معاذ بن جبل فأخذ بتلابيبه، ثم أتى به النبي ﷺ فأخبره بمقاتلته، فقام النبي ﷺ  
مغضبا يجر رداءه حتى دخل المسجد، ثم نودي: أن <sup>(٧)</sup> الصلاة جامعة، فصعد المنبر، فحمد  
الله وأثنى عليه ثم قال: " أما بعد: أيها الناس، فإن الرب رب واحد، والأب أب واحد،  
والدين دين واحد، وإن العربية ليست لأحدكم بأب ولا أم، إنما هي لسان، فمن تكلم

- 
- (٢١٢). وانظر: لسان الميزان (٢ / ٢٠٧)، (ت ٩٢٢) ح؛ واللباب (٢ / ٣٤٠)؛ وتذكرة الحفاظ (٢ / ٩٥٩)، (ت ٩٠٣)، ووقع في تاريخ ولادته ووفاته اختلاف بين المصادر فأثبتها من تذكرة الحفاظ .
- (١) لعله : أحمد بن الحسن بن هارون بن سليمان ، أبو بكر ، البغدادي ، الخزاز ، ذكره أبو نعيم في كتابه : ذكر أخبار أصبهان (١ / ١٣٠) .
- (٢) هو : العلاء بن سالم الطبري ، أبو الحسن ، الواسطي ، ثم البغدادي ، الحذاء ، قال الآجري عن أبي داود : تقدم موته ، ما كان به بأس ، توفي سنة (٢٥٨ هـ) . انظر : تهذيب التهذيب (٨ / ١٨٣ ، ١٨٤) ، (ت ٣٢٨) .
- (٣) هو : قرة بن عيسى بن إسماعيل العبدي ، ذكره أسلم بن سهل الرزاز الواسطي في تاريخ واسط (ص ١٩٢) ولم يذكر عنه شيئا ، كما ورد اسمه في أسانيد كثيرة في نفس الكتاب (ص ٥٨ ، ٦٦ ، ٩٩) وغيرها .
- (٤) هو : روح ، وقيل : سلمى بن عبد الله بن سلمى ، أبو بكر ، الهذلي البصري ، وهو ضعيف متروك الحديث ، من الطبقة السادسة ، توفي سنة (١٦٨ هـ) . انظر : تهذيب التهذيب (١٢ / ٤٥ ، ٤٦) ، (ت ١٨٠) ، (الكني) .
- (٥) لم أجد له ترجمة ، وفي تاريخ واسط سماه : قيس بن رطاطة (ص ١٩٢) .
- (٦) هو الصحابي الجليل : صهيب بن سنان بن مالك الربعي النمري ، وسمي : الرومي؛ لأن الروم سبوه ، وكنيته : أبو يحيى ، كناه بها الرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، أسلم مبكرا في مكة وكان من المستضعفين الذين عذبوا بمكة لإسلامهم ، ولما هاجر للمدينة منعه قريش فترك لهم ماله فخلوا سبيله ، فقال له صلى الله عليه وعلى آله وسلم " : ربح البيع أبا يحيى " وأنزل الله فيه : (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله) وشهد المشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، واستخلفه عمر على الصلاة حين طعن ، وتوفي صهيب بالمدينة سنة (٣٩ هـ) ، وعمره (٧٣) سنة : انظر : أسد الغابة (٣ / ٣٠ — ٣٣) .
- (٧) أن : سقطت من (ج د) .

---

---

بالعربية فهو عربي " ، فقام معاذ بن جبل فقال: بم تأمرنا في هذا المنافق ؟ فقال: " دعه إلى النار ﴿١﴾ . فكان قيس ممن ارتد فقتل في الردة (١) .

هذا الحديث ضعيف، وكأنه مركب على مالك (٢) لكن معناه ليس ببعيد، بل هو صحيح من بعض الوجوه كما قدمناه.

ومن تأمل ما ذكرناه في هذا الباب؛ عرف مقصود الشريعة فيما ذكرناه من الموافقة المأمور بها، والمخالفة المنهي عنها، كما تقدمت الدلالات عليه، وعرف بعض وجوه ذلك وأسبابه، وبعض ما فيه من الحكمة.

---

(١) أخرجه أسلم بن سهل الرزاز الواسطي في كتابه : تاريخ واسط (ص ٢٥١ ، ٢٥٢) ، وفيه قرّة ، مجهول الحال ، وأبو بكر الهذلي ، متروك الحديث ، كما أشرت في ترجمته ، وقد أفاد المؤلف بأنه ضعيف .

(٢) في (ج د) : الإمام مالك . ومعنى مركب عليه : أي منسوب إليه كذبا ، فأصل التركيب هو الوضع ، يقال ركبته ، تركيبا : أي وضع بعضه على بعض فتركب . انظر : القاموس المحيط ، فصل الرء ، باب الباء (١) / (٧٨) .

: ما ذكرتموه من الأدلة معارض بما يدل على خلافه، وذلك: أن شرع من قبلنا شرع لنا، ما لم يرد شرعنا بخلافه، وقوله تعالى: ﴿ فَبِهَدْيِهِمْ أَتَقْتَدُوا ﴾<sup>(١)</sup> وقوله: ﴿ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله: ﴿ تَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴾<sup>(٣)</sup> وغير ذلك من الدلائل المذكورة في غير هذا الموضوع، مع أنكم مسلمون لهذه القاعدة، وهي قول عامة السلف وجمهور الفقهاء.

ومعارض بما رواه سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ أن رسول الله ﷺ قدم المدينة، فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء، فقال لهم ﷺ " ما هذا اليوم الذي تصومونه؟ " قالوا: هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق<sup>(٤)</sup> فيه فرعون وقومه، فصامه موسى شكرا لله<sup>(٥)</sup> فنحن نصومه تعظيما له، فقال رسول الله ﷺ " فنحن أحق وأولى بموسى منكم " فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه ﴿ متفق عليه<sup>(٦)</sup> .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: ﴿ كان يوم عاشوراء تعده اليهود عيداً، قال النبي ﷺ " فصوموه أنتم ﴾<sup>(٧)</sup> <sup>(٨)</sup> متفق عليه، وهذا اللفظ للبخاري، ولفظ مسلم<sup>(١)</sup> ﴿ تعظمه

(١) سورة الأنعام : من الآية ٩٠ .

(٢) سورة النحل : من الآية ١٢٣ .

(٣) سورة المائدة : من الآية ٤٤ .

(٤) في مسلم : وغرق . وكذا في ( ب ط ) .

(٥) قوله : ( لله ) لا توجد في مسلم . وكذلك في ( ج د ) .

(٦) انظر : صحيح البخاري : كتاب الصوم ، باب صيام يوم عاشوراء ، الحديث رقم (٢٠٠٤) من فتح الباري (٤ / ٢٤٤) ، وفي لفظه اختلاف يسير؛ وصحيح مسلم ، كتاب الصيام ، باب صوم يوم عاشوراء ، الحديث رقم (١١٣٠) ، الرقم الخاص (١٢٨) ، (٢ / ٧٩٦) ، واللفظ لمسلم .

(٧) البخاري الصوم (١٩٠١) ، مسلم الصيام (١١٣١) ، أحمد (٤٠٩/٤) .

(٨) صحيح البخاري ، في الكتاب والباب السابقين ، الحديث رقم (٢٠٠٥) من فتح الباري (٤ / ٢٤٤) .



اليهود وتتخذة عيداً ﴿ (٢) (٣) وفي لفظ له: " كان أهل خيبر يصومون يوم عاشوراء ويتخذونه عيداً، ويلبسون نساءهم فيه حليهم وشاراتهم " (٤) .

وعن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة (٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ﴿ كان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، وكان رسول الله ﷺ يجب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء، فسدل رسول الله ﷺ ناصيته، ثم فرق بعد ﴿ (٦) ، متفق عليه (٧) .

: أما المعارضة بكون شرع (٨) من قبلنا شرع لنا، ما لم يرد شرعنا بخلافه، فذاك مبني على مقدمتين، كلتاها منفية في مسألة التشبه بهم:

: أن يثبت أن ذلك شرع لهم، بنقل موثوق به، مثل أن يخبرنا الله في كتابه، أو على لسان رسوله، أو ينقل بالتواتر، ونحو ذلك، فأما مجرد الرجوع إلى قولهم، أو إلى ما في كتبهم، فلا يجوز بالاتفاق، والنبي ﷺ وإن كان قد استخبرهم فأخبروه، ووقف على ما في التوراة؛ فإنما ذلك لأنه لا يروج عليه باطلهم، بل الله سبحانه يعرفه ما يكذبون مما

(١) في المطبوعة: عكس فقال: وهذا لفظ مسلم. ولفظ البخاري. . إلخ. بينما الصحيح ما أثبتته كما في جميع النسخ المخطوطة، وكما هو في البخاري ومسلم أيضا.

(٢) البخاري المناقب (٣٧٢٦)، مسلم الصيام (١١٣١)، أحمد (٤٠٩/٤) .

(٣) صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء، الحديث رقم (١١٣١)، (٢ / ٧٩٦) .

(٤) المصدر السابق، تابع الحديث رقم (١١٣١)، (٢ / ٧٩٦) .

(٥) هو: عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أبو عبد الله، المدني من الفقهاء والثقات الأثبات، من الطبقة الثالثة، أخرج له الستة وغيرهم، توفي سنة (٩٤هـ) . انظر: تقريب التهذيب (١ / ٥٣٥)، (ت ١٤٦٩) ع .

(٦) البخاري اللباس (٥٥٧٣)، مسلم الفضائل (٢٣٣٦)، النسائي الزينة (٥٢٣٨)، أبو داود الترجل (٤١٨٨)، ابن ماجه اللباس (٣٦٣٢)، أحمد (٢٤٦/١) .

(٧) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب الفرق، الحديث رقم (٥٩١٧) من فتح الباري (١٠ / ٣٦١)؛ وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في سدل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم شعره وفرقه، الحديث رقم (٢٣٣٦)، (٤ / ١٨١٦) .

(٨) شرع: ساقطة من (أ) .

يصدقون، كما قد أخبره بكذبهم غير مرة. وأما نحن فلا نأمن أن يحدثونا بالكذب، فيكون فاسق، بل كافر قد جاءنا نبأ فاتبعناه، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم، ولا تكذبوهم ﴾ (١) (٢) .

: أن لا يكون في شرعنا بيان خاص لذلك، فأما إذا كان فيه بيان خاص: إما بالموافقة، أو بالمخالفة، استغني عن ذلك فيما ينهى عنه من موافقته، ولم (٣) يثبت أنه شرع لمن كان قبلنا، وإن ثبت فقد كان هدي نبينا ﷺ بخلافه، وبهم أمرنا نحن أن نتبع ونقتدي، وقد أمرنا نبينا ﷺ أن يكون هدينا مخالفا لهدي اليهود والنصارى، وإنما تجيء الموافقة في بعض الأحكام العارضة، لا في الهدي الراتب، والشعار الدائم. ثم ذلك بشرط: أن لا يكون قد جاء عن نبينا وأصحابه خلافه، أو ثبت أصل شرعه في ديننا، وقد ثبت عن نبي من الأنبياء أصله، أو وصفه (٤) مثل: فداء من نذر أو يذبح ولده بشاة، ومثل: الختان المأمور به في ملة إبراهيم عليه السلام، ونحو ذلك. وليس الكلام فيه.

وأما حديث عاشوراء: فقد ثبت (٥) أن رسول الله ﷺ كان يصومه قبل استخباره لليهود (٦) وكانت قريش تصومه، ففي الصحيحين، من حديث الزهري عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: ﴿ كانت قريش تصوم يوم عاشوراء في الجاهلية، وكان

(١) أبو داود العلم (٣٦٤٤) ، أحمد (١٣٦/٤) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ، الحديث رقم (٤٤٨٥) من فتح الباري (٨ / ١٧٠) ، ولفظه : " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم . . " الحديث .

(٣) في ( ج د ط ) : لم . بدون الواو .

(٤) في ( ج د ) : أو وضعه .

(٥) في ( ج د ) : وقد ثبت أيضا .

(٦) في ( ج د ) : اليهود .

رسول الله ﷺ يصومه (١) فلما هاجر إلى المدينة صامه، وأمر بصيامه، فلما فرض (٢) شهر رمضان قال: " من شاء صامه، ومن شاء تركه " (٣) وفي رواية: " وكان يوما تستر فيه الكعبة " (٤) .

وأخرجاه من حديث هشام عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: ﴿ كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان (٥) رسول الله ﷺ يصومه في الجاهلية، فلما قدم المدينة صامه، وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء (٦) " فمن شاء صامه، ومن شاء تركه " (٧) .

وفيهما عن عبد الله (٨) بن عمر رضي الله عنهما: ﴿ أن أهل الجاهلية كانوا يصومون عاشوراء، وأن رسول الله ﷺ صامه والمسلمون قبل أن يفترض رمضان، فلما افترض رمضان قال رسول الله ﷺ " إن عاشوراء يوم من أيام الله، فمن شاء صامه، ومن شاء تركه " (٩) (١٠) .

(١) في (ج د) زيادة: (في الجاهلية) ، وهي كذلك في رواية البخاري عن هشام بن عروة الآتية ، لكنها لا توجد في رواية الزهري .

(٢) في المطبوعة : صوم شهر رمضان .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، باب صوم يوم عاشوراء ، الحديث رقم (١١٢٥) ، (٢ / ٧٩٢)؛ وصحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب صيام يوم عاشوراء ، الحديث رقم (٢٠٠١) و (٤ / ٢٢٤) من فتح الباري .

(٤) جاءت هذه الرواية في صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب قول الله تعالى : " جعل الله الكعبة . . " إلخ ، الحديث رقم (١٥٩٢) من فتح الباري ، (٣ / ٤٥٤)؛ ومسنند أحمد (٦ / ٢٤٤) .

(٥) في (ج د) : فكان .

(٦) قوله : (ترك يوم عاشوراء) : لا يوجد في المطبوعة . وقال بدلها : (قال) .

(٧) صحيح البخاري ، وفي الكتاب والباب السابقين ، والحديث رقم (٢٠٠٢) من فتح الباري (٤ / ٢٤٤)؛ وصحيح مسلم ، الكتاب والباب ورقم الحديث السابق .

(٨) في المطبوعة : عبید الله . وهو تحريف .

(٩) البخاري الصوم (١٧٩٣) ، مسلم الصيام (١١٢٦) ، أبو داود الصوم (٢٤٤٣) ، ابن ماجه الصيام (١٧٣٧) ، أحمد (١٤٣/٢) ، الدارمي الصوم (١٧٦٢) .

(١٠) صحيح مسلم ، في الكتاب والباب السابقين ، الحديث رقم (١١٢٦) ، (٢ / ٧٩٢ ، ٧٩٣) .

فإذا كان أصل صومه لم يكن موافقا لأهل الكتاب، فيكون قوله: ﴿ فنحن أحق

بموسى منكم ﴾<sup>(١)</sup> توكيدا لصومه، وبيانا لليهود: أن الذي يفعلونه من موافقة موسى

نحن أيضا نفعله، فنكون أولى بموسى منكم.

ثم الجواب عن هذا، وعن قوله: ﴿ كان يجب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه

بشيء ﴾<sup>(٢)</sup> من وجوه:

: أن هذا كان متقدما، ثم نسخ الله ذلك، وشرع له مخالفة أهل الكتاب، وأمره

بذلك، وفي متن الحديث: " أنه سدل شعره موافقة لهم، ثم فرق شعره بعد " ولهذا صار

الفرق شعار المسلمين، وكان من الشروط على أهل الذمة " أن لا يفرقوا شعورهم " وهذا

كما أن الله شرع له في أول الأمر استقبال بيت المقدس موافقة لأهل الكتاب، ثم نسخ

ذلك، وأمر باستقبال الكعبة، وأخبر عن اليهود وغيرهم من السفهاء أنهم سيقولون: ﴿ مَا

وَلَدْتُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾<sup>(٣)</sup> .

وأخبر أنهم لا يرضون عنه حتى يتبع قبلتهم، وأخبره أنه: إن اتبع أهواءهم<sup>(٤)</sup> من بعد

ما جاء من العلم ما له من الله من ولي، ولا نصير، وأخبره<sup>(٥)</sup> أن: ﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ

مُؤَلِّيهَا ﴾<sup>(٦)</sup> وكذلك أخبره في موضع آخر<sup>(١)</sup> أنه جعل لكل شرعة ومنهاجا<sup>(٢)</sup> فالشعار

(١) البخاري الصوم (١٩٠٠)، مسلم الصيام (١١٣٠)، أبو داود الصوم (٢٤٤٤)، ابن ماجه الصيام (١٧٣٤)

، أحمد (٣١٠/١)، الدارمي الصوم (١٧٥٩) .

(٢) البخاري المناقب (٣٣٦٥)، مسلم الفضائل (٢٣٣٦)، النسائي الزينة (٥٢٣٨)، أبو داود الترجل (٤١٨٨)

، ابن ماجه اللباس (٣٦٣٢)، أحمد (٢٨٧/١) .

(٣) سورة البقرة: من الآية ١٤٢ .

(٤) كما جاء في سورة البقرة: الآية ١٢٠ .

(٥) في المطبوعة زاد: (أنه إن اتبع أهواءهم بعد الذي جاءه من العلم إنه إذا لمن الظالمين، وأخبر) . . إلخ، وهذا

خلاف جميع النسخ المخطوطة .

(٦) سورة البقرة: الآية ١٤٨ .

من جملة الشرعة.

والذي يوضح ذلك: أن هذا اليوم - عاشوراء - الذي صامه وقال: ﴿ نحن أحق بموسى منكم ﴾<sup>(٣)</sup> قد شرع - قبيل موته - مخالفة اليهود في صومه، وأمر ﷺ بذلك<sup>(٤)</sup> ولهذا كان ابن عباس رضي الله عنهما، وهو الذي يقول: ﴿ وكان يعجبه موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء ﴾<sup>(٥)</sup> ، وهو الذي روى قوله: ﴿ نحن أحق بموسى منكم ﴾<sup>(٦)</sup> أشد الصحابة رضي الله عنهم أمرا بمخالفة اليهود في صوم يوم عاشوراء، وقد ذكرنا أنه هو الذي روى شرع المخالفة.

وروى - أيضا - مسلم في صحيحه عن الحكم بن الأعرج<sup>(٧)</sup> قال: ﴿ انتهيت إلى ابن عباس، وهو متوسد رداءه في زمزم، فقلت له: أخبرني عن صوم يوم عاشوراء؟ فقال: " إذا رأيت هلال المحرم فاعدد، وأصبح يوم التاسع صائما. قلت: هكذا كان<sup>(٨)</sup> محمد ﷺ يصومه؟ قال: نعم ﴾<sup>(٩)</sup> .

(١) في المطبوعة: في غير موضع أنه . . إلخ .

(٢) كما جاء في سورة المائدة: الآية ٤٨ .

(٣) البخاري الصوم (١٩٠٠) ، مسلم الصيام (١١٣٠) ، أبو داود الصوم (٢٤٤٤) ، ابن ماجه الصيام (١٧٣٤) ، أحمد (٣١٠/١) ، الدارمي الصوم (١٧٥٩) .

(٤) في (ج د) : بذاك .

(٥) البخاري المناقب (٣٣٦٥) ، مسلم الفضائل (٢٣٣٦) ، النسائي الزينة (٥٢٣٨) ، أبو داود الترحل (٤١٨٨) ، ابن ماجه اللباس (٣٦٣٢) ، أحمد (٢٨٧/١) .

(٦) البخاري الصوم (١٩٠٠) ، مسلم الصيام (١١٣٠) ، أبو داود الصوم (٢٤٤٤) ، ابن ماجه الصيام (١٧٣٤) ، أحمد (٣١٠/١) ، الدارمي الصوم (١٧٥٩) .

(٧) هو : الحكم بن عبد الله بن إسحاق بن الأعرج البصري ، قال ابن حجر في التقريب : " ثقة ربما وهم " ، ومن الطبقة الثالثة ، أخرج له مسلم وغيره . انظر : تقريب التهذيب ( ١ / ١٩١ ) ، (ت ٤٨٦) ح .

(٨) في المطبوعة : كان يصوم محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم . أي يتقدم : يصومه ، وهو خلاف ما في مسلم وخلاف النسخ الأخرى أيضا .

(٩) صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، باب أي يوم يصام في عاشوراء ، الحديث رقم (١١٣٣) ، (٢ / ٧٩٧) .

وروى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ﴿لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع﴾<sup>(١)</sup> ، يعني<sup>(٢)</sup> يوم عاشوراء<sup>(٣)</sup> .

ومعنى<sup>(٤)</sup> قول ابن عباس: "صم التاسع" ، يعني: والعاشر<sup>(٥)</sup> . هكذا ثبت عنه، وعلله بمخالفة اليهود، قال سعيد<sup>(٦)</sup> بن منصور: حدثنا سفيان بن عمرو بن دينار أنه سمع عطاء، سمع ابن عباس رضي الله عنهما، يقول: "صوموا التاسع والعاشر، خالفوا اليهود"<sup>(٧)</sup> .

وروينا في فوائد داود بن عمرو<sup>(٨)</sup> عن إسماعيل بن عليّة قال: ذكروا عند ابن أبي نجيح، أن ابن عباس كان يقول "يوم عاشوراء يوم التاسع" ، فقال ابن أبي نجيح: إنما قال ابن عباس: "أكره أن أصوم فاردا، ولكن صوموا قبله يوما، أو بعده يوما"<sup>(٩)</sup> .

ويحقق ذلك: ما رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿أمر رسول

الله ﷺ بصوم يوم عاشوراء العاشر من المحرم﴾<sup>(١٠)</sup> ، قال الترمذي: "هذا حديث<sup>(١١)</sup>

(١) مسلم الصيام (١١٣٤) ، أبو داود الصوم (٢٤٤٥) .

(٢) في المطبوعة زاد: "مع" ، وهي ليست في مسلم ولا في النسخ الأخرى .

(٣) صحيح مسلم ، الكتاب والباب السابقين ، تابع الحديث رقم (١١٣٤) ، (٢ / ٧٩٨) .

(٤) في المطبوعة : وقد مضى .

(٥) في المطبوعة زاد : خالفوا اليهود .

(٦) في المطبوعة : يحيى بن منصور ، وقد خالفت جميع النسخ المخطوطة .

(٧) وأخرجه البيهقي بسند آخر ، وذكر سندنا ثالثا عن ابن عباس : انظر : السنن الكبرى للبيهقي (٤ / ٢٨٧)؛

وعبد الرزاق في المصنف (٤ / ٢٨٧) ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، وإسناده صحيح .

(٨) هو : داود بن عمرو بن زهير الضبي ، أبو سليمان ، البغدادي ، محدث ثقة ، توفي سنة (٢٢٨هـ) . انظر :

تذكرة الحفاظ (١ / ٤٥٧) ، (ت ٤٦٥) الجزء الثاني؛ وتهذيب التهذيب (٣ / ٢٩٥) ، (ت ٣٦٩) .

(٩) لم أجد فوائد داود بن عمرو هذه ، كما لم أجد كلام ابن أبي نجيح في المصادر التي اطلعت عليها .

(١٠) الترمذي الصوم (٧٥٥) .

(١١) حديث " : سقطت من (ب) . وهي في الترمذي : " حديث ابن عباس حسن صحيح " (٣ / ١٢٨) .

حسن صحيح " (١) .

وروى سعيد في سننه عن هشيم، عن ابن أبي ليلى (٢) عن داود بن علي، عن أبيه، عن جده ابن عباس (٣) قال: قال رسول الله ﷺ ﴿صوموا يوم عاشوراء، وخالفوا فيه اليهود، صوموا يوماً قبله، أو (٤) يوماً بعده﴾ (٥) . ورواه أحمد، ولفظه: ﴿صوموا قبله يوماً، أو (٦) بعده يوماً﴾ (٧) . ولهذا نص أحمد على مثل ما رواه ابن عباس وأفتى به، فقال في رواية الأثرم (٨) " أنا أذهب في عاشوراء: إلى أن يصام يوم التاسع والعاشر؛ لحديث (٩) ابن عباس: ﴿صوموا التاسع والعاشر﴾ (١٠) .

وقال حرب: سألت أحمد عن صوم يوم عاشوراء، فقال: " يصوم التاسع والعاشر " (١١) .

- 
- (١) أخرجه الترمذي في كتاب الصوم ، باب ما جاء في عاشوراء أي يوم هو ، الحديث رقم (٧٥٤) ، (٣ / ١٢٨) ، ولفظه : " أمر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بصوم عاشوراء ، يوم العاشر " .
- (٢) هو : محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي . مرت ترجمته . انظر : فهرس الأعلام .
- (٣) في ( ب ) : عن ابن عباس : والمثبت أصح .
- (٤) في ( ب ) : يوماً بعده . والصحيح : أو .
- (٥) وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٣ / ٢٩٠ ، ٢٩١) ؛ والبيهقي في سننه (٤ / ٢٨٧) ؛ وأحمد في المسند (١ / ٢٤١) باللفظ الذي أشار إليه المؤلف بعد ، وفي سننه عندهم كلهم : ابن أبي ليلى ، ثقة ، لكنه سبى الحفظ . مرت ترجمته . انظر : فهرس الأعلام .
- (٦) في ( ب ) : ويوما . . . والصحيح : أو .
- (٧) مسند أحمد (١ / ٢٤١) .
- (٨) في المطبوعة : الأثر . ولعل الميم سقطت سهوا .
- (٩) في ( ج د ) : اللام من (الحديث) سقطت .
- (١٠) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ، كتاب الصيام ، باب صيام يوم عاشوراء ، حديث رقم (٧٨٣٩) ، (٤ / ٢٨٧) موقوفا على ابن عباس بإسناد صحيح؛ والبيهقي عن عبد الرزاق أيضا (٤ / ٢٨٧) بإسناد عبد الرزاق في مصنفه .
- (١١) انظر : المغني والشرح الكبير (٣ / ١٠٤) في المغني .

وقال في رواية الميموني<sup>(١)</sup> وأبي الحارث<sup>(٢)</sup> " من أراد أن يصوم عاشوراء صام التاسع والعاشر، إلا أن تشكل الشهور فيصوم ثلاثة أيام؛ ابن سيرين يقول ذلك " (٣) .  
وقد قال بعض أصحابنا: إن الأفضل: صوم التاسع والعاشر، وإن اقتصر على العاشر لم يكره.

ومقتضى كلام أحمد: أنه يكره الاقتصار على العاشر؛ لأنه سئل عنه فأفتى بصوم اليومين، وأمر بذلك، وجعل هذا هو السنة لمن أراد صوم<sup>(٤)</sup> عاشوراء، واتبع في ذلك حديث ابن عباس، وابن عباس كان يكره أفراد العاشر على ما هو مشهور عنه.  
ومما يوضح ذلك: أن كل ما جاء من التشبه بهم، إنما كان في صدر الهجرة، ثم نسخ؛ ذلك أن<sup>(٥)</sup> اليهود إذ ذاك، كانوا لا يتميزون عن المسلمين لا في شعور، ولا في لباس، لا بعلامة، ولا غيرها.

ثم إنه ثبت بعد ذلك في الكتاب والسنة والإجماع، الذي كمل ظهوره في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما شرعه الله من مخالفة الكافرين ومفارقتهم في الشعار والهدى.  
وسبب ذلك: أن المخالفة لهم لا تكون إلا مع ظهور الدين وعلوه كالجهاد، وإلزامهم بالجزية<sup>(٦)</sup> والصغار، فلما كان المسلمون في أول الأمر ضعفاء؛ لم تشرع المخالفة لهم، فلما كمل الدين وظهر وعلا؛ شرع بذلك.

ومثل ذلك اليوم: لو أن المسلم بدار حرب، أو دار كفر غير حرب؛ لم يكن مأمورا بالمخالفة لهم في الهدى الظاهر، لما عليه في ذلك من الضرر<sup>(٧)</sup> بل قد يستحب للرجل، أو

(١) هو : عبد الملك بن عبد الحميد بن مهران الميموني الرقي ، مرت ترجمته . انظر : فهرس الأعلام .

(٢) هو : أحمد بن محمد ، أبو الحارث ، الصائغ ، كان الإمام أحمد يأمن به ويقدمه ويكرمه ، وروى عن الإمام مسائل كثيرة وجود الرواية عنه . انظر : طبقات الحنابلة ( ١ / ٧٤ — ٧٥ ) ، ( ت ٥٩ ) .

(٣) انظر : المغني والشرح الكبير ( ٣ / ١٠٤ ) في المغني .

(٤) في ( د ) : صوم يوم عاشوراء .

(٥) في المطبوعة : لأن .

(٦) في ( ج د ) : الجزية .

(٧) في ( ب ) : لما عليه من الضرر في ذلك .



يجب عليه، أن يشاركهم أحيانا في هديهم الظاهر، إذا كان في ذلك مصلحة دينية: من (١)  
دعوتهم إلى الدين، والاطلاع على باطن أمرهم لإخبار المسلمين بذلك، أو دفع ضررهم  
عن المسلمين، ونحو ذلك من المقاصد الصالحة.

فأما في دار الإسلام والهجرة، التي أعز الله فيها دينه، وجعل على الكافرين بها الصغار  
والجزية، ففيها شرعت المخالفة. وإذا ظهر أن (٢) الموافقة والمخالفة تختلف لهم (٣)  
باختلاف الزمان والمكان (٤)؛ ظهرت حقيقية الأحاديث في هذا.

: لو فرضنا أن ذلك لم ينسخ، فالنبي ﷺ وهو الذي كان له أن يوافقهم؛  
لأنه يعلم حقهم من باطلهم؛ بما يعلمه الله إياه، ونحن نتبعه، فأما نحن فلا يجوز لنا أن نأخذ  
شيئا من الدين عنهم: لا من أقوالهم، ولا من أفعالهم، بإجماع المسلمين المعلوم بالاضطرار  
من دين الرسول ﷺ ولو قال رجل: يستحب لنا موافقة أهل الكتاب، الموجودين في  
زماننا؛ لكان قد خرج عن دين الأمة.

(٥) : أن نقول بموجبه: كان يعجبه موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه  
بشيء، ثم إنه أمر بمخالفتهم، وأمرنا نحن أن نتبع هديه وهدى أصحابه السابقين الأولين،  
من المهاجرين والأنصار.

والكلام إنما هو في أنا منهيون عن التشبه بهم فيما لم يكن سلف الأمة عليه، فأما ما  
كان سلف الأمة عليه، فلا ريب فيه؛ سواء فعلوه، أو تركوه؛ فإننا لا نترك ما أمر الله به  
لأجل أن الكفار تفعله مع أن الله لم يأمرنا بشيء يوافقونا عليه إلا ولا بد فيه من نوع  
مغايرة يتميز بها دين الله المحكم مما قد نسخ، أو بدل.

(١) في (ب) : متى دعوتهم .

(٢) أن : ساقطة من المطبوعة .

(٣) تختلف : ساقطة من المطبوعة .

(٤) المكان : ساقطة من المطبوعة .

(٥) أي : الوجه الثالث من وجوه الجواب على الاعتراض المفترض (ص ٤٦٢) .

قد ذكرنا من دلائل الكتاب والسنة والإجماع والآثار والاعتبار، ما دل على أن التشبه بهم<sup>(١)</sup> في الجملة منهي عنه، وأن مخالفتهم في هديهم مشروع، إما إيجاباً، وإما استحباباً بحسب المواضع.

وقد تقدم بيان: أن ما أمر<sup>(٢)</sup> به من مخالفتهم: مشروع، سواء كان ذلك الفعل مما قصد فاعله التشبه بهم، أو لم يقصد، وكذلك ما نهي عنه من مشابكتهم: يعم ما إذا قصدت مشابكتهم، أو لم تقصد؛ فإن عامة هذه الأعمال لم يكن المسلمون يقصدون المشاهدة فيها، وفيها ما لا يتصور قصد المشاهدة فيه، كيباض الشعر، وطول الشارب، ونحو ذلك.

ثم اعلم أن أعمالهم ثلاثة أقسام:

- قسم مشروع في ديننا، مع كونه كان مشروعاً لهم، أو لا يعلم أنه كان مشروعاً لهم<sup>(٣)</sup> لكنهم يفعلونه الآن.

- وقسم كان مشروعاً ثم نسخه شرع القرآن.

- وقسم لم يكن مشروعاً بحال، وإنما هم أحدثوه.

وهذه الأقسام الثلاثة: إما أن تكون<sup>(٤)</sup> في العبادات المحضة، وإما أن تكون<sup>(٥)</sup> في العادات المحضة، وهي الآداب، وإما أن تجمع العبادات والعادات، فهذه تسعة أقسام<sup>(٦)</sup> -.

(١) الضمير يرجع إلى الكفار والأعاجم ونحوهم ممن سبق الكلام عن النهي عن التشبه بهم .

(٢) في المطبوعة : ما أمرنا الله ورسوله به .

(٣) لهم : ساقطة من ( ب ) .

(٤) في ( ب ) : يكون .

(٥) في ( ب ) : يكون .

(٦) وهي مجملة : ١- ما كان مشروعاً في ديننا ، وهو مشروع لهم ، أو لا يعلم كونه مشروعاً لهم من العبادات

المحضة . ٢- ما كان مشروعاً في ديننا ، هو مشروع لهم ، أو لا يعلم كونه مشروعاً لهم من العادات المحضة .

٣- ما كان مشروعاً في ديننا ، وهو مشروع لهم ، أو لا يعلم كونه مشروعاً لهم من العادات والعبادات . ٤-

ما كان مشروعاً في دينهم ثم نسخه القرآن من العبادات المحضة . ٥- ما كان مشروعاً في دينهم ثم نسخه

: وهو ما كان مشروعاً في الشريعتين، أو ما كان مشروعاً لنا وهم يفعلونه، فهذا كصوم عاشوراء، أو كأصل الصلاة والصيام، فهنا تقع <sup>(١)</sup> - المخالفة في صفة ذلك العمل، كما سن لنا صوم تاسوعاء وعاشوراء، كما أمرنا بتعجيل الفطور والمغرب مخالفة لأهل الكتاب، وتأخير السحور مخالفة لأهل الكتاب.

وكما أمرنا بالصلاة في النعلين مخالفة لليهود، وهذا كثير في العبادات، وكذلك في العادات، قال ﷺ ﴿اللحد لنا والشق لغيرنا﴾ <sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup> وسن توجيه قبور المسلمين إلى الكعبة؛ تمييزاً لها عن مقابر الكافرين، فإن أصل الدفن من الأمور المشروعة، في الأمور العادية، ثم قد اختلفت <sup>(٤)</sup> الشرائع في صفته، وهو أيضاً فيه عبادات، ولباس النعل <sup>(٥)</sup> في الصلاة فيه عبادة وعادة، ونزع النعل <sup>(٦)</sup> في الصلاة شريعة كانت لموسى عليه السلام، وكذلك اعتزال الحيض <sup>(٧)</sup> ونحو ذلك من الشرائع التي جامعناهم في أصلها، وخالفناهم في وصفها.

: ما كان مشروعاً ثم نسخ بالكلية: كالسبت <sup>(٨)</sup> أو إيجاب صلاة، أو

القرآن من العبادات المحضة . ٦- ما كان مشروعاً في دينهم ثم نسخه القرآن من العبادات والعبادات . ٧- ما لم يكن مشروعاً بحال وإنما هم أحدثوه من العادات المحضة . ٨- ما لم يكن مشروعاً بحال وإنما هم أحدثوه من العادات المحضة . ٩- ما لم يكن مشروعاً بحال وإنما هم أحدثوه من العادات والعبادات .

(١) في (ب) : فبهذا يقع .

(٢) الترمذي الجنائز (١٠٤٥) ، النسائي الجنائز (٢٠٠٩) ، أبو داود الجنائز (٣٢٠٨) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٥٥٤)

(٣) مر تخريج الحديث . انظر : فهرس الأحاديث .

(٤) في (ب) : أحلف .

(٥) في (ج د) : النعلين .

(٦) في (ج د) : النعلين .

(٧) في (ب) (المطبوعة : الحائض .

(٨) السبت هو : سبت اليهود ، وهو عيد الأسبوع عندهم ، بمثابة يوم الجمعة للمسلمين ، وقد حرم الله الصيد ، صيد البحر ، يوم السبت على اليهود امتحاناً ، فخالفوا أمر الله تعالى في ذلك ، كما أن اليهود زادوا في السبت من العوائد والتقاليد ما لم يشرعه الله ، فلا يجوز للمسلمين أن يقلدوهم في شيء من ذلك ، ومثله الأحد عند

صوم، ولا يخفى النهي عن موافقتهم في هذا، سواء كان واجبا عليهم فيكون عبادة، أو محرما عليهم فيتعلق بالعادات، فليس للرجل أن يمتنع من أكل الشحوم وكل ذي ظفر على وجه التدين بذلك، وكذلك ما كان مركبا منهما، وهي الأعياد التي كانت مشروعة لهم، فإن العيد المشروع يجمع عبادة. وهو ما فيه من صلاة، أو ذكر، أو صدقة، أو نسك، ويجمع عادة، وهو ما يفعل فيه من التوسع في الطعام واللباس، أو ما يتبع ذلك من ترك الأعمال الواضبة<sup>(١)</sup> واللعب المأذون فيه في الأعياد لمن ينتفع باللعب، ونحو ذلك.

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم - لما زجر أبو بكر رضي الله عنه الجويريتين عن الغناء في بيته - : ﴿ **دعهما يا أبا**

**بكر فإن لكل قوم عيدا، وإن هذا عيدنا** ﴾<sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup> وكان الحبشة يلعبون بالحراب يوم العيد، والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر إليهم.

فالأعياد المشروعة يشرع فيها - وجوبا، أو استحبابا - : من العبادات ما لا يشرع في غيرها، ويباح فيها، أو يستحب، أو يجب من العادات التي للنفوس فيها حظ، ما لا يكون في غيرها كذلك. ولهذا وجب فطر العيدين، وقرن بالصلاة في أحدهما الصدقة، وقرن بها في الآخر الذبح. وكلاهما من أسباب الطعام.

فموافقتهم في هذا القسم المنسوخ من العبادات، أو العادات، أو كلاهما: أقبح من

---

النصارى ، فلا يجوز للمسلمين اتخاذه عيدا للأسبوع ، ومن المؤلم أن بعض بلاد المسلمين لا تزال تتخذ الأحد عيدا للأسبوع تقليدا للنصارى ومجارة لهم ، أو إبقاء على ما سانه المستعمرون الكفار حين احتلوا تلك البلاد .  
(١) في المطبوعة : " الواجبة " لكنها في جميع المخطوطات : الواضبة : والأصح : الواظبة ، من المواظبة وهي المداومة . انظر : القاموس المحيط ، باب الباء ، فصل الواو ( ١ / ١٤٢ ) ، والواظبة : الأعمال الراتبية التي يداوم عليها الإنسان .

(٢) البخاري المناقب (٣٧١٦) ، مسلم صلاة العيدين (٨٩٢) ، النسائي صلاة العيدين (١٥٩٣) ، ابن ماجه النكاح (١٨٩٨) ، أحمد (١٣٤/٦) .

(٣) الحديث متفق عليه : انظر : صحيح البخاري ، كتاب العيدين ، باب سنة العيدين لأهل الإسلام ، حديث رقم (٩٥٢) ، (٤٤٥ / ٢) من فتح الباري ، وليس فيه قوله ، " دعهما " ، لكنه رواه بطرق وألفاظ أخرى فيها " دعهما " . وصحيح مسلم ، كتاب العيدين ، باب الرخصة في اللعب ، حديث رقم (٨٩٢) ، (٦٠٧ / ٢) ، وليس فيه " دعهما " أيضا ، لكنه رواه من طرق وألفاظ أخرى أيضا فيها " دعهما " .

---

---

موافقتهم فيما هو مشروع الأصل، ولهذا كانت الموافقة في هذا محرمة، كما سنذكره، وفي الأول قد لا تكون إلا مكروهة.

: وهو ما أحدثوه من العبادات، أو العادات، أو كليهما <sup>(١)</sup> فهو <sup>(٢)</sup> أقبح وأقبح؛ فإنه لو أحدثه المسلمون لقد كان يكون قبيحا، فكيف إذا كان مما لم يشرعه نبي قط؟ بل أحدثه الكافرون، فالموافقة فيه ظاهرة القبح، فهذا أصل.

وأصل آخر وهو: أن كل ما يشاهون فيه: من عبادة، أو عادة، أو كليهما <sup>(٣)</sup> هو: من المحدثات في هذه الأمة، ومن البدع، إذ الكلام في ما كان من خصائصهم، وأما ما كان مشروعاً لنا، وقد فعله سلفنا السابقون: فلا كلام فيه.

فجميع الأدلة الدالة من الكتاب والسنة والإجماع على قبح البدع، وكراهتها تحريماً أو تترها، تندرج هذه المشابهات فيها، فيجتمع فيها أنها بدع محدثة، وأنها مشابهة للكافرين، وكل واحد من الوصفين موجب للنهي؛ إذ المشابهة منهي عنها في الجملة ولو كانت في السلف <sup>(٤)</sup> ! والبدع منهي عنها في الجملة، ولو لم يفعلها الكفار، فإذا اجتمع الوصفان صاراً علتين مستقلتين في القبح والنهي.

---

(١) جاء في جميع النسخ: " أو كلاهما " بالرفع، والصحيح " كليهما " كما أثبتته؛ لأنه معطوف على مجرور .

(٢) في ( ب ) : فهذا .

(٣) في جميع النسخ المخطوطة: أو كلاهما . والصحيح ما أثبتته كما أسلفت .

(٤) أي أن المشابهة للكفار والأعاجم في شيء من أمورهم منهي عنها ، حتى ولو كانت يفعلها بعض المتدعين أو الجهال ونحوهم في عهود السلف .

( )

إذا تقرر هذا الأصل في مشاهرتهم فنقول:

موافقتهم في أعيادهم لا تجوز من طريقين:

: هو ما تقدم من أن هذا موافقة لأهل الكتاب فيما ليس في ديننا، ولا

عادة سلفنا، فيكون فيه مفسدة موافقتهم، وفي تركه مصلحة مخالفتهم، حتى لو كان

موافقتهم في ذلك أمرا اتفاقيا، ليس مأخوذا عنهم، لكان المشروع لنا مخالفتهم؛ لما في

مخالفتهم من المصلحة - كما تقدمت الإشارة إليه - فمن وافقهم فوّت على نفسه هذه

المصلحة، وإن لم يكن قد أتى بمفسدة، فكيف إذا جمعها؟

ومن جهة أنه من البدع المحدثّة، وهذه الطريق لا ريب أنها تدل على كراهة التشبه بهم

في ذلك، فإن أقل أحوال التشبه بهم: أن يكون مكروها، وكذلك أقل أحوال البدع: أن

تكون مكروهة، ويدل كثير منها على تحريم التشبه بهم في العيد، مثل قوله ﷺ ﴿ من تشبه

بقوم فهو منهم ﴾<sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup> فإن موجب هذا: تحريم التشبه بهم مطلقا.

وكذلك قوله: ﴿ خالفوا المشركين ﴾<sup>(٤)</sup> ونحو ذلك، ومثل ما ذكرنا من دلالة

الكتاب والسنة على تحريم سبيل المغضوب عليهم والضالين، وأعيادهم من سبيلهم، إلى غير

ذلك من الدلائل.

(١) ما بين المعكوفين ليس في الأصل . وأضفناه للبيان .

(٢) أبو داود اللباس (٤٠٣١) .

(٣) سبق تخريج الحديث ، انظر : فهرس الأحاديث .

(٤) البخاري اللباس (٥٥٥٤) ، مسلم الطهارة (٢٥٩) ، الترمذي الأدب (٢٧٦٤) ، أبو داود الترجل (٤١٩٩)

، أحمد (١٦/٢) ، مالك الجامع (١٧٦٤) .

---

---

فمن انعطف<sup>(١)</sup> على ما تقدم من الدلائل العامة: نصا وإجماعا وقياسا، تبين له دخول هذه المسألة في كثير مما تقدم من الدلائل، وتبين له أن هذا من جنس أعمالهم، التي هي دينهم، أو شعار دينهم الباطل، وأن هذا محرم كله بخلاف ما لم يكن من خصائص دينهم، ولا شعارا له<sup>(٢)</sup> مثل نزع النعلين في الصلاة فإنه جائز، كما أن لبسهما جائز، وتبين له أيضا: الفرق بين ما بقينا فيه على عادتنا، لم نحدث شيئا نكون به موافقين لهم فيه، وبين أن نحدث أعمالا أصلها مأخوذ عنهم، قصدنا موافقتهم، أو لم نقصد.

---

(١) الانعطاف هو: الانتشاء والميل، ومعنى العبارة هنا: أن من رجع إلى الأدلة ومال إليها تبين له الحق منها. انظر

: القاموس المحيط، فصل العين، باب الفاء (٣ / ١٨١، ١٨٢).

(٢) في (ج د): لهم.

## النهي عن موافقتهم في أعيادهم بالكتاب

: فالكتاب والسنة والإجماع

(١)

والاعتبار (٢)

: فمما تأوله غير واحد من التابعين وغيرهم، في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ

لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ (٣) فروى أبو بكر الخلال

في "الجامع" (٤) بإسناده عن محمد بن سيرين في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا

يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ (٥) قال: " هو الشعانين " (٦) .

وكذلك ذكر عن مجاهد قال: " هو (٧) أعياد المشركين " وكذلك عن الربيع بن

أنس (٨) قال: أعياد المشركين (٩) .

(١) أي : الطريق الثاني في بيان أن موافقة الكفار في أعيادهم لا تجوز .

(٢) في ( ج د ) : والاعتبار .

(٣) سورة الفرقان : الآية ٧٢ .

(٤) " الجامع " كتاب ألفه (الخلال ) جمع فيه مسائل الإمام أحمد وعلومه وأقواله وآثاره . انظر : مناقب الإمام

أحمد لابن الجوزي (٦١٨) .

(٥) سورة الفرقان آية : ٧٢ .

(٦) الشعانين : عيد للنصارى يقيمونه يوم الأحد السابق لعيد الفصح ، ويحتفلون فيه بحمل السعف ، ويزعمون أن

ذلك ذكرى لدخول المسيح بيت المقدس . انظر : المعجم الوسيط ( ١ / ٤٤٨ ) ، وانظر : (ص ٥٣٧) من هذا

الجزء .

(٧) الضمير يعود على الزور .

(٨) هو : الربيع بن أنس البكري - ويقال : الحنفي - البصري ، ثم الخراساني ، قال العجلي وأبو حاتم : صدوق ،

وقال النسائي : ليس به بأس ، وذكره ابن حبان في الثقات ، ورماه بعضهم بالتشيع ، وقال ابن حجر في

التقريب : صدوق ، له أوهام ، أخرج له الستة سوى البخاري ومسلم ، ومات سنة (١٤٠هـ) . انظر :

تهذيب التهذيب ( ٣ / ٢٣٨ ، ٢٣٩ ) ، (ت ٤٦١)؛ وتقريب التهذيب ( ١ / ٢٤٣ ) ، (ت ٣١) ر .

(٩) انظر : تفسير ابن كثير ( ٣ / ٣٢٨ ، ٣٢٩ ) .



وفي معنى هذا: ما روي عن عكرمة قال: " لعب كان لهم في الجاهلية <sup>(١)</sup> .  
وقال القاضي أبو يعلى: مسألة: في النهي عن حضور أعياد المشركين:  
روى أبو الشيخ الأصبهاني بإسناده في شروط أهل الذمة، عن الضحاك في قوله تعالى:  
﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ <sup>(٢)</sup> قال: " عيد المشركين " <sup>(٣)</sup> .  
وإسناده عن أبي سنان عن الضحاك " : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ <sup>(٤)</sup>  
كلام الشرك " <sup>(٥)</sup> . وإسناده عن جوير <sup>(٦)</sup> عن الضحاك ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ  
الزُّورَ ﴾ <sup>(٧)</sup> : قال: " أعياد المشركين " وروى بإسناده، عن عمرو بن مرة: ﴿ لَا  
يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ <sup>(٨)</sup> : " لا يماثلون <sup>(٩)</sup> أهل الشرك على شركهم ولا يخالطوهم " <sup>(١٠)</sup> .  
وإسناده عن عطاء بن يسار <sup>(١١)</sup> قال: قال عمر: " إياكم ورتانة الأعاجم، وأن

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٣ / ٧٩ ، ٨٠) .

(٢) سورة الفرقان آية : ٧٢ .

(٣) وذكره السيوطي في الدر المنثور عن ابن عباس (٥ / ٨٠) .

(٤) سورة الفرقان آية : ٧٢ .

(٥) انظر: تفسير ابن جرير (١٩ / ٣١) .

(٦) هو : جوير بن سعيد الأزدي ، أبو القاسم ، البلخي ، عداده في الكوفيين ، قال ابن معين : ليس بشيء ،

وقال النسائي والدارقطني : متروك ، وضعفه الأئمة في الحديث ، أما في التفسير فقالوا : روايته مقبولة ، مات

بين سنة (١٤٠ و ١٥٠هـ) . انظر : تهذيب التهذيب (٢ / ١٢٣ ، ١٢٤) ، (ت ٢٠٠) .

(٧) سورة الفرقان آية : ٧٢ .

(٨) سورة الفرقان آية : ٧٢ .

(٩) في ( ب ) : لا يماثلون .

(١٠) في ( ب ) : ولا يخالطوهم .

(١١) هو : عطاء بن يسار الهلالي المدني القاضي ، مولى ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، أبو

محمد ، وثقه ابن معين والنسائي وابن سعد وأبو زرعة وغيرهم ، وأخرج له الستة وغيرهم ، وكان صاحب

قصص ، وعبادة وفضل ، توفي بالإسكندرية سنة (١٠٣هـ) وعمره (٨٤) سنة . انظر : طبقات ابن سعد (٥

/ ١٧٣ ، ١٧٤)؛ وتهذيب التهذيب (٧ / ٢١٧ ، ٢١٨) ، (ت ٤٠٣) ع .

تدخلوا على المشركين يوم عيدهم في كنائسهم " (١) .

وقول هؤلاء التابعين: " إنه أعياد الكفار " ليس مخالفا لقول بعضهم: " إنه الشرك " ،  
أو صنم (٢) كان في الجاهلية، ولقول بعضهم: إنه مجالس الخنا، وقول بعضهم: إنه الغناء؛  
لأن عادة السلف في تفسيرهم هكذا: يذكر الرجل نوعا من أنواع المسمى لحاجة المستمع  
إليه، أو لينبه به على الجنس، كما لو قال العجمي: ما الخبز؟ فيعطى رغيفا ويقال له:  
هذا، بالإشارة إلى الجنس، لا إلى عين الرغيف.

لكن قد قال قوم: إن المراد: شهادة الزور التي هي الكذب، وهذا فيه نظر، فإنه تعالى  
قال: ﴿ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ (٣) ولم يقل: لا يشهدون بالزور.

والعرب تقول: شهدت كذا: إذا حضرته، كقول ابن عباس: " شهدت العيد (٤) مع  
رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم " (٥) وقول عمر: " الغنيمة لمن شهد الواقعة " (٦)  
وهذا كثير في كلامهم، وأما: شهدت بكذا، فمعناه: أخبرت به.

ووجه تفسير التابعين المذكورين: أن الزور هو المحسن المموه، حتى يظهر بخلاف ما هو  
عليه في الحقيقة، ومنه قوله ﷺ ﴿ المتشعب (٧) بما لم يعط كلابس ثوبي زور ﴾ (١) لما كان

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف بإسناده عن عمر . انظر : المصنف ( ١ / ٤١١ ) ، رقم ( ١٦٠٨ ) ، باب الصلاة في البيعة  
، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ( ٩ / ٢٣٤ ) ، وانظر : كتر العمال ( ٣ / ٨٨٦ ) ، رقم ( ٩٠٣٤١ ) ، وكتر  
العمال أيضا ( ١ / ٤٠٥ ) ، رقم ( ١٧٣٢ ) بلفظ آخر عزاه إلى البخاري في تاريخه ، والبيهقي في شعب الإيمان .

(٢) في ( د ) : صتم ، ولا معنى لها ، فلعله تحريف من الناسخ .

(٣) سورة الفرقان آية : ٧٢ .

(٤) في ( ج ) : العيد ، والعيد هو الصواب .

(٥) وبقية الحديث (وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، فكلهم كانوا يصلون قبل الخطبة " . أخرجه  
البخاري ، كتاب العيدين ، باب الخطبة بعد العيد ، حديث رقم ( ٩٦٢ ) من فتح الباري ، ( ٢ / ٤٥٣ ) .

(٦) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ، باب لمن الغنيمة برقم ( ٩٦٨٩ ) ، ( ٥ / ٣٠٣ ) .

(٧) في ( ج ) : المتشعب . والمتشعب هو : المتزين بأكثر مما عنده يتكثر به ويتزين بالباطل . انظر : مختار الصحاح (ص

( ٣٢٧ ) ، مادة ( ش ب ع ) .

يظهر مما يعظم به مما ليس عنده، فالشاهد بالزور<sup>(٢)</sup> يظهر كلاماً يخالف الباطن، ولهذا فسره السلف تارة بما يظهر حسنه لشبهه، أو لشهوة، وهو قبيح في الباطن، فالشرك ونحوه: يظهر حسنه للشبهه، والغناء ونحوه: يظهر حسنه للشهوة.

وأما أعياد المشركين: فجمعت الشبهه والشهوة، وهي باطل<sup>(٣)</sup>؛ إذ لا منفعة فيها في الدين، وما فيها من اللذة العاجلة: فعاقبتها إلى ألم، فصارت زورا، وحضورها: شهودها، وإذا كان الله قد مدح ترك شهودها، الذي هو مجرد الحضور برؤية أو سماع، فكيف بالموافقة بما يزيد على ذلك، من العمل الذي هو عمل الزور، لا مجرد شهوده؟

ثم<sup>(٤)</sup> مجرد هذه الآية، فيها الحمد لهؤلاء والثناء عليهم، وذلك وحده يفيد الترغيب في ترك شهود أعيادهم، وغيرها من الزور، ويقتضي الندب إلى ترك حضورها وقد يفيد كراهية حضورها لتسمية الله لها زورا.

فأما تحريم شهودها من هذه الآية ففيه نظر، ودلالته على تحريم فعلها أوجه؛ لأن الله تعالى سماها زورا، وقد ذم من يقول الزور، وإن لم<sup>(٥)</sup> يضر غيره لقوله في المتظاهرين<sup>(٦)</sup> ﴿وَأَيُّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾<sup>(٧)</sup> وقال تعالى: <sup>(٨)</sup>

﴿وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾<sup>(٩)</sup> ففاعل الزور كذلك.

(١) الحديث متفق عليه . انظر : صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب المتشيع لما لم ينل ، حديث رقم (٥٢١٩) من فتح الباري ، (٩ / ٣١٧)؛ وصحيح مسلم ، كتاب اللباس ، باب النهي عن التزوير في اللباس وغيره ، حديث رقم (٢١٢٩) و (٢١٣٠) ، (٣ / ١٦٨١) .

(٢) في (ب) : مظهر .

(٣) في (ب) : وهي باطلة ، وفي المطبوعة : والباطل .

(٤) قوله : (بجرد شهوده) ثم : سقط من (ج د) .

(٥) لم : سقطت من (ج د) .

(٦) في (أ) : المناظرين .

(٧) سورة المجادلة : من الآية ٢ .

(٨) في المطبوعة : ذكر صدر الآية : (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ) .

(٩) سورة الحج : من الآية ٣٠ .

وقد يقال: قول الزور أبلغ من فعله، ولأنهم إذا مدحهم على مجرد تركهم شهوده، دل على أن فعله مذموم عنده معيب؛ إذ لو كان فعله جائزا والأفضل تركه: لم يكن في مجرد شهوده أو ترك شهوده كبير مدح، إذ شهود المباحات التي <sup>(١)</sup> لا منفعة فيها، وعدم شهودها، قليل التأثير.

وقد <sup>(٢)</sup> يقال: هذا مبالغة في مدحهم؛ إذ كانوا لا يحضرون مجالس البطالة، وإن كانوا لا يفعلون الباطل، ولأن <sup>(٣)</sup> الله تعالى قال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ <sup>(٤)</sup>.

فجعل هؤلاء المنعوتين هم عباد الرحمن، وعبودية الرحمن واجبة، فتكون هذه الصفات واجبة.

وفيه نظر؛ إذ قد يقال: في هذه الصفات ما لا يجب، ولأن المنعوتين هم المستحقون لهذا الوصف على وجه الحقيقة والكمال، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ <sup>(٥)</sup> وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنِيَّ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ <sup>(٦)</sup>.  
وقال ﷺ **ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان** <sup>(٧)</sup> ... <sup>(٨)</sup> الحديث.

(١) التي : سقطت من المطبوعة .

(٢) في (أ) : ويقال .

(٣) في المطبوعة : قال : " لا يفعلون هم الباطل والله تعالى . . " إلخ ، أي بزيادة " هم " ، وإسقاط " لأن " .

(٤) سورة الفرقان : من الآية ٦٣ ، وقوله (عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) ، لم يذكره في (ط) .

(٥) سورة الأنفال : من الآية ٢ .

(٦) سورة فاطر : من الآية ٢٨ .

(٧) البخاري الزكاة (١٤٠٩) ، مسلم الزكاة (١٠٣٩) ، النسائي الزكاة (٢٥٧٢) ، أبو داود الزكاة (١٦٣١) ، أحمد (٣١٦/٢) ، الدارمي الزكاة (١٦١٥) .

(٨) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة ، باب قول الله تعالى : (لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا) ، حديث رقم (١٤٧٩)

من فتح الباري (٣ / ٣٤١) ، ولفظه : " ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان . . " الحديث .

وقال: ﴿ ما تعدون <sup>(١)</sup> المفلس فيكم <sup>(٢)</sup> ﴾ <sup>(٣)</sup> ﴿ ما تعدون الرقوب ﴾ <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup> ونظائره كثيرة.

فسواء كانت الآية دالة على تحريم ذلك، أو كراهته أو استحباب تركه: حصل أصل المقصود؛ إذ من المقصود: بيان استحباب ترك موافقتهم أيضا؛ فإن بعض الناس قد يظن استحباب فعل ما فيه موافقة لهم؛ لما فيه من التوسيع على العيال، أو من إقرار الناس على اكتسابهم، ومصالح دنياهم، فإذا علم استحباب ترك ذلك: كان أول <sup>(٧)</sup> المقصود. النهي عن موافقتهم في أعيادهم بالسنة

<sup>(٨)</sup> : فروى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ﴿ قدم رسول الله صلوات الله عليه المدينة وهم يومان يلعبون فيهما، فقال: " ما هذان اليومان ؟ " ، قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية،

- 
- (١) في المطبوعة : ( ما تدعون ) في الموضعين ، وهو خطأ .  
(٢) فيكم : ساقطة من ( أ ط ) والمطبوعة .  
(٣) ذكره بهذا اللفظ ابن الأثير في جامع الأصول ، وقال بأنه من زيادة رزين . انظر : جامع الأصول ( ١١ / ٧٩٧ ) ، حديث رقم ( ٩٥١٣ ) ، وأخرجه مسلم بلفظ : " أتدرون ما المفلس ؟ " الحديث ، في كتاب البر ، باب تحريم الظلم ، حديث رقم ( ٢٥٨١ ) ، ( ٤ / ١٩٩٧ ) .  
(٤) مسلم البر والصلة والآداب ( ٢٦٠٨ ) .  
(٥) جاء في حديث أخرجه مسلم في كتاب البر ، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب ، حديث رقم ( ٢٦٠٨ ) ، ( ٤ / ٢٠١٤ ) ، وفيه : " ما تعدون الرقوب فيكم ؟ " والرقوب هو من لا يعيش له ولد ، فهو يرقب موته . انظر : لسان العرب ، مادة ( رقب ) .  
(٦) أراد المؤلف أن يستدل بهذه النصوص على هذه النعوت التي وصف الله بها عباد الرحمن ، ومنها صفة عدم شهادة الزور ، وعبودية الرحمن ، إنما اتصفوا بها على وجه الحقيقة والكمال ، وقد توجد هذه الصفات في غيرهم ، لكن لا على الوجه الحقيقي المطلوب ، وكذلك صفات المسكين ، والمفلس ، والرقوب ، صفات لها معان لفظية مباشرة في عرف الناس ، وهي : المسكنة والإفلاس في الدنيا ، لكن لها معان في الحقيقة أكمل وأصدق وهي : المسكنة والإفلاس في الآخرة .  
(٧) في المطبوعة : كان هو المقصود .  
(٨) أي الاستدلال من السنة على أن موافقة الكافرين في أعيادهم لا تجوز . وسيذكر المؤلف في هذا الاستدلال سبعة وجوه ، فوجه الدلالة الأول ص ( ٤٨٦ ) ، والثاني ص ( ٤٩٥ ) ، والثالث ص ( ٤٩٩ ) ، والرابع ص ( ٥٠٠ ) ، والخامس ص ( ٥٠٤ ) ، والسادس ص ( ٥٠٦ ) ، والسابع ص ( ٥٠٨ ) .

فقال رسول الله ﷺ " إن الله قد أبدلكم بهما خيرا منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر " (١)  
رواه أبو داود بهذا اللفظ (٢)

" حدثنا موسى بن إسماعيل (٣) حدثنا حماد عن (٤) حميد، عن أنس " ورواه أحمد (٥)  
والنسائي (٦) وهذا إسناد على شرط مسلم.

: أن العيدين (٧) الجاهليين (٨) لم يقرهما رسول الله ﷺ ولا تركهم يلعبون  
فيهما على العادة، بل قال: ﴿ إن الله قد أبدلكم بهما يومين آخرين، ﴾ (٩) والإبدال من

الشيء يقتضي ترك المبدل منه؛ إذ لا يجمع بين البدل والمبدل منه (١٠) ولهذا لا تستعمل  
هذه العبارة إلا فيما ترك اجتماعهما، كقوله سبحانه: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ

دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ (١١) وقوله: ﴿ وَبَدَلْنَاهُمْ (١٢) بِجَنَّتَيْمٍ (١٣)

(١) النسائي صلاة العيدين (١٥٥٦) ، أبو داود الصلاة (١١٣٤) ، أحمد (٢٥٠/٣) .

(٢) انظر : سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب صلاة العيدين ، حديث رقم (١١٣٤) ، (١ / ٦٧٥) نسخة  
الدعاس .

(٣) هو : موسى بن إسماعيل المنقري ، التبوكي ، أبو سلمة ، قال ابن حجر في التقریب : " ثقة ثبت من صغار  
التاسعة ، ولا التفات إلى قول ابن خراش : تكلم فيه الناس " روى له الستة ، توفي سنة (٢٢٣ هـ) . انظر :  
تقریب التهذيب (٢ / ٢٨٠) ، (ت ١٤٣١) أ .

(٤) في (أ ج د) : حماد بن حميد ، وهو تحريف من النساخ ، والصحيح حماد عن حميد ، كما هو مثبت .

(٥) انظر : مسند أحمد (٣ / ١٠٣) و (٢٣٥) و (٢٥٠) في مسند أنس بن مالك .

(٦) انظر : سنن النسائي ، كتاب صلاة العيدين (٣ / ١٧٩ ، ١٨٠) .

(٧) في المطبوعة : اليومين .

(٨) في (أ) : الجاهليين .

(٩) النسائي صلاة العيدين (١٥٥٦) ، أبو داود الصلاة (١١٣٤) ، أحمد (٢٥٠/٣) .

(١٠) في (أ) : أن .

(١١) سورة الكهف : الآية ٥٠ .

(١٢) في المخطوطات : فبدلناهم . وإنما الآية : وبدلناهم .

(١٣) في (د) : بجنتين ، وهو تحريف .

جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أَكُلِ خَمَطٍ وَأَتْلِي وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١﴾ وقوله: ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ

ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ (٢) وقوله: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا الْحَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ﴾ (٣) .

ومنه الحديث في المقبور (٤) فيقال له: ﴿ انظر إلى مقعدك من النار، أبدلك الله به خيرا

منه مقعدا في الجنة ﴾ (٥) ، ويقال للآخر: ﴿ انظر إلى مقعدك في الجنة، أبدلك الله به

مقعدا من النار ﴾ (٦) .

وقول عمر رضي الله عنه للبيد (٧) " ما فعل شعرك ؟ قال: أبدلني الله به البقرة وآل عمران " (٨) .

وهذا كثير في الكلام.

فقوله صلى الله عليه وسلم ﴿ إِنْ أَلَّفَكَ اللَّهُ قَدَّ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا ﴾ (٩) (١٠) يقتضي ترك الجمع

بينهما، لا سيما وقوله: (١١) ﴿ خَيْرًا مِنْهُمَا ﴾ (١) يقتضي الاعتياض بما شرع لنا، عما

(١) سورة سبأ: من الآية ١٦ ، وفي (ب) : وقف على جنتين ، وفي (أ) : وقف على (خبط) .

(٢) سورة البقرة : من الآية ٥٩ .

(٣) سورة النساء : من الآية ٢ .

(٤) في (أ) : القبور .

(٥) البخاري الجنائز (١٢٧٣) ، مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٧٠) ، النسائي الجنائز (٢٠٥١) ، أبو داود السنة (٤٧٥١) ، أحمد (١٢٦/٣) .

(٦) ورد في ذلك أحاديث مروية في الصحيحين والسنن بألفاظ متعددة ، بعضها مطول وبعضها مختصر . انظر :

صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر ، حديث رقم (١٣٧٤) من فتح الباري (٣ /

٢٣٢) . وصحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، حديث رقم (٢٨٦٦)

(٤ / ٢١٩٩) ، ورقم (٢٨٧٠) ، (٤ / ٢٢٠٠) .

(٧) هو الصحابي الجليل : لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري ، الشاعر المشهور ، أسلم مع وفد

قومه فحسن إسلامه وترك الشعر بعد الإسلام ، وتوفي سنة (٤١هـ) وعمره (١٤٠) سنة . انظر : أسد

الغابة (٤ / ٢٦٠ ، ٢٦١) .

(٨) ذكره ابن حجر في الإصابة (٣ / ٣٢٦) ، في ترجمة لبيد ، دون إسناد .

(٩) النسائي صلاة العيدين (١٥٥٦) ، أبو داود الصلاة (١١٣٤) ، أحمد (٣ / ٢٥٠) .

(١٠) في المطبوعة قال : " قد أبدلكم الله بهما خيرا " وفي (أ) : قال : " أبدلكم بهما " فقط .

(١١) في (ب) : قوله لهم .

كان في الجاهلية.

وأیضا فقله لهم: ﴿ **إن الله قد أبدلكم** ﴾<sup>(٢)</sup> لما سأهم عن الیومین فأجابوه: " بأنهما یومان كانوا یلعبون فیهما فی الجاهلیة " دلیل علی أنه نھام عنهما اعتیاضا بیومی الإسلام؛ إذ لو لم یقصد النهی لم یکن ذکر هذا الإبدال مناسبا؛ إذ أصل شرع الیومین<sup>(٣)</sup> الإسلامیین كانوا یعلمونه<sup>(٤)</sup> ولم یكونوا لیتركوه لأجل یومی الجاهلیة.

وفی قول أنس: " ولهم یومان یلعبون فیهما "، وقول النبی ﷺ ﴿ **إن الله قد أبدلكم** ﴾ **بهما یومین خیرا منهما** ﴾<sup>(٥)</sup> دلیل علی أن أنسا ﷺ فهم من قول النبی صلی الله علیه وعلى آله وسلم: ﴿ **أبدلكم** **بهما** ﴾<sup>(٦)</sup> تعویضا بالیومین المبدلین.

وأیضا فإن ذینک الیومین الجاهلیین قد ماتا فی الإسلام، فلم یبق لهما أثر علی<sup>(٧)</sup> عهد رسول الله ﷺ ولا<sup>(٨)</sup> عهد خلفائه، ولو لم یکن قد نھی الناس عن اللعب فیهما ونحوه مما كانوا یفعلونه، لكانوا قد بقوا علی العادة؛ إذ العادات لا تغیر إلا بمغیر یزیلها، لا سیما وطباع النساء والصبیان وكثیر من الناس متشوفة<sup>(٩)</sup> إلى الیوم الذي یتخذونه عیدا للبطالة واللعب.

ولهذا قد یعجز کثیر من الملوك والرؤساء عن نقل الناس عن عادتهم فی أعیادهم؛ لقوة مقتضیها من نفوسهم، وتوفر همم الجماهیر علی اتخاذها، فلولا قوة المانع من رسول

(١) النسائي صلاة العیدین (١٥٥٦)، أبو داود الصلاة (١١٣٤)، أحمد (٢٣٥/٣).

(٢) النسائي صلاة العیدین (١٥٥٦)، أبو داود الصلاة (١١٣٤)، أحمد (٢٥٠/٣).

(٣) فی المطبوعة زاد: الواجبین .

(٤) فی المطبوعة: یعملونه .

(٥) النسائي صلاة العیدین (١٥٥٦)، أبو داود الصلاة (١١٣٤)، أحمد (٢٣٥/٣).

(٦) النسائي صلاة العیدین (١٥٥٦)، أبو داود الصلاة (١١٣٤)، أحمد (٢٥٠/٣).

(٧) فی (ج د) : إلا علی عهد .

(٨) فی (ج د) : ولا علی عهد .

(٩) فی (ج د) : متشوفة : وكذلك المطبوعة ، والمعنی متقارب .



الله ﷺ لكانت باقية، ولو على وجه ضعيف، فعلم أن المانع القوي منه كان ثابتاً، وكل ما منع منه الرسول منعا قويا كان محرماً؛ إذ لا يعني بالحرّم إلا هذا.

وهذا أمر بين <sup>(١)</sup> لا شبهة فيه، فإن مثل ذينك العيدين، لو عاد الناس إليهما بنوع مما كان يفعل فيهما - إن رخص فيه - كان مراغمة بينه وبين ما نهى عنه، فهو المطلوب. والمخذور في أعياد أهل الكتابين التي نقرهم عليها، أشد من المخذور في أعياد الجاهلية التي لا نقرهم عليها؛ فإن الأمة قد حذروا مشاهمة اليهود والنصارى، وأخبروا أن سيفعل قوم منهم هذا المخذور، بخلاف دين الجاهلية، فإنه لا يعود إلا في آخر الدهر، عند احترام أنفس المؤمنين عموماً، ولو لم يكن أشد منه، فإنه مثله على ما لا يخفى؛ إذ الشر الذي له فاعل موجود، يخاف على الناس منه أكثر من شر لا مقتضى له قوي.

: <sup>(٢)</sup> ما رواه أبو داود، حدثنا داود <sup>(٣)</sup> بن رشيد <sup>(٤)</sup> حدثنا شعيب بن إسحاق <sup>(٥)</sup> عن الأوزاعي، حدثني يحيى بن أبي كثير، حدثني أبو قلابة، حدثني ثابت بن الضحاك <sup>(٦)</sup> قال: ﴿ نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلا ببوانة، فأتى رسول

(١) في (أ) : تبين .

(٢) الحديث الأول هو حديث أنس المتقدم ذكره قريبا (ص ٤٨٥) ، وهو في معرض الاستدلال على تحريم ابتداء الأعياد غير ما سنّه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(٣) داود بن رشيد : أسقط من المطبوعة .

(٤) هو : داود بن رشيد ، الهاشمي بالولاء ، الخوارزمي ، أبو الفضل ، وثقه ابن معين والدارقطني ، وقال أبو حاتم : ثقة نبيل ، أخرج له البخاري ومسلم وغيرهما ، توفي سنة (٢٣٩هـ) . انظر : تهذيب التهذيب (٣ / ١٨٤ ، ١٨٥) ، (ت ٣٥٠) د .

(٥) هو : شعيب بن إسحاق بن عبد الرحمن الأموي ، بالولاء ، البصري ، ثم الدمشقي ، ثقة ، أخرج له البخاري ومسلم والنسائي ، وغيرهم ، قال فيه أحمد : ما أصح حديثه ، توفي سنة (١٨٩هـ) وعمره (٧٠) سنة . انظر : خلاصة تهذيب التهذيب (ص ١٦٦) ، وتقريب التهذيب (١ / ٣٥١) ، (ت ٧٠) ش .

(٦) هو الصحابي الجليل : ثابت بن الضحاك بن خليفة ، الأنصاري ، الأشهلي ، شهد بيعة الرضوان ، ولد سنة ثلاث من البعثة ، وتوفي سنة (٦٤ هـ) ، كان رديف الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم الخندق ودليله إلى حمراء الأسد . انظر : الإصابة (١ / ١٩٣ ، ١٩٤) ، (ت ٨٩٤) .

الله ﷺ فقال: إني نذرت أن أنحر إبلا ببوانة، فقال النبي ﷺ " هل كان فيها وثن (١) من أوثان الجاهلية يعبد؟ "، قالوا (٢) لا، قال: " فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ " قالوا (٣) لا، قال رسول الله ﷺ " أوف بندرك؛ فإنه لا وفاء لنذر (٤) في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم ﴿٥﴾ أصل هذا الحديث في الصحيحين (٦) وهذا الإسناد على شرط

الصحيحين، وإسناده كلهم ثقات مشاهير، وهو متصل بلا عنعنة.

وبوانة: بضم الباء الموحدة من أسفل (٧) فيه يقول وضاح اليممن (٨)

(٩)

وسياتي وجه الدلالة منه.

(١) في (أ) : وثر ، ولعلها تحريف .

(٢) في (د) : قال .

(٣) في (ب ج د) : قال .

(٤) في (د) : بالنذر .

(٥) انظر : سنن أبي داود ، كتاب الأيمان والنذور ، باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر ، حديث رقم (٣٣١٣) ، (٣) / ٦٠٧ .

(٦) جاء في صحيح البخاري ، كتاب الأيمان والنذور ، باب النذر في الطاعة ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : " من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه " ، حديث رقم (٦٦٩٦) من فتح الباري ، ( ١١ / ٥٨١ ) ، وفي صحيح مسلم ، كتاب النذر ، باب لا وفاء لنذر في معصية الله ، الحديث رقم (١٦٤١) ، ( ٣ / ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ) ، وجاء فيه : " لا وفاء لنذر في معصية ، ولا فيما لا يملك العبد " . فلعل المؤلف يشير إلى هذين الحديثين ، والله أعلم .

(٧) في المطبوعة : قال : (بضم الموحدة) ، ثم زاد : (موضع قريب من مكة) ، وأظنه تفسيراً من الشيخ حامد الفقي . وبوانة : بالضم وتخفيف الواو : هضبة وراء ينبع قريبة من ساحل البحر وينبع ، شمال مكة . انظر معجم البلدان لياقوت ( ١ / ٥٠٥ ) .

(٨) هو : عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال ، من آل خولان ، من حمير ، شاعر مجيد ، وله شعر رقيق في الغزل ، وقد تغزل بأب البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، وزوجة الوليد بن عبد الملك ، فقتله الوليد ، وذلك سنة (٩٠هـ) على وجه التقريب . انظر : فوات الوفيات ( ٢ / ٢٧٢ - ٢٧٥ ) ، (ت ٢٥٢) ، والأعلام للزركلي ( ٢ / ٢٩٩ ) .

(٩) انظر : معجم البلدان لياقوت ( ١ / ٥٠٦ ) .

وقال أبو داود في سننه: حدثنا الحسن بن علي<sup>(١)</sup> حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا عبد الله بن يزيد بن مقسم الثقفي<sup>(٢)</sup> - من أهل الطائف - حدثني سارة بنت مقسم<sup>(٣)</sup> أنها سمعت ميمونة بنت كردم<sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup> قالت: ﴿خرجت مع أبي في حجة رسول الله ﷺ فرأيت رسول الله ﷺ وسمعت الناس يقولون: رسول الله ﷺ<sup>(٦)</sup> فجعلت أبده بصري<sup>(٧)</sup> فدنا إليه أبي وهو على ناقه له معه درة كدرة الكتاب، فسمعت الأعراب والناس يقولون: الطبطبية، الطبطبية<sup>(٨)</sup> فدنا إليه أبي، فأخذ بقدمه، قالت: فأقر له، ووقف، فاستمع منه، فقال: يا رسول الله، إني نذرت إن ولد لي ولد<sup>(٩)</sup> ذكر أن أنحر على رأس بوانة، في عقبه<sup>(١٠)</sup> من الثنايا، عدة من الغنم<sup>(١١)</sup> - قال: لا أعلم إلا أنها قالت: خمسين - فقال رسول الله ﷺ

(١) هو: الخلال الحلواني الهذلي . مرت ترجمته . انظر: فهرس الأعلام .

(٢) هو: عبد الله بن يزيد بن مقسم ، وهو ابن ضبة ، الثقفي بالولاء ، البصري ، وأصله من الطائف ، قال ابن حجر في التقريب : " صدوق " من الطبقة التاسعة ، كما أشار ابن حجر في التهذيب إلا أن ابن المديني وثقه . انظر الجرح والتعديل ( ٥ / ٢٠٠ ) ، ( ت ٩٢٩ )؛ وتقريب التهذيب ( ١ / ٤٦١ ) ، ( ت ٧٤٢ ) ع؛ وتهذيب التهذيب ( ٦ / ٨٠ ) ، ( ت ١٥٧ ) ع .

(٣) هي : سارة بنت مقسم الثقفية ، عمه عبد الله بن يزيد ، الراوي عنها هنا . قال ابن حجر في التقريب : " لا تعرف " من الطبقة الرابعة . انظر : تقريب التهذيب ( ٢ / ٦٠١ ) ، ( ت ١ ) س . النساء وخلاصة التهذيب ( ص ٤٩٢ ) .

(٤) هي الصحابية الجليلة : ميمونة بنت كردم الثقفية ، من صغار الصحابة ، لها حديث في أبي داود وابن ماجه . انظر : أسد الغابة ( ٥ / ٥٥٢ ، ٥٥٣ ) ، وتقريب التهذيب ( ٢ / ٦١٥ ) ، ( ت ١٢ ) م النساء .

(٥) وكردم أبوها هو : كردم بن سفيان بن أبان الثقفي ، صحابي جليل . انظر : الإصابة ( ٣ / ٢٩٠ ) ، ( ت ٧٣٩٠ ) .

(٦) رسول الله : أسقطت من (أ) .

(٧) أبده بصري : أتبعه بصري ولا أقطعه عنه .

(٨) في (أ) : الطنطنينة الطنطنينة . والصحيح ما أثبتته كما في أبي داود . والطبطبية : هي الدرة ، وقوله : الطبطبية الطبطبية ، أي : الدرة الدرة ، على وجه التحذير ، أو هي حكاية عن وقع الأقدام عند السعي ، يريد : أقبل الناس إليه يسعون ولأقدامهم طبطبة . انظر : تاج العروس ( ١ / ٣٥٣ ) مع الهامش .

(٩) ولد : سقطت من (ج د) .

(١٠) في (ج) : عقبته .

(١١) في (ج) : النعم . والصحيح : الغنم .

" هل بها من هذه <sup>(١)</sup> الأوثان شيء ؟ " قال: لا، قال: " فأوف بما <sup>(٢)</sup> نذرت به لله " قال: فجمعها فجعل يذبحها، فانفلتت منه شاة، فطلبها وهو يقول: اللهم أوف <sup>(٣)</sup> بنذري، فظفر بها فذبحها ﴿٤﴾ .

قال أبو داود: حدثنا محمد بن بشار <sup>(٥)</sup> حدثنا أبو بكر الحنفي <sup>(٦)</sup> حدثنا عبد الحميد بن جعفر <sup>(٧)</sup> عن عمرو بن شعيب، عن ميمونة بنت كردم <sup>(٨)</sup> بن سفيان، عن أبيها.. نحوه <sup>(٩)</sup> مختصراً شيء منه <sup>(١٠)</sup> قال: ﴿هل بها وثن <sup>(١١)</sup> أو عيد من أعياد الجاهلية ؟ " قال: لا، قال: قلت: إن أمي <sup>(١٢)</sup> هذه عليها نذر <sup>(١٣)</sup> مشي، أفأقضيه عنها ؟

(١) في المطبوعة وأبي داود : من الأوثان .

(٢) في (أ) : بما . وهو تحريف .

(٣) في أبي داود : " اللهم أوف عني نذري " .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الأيمان والنذور ، باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر ، الحديث رقم (٣٣١٤) ، (٣ / ٦٠٧ - ٦٠٩) . وأخرجه ابن ماجه مختصراً بمعناه في كتاب الكفارات ، باب الوفاء بالنذر ، الحديث رقم (٢١٣١) ، (١ / ٦٨٨) ، وكذلك أخرجه أحمد في المسند مختصراً (٣ / ٤١٩) ، ومطولا بنحو رواية أبي داود التي ذكرها المؤلف (٦ / ٣٦٦) وفيه زيادة ، الأول في مسند كردم ، والثاني في مسند ميمونة بنت كردم .

(٥) هو : محمد بن بشار بن عثمان العبدي ، البصري ، أبو بكر - بندار - ثقة من الطبقة العاشرة ، توفي سنة ٢٥٢هـ وعمره بضع وثمانون ، أخرج له الستة . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ١٤٧) ، (ت ٧١) .

(٦) هو : عبد الكبير بن عبد الحميد بن عبد الله البصري ، أبو بكر ، الحنفي ، ثقة من الطبقة التاسعة ، مات سنة ٢٠٤هـ ، أخرج له الستة . انظر : تقريب التهذيب (١ / ٥١٥) ، (ت ١٢٧٦) .

(٧) هو : عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن الحكم الأنصاري ، الأوسي ، أبو الفضل - أو أبو حفص - قال في التهذيب : قال أحمد : ثقة ، وذكر ابن معين توثيقه ، أخرج له مسلم والأربعة ، توفي بالمدينة سنة (١٥٣هـ) وعمره (٧٠) . انظر : تهذيب التهذيب (٦ / ١١١ ، ١١٢) ، (ت ٢٢٣) ع .

(٨) في (أب) : بنت كردفة : وهو تحريف لاسم كردم .

(٩) أي نحو الحديث السابق .

(١٠) في أبي داود : مختصر منه شيء .

(١١) وثن : سقطت من (أ) .

(١٢) في جميع النسخ المخطوطة : أم هذه . وفي أبي داود والمطبوعة كما أثبتته .

(١٣) كذا في جميع النسخ . وفي أبي داود : نذر ، ومشى .

وربما قال ابن بشار: أنقضيه عنها؟ قال: " نعم " ﴿ (١) .

وقال: حدثنا مسدد (٢) حدثنا الحارث بن عبيد (٣) أبو قدامة (٤) عن عبيد (٥) الله الأحنس (٦) عن عمرو بن شعيب، عن أبيه (٧) عن جده، ﴿ أن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت: " يا رسول الله إني نذرت أن أضرب على رأسك بالدف، قال: " أوفي بنذرك " ، قالت: " إني نذرت أن أذبح بمكان كذا وكذا - مكان كان يذبح فيه أهل الجاهلية - " قال: " لصنم؟ " قالت: لا، قال: " لوثن؟ " قالت: لا، قال: " أوفي بنذرك " ﴿ (٨) . (٩) .

: أن هذا الناذر كان قد نذر أن يذبح نعما: إما إبلا، وإما غنما، وإما

كانت قضيتين، بمكان سماه، فسأله النبي ﷺ هل كان بها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قال: لا، قال: " فهل كان بها عيد من أعيادهم؟ " قال: لا، قال: " أوف بنذرك " ثم قال: " لا وفاء لنذر في معصية الله " ﴿ (١٠) .

(١) سنن أبي داود ، كتاب الأيمان والندور ، باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر ، الحديث رقم (٣٣١٥) ، (٣ / ٦٠٩) ورجاله ثقات .

(٢) هو مسدد بن مسرهد بن مسربل بن مستورد الأسدي البصري ، أبو الحسن ، قال ابن حجر في التقريب : " ثقة حافظ ، يقال : إنه أول من صنف المسند بالبصرة " من الطبقة العاشرة ، أخرج له البخاري وغيره ، مات سنة (٢٢٨هـ) ، وقيل : إن اسمه : عبد الملك بن عبد العزيز . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ٢٤٢) ، (ت ١٠٥٢) م .

(٣) هو : الحارث بن عبيد الأيادي البصري ، أبو قدامة ، قال ابن حجر في التقريب : " صدوق يخطئ " من الطبقة الثامنة وأخرج له مسلم وغيره . انظر : تقريب التهذيب (١ / ١٤٢) ، (ت ٤٥) ح .

(٤) في المطبوعة : أبو قدامة عبيد الله . فلعل (عن) سقطت سهوا .

(٥) في (أ) : عن جده عبيد الله ، أي : بزيادة (جده) .

(٦) هو : عبيد الله بن الأحنس النخعي الخزاز ، أبو مالك ، قال ابن حجر : " صدوق " من السابعة ، أخرج له البخاري ومسلم وغيرهما . انظر : التقريب (١ / ٥٣٠) ، (ت ١٤٢٣) ع .

(٧) عن أبيه : سقطت من (أ) .

(٨) أبو داود الأيمان والندور (٣٣١٢) .

(٩) سنن أبي داود ، كتاب الأيمان والندور ، باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر (٣ / ٦٠٦) ، الحديث رقم (٣٣١٢) ( وهو صحيح الإسناد .

(١٠) أبو داود الأيمان والندور (٣٣١٣) .

وهذا يدل على أن الذبح بمكان عيدهم ومحل أوثانهم معصية لله، من وجوه:

: أن قوله: ﴿ فَأَوْفِ بِنَدْرِكَ ﴾<sup>(١)</sup> تعقيب للوصف بالحكم بحرف الفاء،

وذلك يدل على أن الوصف هو سبب الحكم؛ فيكون سبب الأمر بالوفاء: وجود النذر خاليا من هذين الوصفين، فيكون الوصفان مانعين<sup>(٢)</sup> من الوفاء، ولو لم يكن معصية لجاز الوفاء به.

: أنه عقب ذلك بقوله: ﴿ لَا وِفَاءَ لِنَدْرِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ﴾<sup>(٣)</sup> ولولا<sup>(٤)</sup> اندراج

الصورة المسئول عنها في هذا اللفظ العام، وإلا لم يكن في الكلام ارتباط، والمنذور في نفسه - وإن لم يكن معصية - لكن لما سأله النبي ﷺ عن الصورتين قال له: ﴿ فَأَوْفِ بِنَدْرِكَ ﴾ ، يعني: حيث ليس هناك ما يوجب تحريم الذبح هناك، فكان جوابه ﷺ فيه أمرا بالوفاء عند الخلو من هذا، ونهى عنه عند وجود هذا، وأصل الوفاء بالنذر معلوم، فبين ما لا وفاء فيه.

واللفظ العام إذا ورد على سبب، فلا بد أن يكون السبب مندرجا فيه.

: أنه لو كان الذبح في موضع العيد جائزا لسوغ<sup>(٥)</sup> ﷺ للناذر الوفاء به، كما

سوغ لمن نذرت الضرب بالدف<sup>(٦)</sup> أن تضرب به، بل لأوجب الوفاء به؛ إذ كان الذبح بالمكان المنذور واجبا، وإذا كان الذبح بمكان عيدهم منهيا عنه، فكيف الموافقة في نفس العيد بفعل بعض الأعمال التي تعمل بسبب عيدهم؟

يوضح ذلك: أن العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد، عائد: إما

(١) (بنذرِكَ) : سقطت من (أ) .

(٢) في المطبوعة : قال : فيكون وجود الوصفين مانعا .

(٣) أبو داود الأيمان والنذور (٣٣١٣) .

(٤) في (أ) : ولو اندراج .

(٥) في (أ) : لشرع .

(٦) في (أ) : زيادة : على رأسه .

بعود السنة، أو بعود الأسبوع، أو الشهر، أو نحو ذلك.

فالعيد: يجمع <sup>(١)</sup> أموراً:

: يوم عائد <sup>(٢)</sup> كيوم <sup>(٣)</sup> الفطر، ويوم الجمعة.

: اجتماع فيه.

: أعمال تتبع <sup>(٤)</sup> ذلك: من العبادات، والعادات، وقد يختص العيد بمكان بعينه،

وقد يكون مطلقاً، وكل هذه الأمور قد تسمى عيداً.

فالزمان، كقوله ﷺ ليوم الجمعة: ﴿إن هذا يوم جعله الله للمسلمين عيداً﴾ .

والاجتماع والأعمال، كقول ابن عباس: ﴿شهدت العيد مع رسول الله ﷺ﴾ <sup>(٥)</sup>.

والمكان، كقوله ﷺ: ﴿لا تتخذوا قبري عيداً﴾ <sup>(٦)</sup>.

وقد يكون لفظ: (العيد) اسماً لمجموع اليوم والعمل فيه، وهو الغالب، كقول النبي ﷺ:

﴿دعهما يا أبا بكر، فإن لكل قوم عيداً، وإن هذا عيدنا﴾ <sup>(٧)</sup> فقول النبي ﷺ: ﴿هل

بها <sup>(٨)</sup> عيد من أعيادهم؟﴾ يريد اجتماعاً معتاداً من اجتماعاتهم التي كانت <sup>(٩)</sup> عيداً،

فلما قال: لا، قال له: ﴿أوف بنذرك﴾ <sup>(١٠)</sup> وهذا يقتضي أن كون البقعة مكاناً

(١) في (أ) : مجمع .

(٢) في (ج د) : عيد .

(٣) في (أ) : ليوم .

(٤) في المطبوعة : تجمع .

(٥) البخاري الجمعة (٩١٩) ، النسائي صلاة العيدين (١٥٦٩) ، أحمد (٣٦٨/١) .

(٦) أبو داود المناسك (٢٠٤٢) ، أحمد (٣٦٧/٢) .

(٧) البخاري المناقب (٣٧١٦) ، مسلم صلاة العيدين (٨٩٢) ، النسائي صلاة العيدين (١٥٩٣) ، ابن ماجه

النكاح (١٨٩٨) ، أحمد (١٣٤/٦) .

(٨) (ها) : سقطت من (أ) .

(٩) في المطبوعة : التي كانت عندهم .

(١٠) سنن أبي داود كتاب الأيمان والنذور (٣٣١٣) .

لعيدهم: مانع من الذبح بها - وإن نذر - ، كما أن كونها موضع أوثانهم كذلك، وإلا<sup>(١)</sup> لما انتظم الكلام، ولا حسن الاستفصال.

ومعلوم أن ذلك إنما هو لتعظيم البقعة التي يعظمونها بالتعديد فيها، أو لمشاركتهم في التعديد فيها، أو لإحياء شعار عيدهم فيها، ونحو ذلك؛ إذ ليس إلا مكان الفعل، أو نفس الفعل، أو زمانه.

فإن كان من أجل تخصيص البقعة - وهو الظاهر - فإنما نهي عن تخصيص البقعة لأجل كونها موضع عيدهم، ولهذا لما خلت من<sup>(٢)</sup> ذلك أذن في الذبح فيها، وقصد التخصيص باق، فعلم: أن المحذور تخصيص بقعة عيدهم، وإذا كان تخصيص بقعة عيدهم محذورا، فكيف بنفس عيدهم؟ هذا كما أنه لما كرهها لكونها موضع شركهم بعبادة الأوثان، كان ذلك<sup>(٣)</sup> أدل على النهي عن الشرك وعبادة الأوثان.

وإن كان<sup>(٤)</sup> النهي لأن في الذبح هناك موافقة لهم في عمل عيدهم، فهو عين مسألتنا؛ إذ مجرد الذبح هناك لم يكره على هذا التقدير إلا لموافقتهم في العيد؛ إذ ليس فيه محذور آخر، وإنما كان الاحتمال الأول أظهر؛ لأن النبي ﷺ لم يسأله إلا عن كونها مكان عيدهم، ولم يسأله: هل يذبح وقت عيدهم؟ ولأنه قال: ﴿هل كان بها عيد من أعيادهم﴾<sup>(٥)</sup> فعلم أنه وقت السؤال لم يكن العيد موجودا، وهذا ظاهر، فإن في الحديث

الآخر: أن القصة كانت في حجة الوداع؛ وحيث لم يكن قد بقي عيد للمشركين.

فإذا كان ﷺ قد نهي أن يذبح في مكان كان الكفار يعملون فيه عيدا<sup>(٦)</sup> وإن كان أولئك الكفار قد أسلموا وتركوا ذلك العيد، والسائل لا يتخذ المكان عيدا، بل يذبح فيه

(١) في (أ) : " ولما " . ولا ينتظم بها المعنى ، ففعل (إلا) سقطت سهوا .

(٢) في (أ) وفي المطبوعة : عن .

(٣) في (أ) : إذ دل .

(٤) في (أ) : ذلك النهي .

(٥) في (ب) : فيها .

(٦) في (ب) : أعيادا .



فقط: فقد ظهر أن ذلك سد للذريعة إلى بقاء شيء من أعيادهم، خشية أن يكون الذبح هناك سببا لإحياء أمر تلك البقعة، وذريعة إلى اتخاذها عيداً، مع أن ذلك العيد إنما كان يكون - والله أعلم - سوقاً يتبايعون فيها، ويلعبون، كما قالت له الأنصار: " يومان كنا نلعب فيهما في الجاهلية " لم تكن أعياد الجاهلية عبادة لهم، ولهذا فرق النبي ﷺ بين كونها مكاناً وثناً، وكونها مكان عيد.

وهذا نهي شديد عن أن يفعل شيء من أعياد الجاهلية على أي وجه كان.

وأعياد الكفار: من الكتابيين والأمينين، في دين الإسلام، من جنس واحد، كما أن كفر الطائفتين سواء في التحريم، وإن كان بعضه أشد تحريماً<sup>(١)</sup> من بعض، ولا يختلف حكمهما في حق المسلم، لكن أهل الكتابين أقروا على دينهم، مع ما فيه من أعيادهم، بشرط: أن لا يظهرها، ولا شيئاً من دينهم، وأولئك لم يقرّوا، بل أعياد الكتابيين التي تتخذ دينا وعبادة: أعظم تحريماً من عيد يتخذ لها ولعباءة؛ لأن التعبد بما يسخطه الله ويكرهه أعظم من اقتضاء الشهوات بما حرمه؛ ولهذا كان الشرك أعظم إثماً من الزنا، ولهذا كان جهاد أهل الكتاب أفضل من جهاد الوثنيين، وكان من قتلوه من المسلمين له أجر شهيدين.

وإذا كان الشارع قد حسم مادة أعياد أهل الأوثان خشية أن يتدنس المسلم بشيء من أمر الكفار، الذين قد يئس الشيطان أن يقيم أمرهم في جزيرة العرب؛ فالخشية من تدنسه بأوضاع<sup>(٢)</sup> الكتابيين الباقيين أشد، والنهي عنه أوكد، كيف وقد تقدم الخبر الصادق بسلوك طائفة من هذه الأمة سبيلهم؟

<sup>(٣)</sup>: أن هذا الحديث وغيره، قد دل على أنه كان للناس في

(١) في المطبوعة: تخرجوا .

(٢) في (ج د) وفي المطبوعة: بأوصاف . والأوضاع: هي الأوساخ . انظر: القاموس المحيط (٢ / ١٦٠) ، فصل الواو ، باب الراء .

(٣) الوجه الأول مضي (ص ٤٨٦) في عدم إقرار الجاهلية ، والثاني (ص ٤٩٥) في تحريم الذبح بمكان عيدهم ومحل أوثانهم .

الجاهلية أعياد يجتمعون فيها، ومعلوم أنه <sup>(١)</sup> بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ محى الله ذلك عنهم، فلم يبق شيء من ذلك.

ومعلوم أنه لولا نهيه ومنعه لما ترك الناس تلك الأعياد؛ لأن المقتضي لها قائم من جهة الطبيعة التي تحب ما يصنع في الأعياد - خصوصا أعياد الباطل - من اللعب واللذات، ومن جهة العادة التي ألفت ما يعود من العيد، فإن العادة طبيعة ثانية، وإذا كان المقتضي قائما قويا، فلولا المانع القوي؛ لما درست تلك الأعياد.

وهذا يوجب العلم اليقيني، بأن إمام المتقين عليه السلام كان يمنع أمته منعا قويا عن أعياد <sup>(٢)</sup> الكفار، ويسعى في دروسها <sup>(٣)</sup> وطمسها <sup>(٤)</sup> بكل سبيل، وليس <sup>(٥)</sup> في إقرار أهل الكتاب على دينهم، إبقاء لشيء من أعيادهم في حق أمته، كما أنه ليس في ذلك إبقاء في حق أمته؛ لما هم عليه في سائر أعمالهم <sup>(٦)</sup> من سائر كفرهم ومعاصيهم، بل قد بالغ عليه السلام في أمر أمته بمخالفتهم في كثير من المباحات، وصفات الطاعات؛ لئلا يكون ذلك ذريعة إلى موافقتهم في غير ذلك من أمورهم، ولتكون المخالفة في ذلك حاجزا ومانعا عن سائر أمورهم، فإنه كلما كثرت المخالفة بينك وبين أصحاب <sup>(٧)</sup> الجحيم، كان أبعد لك عن أعمال أهل الجحيم.

فليس بعد حرصه على أمته ونصحه لهم غاية <sup>(٨)</sup> - بأبي هو وأمي - وكل ذلك من فضل الله عليه وعلى الناس، ولكن أكثر الناس لا يعلمون <sup>(٩)</sup> .

(١) في المطبوعة : أنه لما بعث .

(٢) في (أ ط) : يمنع منعا قويا أمته من أعياد .

(٣) في (أ) : درسها .

(٤) وطمسها : سقطت من (أ) . وفي (ط) : وطموسها .

(٥) في (ج د) : منم .

(٦) في سائر أعمالهم : سقطت من (ج د) .

(٧) في (ج د ط) وفي المطبوعة : أهل الجحيم .

(٨) في (أ ط) وفي المطبوعة : آخر (غاية) بعد (بأبي هو وأمي) .

(٩) في المطبوعة : لا يشكرون .

: ما خرَّجَاه في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت:

﴿ دخل عليّ أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعث، قالت: وليستا بمغنيتين <sup>(١)</sup> فقال أبو بكر ﷺ أمز مور الشيطان في بيت رسول الله ﷺ؟ وذلك يوم عيد، فقال رسول الله ﷺ " يا أبا بكر: إن لكل قوم عيداً، وهذا عيدنا ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وفي رواية: ﴿ يا أبا بكر: إن لكل قوم عيداً، وإن عيدنا هذا اليوم ﴾ <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup> وفي الصحيحين أيضاً أنه قال: ﴿ دعهما يا أبا بكر؛ فإنها أيام عيد ﴾ <sup>(٥)</sup> ، وتلك الأيام أيام منى <sup>(٦)</sup> .

:

: قوله: ﴿ إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا ﴾ <sup>(٧)</sup> فإن هذا يوجب اختصاص كل قوم بعيدهم، كما أن الله سبحانه لما قال: ﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا <sup>ط</sup> ﴾ <sup>(٨)</sup> وقال:

(١) في (ج د) : بمغنيتين .

(٢) انظر : صحيح مسلم ، كتاب صلاة العيدين ، باب الرخصة في اللعب ، الحديث رقم (٨٩٢) ، (٢ / ٦٠٧ ، ٦٠٨)؛ وصحيح البخاري ، كتاب العيدين ، باب سنة العيدين لأهل الإسلام ، الحديث رقم (٩٥٢) ، (٢ / ٤٤٥) .

(٣) البخاري المناقب (٣٧١٦) ، النسائي صلاة العيدين (١٥٩٧) ، ابن ماجه النكاح (١٨٩٨) ، أحمد (٩٩/٦) .  
(٤) صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب مقدم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه المدينة ، الحديث رقم (٣٩٣١) ، (٧ / ٢٦٤) من فتح الباري .

(٥) البخاري الجمعة (٩٤٤) ، مسلم صلاة العيدين (٨٩٢) ، النسائي صلاة العيدين (١٥٩٧) ، أحمد (٨٤/٦) .  
(٦) صحيح البخاري ، كتاب العيدين ، باب إذا فاته العيد يصلي ركعتين ، الحديث رقم (٩٨٧) ، (٢ / ٤٧٤) فتح الباري .

(٧) البخاري الجمعة (٩٠٩) ، مسلم صلاة العيدين (٨٩٢) ، ابن ماجه النكاح (١٨٩٨) .

(٨) سورة البقرة : من الآية ١٤٨ .

﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا ﴾<sup>(١)</sup> أوجب ذلك اختصاص كل قوم بوجهتهم

وبشرعتهم، وذلك أن اللام تورث الاختصاص، فإذا كان لليهود عيد وللنصارى عيد؛ كانوا مختصين به فلا نشركهم<sup>(٢)</sup> فيه، كما لا نشركهم<sup>(٣)</sup> في قبلتهم وشرعتهم.  
وكذلك أيضا، على هذا: لا ندعهم يشركونا في عيدنا.

<sup>(٤)</sup> : قوله: ﴿ وهذا عيدنا ﴾<sup>(٥)</sup> ، فإنه يقتضي حصر عيدنا في هذا، فليس لنا

عيد سواه، وكذلك قوله: ﴿ وإن عيدنا هذا اليوم ﴾<sup>(٦)</sup> فإن التعريف باللام والإضافة يقتضي الاستغراق، فيقتضي أن يكون جنس عيدنا منحصرًا في جنس ذلك اليوم، كما في قوله<sup>(٧)</sup> " تحريمها التكبير وتحليلها التسليم " <sup>(٨)</sup> .

وليس غرضه ﷺ الحصر في عين ذلك العيد، أو عين ذلك اليوم، بل الإشارة إلى جنس المشروع، كما تقول الفقهاء: باب صلاة العيد، وصلاة العيد كذا وكذا، ويندرج فيها صلاة العيدين، وكما يقال: لا يجوز صوم يوم العيد.

وكذا قوله: ﴿ وإن هذا اليوم ﴾ أي جنس هذا اليوم، كما يقول القائل لما يعاينه<sup>(٩)</sup>

(١) سورة المائدة : من الآية ٤٨ .

(٢) في (أ) : يشركهم .

(٣) في (أ) : يشركهم .

(٤) في المطبوعة : الوجه الثاني .

(٥) البخاري الجمعة (٩٠٩) ، مسلم صلاة العيدين (٨٩٢) ، ابن ماجه النكاح (١٨٩٨) ، أحمد (١٨٧/٦) .

(٦) البخاري المناقب (٣٧١٦) ، أحمد (٩٩/٦) .

(٧) زاد في المطبوعة : في الصلاة .

(٨) هذا جزء من حديث أخرجه الترمذي في أبواب الطهارة ، الباب (٣) ، الحديث (٣) ، ولفظه : " مفتاح الصلاة الطهور ، وتحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم " ، وقال : " هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب وأحسن " ( ١ / ٨ ، ٩ ) . وأبو داود في كتاب الصلاة ، الباب (٧٤) ، حديث (٦١٨) بلفظ الترمذي؛ وابن ماجه ، كتاب الطهارة ، الباب (٣) ، الحديث رقم (٢٧٥) و (٢٧٦)؛ وأحمد في المسند ( ١ / ١٢٣ ، ١٢٩)؛ والحاكم وصححه ( ١ / ١٣٢ ) .

(٩) في المطبوعة : يعاينه . هو تصحيف .

من الصلاة: هذه صلاة المسلمين، ويقال لمخرج الناس<sup>(١)</sup> إلى الصحراء<sup>(٢)</sup> وما يفعلونه من التكبير والصلاة ونحو ذلك<sup>(٣)</sup> هذا عيد المسلمين، ونحو ذلك<sup>(٤)</sup>.

ومن هذا الباب: حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿يوم عرفة ويوم النحر، وأيام منى عيدنا أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب﴾<sup>(٥)</sup>. رواه أبو داود<sup>(٦)</sup> والنسائي<sup>(٧)</sup> والترمذي وقال: حديث حسن صحيح<sup>(٨)</sup>.

فإنه دليل مفارقتنا<sup>(٩)</sup> لغيرنا في العيد، والتخصيص بهذه الأيام الخمسة؛ لأنه يجتمع فيها العيدان: المكاني والزمني، ويطول زمنه، وبهذا يسمى العيد الكبير، فلما كملت فيه صفات التعيد: حصر الحكم فيه لكماله، أو لأنه هو عد أياما<sup>(١٠)</sup> وليس لنا عيد هو أيام إلا هذه الخمسة.

: أنه رخص في لعب الجواري بالدف، وتغنيهن، معللا بأن لكل قوم عيداً، وأن هذا عيدنا، وذلك يقتضي أن الرخصة معللة بكونه عيد المسلمين، وأنها لا تتعدى إلى أعياد الكفار، وأنه لا يرخص<sup>(١١)</sup> في اللعب في أعياد الكفار، كما يرخص<sup>(١٢)</sup>

(١) في المطبوعة: ويقال لمخرج المسلمين .

(٢) في (أ): الصحرات .

(٣) ما بين الرقمين: سقط من (أ ط) .

(٤) ما بين الرقمين: سقط من (أ ط) .

(٥) الترمذي الصوم (٧٧٣) ، النسائي مناسك الحج (٣٠٠٤) ، أبو داود الصوم (٢٤١٩) ، أحمد (١٥٢/٤) ، الدارمي الصوم (١٧٦٤) .

(٦) انظر: سنن أبي داود في كتاب الصوم ، باب صيام أيام التشريق ، الحديث رقم (٢٤١٨) ، (٢ / ٨٠٤) .

(٧) انظر: سنن النسائي ، كتاب الحج ، باب النهي عن صوم يوم عرفة (٥ / ٢٥٢) .

(٨) والترمذي ، كتاب الصوم ، باب ما جاء في كراهة الصوم في أيام التشريق ، الحديث رقم (٧٧٣) ، (٣ / ١٤٣) . وكلهم رواه بلفظ: " وأيام التشريق " بدل: " أيام منى " .

(٩) لغيرنا: مكانها في (أ) بياض .

(١٠) كذا في جميع النسخ . وفي المطبوعة: عيد الأيام .

(١١) في (أ): لا يرض .

(١٢) في (أ): لا يرض .

فيه في أعياد المسلمين؛ إذ لو كان ما فعل في عيدنا من ذلك<sup>(١)</sup> اللعب يسوغ<sup>(٢)</sup> مثله في أعياد الكفار أيضا لما قال: ﴿فإن لكل قوم عيداً، وإن هذا عيدنا﴾<sup>(٣)</sup> لأن تعقيب الحكم بالوصف بحرف الفاء دليل على أنه علة، فيكون علة الرخصة: أن كل أمة مختصة بعيد، وهذا عيدنا، وهذه العلة مختصة<sup>(٤)</sup> بالمسلمين.

فلو كانت الرخصة معلقة باسم (عيد) لكان الأعم مستقلا بالحكم، فيكون الأخص عدم التأثير، فلما علل بالأخص علم أن الحكم لا يثبت بالوصف الأعم، وهو مسمى: عيد، فلا يجوز لنا أن نفعل في كل عيد للناس من اللعب ما نفعل في عيد المسلمين، وهذا<sup>(٥)</sup> هو المطلوب، وهذا فيه دلالة على النهي عن التشبه بهم في اللعب ونحوه.

(٦) : أن أرض العرب ما زال فيها يهود ونصارى، حتى

أجلاهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته، وكان اليهود بالمدينة كثيرا<sup>(٧)</sup> في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد هادهم حتى نقضوا العهد طائفة بعد طائفة، وما زال بالمدينة يهود، وإن لم يكونوا كثيرا، فإنه صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودي، وكان في اليمن يهود كثير، والنصارى بنجران وغيرها، والفرس بالبحرين.

ومن المعلوم أن هؤلاء كانت لهم أعياد يتخذونها، ومن المعلوم أيضا أن المقتضي لما يفعل في العيد: من الأكل، والشرب، واللباس، والزينة، واللعب، والراحة، ونحو ذلك:

(١) في (ب) : (من فعل) بدل (من ذلك) .

(٢) يسوغ مثله : مكاتها بياض في (أ) .

(٣) البخاري المناقب (٣٧١٦) ، ابن ماجه النكاح (١٨٩٨) .

(٤) في (أ) : محصة .

(٥) في (أ) : وهذا المطلوب .

(٦) في المطبوعة : الوجه الرابع من السنة ، وأظنه وهم من القائم على الطبع (الشيخ محمد حامد الفقي) رحمه الله ، فإن المؤلف سبق أن ذكر الوجه الرابع ، ولعل الشيخ حامد وهم ، فخلط بين أوجه الدلالة من حديث الجاريتين ، حيث ذكر المؤلف منها ثلاثة أوجه ثم ذكر الوجه الخامس من السنة ، وبين أوجه الاستدلال من السنة؛ لأنهما متداخلان ، وربما يكون هذا الخلط من النسخة التي طبعت عنها المطبوعة ، والله أعلم .

(٧) كثيرا : سقطت من المطبوعة .

قائم في النفوس كلها إذا لم يوجد مانع، خصوصا في نفوس الصبيان والنساء، وأكثر الفارغين من الناس.

ثم من كانت له خيرة بالسيره، علم يقينا أن المسلمين على عهد ﷺ ما كانوا يشركوهم في شيء من أمرهم، ولا يغيرون لهم عادة في أعياد الكافرين<sup>(١)</sup> بل ذلك اليوم عند<sup>(٢)</sup> رسول الله ﷺ وسائر المسلمين يوم من الأيام لا يخصونه بشيء أصلا إلا ما قد اختلف فيه من مخالفتهم فيه، كصومه. على ما سيأتي إن شاء الله تعالى.

فلولا أن المسلمين كان<sup>(٣)</sup> دينهم الذي تلقوه عن نبيهم منع<sup>(٤)</sup> من ذلك وكف<sup>(٥)</sup> عنه، لوجب أن يوجد من بعضهم فعل بعض ذلك؛ لأن المقتضي إلى ذلك قائم، كما تدل عليه الطبيعة والعادة، فلولا المانع الشرعي لوجد مقتضاه، ثم على هذا جرى عمل المسلمين على عهد الخلفاء الراشدين.

غاية ما كان يوجد من بعض الناس: ذهاب إليهم يوم العيد للتره بالنظر إلى عيدهم، ونحو ذلك، فنهى عمر رضي الله عنه وغيره من الصحابة عن ذلك، كما سنذكره، فكيف لو كان بعض الناس يفعل ما يفعلونه، أو ما هو بسبب عيدهم؟ بل لما ظهر من بعض المسلمين اختصاص يوم عيدهم بصوم؛ مخالفة لهم، نهى الفقهاء، أو كثير منهم، عن ذلك؛ لأجل ما فيه من تعظيم ما لعيدهم، أفلا يستدل بهذا على أن المسلمين تلقوا عن نبيهم ﷺ المنع عن مشاركتهم في أعيادهم؟ وهذا بعد التأمل بين جدا.

الوجه السادس<sup>(٦)</sup> من السنة: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

﴿ نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من

(١) في (ب ج د) : الكفار .

(٢) في (أ) : بل ذلك يوم عيد رسول الله .

(٣) في (ب ج د) : كان من دينهم ، وفي المطبوعة : كذلك .

(٤) في المطبوعة : المنع .

(٥) في المطبوعة : والكف .

(٦) في المطبوعة قال : والوجه الخامس ، وهو وهم كما أسلفت .

بعدهم، ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم، فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فالناس لنا فيه  
تبع: اليهود غدا والنصارى بعد غد ﴿<sup>(١)</sup> متفق عليه <sup>(٢)</sup> .

وفي لفظ صحيح: ﴿بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فهذا  
يومهم الذي اختلفوا فيه، فهدانا الله له ﴿<sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup> .

وعن أبي هريرة، وحذيفة رضي الله عنهما قالوا: قال رسول الله ﷺ ﴿أضل الله عن  
الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان <sup>(٥)</sup> للنصارى يوم الأحد، فجاء الله  
بنا فهدانا ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة،  
نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة المقضي لهم - وفي رواية بينهم - قبل  
الخلافتين ﴿ رواه مسلم <sup>(٦)</sup> .

وقد سمي النبي ﷺ الجمعة: (عيدا) في غير موضع، ونهى عن إفراده بالصوم؛ لما فيه من  
معنى العيد.

ثم إن في هذا الحديث ذكر أن الجمعة لنا، كما أن السبت لليهود، والأحد للنصارى،  
واللام تقتضي الاختصاص.

ثم هذا الكلام: يقتضي الاقتسام، إذا قيل: هذه ثلاثة أثواب <sup>(٧)</sup> أو ثلاثة غلمان: هذا

---

(١) البخاري الجمعة (٨٣٦)، مسلم الجمعة (٨٥٥) .

(٢) أخرجه البخاري في مواضع كثيرة . انظر : كتاب الوضوء ، باب البول في الماء الدائم ، حديث رقم (٢٣٨)  
من فتح الباري ، (١ / ٣٤٥) مختصرا؛ ورواه بألفاظ أتم رقم (٨٧٦) و (٨٩٦) و (٣٤٨٦) وغيرها . ومسلم  
في كتاب الجمعة ، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ، حديث رقم (٨٥٥) ، (٢ / ٥٨٥ ، ٥٨٦) .

(٣) البخاري الجمعة (٨٥٦) ، النسائي الجمعة (١٣٦٧) ، أحمد (٣٤٢/٢) .

(٤) هذه الرواية توجد في مسلم لكن بزيادة : " فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق " تحت الرقم المشار إليه  
أنفا (٢ / ٥٨٦) ، وهذه الزيادة بعد قوله : " وأوتيناه من بعدهم " وقبل : " فهذا يومهم " .

(٥) كان : سقطت من المطبوعة .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب الجمعة ، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ، حديث رقم (٨٥٦) ، (٢ / ٥٨٦) .

(٧) في (أ ط) : أبواب .



لي، وهذا لزيد، وهذا لعمر (١) أو جب ذلك أن يكون كل واحد محتصا بما جعل له، ولا يشرك فيه غيره، فإذا نحن شاركناهم (٢) في عيدهم يوم السبت، أو عيد (٣) يوم الأحد؛ خالفنا هذا الحديث، وإذا كان هذا في العيد الأسبوعي، فكذلك في العيد الحولي، إذ لا فرق، بل إذا كان هذا في عيد يعرف بالحساب العربي، فكيف بأعياد الكافرين العجمية التي لا تعرف إلا بالحساب الرومي القبطي، أو الفارسي أو العبري، ونحو ذلك؟.

وقوله ﷺ ﴿بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناهم بعدهم، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه، فهدانا الله﴾ (٤) أي: من أجل، كما يروى أنه قال: ﴿أنا أفصح العرب بيد أني من قريش، واسترضعت في بني سعد بن بكر﴾ (٥).

والمعنى والله أعلم: أي نحن الآخرون في الخلق السابقون في الحساب والدخول إلى الجنة، كما قد جاء في الصحيح: أن هذه الأمة أول (٦) من يدخل الجنة من الأمم (٧) وأن

---

(١) في (ج د) : لعمر .

(٢) في (أ ب د) : شركناهم .

(٣) في (أ) : أو عيدهم يوم الأحد .

(٤) البخاري الجمعة (٨٥٦) ، النسائي الجمعة (١٣٦٧) ، أحمد (٢٤٣/٢) .

(٥) قال في كشف الخفا : أورده أصحاب الغرائب ولا يعلم من أخرجه ولا إسناده . انظر : كشف الخفا (١ / ٢٣٢) ، حديث رقم (٦٠٩) . وذكره السيوطي في الجامع الصغير (١ / ٤١٣) ، رقم (٢٦٩٦) ، بلفظ : " أنا أعربكم ، أنا من قريش ، ولساني لسان بني سعد بن بكر " ، وقال السيوطي : حديث صحيح ، وذكر أنه عن ابن سعد بن يحيى بن يزيد السعدي مرسل . وذكره البغوي في شرح السنة (٤ / ٢٠٢) دون إسناد . وذكر الألباني أنه موضوع . انظر : ضعيف الجامع الصغير وزيادته ١٨٧-١٨٨ ، رقم ١٣٠٣ .

(٦) في (ب) : أولى .

(٧) من ذلك ما ورد في صحيح مسلم في حديث أبي هريرة ، الذي سبقت الإشارة إليه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " نحن الآخرون ، الأولون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة . . " ، حديث تابع رقم (٨٥٥) ، (٢ / ٥٨٥ - ٥٨٦) .

---

---

محمدًا ﷺ أول من يفتح له باب الجنة<sup>(١)</sup> وذلك لأننا أوتينا الكتاب من بعدهم، فهدينا لما  
اختلفوا فيه من العيد السابق للعيدين الآخرين، وصار عملنا<sup>(٢)</sup> الصالح قبل عملهم، فلما  
سبقناهم إلى الهدى والعمل الصالح جعلنا سابقين لهم في ثواب العمل الصالح.  
ومن قال: (بيد)، هنا<sup>(٣)</sup> بمعنى: غير، فقد أبعد.

---

(١) جاء ذلك في حديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " أنا أول  
الناس يشفع في الجنة . . " حديث رقم (١٩٧) ، ( ١ / ١٨٨ ) وفيه : " فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول :  
محمد ، فيقول : بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك " .

(٢) في (أ) : علمنا .

(٣) في (ج د) : هذا .

(١) : ما روى كريب (٢) مولى ابن عباس رضي الله عنهما

قال: ﴿ أرسلني ابن عباس وناس من أصحاب النبي ﷺ إلى أم سلمة رضي الله عنها، أسألها: أي الأيام كان النبي ﷺ أكثرها صياما؟ قالت: كان يصوم يوم السبت، ويوم الأحد أكثر ما يصوم من الأيام، ويقول: "إنهما يوما عيد للمشركين، فأنا أحب أن أخالفهم" (٣) .

رواه أحمد والنسائي وابن أبي عاصم (٤) وهو محفوظ من حديث عبد الله بن المبارك، عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي (٥) عن أبيه، عن كريب. وصححه بعض الحفاظ. وهذا نص في شرع مخالفتهم في عيدهم، وإن كان على طريق الاستحباب، وسنذكر حديث نفيه عن صوم يوم السبت، وتعليل ذلك أيضا بمخالفتهم، ونذكر حكم صومه مفردا عند العلماء، وأنهم متفقون على شرع مخالفتهم في عيدهم وإنما (٦) اختلفوا: هل مخالفتهم يوم عيدهم (٧) بالصوم لمخالفة فعلهم فيه، أو بالإهمال حتى لا يقصد بصوم ولا بفطر، أو يفرق بين العيد العربي والعيد العجمي؟ على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

النهي عن موافقتهم في أعيادهم بالإجماع والآثار

(١) في المطبوعة: الوجه السادس، وهو خطأ كما أسلفت .

(٢) هو: كريب بن أبي مسلم، الهاشمي بالولاء، المدني، من الطبقة الثالثة من التابعين، ثقة، أخرج له الستة، توفي سنة (٩٨ هـ). انظر: تقريب التهذيب (٢ / ١٣٤)، (ت ٤٣) .

(٣) أحمد (٦ / ٣٢٤) .

(٤) مسند أحمد (٦ / ٣٢٣ ، ٣٢٤) ، ولم أجد في السنة لابن أبي عاصم، فلعله في كتاب آخر له . وأخرجه الحاكم في المستدرک (١ / ١٠٩) ، وذكر أنه صحيح الإسناد .

(٥) هو عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، الهاشمي، أبو محمد، من أحفاد علي بن أبي طالب المدني، من الطبقة السادسة، توفي في خلافة المنصور، قال ابن حجر في التقريب: "مقبول"، أخرج له أبو داود والنسائي. انظر: تقريب التهذيب (١ / ٤٤٨)، (ت ٦١٠) م .

(٦) ما بين الرقمين: سقط من (أ) .

(٧) ما بين الرقمين: سقط من (أ) .

:

: ما قدمت التنبيه عليه، من أن اليهود والنصارى والجحوس ما زالوا في أمصار المسلمين بالجزية، يفعلون أعيادهم التي لهم، والمقتضي لبعض ما يفعلونه قائم في كثير من النفوس، ثم لم يكن على عهد السابقين <sup>(١)</sup> من المسلمين، من يشركهم في شيء من ذلك، فلولا قيام المانع في نفوس الأمة، كراهة ونهيا عن <sup>(٢)</sup> ذلك، وإلا لوقع ذلك كثيرا؛ إذ الفعل مع وجود مقتضيه، وعدم منافيه: واقع لا محالة، والمقتضى واقع؛ فعلم وجود المانع، والمانع هنا هو: الدين، فعلم أن الدين دين الإسلام هو المانع من الموافقة، وهو المطلوب.

: أنه قد تقدم في شروط عمر رضي الله عنه التي اتفقت عليها الصحابة، وسائر الفقهاء بعدهم: أن أهل الذمة من أهل الكتاب لا يظهرون أعيادهم في دار الإسلام، وسموا: الشعانين والباعوث <sup>(٣)</sup> فإذا كان المسلمون قد اتفقوا على منعهم من إظهارها، فكيف يسوغ للمسلمين <sup>(٤)</sup> فعلها؟ أو ليس فعل المسلم لها أشد من فعل الكافر لها، مظهرها لها؟ وذلك: أنا إنما <sup>(٥)</sup> منعناهم من إظهارها؛ لما فيه من الفساد: إما لأنها معصية، أو شعار المعصية، وعلى التقديرين: فالمسلم ممنوع من المعصية، ومن شعار <sup>(٦)</sup> المعصية، ولو لم يكن في فعل المسلم لها من الشر إلا تجرئة الكافر على إظهارها لقوة قلبه بالمسلم <sup>(٧)</sup> إذا فعلها، فكيف وفيها من الشر ما سننبه <sup>(٨)</sup> على بعضه؟

(١) في المطبوعة: السلف .

(٢) في (أ ب) والمطبوعة: من .

(٣) انظر: تعريف الشعانين (١ / ٤٧٩) في الهامش، و (١ / ٥٣٧) في المتن، وتعريف الباعوث (١ / ٣٦٤) في المتن .

(٤) في (أ): يسوغ المسلمون، وهو تصحيف .

(٥) في (أ): إذا .

(٦) في (أ ب): شعائر .

(٧) في المطبوعة قال: فكيف بالمسلم إذا فعلها؟ .

(٨) في المطبوعة: ما سننبهه على بعضه، إن شاء الله تعالى .

: ما تقدم من رواية أبي الشيخ الأصبهاني، عن عطاء بن يسار - هكذا رأيت<sup>(١)</sup> ولعله ابن<sup>(٢)</sup> دينار<sup>(٣)</sup> - قال: قال عمر: " إياكم ورطانة الأعاجم، وأن تدخلوا على المشركين يوم عيدهم في كنائسهم " <sup>(٤)</sup> .

وروى البيهقي بإسناد صحيح في باب كراهة<sup>(٥)</sup> الدخول على أهل الذمة في كنائسهم<sup>(٦)</sup> والتشبه بهم يوم نيروزهم ومهرجانهم: عن سفيان الثوري، عن ثور بن يزيد<sup>(٧)</sup> عن عطاء بن دينار قال: قال عمر: " لا تعلموا رطانة الأعاجم، ولا تدخلوا على المشركين في كنائسهم يوم عيدهم؛ فإن السخطة تنزل عليهم " <sup>(٨)</sup> .

وبالإسناد<sup>(٩)</sup> عن الثوري، عن عوف<sup>(١٠)</sup> .....

عن الوليد<sup>(١١)</sup> - أو أبي الوليد -، عن عبد الله بن عمرو<sup>(١)</sup> قال: " من بنى ببلاد الأعاجم

(١) في (ج) : رأيت .

(٢) في (أ) : ولعله دينار .

(٣) هو : عطاء بن دينار ، الهذلي بالولاء ، أبو الزيات ، المصري ، وقيل : أبو الريان ، من الطبقة السادسة ، قال ابن حجر في التقريب : " صدوق " ، إلا أن روايته عن سعيد بن جبير من صحيفته " ، أخرج له أبو داود والترمذي ، والبخاري في الأدب المفرد ، توفي سنة (١٢٦هـ) . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ٢١) ، (ت) (١٨٨) .

(٤) انظر : كتر العمال (٣ / ٨٨٦) ، رقم (٩٠٣٤) . وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٩ / ٢٣٤) ، باب كراهية الدخول على أهل الذمة ، وفيه اختلاف يسير في السياق .

(٥) في (أ) : كراهية .

(٦) في كنائسهم : ساقطة من (ج) .

(٧) هو : ثور بن يزيد الكلاعي الحمصي ، أبو خالد ، من الطبقة السابعة ، قال في التقريب : (ثقة ، ثبت ، إلا أنه يرى القدر) . أخرج له الستة سوى مسلم ، توفي سنة (١٥٣هـ) . انظر : تقريب التهذيب (١ / ١٢٠) ، (ت) (٥٣) .

(٨) السنن الكبرى للبيهقي (٩ / ٢٣٤) ، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (١ / ٤١١) ، رقم (١٦٠٩) .

(٩) في (أ) : والإسناد .

(١٠) هو : عوف بن أبي جميلة الأعرابي . مرت ترجمته . انظر : فهرس الأعلام .

(١١) هو : الوليد بن عبدة مولى عمرو بن العاص ، قال أبو حاتم : مجهول ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقد اختلف في اسمه اختلافاً كبيراً ، ولعل هذا هو السبب في شك البيهقي في اسمه هنا ، توفي سنة (١٠٠هـ) . انظر : تهذيب التهذيب (١١ / ١٤١) ، (ت) (٢٣٥) ، والجرح والتعديل (٩ / ١١) ، (ت) (٤٩) .

الأعاجم فصنع نيروزهم ومهرجائهم، وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك، حُشر معهم يوم القيامة " (٢) .

وروى بإسناده عن البخاري صاحب الصحيح قال: قال لي ابن أبي مریم (٣) أنبأنا (٤) نافع بن يزيد (٥) سمع سلمان بن أبي زينب (٦) وعمرو بن الحارث (٧) ..... سمع (٨) سعيد بن سلمة (٩) سمع أبان، سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: " اجتنبوا أعداء الله في عيدهم " (١٠) .

(١) في (ب) : ابن عمر ، والصحيح ابن عمرو . انظر : سنن البيهقي ( ٩ / ٢٣٤ ) .  
(٢) أخرجه البيهقي في سننه ( ٩ / ٢٣٤ ) ، بإسناده من أكثر من طريق عن عبد الله بن عمرو ، وسيشير إليها المؤلف .

(٣) هو : سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم ، المعروف بابن أبي مریم ، الجمحي ، المصري ، أبو محمد ، وثقه الأئمة ، وأخرج له الستة ، ولد سنة (١٤٤هـ) ، وتوفي سنة (٢٢٤هـ) . انظر : تهذيب التهذيب ( ٤ / ١٧ ، (١٨) ، (ت٢٣) .

(٤) في (ج د) : حدثنا .  
(٥) هو : نافع بن يزيد الكلاعي ، المصري ، أبو يزيد ، يقال : إنه مولى شرحبيل بن حسنة ، أخرج له مسلم وغيره ، وقال ابن حجر في التقريب : (ثقة ، عابد ، من السابعة) توفي سنة (١٦٨هـ) ، انظر : تقريب التهذيب ( ٢ / ٢٩٦ ) ، (ت ٢٨) .

(٦) هو : سليمان بن أبي زينب الشامي ، كذا في الجرح والتعديل ، وقال في الهامش : السبائي . انظر : الجرح والتعديل ( ٤ / ١١٨ ) ، (ت ٥١٢) . وهو في جميع النسخ (سلمان) ، ولعله خطأ من النساخ .

(٧) هو : عمرو بن الحارث بن يعقوب بن عبد الله الأنصاري ، مولى قيس ، المصري ، أبو أمية ، وثقه الأئمة ، وأخرج له الستة ، ولد سنة (٩٠هـ) ، وتوفي سنة (١٤٧هـ) وكان عالم الديار المصرية ومحدثها ومفتيها في زمنه . انظر : تهذيب التهذيب ( ٨ / ١٤ - ١٦ ) ، (ت ٢٢) .

(٨) في (ب) : كذا سعيد بن سلمة ، وفي (أ) : سمع سعيد أباه بن سلمة سمع أباه ، سمع عمر . . إلخ ، ولعله خلط من النساخ .

(٩) هو : سعيد بن سلمة بن أبي الحسام ، مولى آل عمر بن الخطاب ، المدني ، أبو عمرو ، السدوسي ، قال ابن حجر في التقريب : (صدوق ، صحيح الكتاب ، يخطئ من حفظه ) ، يعد من الطبقة السابعة ، أخرج له مسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، والبخاري في الأدب المفرد . انظر : تقريب التهذيب ( ١ / ٢٩٧ ) ، (ت ١٨٤) ، وتهذيب التهذيب ( ٤ / ٤١ ، ٤٢ ) ، (ت ٦٦) .

(١٠) السنن الكبرى للبيهقي ( ٩ / ٢٣٤ ) ، وكتر العمال ( ١ / ٤٠٥ ) ، رقم (١٧٣٢) .

وروي بإسناد صحيح عن أبي أسامة<sup>(١)</sup> حدثنا عوف، عن أبي المغيرة، عن عبد الله بن عمرو قال: " من بني ببلاد الأعاجم<sup>(٢)</sup> فصنع نيروزهم ومهرجانهم، وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك؛ حُشر معهم يوم القيامة " <sup>(٣)</sup> وقال: هكذا رواه يحيى بن سعيد، وابن أبي عدي<sup>(٤)</sup> وغندر<sup>(٥)</sup> وعبد الوهاب<sup>(٦)</sup> عن عوف، عن<sup>(٧)</sup> أبي المغيرة، عن عبد الله بن عمرو من قوله<sup>(٨)</sup> .

وبالإسناد إلى أبي أسامة، عن حماد بن زيد،<sup>(٩)</sup> عن هشام<sup>(١٠)</sup> عن<sup>(١١)</sup> محمد بن سيرين قال: " أُنِّي علي ﷺ بهدية<sup>(١٢)</sup> النيروز، فقال: ما هذه ؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، هذا

---

(١) زاد في (أ) هنا : اجتنبوا أعداء الله في أعيادهم ، وروي بإسناد صحيح عن أبي أسامة . . إلخ ، أي أنه كرر العبارة ، وأظنه خلط من الناسخ ، وأبو أسامة هو : حماد بن أسامة بن زيد القرشي ، مولاهم ، الكوفي ، عالم محدث ضابط ثقة ، من الطبقة التاسعة ، توفي سنة (٢٠١هـ) وعمره (٨٠) سنة . انظر : تقريب التهذيب (١) / ١٩٥ ، (ت) (٥٢٩) ، وتهذيب التهذيب (٣ / ٢ ، ٣) ، (ت) (١) .

(٢) في (أ) : العجم .

(٣) السنن الكبرى للبيهقي (٩ / ٢٣٤) .

(٤) هو : محمد بن إبراهيم بن أبي عدي ، وقد ينسب إلى جده ، أبو عمرو ، البصري " ثقة ، من التاسعة " ، مات سنة (١٩٤هـ) ، أخرج له الستة . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ١٤١) ، (ت) (١١) .

(٥) هو : محمد بن جعفر المدني ، البصري ، قال ابن حجر في التقريب : " ثقة ، صحيح الكتاب ، إلا أن فيه غفلة " ، من الطبقة التاسعة ، أخرج له الستة ، توفي سنة (١٩٤هـ) . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ١٥١) ، (ت) (١٠٨) .

(٦) هو : عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت بن عبيد الله بن الحكم بن أبي العاص الثقفى ، أبو محمد ، البصري ، ثقة ، أخرج له الستة ، وتغير قبل موته بثلاث سنين ، توفي سنة (١٩٤هـ) ، وكانت ولادته سنة (١٠٨هـ) . انظر : تهذيب التهذيب (٦ / ٤٤٩ ، ٤٥٠) ، (ت) (٩٣٤) .

(٧) في المطبوعة : عن عوف بن أبي المغيرة ، وهو تحريف ، حيث جعل " عن " : " ابن " .

(٨) السنن الكبرى للبيهقي (٩ / ٢٣٤) .

(٩) هو : حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي ، مرت ترجمته . انظر : فهرس الأعلام .

(١٠) هو : هشام بن حسان ، مرت ترجمته . انظر : فهرس الأعلام .

(١١) في المطبوعة : هشام بن محمد بن سيرين . فهو تحريف لـ : (عن) ، حتى صارت : (ابن) .

(١٢) في المطبوعة : بمثل النيروز .

يوم النيروز، قال: فاصنعوا كل يوم نيروزا<sup>(١)</sup> قال أبو أسامة: كره رضي الله عنه أن يقول: نيروزا " (٢) .

قال البيهقي: وفي هذا: الكراهة لتخصيص يوم بذلك لم يجعله الشرع مخصوصا به. وهذا عمر نهي عن تعلم<sup>(٣)</sup> لسانهم، وعن مجرد دخول الكنيسة<sup>(٤)</sup> عليهم يوم عيدهم، فكيف بفعل بعض أفعالهم؟ أو بفعل ما هو من مقتضيات دينهم؟. أليست موافقتهم في العمل أعظم من الموافقة في اللغة؟ أو<sup>(٥)</sup> ليس عمل<sup>(٦)</sup> بعض أعمال عيدهم<sup>(٧)</sup> أعظم من مجرد الدخول عليهم في عيدهم؟ وإذا كان السخط يتزل عليهم يوم عيدهم بسبب عملهم؛ فمن يشركهم في العمل أو بعضه: أليس قد يعرض لعقوبة ذلك؟ ثم قوله: " واجتنبوا أعداء الله في عيدهم " أليس نهيًا عن لقائهم والاجتماع بهم فيه؟ فكيف بمن عمل عيدهم؟

وأما عبد الله بن عمرو<sup>(٨)</sup> فصرح أنه: " من بنى بيلادهم، وصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت؛ حشر معهم " (٩) وهذا يقتضي أنه جعله كافرا بمشاركتهم في مجموع هذه الأمور، أو جعل ذلك من الكبائر الموجبة للنار، وإن كان الأول ظاهر لفظه، فتكون المشاركة في بعض ذلك معصية؛ لأنه لو لم يكن مؤثرا في استحقاق العقوبة لم يجز

(١) في السنن الكبرى: فيروز بالفاء (٩ / ٢٣٥) ، ويظهر لي أنه أصح ، لأنه كره أن يقول: نيروزًا - حسب تعليل أبي أسامة - فقال: فيروزًا .

(٢) السنن الكبرى (٩ / ٢٣٥) .

(٣) تعلم: ساقطة من المطبوعة .

(٤) في (أ): السكينة ، وهو تحريف .

(٥) في (أ): وأليس .

(٦) " عمل " : ساقطة من المطبوعة .

(٧) في (أ) زاد: بسبب عملهم .

(٨) في (أ ط): ابن عمر ، والصحيح: ابن عمرو ، كما سبق ذكره في المتن ، وكما هو مثبت من بقية النسخ .

(٩) السنن الكبرى للبيهقي (٩ / ٢٣٤) وقد مر .



جعلها جزءاً<sup>(١)</sup> من المقتضى، إذ المباح لا يعاقب عليه، وليس الذم على بعض ذلك مشروطاً ببعض؛ لأن أبعاض<sup>(٢)</sup> ما ذكره يقتضي الذم مفرداً.

وإنما ذكر<sup>(٣)</sup> - والله أعلم - من بنى بيادهم؛ لأنهم على عهد عبد الله بن عمرو<sup>(٤)</sup> وغيرهم من الصحابة كانوا ممنوعين من إظهار أعيادهم بدار الإسلام، وما كان أحد من المسلمين يتشبه بهم في عيدهم<sup>(٥)</sup> وإنما كان يتمكن من ذلك بكونه في أرضهم.

وأما علي عليه السلام فكره موافقتهم في اسم يوم العيد الذي ينفردون به، فكيف بموافقتهم في العمل؟

وقد نص أحمد على معنى ما جاء عن عمر وعلي رضي الله عنهما في ذلك، وذكر أصحابه مسأله العيد.

وقد تقدم قول القاضي أبي يعلى: مسألة في المنع من حضور أعيادهم.

وقال الإمام أبو الحسن الآمدي - المعروف بابن البغدادي<sup>(٦)</sup> - في كتابه: عمدة الحاضر وكفاية المسافر: "فصل: لا يجوز شهود أعياد النصارى<sup>(٧)</sup> واليهود، نص عليه أحمد في رواية مهنا<sup>(٨)</sup> <sup>(٩)</sup> واحتج بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾<sup>(١٠)</sup> ،

(١) في المطبوعة: جزء .

(٢) في (أ): العارض .

(٣) في (أ ط): ذكروا والله أعلم .

(٤) في (أ): ابن عمر .

(٥) في (أ): أعيادهم .

(٦) في (ج د): البغددي . والصحيح ما أثبتته . انظر ترجمته (ص ٣٨٣) من هذا الجزء .

(٧) في (ج د): ولا اليهود .

(٨) في (أ): منها . والصحيح مهنا . اسم شخص .

(٩) هو: مهنا بن يحيى الشامي السلمي ، أبو عبد الله ، من كبار أصحاب الإمام أحمد ، ونقل عنه أشياء كثيرة من الأحكام والمسائل ، وصحبه أكثر من أربعين عاماً ، وكان الإمام يجله ، وذكر ابن حجر في لسان الميزان أن الدارقطني قال عنه : " ثقة نبيل " وأن ابن حبان ذكره في الثقات ، وأن الأزدي قال : " منكر الحديث " . انظر : طبقات الحنابلة ( ١ / ٣٤٥ ) ، ( ت ٤٩٥ ) ، ولسان الميزان ( ٦ / ١٠٨ ) ، ( ت ٣٧٩ ) .

(١٠) سورة الفرقان آية : ٧٢ .

قال: الشعانين وأعيادهم، فأما ما يبيعون في الأسواق في أعيادهم فلا بأس بحضوره، نص عليه أحمد في رواية مهنا، وقال: إنما يمنعون أن يدخلوا عليهم بيعهم وكنائسهم، فأما ما يباع في الأسواق من المأكّل فلا، وإن قصد إلى توفير ذلك وتحسينه لأجلهم".

وقال الخلال في جامعه: "باب في كراهية<sup>(١)</sup> خروج المسلمين في أعياد المشركين" وذكر عن مهنا قال: "سألت أحمد عن شهود هذه الأعياد التي تكون عندنا بالشام، مثل: طور يانور<sup>(٢)</sup> ودير أيوب<sup>(٣)</sup> وأشباهه، يشهده المسلمون، يشهدون الأسواق، ويجلبون<sup>(٤)</sup> الغنم فيه، والبقر، والدقيق<sup>(٥)</sup> والبر، والشعير<sup>(٦)</sup> وغير ذلك، إلا أنه إنما يكون<sup>(٧)</sup> في الأسواق يشتركون، ولا يدخلون عليهم بيعهم؟

قال: إذا لم يدخلوا عليهم بيعهم، وإنما يشهدون السوق فلا بأس".

فإنما رخص أحمد رحمه الله في شهود السوق بشرط: أن لا يدخلوا عليهم بيعهم؛ فعلم منعه من دخول بيعهم.

وكذلك أخذ الخلال من ذلك: المنع من خروج المسلمين في أعيادهم، فقد نص أحمد على مثل ما جاء عن عمر رضي الله عنه من المنع من دخول كنائسهم في أعيادهم، وهو كما ذكرنا من باب التنبيه عن المنع عن<sup>(٨)</sup> أن يفعل<sup>(٩)</sup> كفعلهم.

وأما الرطانة<sup>(١٠)</sup> وتسمية شهورهم بالأسماء العجمية، فقال أبو محمد الكرمانى -

(١) في المطبوعة وفي (ب): كراهة .

(٢) في (ج د): طور يا نود . وفي المطبوعة : طور يا بور . ولم أجد له ذكراً .

(٣) دير أيوب : قرية بحوران من نواحي دمشق . يقال : إن أيوب عليه السلام كان بها ، وأنه ابتلي بها ، وفيها قبره ، والله أعلم . انظر : معجم البلدان لياقوت ( ٢ / ٤٩٩ ) .

(٤) في (أ) : ويجطون .

(٥) في المطبوعة : والرقيق .

(٦) الشعير : سقطت من (أ) .

(٧) في المطبوعة : إلا أنهم إنما يدخلون .

(٨) في المطبوعة : باب التنبيه عن المنع من أن يفعل .

(٩) في (ج د) : نفعل .

(١٠) الرطانة : التكلم بالأعجمية . انظر : مختار الصحاح ، مادة (ر ط ن) ، (ص ٢٤٦) .

المسمى بحرب - : باب تسمية الشهور بالفارسية: قلت لأحمد: فإن للفرس أياما وشهورا يسمونها بأسماء لا تعرف؟ فكره ذلك أشد الكراهة، وروى فيه عن مجاهد حديثا<sup>(١)</sup> أنه كره أن يقال: آذرماه<sup>(٢)</sup> وذو ماه<sup>(٣)</sup> قلت: فإن كان اسم رجل أسمىه به؟ فكرهه. قال: وسألت إسحاق قلت: تاريخ الكتاب يكتب بالشهور الفارسية مثل: آذرماه، وذو ماه؟ قال: إن لم يكن في تلك الأسماء اسم يكره، فأرجو. قال: وكان ابن المبارك يكره إيزدان<sup>(٤)</sup> يحلف به، وقال: لا آمن أن يكون أضيف إلى شيء يعبد، وكذلك الأسماء الفارسية قال: وكذلك أسماء العرب، كل شيء<sup>(٥)</sup> مضاف. قال: وسألت إسحاق مرة أخرى قلت: الرجل يتعلم شهور الروم والفرس؟ قال: كل اسم معروف في كلامهم فلا بأس<sup>(٦)</sup>.

فما قاله أحمد من كراهة هذه الأسماء له وجهان:

: إذا لم يعرف معنى الاسم، جاز أن يكون معنى محرما، فلا ينطق المسلم بما لا يعرف معناه، ولهذا كرهت الرقى العجمية، كالعبرانية<sup>(٧)</sup> أو السريانية، أو غيرها؛ خوفا أن يكون فيها معان لا تجوز. وهذا المعنى هو الذي اعتبره إسحاق، لكن إن<sup>(٨)</sup> علم أن المعنى مكروه فلا ريب في كراهته، وإن جهل معناه فأحمد كرهه، وكلام إسحاق يحتمل أنه لم يكرهه.

(١) حديثا : سقطت من المطبوعة ، وهي في (أ) : حدثنا .

(٢) آذرماه ، وذو ماه : أسماء شهور بالفارسية ، وماه تعني : شهر . انظر : السامي في الأسماء للنيسابوري (ص ٣٦٠)

(٣) نفس التعليق السابق .

(٤) في (أ) : ايزكان يحلف به . ولم أجد تفسيراً لمعناها .

(٥) شيء : سقطت من (أ) .

(٦) من قوله : فلا بأس ، إلى قوله : جاز أن يكون (سطر تقريبا) حذفه من (أ) وجاء به بعد (فلا ينطق) بحيث لا يستقيم المعنى . وهو خلط من الناسخ .

(٧) في (أ ط) : بالعبرانية .

(٨) في المطبوعة : إذا علم .

(١) : كراهته أن يتعود الرجل النطق بغير العربية، فإن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر (٢) الأمم التي بها يتميزون، ولهذا كان كثير من الفقهاء أو أكثرهم يكرهون في الأدعية التي في الصلاة والذكر: أن يُدعى الله أو يذكر بغير العربية.

وقد اختلف الفقهاء في أذكار الصلوات (٣) هل تقال بغير العربية؟ وهي ثلاث درجات: أعلاها القرآن، ثم الذكر الواجب غير القرآن، كالتحرمة بالإجماع (٤) وكالتحليل والتشهد عند من أوجبهما (٥) ثم الذكر غير الواجب، من دعاء أو تسيح أو تكبير أو غير ذلك.

فأما القرآن: فلا يقرؤه (٦) بغير العربية، سواء قدر عليها أو لم يقدر عند الجمهور، وهو الصواب الذي لا ريب فيه، بل قد قال غير واحد: إنه يمتنع أن يترجم سورة، أو ما يقوم به الإعجاز.

واختلف أبو حنيفة وأصحابه في القادر على العربية.

وأما الأذكار الواجبة: فاختلف في منع ترجمة القرآن (٧) هل يترجمها (٨) العاجز عن العربية، وعن تعلمها؟ وفيه لأصحاب أحمد وجهان، أشبهها بكلام أحمد: أنه لا يترجم، وهو قول مالك وإسحاق، والثاني: يترجم، وهو قول أبي يوسف ومحمد والشافعي. وأما سائر الأذكار فالمنصوص من الوجهين، أنه لا يترجمها (٩) ومتى فعل بطلت

(١) في (ج د) وفي المطبوعة: في كراهة .

(٢) في (ج د): شعار .

(٣) في (ج د) وفي المطبوعة: الصلاة .

(٤) في (ج د): بإجماع .

(٥) في المطبوعة: أوجبه .

(٦) في (أ): لغير العربية .

(٧) على أنه من الأذكار الواجبة كما أشار المؤلف آنفاً .

(٨) في المطبوعة: هل تترجم للعاجز .

(٩) في (أ ج د): لا يترجمها .

صلاته، وهو قول مالك وإسحاق وبعض أصحاب الشافعي.

والمنصوص عن الشافعي: أنه يكره ذلك بغير العربية ولا تبطل، ومن أصحابنا من قال: له ذلك، إذا لم يحسن العربية.

وحكم النطق بالعجمية في العبادات: من الصلاة والقراءة والذكر، كالتلبية والتسمية على الذبيحة، وفي العقود والفسوخ، كالنكاح واللعان وغير ذلك: معروف في كتب الفقه.

وأما الخطاب بها من غير حاجة في أسماء الناس والشهور<sup>(١)</sup> - كالتواريخ ونحو ذلك - فهو منهي عنه، مع الجهل بالمعنى، بلا ريب، وأما مع العلم به فكلام أحمد بين في كراهته أيضا، فإنه<sup>(٢)</sup> كره: آذرماء، ونحوه، ومعناه ليس محرما.

وأظنه سئل عن الدعاء في الصلاة بالفارسية فكرهه وقال: لسان سوء! وهو أيضا قد أخذ بحديث عمر رضي الله عنه الذي فيه النهي عن رطانتهم، وعن شهود أعيادهم، وهذا<sup>(٣)</sup> قول مالك أيضا؛ فإنه قال: لا يحرم بالعجمية، ولا يدعو بها ولا يحلف بها، وقال: نهى عمر عن رطانة الأعاجم وقال: "إنها حب"<sup>(٤)</sup> فقد استدل بنهي عمر عن الرطانة مطلقا.

وقال الشافعي فيما رواه السلفي<sup>(٥)</sup> بإسناد معروف إلى محمد بن عبد الله بن <sup>(٦)</sup> عبد الحكم<sup>(٧)</sup> قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول: "سمى الله الطالبين من فضله في

(١) في المطبوعة: والشهود.

(٢) فإنه: ساقطة من (أ).

(٣) في (أ): وهو.

(٤) انظر: المدونة (١ / ٦٢، ٦٣).

(٥) السلفي: سقطت من (أ).

(٦) في المطبوعة: بن الحكم، وهو خطأ ولعله سقط مطبعي.

(٧) هو: محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث المصري، أبو عبد الله، كان عالما فقيها فاضلا، قال عنه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل: "وهو صدوق ثقة أحد فقهاء مصر من أصحاب مالك"، ووثقه النسائي وأخرج له في سننه، توفي سنة (٢٦٨هـ)، وكانت ولادته سنة (١٨٢هـ). انظر: الجرح والتعديل (٧ / ٣٠٠، ٣٠١)، (ت ١٦٣٠)، وتهذيب التهذيب (٩ / ٢٦٠، ٢٦٢)، (ت ٤٣٣).

الشراء والبيع: تجارا، ولم تنزل العرب تسميهم التجار، ثم سماهم رسول الله ﷺ بما سمي الله به من التجارة بلسان العرب، والسماسة اسم من أسماء العجم، فلا نخب أن يسمي رجل يعرف العربية تاجرا، إلا تاجرا، ولا ينطق بالعربية فيسمى شيئا بأعجمية، وذلك أن اللسان الذي اختاره الله ﷻ لسان العرب، فأنزل (١) به كتابه العزيز، وجعله لسان خاتم أنبيائه محمد ﷺ ولهذا نقول: ينبغي لكل أحد يقدر على تعلم العربية أن يتعلمها (٢)؛ لأنه اللسان الأولى بأن يكون مرغوبا فيه من غير أن يحرم على أحد أن ينطق بأعجمية".

فقد كره الشافعي لمن يعرف العربية، أن يسمي بغيرها، وأن يتكلم بها خالطا لها بالعجمية، وهذا الذي (٣) قاله الأئمة مأثور عن الصحابة والتابعين.

وقد قدمنا عن عمر (٤) وعلي رضي الله عنهما ما ذكره.

وروى أبو بكر بن أبي شيبه في المصنف، حدثنا وكيع (٥) عن أبي هلال (٦) عن ابن (٧) بريدة (٨) قال: قال عمر: " ما تكلم الرجل الفارسية إلا خَبَّ (٩) ولا خَبَّ رجل إلا

(١) به : سقطت من (ب) .

(٢) أن يتعلمها : سقطت من (أ) .

(٣) في المطبوعة : وهذا الذي ذكره قاله الأئمة . أي بزيادة (ذكره) .

(٤) في (أ) : وعن علي .

(٥) هو : وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي ، الكوفي الحافظ ، إمام حافظ ثقة ثبت ، فقيه ورع ، ولد سنة (١٢٨ هـ) ، وتوفي سنة (١٩٦ هـ) . انظر : تهذيب التهذيب (١١ / ١٢٣ - ٢٣١) ، (ت ٢١١) .

(٦) هو : الراسبي . مرت ترجمته . انظر : فهرس الأعلام .

(٧) في (ج د) وفي المطبوعة : عن أبي بريدة ، وما أثبتته أصح . انظر ترجمته التالية .

(٨) هذا اللقب يُطلق على الأخوين : سليمان وعبد الله ابني بريدة الأسلمي ، والأرجح أن المقصود منهما هنا هو عبد الله ، كما أفاد بذلك ابن حجر في تهذيب التهذيب (١٢ / ٢٨٦) ، (ت ١٣٤٦) أنه عند الإبهام فالمقصود منهما عبد الله ، إلا إذا روى عنه (أشخاص ذكرهم ابن حجر ليس فيهم أبو هلال المذكور هنا) ، فالترجم هنا : عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي ، تابعي تولى قضاء مرو ، وثقه ابن معين والعجلي وأبو حاتم ، وأخرج له الستة ، ولد سنة (١٥ هـ) ، وتوفي سنة (١١٥ هـ) . انظر : تهذيب التهذيب (٥ / ١٥٧ ، ١٥٨) ، (ت ٢٧٠) .

(٩) خب : أي صار خداعا ، من الخب — بالكسر — وهو : المكر والخداع والغش . انظر : القاموس المحيط ، فصل الخاء ، باب الباء (١ / ١٦) .

نقصت مروءته " .

وقال: حدثنا وكيع، عن ثور، عن عطاء قال: " لا تعلموا رطانة الأعاجم، ولا تدخلوا عليهم كنائسهم، فإن السخط ينزل عليهم " (١) .

وهذا هو (٢) الذي روينا فيما تقدم عن عمر رضي الله عنه.

وقال: حدثنا إسماعيل بن عليّة، عن داود بن أبي هند، أن محمد بن سعد بن أبي وقاص (٣) سمع قوما يتكلمون بالفارسية فقال: " ما بال المجوسية بعد الحنيفية ؟ (٤) .

وقد روى السلفي من حديث سعيد بن العلاء البرذعي (٥) حدثنا إسحاق بن إبراهيم البلخي (٦) حدثنا عمر بن هارون البلخي (٧) حدثنا (٨) أسامة بن زيد (٩) عن نافع، عن

ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ من يحسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالعجمية فإنه يورث النفاق ﴾ (١٠) .

ورواه أيضا بإسناد معروف، إلى أبي سهل (١١) محمود بن عمر العكبري (١) حدثنا

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٩ / ١١) ، رقم (٦٣٣٢) .

(٢) هو : ساقطة من (أ) والمطبوعة .

(٣) هو : ابن الصحابي سعد بن أبي وقاص ، تابعي مدني نزل الكوفة ، ثقة ، أخرج له البخاري ومسلم ، وقتله الحجاج في فتنه ابن الأشعث سنة (٨٠ هـ) . انظر : تهذيب التهذيب (٩ / ١٨٣) ، (ت ٢٧٤) .

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٩ / ١١) ، رقم (٦٣٣٣) .

(٥) هو : سعيد بن القاسم بن العلاء البرذعي ، ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ (٣ / ٩٣٦ ، ٩٣٧) ، (ت ٨٨٩) . وقال : مات سنة (٣٦٢ هـ) . وكذا سماه الحاكم في المستدرک (٤ / ٨٧) .

(٦) هو : إسحاق بن إبراهيم الجريري البلخي ، ولم أحد له ترجمة وافية . انظر : مستدرک الحاكم (٤ / ٨٧) .

(٧) هو : عمر بن هارون بن يزيد ، الثقفى بالولاء ، البلخي ، من الحفاظ الكثيرين ، لكنه متروك الحديث ، توفي سنة (١٩٤ هـ) . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ٦٤) ، (ت ٥٢١) ؛ ويحيى بن معين وكتابه التاريخ (٢ / ٤٣٥) .

(٨) في (ب ج د) : أنا . أي أنبأنا .

(٩) هو : أسامة بن زيد ، الليثي بالولاء ، أبو زيد ، المدني ، قال ابن حجر : صدوق يهيم ، مات سنة (١٥٣ هـ) وعمره بضع وسبعون سنة . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ٥٣) ، (ت ٣٥٨) .

(١٠) وأخرجه الحاكم في المستدرک (٤ / ٨٧) ، وفيه عمر بن هارون ، متروك .

(١١) في المطبوعة : أبي سهيل . وما أثبتته من النسخ المخطوطة أصح . انظر : لسان الميزان (٦ / ٣) ، (ت ٥) .

محمد بن الحسن بن محمد المقرئ<sup>(٢)</sup> حدثنا أحمد بن الخليل<sup>(٣)</sup> - ببلخ - حدثنا إسحاق بن ابراهيم الحريري<sup>(٤)</sup> حدثنا عمر بن هارون، عن أسامة بن زيد، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ من كان يجسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالفارسية فإنه يورث النفاق ﴾<sup>(٥)</sup> .

وهذا الكلام يشبه كلام عمر بن الخطاب، وأما رفعه فموضع تبين. ونقل عن طائفة منهم، أنهم كانوا يتكلمون بالكلمة بعد الكلمة من العجمية، قال أبو خلدة<sup>(٦)</sup> كلمني أبو العالية بالفارسية<sup>(٧)</sup> وقال منذر الثوري<sup>(٨)</sup> سألت رجل محمد بن الحنفية<sup>(٩)</sup> عن الجبن، فقال: يا جارية اذهبي بهذا الدرهم فاشتريني به نبيزا<sup>(١٠)</sup> فاشترت به نبيزا<sup>(١١)</sup> ثم جاءت به، يعني الجبن<sup>(١)</sup> .

- 
- (١) ذكره ابن حجر في لسان الميزان ولم يذكر في توثيقه وتضعيفه شيئاً . (٦ / ٣) ، (ت ٥) .
- (٢) لعله : محمد بن الحسن بن محمد بن زياد ، الموصلي ، ثم البغدادي ، المقرئ المفسر المشهور بالنقاش ، وهو متروك الحديث ، ولد سنة (٢٦٦هـ) ، وتوفي سنة (٣٥١هـ) . انظر : تذكرة الحفاظ (٢ / ٩٠٨ ، ٩٠٩) ، (ت ٨٧٢) ، الجزء الثالث .
- (٣) سماه الحاكم في المستدرک (٤ / ٨٧) : أحمد بن الليث بن الخليل ، ولم أعثر له على ترجمة .
- (٤) كذا في جميع النسخ المخطوطة : الحريري . ولعل (الجريري) أصح كما في المستدرک (٤ / ٨٧) وأشارت إلى ترجمته قبل قليل .
- (٥) لم أجده .
- (٦) هو : خالد بن دينار التميمي السعدي ، أبو خلدة ، البصري ، الخياط ، صدوق ، من الطبقة الخامسة ، أخرج له البخاري والنسائي وأبو داود والترمذي . انظر : تقريب التهذيب (١ / ٢١٣) ، (ت ٢٦) .
- (٧) منصف ابن أبي شيبة (٩ / ١١) ، رقم (٦٣٣٤) .
- (٨) هو : المنذر بن يعلى الثوري ، أبو يعلى ، الكوفي ، ثقة ، من الطبقة السادسة ، أخرج له الستة . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ٢٧٥) ، (ت ١٣٧٦) .
- (٩) هو : محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي ، أبو القاسم ، سمي (ابن الحنفية) لأن أمه من بني حنيفة ، ثقة عالم ، من الطبقة الثانية ، أخرج له الستة ، ومات بعد الثمانين . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ١٩٢) ، (ت ٥٤٩) .
- (١٠) في المطبوعة : تنبیزاً في الموضوعين . ولعل ما أثبتته أصح ، لإجماع المخطوطات عليه . وفي منصف ابن أبي شيبة (المطبوع) : بنبراً (٩ / ١٢) ، رقم (٦٣٣٧) .
- (١١) نفس التعليق السابق .



وفي الجملة: فالكلمة بعد الكلمة من العجمية، أمرها قريب، وأكثر ما يفعلون ذلك<sup>(٢)</sup> إما لكون المخاطب أعجمياً، أو قد اعتاد العجمية، يريدون تقريب الأفهام عليه، كما قال النبي ﷺ لأم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص<sup>(٣)</sup> العاص<sup>(٤)</sup> - وكانت صغيرة قد ولدت بأرض الحبشة لما هاجر أبوها، فكساها النبي ﷺ خميصاً<sup>(٥)</sup> وقال: ﴿يا أم خالد، هذا سنا﴾<sup>(٦)</sup> والسنا بلغة الحبشة: الحسن<sup>(٧)</sup>.

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال لمن أوجعه بطنه: "أشكم بدرد"<sup>(٨)</sup> وبعضهم يرويه مرفوعاً، ولا يصح.

وأما اعتياد الخطاب بغير اللغة العربية - التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن - حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله، أو لأهل الدار، أو للرجل مع صاحبه، أو لأهل السوق، أو للأمرء، أو لأهل الديوان، أو لأهل الفقه، فلا ريب أن هذا مكروه فإنه من التشبه بالأعاجم، وهو مكروه كما تقدم.

ولهذا كان المسلمون المتقدمون لما سكنوا أرض الشام ومصر، ولغة أهلها رومية، وأرض العراق وخراسان ولغة أهلها فارسية، وأهل<sup>(٩)</sup> المغرب، ولغة أهلها بربرية<sup>(١٠)</sup>

(١) في المطبوعة: يعني الخبز. والصحيح ما أثبتته من النسخ المخطوطة.

(٢) ذلك: ساقطة من (أ).

(٣) في (ب): أبو العاص، والصحيح (ابن) كما هو مثبت.

(٤) صحابية جليلة، كان اسمها: أمة، لكنها اشتهرت بكنيتها (أم خالد)، أخرج لها البخاري هذا الحديث، ويذكر بعض المؤرخين أنها عمرت. انظر: الإصابة (٤ / ٢٣٨)، (ت ٨٢) النساء.

(٥) في المطبوعة: قميصاً.

(٦) البخاري اللباس (٥٥٠٧).

(٧) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب ما يدعى لمن ليس ثوباً جديداً، الحديث رقم (٥٨٤٥) من فتح الباري (١٠ / ٣٠٣).

(٨) شكم تعني بالفارسية: البطن. انظر: السامي في الأسماء للنيسابوري (ص ١٠٢)، ولم أعثر على معنى (بدرد)، ولعلها بمعنى الوجع ونحوه.

(٩) في (ج د): وأرض.

(١٠) في (ط): بربرية. وهو تصحيف من الناسخ.

عودوا أهل هذه البلاد العربية، حتى غلبت على أهل هذه الأمصار: مسلمهم وكافرهم، وهكذا كانت خراسان قديما.

ثم <sup>(١)</sup> إنهم تساهلوا في أمر اللغة، واعتادوا الخطاب بالفارسية، حتى غلبت عليهم وصارت العربية مهجورة <sup>(٢)</sup> عند كثير منهم، ولا ريب أن هذا مكروهه، وإنما الطريق الحسن اعتياد الخطاب بالعربية، حتى يتلقنها الصغار في المكاتب وفي الدور <sup>(٣)</sup> فيظهر شعار الإسلام وأهله، ويكون ذلك أسهل على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسنة وكلام السلف، بخلاف من اعتاد لغة، ثم أراد أن ينتقل إلى أخرى فإنه يصعب.

واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل، والخلق، والدين تأثيرا قويا بينا، ويؤثر أيضا في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهمهم تزيد العقل والدين والخلق. وأيضا فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب <sup>(٤)</sup> والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

ثم منها ما هو واجب على الأعيان، ومنها ما هو واجب على الكفاية، وهذا معنى ما رواه أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا عيسى بن يونس <sup>(٥)</sup> عن ثور <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup> عن عمر بن زيد <sup>(٨)</sup>

(١) ثم : سقطت من (أ) .

(٢) في (ب) : مجهولة .

(٣) في المطبوعة : في الدور والمكاتب .

(٤) في (ب ج د) : كتاب الله والسنة .

(٥) هو : عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي ، كوفي نزل الشام مرابطاً ، أي في سبيل الله ، قال ابن حجر : " ثقة مأمون " يعد في الطبقة الثامنة ، أخرج له الستة ، توفي سنة (١٩١ هـ) . انظر : تقريب التهذيب ( ٢ /

١٠٣ ) ، (ت ٩٣٣) ع .

(٦) عن ثور : ساقطة من (أ) .

(٧) هو : ثور بن يزيد الكلاعي . مرت ترجمته . انظر : فهرس الأعلام .

(٨) في المطبوعة وفي (ب) : ابن يزيد . والصحيح ما أثبتته . انظر : التاريخ الكبير للبخاري ( ٦ / ١٥٧ ) ، وقال البخاري وابن أبي حاتم : " عمر بن زيد قال : كتب عمر إلى أبي موسى ، مرسل روى عنه ثور بن يزيد " ولم أجد عنه أكثر مما ذكر هنا . انظر : التاريخ الكبير ( ٦ / ١٥٧ ) ، والجرح والتعديل ( ٦ / ١٠٩ ) .

قال: كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه " أما بعد: فتفقهوا في السنة <sup>(١)</sup> وتفقهوا في العربية وأعربوا القرآن، فإنه عربي ".  
:

وفي حديث <sup>(٢)</sup> آخر عن عمر رضي الله عنه أنه قال: " تعلموا العربية <sup>(٣)</sup> فإنها من دينكم، وتعلموا <sup>(٤)</sup> الفرائض فإنها من دينكم " وهذا الذي أمر به عمر رضي الله عنه من فقه العربية وفقه الشريعة، يجمع ما يحتاج إليه؛ لأن الدين فيه أقوال وأعمال، وفقه العربية هو الطريق إلى فقه أقواله، وفقه السنة هو <sup>(٥)</sup> فقه أعماله.

النهي عن موافقتهم في أعيادهم بالاعتبار

:

: أن الأعياد من جملة الشرع والمناهج والمناسك، التي قال الله سبحانه <sup>(٦)</sup>

﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾ <sup>(٧)</sup> <sup>(٨)</sup> كالقبلة والصلاة والصيام، فلا فرق بين

مشاركتهم في العيد وبين مشاركتهم <sup>(٩)</sup> في سائر المناهج، فإن الموافقة في جميع العيد، موافقة في الكفر. والموافقة في بعض فروعها: موافقة في بعض شعب الكفر، بل الأعياد هي <sup>(١٠)</sup> من أحص ما تتميز به <sup>(١١)</sup> الشرائع، ومن أظهر ما لها من الشعائر، فالموافقة فيها موافقة <sup>(١٢)</sup> في أحص شرائع الكفر، وأظهر شعائره <sup>(١)</sup> ولا ريب أن الموافقة في هذا قد

(١) فتفقهوا في السنة : سقطت من (ج د) .

(٢) من هنا سقطت ورقة من المخطوطة (ب) ، وسأنبه على استثنائها (ص ٥٣١) .

(٣) في (أ) : قدم الفرائض على العربية .

(٤) وتعلموا الفرائض . . إلخ : سقطت من (ج د) .

(٥) في المطبوعة : هو الطريق إلى فقه . . إلخ .

(٦) في المطبوعة زاد هنا قوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ ، سورة المائدة : من الآية ٤٨ .

(٧) سورة الحج آية : ٦٧ .

(٨) سورة الحج : من الآية ٦٧ .

(٩) قوله : (في العيد وبين مشاركتهم) : سقطت من (ج د) .

(١٠) في (ج د) : وهي .

(١١) في المطبوعة : بين الشرائع .

(١٢) فيها موافقة : ساقطة من (ط) .

تنتهي إلى الكفر في الجملة بشروطه.

وأما مبدؤها فأقل أحواله: أن تكون معصية، وإلى هذا الاختصاص أشار النبي ﷺ بقوله: ﴿ **إن لكل قوم عيداً، وإن هذا عيدنا** ﴾<sup>(٢)</sup> وهذا أقبح من مشاركتهم في لبس الزنار<sup>(٣)</sup> ونحوه من علاماتهم؛ لأن تلك علامة وضعية<sup>(٤)</sup> ليست من الدين، وإنما الغرض منها مجرد التمييز<sup>(٥)</sup> بين المسلم والكافر، وأما العيد وتوابعه، فإنه من الدين الملعون هو وأهله، فالموافقة فيه موافقة فيما يتميزون به من أسباب سخط الله وعقابه.

وإن شئت أن تنظم هذا قياساً تمثيلاً<sup>(٦)</sup> قلت: <sup>(٧)</sup> شريعة من شرائع الكفر، أو شعيرة من شعائره، فحرمت موافقتهم فيها كسائر شعائر الكفر وشرائعه، وإن كان هذا أبين من القياس الجزئي<sup>(٨)</sup>.

ثم كل ما يختص به ذلك من عبادة وعادة، فإنما سببه هو كونه يوماً مخصوصاً، وإلا فلو كان كسائر الأيام لم يختص بشيء، وتخصيصه ليس من دين الإسلام في شيء، بل هو كفر به.

<sup>(٩)</sup>: أن ما يفعلونه في أعيادهم معصية لله؛ لأنه إما محدث مبتدع، وإما منسوخ، وأحسن أحواله - ولا حسن فيه - أن يكون بمرتبة صلاة المسلم إلى بيت

(١) في (ج د): شرائعه .

(٢) البخاري المناقب (٣٧١٦) ، ابن ماجه النكاح (١٨٩٨) .

(٣) في (أ): الزنابير .

(٤) في (أ): وصيغة . وفي (ط): وصيغة .

(٥) في (ج د): التمييز .

(٦) قياس التمثيل هو إلحاق الشيء بنظيره ، وهو الحكم على شيء بما حكم به على غيره بناء على جامع مشترك بينهما . انظر : مجموع الفتاوى للمؤلف (٩ / ٢٥٩) ، والرد على المنطقيين للمؤلف أيضاً (ص ٢٠٩) .

(٧) في المطبوعة : قلت : العيد شريعة . وهو أوضح للمعنى لكنه خلاف النسخ المخطوطة .

(٨) لعله يقصد بالقياس الجزئي : قياس العيد على مفردات الشرائع وجزئياتها ، كقياس العيد على الصوم ، كما أنه لا يجوز متابعة الكفار في صومهم ، فكذلك لا تجوز متابعتهم في عيدهم ، لأن كلا منهما من الشرائع ، والله أعلم .

(٩) في المطبوعة زاد : من الاعتبار . وكان الأولى أن يجعله تهميشاً .

المقدس.

هذا إذا كان المفعول مما يتدين به، وأما ما يتبع ذلك من التوسع في العادات من الطعام واللباس، واللعب والراحة، فهو تابع لذلك العيد الديني، كما أن ذلك تابع له <sup>(١)</sup> في دين الله: <sup>(٢)</sup> الإسلام، فيكون بمنزلة أن يتخذ بعض المسلمين عيداً مبتدعاً يخرج <sup>(٣)</sup> فيه إلى الصحراء، ويفعل <sup>(٤)</sup> فيه من <sup>(٥)</sup> العبادات والعادات من جنس المشروع في يومي الفطر والنحر، أو مثل أن ينصب بنية يطاف بها وتُحج <sup>(٦)</sup> ويُصنع لمن يفعل ذلك طعاماً ونحو ذلك.

فلو كره المسلم ذلك، لكن <sup>(٧)</sup> غير عادته ذلك اليوم، كما يغير أهل البدع عادتهم في الأمور العادية أو في بعضها؛ بصنعة <sup>(٨)</sup> طعام وزينة ولباس وتوسيع <sup>(٩)</sup> في نفقة، ونحو ذلك، من غير أن يتعبد <sup>(١٠)</sup> بتلك العادة المحدثه: ألم يكن <sup>(١١)</sup> هذا من أقبح المنكرات؟ فكذلك موافقة هؤلاء <sup>(١٢)</sup> المغضوب عليهم والضالين وأشد.

نعم، هؤلاء يقرون على دينهم المبتدع، والمنسوخ، <sup>(١٣)</sup> مستسرين به، والمسلم لا يقر على <sup>(١٤)</sup> مبتدع ولا منسوخ، لا سرا ولا علانية، وأما مشاهة الكفار فكمشاهة أهل

(١) له : سقطت من (أ) .

(٢) في المطبوعة : في دين الإسلام .

(٣) في المطبوعة : يخرجون .

(٤) في المطبوعة : ويفعلون .

(٥) من : سقطت من (ج د) .

(٦) في المطبوعة : ويحج إليها . والبنية : البناء .

(٧) في المطبوعة : لكره .

(٨) في المطبوعة : بصنعها .

(٩) في (ج د) : وتوسع .

(١٠) في المطبوعة : يتعبدوا .

(١١) في المطبوعة : كان هذا .

(١٢) في (ج د) : والمغضوب عليهم .

(١٣) في المطبوعة زاد : بشرط أن يكونوا مستسرين .

(١٤) في المطبوعة : على دين مبتدع .

البدع وأشد.

(١) أنه إذا سوغ فعل القليل من ذلك أدى إلى فعل الكثير، ثم إذا اشتهر الشيء دخل فيه عوام الناس، وتناسوا أصله حتى يصير عادة للناس، بل عيداً، حتى يضاهى بعيد الله، بل قد يزيد عليه، حتى يكاد أن يفضي إلى موت الإسلام وحياة الكفر. كما قد سوله الشيطان لكثير ممن يدعي الإسلام فيما يفعلونه في أواخر (٢) صوم النصارى، من الهدايا والأفراح، والنفقات، وكسوة الأولاد، وغير ذلك، مما يصير به مثل عيد المسلمين، بل البلاد المصاغبة للنجارى، التي قل علم أهلها وإيمانهم، قد صار ذلك أغلب عندهم وأبهى في نفوسهم من عيد الله ورسوله، على ما حدثني به الثقات. وأما (٣) ما رأيته بدمشق، وما حولها من أرض الشام، مع أنها أقرب إلى العلم والإيمان، فهذا الخميس الذي يكون في آخر صوم النصارى (٤) يدور بدوران صومهم، الذي هو سبعة أسابيع، وصومهم؛ وإن كان في أوائل الفصل الذي تسميه العرب: الصيف، وتسميه العامة: الربيع، فإنه يتقدم ويتأخر ليس له حد واحد من السنة الشمسية، كالخميس الذي هو (٥) في أول نيسان، بل يدور في نحو ثلاثة وثلاثين يوماً، لا يتقدم أوله عن (٦) ثاني شباط، ولا يتأخر أوله عن ثامن (٧) آذار، بل يبتدون بالاثنين الذي هو أقرب إلى اجتماع الشمس والقمر في هذه المدة، ليراعوا - كما زعموا (٨) - التوقيت الشمسي والهلالي. وكل ذلك بدع أحدثوها باتفاق منهم، خالفوا بها الشريعة التي جاءت بها الأنبياء، فإن

(١) في المطبوعة زاد: من الاعتبار، ثم قال: يدل أنه . . إلخ .

(٢) من هنا تنتهي الورقة الساقطة من (ب)، وتبدأ الورقة التالية لها بقوله: (أواخر) وقد سبق التنبيه على بداية السقط (ص ٥٢٧) .

(٣) في المطبوعة: ويؤكد صحة ذلك ما رأيته . . إلخ .

(٤) مر الحديث عنه (ص ٣٥٦)، وسيأتي (ص ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٩) .

(٥) هو: ساقطة من (أ ب ط) .

(٦) عن: سقطت من (أ) .

(٧) في المطبوعة: ثاني آذار .

(٨) كما زعموا: سقطت من المطبوعة . وفي (أ): قال: زعموا . أي أسقط: كما .

الأنبياء ما وقتوا العبادات إلا بالهلل، وإنما اليهود والنصارى حرفوا الشرائع تحريفا ليس هذا موضع ذكره.

ويلى هذا الخميس يوم الجمعة، الذي جعلوه بإزاء يوم الجمعة التي صلب فيها المسيح على زعمهم الكاذب، يسمونها: جمعة الصليبوت، ويليه ليلة السبت التي يزعمون أن المسيح كان فيها في القبر، وأظنهم يسمونها: ليلة النور، وسبت النور، ويصطنعون<sup>(١)</sup> مخرقة<sup>(٢)</sup> يروجونها على عامتهم، لغلبة الضلال عليهم، يخيلون إليهم أن النور يتزل من السماء في كنيسة القمامة<sup>(٣)</sup> التي ببيت المقدس، حتى يحملوا ما يوقد<sup>(٤)</sup> من ذلك الضوء إلى بلادهم متبركين به، وقد علم كل ذي<sup>(٥)</sup> عقل أنه مصنوع مفتعل، ثم يوم السبت يتطلبون<sup>(٦)</sup> اليهود، ويوم الأحد يكون العيد الكبير عندهم، الذي يزعمون أن المسيح قام فيه.

ثم الأحد الذي يلي هذا يسمونه الأحد الحديث، يلبسون فيه الجديد من ثيابهم ويفعلون فيه أشياء. وكل هذه الأيام عندهم أيام العيد، كما أن يوم عرفة ويوم النحر وأيام منى عيدنا أهل الإسلام، وهم يصومون عن الدسم<sup>(٧)</sup>.

ثم في مقدم فطرهم يفطرون، أو بعضهم، على ما يخرج من الحيوان، من لبن وبيض ولحم، وربما كان أول فطرهم على البيض، ويفعلون في أعيادهم وغيرها من أمور دينهم: أقوالا وأعمالا لا تنضبط.

ولهذا تجد نقل العلماء لمقالاتهم وشرائعهم تختلف، وعامته صحيح، وذلك أن القوم يزعمون أن ما وضعه رؤساء دينهم من الأحبار والرهبان من الدين، فقد لزمهم حكمه،

(١) في المطبوعة: ويصنعون .

(٢) في (ج د): مخرقة . وفي (ب): فيها مخرقة .

(٣) في (أ): القيامة . وكنيسة القمامة هي أعظم كنيسة للنصارى ببيت المقدس ، وللنصارى فيها مقبرة يسمونها القيامة : انظر : معجم البلدان لياقوت (٤ / ٣٩٦) .

(٤) في (أ): يوفق .

(٥) ذي : مكانها بياض في (أ) .

(٦) في (أ) وفي المطبوعة : يطلبون . ولعل المعنى : أنهم يذكرون مطالبتهم اليهود بدم المسيح على حد زعمهم .

(٧) في المطبوعة زاد : وما فيه الروح .

وصار شرعا شرعه المسيح في السماء، فهم في كل مدة ينسخون أشياء، ويشرعون<sup>(١)</sup> أشياء من الإيجابات والتحريمات، وتأليف الاعتقادات، وغير ذلك، مخالفا لما كانوا عليه قبل ذلك، زعما منهم أن هذا بامتزلة نسخ الله شريعة بشريعة أخرى. فهم واليهود في هذا الباب وغيره على طرفي نقيض: اليهود تمنع أن ينسخ الله الشرائع، أو يبعث رسولا بشريعة تخالف ما قبلها، كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾<sup>(٢)</sup> والنصارى تجيز لأخبارهم ورهبانهم شرع الشرائع ونسخها، فلذلك<sup>(٣)</sup> لا ينضبط للنصارى شريعة تحكى<sup>(٤)</sup> مستمرة على الأزمان.

وغرضنا لا يتوقف على معرفة تفاصيل باطلهم، ولكن يكفيننا أن نعرف المنكر معرفة تميز بينه وبين المباح والمعروف، والمستحب والواجب، حتى تتمكن بهذه المعرفة من اتقائه واحتنابه كما نعرف سائر المحرمات؛ إذ الفرض علينا تركها، ومن لم يعرف المنكر -<sup>(٥)</sup> جملة ولا تفصيلا - لم يتمكن من قصد احتنابه، والمعرفة الجملية كافية، بخلاف الواجبات: فإن الغرض<sup>(٦)</sup> لما كان فعلها، والفعل لا يتأتى<sup>(٧)</sup> إلا مفصلا، وجبت معرفتها على سبيل التفصيل.

وإنما عددت أشياء من منكرات دينهم، لما رأيت طوائف المسلمين قد ابتلي ببعضها، وجهل كثير منهم أنها من دين النصارى الملعون هو وأهله، وقد بلغني أيضا أنهم يخرجون في الخميس الذي قبل ذلك، أو يوم السبت، أو غير ذلك، إلى القبور؛ يبخرونها، وكذلك

(١) في المطبوعة : ويشرعون غيرها أشياء .

(٢) سورة البقرة : من الآية ١٤٢ .

(٣) في (أ) : فكذلك .

(٤) في المطبوعة : محكمة .

(٥) في المطبوعة : لا جملة .

(٦) في المطبوعة : الفرض .

(٧) في (أ) : لا يأتي .



ينحرون<sup>(١)</sup> في هذه الأوقات وهم يعتقدون أن في البخور بركة، ودفع أذى - وراء<sup>(٢)</sup> كونه طيبا - ويعدونه من القرابين مثل الذبائح، ويزفونه<sup>(٣)</sup> بنحاس، يضربونه كأنه ناقوس صغير، وبكلام مصنف، ويصلبون على أبواب بيوتهم، إلى غير ذلك من الأمور المنكرة.

ولست أعلم جميع ما يفعلونه، وإنما ذكرت<sup>(٤)</sup> ما رأيت كثيرا من المسلمين يفعلونه، وأصله مأخوذ عنهم، حتى إنه<sup>(٥)</sup> كان في مدة الخميس، تبقى الأسواق مملوءة من أصوات هذه النواقيس الصغار، وكلام الرقائين، من المنجمين وغيرهم، بكلام أكثره باطل، وفيه ما هو محرم أو كفر، وقد ألقى إلى جماهير العامة أو جميعهم إلا من شاء الله.

وأعني بالعامة هنا: كل من لا يعلم حقيقة الإسلام، فإن كثيرا ممن ينتسب<sup>(٦)</sup> إلى فقه أو دين قد شارك في ذلك، ألقى إليهم هذا البخور المرقى ينتفع<sup>(٧)</sup> ببركته، من العين والسحر والأدواء والهوام، ويصورون في أوراق صور الحيات والعقارب، ويلصقونها في بيوتهم زعما منهم أن تلك الصور - الملعون فاعلها التي لا تدخل الملائكة بيتا هي فيه - تمنع الهوام، وهو ضرب من طلاس الصابئة.

ثم كثير منهم - على ما بلغني - يصلب<sup>(٨)</sup> باب البيت، ويخرج خلق عظيم في الخميس المتقدم على هذا الخميس، يبخرون المقابر، ويسمون هذا المتأخر: الخميس الكبير، وهو عند الله الخميس المهين الحقير؛ هو وأهله ومن يعظمه<sup>(٩)</sup> فإن كل ما عظم بالباطل من مكان زمان، أو حجر أو شجر أو بنية: يجب قصد إهانتته، كما تهان الأوثان المعبودة، وإن

(١) في (ج د) : يبخرون . وفي المطبوعة : يبخرون بيوتهم .

(٢) في المطبوعة : لا لكونه طيبا . وفي (ب) : وراء لكونه .

(٣) في (ط) وفي المطبوعة : ويرقونه . ومعنى يزفونه : يحملونه مسرعين .

(٤) في المطبوعة : ذكرت ما ذكرت لما .

(٥) إنه : سقطت من (أ ج د) .

(٦) في (أ ب) : ينسب .

(٧) في (أ) : ينفع . وكذلك في المطبوعة .

(٨) في المطبوعة : على باب البيت . ومعنى يصلب باب البيت - والله أعلم - : يضع عليه الصليب لهذه المناسبة .

(٩) ومن يعظمه : سقطت من (أ) . وقد مر تعريف هذا الخميس أيضا .

كانت لولا عبادتها لكانت كسائر الأحجار.

ومما يفعله الناس من المنكرات: أنهم يوظفون على الأكرة<sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup> وظائف أكثرها كرها، من الغنم والدجاج والدين والبيض، فيجتمع فيها تحريمان: أكل مال المسلم، أو المعاهد بغير حق، وإقامة شعار النصراري، ويجعلونه ميقاتا لإخراج الوكلاء، على المزارع، ويطبخون<sup>(٣)</sup> فيه، ويصبغون<sup>(٤)</sup> فيه البيض، وينفقون فيه النفقات الواسعة، ويزينون أولادهم، إلى غير ذلك من الأمور التي يقشع منها قلب المؤمن الذي لم يمت قلبه، بل يعرف المعروف وينكر المنكر.

وخلق كثير منهم يضعون ثيابهم تحت السماء رجاء لبركة مرور مريم عليها<sup>(٥)</sup> فهل يستريب من في قلبه أدنى حياة من الإيمان أن شريعة جاءت بما قدمنا بعضه من مخالفة اليهود والنصارى، لا يرضى من شرعها ببعض هذه القبائح؟

ويفعلون ما هو أعظم من ذلك: يطلون أبواب بيوتهم ودواهم بالخلوق والمغرة<sup>(٦)</sup> وغير ذلك، وذلك من أعظم المنكرات عند الله تعالى، فالله تعالى يكفينا شر المبتدعة، وبالله التوفيق<sup>(٧)</sup>.

وأصل ذلك كله: إنما هو اختصاص أعياد الكفار بأمر جديد، أو مشابهمتهم في بعض أمورهم، يوضح ذلك: أن الأسبوع الذي يقع في آخر صومهم يعظمونه جدا ويسمون

---

(١) الأكرة : جمع أكار وهو : الحراث (المزارع ونحوه) ، ومعنى يوظفون : يقدرون ويفرضون عليهم . انظر : القاموس المحيط ، فصل الهمزة ، باب الراء ( ١ / ٣٧٨ ) ، ومختار الصحاح ، مادة ( و ظ ف ) ، (ص٧٢٨) .

(٢) في المطبوعة : الأماكن .

(٣) في المطبوعة : ويطحنون .

(٤) في ( ج د ) : ويصنعون .

(٥) في المطبوعة : لبركة من مريم تنزل عليها .

(٦) في المطبوعة : والمغراء . والمغرة : لون ليس بناصع الحمرة ، والطين الأحمر . انظر : القاموس المحيط ، فصل الميم

، باب الراء ( ٢ / ١٤٠ — ١٤١ ) .

(٧) السطران الأخيران : سقطا من (أ) .

خميسته: (١) الخميس الكبير، وجمعه: الجمعة الكبيرة، ويجتهدون في التعبد فيه ما لا يجتهدون في غيره، بمتلة العشر الأواخر من رمضان في دين الله ورسوله، والأحد الذي هو أول الأسبوع يصطنعون (٢) فيه عيداً يسمونه: الشعانين، هكذا نقل بعضهم عنهم، ونقل بعضهم عنهم (٣) أن الشعانين هو أول أحد في صومهم، يخرجون فيه بورق الزيتون ونحوه، ويزعمون أن ذلك مشاهمة لما جرى للمسيح عليه السلام، حين دخل إلى بيت المقدس راكباً أتانا مع جحشها، فأمر بالمعروف ونهى (٤) عن المنكر، فثار عليه غوغاء الناس، وكان اليهود قد وكلوا قوماً معهم عصي يضربونه بها، فأورقت تلك العصي وسجد أولئك (٥) للمسيح.

فعيد الشعانين مشاهمة لذلك الأمر، وهو الذي سمي في شروط عمر وكتب الفقه: " أن لا يظهره في دار الإسلام " ويسمون هذا العيد وكل مخرج يخرجونه إلى الصحراء: باعوثاً، (٦) فالباعوث (٧) اسم جنس لما يظهر به الدين، كعيد الفطر والنحر (٨).

فما يحكونه عن المسيح عليه صلوات الله عليه وسلامه من المعجزات هو في حيز الإمكان، لا نكذبهم فيه؛ لإمكانه، ولا نصدقهم؛ لجهلهم وفسقهم، وأما موافقتهم في التعييد فإحياء دين أحدثوه، أو دين نسخه الله (٩).

ثم يوم الخميس الذي يسمونه الخميس الكبير، يزعمون أن في مثله نزلت المائدة التي

(١) في المطبوعة : بتسميته الخميس الكبير .

(٢) في (ج د) وفي المطبوعة : يصنعون .

(٣) ونقل بعضهم عنهم - الأخيرة - سقطت من (ب) والمطبوعة .

(٤) في (أ) : يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

(٥) في المطبوعة : أولئك الغوغاء .

(٦) في (ب) : باعوثاً ، فالباعوث .

(٧) في المطبوعة : زاد : عند المسلمين .

(٨) في المطبوعة : زاد : عند المسلمين .

(٩) في (أ) زاد : في القرآن حيث . وهي عبارة ستأتي بعد سطر تقريباً ، فلعله خطفها بصر الناسخ ، فأثبتها هنا .

ذكرها الله في القرآن، حيث..... قال <sup>(١)</sup> ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا <sup>(٢)</sup> وَآيَةً مِنْكَ <sup>ط</sup> وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> فيوم الخميس هو يوم عيد المائدة، ويوم الأحد يسمونه عيد الفصح <sup>(٤)</sup> وعيد النور، والعيد الكبير.

ولما كان عيداً صاروا يصنعون <sup>(٥)</sup> لأولادهم البيض المصبوغ ونحوه؛ لأنهم فيه <sup>(٦)</sup> يأكلون ما يخرج من الحيوان من لحم ولبن وبيض؛ إذ صومهم هو عن الحيوان وما يخرج منه، وإنما يأكلون في صومهم الحب وما يصنع منه: من زيت <sup>(٧)</sup> وشيرج <sup>(٨)</sup> ونحو ذلك. وعامة هذه الأعمال المحكية عن النصارى، وغيرها مما لم يحك، قد زينها الشيطان لكثير ممن يدعي الإسلام، وجعل لها في قلوبهم مكانة وحسن ظن، وزادوا في بعض ذلك ونقصوا، وقدموا وأخروا؛ إما لأن بعض ما يفعلونه قد كان يفعله بعض النصارى، أو غيروه هم من عند أنفسهم، كما قد يغيرون بعض أمر الدين الحق. لكن كلما خصت <sup>(٩)</sup> به هذه الأيام ونحوها، من الأيام التي ليس لها خصوص <sup>(١٠)</sup> في دين الله، وإنما خصوصها <sup>(١١)</sup> في الدين الباطل: إنما أصل تخصيصها من دين الكافرين، وتخصيصها بذلك فيه مشابهة

(١) قال : سقطت من (أ) .

(٢) في (أ ط) وفي المطبوعة : لم يكمل الآية .

(٣) سورة المائدة : الآية ١١٤ .

(٤) في (ب) : الفصح ، وهو تصحيف . والفصح : هو عيد ذكرى قيامة المسيح من الموت ، في اعتقاد النصارى الباطل . انظر : المعجم الوسيط ( ٢ / ٦٩٧ ) ، ولسان العرب ، مادة (فصح) .

(٥) في المطبوعة : يصنعون فيه ولأولادهم .

(٦) فيه : سقطت من (أ) .

(٧) في المطبوعة : من خبز وزبيب .

(٨) في (أ) : وسيرج : والشيرج هو : زيت السمسم . المعجم الوسيط ( ١ / ٥٠٥ ) .

(٩) في المطبوعة : لما احتضت .

(١٠) في المطبوعة : خصوصية .

(١١) في (ج د) : خصوصها .

لهم، وليس لجاهل<sup>(١)</sup> أن يعتقد أن بهذا تحصل المخالفة لهم، كما في صوم يوم عاشوراء؛ لأن ذلك فيما<sup>(٢)</sup> كان أصله مشروعاً لنا، وهم يفعلونه، فإننا نخالفهم في وصفه، فأما ما لم يكن في ديننا بحال، بل هو من دينهم، المبتدع أو المنسوخ، فليس لنا أن نشابههم لا في أصله، ولا في وصفه، كما قدمنا قاعدة ذلك فيما مضى.

فإحداث ما في هذه الأيام التي يتعلق تخصيصها بهم لا بنا، هو مشابهة لهم في أصل تخصيص هذه الأيام بشيء فيه تعظيم، وهذا بين على قول من يكره صوم يوم النيروز والمهرجان، لا سيما إذا كانوا يعظمون<sup>(٣)</sup> اليوم الذي أحدث فيه ذلك.

ويزيد ذلك وضوحاً أن الأمر قد آل إلى أن كثيراً من الناس صاروا في مثل هذا الخميس الذي هو عيد<sup>(٤)</sup> الكفار - عيد المائدة - آخر خميس في صوم النصارى الذي يسمونه الخميس الكبير - وهو الخميس الحقيق - يجتمعون في أماكن اجتماعات عظيمة، ويصبغون البيض ويطبخون باللبن، وينكتون<sup>(٥)</sup> بالحمرة دوابهم، ويصنعون<sup>(٦)</sup> الأطمعة التي لا تكاد تفعل في عيد الله ورسوله، ويتهادون الهدايا التي تكون في مثل مواسم الحج، وعامتهم قد نسوا أصل ذلك وعلته، وبقي عادة مطردة كاعتيادهم بعيدي الفطر والنحر وأشد.

واستعان الشيطان في إغوائهم بذلك أن الزمان زمان ربيع، وهو مبدأ العام الشمسي، فيكون قد كثر فيه اللحم واللبن والبيض ونحو ذلك، مع أن عيد النصارى ليس هو يوماً محدوداً من السنة الشمسية، وإنما يتقدم فيها ويتأخر، في نحو ثلاثة وثلاثين يوماً كما قدمناه.

(١) في (ج د) : للجاهل .

(٢) في (أ) : الآن ذلك فلما .

(٣) في المطبوعة : ذلك اليوم .

(٤) في المطبوعة : عند .

(٥) ينكتون : أي ينقطون . انظر : القاموس المحيط ، فصل النون ، باب الناء ( ١ / ١٦٥ ) .

(٦) في (أ ب ط) وفي المطبوعة : ويصطنعون .

وهذا كله تصديق قول النبي ﷺ ﴿ لتتبعن سنن من كان قبلكم ﴾ (١) (٢) وسببه (٣)

مشابهة الكفار في القليل من أمر عيدهم، وعدم النهي عن ذلك، وإذا كانت المشابهة في القليل ذريعة ووسيلة إلى بعض هذه القبائح؛ كانت محرمة، فكيف إذا أفضت إلى ما هو كفر بالله، من التبرك بالصليب والتعميد في المعمودية (٤) أو قول (٥) القائل: المعبود واحد وإن كانت الطرق مختلفة، ونحو ذلك من الأقوال والأفعال التي تتضمن: إما كون الشريعة النصرانية واليهودية، المبدلتين المنسوختين، موصلة إلى الله؛ وإما استحسان بعض ما فيها، مما يخالف دين الله، أو التدين (٦) بذلك، أو غير ذلك، مما هو كفر بالله وبرسوله، وبالقرآن وبالإسلام، بلا خلاف بين الأمة الوسط في ذلك، وأصل ذلك المشابهة والمشاركة.

وبهذا يتبين لك كمال موقع الشريعة الحنيفية، وبعض حكمة ما شرعه الله لرسوله من مباينة الكفار ومخالفتهم في عامة أمورهم؛ لتكون المخالفة أحسم لمادة الشر (٧) وأبعد عن الوقوع فيما وقع فيه الناس.

واعلم أنا لو لم نر موافقتهم قد أفضت إلى هذه القبائح لكان علمنا بما الطباع عليه (٨) واستدلنا بأصول الشريعة يوجب النهي عن هذه الذريعة، فكيف وقد رأينا من المنكرات التي أفضت إليها المشابهة ما قد يوجب الخروج من الإسلام بالكلية؟.

وسر هذا الوجه: أن المشابهة تفضي إلى كفر، أو معصية غالبا، أو تفضي إليهما (٩) في

(١) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٨٨٩)، مسلم العلم (٢٦٦٩)، أحمد (٨٤/٣).

(٢) الحديث مر الكلام عنه . انظر : فهرس الأحاديث .

(٣) في المطبوعة : والسنن .

(٤) قال في المعجم الوسيط : (المعمودية - عند النصارى - : أن يغمس القس الطفل في ماء ، يتلو عليه بعض فقر من الإنجيل ، وهو آية التنصير عندهم ) المعجم الوسيط ( ٢ / ٦٣٢ ) .

(٥) في (ج د) : وقول .

(٦) في (أ) : والتدين .

(٧) في (ب ج د) : الشرك . وهو وجيه فتأمل .

(٨) في المطبوعة : بما فطرت الطباع عليه .

(٩) في (أ) : إليهما .

الجملة، وليس في هذا المفضي مصلحة، وما أفضى إلى ذلك كان محرماً: فالمشاهدة محرمة. والمقدمة الثانية لا ريب فيها، فإن استقراء الشريعة في مواردها ومصادرها دال (١) على أن ما أفضى إلى الكفر - غالباً - حرم (٢) وما أفضى إليه على وجه خفي حرم (٣) وما أفضى إليه في الجملة ولا حاجة تدعو إليه، حرم (٤) كما قد تكلمنا على قاعدة الذرائع، في غير هذا الكتاب.

والمقدمة الأولى قد شهد بها الواقع شهادة لا تخفى على بصير ولا أعمى، مع أن الإفضاء أمر طبيعي، قد اعتبره الشارع في عامة الذرائع التي سدها كما قد ذكرنا من الشواهد على ذلك: نحو من ثلاثين أصلاً منصوصة، أو مجمعا عليها في كتاب: (بطلان التحليل) (٥).

الوجه الرابع (٦) أن الأعياد والمواسم في الجملة، لها منفعة عظيمة في دين الخلق وديناهم، كانتفاعهم بالصلاة والزكاة والحج، ولهذا جاءت بها كل شريعة، كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَمِ﴾ (٧) وقال: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ﴾ (٨).

ثم إن الله شرع على لسان خاتم النبيين من الأعمال ما فيه صلاح الخلق على أتم الوجوه، وهو الكمال المذكور في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ

(١) في (أ) : دل .

(٢) في المطبوعة : حرام .

(٣) في المطبوعة : حرام .

(٤) في المطبوعة : حرام .

(٥) في المطبوعة : كتاب (إقامة الدليل على بطلان التحليل) . تنبيه : كتاب (إقامة الدليل على إبطال التحليل) للمؤلف يوجد ضمن الفتاوى الكبرى (٣ / ٩٧ - ٤٠٥) ، ط دار المعرفة بيروت ، كما طبع في كتاب مستقل .

(٦) في المطبوعة زاد : - كعادته - : من الاعتبار .

(٧) سورة الحج : من الآية ٣٤ .

(٨) سورة الحج : من الآية ٦٧ . وفي المطبوعة : عكس ترتيب الآيتين .

نَعَمْتِي ﴿<sup>(١)</sup> ولهذا أنزل الله هذه الآية في أعظم أعياد الأمة الحنيفية؛ فإنه لا عيد في النوع أعظم من العيد الذي يجتمع فيه المكان والزمان، وهو عيد النحر، ولا عين من أعيان هذا النوع أعظم من يوم كان قد <sup>(٢)</sup> أقامه رسول الله ﷺ بعامة المسلمين، وقد نفى الله تعالى الكفر وأهله.

والشرائع هي غذاء القلوب وقوتها كما قال ابن مسعود رضي الله عنه -ويروى مرفوعا -:

﴿ إن كل آدب يجب أن تؤتى مأدبته وإن مأدبة الله هي القرآن ﴾ <sup>(٣)</sup> .

ومن شأن الجسد إذا كان جائعا فأخذ من طعام حاجته؛ استغنى عن طعام آخر، حتى لا يأكله إن أكل منه إلا بكراهة، وتجشم، وربما ضره أكله، أو لم ينتفع به، ولم يكن هو المغذي له الذي يقيم بدنه، فالعبد إذا أخذ من غير الأعمال المشروعة بعض حاجته، قلت رغبته في المشروع وانتفاعه به، بقدر ما اعتاض من غيره، بخلاف من صرف همته وهمته إلى المشروع، فإنه تعظم <sup>(٤)</sup> محبته له ومنفعته به، ويتم دينه <sup>(٥)</sup> ويكمل إسلامه.

ولذا نجد <sup>(٦)</sup> من أكثر من <sup>(٧)</sup> سماع القصائد لطلب صلاح قلبه؛ تنقص رغبته في سماع القرآن، حتى ربما كرهه، ومن أكثر من السفر إلى زيارات المشاهد ونحوها؛ لا <sup>(٨)</sup> يبقى

(١) سورة المائدة : من الآية ٣ .

(٢) قد : سقطت من (أ) .

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن سمرة ، انظر : كتر العمال ( ١ / ٥١٤ ) ، رقم ( ٢٢٨٦ ) ، كما أخرجه البيهقي أيضا في شعب الإيمان عن ابن مسعود ، المصدر السابق ( ١ / ٥٢٦ ) ، رقم ( ٢٣٥٦ ) . وأخرجه الحاكم عن ابن مسعود يرفعه بلفظ : " إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم . " الحديث ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه بصالح بن عمر ، وفيه إبراهيم بن مسلم ، ضعفه الذهبي ، مستدرک الحاكم ، كتاب فضائل القرآن ( ١ / ٥٥٥ ) مع التلخيص للذهبي في نفس الصفحة .

(٤) في (ج د) : تعلم .

(٥) في المطبوعة : ويتم دينه به .

(٦) في (ب) : نجد .

(٧) من : ساقطة من (أ) .

(٨) لا : سقطت من (أ) .



لحج البيت الحرام<sup>(١)</sup> في قلبه من المحبة والتعظيم ما يكون في قلب من وسعته السنة، ومن أدمن على أخذ الحكمة والآداب من كلام حكماء فارس والروم، لا يبقى لحكمة<sup>(٢)</sup> الإسلام وآدابه في قلبه ذاك الموقع، ومن أدمن<sup>(٣)</sup> قصص الملوك وسيرهم؛ لا يبقى لقصص الأنبياء وسيرهم في قلبه ذاك الاهتمام، ونظير<sup>(٤)</sup> هذا كثير<sup>(٥)</sup> .

ولهذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ ﴿ ما ابتدع قوم بدعة إلا نزع الله عنهم من السنة مثلها ﴾<sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup> رواه الإمام أحمد.

وهذا أمر يجده من نفسه من نظر في حاله من العلماء، والعباد، والأمراء، والعامّة وغيرهم، ولهذا عظمت الشريعة النكير على من أحدث البدع، وكرهتها<sup>(٨)</sup>؛ لأن البدع لو خرج الرجل منها كفافاً لا عليه ولا له لكان الأمر خفيفاً، بل لا بد أن يوجب له فساداً، منه<sup>(٩)</sup> نقص منفعة الشريعة في حقه، إذ القلب لا يتسع للعوض والمعوض منه<sup>(١٠)</sup> .

ولهذا قال النبي ﷺ في العيدين الجاهليين: ﴿ إن الله قد أبدلكم بهما يومين خيراً منهما ﴾<sup>(١١)</sup> <sup>(١٢)</sup> فيبقى اغتذاء قلبه من هذه الأعمال المبتدعة مانعاً عن الاغتذاء، - أو

(١) الحرام : سقطت من (أ) . وهي في المطبوعة : الحرم .

(٢) في (ب) : من الإسلام .

(٣) في المطبوعة : أدمن على قصص الملوك .

(٤) نظير : سقطت من (أ ب) .

(٥) في المطبوعة : قال : ونظائر هذا كثيرة .

(٦) أحمد (١٠٥/٤) .

(٧) الحديث مر الكلام عليه . انظر : فهرس الأحاديث .

(٨) في المطبوعة : قال : وحذرت منها . وأسقط : وكرهتها .

(٩) في المطبوعة : قال : فساداً في قلبه ودينه ينشأ من نقص . . إلخ . وهي زيادة عما في جميع النسخ .

(١٠) منه : سقطت من (أ ب ط) . وفي المطبوعة : عنه .

(١١) النسائي صلاة العيدين (١٥٥٦) ، أبو داود الصلاة (١١٣٤) ، أحمد (٢٣٥/٣) .

(١٢) الحديث مر الكلام عليه (ص ٤٨٥) .

من كمال الاغتذاء - بتلك الأعمال الصالحة <sup>(١)</sup> النافعة الشرعية، فيفسد عليه حاله من حيث لا يشعر <sup>(٢)</sup> كما يفسد جسد المعتدي بالأغذية الخبيثة من حيث لا يشعر، وبهذا يتبين <sup>(٣)</sup> لك بعض ضرر البدع.

إذا تبين هذا فلا يخفى ما جعل الله في القلوب من التشوق إلى العيد والسرور به والاهتمام بأمره، اتفاقاً <sup>(٤)</sup> واجتماعات وراحة، ولذة وسرورا، وكل ذلك يوجب تعظيمه لتعلق الأغراض به، فلهذا جاءت الشريعة في العيد، بإعلان ذكر الله تعالى فيه، حتى جعل فيه من التكبير في صلاته وخطبته وغير ذلك: ما ليس في سائر الصلوات، وأقامت <sup>(٥)</sup> فيه من تعظيم الله وتزليل الرحمة فيه - خصوصا العيد الأكبر - ما فيه صلاح الخلق، كما دل عليه <sup>(٦)</sup> قوله تعالى: ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴿٧﴾ .

فصار ما وسَّع على النفوس فيه من العادات الطبيعية عوناً على انتفاعها بما خص به من العبادات الشرعية؛ فإذا أعطيت النفوس في غير ذلك اليوم حظها، أو بعضه الذي يكون في عيد الله؛ فترت عن الرغبة في عيد الله <sup>(٨)</sup> وزال ما كان له عندها من المحبة والتعظيم، فنقص بسبب ذلك تأثير العمل الصالح فيه <sup>(٩)</sup> <sup>(١٠)</sup> فחסرت النفوس <sup>(١)</sup> خسرا

(١) الصالحة : سقطت من المطبوعة .

(٢) في المطبوعة : (يعلم) بدل (يشعر) .

(٣) في (ب) : تبين .

(٤) في المطبوعة : إنفاقاً .

(٥) في (ج د) : وأقام . بالعطف على جعل . أما (أقامت) فالضمير يعود على الشريعة ، فيكون العطف على : جاءت .

(٦) في المطبوعة : على ذلك .

(٧) سورة الحج : الآيتان ٢٧ ، ٢٨ .

(٨) في (ج د) : في دين الله .

(٩) فيه : سقطت من (ب) .

(١٠) في (أ) زاد بعد (فيه) : ذلك . ثم قال : وחסرت .

حسرانا مبينا.

وأقل الدرجات: أنك لو فرضت رجلين: أحدهما قد اجتمع اهتمامه بأمر العيد على<sup>(٢)</sup> المشروع، والآخر مهتم بهذا وبهذا، فإنك بالضرورة تجد المتجرد للمشروع، أعظم اهتماما به من المشترك بينه وبين غيره، ومن لم يدرك هذا فلغفلته أو إعراضه، وهذا أمر يعلمه من يعرف بعض أسرار الشرائع.

وأما الإحساس بفتور الرغبة، فيجده كل أحد، فإننا نجد الرجل إذا كسا أولاده، أو وسع عليهم في بعض الأعياد المسخوطة، فلا بد أن تنقص<sup>(٣)</sup> حرمة العيد المرضي من قلوبهم، حتى لو قيل: بل في القلوب ما يسع هذين، قيل: لو تجردت لأحدهما لكان أكمل.  
(٤) :

أن مشابهمهم في بعض أعيادهم يوجب سرور قلوبهم بما هم عليه من الباطل، خصوصا إذا كانوا مقهورين تحت ذل الجزية والصغار، فأوا<sup>(٥)</sup> المسلمين قد صاروا فرعا لهم في خصائص دينهم، فإن ذلك يوجب قوة قلوبهم وانشراح صدورهم، وربما أطمعهم ذلك في انتهاز الفرص، واستدلال<sup>(٦)</sup> الضعفاء، وهذا أيضا أمر محسوس، لا يستريب فيه عاقل، فكيف يجتمع ما يقتضي إكرامهم بلا موجب مع شرع الصغار في حقهم؟  
(٧) :

أن مما يفعلونه في عيدهم<sup>(٨)</sup> ما هو كفر، وما هو<sup>(٩)</sup> حرام وما هو<sup>(١)</sup> مباح لو تجرد

(١) النفوس : ساقطة من المطبوعة .

(٢) على : سقطت من (أ) .

(٣) في (ج د ب) : ينقص .

(٤) في المطبوعة زاد : من الاعتبار . - كعادته - .

(٥) في المطبوعة : فإنهم يرون .

(٦) في (أ) : واستدلال .

(٧) في المطبوعة زاد أيضا : من الاعتبار .

(٨) في المطبوعة زاد : منه .

(٩) في المطبوعة زاد : منه .

عن مفسدة المشابهة، ثم التمييز بين هذا وهذا يظهر غالباً، وقد يخفى على كثير من العامة؛ فالمشابهة فيما لم يظهر تحريمه للعالم، يوقع العامي في أن يشابههم فيما هو حرام، وهذا هو الواقع.

والفرق بين هذا الوجه ووجه الذريعة أنا هناك<sup>(٢)</sup> قلنا: الموافقة في القليل<sup>(٣)</sup> تدعو إلى الموافقة<sup>(٤)</sup> في الكثير، وهنا جنس الموافقة يلبس على العامة دينهم، حتى لا يميزوا بين المعروف والمنكر، فذاك بيان للاقتضاء<sup>(٥)</sup> من جهة تقاضي الطباع بإرادتها، وهذا من جهة جهل القلوب باعتقاداتها.

(٦)

ما قررته في وجه<sup>(٧)</sup> أصل المشابهة: وذلك أن الله تعالى جبل بني آدم بل سائر المخلوقات، على التفاعل بين الشئيين المتشابهين، وكلما كانت المشابهة أكثر؛ كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم، حتى يؤول الأمر إلى أن لا يتميز أحدهما عن<sup>(٨)</sup> الآخر إلا بالعين فقط، ولما كان بين الإنسان وبين الإنسان<sup>(٩)</sup> مشاركة في الجنس الخاص، كان التفاعل فيه أشد، ثم بينه وبين سائر الحيوان مشاركة في الجنس المتوسط، فلا بد من نوع تفاعل بقدره، ثم بينه وبين النبات مشاركة في الجنس البعيد مثلاً، فلا بد من نوع ما من المفاعلة.

(١) في المطبوعة زاد : منه .

(٢) في (ب) : قد قلنا .

(٣) (٢ ، ٣) ما بين الرقمين سقط من (أ) .

(٤) (٢) ، (٣) ما بين الرقمين سقط من (أ) .

(٥) في (أ) وفي المطبوعة : الاقتضاء .

(٦) في المطبوعة زاد : من الاعتبار . — كعادته — .

(٧) وجه : سقطت من (أ) .

(٨) في (أ) : على الآخر .

(٩) وبين الإنسان : ساقطة من المطبوعة .

ولأجل هذا الأصل: وقع التأثير والتأثير في بني آدم، واكتساب<sup>(١)</sup> بعضهم أخلاق بعض بالمعاشرة والمشكلة<sup>(٢)</sup>..... وكذلك<sup>(٣)</sup> الآدمي إذا عاش نوعا من الحيوان اكتسب بعض أخلاقه، ولهذا صار الخيلاء والفخر في أهل الإبل، وصارت السكينة في أهل الغنم، وصار الجمالون والبغالون فيهم أخلاق مذمومة، من أخلاق الجمال والبغال، وكذلك الكلابون، وصار الحيوان الإنسي، فيه بعض أخلاق الناس<sup>(٤)</sup> من المعاشرة والمؤالفة وقلة النفرة.

فالمشاهدة والمشكلة في الأمور الظاهرة، توجب مشاهدة ومشكلة في الأمور الباطنة على وجه المسارقة والتدريج الخفي.

وقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشروا المسلمين، هم أقل كفرا من غيرهم، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة<sup>(٥)</sup> اليهود والنصارى، هم أقل إيمانا من غيرهم ممن جرد الإسلام، والمشاركة<sup>(٦)</sup> في الهدى الظاهر توجب أيضا مناسبة وائتلافا، وإن بعد المكان والزمان، فهذا أيضا أمر محسوس، فمشابھتهم في أعيادهم -ولو بالقليل- هو سبب لنوع ما من اكتساب أخلاقهم التي هي ملعونة، وما كان مظنة لفساد خفي غير منضبط؛ علق الحكم به، وأدير<sup>(٧)</sup> التحريم عليه، فنقول: مشابھتهم في الظاهر سبب ومظنة لمشابھتهم في عين الأخلاق والأفعال المذمومة. بل في نفس الاعتقادات، وتأثير ذلك لا يظهر ولا ينضبط، ونفس الفساد الحاصل من المشابھة قد لا يظهر ولا ينضبط، وقد يتعسر أو يتعذر زواله بعد حصوله، ولو تفتن له، وكل ما كان سببا إلى مثل هذا الفساد فإن الشارع

(١) في (ب) : واكتسبت .

(٢) في (أ) : بالمعاشرة والمشاركة . وفي المطبوعة : بالمشاركة والمعاشرة .

(٣) في (ب) : ولذلك .

(٤) في المطبوعة : الإنس .

(٥) في (أ) : أكثروا معاشرة . وفي (ج د ب) : الذين عاشروا اليهود . الخ .

(٦) في (أ) : والمشكلة .

(٧) في المطبوعة : وأدار .

يجرمه، كما دلت عليه الأصول المقررة.

(١) أن المشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة (٢) وموالاتة في الباطن، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة، حتى إن الرجلين إذا كانا من بلد واحد، ثم اجتمعا في دار غريبة، كان بينهما من المودة (٣) والاتلاف أمر عظيم، وإن كانا في مصرهما لم يكونا متعارفين، أو كانا متهاجرين، وذلك لأن الاشتراك في البلد نوع وصف اختصا به عن بلد الغربة. بل لو (٤) اجتمع رجلان في سفر، أو بلد غريب، وكانت بينهما مشابهة في العمامة أو الثياب، أو الشعر، أو المركوب (٥) ونحو ذلك؛ لكان بينهما من الاتلاف أكثر مما بين غيرهما، وكذلك تجد (٦) أرباب الصناعات (٧) الدنيوية يألف بعضهم بعضا (٨) ما لا يألفون (٩) غيرهم، حتى إن ذلك يكون مع المعاداة والمخاربة: إما على الملك، وإما على الدين.

(١٠) وتجد الملوك ونحوهم من الرؤساء، وإن تباعدت ديارهم وممالكهم بينهم مناسبة تورث مشابهة ورعاية من بعضهم لبعض، وهذا كله موجب الطباع ومقتضاه. إلا أن يمنع من ذلك دين أو غرض خاص.

فإذا كانت المشابهة في أمور دنيوية، تورث المحبة والموالاتة لهم؛ فكيف بالمشابهة في أمور

(١) في المطبوعة زاد: من الاعتبار . كعادته .

(٢) في (ج د) : وصحبه .

(٣) في المطبوعة زاد : الموالاتة .

(٤) لو : سقطت من (أ) .

(٥) في (ج د) : المركب .

(٦) في (ج) : تجد بين أرباب .

(٧) في (ج د) زيادة بعد الصناعات وهي : أكثر مما بين غيرها وكذلك نجد أرباب الصناعات الدنيوية . . إلخ . وهو تكرار من النسخ .

(٨) بعضاً : سقطت من (ج د) .

(٩) في (ج د) : يألفه .

(١٠) في المطبوعة : وكذلك تجد .

دينية؟ فإن إفضاءها<sup>(١)</sup> إلى نوع من الموالاة أكثر وأشد، والمحبة والموالاة لهم تنافي الإيمان، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ ۚ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فترى الذين في قلوبهم مرضٌ يسرعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمرٍ من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ﴿٥٢﴾ ويقول الذين ءَامَنُوا أهنؤا الذين أقسموا بالله جهد أيمنهم إهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خسرين ﴿٥٣﴾ ﴿٢﴾ .

وقال تعالى فيما يذم بها أهل الكتاب: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كانوا لا يتناهون عن منكرٍ فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴿٧٩﴾ ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ﴿٨٠﴾ ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون ﴿٨١﴾ ﴿٣﴾ .

فبين سبحانه وتعالى أن الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه مستلزم لعدم ولايتهم، فثبوت ولايتهم يوجب عدم الإيمان؛ لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم.

وقال سبحانه: ﴿لَا تَحِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۗ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۗ ﴿٤﴾ .

فأخبر سبحانه أنه لا يوجد مؤمن يواد كافرا؛ فمن واد الكفار فليس بمؤمن، والمشاهدة

(١) في (أ ج د) : اقتضاءها .

(٢) سورة المائدة : الآيات ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ .

(٣) سورة المائدة : من الآيات ٧٨ - ٨١ .

(٤) سورة المجادلة : من الآية ٢٢ .

---

الظاهرة مظنة المودة، فتكون محرمة، كما تقدم تقرير مثل ذلك.  
واعلم أن وجوه الفساد في مشابهم كثيرة، فلنقتصر على ما نبهنا عليه <sup>(١)</sup>.

---

(١) في (ب) : فلتقتصر على ما بيناه عليه . وفي (ج د) : على ما بيناه . وفي المطبوعة : كما أثبتته من (أ) إلا أنه زاد بعدها : والله أعلم .



مشابھتهم فيما ليس من شرعنا قسمان:

(١) : مع العلم بأن هذا العمل هو من خصائص دينهم؛ فهذا العمل الذي هو من خصائص دينهم (٢) إما أن يفعل لمجرد (٣) موافقتهم -وهو قليل- وإما لشهوة تتعلق بذلك العمل، وإما لشبهة فيه تخيل أنه نافع في الدنيا أو الآخرة، وكل هذا لا شك في تحريمه، لكن يبلغ التحريم في بعضه إلى أن يكون من الكبائر، وقد يصير كفرا بحسب الأدلة الشرعية.

وأما عمل لم يعلم الفاعل أنه من عملهم (٤) فهو نوعان:

: ما كان في الأصل مأخوذا عنهم، إما على الوجه الذي يفعلونه، وإما مع نوع تغيير في الزمان أو المكان أو الفعل ونحو ذلك، فهذا (٥) غالب ما يبتلى به العامة: في مثل ما يصنعونه في الخميس الحقير والميلاد ونحوهما، فإنهم قد نشئوا على اعتياد ذلك، وتلقاه الأبناء عن الآباء، وأكثرهم لا يعلمون مبدأ ذلك، فهذا يعرف صاحبه حكمه، فإن لم ينته وإلا صار من القسم الأول.

: ما ليس في الأصل مأخوذا عنهم، لكنهم يفعلونه أيضا، فهذا ليس فيه محذور المشابهة، ولكن قد يفوت فيه منفعة المخالفة، فتتوقف كراهة (٦) ذلك وتحريمه على دليل شرعي وراء كونه من مشابھتهم، إذ (٧) ليس كوننا (٨) تشبهنا بهم بأولى من كونهم

(١) في (ب) : أحدها .

(٢) قوله : الذي هو من خصائص دينهم : سقطت من (أ) ، وفي (ط أ) : سقط قوله : الذي هو .

(٣) في (ب) : بمجرد .

(٤) هذا هو القسم الثاني .

(٥) في المطبوعة : فهو .

(٦) في (أ) : للكراهة .

(٧) في (ج د) : أوليس ؟ .

(٨) كوننا : سقطت من (ج د) .

---

---

تشبهوا بنا، فأما استحباب تركه لمصلحة المخالفة إذا لم يكن في تركه ضرر؛ فظاهر لما تقدم من المخالفة، وهذا قد توجب الشريعة مخالفتهم فيه.

وقد توجب عليهم مخالفتنا: كما في الزي ونحوه، وقد يقتصر على الاستحباب، كما في صبغ اللحية والصلاة في النعلين، والسجود، وقد تبلغ<sup>(١)</sup> الكراهة، كما في تأخير المغرب والفطور<sup>(٢)</sup> بخلاف مشاهرتهم فيما كان مأخوذا عنهم، فإن الأصل فيه التحريم كما قدمناه.

---

(١) في المطبوعة : وقد تبلغ إلى الكراهة .

(٢) في (أ) : والفطر .

العِيد: اسم جنس يدخل فيه كل يوم أو مكان لهم<sup>(١)</sup> فيه اجتماع، وكل عمل يحدثونه في هذه الأمكنة والأزمنة، فليس النهي عن خصوص أعيادهم، بل كل ما يعظمونه من الأوقات والأمكنة التي لا أصل لها في دين الإسلام، وما يحدثونه فيها من الأعمال يدخل في ذلك.

وكذلك حريم<sup>(٢)</sup> العِيد: هو وما قبله وما بعده من الأيام التي يحدثون<sup>(٣)</sup> فيها أشياء لأجله،<sup>(٤)</sup> أو ما حوله من الأمكنة التي يحدث فيها أشياء لأجله<sup>(٥)</sup> أو ما يحدث بسبب أعماله من الأعمال حكمها حكمه فلا يفعل شيء من ذلك، فإن بعض الناس قد يمتنع من إحداث أشياء في أيام<sup>(٦)</sup> عيدهم، كيوم الخميس والميلاد، ويقول لعياله: إنما أصنع لكم هذا في الأسبوع<sup>(٧)</sup> أو الشهر الآخر.

وإنما المحرك له على إحداث ذلك وجود عيدهم ولولا هو<sup>(٨)</sup> لم يقتضوا ذلك، فهذا من مقتضيات المشاهدة. لكن يحال الأهل على عيد الله ورسوله ويقضي لهم فيه من الحقوق ما يقطع استشرافهم إلى غيره، فإن لم يرضوا فلا حول ولا قوة إلا بالله، ومن أغضب<sup>(٩)</sup> أهله لله أرضاه الله وأرضاهم.

وليحذر العاقل من طاعة النساء في ذلك، ففي الصحيحين عن أسامة بن زيد قال:

(١) الضمير هنا يرجع إلى الكفار (أهل الكتاب والمشركين ومن سواهم) .

(٢) في المطبوعة : تحريم ، وما أثبتته أصح ويفسره ما بعده .

(٣) في (أ ط) وفي المطبوعة : تحدث .

(٤) (٤ و ٥) ما بين الرقمين سقط من المطبوعة .

(٥) (٤ و ٥) ما بين الرقمين سقط من المطبوعة .

(٦) في (ج د) : يوم .

(٧) في المطبوعة : أنا أصنع لكم في هذا الأسبوع .

(٨) في (ب) : ولا ذلك .

(٩) في (أ) : غضب .

﴿ قال رسول الله ﷺ " ما تركت بعدي <sup>(١)</sup> فتنة أضرب على الرجال من النساء ﴾ <sup>(٢)</sup> .  
وأكثر ما يفسد الملك والدول <sup>(٣)</sup> طاعة النساء وفي صحيح البخاري عن أبي  
بكرة <sup>(٤)</sup> رضي الله عنه قال: ﴿ قال رسول الله ﷺ " لن <sup>(٥)</sup> يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ﴾ <sup>(٦)</sup> .  
وروي أيضا: ﴿ هلكت الرجال حين أطاعت النساء ﴾ <sup>(٧)</sup> <sup>(٨)</sup>  
وقد قال <sup>(٩)</sup> رضي الله عنه لأمهات المؤمنين، لما راجعنه في تقديم أبي بكر: ﴿ إنكن صواحب  
يوسف ﴾ <sup>(١٠)</sup> <sup>(١١)</sup> . يريد أن النساء من شأنهن مراجعة ذي اللب، كما قال في الحديث

(١) في المطبوعة زاد: (على أمي) ، وهي زيادة انفردت بها المطبوعة .  
(٢) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب ما يتقى من شؤم المرأة ، الحديث رقم (٥٠٩٦) من فتح الباري (٩ /  
١٣٧) ، وصحيح مسلم ، كتاب الرقاق ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة  
بالنساء ، الحديث رقم (٢٧٤٠) ، (٤ / ٢٠٩٧) .  
(٣) في (ج د) : الملل والدول .  
(٤) هو الصحابي الجليل : نفيق بن الحارث بن كلدة بن عمرو الثقفي ، أسلم بالطائف حين حاصرها الرسول صلى  
الله عليه وعلى آله وسلم ، نزل البصرة ومات بها سنة (٥٢هـ) . انظر : أسد الغابة (٥ / ١٥١) ، وتقريب  
التهذيب (٢ / ٣٠ / ٦) ، (ت١٣٩) .  
(٥) في جميع النسخ المخطوطة : لا أفلح ، وفي البخاري والمطبوعة كما أثبتته .  
(٦) صحيح البخاري ، كتاب الفتن ، الباب (١٨) ، الحديث رقم (٧٠٩٩) من فتح الباري (١٣ / ٥٣) .  
(٧) أحمد (٤٥/٥) .  
(٨) أخرجه أحمد عن أبي بكرة بلفظ (هلكت الرجال إذا أطاعت النساء ، هلكت الرجال إذا أطاعت النساء —  
ثلاثاً —) المسند (٥ / ٤٥) ، وذكره السيوطي في الجامع الصغير (٢ / ٧١٢) ، الحديث (٩٥٩٦) ، وقال : "   
حديث حسن " . وإسناده عند أحمد جيد . وضعفه الألباني . انظر : ضعيف الجامع الصغير وزيادته ٨٧٩ رقم  
٦٠٩٧ .  
(٩) في المطبوعة : لإحدى أمهات المؤمنين حين راجعته .  
(١٠) البخاري الأذان (٦٣٣) ، مسلم الصلاة (٤١٨) ، الترمذي المناقب (٣٦٧٢) ، ابن ماجه إقامة الصلاة  
والسنة فيها (١٢٣٢) ، أحمد (٢١٠/٦) ، مالك النداء للصلاة (٤١٤) .  
(١١) جاء ذلك في حديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأنبياء ، الباب رقم (١٩) ، الحديث (٣٣٨٤) ،  
(٣٣٨٥) فتح الباري (٦ / ٤١٧ — ٤١٨) .

الآخر: ﴿ ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لبب ذي اللب من إحدانك ﴾ (١) (٢) .

﴿ ولما أنشده الأعشى - أعشى باهلة - (٣) أبياته التي يقول فيها:

.....

جعل النبي ﷺ يرددها ويقول: وهن شر غالب لمن غلب ﴾ (٤) . ولذلك امتن الله

على زكريا عليه السلام حيث قال: ﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ (٥) وقال بعض

العلماء: " ينبغي للرجل أن يجتهد (٦) إلى الله في إصلاح زوجه له " .

(١) البخاري الحيض (٢٩٨) .

(٢) أخرجه في الصحيحين : في مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان نقصان الإيمان . . ، الحديث رقم (٧٩) ، ( ١ / ٨٧) ، بهذا اللفظ ، إلا أنه قال : " أغلب لذي لب منكن " . وفي البخاري : كتاب الحيض ، باب ترك الحائض الصوم ، الحديث رقم (٣٠٤) ، ( ١ / ٤٠٥) من فتح الباري ، ولفظه : " ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحدانك . . " .

(٣) أكثر المصادر تسميه : عبد الله بن الأعور المازني ، وقال ابن حجر في الإصابة : " إنه الحرمازي ، وليس في بني مازن أعشى ، إنما تتفق المصادر على أن اسمه : عبد الله بن الأعور ، صحابي ، ولست أدري ما وجه تسميته (أعشى باهلة) هنا ، فأعشى باهلة اسمه : عامر بن الحارث بن رباح الباهلي ، ولم أجد من المصادر ما يشير إلى أنه قال هذه الأبيات " . والله أعلم . انظر : الإصابة ( ٢ / ٢٧٦) ، (ت٤٥٣٥) ، وأسد الغابة ( ١ / ١٠٢) ، واللباب ( ٣ / ٤٥) ، ومسند أحمد ( ٢ / ٢٠٤) ، وطبقات ابن سعد ( ٧ / ٥٣) ، والأعلام ( ٣ / ٢٥٠) .

(٤) جاء ذلك في قصة في مسند أحمد ( ٢ / ٢٠٢) ، وذكرها ابن سعد في طبقاته ( ٧ / ٥٣ ، ٥٤) ، وابن كثير في السيرة ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ( ٤ / ١٤٢) .

(٥) سورة الأنبياء : من الآية ٩٠ .

(٦) في المطبوعة زاد : في الرغبة .

أعياد الكفار كثيرة مختلفة، وليس على المسلم أن يبحث عنها، ولا يعرفها، بل يكفيه أن يعرف في أي فعل من الأفعال أو يوم أو مكان، أن سبب هذا الفعل أو تعظيم هذا المكان والزمان من جهتهم، ولو لم يعرف أن سببه من جهتهم، فيكفيه أن يعلم أنه لا أصل له في دين الإسلام، فإنه إذا لم يكن له أصل فإما أن يكون قد أحدثه بعض الناس من تلقاء نفسه، أو يكون مأخوذاً عنهم، فأقل أحواله: أن يكون من البدع، ونحن ننبه على ما رأينا كثيراً من الناس قد وقعوا فيه:

فمن ذلك الخميس الحقير، الذي في آخر صومهم، فإنه يوم عيد المائدة فيما يزعمون ويسمونه عيد العشاء<sup>(١)</sup> وهو الأسبوع الذي يكون فيه من الأحد إلى الأحد؛ هو عيدهم الأكبر، فجميع ما يحدثه الإنسان فيه من<sup>(٢)</sup> المنكرات.

فمنه: خروج النساء، وتبخير القبور، ووضع الثياب على السطح، وكتابة الورق وإصاقها بالأبواب، واتخاذ<sup>(٣)</sup> موسماً لبيع البخور وشرائه، وكذلك شراء البخور في ذلك الوقت إذ اتخذ وقتاً للبيع، ورقى البخور<sup>(٤)</sup> مطلقاً في ذلك الوقت أو في غيره، أو قصد شراء البخور المرقى<sup>(٥)</sup> فإن رقى البخور واتخاذ<sup>(٦)</sup> قرباناً هو دين النصارى والصابئين، وإنما البخور طيب يتطيب بدخانه كما يتطيب بسائر الطيب من المسك وغيره مما له أجزاء

(١) في (أ) : العشائين ، وفي (ط) : العشا .

(٢) في (ب ج د) : وهو المنكرات .

(٣) في المطبوعة : واتخاذ هذه الأيام موسماً .

(٤) رقى البخور : أي : البخور الذي قرئت عليه الرقى .

(٥) في (ج د) : للموتى . بدل المرقى ، والرقى : هي ما يقرأ من قرآن وأدعية وتعاويد ونحوها .

(٦) في (أ ط) : واتخاذ البخور قرباناً .

بخارية وإن لطفت، أو له رائحة محضمة،<sup>(١)</sup> ويستحب التبخر حيث يستحب التطيب.  
وكذلك اختصاصه بطبخ رز بلبن، أو بسييسة،<sup>(٢)</sup> أو عدس، أو صبغ، أو بيض، أو  
مقر<sup>(٣)</sup> .. ونحو ذلك؛ فأما القمار بالبيض، أو بيع البيض لمن يقامر به، أو شراؤه من  
المقامر<sup>(٤)</sup> فحكمه ظاهر.

ومن ذلك: ما يفعله الأكارون، من نكت<sup>(٥)</sup> البقر بالنقط<sup>(٦)</sup> الحمر أو نكت الشجر  
أيضا، أو جمع أنواع من النبات<sup>(٧)</sup> والتبرك بها، والاعتسال بمائها، ومن ذلك: ما قد يفعله  
النساء من أخذ ورق الزيتون،<sup>(٨)</sup> والاعتسال بمائه، أو قصد الاعتسال بشيء من ذلك،  
فإن أصل ذلك ماء المعمودية.

ومن ذلك: ترك الوظائف الراتبية من الصنائع، والتجارات، أو حلق العلم، أو غير  
ذلك، واتخاذ يوم راحة وفرح، واللعب فيه بالخييل أو غيرها على وجه يخالف ما قبله وما  
بعده من الأيام.

والضابط: أنه لا يحدث فيه أمر أصلا، بل يجعل يوما كسائر الأيام، فإننا قد قدمنا عن  
النبي ﷺ أنه نهاهم عن اليومين اللذين كانا لهم يلعبون فيهما في الجاهلية<sup>(٩)</sup> وأنه ﷺ نهى  
عن الذبح بالمكان إذا كان المشركون يعيدون<sup>(١٠)</sup> فيه.

ومن ذلك: ما يفعله كثير من الناس في أثناء الشتاء في أثناء كانون الأول لأربع

(١) في المطبوعة: وإنما يستحب .

(٢) في المطبوعة: أو بسمن . وقال في القاموس المحيط : واتخاذ البسييسة بأن يلت السوق أو الدقيق أو الأقط  
المطحون بالسمن أو الزيت . انظر : فصل الباء ، باب السين ( ٢ / ٢٠٧ ) .

(٣) أو مقر : ساقطة من المطبوعة . والمقر هو : الصبر أو شبيهه به ، ويطلق على اللبن أيضا ، المصدر السابق ( ٢ / ٢٤١ ) .

(٤) في ( ب ج د ) : من المتقمرين .

(٥) في المطبوعة : نقط ، وهي تفسير للنكت .

(٦) في ( ج د ) : بالفقس .

(٧) في المطبوعة : أنواع الثياب .

(٨) في ( أ ج د ) : أو الاعتسال .

(٩) في الجاهلية : ساقطة من ( أ ) .

(١٠) في ( أ ) : يتعدون ، وفي ( ط ) : يعبدون .

وعشرين خلت منه، ويزعمون أنه ميلاد عيسى عليه السلام، فجميع ما يحدث فيه هو من المنكرات، مثل: إيقاد النيران، وإحداث طعام، واصطناع شمع وغير ذلك. فإن اتخاذ هذا الميلاد عيداً هو دين النصارى، ليس لذلك أصل في دين الإسلام، ولم يكن لهذا الميلاد ذكر أصلاً على عهد السلف الماضين، بل أصله مأخوذ عن النصارى، وانضم إليه سبب طبيعي<sup>(١)</sup> وهو كونه في الشتاء المناسب لإيقاد النيران، ولأنواع مخصوصة من الأطعمة. ثم إن النصارى تزعم أنه بعد الميلاد بأيام -أظنها أحد عشر يوماً- عمد<sup>(٢)</sup> يحيى لعيسى عليهما السلام في ماء<sup>(٣)</sup> المعمودية فهم يتعمدون<sup>(٤)</sup> في هذا الوقت، ويسمون عيد الغطاس، وقد صار كثير من جهال النساء يدخلن أولادهن إلى الحمام في هذا الوقت، ويزعمن أن هذا ينفع الولد، وهذا من دين النصارى، وهو من أقبح المنكرات المحرمة. وكذلك أعياد الفرس مثل: النيروز والمهرجان، وأعياد اليهود أو غيرهم من أنواع الكفار أو الأعاجم أو الأعراب، حكمها كلها على ما ذكرناه من قبل<sup>(٥)</sup>.

---

(١) في (أ) : طبيعي .

(٢) في (ج د) : عهد ، وما أثبتته أرجح ، ويفسر ما بعده ، وفي المطبوعة : عمد يحيى عيسى ، وهو خلاف المخطوطات .

(٣) في (ب) : بناء ، أو : نبأ .

(٤) في (ج د) : يتعهدون .

(٥) من قبل : ساقطة من (ب) .



وكما لا نتشبه بهم في الأعياد فلا يعان المسلم المتشبه بهم في ذلك، بل ينهى عن ذلك فمن <sup>(١)</sup> صنع دعوة مخالفة للعادة في أعيادهم لم تجب <sup>(٢)</sup> دعوته، ومن أهدى من المسلمين هدية في هذه الأعياد، مخالفة للعادة في سائر الأوقات غير هذا العيد، لم تقبل هديته، خصوصا إن كانت الهدية مما يستعان بها على التشبه بهم، مثل: إهداء الشمع ونحوه في الميلاد أو إهداء البيض واللبن والغنم في الخميس الصغير الذي في آخر صومهم، وكذلك أيضا لا يهدى لأحد من المسلمين في هذه الأعياد هدية لأجل العيد، لا سيما إذا كان مما يستعان بها على التشبه بهم <sup>(٣)</sup> كما ذكرناه.

ولا يبيع <sup>(٤)</sup> المسلم ما يستعين به المسلمون على مشابھتهم في العيد، من الطعام واللباس ونحو ذلك؛ لأن في ذلك إغانة على المنكر، فأما مبايعتهم ما يستعينون هم به على عيدهم أو شهود أعيادهم للشراء فيها، فقد قدمنا أنه قيل للإمام أحمد: <sup>(٥)</sup> هذه الأعياد التي تكون عندنا بالشام مثل طور يانور <sup>(٦)</sup> ودير أيوب، وأشباهه يشهده المسلمون، يشهدون الأسواق، ويجلبون فيه الغنم والبقر والدقيق والبر، وغير ذلك؛ إلا أنه إنما يكون في الأسواق يشتركون، ولا يدخلون عليهم بيعهم، وإنما يشهدون الأسواق <sup>(٧)</sup> قال: إذا لم يدخلوا عليهم بيعهم، وإنما يشهدون السوق <sup>(٨)</sup> فلا بأس.

---

(١) في (أ) : فمنع .

(٢) في المطبوعة : لم تجب إجابة دعوته . وهذا يومهم جواز إجابة هذه الدعوة مع عدم وجوب ذلك .

(٣) بهم : سقطت من (ج د) .

(٤) في (أ ب) : يبيع .

(٥) في (ج) : في هذه .

(٦) في (أ) والمطبوعة : طور يابور ، وفي (ط) : مهملة ، محتملة للأميرين ، ولم أجد لهذا الطور ذكراً . أما دير

أيوب فقد مر ذكره (١ / ٥١٧) .

(٧) في المطبوعة : أسقطت العبارة : وإنما يشهدون الأسواق .

(٨) في (ج د) : الأسواق .

وقال أبو الحسن الآمدي: " فأما ما يبيعون <sup>(١)</sup> في الأسواق في أعيادهم فلا بأس بحضوره ". نص عليه أحمد في رواية مهنا، وقال: " إنما يمنعون أن يدخلوا عليهم بيعهم وكنائسهم، فأما ما يباع في الأسواق من المأكّل فلا، وإن قصد إلى توفير ذلك وتحسينه لأجلهم " فهذا الكلام محتمل؛ لأنه أجاز شهود السوق مطلقا بئعا، ومشتريا؛ لأنه قال: " إذا لم يدخلوا عليهم كنائسهم، وإنما يشهدون السوق فلا بأس " هذا يعم البائع، والمشتري، لا سيما إن كان الضمير في قوله: " يجلبون " عائدا إلى المسلمين، فيكون قد نص على جواز كونهم جالين إلى السوق.

ويحتمل - وهو أقوى - أنه إنما أرخص في شهود السوق فقط، ورخص في الشراء منهم، ولم يتعرض للبيع منهم؛ لأن السائل إنما سأله عن شهود السوق التي يقيمها الكفار لعيدهم، وقال في آخر مسألته: " يشترون، ولا يدخلون عليهم بيعهم " وذلك؛ لأن السائل مهنا بن يحيى الشامي، وهو فقيه عالم، وكان <sup>(٢)</sup> -والله أعلم- قد سمع ما جاء في النهي عن شهود أعيادهم، فسأل أحمد: هل شهود أسواقهم بمنزلة شهود أعيادهم؟ فأجاب أحمد بالرخصة في شهود السوق، ولم يسأل عن بيع المسلم لهم إما لظهور الحكم عنده، وإما لعدم الحاجة إليه إذ ذاك، وكلام الآمدي أيضا محتمل <sup>(٣)</sup> للوجهين. لكن الأظهر فيه الرخصة في البيع أيضا؛ لقوله: " إنما يمنعون أن يدخلوا عليهم بيعهم وكنائسهم "، وقوله: " وإن قصد إلى توفير <sup>(٤)</sup> ذلك وتحسينه لأجلهم ".

فما أجاب به أحمد من جواز شهود السوق فقط للشراء منها، من غير دخول الكنيسة فيجوز؛ لأن ذلك ليس فيه <sup>(٥)</sup> شهود منكر، ولا إعانة على معصية؛ لأن نفس الابتاع

(١) في (أ) : يتغون .

(٢) في المطبوعة : وكأنه .

(٣) في (أ) زاد : بعد محتمل : آخر أيضا ، وفي (ط) : زاد أيضا .

(٤) في (أ) : توفية .

(٥) فيه : سقطت من (ج د) .

منهم جائز، ولا إعانة فيه على المعصية، بل فيه صرف لما لعلمهم يتاعونه<sup>(١)</sup> لعيدهم عنهم<sup>(٢)</sup> فيكون فيه تقليل الشر، وقد كانت أسواق في الجاهلية، كان المسلمون يشهدونها، وشهد بعضها النبي ﷺ ومن هذه الأسواق ما كان يكون في مواسم الحج، ومنها ما كان يكون<sup>(٣)</sup> لأعياد باطلة.

وأيضاً، فإن أكثر ما في السوق، أن يباع فيها ما يستعان به على المعصية، فهو كما لو حضر الرجل<sup>(٤)</sup> سوقاً يباع<sup>(٥)</sup> فيها السلاح لمن يقتل به معصوماً، أو العصير لمن يخمره، فحضرها الرجل<sup>(٦)</sup> ليشتري منها، بل هذا أجود؛ لأن البائع في هذا السوق ذمي، وقد أقرروا<sup>(٧)</sup> على هذه المبايعة.

ثم إن الرجل لو سافر إلى دار الحرب ليشتري منها، جاز عندنا، كما دل عليه حديث تجارة أبي بكر رضي الله عنه في حياة رسول الله ﷺ إلى أرض الشام، وهي<sup>(٨)</sup> دار حرب، وحديث عمر رضي الله عنه وأحاديث أخر بسطت القول فيها<sup>(٩)</sup> في غير هذا الموضع<sup>(١٠)</sup> مع أنه لا بد أن تشتمل أسواقهم على بيع ما يستعان به على المعصية.

فأما بيع المسلمين لهم في أعيادهم، ما يستعينون به على عيدهم، من الطعام واللباس والريحان ونحو ذلك، أو إهداء ذلك لهم، فهذا فيه نوع إعانة على إقامة عيدهم المحرم، وهو

(١) في (ج د) : يتباعونه .

(٢) في المطبوعة زاد : (الذي يظهر أنه إعانة لهم ، وتكثير لسوادهم) بعد (عنهم) وقبل (فيكون) .

(٣) في (ب) : ما كان في الأعياد باطلة . ويكون : ساقطة من (ط) .

(٤) في (أ) : الرجال .

(٥) في (ب) : فابتاع .

(٦) في (أ) زاد : سوقاً يباع ، ولعل نظر الناسخ سبق إلى الكلمة التي فوقها فكتبها هنا ، وهي : (سوقاً يباع) كذلك .

(٧) في (أ) : أقروه .

(٨) في المطبوعة زاد : حينذاك ، ودار : سقطت من (أ) .

(٩) في (ب ج د) : عليها .

(١٠) في (أ) زاد : غيرهم ، ولعله خلط من الناسخ .

مبني على أصل وهو: <sup>(١)</sup> أن بيع الكفار عنبا أو عصيرا يتخذونه خمرا لا يجوز <sup>(٢)</sup> وكذلك لا يجوز بيعهم سلاحا يقاتلون به مسلما.

وقد دل حديث عمر رضي الله عنه في إهداء الحلة السبراء <sup>(٣)</sup> إلى أخ له بمكة مشرك <sup>(٤)</sup> على جواز بيعهم الحرير، لكن الحرير مباح في الجملة، وإنما يحرم الكثير منه على بعض الآدميين، ولهذا جاز التداوي به في أصح الروايتين <sup>(٥)</sup> ولم يجز بالخمر بحال، وجازت صنعته في الأصل والتجارة فيه.

فهذا الأصل فيه اشتباه، فإن قيل بالاحتمال الأول في كلام أحمد جوز ذلك، وعن أحمد في جواز حمل التجارة إلى أرض الحرب روايتان منصوصتان، فقد يقال: <sup>(٦)</sup> يبيعها لهم في العيد كحملها إلى دار الحرب، فإن حمل الثياب والطعام إلى أرض الحرب فيه إعانة على دينهم في الجملة، وإذا منعنا منها إلى أرض الحرب فهنا أولى، وأكثر أصوله ونصوصه تقتضي المنع من ذلك، لكن هل هو منع تحريم؟ أو تترية؟ مبني على ما سيأتي. وقد ذكر عبد الملك بن حبيب <sup>(٧)</sup> أن هذا مما اجتمع <sup>(٨)</sup> على كراهته، وصرح بأن مذهب مالك أن ذلك حرام.

(١) في المطبوعة قال: وهو أنه لا يجوز أن يبيع الكفار .

(٢) لا يجوز: أسقطت من المطبوعة بناءً على التغيير الأول في العبارة .

(٣) السبراء كما قال في القاموس: نوع من البرود فيه خطوط صفر، أو يخالطه حرير . انظر: القاموس المحيطة ، فصل السين ، باب الرء (٢ / ٥٦) .

(٤) جاء ذلك في حديث أخرجه الإمام أحمد بإسناد صحيح ، المسند (٢ / ١٠٣) في مسند ابن عمر .

(٥) يعني عن أحمد بن حنبل . انظر: المعني والشرح الكبير (١ / ٦٢٧) في المعني .

(٦) في (ب): فقد قال .

(٧) هو: الإمام عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي القرطبي ، أبو مروان ، ولد سنة (١٧٤هـ) ، إمام في الفقه المالكي ، عالم الأندلس وفقهها في وقته ، وله مؤلفات كثيرة منها: (١) الواضحة في السنن والفقه . (٢) تفسير موطأ مالك . (٣) طبقات الفقهاء والتابعين . وهو ضعيف الحديث ، توفي سنة (٢٣٨هـ) . انظر: لسان الميزان (٤ / ٥٩ ، ٦٠) ، (ت ١٧٤)؛ والأعلام للزركلي (٤ / ١٥٧) .

(٨) في (ب): أجمع .

قال عبد الملك بن حبيب في (الواضحة) <sup>(١)</sup> كره مالك أكل ما ذبح النصارى لكنائسهم، ونهى عنه من غير تحريم، قال: وكذلك ما ذبحوا على اسم المسيح، أو الصليب، أو أسماء من مضى <sup>(٢)</sup> من أحبارهم ورهبانهم الذين يعظمون، فقد كان مالك وغيره ممن يقتدى به يكره أكل هذا كله من ذبائحهم، وبه نأخذ، وهو يضاهي قول الله تعالى ﴿ وَمَا أَهْلٌ بِهِ لغيرِ اللَّهِ ﴾ <sup>(٣)</sup> وهي ذبائحهم <sup>(٤)</sup> التي كانوا يذبحون لأصنامهم التي كانوا يعبدون. قال: وقد كان رجال من العلماء يستخفون ذلك <sup>(٥)</sup> ويقولون: (قد أحل الله لنا ذبائحهم، وهو يعلم ما يقولون، وما يريدون بها، وروى ذلك ابن وهب <sup>(٦)</sup> عن ابن عباس، وعبادة بن الصامت، وأبي الدرداء <sup>(٧)</sup> وسليمان بن يسار <sup>(٨)</sup> وعمر بن عبد العزيز، وابن شهاب <sup>(٩)</sup> وربيعة <sup>(١٠)</sup> ويحيى بن سعيد <sup>(١١)</sup> ومكحول <sup>(١)</sup> وعطاء <sup>(٢)</sup> .

(١) الواضحة ، كتاب في الفقه المالكي ، ألفه عبد الملك المذكور . انظر : الأعلام للزركلي ( ٤ / ١٥٧ ) .

(٢) من : سقطت من (أ) .

(٣) سورة البقرة : من الآية ١٧٣ .

(٤) ذبائحهم : سقطت من (أ) .

(٥) كذا في (أ) والمطبوعة . وفي بقية النسخ : يستخفون ذلك .

(٦) مرت ترجمته . انظر : فهرس الأعلام .

(٧) هو الصحابي الجليل : عويمر بن مالك بن زيد بن قيس الخزرجي ، الأنصاري ، آخى الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم بينه وبين سلمان الفارسي ، وشهد ما بعد أحد من المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ولي قضاء دمشق في عهد عثمان بن عفان ، وتوفي بها سنة (٣٢هـ) . انظر : طبقات ابن سعد (٧ / ٣٩١ — ٣٩٣)؛ والإصابة (٥ / ١٨٥ — ١٨٦) .

(٨) في (ب) : بن بشار . ولعل (ابن يسار) أصح كما هو في بقية النسخ ، وسليمان بن يسار مرت ترجمته .

(٩) هو : الزهري . مرت ترجمته . انظر : فهرس الأعلام .

(١٠) في المطبوعة قال : ربيعة بن عبد الرحمن . وهو خلاف جميع النسخ ، كما أنه ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، وليس ابن عبد الرحمن ، وهو : ربيعة بن فروخ ، وفروخ هو أبو عبد الرحمن ، التيمي بالولاء ، أبو عثمان ، المدني ، المشهور بريعة الرأي ، قال ابن حجر في التقريب : (ثقة فقيه مشهور) ، وهو من الطبقة الخامسة ، أخرج له الستة ، توفي سنة (١٣٦هـ) . انظر : تقريب التهذيب (١ / ٢٤٧) ، (ت٦٠) .

(١١) لعله يحيى بن سعيد القطان ، إمام الحديث ، والجرح ، والتعديل ، ثقة متقن حافظ ، وإمام قدوة ، من كبار الطبقة التاسعة ، وهو معاصر لابن وهب المذكور هنا ، توفي سنة (١٩٨هـ) وعمره (٧٨) سنة . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ٢٤٨) ، (ت٧٢) . ويحتمل أنه يقصد : يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري المدني

قال عبد الملك: وترك ما ذبحوا لأعيادهم وأقسنتهم<sup>(٣)</sup> وموتاهم، وكنائسهم أفضل.  
قال: وإن فيه عيباً آخر: أن أكله<sup>(٤)</sup> من تعظيم شركهم.

ولقد سأل سعد المعافري<sup>(٥)</sup> مالكا عن الطعام الذي تصنعه النصارى لموتاهم يتصدقون به عنهم: أياكل منه المسلم؟ فقال: " لا ينبغي<sup>(٦)</sup> لا يأخذه منهم "؛ لأنه إنما يعمل تعظيماً للشرك فهو كالذبائح<sup>(٧)</sup> للأعياد والكنائس.

وسئل ابن القاسم عن النصراني يوصي بشيء يباع من ملكه للكنيسة: <sup>(٨)</sup> هل يجوز<sup>(٩)</sup> لمسلم شراؤه؟ فقال: " لا يحل ذلك له؛ لأنه تعظيم لشعائهم<sup>(١٠)</sup> وشرائعهم ومشتريه مسلم سوء " <sup>(١١)</sup>. وقال ابن القاسم في أرض الكنيسة يبيع الأسقف منها شيئاً في مرمتها<sup>(١٢)</sup> وربما حبست تلك<sup>(١)</sup> الأرض على الكنيسة لمصلحتها: إنه لا يجوز للمسلمين

---

القاضي ، أبو سعيد ، من علماء المدينة ومحدثيها وحفاظها الكبار المشاهير ، تولى قضاء الحيرة ، وتوفي سنة ( ١٤٤هـ ) ، والأرجح عندي أنه هو المقصود هنا ، لمعاصرتي لربيعة وابن شهاب وعمر بن عبد العزيز . انظر : تهذيب التهذيب ( ١١ / ٢٢١ — ٢٢٤ ) ، ( ت ٣٦٠ ) .

(١) هو : مكحول الشامي ، أبو عبد الله ، الفقيه الدمشقي ، من علماء الشام وفقهائها ، رمي بالقول بالقدر لكنه رجع ، وهو ثقة لكنه يدللس . أخرج له مسلم ، توفي سنة ( ١١٤هـ ) . انظر : تهذيب التهذيب ( ١٠ / ٢٨٩ — ٢٩٣ ) ، ( ت ٥٠٩ ) .

(٢) مرت ترجمته . انظر : فهرس الأعلام .

(٣) في (أ) : وأقسنتهم ، والمقصود بها في العبارتين : القساوسة ، وهي جمع قس ، وهو لقب من ألقاب من يسمون برجال الدين عند النصارى .

(٤) في (أ) والمطبوعة : كله .

(٥) هو : سعد بن عبد الله المعافري ، من علماء المالكية ، ومن تلاميذ مالك ، تفقه عليه ابن وهب وابن القاسم من كبار المالكية ، توفي سنة ( ١٧٣هـ ) . انظر : طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي ( ص ١٥٠ ) .

(٦) في المطبوعة : لا ينبغي أن يأخذه منهم .

(٧) في المطبوعة : كالذبح .

(٨) في (ج د) : لكنيسة .

(٩) في (أ) : للمسلم .

(١٠) لشعائهم : سقطت من (أ ب) .

(١١) في (أ) : سواء ، ولعله خطأ إملائي من الناسخ .

(١٢) أي ترميمها وإصلاحها .

أن يشتروها <sup>(٢)</sup> من وجهين:

الواحد: <sup>(٣)</sup> من العون على تعظيم الكنيسة.

والآخر: من جهة <sup>(٤)</sup> بيع الحبس <sup>(٥)</sup> ولا يجوز لهم في أحباسهم إلا ما يجوز للمسلمين، ولا أرى لحاكم المسلمين أن يتعرض <sup>(٦)</sup> فيها بمنع ولا تنفيذ ولا بشيء.

قال: وسئل ابن القاسم عن الركوب في السفن التي تتركب فيها النصارى إلى أعيادهم، فكره ذلك مخافة نزول السخطة <sup>(٧)</sup> عليهم بشركهم الذي اجتمعوا عليه، وكره ابن القاسم للمسلم يهدي <sup>(٨)</sup> للنصارى شيئاً في عيدهم <sup>(٩)</sup> مكافأة لهم <sup>(١٠)</sup> ورآه من تعظيم عيدهم <sup>(١١)</sup> وعونا لهم <sup>(١٢)</sup> على مصلحة <sup>(١٣)</sup> كفرهم <sup>(١٤)</sup> ألا ترى أنه لا يحل للمسلمين أن يبيعوا من النصارى شيئاً من مصلحة عيدهم؟ لا لحما، ولا إداما <sup>(١٥)</sup> ولا ثوبا، ولا يعارون دابة، ولا يعاونون على شيء من عيدهم؛ لأن ذلك من تعظيم شركهم، ومن عونهم على كفرهم، وينبغي للسلطان أن ينهوا المسلمين عن ذلك، وهو قول مالك وغيره، لم أعلمه اختلف فيه.

(١) تلك : سقطت من (أ) .

(٢) في (أ) والمطبوعة : لمسلم أن يشتريها .

(٣) في المطبوعة زاد : أن ذلك .

(٤) في (أ) والمطبوعة : من وجه .

(٥) في (أ) : الحبس .

(٦) في (أ ب) : يعرض .

(٧) في (أ) والمطبوعة : السخطة .

(٨) في المطبوعة : أن يهدي للنصراني .

(٩) في (أ ط) : للنصراني في عيد .

(١٠) في (أ ط) والمطبوعة : له .

(١١) في (أ ط) والمطبوعة : عيد .

(١٢) في (أ ط) والمطبوعة : له .

(١٣) مصلحة : سقطت من المطبوعة .

(١٤) في (أ ط) والمطبوعة : كفره .

(١٥) في (ب) : أدما ، وفي (ج د) : دما .

فأكل ذبائح أعيادهم داخل في هذا الذي اجتمع <sup>(١)</sup> على كراهيته، بل هو عندي أشد، فهذا كله كلام ابن حبيب.

وقد ذكر أنه قد اجتمع على كراهة مبايعتهم <sup>(٢)</sup> ومهادتهم ما يستعينون به على أعيادهم، وقد صرح بأن مذهب مالك: أنه لا يحل ذلك.

وأما نصوص أحمد على مسائل هذا الباب: فقال إسحاق بن إبراهيم <sup>(٣)</sup> سئل أبو عبد الله - رحمه الله - عن نصارى، وقفوا ضيعة للبيعة: أيستأجرها الرجل <sup>(٤)</sup> المسلم منهم؟ فقال: لا يأخذها بشيء، لا يعينهم <sup>(٥)</sup> على ما هم فيه، وقال أيضا: سمعت أبا عبد الله، وسأله رجل بناء: أباي للمجوس ناووسا <sup>(٦)</sup> قال: لا تبين لهم، ولا تعينهم على ما هم فيه <sup>(٧)</sup>. وقد نقل عن محمد بن الحكم <sup>(٨)</sup> وسأله عن الرجل المسلم يحفر لأهل الذمة قبرا بكراء؟ قال: لا بأس به، والفرق بينهما أن الناووس من خصائص دينهم الباطل كالكنيسة، بخلاف القبر المطلق، فإنه ليس في نفسه معصية، ولا من خصائص دينهم.

(١) في (ب) أجمع .

(٢) في (أ) : متابعتهم .

(٣) هو : النيسابوري ، مرت ترجمته . انظر فهرس الأعلام .

(٤) الرجل : ساقطة من (أ) .

(٥) في (أ) : لا يعينهم .

(٦) الناووس : صندوق من خشب أو نحوه يضعون فيه جثة الميت . انظر : المعجم الوسيط ( ٢ / ٩٧١ ) .

(٧) انظر : مسائل الإمام أحمد للنيسابوري ( ٢ / ٣٠ ) ، المسألة رقم ( ١٢٩٩ ) .

(٨) هو : محمد بن الحكم أبو بكر الأحول ، سمع من الإمام أحمد مسائل ، وكان له علم وفهم سديد ، توفي قبل

الإمام سنة (٢٢٣هـ) . انظر : طبقات الحنابلة ( ١ / ٢٩٥ ، ٤٠٤ ) .



وقال الخلال: " باب الرجل يؤاجر داره للذمي أو يبيعها منه " وذكر عن المروزي أن أبا عبد الله سئل عن رجل باع داره من ذمي، وفيها محاريبه: <sup>(١)</sup> فقال: " نصراني <sup>(٢)</sup> ! " واستعظم ذلك، وقال: " لا تباع يضرب فيها بالناقوس <sup>(٣)</sup> وينصب <sup>(٤)</sup> فيها الصليبان، وقال: لا تباع من الكفار "، وشدد في ذلك.

وعن أبي الحارث <sup>(٥)</sup> أن أبا عبد الله سئل عن الرجل يبيع داره، وقد جاء نصراني فأرغبه، وزاده في ثمن الدار، ترى <sup>(٦)</sup> له أن يبيع داره منه وهو نصراني أو يهودي أو مجوسي؟ قال: " لا أرى له ذلك، يبيع داره من كافر يكفر <sup>(٧)</sup> بالله فيها! يبيعها من مسلم أحب إلي " فهذا نص على المنع.

ونقل عنه إبراهيم بن الحارث <sup>(٨)</sup> قيل لأبي عبد الله: الرجل يكرى منزله من الذمي يتزل فيه، وهو يعلم أنه يشرب فيه الخمر، ويشرك فيها؟ قال: " ابن عون <sup>(٩)</sup> كان لا

---

(١) المحاريب جمع محراب ، وهو : مقام الإمام في المسجد ، ويطلق على الغرفة ، وصدر البيت . انظر : القاموس المحيط ، فصل الحاء ، باب الباء ( ١ / ٥٤ ) ، والذي يظهر لي أن المقصود بالمحاريب هنا : الأماكن التي تخصص لصلاة التطوع وصلاة النساء في المنزل ، والله أعلم .

(٢) في المطبوعة : فيها نصراني .

(٣) في (أ) : يضرب فيها الناقوس .

(٤) في (ط) : وتنصب .

(٥) يغلب على ظني أنه : أحمد بن محمد الصائغ ، أبو الحارث ، فقد كان أحمد بن حنبل يقدمه ويكرمه ، وروى عن الإمام مسائل كثيرة . انظر : طبقات الحنابلة ( ١ / ٧٤ ، ٧٥ ) ، ( ت ٥٩ ) .

(٦) في (أ) : وضع في الهامش : هل ، قبل : ترى .

(٧) يكفر : ساقطة من (أ) .

(٨) هو : إبراهيم بن الحارث بن مصعب بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، من كبار أصحاب الإمام أحمد ، ويعد من الطبقة الثانية عشرة . انظر : طبقات الحنابلة ( ١ / ٩٤ ) ( ت ٩٢ ) ، وتهذيب التهذيب ( ١ / ١١٣ ) ، ( ت ١٩٧ ) .

(٩) لعله عبد الله بن عون بن أبي عون بن يزيد ، الهلالي ، الخراز ، البغدادي ، ثقة عابد ، من الطبقة العاشرة ، توفي سنة (٢٣٢هـ) ، أخرج له مسلم والنسائي . انظر : تقريب التهذيب ( ١ / ٤٣٩ ) ، ( ت ٥٢٧ ) ، وهو معاصر للإمام أحمد . وربما يكون المقصود : الإمام عبد الله بن عون بن أرتبان البصري ، عالم فقيه ، من السادسة ،

يكرى إلا من أهل الذمة يقول: يرعبهم " (١) .

قيل له: كأنه أراد إذلال أهل الذمة بهذا. قال: " لا، ولكنه أراد: أنه كره أن يرعب (٢) المسلمين، يقول: إذا جئت أطلب الكراء من المسلم أرعبتة. فإذا كان ذميا كان (٣) أهون عنده " وجعل أبو عبد الله يعجب لهذا من ابن عون، فيما رأيت. وهكذا نقل الأثرم سواء، ولفظه: قلت لأبي عبد الله.

ومسائل الأثرم وإبراهيم بن الحارث يشتركان فيها.

ونقل عنه مهنا قال: سألت أحمد عن الرجل يكرى الجوس داره، أو دكانه، وهو يعلم أنهم يزنون، فقال: " كان ابن عون (٤) لا يرى أن يكرى المسلمين، يقول: أرعبهم (٥) في أخذ الغلة، وكان يرى أن يكرى غير المسلمين " .

قال أبو بكر الخلال: كل من حكى عن أبي عبد الله في رجل يكرى داره من ذمي، فإنما أجابه أبو عبد الله على فعل ابن عون، ولم ينفذ (٦) لأبي عبد الله فيه قول.

وقد حكى عنه إبراهيم أنه رآه معجبا بقول ابن عون، والذين رووا عن أبي عبد الله في المسلم يبيع داره من الذمي (٧) أنه كره ذلك كراهة شديدة، فلو نفذ (٨) لأبي عبد الله (٩) قول في السكنى؛ لكان (١٠) السكنى والبيع عندي واحدا، والأمر في ظاهر قول أبي عبد الله أنه

---

توفي سنة (١٥٠هـ-) ، وهذا هو الأرجح عندي؛ لأنه فقيه يناسب اعتبار الإمام أحمد لقوله وفعله ، انظر :  
تقريب التهذيب ( ١ / ٤٣٩ ) ، ( ت ٥٢٦ ) .

(١) في ( ب ج د ط ) : يرعبهم ، وما أثبتته أصح ، ؛ لأن السياق يتطلبه .

(٢) في ( ب ط ) : يرغب ، والصحيح ما أثبتته كسابقه ؛ لأنه في طلب الكراء ، وفيه إرعاب للمستأجر ؛ لأنه غارم .

(٣) كان : ساقطة من ( ج د ) .

(٤) في ( أ ) : ابن عوف . وهو تحريف من الناسخ .

(٥) في ( أ ط ) : أرعبهم . والمثبت أصح كما بينت .

(٦) في ( أ ) : ينقل .

(٧) في ( ب ) : من ذمي .

(٨) في ( ب ) نقل .

(٩) في ( أ ) : فيه قول .

(١٠) في ( أ ) : كأن . وفي المطبوعة : لكانت .

لا يباع منه؛<sup>(١)</sup> لأنه يكفر فيها، وينصب الصليبان، وغير ذلك، والأمر عندي: أنه لا يباع منه ولا يكرى<sup>(٢)</sup>؛ لأنه معنى واحد.

قال: وقد أخبرني أحمد بن الحسين بن حسان<sup>(٣)</sup> قال: سئل أبو عبد الله عن حصين بن عبد الرحمن<sup>(٤)</sup> فقال: " روى عنه<sup>(٥)</sup> حفص<sup>(٦)</sup> لا أعرفه " قال أبو بكر: هذا من النساك حدثني أبو سعيد الأشج<sup>(٧)</sup> سمعت أبا خالد الأحمر<sup>(٨)</sup> يقول: حفص هذا العدوي نفسه باع دار حصين بن عبد الرحمن عابد أهل الكوفة، من عون البصري<sup>(٩)</sup> فقال له أحمد: " حفص ؟ " قال: نعم. فعجب أحمد، يعني من حفص بن غياث، قال الخلال: وهذا أيضا تقوية لمذهب أبي عبد الله.

قلت: عون هذا كأنه من أهل البدع، أو من الفساق بالعمل، فقد أنكر أبو خالد الأحمر على حفص بن غياث قاضي الكوفة، أنه باع دار الرجل الصالح من مبتدع،

(١) ما بين الرقمين ساقط من (أ) .

(٢) ما بين الرقمين ساقط من (أ) .

(٣) هو : أحمد بن الحسين بن حسان السامري — من سرّ من رأى — قال في طبقات الخنابلة : رأى إمامنا أحمد ، وروى عنه أشياء . انظر : طبقات الخنابلة ( ١ / ٣٩ ) ، (ت ١٢) ، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص ١٢٥) ، تحقيق د . عبد الله التركي .

(٤) يظهر لي أنه : حصين بن عبد الرحمن النخعي الكوفي (وهو غير حصين بن عبد الرحمن السلمى المشهور) ؛ لأن حفص بن غياث من الطبقة الثامنة ، وحصين السلمى من الخامسة) ، أما حصين المترجم له فهو من الطبقة السابعة ، قال ابن حجر في التقريب : قلت : قال أبو حاتم : مجهول . وذكره ابن حبان في الثقات . انظر : تهذيب التهذيب ( ٢ / ٣٨٣ ) ، (ت ٦٦٢) .

(٥) في (أ) روى عن حفص . والصحيح ما أثبتته . انظر : تهذيب التهذيب ( ٢ / ٣٨٣ ) .

(٦) هو : حفص بن غياث بن طلق بن معاوية النخعي ، أبو عمرو ، الكوفي ، القاضي ، ثقة ، صاحب حديث ، ولد سنة (١١٧هـ) وتوفي سنة (١٩٥هـ) . انظر : تهذيب التهذيب ( ٢ / ٤١٥-٤١٨ ) (ت ٧٢٥) .

(٧) هو : عبد الله بن سعيد بن حصين الكندي الكوفي ، أبو سعيد الأشج ، من صغار الطبقة العاشرة ، ثقة ، أخرج له الستة ، مات سنة (٢٥٧هـ) . انظر : تقريب التهذيب ( ١ / ٤١٩ ) ، (ت ٣٤٢) .

(٨) هو : سليمان بن حيان الأزدي ، الكوفي ، أبو خالد الأحمر ، قال في التقريب : صدوق بخطى ، من الثامنة ، وأخرج له الستة ، توفي سنة (١٩٠هـ) . انظر : تقريب التهذيب ( ١ / ٣٢٣ ) ، (ت ٤٢٥) .

(٩) لم أتوصل معرفته؛ لأن المعروفين بهذا الاسم كثيرون ، ولم أجد ما يدل عليه . وكذلك الشيخ هنا شك فيه .

وعجب أحمد<sup>(١)</sup> أيضا من فعل القاضي.

قال الخلال: " فإذا كان يكره بيعها من فاسق، فكذلك من كافر، وإن كان الذمي يقر، والفاسق لا يقر، لكن ما يفعله الكافر فيها أعظم"، وهكذا ذكر القاضي عن أبي بكر عبد العزيز<sup>(٢)</sup> أنه ذكر قوله في رواية أبي الحارث: لا أرى أن يبيع داره من كافر يكفر بالله فيها، يبيعها من مسلم أحب إلي، فقال أبو بكر: " لا فرق بين الإجارة والبيع عنده، فإذا أجاز البيع أجاز الإجارة، وإذا منع البيع منع الإجارة" ووافقه القاضي<sup>(٣)</sup> وأصحابه على ذلك.

وعن إسحاق بن منصور<sup>(٤)</sup> أنه قال لأبي عبد الله: سئل -يعني الأوزاعي - عن الرجل يؤاجر نفسه لنظارة كرم النصراني، فكره ذلك، وقال أحمد: " ما أحسن ما قال؛ لأن أصل ذلك يرجع إلى الخمر، إلا أن يعلم أنه يباع لغير الخمر فلا بأس به<sup>(٥)</sup> ".

وعن أبي النضر العجلي<sup>(٦)</sup> قال: قال أبو عبد الله فيمن يحمل خمرا أو خنزيرا أو ميتة نصراني، فهو يكره أكل كرائه، ولكنه يقضي للحمال<sup>(٧)</sup> بالكراء، وإذا كان للمسلم فهو أشد كراهية".

وتلخيص الكلام في ذلك: أما يبيع داره من كافر، فقد ذكرنا منع أحمد منه. ثم اختلف

(١) أحمد: سقطت من (ج د).

(٢) في (ج د): أبي عبد العزيز. أي أن: (بكر) سقطت.

(٣) هو: أبو يعلى الفراء.

(٤) هو: إسحاق بن منصور بن بهرام التميمي، أبو أيوب الكوسج، المروزي ثم النيسابوري، صاحب مسائل

الإمامين: أحمد وإسحاق، إمام ثقة واسع العلم، توفي سنة (٢٥١هـ). انظر: خلاصة تذهيب التهذيب (ص ٣٠

)، وشذرات الذهب (٢ / ١٢٣).

(٥) به: سقطت من (أ ط) والمطبوعة.

(٦) هو: إسماعيل بن عبد الله بن ميمون بن عبد الحميد، أبو النضر العجلي، مروزي الأصل، نقل عن الإمام

أحمد أشياء كثيرة، ونقل عنه مسائل مهمة، توفي سنة (٢٧٠هـ)، وعمره (٨٤) سنة. انظر: طبقات

الحنابلة (١ / ١٠٥)، (ت ١١٥).

(٧) في (أ ط): للحمال. والجمال هو: صاحب الحمل (البعير) الذي يؤجر بعيه للأحمال، ونحوها. والحمال:

الذي يؤجر نفسه أو دابته للأحمال، فهو أعم.

أصحابه: هل هذا تزيه أو تحريم؟ فقال الشريف أبو علي بن أبي موسى: <sup>(١)</sup> "كره أحمد أن يبيع مسلم داره من ذمي يكفر فيها بالله تعالى، ويستبيح فيها <sup>(٢)</sup> المحظورات، فإن فعل أساء، ولم يبطل البيع" وكذلك أبو الحسن الآمدي أطلق الكراهة مقتصرًا عليها، وأما الخلال وصاحبه <sup>(٣)</sup> والقاضي فمقتضى كلامهم تحريم ذلك، وقد ذكر كلام الخلال وصاحبه، وقال القاضي: "لا يجوز أن يؤاجر داره أو بيته ممن يتخذها بيت نار، أو كنيسة، أو يبيع فيه الخمر، سواء شرط أنه يبيع فيه الخمر، أو لم يشرط لكنه يعلم أنه يبيع فيه الخمر".

وقد قال أحمد في رواية أبي الحارث: "لا أرى أن يبيع داره من كافر يكفر بالله فيها <sup>(٤)</sup> يبيعها من مسلم أحب إلي". قال أبو بكر: "لا فرق بين الإجارة والبيع عنده، فإذا أجاز <sup>(٥)</sup> البيع أجاز الإجارة، وإذا منع البيع منع الإجارة".

وقال أيضا في نصارى أوقفوا ضيعة لهم للبيعة: "لا يستأجرها الرجل المسلم منهم، يعينهم على ما هم فيه". قال: وبهذا قال الشافعي <sup>(٦)</sup>.

فقد حرم القاضي إجارتهما لمن يعلم أنه يبيع فيها الخمر، مستشهدا على ذلك بنص أحمد على أنه لا يبيعها لكافر، ولا يستكري وقف الكنيسة، وذلك يقتضي أن المنع في هاتين الصورتين عنده منع تحريم، ثم قال القاضي في أثناء المسألة: فإن قيل أليس قد أجاز أحمد إجارتهما من أهل الذمة، مع علمه بأنهم يفعلون فيها ذلك؟ قيل: "المنقول عن أحمد

(١) الشريف: محمد بن أحمد بن أبي موسى، الهاشمي القاضي، أبو علي، ولد سنة (٣٤٥هـ)، من علماء عصره، ومن كبار أتباع الإمام أحمد، من مصنفاته: الإرشاد في المذهب. وشرح كتاب الخرقى، وتولى القضاء في عهد القادر بالله. وتوفي سنة (٤٢٨هـ). انظر: طبقات الحنابلة (٢ / ١٨٢ - ١٨٦)، (ت ٦٥٢).

(٢) فيها: ساقطة من (أ ب ط).

(٣) يعني: أبا بكر عبد العزيز بن جعفر المعروف بـغلام الخلال.

(٤) في (ج د): يكفر فيها بالله.

(٥) في (أ): جاز.

(٦) انظر: (الأم) للشافعي (٤ / ٢١٣) ففيه ما يفيد هذا المعنى لا نصه.

أنه حكى قول ابن عون <sup>(١)</sup> وعجب منه، وذكر القاضي رواية الأثرم، وهذا يقتضي أن القاضي لا يجوز إيجارها من ذمي.

وكذلك أبو بكر قال: إذا أجاز أجاز <sup>(٢)</sup> وإذا منع منع <sup>(٣)</sup> وما لا يجوز فهو محرم"، وكلام أحمد رحمه الله <sup>(٤)</sup> محتمل الأمرين، فإن قوله في رواية أبي الحارث "بيعها من مسلم أحب إلي" يقتضي أنه منع تنزيهه. واستعظامه لذلك <sup>(٥)</sup> في رواية المروزي <sup>(٦)</sup> وقوله: "لا تباع من الكفار" <sup>(٧)</sup> -وشدد في ذلك- يقتضي التحريم.

وأما الإجارة فقد سوى الأصحاب بينها وبين البيع، وأن ما حكاه عن ابن عون ليس بقول له، وإن إعجابه بفعل ابن عون إنما كان لحسن مقصد ابن عون، ونيته الصالحة، ويمكن أن يقال: بل ظاهر الرواية أنه أجاز ذلك، فإن إعجابه بالفعل دليل على <sup>(٨)</sup> جوازه عنده، واقتصره على <sup>(٩)</sup> الجواب بفعل رجل يقتضي أنه مذهبه في أحد الوجهين.

والفرق بين الإجارة والبيع: أن ما في الإجارة من مفسدة الإعانة قد عارضه مصلحة أخرى، وهو صرف إرعاب المطالبة بالكراء عن المسلم، وإنزال ذلك بالكفار، وصار ذلك بمنزلة إقرارهم بالجزية، فإنه وإن كان إقرارا لكافر <sup>(١٠)</sup> لكن لما تضمنه <sup>(١١)</sup> من المصلحة جاز، وكذلك جازت مهادنة الكفار في الجملة.

(١) في المطبوعة زاد .

(٢) في (ج د) : إذا أجاز جاز .

(٣) أي : إذا أجاز البيع أجاز الإجارة ، وإذا منع البيع منع الإجارة ، كما هو مبين قبل قليل في الأصل .

(٤) في (ط) : .

(٥) في (أ) : كذلك .

(٦) في (ج د) وفي المطبوعة : المروزي .

(٧) في (أ) : لا يباع من الكافر .

(٨) على : ساقطة من (أ) والمطبوعة .

(٩) في (ج د) : عن .

(١٠) في المطبوعة : وإن كان فيه إقرار الكفار .

(١١) في (أ) : تضمنته .

فأما البيع: فهذه المصلحة منتفية فيه، وهذا ظاهر على قول ابن أبي موسى<sup>(١)</sup> وغيره أن البيع مكروه غير محرم، فإن الكراهة في الإجارة تزول بهذه المصلحة الراجحة كما في نظائره فيصير في المسألة أربعة أقوال<sup>(٢)</sup>.

وهذا الخلاف عندنا، والتردد في الكراهة، هو<sup>(٣)</sup> إذا لم يعقد الإجارة على المنفعة المحرمة، فأما إن آجره إياه لأجل بيع الخمر، أو اتخاذها كنيسة أو بيعة؛ لم يجز قولاً واحداً، وبه قال الشافعي وغيره، كما لا يجوز أن يكره أمته أو عبده للفجور. وقال أبو حنيفة: "يجوز أن يؤجرها لذلك"<sup>(٤)</sup>.

قال أبو بكر الرازي: لا فرق عند أبي حنيفة بين أن يشترط<sup>(٥)</sup> أن يبيع فيه الخمر، وبين أن<sup>(٦)</sup> لا يشترط لكنه يعلم أنه يبيع فيه الخمر، أن الإجارة تصح.

ومأخذه في ذلك أنه لا يستحق عليه بعقد الإجارة فعل هذه الأشياء، وإن شرط؛ لأن له أن لا يبيع فيها الخمر ولا يتخذها كنيسة، وتستحق عليه الأجرة بالتسليم في المدة، فإذا لم يستحق عليه فعل هذه الأشياء، كان ذكرها وترك ذكرها سواء، كما لو اكرت داراً لينام فيها أو يسكنها، فإن الأجرة تستحق عليه، وإن لم يفعل ذلك، وكذا يقول<sup>(٧)</sup> فيما إذا استأجر رجلاً يحمل<sup>(٨)</sup> خمراً، أو ميتة، أو خنزيراً: أنه يصح؛ لأنه لا يتعين حمل الخمر، بل لو حمل عليه بدله عصيراً استحق الأجرة، فهذا التقييد عنده لغو، فهو بمثالة الإجارة

---

(١) في (ط): علي بن أبي موسى. ولعله تصرف من الناسخ؛ لأن ابن أبي موسى اسمه محمد كما مر، أو لعلها: أبو علي، وهي كنيته، فحرفت.

(٢) ملخصها: القول الأول: تحريم البيع والإجارة من الذمي. القول الثاني: كراهة البيع والإجارة. القول الثالث: تحريم البيع وكراهية الإجارة. القول الرابع: كراهية البيع وجواز الإجارة.

(٣) في المطبوعة زاد: فيما.

(٤) الإشارة ترجع إلى تأجير الدار لبيع الخمر، واتخاذها كنيسة، لا إلى إكراه الأمة للفجور.

(٥) يشترط: سقطت من (أ).

(٦) في (ج د): أو لا يشترط.

(٧) في (ب): نقول.

(٨) في المطبوعة: لحمل خنزير، أو ميتة أو خمر.

المطلقة، والمطلقة عنده جائزة، وإن غلب على ظنه أن المستأجر يعصي فيها، كما يجوز بيع العصير لمن يتخذه خمرا، ثم إنه كره بيع السلاح في الفتنة، قال: لأن السلاح معمول للقتال لا يصلح لغيره.

وعامة الفقهاء خالفوه في المقدمة الأولى، وقالوا: " ليس المقيد كالمطلق، بل المنفعة المعقود عليها هي المستحقة، فتكون هي المقابلة بالعوض، وهي منفعة<sup>(١)</sup> محرمة، وإن جاز للمستأجر أن يقيم غيرها مقامها، وألزموه ما لو اكرى دارا يتخذها مسجدا، فإنه لا يستحق عليه فعل المعقود عليه، ومع هذا فإنه أبطل هذه الإجارة بناء على أنها اقتضت فعل الصلاة، وهي لا تستحق بعقد إجارة.

ونازعه أصحابنا وكثير من الفقهاء في المقدمة الثانية وقالوا: " إذا غلب على ظنه أن المستأجر ينتفع بها في محرم حرمت الإجارة له؛ لأن النبي ﷺ لعن عاصر الخمر ومعتصرها، والعاصر إنما يعصر عصيرا لكن إذا رأى أن المعتصر<sup>(٢)</sup> يريد أن يتخذه خمرا، وعصره<sup>(٣)</sup> استحق اللعنة، وهذا أصل مقرر في غير هذا الموضوع.

لكن معاصي الذمي<sup>(٤)</sup> قسمان:

: ما اقتضى عقد الذمة إقراره عليها.

: ما اقتضى عقد الذمة منعه منها، أو من إظهارها.

: فلا ريب أنه لا يجوز<sup>(٦)</sup> على أصلنا أن يؤاجر أو يبايع<sup>(٧)</sup> إذا غلب

على الظن أن يفعل ذلك كالمسلم وأولى.

(١) في (ب) : المنفعة .

(٢) في (أ) : المقصود .

(٣) في المطبوعة : لذلك استحق اللعنة .

(٤) جميع النسخ المخطوطة قالت : معاصي الدين . ويظهر أن (الذمي) أصح كما جاء في المطبوعة .

(٥) في (ب) : أو منعه من إظهارها . وفي (ط) : منعه منها أو إظهارها ، أي : بسقوط (من) .

(٦) في (د) : يجوز .

(٧) في المطبوعة زاد : الذمي عليه .



---

---

: فعلى ما قاله ابن أبي موسى: " يكره ولا يحرم "؛ لأننا قد أقررناه <sup>(١)</sup>  
على ذلك، وإعانتته على سكنى هذه <sup>(٢)</sup> الدار كإعانتته على سكنى دار الإسلام، فلو كان  
هذا من الإعانة المحرمة لما جاز إقرارهم بالجزية، وإنما كره ذلك لأنه إعانة من غير مصلحة،  
لإمكان بيعها من مسلم، بخلاف الإقرار <sup>(٣)</sup> بالجزية، فإنه جاز <sup>(٤)</sup> لأجل المصلحة ".  
وعلى ما قاله القاضي لا يجوز؛ لأنه إعانة على ما يستعين به على المعصية، من غير  
مصلحة تقابل <sup>(٥)</sup> هذه المفسدة فلم يجوز، بخلاف إسكانهم دار الإسلام، فإن فيه من المصالح  
ما هو المذكور في فوائد إقرارهم بالجزية.

---

(١) في المطبوعة : قررناه .

(٢) هذه : ساقطة من المطبوعة .

(٣) في (أ) : إقرارهم .

(٤) في (أ) جاز .

(٥) في (ط) : مقابل .

ومما يشبه ذلك: أنه قد اختلف قول أحمد إذا ابتاع الذمي أرض عشر من مسلم، على روايتين، منع من <sup>(١)</sup> ذلك في إحداهما، قال: "لأنه لا زكاة على الذمي، وفيه إبطال العشر <sup>(٢)</sup> وهذا ضرر على المسلمين" قال: "وكذلك لا يمكن <sup>(٣)</sup> من استئجار أرض العشر لهذه العلة <sup>(٤)</sup> .

وقال في الرواية الأخرى: "لا بأس أن يشتري الذمي أرض العشر من مسلم". واختلف قوله إذا جاز ذلك فيما على الذمي فيما تخرج هذه الأرض على روايتين: قال في إحداهما: "لا عشر عليه، ولا شيء سوى الجزية".

وقال في الرواية الأخرى: "عليه فيما يخرج من هذه الأرض <sup>(٥)</sup> الخمس ضعف ما كان على المسلم" ومن أصحابنا من حكى رواية أنهم ينهون عن شرائها، فإن اشتروها أضعف <sup>(٦)</sup> عليهم العشر <sup>(٧)</sup> .

وفي كلام أحمد ما يدل على هذا <sup>(٨)</sup> فإذا كان قد اختلف قوله في جواز تملكهم عامر <sup>(٩)</sup> الأرض العشرية؛ لما فيه من رفع العشر، فالمفسدة الدينية الحاصلة بكفرهم وفسقهم - في دار كانت للمسلمين <sup>(١٠)</sup> يعبد الله فيها ويطاع - أعظم من منع العشر. ولهذا تردد: "هل يرفع الضرر بمنع التملك بالكلية؟" إذ مع تجويز البيع: إما أن يعطل حق

(١) من : سقطت من (أ) .

(٢) في (أ) : للعشر .

(٣) في (أ ط) : لا يمكنوا .

(٤) انظر : المغني والشرح الكبير (٢ / ٥٩٢) في المغني .

(٥) في (أ ط) : فيما تخرج هذه الأرض .

(٦) في المطبوعة : ضعف .

(٧) المغني والشرح الكبير (٢ / ٥٩٣) في المغني .

(٨) في (أ) وفي المطبوعة : هذه .

(٩) في المطبوعة : تملكهم رقية الأرض . فقال : رقية . بدل : عامر .

(١٠) في (ب) : كانت داراً للمسلمين .

المسلمين، أو تؤخذ الزكاة من الكفار، وكلاهما غير ممكن، فكان منع التملك أسهل، كما  
منعناه من تملك العبد المسلم والمصحف، لما فيه من تمكين عدو الله من أولياء الله<sup>(١)</sup> وكلام  
الله.

وكذلك نمنعهم -على ظاهر المذهب- من شراء السبي الذي جرى عليه سهام  
المسلمين<sup>(٢)</sup> كما شرط عليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أو يرفع الضرر بإبقاء حق الأرض  
عليه، كما يؤخذ ممن اتجر منهم في أرض المسلمين<sup>(٣)</sup> ضعف ما يؤخذ من المسلمين من  
الزكاة. ويتخرج: أنه لا يؤخذ منه إلا عشر واحد كالمسألة الآتية، وهذا في العشرية التي  
ليست خراجية.

فأما الخراجية فقالوا: ليس للذمي<sup>(٤)</sup> أن يبتاع أرضا فتحها المسلمون عنوة، وإذا جوزنا  
بيع أرض العنوة كان حكم الذمي في ابتياعها كحكمه في ابتياع أرض العشر المحض، إذ  
جميع الأرض عشرية عندنا وعند الجمهور، بمعنى<sup>(٥)</sup> أن العشر يجب فيما أخرجت.

وكذلك أرض الموات من أرض الإسلام التي ليست خراجية، هل للذمي أن يملكها  
بالإحياء<sup>(٦)</sup>؟ قال طائفة من العلماء: ليس<sup>(٧)</sup> له ذلك، وهو قول الشافعي<sup>(٨)</sup> وابن  
حامد<sup>(٩)</sup> وهذا قياس إحدى الروايتين عن أحمد في منعه ابتياعها<sup>(١٠)</sup> فإنها إذا لم يجوز تملكها

(١) في (ط) : من أولياء وكلام الله .

(٢) في (ب) : المؤمنين .

(٣) في (ط) : أرض الإسلام .

(٤) في (أ) : للذمي .

(٥) في (أ) : وبمعنى .

(٦) في (ب) : بإحياء .

(٧) في (ج د) : (له ذلك) بدون (ليس) . ويفيد جواز التملك بالإحياء ، لا نفيه . والصحيح أن المراد العكس كما  
هو مثبت؛ لأن المؤلف أورد الرأي القائل بالجواز بعد أسطر قليلة . وربما تكون (ليس) سقطت سهواً من  
الناسخين .

(٨) انظر : الأم للشافعي (٤ / ١٤ ، ١٥) .

(٩) في (ب) : وأبي حامد . وفي المطبوعة : وأبي حامد الغزالي ، وإضافة الغزالي ربما تكون أحدثت في المطبوعة .  
أما بقية المخطوطات (أ ج د ط) فهي كما أثبتته ، وهو الأرجح؛ لأن ابن حامد من كبار علماء الحنابلة وله

---

تملكها بالابتئاع فبالإحياء أولى، لكن قد يفرق بينهما بأن<sup>(٢)</sup> المتباعدة أرض عامرة، ففيه ضرر محقق بخلاف إحياء الميتة فإنه لا يقطع حقا، والمنصوص عن أحمد - وعليه الجمهور من أصحابه<sup>(٣)</sup> - أنه يملكها بالإحياء، وهو قول أبي حنيفة، واختلف فيه عن مالك<sup>(٤)</sup>.

---

مسائل وآراء مشهورة وكثيرة، وله مصنفات كثيرة أيضا فيناسب ذكر رأيه بإزاء الأئمة الكبار كأحمد والشافعي. وابن حامد هو: الحسن بن حامد بن علي بن مروان، أبو عبد الله، البغدادي، إمام الحنابلة في زمانه، له مؤلفات كثيرة، منها: شرح الخرقى، والجامع في المذهب، وشرح أصول الدين، وغيرها، توفي سنة (٤٠٣هـ). انظر: طبقات الحنابلة (٢ / ١٧٠ - ١٧٧).

(١) انظر: المغني والشرح الكبير (٦ / ١٥٠).

(٢) في (أ): فإن.

(٣) في (أ): جمهور أصحابه.

(٤) انظر: المغني والشرح الكبير (٦ / ١٥٠ - ١٥١).

ثم هل عليه <sup>(١)</sup> العشر؟ فيه روايتان:

قال ابن أبي موسى: "ومن أحميا من أهل الذمة أرضا مواتا فهي له، ولا زكاة عليه فيها، ولا عشر فيما أخرجت" وقد روي عنه رواية أخرى: "أنه لاخراج على أهل الذمة في أرضهم، ويؤخذ منهم العشر مما يخرج، يضاعف عليهم" والأول عنه أظهر. فهذا الذي حكاه ابن أبي موسى، من تضعيف العشر فيما يملكه بالإحياء، هو قياس تضعيفه فيما ملكه بالابتياح. لكن نقل حرب عنه في رجل من أهل الذمة أحميا مواتا. قال: "هو عشر" <sup>(٢)</sup> ففهم القاضي وغيره من الأصحاب أن الواجب هو العشر المأخوذ من المسلم من غير تضعيف. <sup>(٣)</sup> فحكوا في وجوب العشر فيها روايتين، وابن أبي موسى نقل الروايتين في وجوب عشر مضعف <sup>(٤)</sup>.

وعلى طريقة القاضي يخرج في مسألة الابتياح كذلك. وهذا الذي نقله ابن أبي موسى أصح؛ فإن <sup>(٥)</sup> الكرمانى <sup>(٦)</sup> ومحمد بن أبي <sup>(٧)</sup> حرب <sup>(٨)</sup> وإبراهيم بن هانئ <sup>(٩)</sup> ويعقوب بن بختان <sup>(١٠)</sup> نقلوا: أن أحمد سئل - وقال حرب: سألت أحمد <sup>(١)</sup> قلت -: "إن أحميا رجل

(١) في المطبوعة زاد: فيها .

(٢) في المطبوعة: هو عشري، وهو أم للمعنى .

(٣) ما بين الرقمين سقط من (ب) .

(٤) ما بين الرقمين سقط من (ب) .

(٥) في (أ): قال .

(٦) هو: حرب بن إسماعيل . مرت ترجمته . انظر فهرس الأعلام .

(٧) في المطبوعة: محمد بن حرب . ولعل: أبي ، سقطت سهواً .

(٨) هو: محمد بن نقيب بن أبي حرب الجرجاني ، كان أحمد بن حنبل يكتبه ، ويسأل عن أخباره ، فنقل عن الإمام ، وروى عنه مسائل جيدة . انظر: طبقات الحنابلة (١ / ٣٣١) ، (ت ٤٧٢) .

(٩) هو: إبراهيم بن هانئ النيسابوري ، أبو إسحاق ، من العباد الثقات ، نقل عن الإمام أحمد مسائل كثيرة ، وكان ورعاً صالحاً ، توفي سنة (٢٦٥هـ) . انظر: طبقات الحنابلة (١ / ٩٧ - ٩٨) ، (ت ١٠٥) ، وشذرات الذهب (٢ / ١٤٩) .

(١٠) هو: يعقوب بن إسحاق بن بختان ، أبو يوسف ، سمع من الإمام أحمد ، وكان جاره وصديقه ، وروى عنه مسائل ، وكان أحد الصالحين الثقات . انظر: طبقات الحنابلة (١ / ٤١٥) ، (ت ٥٤١) .

من أهل الذمة مواتا ماذا عليه؟ " قال: " أما أنا فأقول: ليس عليه شيء " قال: " وأهل المدينة يقولون في هذا قولاً حسناً، يقولون: لا يترك الذمي أن يشتري أرض العشر ". قال: " وأهل البصرة يقولون قولاً عجباً! يقولون: يضاعف عليه العشر ". (٢) قال: وسألت أحمد مرة أخرى، فقلت: إن أحيا رجل من أهل الذمة مواتاً؟ قال: " هو عشر ". وقال مرة أخرى: " ليس عليه شيء " .

وروى حرب عن عبيد الله بن الحسن العنبري (٣) أنه قيل له: أخذكم الخمس من أرض أهل الذمة، (٤) التي في أرض العرب، أبأثر عندكم، أم بغير أثر؟ قال: " ليس عندنا فيه أثر، ولكن قسناه بما (٥) أمر به عمر رضي الله عنه أن يؤخذ من أموالهم إذا تجروا بها، ومروا بها على عشر ".

فهذا أحمد رضي الله عنه سئل عن إحياء الذمي (٦) الأرض، فأجاب: بأنه ليس عليه شيء، وذكر اختلاف الفقهاء في مسألة اشتراؤه الأرض: هل يمنع، أو يضعف عليه العشر؟ وهذا يبين لك أن المسألتين عنده واحدة، وهو تملك الذمي الأرض العشرية، سواء كان بابتياح أو إحياء أو غير ذلك.

وكذلك ذكر العنبري قاضي أهل البصرة: أنهم يأخذون الخمس (٧) من جميع أرض أهل الذمة العشرية، وذلك يعم ما ملك (٩) انتقلاً، أو ابتداءً (١) .

(١) في (أ) : بن حنبل .

(٢) المغني والشرح الكبير (٢ / ٥٩٣) في المغني .

(٣) هو : عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن أبي الحر ، العنبري ، قاضي البصرة ، من الفقهاء الثقات ، من الطبقة السابعة ، أخرج له مسلم في موضع واحد ، توفي سنة (١٦٨هـ) . انظر : تقريب التهذيب (١ / ٥٣١) ، (ت ١٤٣٤) .

(٤) أهل : سقطت من (أ ب) والمطبوعة .

(٥) في المطبوعة : على ما أمر به .

(٦) في (ج د) : عن إحياء الأرض . أي أن : (الذمي) ساقطة .

(٧) الخمس : سقطت من المطبوعة .

(٨) في (أ) : أرض الذمة .

(٩) في (ج د) : ملكه .

وهذا يفيدك أن أحمد إذا منع الذمي أن يبتاع الأرض العشرية، فكذلك يمنعه من إحيائها، وأنه إذا أخذ منه فيما ابتاعه الخمس، فكذلك فيما أحياه، وأن من نقل عنه عشرة مفردا في الأرض الحياة دون المبتاعة<sup>(٢)</sup> فليس بمستقيم، وإنما سببه قوله<sup>(٣)</sup> في الرواية الأخرى التي نقلها الكرماني: هي أرض عشر<sup>(٤)</sup>. ولكن هذا كلام مجمل قد فسره<sup>(٥)</sup> أبو عبد الله في موضع آخر، وبين مأخذه. ونقل الفقه: إن لم يعرف الناقل مأخذ الفقيه، وإلا فقد يقع فيه الغلط كثيرا.

وقد أفصح أرباب هذا القول بأن مأخذهم قياس الحراثة على التجارة، فإن الذمي إذا<sup>(٦)</sup> اتجر في غير أرضه<sup>(٧)</sup> فإنه يؤخذ منه ضعف ما يؤخذ من المسلمين، وهو نصف العشر، فكذلك إذا استحدث أرضا غير أرضه<sup>(٨)</sup>؛ لأنه في كلا الموضعين قد أخذ يكتسب في غير مكانه الأصلي، وحق الحرث والتجارة قرينان، كما في قوله ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾<sup>(٩)</sup>.

وكذلك قال أحمد في رواية الميموني: يؤخذ من أموال أهل الذمة، إذا اتجروا فيها قومت، ثم أخذ منهم زكاتها مرتين، تضعف عليهم؛ لقول<sup>(١٠)</sup> عمر رضي الله عنه "أضعفها عليهم".

(١) في (أ ج د) : وابتداء .

(٢) في (ب) : المبايعه .

(٣) في (أ) : اشتبه .

(٤) في المطبوعة : عشرية .

(٥) في المطبوعة : فصله .

(٦) إذا : سقطت من (أ) .

(٧) (٤ ، ٥) ما بين الرقمين سقط من (ج د) .

(٨) (٤ ، ٥) ما بين الرقمين سقط من (ج د) .

(٩) سورة البقرة : من الآية ٢٦٧ . وفي المطبوعة : ساق صدر الآية : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا " . وفي (أ ب) : " كلوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض " ، وهو خطأ في سياق الآية ، حيث جاءت (كلوا) ، بدل : (أنفقوا) .

(١٠) في (ب) : كقول عمر .

فمن الناس من شبه (١) الزرع (٢) على ذلك.

قال الميموني: "والذي لا شك (٣) فيه من قول أبي عبد الله - غير مرة -: أن أرض أهل الذمة التي في الصلح ليس عليها خراج، إنما ينظر إلى ما أخرجت، يؤخذ منهم العشر مرتين". قال الميموني: "قلت لأبي عبد الله: فالذي يشتري أرض العشر ما عليه؟" قال لي: "الناس كلهم يختلفون في هذا: منهم من لا يرى عليه شيئاً، ويشبهه بماله ليس عليه فيه زكاة إذا كان مقيماً ما كان بين أظهرنا، وبماشيته" فيقول (٤) "هذه أموال، وليس عليه فيها صدقة". ومنهم من يقول: "هذه حقوق لقوم، ولا يكون شراؤه الأرض يذهب بحقوق هؤلاء منهم"، والحسن يقول: "إذا اشتراها ضوعف عليه". قلت: "كيف يضعف عليه؟" قال: "لأن عليه العشر، فيؤخذ منه الخمس" قلت: "يذهب إلى أن يضعف عليه الخمس فيؤخذ منه الخمس (٥) فالتفت إلي، فقال: "نعم يضعف عليهم". قال: وذاكرنا أبا عبد الله: أن مالكا كان يرى أن لا يؤخذ منهم شيء، وكان يحول بينهم وبين الشراء لشيء منها، وهذه الرواية اختيار الخلال، وهي مسألة كبيرة، ليس هذا موضع استقصائها.

والفقهاء أيضاً يختلفون في هذه المسألة، كما ذكره أبو عبد الله.

فمن نقل عنه تضعيف العشر: عمر بن عبد العزيز، والحسن البصري، وغيره من أهل البصرة، وبعضهم يرويه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو قول أبي يوسف (٦).  
ومنهم من قال: "بل يؤخذ العشر على ما كان عليه، كالقول الذي ذكره بعض

(١) في المطبوعة: قاس .

(٢) في (أ): على ما قال الميموني .

(٣) في (أ) وفي المطبوعة: لا أشك .

(٤) في (ب): منقول .

(٥) فيؤخذ عليه الخمس: سقطت من (ج د) .

(٦) انظر: المغني والشرح الكبير (٦ / ٥٩٣)، وانظر: كتاب الخراج لأبي يوسف (ص ١٣٢) موسوعة الخراج، ط دار المعرفة بلبنان .



أصحابنا ". ويروى هذا عن <sup>(١)</sup> الثوري، ومحمد بن الحسن.

وحكي عن الثوري: لا شيء عليه كالرواية الأخرى عن أحمد. ويروى هذا عن مالك أيضا، وعن مالك: أنه يؤمر ببيعها. وحكي ذلك عن الحسن بن صالح <sup>(٢)</sup> وشريك <sup>(٣)</sup> وهو قول الشافعي. وقال أبو ثور <sup>(٤)</sup> يجبر على بيعها.

وقياس قول من يضعف العشر: أن المستأمن لو زرع في دار الإسلام لكان الواجب عليه خُمْسَيْنِ <sup>(٥)</sup> ضعفا ما يؤخذ من الذمي، كما أنه إذا اتجر في دار الإسلام <sup>(٦)</sup> يؤخذ منه العشر، ضعفا ما يؤخذ من الذمي. فقد ظهر أنا <sup>(٧)</sup> -على إحدى الروايتين، وقول طوائف من أهل العلم -منعهم من <sup>(٨)</sup> أن يستولوا على عقار في دار الإسلام للمسلمين فيه حق من المساكن والمزارع، كما منعهم أن يحدثوا في دار الإسلام <sup>(٩)</sup> بناء لعبادتهم من كنيسة أو بيعة أو صومعة؛ لأن عقد الذمة اقتضى إقرارهم على ما كانوا عليه <sup>(١٠)</sup> من غير تعد منهم

(١) عن : ساقطة من (أ) .

(٢) هو : الحسن بن صالح بن حيّان بن شفي الهمداني الثوري ، ولد سنة (١٠٠هـ) ، وكان حسن الفقه والعبادة ، ورعا ، ثقة في الحديث ، إلا أن فيه تشيحا ، وأخذ عليه بعضهم قوله بالخروج والسيوف ، توفي سنة (١٦٩هـ) . انظر : تهذيب التهذيب (٢ / ٢٨٥ - ٢٨٩) ، (ت ٥١٦) .

(٣) هو : شريك بن عبد الله بن أبي شريك ، النخعي الكوفي القاضي ، ولد سنة (٩٠هـ) . قال ابن حجر في التقريب : " صدوق يخطئ كثيرا ، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة ، وكان عادلا فاضلا عابدا ، شديدا على أهل البدع ، وقد أخرج له مسلم والأربعة ، وتوفي سنة (١٧٨هـ) . انظر : تقريب التهذيب (١ / ٣٥١) ، (ت ٦٤) ، والبداية والنهاية لابن كثير (١٠ / ١٧١) .

(٤) هو : إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي ، كان من أصحاب محمد بن الحسن ، فلما قدم الشافعي العراق أخذ عنه ، وتلمذ عليه حتى صار من الفقهاء المشاهير ، ثقة ، أخرج له مسلم وأبو داود وابن ماجه . وتوفي سنة (٢٤٠هـ) . انظر : طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي (ص ٩٢)؛ وتقريب التهذيب (١ / ٣٥) ، (ت ١٩٧) .

(٥) في (ط ب) : خمسان .

(٦) في (أ ط) : بلاد الإسلام . وفي (د) : بلاد المسلمين .

(٧) أنا : سقطت من المطبوعة .

(٨) من : سقطت من (ط) .

(٩) في (أ) : في الإسلام .

(١٠) عليه : ساقطة من (أ) .

---

إلى الاستيلاء فيما ثبت للمسلمين فيه حق من عقار أو رقيق.

وهذا لأن مقصود الدعوة: أن تكون كلمة الله هي العليا، وإنما أقروا بالجزية للضرورة العارضة، والحكم المقيد بالضرورة مقدر بقدرها، ولهذا لم يثبت عن <sup>(١)</sup> واحد من السلف حق شفعة على مسلم، وأخذ بذلك أحمد رحمه الله وغيره؛ لأن الشقص الذي يملكه مسلم، إذا أوجبنا فيه شفعة لزمي، كنا قد أوجبنا على المسلم أن ينقل الملك في عقاره إلى ذمي بطريق القهر للمسلم، وهذا خلاف الأصول <sup>(٢)</sup>.

ولهذا نص أحمد على أن البائع للشقص إذا كان مسلماً وشريكه ذمي، لم يجب <sup>(٣)</sup> له شفعة؛ لأن الشفعة في الأصل إنما هي من حقوق أحد الشريكين على الآخر، بمنزلة الحقوق التي تجب على المسلم للمسلم: كإجابة الدعوة، وعيادة المريض، وكممنعه <sup>(٤)</sup> أن يبيع على يبعه أو يخطب على خطبته، وهذا كله عند أحمد مخصوص بالمسلمين، وفي البيع والخطبة خلاف بين الفقهاء.

---

(١) في (أ ج د) وفي المطبوعة: (غير) بدل (عن).

(٢) في (أ): الأصل.

(٣) من هنا حتى قوله: (على المسلم للمسلم) سقط من (د).

(٤) في المطبوعة زاد: وكفه.

وأما استتجاره الأرض الموقوفة على الكنيسة، وشرائه ما يباع <sup>(١)</sup> للكنيسة: فقد أطلق <sup>(٢)</sup> أحمد المنع أنه لا يستأجرها، لا يعينهم على ما هم فيه، وكذلك أطلقه <sup>(٣)</sup> الآمدي وغيره.

ومثل هذا ما لو اشترى من المال الموقوف للكنيسة أو الموصى <sup>(٤)</sup> لها به، أو باع آلات يبنون بها كنيسة ونحو ذلك، والمنع هنا أشد؛ لأن نفس هذا المال الذي يبذله يصرف في المعصية، فهو كبيع العصير لمن يتخذه خمرا بخلاف نفس السكنى، فإنها ليست محرمة، ولكنهم يعصون في المنزل، فقد يشبه ما لو قد باعهم الخبز واللحم والثياب، فإنهم قد يستعينون بذلك على الكفر، وإن كان الإسكان فوق هذا؛ لأن نفس الأكل والشرب ليس بمحرم، ونفس المنفعة المعقود عليها في الإجارة - وهو اللبث - قد يكون محرما، ألا ترى أن الرجل لا ينهى أن <sup>(٥)</sup> يتصدق على الكفار والفساق في الجملة، وينهى أن يقعد في منزله من يكفر أو يفسق؟

وقد تقدم تصريح ابن القاسم أن هذا الشراء لا يحل، وأطلق الشافعي المنع من معاونتهم على بناء الكنيسة، ونحو ذلك، فقال في كتاب الجزية من الأم <sup>(٦)</sup> "ولو أوصى - يعني الذمي - بثلاث ماله أو شيء منه يبني به كنيسة لصلوات <sup>(٧)</sup> النصراني <sup>(٨)</sup> أو يستأجر به خدما للكنيسة، أو تعمر به الكنيسة، أو يستصبح به فيها، أو يشتري به أرضا <sup>(٩)</sup>

---

(١) في المطبوعة : على الكنيسة .

(٢) في (ج) : اطلع .

(٣) في (ج ط) : أطلق .

(٤) في المطبوعة : للكنيسة الموصى لها به .

(٥) في (ب د) : ألا ترى الرجل لا ينهى عن أن يتصدق . . إلخ .

(٦) الأم هو : أحد كتب الإمام الشافعي في الفقه .

(٧) في (أ ط) : لصلاة .

(٨) في الأم : لصلاة النصراني .

(٩) أرضاً : سقطت من (أ ط) .

فتكون صدقة على الكنيسة، أو تعمر به <sup>(١)</sup> أو ما في هذا المعنى؛ كانت الوصية باطلة <sup>(٢)</sup> ولو أوصى أن يبني كنيسة <sup>(٣)</sup> يترها مار الطريق، أو وقفها على قوم يسكنونها <sup>(٤)</sup> جازت الوصية، وليس في بنیان الكنيسة معصية، إلا أن تتخذ لمصلى النصارى الذي اجتماعهم فيها على الشرك"، قال: وأكره للمسلم أن يعمل بناء أو نجاراً، أو غير <sup>(٥)</sup> ذلك في كنائسهم التي لصلاتهم <sup>(٦)</sup> .

وأما مذهب أحمد في الإجارة لعمل ناووس ونحوه، فقال الآمدي: لا يجوز رواية واحدة؛ لأن المنفعة المعقود عليها محرمة، وكذلك الإجارة لبناء كنيسة أو بيعة، أو صومعة، كالإجارة لكتبهم <sup>(٧)</sup> المحرفة.

وأما مسألة حمل الخمر والميتة والخنزير للنصراني أو للمسلم فقد تقدم لفظ أحمد أنه قال فيمن حمل <sup>(٨)</sup> خمراً أو خنزيراً أو ميتة لنصراني: فهو يكره أكل كرائته، ولكن يقضي للحمال بالكراء، وإذا كان للمسلم فهو أشد. زاد بعضهم فيها: ويكره أن يحمل الميتة بكراء، أو يخرج دابة ميتة، ونحو هذا.

ثم اختلف أصحابنا في هذا الجواب على ثلاث طرق:

: إجراؤه على ظاهره، وأن المسألة رواية واحدة، قال ابن أبي موسى: وكره أحمد أن يؤجر المسلم نفسه لحمل ميتة أو خنزير لنصراني. قال: فإن فعل قضي له بالكراء، وإن أجر <sup>(٩)</sup> نفسه لحمل محرم لمسلم <sup>(١)</sup> كانت الكراهة أشد، ويأخذ الكراء. وهل يطيب له أم

(١) في المطبوعة: أو تعمر من غلتها. وفي الأم: أو تعمر بها .

(٢) هنا تجد في الأم كلاماً زائداً عما ذكره المؤلف، لعله تركه على وجه الاختصار. راجع: الأم (٤ / ٢١٣) .

(٣) كنيسة: ساقطة من (ط) .

(٤) هنا أيضاً ترك المؤلف كلاماً ذكره في الأم. انظر: الأم (٤ / ٢١٣) .

(٥) في (أ): أو غيره .

(٦) راجع: كتاب (الأم) للشافعي (٣ / ٢١٣) .

(٧) في المطبوعة: لكتب كتبهم .

(٨) حمل: ساقطة من (أ) .

(٩) في (أ): أجر .

أم لا (٢) على وجهين، أو جههما: أنه لا يطيب له، وليتصدق (٣) به. وهكذا ذكر أبو الحسن الآمدي، قال: وإذا آجر (٤) نفسه من رجل في حمل خمر أو خنزير أو ميتة؛ كرهه. نص عليه. وهذه كراهة تحريم؛ لأن النبي ﷺ لعن حاملها.

إذا ثبت هذا فيقضى (٥) له بالكراء، وغير ممتنع أن يقضى بالكراء وإن كان محرماً، كإجارة الحمام، فقد صرح هؤلاء بأنه يستحق الأجرة مع كونها محرمة عليه على الصحيح.

: تأويل هذه الرواية بما يخالف ظاهرها، وجعل المسألة رواية واحدة: أن

هذه الإجارة لا تصح، وهي طريقة القاضي في المجرد (٦) وهي طريقة ضعيفة، رجع عنها القاضي في كتبه المتأخرة، فإنه صنف المجرد قديماً.

: تخرج هذه المسألة على روايتين: إحداهما: أن هذه الإجارة صحيحة

يستحق بها الأجرة مع الكراهة للفعل وللأجرة.

والثانية (٧) لا تصح الإجارة، ولا يستحق بها أجرة، وإن حمل. وذلك (٨) على قياس

قوله في أن الخمر (٩) لا يجوز إمساكها، وتجب إراقتها.

قال في رواية أبي طالب (١٠) إذا أسلم، وله خمر أو خنازير، تصب الخمر وتسرح

(١) لمسلم: سقطت من (ط).

(٢) أم لا: ساقطة من (ط) والمطبوعة.

(٣) في (ج د): ويتصدق.

(٤) في (أ): أجر.

(٥) في المطبوعة: ولكن يقضى له.

(٦) المجرد: كتاب من كتب القاضي أبي يعلى في فقه المذهب الحنبلي. انظر: طبقات الحنابلة (٢ / ٢٠٥).

(٧) في (ج د): والثاني: فيه لا تصح.

(٨) ذلك: ساقطة من (ط).

(٩) في (ب ج د) وفي المطبوعة: قوله في الخمر: لا يجوز إمساكها. الخ.

(١٠) هو: أحمد بن حميد، أبو طالب المشكاني، من الطبقة الأولى من تلاميذ الإمام أحمد، روى عنه مسائل كثيرة، وكان صحبه قديماً إلى أن مات الإمام أحمد. وكان أبو طالب رجلاً صالحاً، توفي سنة (٢٤٤هـ).

انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١ / ٣٩ - ٤٠)، (ت ١٣).

الخنزير، وقد حرما عليه، وإن قتلها<sup>(١)</sup> فلا بأس، فقد نص على أنه لا يجوز إمساكها، ولأنه قد نص في رواية ابن منصور: أنه يكره أن يؤاجر نفسه لنظارة كرم النصراني؛ لأن أصل ذلك يرجع إلى الخمر إلا أن يعلم أنه يباع لغير الخمر.

فقد منع من إجارة نفسه على حفظ الكرم الذي يتخذ للخمر، فأولى أن يمنع من إجارة نفسه على حمل الخمر. فهذه طريقة القاضي في التعليق وتصرفه، وعليها أكثر أصحابه، مثل أبي الخطاب، وهي طريقة من احتذى حذوه من المتأخرين.

والمنصور عندهم الرواية المخرجة، وهي مذهب مالك والشافعي وأبي يوسف ومحمد، وهذا عند أصحابنا فيما إذا استأجر على حمل الخمر إلى بيته، أو حانوته، أو حيث لا يجوز إقرارها، سواء كان حملها للشرب أو مطلقا: فأما إن كان<sup>(٢)</sup> يحملها ليريقها، أو يحمل الميتة<sup>(٣)</sup> لينقلها إلى الصحراء؛ لثلا يتأذى بنتن ريقها، فإنه يجوز الإجارة على ذلك؛ لأنه عمل مباح، لكن إن كانت الأجرة جلد الميتة لم تصح، واستحق أجرة المثل، وإن كان قد سلخ الجلد وأخذه رده على صاحبه، وهذا مذهب مالك، وأظنه مذهب الشافعي أيضا. ومذهب أبي حنيفة كالرواية الأولى، ومأخذه في ذلك: أن الحمل إذا كان مطلقا لم يكن المستحق عين<sup>(٤)</sup> حمل الخمر، وأيضا فإن مجرد حملها ليس معصية؛ لجواز أن تحمل لتراق، أو تخلل عنده، ولهذا إذا كان الحمل للشرب لم يصح، ومع هذا فإنه يكره الحمل.

والأشبه - والله أعلم - طريقة ابن أبي موسى، فإنها أقرب إلى مقصود أحمد، وأقرب إلى القياس، وذلك لأن النبي ﷺ لعن عاصر الخمر ومعتصرها وحاملها والحمولة إليه، فالعاصر والحامل قد عاوضا على منفعة تستحق عوضا، وهي ليست محرمة في نفسها، وإنما حرمت لقصد المعتصر، والمستحمل فهو كما لو باع عنبا أو عصيرا لمن يتخذه خمرا، وفات العصير والخمر في يد المشتري، فإن مال البائع لا يذهب مجانا، بل يقضي له بعوضه، كذلك هاهنا

(١) في (أ) : قتل .

(٢) في المطبوعة : فإذا كان .

(٣) في المطبوعة : ليدفنها أو لينقلها .

(٤) في المطبوعة : غير .

المنفعة التي وفاها المؤجر لا تذهب مجاناً، بل يعطى بدلها، فإن تحريم الانتفاع بها إنما كان من جهة المستأجر لا من جهته.

ثم نحن نحرم الأجرة عليه، لحق الله سبحانه لا لحق المستأجر، والمشتري بخلاف من استأجر للزنا أو التلوط أو القتل أو الغصب أو السرقة، فإن نفس هذا العمل محرم لا<sup>(١)</sup> لأجل قصد المشتري، فهو كما لو باعه ميتة أو خمرًا، فإنه لا يقضي له<sup>(٢)</sup> بثمنها؛ لأن نفس هذه العين محرمة.

ومثل هذه الإجارة والجعل لا توصف بالصحة مطلقاً، ولا بالفساد مطلقاً، بل هي صحيحة بالنسبة إلى المستأجر، بمعنى أنه يجب عليه مال<sup>(٣)</sup> الجعل والأجرة<sup>(٤)</sup> وهي فاسدة<sup>(٥)</sup> بالنسبة إلى الأجير، بمعنى أنه يحرم عليه الانتفاع بالأجرة والجعل، ولهذا في الشريعة نظائر.

وعلى هذا فنص أحمد على كراهة نظارة كرم النصراني لا ينافي هذا، فإننا ننهاه عن هذا الفعل وعن ثمنه، ثم نقضي له<sup>(٦)</sup> بكرائه، ولو لم نفعل هذا لكان<sup>(٧)</sup> في هذا منفعة عظيمة للعصاة، فإن كل من استأجروه على عمل يستعينون به على المعصية قد حصلوا غرضهم منه، ثم لا يعطونه شيئاً، وما هم بأهل أن يعاونوا على ذلك.

بخلاف من سلم إليهم عملاً لا قيمة له بحال. نعم: البغي والمغني والنائحة، ونحوهم؛ إذا أعطوا أجورهم ثم تابوا: هل يتصدقون بها، أو يجب أن يردوها على من أعطاهمها؟ فيها<sup>(٨)</sup> قولان أصحهما: أنا لا نردها على الفساق الذين بذلوها في المنفعة المحرمة<sup>(٩)</sup> ولا

(١) لا : سقطت من (ط) .

(٢) له : سقطت من (أ) .

(٣) مال : سقطت من (ب) .

(٤) الأجرة : سقطت من (ط) ، وفي (أ) : شطب عليها .

(٥) في (ب) : وفاسدة .

(٦) له : ساقطة من (أ) .

(٧) في (أ) : لما كان .

(٨) من هنا حتى قوله : فإن الزاني ومستمتع الغناء . . إلخ ، بعد نصف صفحة تقريباً : كله سقط من (ط) .

يباح الأخذ<sup>(٢)</sup> بل يتصدق بها، وتصرف في مصالح المسلمين، كما نص عليه أحمد في أجرة حمال الخمر.

ومن ظن<sup>(٣)</sup> أنها ترد على البازل المستأجر؛ لأنها مقبوضة بعقد فاسد، فيجب<sup>(٤)</sup> ردها عليه كالمقبوض بالربا، أو نحوه من العقود الفاسدة.

فيقال له: المقبوض بالعقد الفاسد يجب فيه التراد من الجانبين، فيرد كل منهما على الآخر ما قبضه منه، كما في تقابض الربا عند<sup>(٥)</sup> من يقول: المقبوض بالعقد الفاسد لا يملك<sup>(٦)</sup> كما هو المعروف من مذهب الشافعي وأحمد.

فأما إذا تلف المقبوض عند القابض، فإنه لا يستحق استرجاع عوضه مطلقا، وحينئذ فيقال: وإن كان ظاهر القياس يوجب ردها بناء على أنها مقبوضة بعقد فاسد، فإن الزاني ومستمتع الغناء والنوح قد بذلوا هذا المال عن طيب نفوسهم، واستوفوا العوض<sup>(٧)</sup> المحرم، والتحریم الذي فيه ليس لحقهم، وإنما هو لحق الله تعالى، وقد فاتت هذه المنفعة<sup>(٨)</sup> بالقبض، والأصول تقتضي: أنه إذا رد أحد العوضين يرد الآخر، فإذا تعذر<sup>(٩)</sup> على المستأجر رد المنفعة لم يرد عليه المال.

وأیضا،<sup>(١٠)</sup> فإن هذا الذي استوفيت منفعته عليه ضرر في أخذ منفعته<sup>(١١)</sup> وعوضها جميعا منه، بخلاف ما لو كان العوض خمرا أو ميتة، فإن تلك لا ضرر عليه في فواتها، فإنها

(١) في (أ) : البيعة .

(٢) في (ب د) : للأخذ ، وهو وجيه .

(٣) في (أ) : وفي ظني .

(٤) في (أ) : يستحب .

(٥) في (أ) : على من يقول .

(٦) في (أ) : بالعقد الفاسد تلك فيما هو . . إلخ ، ولعله خلط من الناسخ .

(٧) في (ط) : الغرض .

(٨) في (أ) : المنفعة : ساقطة .

(٩) في (أ) : فإذا رد على المستأجر .

(١٠) وأیضا فإن : ساقطة من (ط) .

(١١) في المطبوعة : في أحد منفعتيه وعوضهما .



لو كانت باقية أتلفناها عليه، ومنفعة الغناء والنوح لو لم تفت لتوفرت عليه، بحيث كان يتمكن من صرف تلك المنفعة في أمر آخر، أعني من صرف القوة التي عمل بها. فيقال على هذا: فينبغي أن يقضوا بها إذا طالب بقبضها. قيل: نحن لا نأمر بدفعها ولا بردها كعقود الكفار المحرمة، فإنهم إذا أسلموا قبل <sup>(١)</sup> القبض لم نحكم بالقبض، ولو أسلموا بعد القبض لم نحكم بالرد، ولكن في حق <sup>(٢)</sup> المسلم تحرم <sup>(٣)</sup> هذه الأجرة <sup>(٤)</sup> عليه؛ لأنه كان معتقدا لتحريمها بخلاف الكافر، وذلك لأنه إذا طلب الأجرة قلنا له: أنت فرطت، حيث صرفت قوتك في عمل محرم، فلا يقضى لك بأجرة. فإذا قبضها ثم قال الدافع: هذا المال اقضوا لي برده، فإنما <sup>(٥)</sup> أقبضته إياه عوضا عن منفعة محرمة. قلنا له: دفعته بمعاوضة رضيت بها، فإذا طلبت استرجاع ما أخذ <sup>(٦)</sup> فاردد إليه ما أخذت إذا كان له في بقائه معه منفعة، فهذا ومثل هذا <sup>(٧)</sup> يتوجه فيما يقبض من ثمن الميتة والخمر، وأيضا فمشتري الخمر إذا أقبض <sup>(٨)</sup> ثمنها وقبضها وشراها، ثم طلب أن يعاد إليه الثمن كان الأوجه أن يرد إليه الثمن ولا يباح للبايع، ولا سيما ونحن نعاقب الخمار -بياع الخمر- بأن نحرق الحانوت التي تباع فيها الخمر، نص على ذلك أحمد وغيره من العلماء؛ <sup>(٩)</sup> فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حرق حانوتا يباع فيها الخمر <sup>(١٠)</sup> وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه حرق قرية يباع فيها الخمر <sup>(١١)</sup> وهي آثار

(١) في المطبوعة: على القبض .

(٢) حق : ساقطة من (أ ط) .

(٣) في (أ ط) : تحرم عليه هذه .

(٤) في (أ) : الإجارة .

(٥) في (أ ط) : فإني .

(٦) في (ب د) : ما أخذه .

(٧) في (أ) والمطبوعة : فهذا ومثله .

(٨) في (ب د) : إذا قبض .

(٩) انظر : الآداب الشرعية لابن مفلح ( ١ / ٢٢١ - ٢٢٢ ) .

(١٠) أخرجه عبد الرزاق بسنده في المصنف ( ٦ / ٧٧ ) ، حديث رقم (١٠٠٥١) ، وذكر أنه حرق (بيتًا) ، بدل

(حانوتًا) . انظر : الآداب الشرعية ( ١ / ٢٢١ - ٢٢٢ ) .

(١١) انظر : الآداب الشرعية لابن مفلح ( ١ / ٢٢٢ ) .

معروفة، وهذه المسألة مبسطة في غير هذا الموضوع<sup>(١)</sup>؛ وذلك لأن<sup>(٢)</sup> العقوبات المالية<sup>(٣)</sup> عندنا باقية غير منسوخة<sup>(٤)</sup>.

فإذا عرف أصل أحمد في هذه المسائل، فمعلوم أن بيعهم ما يقيمون به أعيادهم المحرمة، مثل بيعهم العقار للسكنى وأشد، بل هو إلى بيعهم العصير أقرب منه إلى بيعهم العقار؛ لأن ما يتعاونونه من الطعام واللباس ونحو ذلك يستعينون به على العيد، إذ العيد كما قدمنا اسم لما يفعل من العبادات والعبادات، وهذه إعانة على ما يقام من العادات، لكن لما كان جنس الأكل والشرب واللباس ليس محرماً في نفسه، بخلاف شرب الخمر؛ فإنه محرم في نفسه.

فإن كان ما يتعاونونه يفعلون به نفس المحرم: مثل صليب، أو شعانين، أو معمودية، أو تبخير، أو ذبح لغير الله، أو صورة ونحو ذلك؛ فهذا لا ريب في تحريمه، كبيعهم العصير ليتخذوه خمراً، وبناء الكنيسة لهم، وأما ما ينتفعون به في أعيادهم<sup>(٥)</sup> للأكل والشرب واللباس، فأصول أحمد وغيره تقتضي كراهته.

لكن: كراهة تحريم كمذهب مالك، أو كراهة تزيهه؟ والأشبه: أنه كراهة تحريم كسائر النظائر عنده، فإنه لا يجوز بيع الخبز واللحم والرياحين للفساق الذين يشربون عليها<sup>(٦)</sup> الخمر، ولأن هذه الإعانة قد تفضي إلى إظهار الدين<sup>(٧)</sup> وكثرة اجتماع الناس لعيدهم وظهوره، وهذا أعظم من إعانة شخص معين. لكن من يقول: هذا مكروه كراهة تزيهه يقول: هذا متردد بين بيع العصير وبيع الخنزير، وليس هذا مثل بيعهم العصير الذي

(١) فصل المؤلف هذا الموضوع في عدة مواضع، منها: في مجموع الفتاوى (٢٨ / ٦٦٤ - ٦٦٧).

(٢) في (ب): أن.

(٣) في (أ): العقوبات الدينية.

(٤) انظر: زاد المعاد (٥ / ٥٤).

(٥) في أعيادهم: ساقطة من (ط).

(٦) عليها: ساقطة من (ط).

(٧) كذا في جميع النسخ المخطوطة، وفي المطبوعة: الدين الباطل، وهو أنسب للسياق.

يتخذونه خمراً؛ لأننا إنما يحرم علينا أن نبيع الكفار ما كان محرماً للجنس: كالخمر، والخنزير.  
فأما ما <sup>(١)</sup> يباح في حال دون حال كالحرير ونحوه فيجوز بيعه لهم.

وأيضاً، فإن الطعام واللباس الذي يباعونه <sup>(٢)</sup> في عيدهم ليس محرماً في نفسه، وإنما الأعمال التي يعملونها <sup>(٣)</sup> به لما كانت شعار الكفر <sup>(٤)</sup> فهي عنها المسلم لما فيها من مفسدة انجراره إلى بعض فروع الكفر <sup>(٥)</sup>. فأما الكافر فهي لا تزيده من الفساد أكثر مما هو فيه؛ لأن نفس حقيقة الكفر قائمة به؛ فدلالة الكفر وعلامته إذا كانت مباحة <sup>(٦)</sup> لم يكن فيها كفر زائد <sup>(٧)</sup> كما لو باعهم المسلم ثياب الغيار <sup>(٨)</sup> التي يتميزون بها عن المسلمين، بخلاف شرب الخمر وأكل الخنزير فإنه زيادة في الكفر.

نعم: لو باعهم المسلم ما يتخذونه صليباً، أو شعانين ونحو ذلك <sup>(٩)</sup> فهذا قد باعهم ما يستعينون به على نفس المعصية. <sup>(١٠)</sup> ومن نصر التحريم يجب عن هذا بأن شعار الكفر وعلامته ودلالته على وجهين:

وهو <sup>(١١)</sup> ما فيه إذلال للكفر وصغار، فهذا إذا اتبعوه <sup>(١٢)</sup> كان ذلك إعانة على ما يأمر الله به ورسوله، فإننا نحن نأمرهم بلباس <sup>(١٤)</sup>

(١) ما : ساقطة من (أ) .

(٢) في (ط د) : يباعونه ، وفي المطبوعة : يتعاونونه .

(٣) في المطبوعة : يعملونه بها .

(٤) في المطبوعة : الكفار .

(٥) في المطبوعة : الكفار .

(٦) في (أ ب ط) : مباحاً .

(٧) من هنا حتى قوله : بخلاف شرب الخمر ، (بعد سطر) : ساقط من (ط) .

(٨) في (أ) : العياد .

(٩) في (ب د) : ونحو هذا .

(١٠) من هنا حتى قوله : وأما قبول الهدية ، (بعد ستة سطور تقريباً) : سقط من (ط) .

(١١) في المطبوعة : دار الإسلام .

(١٢) في (ب) : وهي .

(١٣) في المطبوعة : اتبعوه .

(١٤) في المطبوعة : بلبس .

---

الغيار.

وهو ما فيه إعلاء للكفر وإظهار له، كرفع أصواتهم بكتابهم، وإظهار  
الشعائين، وبيع النواقيس لهم، وبيع الرايات والألوية لهم، ونحو ذلك، فهذا من شعائر الكفر  
التي نحن مأمورون<sup>(١)</sup> بإزالتها، والمنع منها في<sup>(٢)</sup> ديار الإسلام، فلا يجوز إعانتهم عليها.

---

(١) في (أ) : التي يأخذون .

(٢) في (أ) : من ديار .

وأما قبول الهدية منهم يوم عيدهم، فقد قدمنا عن علي رضي الله عنه أنه أتى بهدية النيروز فقبلها <sup>(١)</sup>. وروى ابن أبي شيبه في المصنف: حدثنا جرير <sup>(٢)</sup> عن قابوس <sup>(٣)</sup> عن أبيه <sup>(٤)</sup> أن امرأة سألت عائشة، قالت: إن لنا أظآرا <sup>(٥)</sup> من الجوس، وإنه يكون لهم العيد فيهدون لنا. فقالت: "أما ما ذبح لذلك اليوم فلا تأكلوا <sup>(٦)</sup> ولكن كلوا من أشجارهم" <sup>(٧)</sup> وقال حدثنا وكيع عن الحسن <sup>(٨)</sup> بن حكيم، عن أمة <sup>(٩)</sup> عن أبي برزة: أنه كان له سكان مجوس، فكانوا يهدون له في النيروز والمهرجان، فكان يقول لأهله: "ما كان من فاكهة فكلوه <sup>(١٠)</sup> وما كان من غير ذلك فردوه" <sup>(١١)</sup>.

فهذا كله يدل على أنه لا تأثير للعيد في المنع من قبول هديتهم، بل حكمها في العيد وغيره سواء؛ لأنه ليس في ذلك إعانة لهم على شعائر <sup>(١٢)</sup> كفرهم. لكن قبول هدية الكفار من أهل الحرب وأهل الذمة مسألة مستقلة بنفسها؛ فيها خلاف وتفصيل ليس هذا

(١) مرت (ص ٥١٥).

(٢) هو جرير بن عبد الحميد، (مرت ترجمته)، انظر: فهرس الأعلام.

(٣) هو قابوس بن أبي ظبيان، (مرت ترجمته)، انظر: فهرس الأعلام.

(٤) أبوه هو حصين بن جندب، (مرت ترجمته)، انظر: فهرس الأعلام.

(٥) الأظآر: جمع ظئر، وهي: المرضعة لغير ولدها، ويطلق على زوجها أيضاً، ولعل المقصود بالأظآر هنا: الأقارب من الرضاعة. انظر: القاموس المحيط، فصل الظاء، باب الراء (٢ / ٨٣)، وهي في (أ ب): أظيار.

(٦) في (د): فلا تأكلوا منه.

(٧) مصنف ابن أبي شيبه: كتاب العقيقة، طعام الجوس، الأثر رقم (٤٤٢٣)، (٨ / ٨٧). انظر: أحكام أهل الذمة لابن القيم (١ / ٢٥٣).

(٨) في المطبوعة: الحكم، وهو خطأ، والصواب هو: الحسن بن حكيم بن طهمان أبو حكيم، وثقه ابن معين وأبو حاتم. انظر: الجرح والتعديل (٣ / ٦)، (ت ٢٢).

(٩) هي مولاة لأبي برزة. انظر: الجرح والتعديل (٣ / ٦).

(١٠) في (أ): وكلوه.

(١١) مصنف ابن أبي شيبه: كتاب العقيقة، طعام الجوس، الأثر رقم (٤٤٢٤)، (٨ / ٨٨).

(١٢) في (ب ط): شعار.

---

---

موضعه، وإنما يجوز أن يؤكل من طعام أهل الكتاب في عيدهم، بابتياح أو هدية، أو غير ذلك مما <sup>(١)</sup> لم يذبحوه للعيد، فأما ذبائح الجوس، فالحكم فيها معلوم، فإنها حرام عند العامة <sup>(٢)</sup> .

---

(١) في (أ ط) : ما لم يذبحوه .

(٢) أي عامة أهل العلم .

فأما ما ذبحه أهل الكتاب لأعيادهم، وما يتقربون بذبحه إلى غير الله، نظير ما يذبح المسلمون هداياهم وضحاياهم متقربين بها إلى الله تعالى، وذلك مثل ما يذبحون للمسيح والزهرة، فعن أحمد روايتان: أشهرهما في نصوصه أنه لا يباح أكله، وإن لم يسم عليه غير الله تعالى، ونقل النهي عن ذلك، عن عائشة وعبد الله <sup>(١)</sup> بن عمر.

قال الميموني: سألت أبا عبد الله عن ذبائح أهل الكتاب فقال: إن كان <sup>(٢)</sup> مما يذبحون لكنائسهم <sup>(٣)</sup>. فقال: يدعون التسمية على عمد، إنما يذبحون للمسيح <sup>(٤)</sup>.

وذكر أيضا: أنه سأل أبا <sup>(٥)</sup> عبد الله عن ذبح من أهل الكتاب ولم يسم، فقال: إن كان مما يذبحون لكنائسهم. فقال ابن عمر <sup>(٦)</sup> يترك التسمية فيه على عمد؛ إنما يذبح للمسيح، وقد كرهه ابن عمر، إلا أن أبا الدرداء يتأول أن طعامهم حل، وأكثر ما رأيت منه <sup>(٧)</sup> الكراهية لأكل ما ذبحوا لكنائسهم.

وقال أيضا: سألت أبا عبد الله عن ذبيحة المرأة من أهل الكتاب، ولم تسم.

قال: " إن كانت ناسية فلا بأس، وإن كان مما يذبحون لكنائسهم قد يدعون التسمية فيه على عمد " وقال المروزي: قرئ على أبي عبد الله: ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ ﴾ <sup>(٨)</sup>  
قال: " على الأصنام " وقال: " كل شيء ذبح على الأصنام لا يؤكل ".

وقال حنبل: قال عمي <sup>(٩)</sup> " أكره كل ما ذبح لغير الله، والكنائس إذا ذبح لها، وما

(١) في (ب د) : وابن عمر .

(٢) في (ب ط) : إن كانوا .

(٣) في المطبوعة : فلا يجل ، وهو أتم للعبارة ، لكنه خلاف المخطوطات .

(٤) انظر : المغني والشرح الكبير ( ١١ / ٣٦ ، ٣٧ ) ، فقد ذكر ذلك .

(٥) أبا : ساقطة من (ب) .

(٦) في المطبوعة : فقال : يتركون التسمية .

(٧) في (د) : فيه .

(٨) سورة المائدة : من الآية ٣ .

(٩) عمه هو الإمام أحمد بن حنبل .

ذبح أهل الكتاب على معنى الذكاة فلا بأس به <sup>(١)</sup> وما ذبح يريد به غير الله فلا آكله، وما ذبحوا في أعيادهم أكرهه ."

وروى أحمد عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعي: سألت ميمونا <sup>(٢)</sup> عما ذبحت النصارى لأعيادهم وكنائسهم، فكره أكله. قال حنبل: سمعت أبا عبد الله قال: " لا يؤكل؛ لأنه أهل لغير الله به <sup>(٣)</sup> ويؤكل كل ما سوى ذلك، وإنما أحل الله وَعَلَيْكُمْ من طعامهم ما ذكر اسم الله عليه، قال الله وَعَلَيْكُمْ ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ <sup>(٤)</sup> وقال: <sup>(٥)</sup> ﴿ وَمَا أَهْلًا بِهِ لغيرِ اللَّهِ ﴾ <sup>(٦)</sup> فكل ما ذبح لغير الله فلا يؤكل لحمه ."

وروى حنبل عن عطاء في ذبيحة النصراني <sup>(٧)</sup> يقول: اسم المسيح، قال: كل، قال حنبل: سمعت أبا عبد الله يسأل عن ذلك قال: لا تأكل، قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ <sup>(٨)</sup> فلا أرى هذا ذكاة ﴿ وَمَا أَهْلًا لغيرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ <sup>(٩)</sup> .

فاحتجاج أبي عبد الله بالآية دليل على أن الكراهة عنده كراهة تحريم، وهذا قول عامة قدماء الأصحاب، قال الخلال في باب التوقي لأكل ما ذبحت النصارى وأهل الكتاب لأعيادهم وذبائح أهل الكتاب لكنائسهم: " كل من روى عن أبي عبد الله روى الكراهة <sup>(١٠)</sup> فيه، وهي متفرقة في هذه الأبواب.

(١) به : ساقطة من (أ) .

(٢) لعله ميمون بن مهران ، مرت ترجمته ، انظر : فهرس الأعلام .

(٣) به : سقطت من (أ) .

(٤) سورة الأنعام : من الآية ١٢١ .

(٥) في (ب) : زاد قوله تعالى : " حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلًا لغيرِ اللَّهِ بِهِ " سورة المائدة من الآية ٣ .

(٦) سورة البقرة : من الآية ١٧٣ .

(٧) في (ب) : النصارى .

(٨) سورة الأنعام : من الآية ١٢١ .

(٩) سورة المائدة : من الآية : ٣ .

(١٠) في (أ) : الكراهية .



وما قاله حنبل في هاتين المسألتين ذكر عن أبي عبد الله: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ  
 اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَمَا أَهْلٌ لِعَبْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ <sup>(١)</sup> فإنما الجواب من أبي عبد الله فيما أهل لغير الله  
 به، وأما التسمية وتركها، فقد روى عنه جميع أصحابه: أنه لا بأس بأكل ما لم يسموا  
 عليه، إلا في وقت ما يذبحون لأعيادهم وكنائسهم، فإنه معنى قوله تعالى ﴿ وَمَا أَهْلٌ لِعَبْرِ  
 اللَّهِ بِهِ ﴾ <sup>(٢)</sup> وعند أبي عبد الله أن تفسير ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ  
 عَلَيْهِ ﴾ <sup>(٣)</sup> إنما عني به <sup>(٤)</sup> الميتة. وقد أخرجته <sup>(٥)</sup> في موضعه.

ومقصود الخلال: أن نهي أحمد لم يكن لأجل ترك التسمية فقط؛ فإن ذلك عنده لا  
 يجرم، وإنما كان لأنهم ذبحوا لغير الله، سواء كانوا يسمون غير الله أو لا يسمون الله ولا  
 غيره، ولكن قصدهم الذبح لغيره. <sup>(٦)</sup> وقال ابن أبي موسى: ويجتنب أكل كل ما ذبحه  
 اليهود والنصارى لكنائسهم وأعيادهم، ولا يؤكل ما ذبح للزهرة <sup>(٧)</sup>.  
 والرواية الثانية: أن ذلك مكروه غير محرم، وهذه التي ذكرها القاضي وغيره. وأخذوا  
 ذلك - فيما أظنه - مما نقله عبد الله بن أحمد، قال: سألت أبي عمين ذبح للزهرة، قال: لا  
 يعجبني. قلت: أحرام أكله؟ قال: لا أقول حراما، ولكن لا يعجبني <sup>(٨)</sup>. وذلك أنه أثبت  
 الكراهة دون التحريم.

ويمكن أن يقال: إنما توقف عن تسميته محرما؛ لأن ما اختلف في تحريمه وتعارضت فيه

(١) سورة المائدة : من الآية ٣ .

(٢) سورة المائدة : من الآية ٣ .

(٣) سورة الأنعام : من الآية ١٢١ .

(٤) به : سقطت من (أ ط) .

(٥) في (أ) : أخرجت .

(٦) في (د) والمطبوعة : ولكن قال .

(٧) في (ط) : للزهري .

(٨) انظر : أحكام أهل الذمة لابن القيم (١ / ٢٥٠) .

الأدلة، كالجمع بين الأختين المملوكتين<sup>(١)</sup> ونحوه، هل يسمى حراما؟ على روايتين، كالروايتين عنه في أن ما اختلف في وجوبه، هل يسمى فرضا؟ على روايتين.

ومن أصحابنا من أطلق الكراهة، ولم يفسر: هل أراد التحريم أو التزيه؟ قال أبو الحسن الآمدي: ما ذبح لغير الله مثل الكنائس والزهرة والشمس والقمر. فقال أحمد: مما أهل لغير الله به<sup>(٢)</sup> أكرهه، كل ذبح لغير الله، والكنائس، وما ذبحوا في أعيادهم، أكرهه؛ فأما ما ذبح أهل الكتاب على معنى الذكاة فلا بأس به.

وكذلك مذهب مالك، يكره ما ذبحه النصارى لكنائسهم، أو ذبحوا على اسم المسيح، أو الصليب، أو أسماء من مضى من أحبارهم ورهبانهم<sup>(٣)</sup>.

وفي المدونة: " وكره مالك أكل ما ذبحه أهل الكتاب لكنائسهم، أو لأعيادهم، من غير تحريم، وتأول قول الله تعالى ﴿ أَوْ فَسَقًا أَهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾<sup>(٤)</sup> . (٥) قال ابن القاسم: وكذلك ما ذبحوا وسموا عليه اسم المسيح، وهو بمتزلة ما ذبحوا لكنائسهم، ولا أرى أن يؤكل.

ونقلت الرخصة في ذبائح الأعياد ونحوها، عن طائفة من الصحابة رضي الله عنهم، وهذا فيما لم يسموا<sup>(٦)</sup> غير الله.

فإن سموا غير الله في عيدهم، أو غير عيدهم: وهو مذهب الجمهور، وهو مذهب الفقهاء الثلاثة فيما نقله غير واحد، وهو قول علي بن أبي طالب، وغيره من الصحابة، منهم أبو الدرداء<sup>(٧)</sup> وأبو أمامة، والعرباض بن سارية، وعبادة بن

(١) المملوكتين : ساقطة من المطبوعة .

(٢) في المطبوعة : هو مما أهل به لغير الله .

(٣) انظر : المدونة ( ٢ / ٦٧ ) برواية سحنون عن ابن القاسم عن مالك .

(٤) سورة الأنعام : من الآية ١٤٥ .

(٥) انظر : المدونة برواية سحنون عن ابن القاسم ، عن مالك ( ٢ / ٦٧ ) ، وفيها معنى الكلام لا لفظه .

(٦) في ( ج ط ) وفي المطبوعة : وهذا فيما لم يسموا عليه غير الله .

(٧) من هنا إلى قوله : والثانية : لا يحرم : ساقطة من ( أ ) .

الصامت، وهو قول أكثر فقهاء الشام وغيرهم.

وإن سموا غير الله، وهذا قول عطاء ومجاهد ومكحول والأوزاعي والليث.

نقل ابن منصور: <sup>(١)</sup> أنه قيل لأبي عبد الله: سئل سفيان عن رجل ذبح ولم يذكر اسم <sup>(٢)</sup> الله متعمدا، قال: أرى أن لا يؤكل، قيل له: أرأيت إن كان يرى أنه يجزي عنه فلم يذكر؟ قال: أرى أن لا يؤكل. قال أحمد: المسلم <sup>(٣)</sup> فيه اسم الله، يؤكل. ولكن قد أساء في ترك التسمية؛ النصارى: أليس يذكرون غير <sup>(٤)</sup> اسم الله.

أن هذا قد دخل في عموم قوله **وَعَبَّكُ** ﴿٦﴾ **وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**

**حِلٌّ لَكُمْ** ﴿٥﴾ وفي عموم قوله ﴿٦﴾ **وَمَا أَهْلٌ لغيرِ اللَّهِ بِهِ** ﴿٦﴾؛ لأن هذه الآية تعم كل ما نطق به لغير الله. يقال: أهلت بكذا، إذا تكلمت به <sup>(٧)</sup> وإن كان أصله الكلام الرفيع، فإن الحكم لا يختلف برفع الصوت وخفضه، وإنما لما كانت عادتهم رفع الصوت في الأصل، خرج الكلام على ذلك، فيكون المعنى: وما تكلم به لغير الله وما نطق به لغير الله، ومعلوم أن ما حرم: أن يجعل غير <sup>(٨)</sup> الله مسمى، فكذلك منويا، إذ هذا مثل النيات في العبادات، فإن اللفظ بها وإن كان أبلغ، لكن الأصل القصد، ألا ترى أن المتقرب بالهدايا والضحايا سواء قال: أذبحه لله، أو سكت، فإن العبرة بالنية؟

(١) يعني: سعيد بن منصور.

(٢) في (ط): ولم يذكر الله.

(٣) في (د): إن لم يسم فيه اسم الله.

(٤) في (د): اسم غير الله.

(٥) سورة المائدة: من الآية ٥.

(٦) سورة المائدة: من الآية ٣.

(٧) به: ساقطة من (ب).

(٨) في (أ ب د): لغير الله.

وتسمية <sup>(١)</sup> الله على الذبيحة، غير ذبحها لله، فإنه يسمى على ما يقصد به اللحم، وأما  
القربان فيذبح لله سبحانه، ولهذا قال النبي ﷺ في قربانه: <sup>(٢)</sup> " اللهم <sup>(٣)</sup> منك ولك " بعد  
قوله: " بسم الله والله أكبر " <sup>(٤)</sup> اتباعا لقوله تعالى ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي  
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ <sup>(٥)</sup> .

والكافرون يصنعون بأهنتهم كذلك فتارة يسمون آهنتهم على الذبائح، وتارة <sup>(٦)</sup>  
يذبحونها قربانا إليهم، وتارة <sup>(٧)</sup> يجمعون بينهما، وكل ذلك -والله أعلم- يدخل فيما أهل  
لغير الله به، فإن من سمي غير الله فقد أهل به لغير الله، فقوله: (باسم كذا) استعانة به،  
وقوله (لكذا) <sup>(٨)</sup> عبادة له؛ ولهذا جمع الله بينهما في قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ  
نَسْتَعِينُ ﴾ <sup>(٩)</sup> .

(١) في (ب) : وتسميته .

(٢) أي : أضحيته .

(٣) في (ب ط) : زاد في الهامش (هذا) بعد (اللهم) بحيث تكون العبارة : (اللهم هذا منك ولك) .

(٤) جاء ذلك فيما أخرجه أحمد في المسند . انظر : الفتح الرباني (١٣ / ٦٢) ، حديث رقم (٤٨) ، والبيهقي في  
السنن الكبرى (٩ / ٢٨٧) ، ومعناه ما أخرجه أبو داود في كتاب الضحايا ، الحديث رقم (٢٧٩٥) ، (٣ /  
٢٣١) ، وجاء فيه : " اللهم منك ولك ، وعن محمد وأمه ، باسم الله والله أكبر " ، وفي حديث آخر أخرجه  
ابن ماجه في كتاب الأضاحي ، الحديث رقم (٣١٢١) ، وفيه : " اللهم منك ولك " ، ولم يذكر التسمية ،  
لكنها وردت في أحاديث أخرى .

(٥) سورة الأنعام : الآية ١٦٢ .

(٦) (٢) ، (٣) ما بين الرقمين سقط من (د) .

(٧) (٢) ، (٣) ما بين الرقمين سقط من (د) .

(٨) في (د) : كذا .

(٩) سورة الفاتحة آية : ٥ .

وأيضاً، فإنه سبحانه حرم<sup>(١)</sup> ما ذبح على النصب، وهي كل ما ينصب ليعبد من دون الله تعالى.

وأما احتجاج أحمد على هذه المسألة بقوله تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾<sup>(٢)</sup> فحيث اشترطت التسمية في ذبيحة المسلم؛ هل تشترط في ذبيحة الكتابي؟ على روايتين: وإن كان الخلال هنا قد ذكر عدم الاشتراط، فاحتججه بهذه الآية يخرج على إحدى الروايتين. فلما تعارض العموم الحاضر، وهو قول<sup>(٣)</sup> الله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلًا بِهِ لِيُغَيَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾<sup>(٤)</sup> والعموم المبيح، وهو قوله: ﴿وَمَا أَهْلًا بِهِ لِيُغَيَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾<sup>(٥)</sup> (٦) (٧) اختلف العلماء في ذلك.

والأشبه بالكتاب والسنة: ما دل عليه أكثر كلام أحمد من الحظر، وإن كان من متأخري أصحابنا من لم يذكر هذه الرواية بحال؛ وذلك لأن عموم قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلًا لِيُغَيَّرَ اللَّهُ بِهِ﴾<sup>(٨)</sup> ، ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ﴾<sup>(٩)</sup> عموم محفوظ لم يخص منه صورة، بخلاف طعام الذين أوتوا الكتاب، فإنه يشترط له الذكاة المبيحة<sup>(١٠)</sup> فلو ذكى الكتابي في غير المحل المشروع لم تبح ذكاته، ولأن غاية الكتابي: أن تكون ذكاته كالمسلم،

(١) في (ط) : كل ما ذبح .

(٢) سورة الأنعام : من الآية ١٢١ .

(٣) وهو قول : سقطت من (ط) .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٧٣ . وفي (أ ب د) : " وما أهل لغير الله به " سورة المائدة : الآية ٣ .

(٥) سورة المائدة آية : ٥ .

(٦) حل لكم : سقطت من (أ) .

(٧) سورة المائدة : من الآية ٥ .

(٨) سورة المائدة آية : ٣ .

(٩) سورة المائدة : من الآية ٣ .

(١٠) في (ب) : بالمبيحة .

والمسلم لو ذبح لغير الله، أو ذبح باسم غير الله<sup>(١)</sup> لم يبيح، وإن كان يكفر بذلك، فكذلك الذمي؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> (٣) سواء، وهم وإن كانوا يستحلون هذا، ونحن لا نستحله فليس كل ما استحلوه حل<sup>(٤)</sup> ولأنه قد تعارض دليلان، حاضر ومبيح، فالحاضر: أولى<sup>(٥)</sup>. ولأن الذبح لغير الله، وباسم غيره، قد علمنا يقينا أنه ليس من دين الأنبياء عليهم السلام، فهو من الشرك الذي أحدثوه، فالمعنى الذي لأجله حلت ذبائحهم، منتف في هذا. والله أعلم.

: أما إذا سموا عليه غير الله بأن يقولوا: باسم المسيح ونحوه، فتحريره ظاهر، أما إذا لم يسموا أحدا، ولكن قصدوا الذبح للمسيح، أو للكوكب<sup>(٦)</sup> ونحوها، فما وجه تحريمه؟

: قد<sup>(٧)</sup> تقدمت الإشارة إلى ذلك. وهو أن الله سبحانه قد حرم ما ذبح على النصب، وذلك يقتضي تحريمه، وإن كان ذابحه كتابيا، لأنه لو كان التحريم لكونه وثنيا، لم يكن فرق بين ذبحه على النصب وغيرها، ولأنه لما أباح لنا طعام أهل الكتاب، دل على أن طعام المشركين حرام، فتخصيص ما ذبح على الوثن يقتضي فائدة جديدة.

وأيضا: فإنه ذكر تحريم ما ذبح على النصب، وما أهل به لغير الله؛ وقد دخل فيما أهل به لغير الله ما<sup>(٨)</sup> أهل به أهل الكتاب لغير الله فكذلك كل ما ذبح على النصب، فإذا ذبح الكتابي على ما قد نصبوه من التماثيل في الكنائس، فهو مذبوح على النصب، ومعلوم أن

(١) في (ب) : زاد : أو في غير محل الذكاة .

(٢) سورة المائدة آية : ٥ .

(٣) سورة المائدة : من الآية ٥ .

(٤) في المطبوعة : يحل لنا .

(٥) في المطبوعة زاد : أن يقدم .

(٦) في (ب) : أو الكواكب .

(٧) قد : سقطت من (ب) .

(٨) في (ط) : بما .

حكم ذلك لا يختلف بحضور الوثن وغيبته، وإنما حرم لأنه قصد بذبحه عبادة الوثن وتعظيمه، وهذه الأنصاب قد قيل: هي من الأصنام، وقيل: هي غير الأصنام.

قالوا: كان حول البيت ثلاثمائة وستون حجرا، كان أهل الجاهلية يذبحون عليها، ويشرحون اللحم عليها، وكانوا يعظمون هذه الحجارة، ويعبدونها، ويذبحون عليها، وكانوا إذا شاءوا بدلوا هذه الحجارة بحجارة هي أعجب إليهم منها.

ويدل على ذلك قول أبي ذر في حديث إسلامه: "حتى صرت كالنصب الأحمر" (١) يريد أنه كان يصير أحمر من تلوثه بالدم.

وفي قوله: ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ ﴾ (٢) قولان:

: أن نفس الذبح كان يكون عليها، كما ذكرناه، فيكون ذبحهم عليها تقريبا إلى الأصنام، وهذا على قول من يجعلها غير الأصنام، فيكون الذبح عليها لأجل أن المذبح عليها مذبح للأصنام، أو مذبح لها، وذلك يقتضي تحريم كل ما ذبح لغير الله، ولأن الذبح في البقعة لا تأثير له إلا من جهة الذبح لغير الله، كما كرهه النبي ﷺ من الذبح في مواضع أصنام المشركين، وموضع أعيادهم، وإنما يكره المذبح في البقعة المعينة؛ لكونها محل شرك، فإذا وقع الذبح حقيقة لغير الله؛ كانت حقيقة التحريم قد وجدت فيه.

: أن الذبح على النصب، أي: لأجل النصب، كما قيل: أو لم (٣) على زينب بنحز ولحم (٤) وأطعم فلان على ولده، وذبح فلان على ولده، ونحو ذلك، ومنه قوله

(١) أخرجه مسلم من حديث طويل في قصة إسلام أبي ذر، ونص هذه العبارة في مسلم "كأني نصب أحمر"، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي ذر، الحديث رقم (٢٤٧٣)، (٤ / ١٩٢٠). وأخرجه أحمد في المسند (٥ / ١٧٥) بنحوه.

(٢) سورة المائدة آية: ٣.

(٣) في المطبوعة: كما قيل: أو لم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على زينب. لكنه خلاف جميع النسخ المخطوطة.

(٤) ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أو لم حين تزوج زينب بنت جحش بنحز ولحم، جاء ذلك في حديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير، الحديث رقم (٤٧٩٣) من فتح الباري (٨ / ٥٢٧)، وأخرجه مسلم في كتاب النكاح، باب زواج زينب، الحديث رقم (١٤٢٨)، (٢ / ١٠٤٨).

تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْنَاكُمْ﴾<sup>(١)</sup> وهذا ظاهر على قول من يجعل النصب نفس الأصنام، ولا منافاة بين كون الذبح لها، وبين كونها كانت تلوث بالدم، وعلى هذا القول فالدلالة ظاهرة.

واختلاف هذين القولين في قوله تعالى ﴿عَلَىٰ النَّصْبِ﴾<sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup> نظير الاختلاف في قوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾<sup>(٥)</sup> وقوله تعالى ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفَعَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾<sup>(٦)</sup>.

: المراد بذكر اسم الله عليها، إذا كانت حاضرة.

: بل يعم ذكره لأجلها في مغيبها وشهودها، بمتزلة قوله تعالى ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْنَاكُمْ﴾<sup>(٧)</sup>.

وفي الحقيقة: مآل القولين إلى شيء واحد في قوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَىٰ النَّصْبِ﴾<sup>(٨)</sup> كما قد أومأنا إليه.

وفيها قول ثالث ضعيف: أن المعنى على اسم النصب. وهذا ضعيف؛ لأن هذا المعنى

(١) سورة البقرة: من الآية ١٨٥ .

(٢) سورة المائدة آية : ٣ .

(٣) في (ط) : على الأنصاب . وهو خطأ .

(٤) انظر : أقوال بعض السلف في ذلك في : تفسير ابن جرير ، ( ٦ / ٤٨ ، ٤٩ ) .

(٥) سورة الحج : من الآية ٣٤ .

(٦) سورة الحج : من الآية ٢٨ .

(٧) سورة البقرة : من الآية ١٨٥ .

(٨) سورة المائدة آية : ٣ .



حاصل من قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَهْلَ لِيغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ <sup>(١)</sup> فيكون تكريرا. لكن اللفظ يحتمله، كما روى البخاري في صحيحه عن موسى بن عقبة <sup>(٢)</sup> عن سالم <sup>(٣)</sup> عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه كان يحدث عن رسول الله ﷺ أنه لقي زيد بن عمرو بن نفيل <sup>(٤)</sup> بأسفل بلدح <sup>(٥)</sup> وذلك <sup>(٦)</sup> قبل أن يتزل على رسول الله ﷺ الوحي، فقدم <sup>(٧)</sup> إليه رسول الله ﷺ سفرة في لحم. فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: إني لا <sup>(٨)</sup> آكل مما تذبحون على أنصابكم <sup>(٩)</sup> ولا آكل إلا مما ذكر اسم الله عليه <sup>(١٠)</sup>. وفي رواية له: " وإن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: " الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض الكلاء، ثم أنتم تذبحونها على غير اسم الله؟! <sup>(١١)</sup> إنكارا

(١) سورة المائدة آية : ٣ .

(٢) هو : موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي ، مولى آل الزبير ، ثقة فقيه ، إمام في المغازي ، أخرج له الستة ، توفي سنة (١٤١ هـ) . انظر : تقريب التهذيب ( ٢ / ٢٨٦ ) ، (ت١٤٨٦) .

(٣) هو : سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، المدني الفقيه ، من أئمة التابعين علما وفقها وورعا وعبادة وتقيا ، وكان يشبه أباه في السمات والهدى ، ومن الرواة الثقات الكثيرين للحديث . توفي سنة (١٠٦ هـ) . انظر : تهذيب التهذيب ( ٣ / ٤٣٨ ) .

(٤) هو : زيد بن عمرو بن نفيل العدوي ، والد سعيد بن زيد ، وابن عم عمر بن الخطاب . قال ابن حجر في الإصابة : " ذكره البغوي وابن منده وغيرهما من الصحابة ، وفيه نظر؛ لأنه مات قبل البعثة بخمس سنين " ، وهو ممن كان على دين الجاهلية في الجاهلية . انظر : الإصابة ( ١ / ٥٦٩ ) ، (ت٢٩٢٣) .

(٥) بلدح : واد غرب مكة . انظر : معجم البلدان ( ١ / ٤٨٠ ) .

(٦) في البخاري : وذلك .

(٧) في المطبوعة : (فقدت إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ، وهي من ألفاظ الحديث . وفي (ب) : فقدم إلى رسول الله .

(٨) في المطبوعة : لست . وهي من ألفاظ الحديث الواردة .

(٩) في (ب د) : على أصنامكم . والصحيح ما أثبتته من بقية النسخ كما في البخاري .

(١٠) صحيح البخاري ، كتاب الذبائح والصيد ، باب ما ذبح على النصب والأصنام ، الحديث رقم (٥٤٩٩) من فتح الباري ( ٩ / ٦٣٠ ) ، وكتاب مناقب الأنصار ، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل ، الحديث رقم ( ٣٨٢٦ ) ، ( ٧ / ١٤٢ ) .

(١١) هذه من بقية الحديث السابق رقم (٣٨٢٦) من فتح الباري .

لذلك وإعظاما له.

وأیضا فإن قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ <sup>(١)</sup> ظاهره: أنه ما ذبح لغير الله، مثل أن يقال: هذا ذبيحة لكذا، وإذا كان هذا هو المقصود: فسواء لفظ به أو لم يلفظ. وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه للحم، وقال فيه: باسم المسيح، ونحوه، كما أن ما ذبحناه نحن متقربين به إلى الله سبحانه كان أزكى وأعظم مما ذبحناه للحم، وقلنا عليه: باسم الله، فإن عبادة الله سبحانه بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور، فكذلك الشرك بالصلاة لغيره والنسك لغيره أعظم <sup>(٢)</sup> من الاستعانة باسمه <sup>(٣)</sup> في فواتح الأمور. فإذا حرم ما قيل فيه: باسم المسيح، أو الزهرة؛ فلأن يحرم ما قيل فيه: لأجل المسيح والزهرة <sup>(٤)</sup> أو قصد به ذلك، أولى.

وهذا يبين لك ضعف قول من حرم ما ذبح باسم غير الله، ولم يحرم ما ذبح لغير الله، كما قاله طائفة من أصحابنا وغيرهم، بل لو قيل بالعكس لكان أوجه، فإن العبادة لغير الله أعظم كفرا من الاستعانة بغير الله.

: فلو ذبح لغير الله متقربا به <sup>(٥)</sup> إليه لحرم <sup>(٦)</sup> وإن قال فيه: <sup>(٧)</sup> بسم الله، كما يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة الذين يتقربون إلى <sup>(٨)</sup> والكواكب بالذبح والبخور ونحو ذلك، وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان.

(١) سورة المائدة آية : ٣ .

(٢) في المطبوعة زاد هنا : شركاً .

(٣) في المطبوعة : باسم هذا الغير .

(٤) في (د) : أو الزهري . والزهرة : نجم من النجوم السيارة شديدة اللمعان .

(٥) به : سقطت من (أ) .

(٦) في (ب) : يحرم .

(٧) فيه : سقطت من (ط) .

(٨) في المطبوعة زاد : الأولياءو .

: ما قد يفعله الجاهلون بمكة - شرفها الله - (١) وغيرها من الذبح للجن (٢) ولهذا روي عن النبي ﷺ أنه هـى عن ذبائح الجن (٣) ويدل على المسألة ما قدمناه من أن النبي ﷺ هـى عن الذبح في مواضع الأصنام، ومواضع أعياد الكفار. ويدل على ذلك أيضا: ما رواه أبو داود في سننه، حدثنا هارون بن عبد الله (٤) حدثنا حماد بن مسعدة (٥) عن عوف (٦) عن أبي ریحانة (٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " هـى رسول الله ﷺ عن معاقرة الأعراب (٨) " قال أبو داود: غندر أوقفه على ابن عباس (٩) .

وروى أبو بكر بن أبي شيبة في تفسيره: حدثنا وكيع، عن أصحابه، عن عوف الأعرابي (١٠) عن أبي ریحانة قال: سئل ابن عباس، عن معاقرة الأعراب بينها، فقال: " إني

(١) شرفها الله : سقطت من (ب د) .

(٢) وذلك اتقاء لشركهم بزعمهم .

(٣) أورد ذلك البيهقي في السنن الكبرى في حديث مرسل ، عن الزهري يرفع الحديث (٩ / ٣١٤) ، وابن حبان رواه في الضعفاء مرفوعاً ، وذكر سنده إلى أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم . راجع : تيسير العزيز الحميد (ص١٥٨) ، ط الإفتاء .

(٤) هو : هارون بن عبد الله بن مروان البغدادي ، أبو موسى ، الحمال البزاز ، ثقة من الطبقة العاشرة ، أخرج له الستة عدا البخاري . توفي سنة (٢٤٣هـ) ، وعمره يناهز الثمانين . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ٣١٢) ، (ت١٨) .

(٥) هو : حماد بن مسعدة التميمي البصري ، أبو سعيد ، ثقة ، من الطبقة التاسعة ، أخرج له الستة . توفي سنة (٢٠٢هـ) . انظر : تقريب التهذيب (١ / ١٩٧) ، (ت٥٤٨) .

(٦) هو : عوف بن أبي جميلة . مرت ترجمته . انظر : فهرس الأعلام .

(٧) هو : عبد الله بن مطر البصري — وقيل : اسمه زياد — أبو ریحانة ، صدوق ، تغير آخر أمره ، من الطبقة الثالثة ، أخرج له مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه . انظر : تقريب التهذيب (١ / ٤٥١) ، (ت٦٤٢) .

(٨) في (ط) : الأصحاب : وهو تحريف من النساخ .

(٩) انظر : سنن أبي داود ، كتاب الأضاحي ، باب ما جاء في أكل معاقرة الأعراب ، الحديث رقم (٢٨٢٠) ، (٣ / ٢٤٦) ، ومعاقرة الأعراب : أن يتبارى الرجلان ويتفاحران في عقر الإبل ، ويتكاثران في ذلك ، فأيهما يعقر أكثر من صاحبه تكون الغلبة له . انظر : معالم السنن للخطابي في حاشية أبي داود (٣ / ٢٤٦) .

(١٠) هو : عوف بن أبي جميلة . مرت ترجمته . انظر : فهرس الأعلام .

أخاف أن تكون مما أهل لغير الله به " (١) .

وروى أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن (٢) دحيم في تفسيره، حدثنا أبي، حدثنا سعيد بن منصور، عن ربعي بن (٣) عبد الله بن الجارود (٤) قال: سمعت الجارود (٥) قال: كان (٦) من بني رياح (٧) رجل يقال له: ابن وثيل (٨) شاعر، نافر أبا الفرزدق غالباً (٩) الشاعر، بماء بظهر الكوفة، على أن يعقر هذا مائة من إبله، وهذا مائة من إبله إذا وردت الماء، فلما وردت الإبل الماء قاما إليها بأسياهما فجعلتا ينسفان عراقيهما، فخرج الناس على الحمرات (١٠) والبغال، يريدون الحمل (١١) وعلي ﷺ بالكوفة فخرج على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، وهو ينادي: " يا أيها الناس لا تأكلوا من لحومها، فإنها أهل بها لغير الله " (١٢) .

(١) لم أعثر على تفسير ابن أبي شيبة .

(٢) هو : إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم القرشي الدمشقي . انظر : غاية النهاية (١ / ١٦) .

(٣) في المطبوعة : عن وهو خطأ .

(٤) هو : ربعي بن عبد الله بن الجارود بن أبي سيرة الهذلي البصري ، قال في التقريب : " صدوق من الثامنة "

أخرج له أبو داود في سننه . انظر : تقريب التهذيب (١ / ٢٤٣) ، (ت ٢٩) .

(٥) هو : الجارود بن أبي سيرة الهذلي ، البصري ، أبو نوفل ، جد ربعي السابقة ترجمته . قال في التقريب :

صدوق من الثالثة " توفي سنة (١٢٠هـ) ، أخرج له أبو داود . انظر : التقريب (١ / ١٢٤) ، (ت ٢٠) .

(٦) في (أ ب ط) : يعني كان . وفي (د) : كان يعني ، ولعل يعني من زيادات النسخ .

(٧) هم بطن من تميم ينسب إلى رياح بن يربوع التميمي . انظر : اللباب في تهذيب الأنساب (٢ / ٤٦) .

(٨) هو : سحيم بن وثيل الرياحي ، عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام ، شاعر مخضرم . انظر : الإصابة (٢ / ١١٠) ،

(ت ٣٦٦٥) .

(٩) هو : غالب بن صعصعة بن ناجية التميمي ، والد الفرزدق الشاعر ، قال في الإصابة : لأبيه صحبة ، وله إدراك

. انظر : الإصابة (٣ / ١٩٣) ، (ت ٦٩٣١) .

(١٠) في المطبوعة : الحمر . والحمُرات جمع : حُمُر ، والحمُر جمع : حِمَار . فالحمُرات جمع الجمع : انظر : لسان

العرب ، مادة (حمر) ، (٤ / ٢١٢) .

(١١) في المطبوعة : اللحم ، والمقصود بالحمل : حمل اللحم .

(١٢) أورده ابن كثير في تفسيره عن ابن أبي حاتم بسنده " حدثنا أبي حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا ربعي بن عبد

الله سمعت الجارود بن عبد الله . . " ، فذكر القصة (٢ / ٨) .

فهؤلاء الصحابة قد فسروا ما قصد<sup>(١)</sup> بذبحه غير الله، داخلا فيما أهل به لغير الله؛ فعلمت<sup>(٢)</sup> أن الآية لم يقتصر بها على اللفظ باسم غير الله، بل ما قصد به التقرب إلى غير الله فهو كذلك، وكذلك<sup>(٣)</sup> تفاسير التابعين على أن ما ذبح على النصب هو ما ذبح لغير الله.

وروينا في تفسير مجاهد المشهور عنه الصحيح من رواية ابن أبي نجيح في قوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾<sup>(٤)</sup> قال: " كانت حجارة حول الكعبة يذبح لها أهل الجاهلية، ويبدلوها إذا شاءوا بحجارة أعجب إليهم منها " <sup>(٥)</sup> .

وروى ابن أبي شيبة، حدثنا محمد بن فضيل، عن أشعث، عن الحسن، في قوله تعالى ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾<sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup> قال: " هو بمنزلة<sup>(٨)</sup> ما ذبح لغير الله " .

وفي تفسير قتادة المشهور عنه: " وأما ما ذبح على النصب: فالنصب حجارة كان أهل الجاهلية يعبدونها ويذبحون لها، فنهى الله عن ذلك " <sup>(٩)</sup> .

وفي تفسير علي بن أبي طلحة<sup>(١٠)</sup> عن ابن عباس: " النصب أصنام كانوا يذبحون

(١) في (أ ط) : ما قد قصد .

(٢) من هنا حتى قوله : بل ما قصد (سطر تقريبا) : سقط من (أ) .

(٣) وكذلك : ساقطة من (أ) .

(٤) سورة المائدة : من الآية ٣ .

(٥) انظر : تفسير مجاهد (تحقيق عبد الرحمن السورتي) (ص ١٨٥) ، وتفسير الطبري (٦ / ٤٨ ، ٤٩) .

(٦) سورة المائدة آية : ٣ .

(٧) من هنا حتى قوله : فالنصب حجارة (سطر تقريبا) : سقط من (د) .

(٨) في (ط) : هو ما ذبح لغير الله ، أي : يسقوط (بمنزلة) .

(٩) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٦ / ٤٨) .

(١٠) هو : علي بن أبي طلحة سالم بن المخارق الهاشمي ، أصله من الجزيرة وانتقل إلى حمص ، روى عن ابن عباس ، ولم يسمع منه ، صدوق ، قال عنه النسائي : ليس به بأس ، وضعفه بعضهم ، أخرج له مسلم حديثا واحدا ، وكذلك أبو داود والنسائي وابن ماجه . توفي سنة (١٤٣ هـ) . انظر : تهذيب التهذيب (٧ / ٣٣٩ — ٣٤١) ، (ت ٥٦٧) ، وتقريب التهذيب (٢ / ٣٩) ، (ت ٣٦٢) .

ويهلون عليها " (١) .

فإن قيل: فقد نقل إسماعيل بن سعيد (٢) قال: سألت أحمد عما يقرب لأهتهم يذبحه رجل مسلم. قال: " لا بأس به " (٣) .

قيل: إنما قال أحمد ذلك؛ لأن المسلم إذا ذبحه سمي الله عليه، ولم يقصد ذبحه لغير الله، ولا يسمي غيره، بل يقصد ضد (٤) ما قصده صاحب الشاة، فتصير نية صاحب الشاة لا أثر لها، والذابح هو المؤثر في الذبح، بدليل أن المسلم لو وكل كتابيا في ذبيحة، فسمى عليها غير الله (٥) لم تبح.

ولهذا لما كان الذبح عبادة في نفسه كرهه علي رضي الله عنه (٦) وغير واحد من أهل العلم - منهم أحمد في إحدى الروايتين عنه- أن يوكل المسلم في ذبح نسيكته كتابيا؛ لأن نفس الذبح عبادة بدنية، مثل الصلاة، ولهذا تختص بمكان وزمان ونحو ذلك، بخلاف تفرقة اللحم، فإنه عبادة مالية، ولهذا اختلف العلماء في وجوب تخصيص أهل الحرم بلحوم الهدايا المذبوحة في الحرم، وإن كان الصحيح تخصيصهم بها، وهذا بخلاف الصدقة، فإنها عبادة مالية محضة، فلهذا قد لا يؤثر فيها نية الوكيل، على أن هذه المسألة منصوطة عن أحمد محتملة.

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٦ / ٤٩) .

(٢) هو: إسماعيل بن سعيد الشالنجي، أبو إسحاق، من أكثر من روى عن أحمد من أصحابه، وكان كبير القدر عندهم، إمام فاضل، صنف كتباً في الفقه وغيره. توفي سنة (٢٤٦هـ). انظر: طبقات الحنابلة (١ / ١٠٤ ، ١٠٥ ، (ت ١١٣) ، واللباب في تهذيب الأنساب (٢ / ١٧٦ ، ١٧٧) .

(٣) ذكر ذلك في المغني والشرح الكبير أيضاً (١١ / ٣٦) .

(٤) في المطبوعة: (منه غير) ، بدل: (ضد) .

(٥) انظر: المغني والشرح الكبير (١١ / ٣٦) .

(٦) في (أ ط) : عليه السلام . ولعله إدراج من النساخ .

فأما صوم أيام أعياد الكفار مفردة بالصوم، كصوم يوم النيروز والمهرجان، وهما يومان يعظمهما الفرس، فقد اختلف فيها؛ لأجل أن المخالفة<sup>(١)</sup> تحصل بالصوم، أو بترك تخصيصه بعمل أصلا.

(٢) :

وذلك أنه روى ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الله بن بسر السلمي<sup>(٣)</sup> عن أخته الصماء<sup>(٤)</sup> أن النبي ﷺ قال: ﴿ لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم وإن لم يجد أحدكم إلا لحاء<sup>(٥)</sup> عنب أو عود شجرة - وفي لفظ: إلا عود عنب أو لحاء<sup>(٦)</sup> شجرة - فليمضغه ﴾<sup>(٧)</sup> رواه أهل السنن الأربعة، وقال الترمذي: " هذا حديث

(١) في (ب) : المخالفة المفردة تحصل .

(٢) يوم : سقطت من (أ) .

(٣) هو : عبد الله بن بسر بن أبي بسر المازني السلمي ، له ولأبيه صحبة ، مات بالشام سنة (٨٨هـ) ، وعمره (٩٤) ، وقيل : (١٠٠) سنة ، وهو آخر من مات بالشام من الصحابة ، وكان الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال له : " يعيش هذا الغلام قرناً " . انظر : الإصابة (٢ / ٢٨١ - ٢٨٢) ، (ت٤٥٦٤) ، وتهذيب التهذيب (٥ / ١٥٨ ، ١٥٩) ، (ت٢٧١) .

(٤) هي : الصماء بنت بسر المازنية ، لها ولأبويها صحبة ، وقيل : اسمها بمية ، أو نهمية . انظر : الإصابة (٤ / ٣٥١) ، (ت٦٦٦) ؛ والاستيعاب بمامش الإصابة (٤ / ٣٥٢) ؛ وتهذيب التهذيب (١٢ / ٤٣١ ، ٤٣٢) ، (ت٢٨٢٥) .

(٥) في (ب) : لحاء ، وهو تصحيف ، واللحاء هو : القشر .

(٦) في (ب) : لحاء ، وهو تصحيف ، واللحاء هو القشر .

(٧) انظر : سنن الترمذي ، كتاب الصوم ، باب ما جاء في صوم يوم السبت ، حديث رقم (٧٤٤) ، (٣ / ١٢٠) ، وسنن أبي داود كتاب الصوم ، باب النهي أن يخص يوم السبت بصوم ، حديث رقم (٢٤٢١) ، (٢ / ٨٠٥) ، وصحيح ابن خزيمة (٣ / ٣١٧) ، حديث رقم (٢١٦٤) ، وابن ماجه في كتاب الصيام ، باب ما جاء في صيام يوم السبت ، حديث رقم (١٧٢٦) ، (١ / ٥٥٠) ، وأخرجه أحمد في المسند من طريقين (٦ / ٣٦٨) ، (٣٦٩) . وذكره السيوطي في الجامع الصغير ، وقال : حديث صحيح (٢ / ٧٣٩) ، رقم (٩٨١٨) . والحاكم

حسن " (١) وقد رواه النسائي من وجوه أخرى عن خالد وعبد الله بن بسر، ورواه أيضا عن الصماء عن عائشة.

: قال أبو بكر الأثرم: سمعت أبا عبد الله

يسأل عن صيام يوم السبت يفترد (٢) به فقال أما صيام يوم السبت يفترد (٣) به فقد جاء في (٤) ذلك الحديث حديث الصماء (٥) " يعني حديث ثور عن يزيد عن خالد بن معدان

عن عبد الله بن بسر، عن أخته الصماء، عن النبي ﷺ ﴿ لا تصوموا يوم السبت إلا

فيما افترض عليكم ﴾ (٦) (٧) " . قال أبو عبد الله: " وكان (٨) يحيى بن سعيد يتقيه (٩)

وأبي (١٠) أن يحدثني به، وقد كان سمعه من ثور. قال: فسمعت من أبي عاصم (١١) (١٢) .

قال الأثرم: وحجة أبي عبد الله في الرخصة في صوم يوم السبت: أن الأحاديث كلها

مخالفة لحديث عبد الله بن بسر، منها حديث أم سلمة حين سئلت: ﴿ أي الأيام كان

في المستدرک (١ / ٤٣٥) ، وقال : " هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه " ، ولم أحده في سنن النسائي الصغرى المطبوعة ، ولعله في السنن الكبرى .

(١) انظر : الهامش السابق .

(٢) كذا : (يفترد) في (أ د ط) ، وفي (ب) : (يفرد) ، وفي المطبوعة : (يتفرد) في الأولى (وينفرد) في الثانية . وأوردها ابن قدامة في المغني بمثل ما أثبتته من (أ د ط) (٣ / ٩٨) والمغني والشرح الكبير ، وكلها بمعنى الأفراد .

(٣) نفس التعليق السابق .

(٤) في (أ ط) : فيه .

(٥) ساق هذه الرواية في المغني والشرح (٣ / ٩٨ ، ٩٩) .

(٦) الترمذي الصوم (٧٤٤) ، أبو داود الصوم (٢٤٢١) ، ابن ماجه الصيام (١٧٢٦) ، الدارمي الصوم (١٧٤٩)

(٧) هذا هو الحديث السابق .

(٨) وكان : سقطت من (ط) .

(٩) في المطبوعة : ينفيه .

(١٠) في (أ ط) : (أبي) بدون واو العطف .

(١١) انظر : المغني والشرح الكبير (٣ / ٩٩) في المغني .

(١٢) هو : الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم الشيباني ، أبو عاصم النبيل ، البصري ، ثقة ، ثبت ، توفي سنة (٢١٢)

هـ) ، أخرج له الستة . انظر : تقريب التهذيب (١ / ٣٧٣) ، (ت١٦) .



رسول الله ﷺ أكثر صياما لها؟ فقالت: " السبت والأحد " (١) .

ومنها: حديث جويرية (٢) أن النبي ﷺ قال لها يوم الجمعة: ﴿ أصمت أمس؟ ﴾ [ قالت: لا، قال ] (٣) " أتريدان أن تصومي غدا؟ " (٤) فالغد هو يوم السبت ﴿ .

وحديث أبي هريرة: ﴿ نهى النبي ﷺ عن صوم يوم الجمعة إلا بيوم قبله أو يوم بعده ﴾ (٦) . فاليوم الذي بعده هو (٧) يوم السبت.

(١) جاء ذلك في حديث أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤ / ٣٠٣) ، وابن خزيمة في صحيحه (٣ / ٣١٨) ، حديث رقم (٢١٦٧) ، وقال الألباني في هامش الكتاب : (إسناده حسن وصححه ابن حبان) ، وأحمد في المسند (٦ / ٣٢٤) ، والحاكم في المستدرک (١ / ٤٣٦) ، وذكر أن إسناده صحيح ، وذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤ / ٢٣٥) .

(٢) هي : جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب الخزاعية ، أم المؤمنين ، كان اسمها : برة ، ولما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سماها (جويرية) ، وكان سبها يوم المريسيع فوقع في سهم ثابت بن قيس ، فكاتبته على نفسها فأدى عنها رسول الله وتزوجها ، فأعتق الصحابة من سبي من قومها حين صاروا أصهار رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وكانت من فضليات النساء أدباً وفصاحة ، توفيت رضي الله عنها بالمدينة المنورة سنة (٥٦هـ) وعمرها (٦٥) سنة . انظر : أسد الغابة (٥ / ٤١٩ — ٤٢١) ، والأعلام للزركلي (٢ / ١٤٨) .

(٣) ما بين القوسين المعقوفين ساقط من جميع المخطوطة ، ولعله سهو من المؤلف ، وأثبتته من البخاري والمطبوعة .  
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الصيام ، باب صوم يوم الجمعة ، الحديث رقم (١٩٨٦) من فتح الباري (٤ / ٢٣٢) ، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٣ / ٣١٦) ، الحديث رقم (٢١٦٤) ، وقال الألباني في تعليقه على الحديث : إسناده صحيح لكن أعله الحافظ (يعني ابن حجر) بالمخالفة .

(٥) في (ط) : أو بيوم .  
(٦) أخرجه في الصحيحين . انظر : صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب صوم الجمعة ، الحديث رقم (١٩٨٥) من فتح الباري (٤ / ٢٣٢) ، ولفظه : (لا يصوم أحدكم يوم الجمعة إلا يوماً قبله أو بعده) ، وصحيح مسلم ، كتاب الصيام ، باب كراهية صيام يوم الجمعة منفرداً ، الحديث رقم (١١٤٤) ، ولفظه : (لا يصوم أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم قبله أو يصوم بعده) (٢ / ٨٠١) .

(٧) هو : ساقطة من (د) .

ومنها: أنه كان يصوم شعبان كله، <sup>(١)</sup> وفيه يوم السبت.

ومنها: أنه أمر بصوم المحرم <sup>(٢)</sup> وفيه يوم السبت، وقال: ﴿من صام رمضان، وأتبعه

بست من شوال﴾ <sup>(٣)</sup> .... " <sup>(٤)</sup> وقد يكون فيها السبت.

وأمر بصيام أيام البيض <sup>(٥)</sup> وقد يكون فيها السبت. ومثل هذا <sup>(٦)</sup> كثير <sup>(٧)</sup>.

فهذا الأثر، فهم من كلام أبي عبد الله أنه توقف عن الأخذ بالحديث، وأنه رخص في صومه، حيث ذكر الحديث الذي يحتج به في الكراهة، وذكر أن الإمام في <sup>(٨)</sup> علل الحديث (يجي بن سعيد) كان يتقيه، وأبي أن يحدث به، فهذا تضعيف للحديث.

واحتج الأثر بما دل من النصوص المتواترة، على صوم يوم السبت، ولا يقال: يحمل

النهي على إفراده؛ لأن لفظه: ﴿لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم﴾ <sup>(٩)</sup>

والاستثناء دليل التناول، وهذا يقتضي أن الحديث عم صومه على كل وجه، وإلا لو أريد إفراده لما دخل الصوم المفروض ليستثنى فإنه لا إفراد فيه، فاستثناؤه دليل على دخول غيره،

---

(١) انظر: فتح الباري (٤ / ٢١٣ ، ٢١٤) تجد الحديث الوارد في البخاري عن صوم شعبان ، وكلام ابن حجر حوله .

(٢) جاء ذلك في حديث أخرجه مسلم وغيره . انظر : صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، باب فضل صوم المحرم ، الحديث رقم (١١٦٣) ، (٢ / ٨٢١) .

(٣) مسلم الصيام (١١٦٤) ، الترمذي الصوم (٧٥٩) ، أبو داود الصوم (٢٤٣٣) ، ابن ماجه الصيام (١٧١٦) ، أحمد (٤١٧/٥) ، الدارمي الصوم (١٧٥٤) .

(٤) وتكملة الحديث " كان كصيام الدهر " ، أخرجه مسلم في كتاب الصيام ، باب استحباب صوم ستة من شوال ، الحديث رقم (١١٦٤) ، (٢ / ٨٢٢ / ٨٢٢) .

(٥) جاء ذلك في حديث أخرجه البخاري . انظر : فتح الباري ، الحديث رقم (١٩٨١) ، (٤ / ٢٢٦) ، ومسلم (٢ / ٨١٨) .

(٦) في (ب) : هذه .

(٧) في (أ) : كثيرة .

(٨) في : سقطت من (ط) .

(٩) الترمذي الصوم (٧٤٤) ، أبو داود الصوم (٢٤٢١) ، ابن ماجه الصيام (١٧٢٦) ، الدارمي الصوم (١٧٤٩)

بخلاف يوم الجمعة، فإنه بين أنه إنما نهي عن إفراده.

وعلى هذا؛ فيكون الحديث: إما شاذاً غير محفوظ، وإما منسوخاً، وهذه طريقة قدماء أصحاب أحمد الذين صحبوه كالأثرم، وأبي داود. وقال أبو داود<sup>(١)</sup> "هذا حديث منسوخ"<sup>(٢)</sup>. وذكر أبو داود بإسناده<sup>(٣)</sup> عن ابن شهاب أنه كان إذا ذكر له أنه نهي عن صيام السبت، يقول ابن شهاب: "هذا حديث حمصي"<sup>(٤)</sup> وعن الأوزاعي قال: "ما زلت له كاتماً حتى رأيتهُ انتشر بعد"<sup>(٥)</sup> يعني حديث<sup>(٦)</sup> ابن بسر في صوم يوم السبت. قال أبو داود: قال مالك: "هذا كذب"<sup>(٧)</sup> وأكثر أهل العلم على عدم الكراهة. وأما أكثر<sup>(٨)</sup> أصحابنا ففهموا<sup>(٩)</sup> من كلام أحمد الأخذ بالحديث، وحمله على الأفراد، فإنه سئل عن عين الحكم، فأجاب بالحديث، وجوابه بالحديث<sup>(١٠)</sup> يقتضي اتباعه. وما ذكره عن يحيى<sup>(١١)</sup> إنما هو بيان ما وقع فيه من الشبهة، وهؤلاء يكرهون إفراده بالصوم، عملاً بهذا الحديث، لجودة إسناده، وذلك موجب للعمل به، وحملوه على الأفراد كصوم يوم الجمعة، وشهر رجب.

(١) قال أبو داود : ساقطة من (ط) .

(٢) لفظ أبو داود : " وهذا الحديث منسوخ " ، سنن أبي داود ( ٢ / ٨٠٦ ) .

(٣) في (أ ب) : بإسناد .

(٤) ذكر ذلك الحاكم في المستدرک ( ١ / ٤٣٦ ) ، وأبو داود ( ٢ / ٨٠٧ ) ، وقال في عون المعبود : " هذا حديث حمصي " يريد تضعيفه؛ لأن في حديث عبد الله بن بسر راويان حمصيان . . إلخ . راجع : عون المعبود وشرح سنن أبي داود ( ٧ / ٧٤ ) .

(٥) انظر : سنن أبي داود ( ٢ / ٨٠٧ ) .

(٦) حديث سقطت من (أ) .

(٧) انظر : سنن أبي داود ( ٢ / ٨٠٧ ) .

(٨) في (أ) : وما أكثر أهل العلم أصحابنا .

(٩) في (أ) : فقهوا .

(١٠) بالحديث : سقطت من (ط) .

(١١) يعني يحيى بن سعيد القطان ، حيث ذكر أنه يتقي هذا الحديث .

وقد روى أحمد في المسند من حديث ابن لهيعة، حدثنا موسى بن وردان <sup>(١)</sup> عن عبيد الأعرج <sup>(٢)</sup> حدثني جدي -يعني الصماء - أنها دخلت على رسول الله ﷺ يوم السبت هو يتغدى، فقال: " تعالي تغدي " <sup>(٣)</sup> فقالت: " إني صائمة " فقال لها: " أصمت أمس؟ " قالت: لا، قال: " كلي فإن صيام يوم السبت لا لك ولا عليك " <sup>(٤)</sup> . وهذا وإن كان إسناده ضعيفا لكن تدل عليه سائر الأحاديث، وعلى هذا فيكون قوله: " لا تصوموا يوم السبت " أي: لا تقصدوا صيامه بعينه إلا في الفرض، فإن الرجل يقصد صومه بعينه، بحيث لو لم يجب عليه إلا صوم يوم السبت، كمن أسلم ولم يبق من الشهر إلا يوم السبت فإنه يصومه وحده.

وأیضا فقصدہ بعینہ فی الفرض لا یکره، بخلاف قصده بعينه في النفل، فإنه يكره، ولا تزول الكراهة إلا بضم غيره إليه أو موافقته عادة، فالمزيل للكراهة في الفرض <sup>(٥)</sup> مجرد كونه فرضا، لا للمقارنة بينه وبين غيره، وأما في النفل فالمزيل للكراهة ضم غيره إليه، أو موافقته عادة ونحو ذلك. وقد يقال: الاستثناء أخرج بعض صور <sup>(٦)</sup> الرخصة، وأخرج الباقي بالدليل.

ثم اختلف هؤلاء في تعليل الكراهة: فعللها ابن عقيل بأنه يوم تمسك فيه اليهود ويخصونه بالإمساك، وهو ترك العمل فيه، والصائم <sup>(٧)</sup> في مظنة ترك العمل، فيصير صومه

---

(١) هو : موسى بن وردان القرشي ، العامري ، بالولاء ، أبو عمرو ، البصري القاضي ، قال في التقريب : " صدوق ربما أخطأ من الثالثة " ، توفي سنة (١١٧هـ) ، وعمره (٧٤) سنة . انظر : تقريب التهذيب (٢) / (٢٨٩) ، (ت١٥١٨) .

(٢) كذا ورد اسمه في المسند (٦ / ٣٦٨) ، وقد بحث عنه في كل كتب التراجم التي اطلعت عليها ، فلم أعثر له على ترجمة .

(٣) في المسند : (تعالي فكلي) .

(٤) مسند أحمد (٦ / ٣٦٨) ، في حديث الصماء بنت بسر . وقد ذكر المؤلف أن الحديث ضعيف .

(٥) من هنا حتى قوله : ضم غيره إليه . . (بعد سطر تقريباً) : سقطت من (أ) .

(٦) صور : ساقطة من (أ) .

(٧) في (أ) : والصيام .

تشبها بهم، وهذه العلة منتفية في الأحد. وعلمه طائفة من الأصحاب: بأنه يوم عيد لأهل الكتاب يعظمونه، فقصدته بالصوم دون غيره يكون تعظيماً له، فكره ذلك كما كره أفراد عاشوراء بالتعظيم لما عظمه أهل الكتاب، وإفراد رجب أيضاً لما عظمه المشركون، وهذا التعليل قد يعارض بيوم<sup>(١)</sup> الأحد، فإنه يوم عيد النصارى، فإنه ﷺ قال: "اليوم لنا، وغدا لليهود وبعد غد للنصارى"<sup>(٢)</sup>.

وقد يقال: إذا كان يوم عيد، فمخالفتهم فيه بالصوم لا بالفطر، ويدل على ذلك ما رواه كريب مولى ابن عباس قال: **﴿ أرسلني ابن عباس، وناس من أصحاب النبي ﷺ إلى أم سلمة أسألها: أي الأيام كان رسول الله ﷺ أكثرها صياماً؟ قالت: كان يصوم يوم السبت ويوم الأحد أكثر ما يصوم من الأيام، ويقول: "إنهما يوماً"<sup>(٣)</sup> عيد للمشركين، فأنا أحب أن أخالفهم ﴾** رواه أحمد والنسائي، وابن أبي عاصم<sup>(٤)</sup> وصححه بعض الحفاظ<sup>(٥)</sup>. وهذا نص في استحباب صوم<sup>(٦)</sup> يوم عيدهم لأجل قصد<sup>(٧)</sup> مخالفتهم.

وقد روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: **﴿ كان رسول الله ﷺ يصوم من الشهر:**

(١) في (ط): يوم .

(٢) أخرجه أحمد في المسند عن أبي هريرة وفي لفظه: (اليوم لنا، ولليهود غداً وللنصارى بعد غد . . .) الحديث (٢ / ٥٠٣ ، ٥٠٩ ، ٥١٢) . وذكرها في مواضع أخرى ولفظه: "إن الله كتب الجمعة على من كان قبلنا فاختلّفوا فيها وهدانا الله لها ، فالناس لنا تبع ، فالليهود غداً والنصارى بعد غد " المسند (٢ / ٤٩١) وغيرها . وأخرجه مسلم بهذا اللفظ الذي أورده المؤلف في كتاب الجمعة ، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ، الحديث رقم (٨٥٥) ، وهذا اللفظ تحت رقم (٢٠) في الباب (٢ / ٥٨٥ ، ٥٨٦) ، والبخاري بلفظ آخر . انظر : الحديث رقم (٨٧٦) من فتح الباري (٢ / ٣٥٤) .

(٣) في (أ ب ط): يوم .

(٤) انظر : مسند أحمد (٦ / ٣٢٤) .

(٥) كالحاكم في المستدرک (١ / ١٠٩) حيث ذكر أنه صحيح الإسناد ، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٣ / ٣١٨) . وقال الألباني : إسناده حسن ، وصححه ابن حبان .

(٦) صوم : ساقطة من (ب) .

(٧) في (أ) : كأنها : فضل .

---

---

السبت والأحد والاثنين، ومن الشهر الآخر الثلاثاء والأربعاء والخميس ﴿<sup>(١)</sup> رواه الترمذي، وقال: " حديث حسن " <sup>(٢)</sup> قال: " وقد روى ابن مهدي هذا الحديث عن سفيان ولم يرفعه " <sup>(٣)</sup> وهذان الحديثان ليسا بحجة على من كره <sup>(٤)</sup> صوم يوم السبت وحده، وعلل ذلك بأنهم يتركون فيه العمل والصوم مظنة ذلك، فإنه إذا صام السبت والأحد زال الإفراد المكروه، وحصلت المخالفة بصوم يوم فطرهم.

---

(١) الترمذي الصوم (٧٤٦) .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب الصوم ، باب ما جاء في صوم يوم الاثنين والخميس ، الحديث رقم (٧٤٦) ، (٣) / (١٢١ ، ١٢٢) .

(٣) نفس المرجع السابق .

(٤) كذا في جميع النسخ المخطوطة . والمقصود (صوم يوم السبت) ، لذلك زادها في المطبوعة .

وأما النيروز والمهرجان ونحوهما من أعياد المشركين، فمن لم <sup>(١)</sup> يكره صوم يوم السبت من الأصحاب وغيرهم، قد لا يكره صوم ذلك اليوم؛ <sup>(٢)</sup> بل ربما يستحبه لأجل مخالفتهم، وكرههما أكثر الأصحاب <sup>(٣)</sup> وقد قال أحمد في رواية عبد الله: حدثنا وكيع <sup>(٤)</sup> عن سفيان، عن رجل، عن أنس، والحسن: كرها <sup>(٥)</sup> صوم يوم <sup>(٦)</sup> النيروز والمهرجان <sup>(٧)</sup>. قال: <sup>(٨)</sup> أبي: أبان بن أبي <sup>(٩)</sup> عياش <sup>(١٠)</sup> - يعني الرجل-، وقد اختلف الأصحاب: هل يدل مثل ذلك على مذهبه؟ على وجهين.

وعللوا ذلك بأنهما يومان تعظمهما الكفار، فيكون تخصيصهما بالصيام دون غيرهما موافقة لهم في تعظيمهما، فكرهه، كيوم السبت. قال الإمام أبو محمد المقدسي <sup>(١١)</sup> "وعلى

---

(١) في (د) : فمن يكره .

(٢) اليوم : سقطت من (أ ب ط) .

(٣) في (ب) : وغيرهم .

(٤) حدثنا : سقطت من (ب ط) . وفي (أ) : وويع .

(٥) في المطبوعة : أهما كرها .

(٦) يوم : سقطت من (أ) .

(٧) انظر : المغني والشرح الكبير (٣ / ٩٩) في المغني .

(٨) في (ب د) : وقال . و(أبي) : سقطت من (ط) .

(٩) في المطبوعة : أبان بن عياش . والصحيح ما أثبتته .

(١٠) هو : أبان بن أبي عياش ، فيروز ، البصري العبدي ، أبو إسماعيل ، قال في التقريب : " متروك " ، توفي في

حدود سنة (١٤٠هـ) ، انظر : تقريب التهذيب (١ / ٣١) ، (ت ١٦٤) .

(١١) هو : عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدم بن نصر بن عبد الله المقدسي ، ثم الدمشقي الصالحي ،

الفقيه الإمام ، أبو محمد ، موفق الدين ، من الأئمة الأعلام في الفقه وأصوله ، والفرائض ، والتفسير ،

والأحاديث ، له مصنفات كثيرة جليلة ، من أشهرها : المغني ، مختصر الهداية ، والكافي ، والمقنع — وكلها في

الفقه — وروضة الناظر في الأصول . وغيرها . توفي سنة (٦٢٦هـ) ، ومولده سنة (٥٤١هـ) . انظر :

كتاب الذيل على طبقات الحنابلة (٢ / ١٣٣ - ١٤٩) ، (ت ٢٧٢) .

---

قياس هذا؛ كل عيد للكفار، أو يوم يفردونه بالتعظيم<sup>(١)</sup>.

وقد يقال: يكره صوم يوم<sup>(٢)</sup> النيروز والمهرجان ونحوهما من الأيام<sup>(٣)</sup> التي لا تعرف بحساب العرب. بخلاف ما جاء في الحديث من يوم السبت والأحد؛ لأنه إذا قصد صوم مثل هذه الأيام العجمية أو الجاهلية كانت ذريعة إلى إقامة شعار هذه الأيام، وإحياء أمرها، وإظهار حالها، بخلاف السبت والأحد، فإنهما من حساب المسلمين فليس في صومهما مفسدة، فيكون استحباب صوم أعيادهم المعروفة بالحساب العربي الإسلامي، مع كراهة الأعياد المعروفة بالحساب<sup>(٤)</sup> الجاهلي العجمي، توفيقاً بين الآثار. والله أعلم.

---

(١) المغني والشرح الكبير (٣ / ٩٩) في المغني .

(٢) يوم : ساقطة من (أ ب ط) .

(٣) في المطبوعة زاد : العجمية .

(٤) في (أ) : قال : بالحساب العربي الجاهلي العجمي ، وهو خلط من الناسخ .



ومن المنكرات في هذا الباب: سائر الأعياد والمواسم المبتدعة، فإنها من المنكرات<sup>(١)</sup> المكروهات سواء بلغت الكراهة التحريم أو لم تبلغه. وذلك أن أعياد أهل الكتاب والأعاجم نهي عنها لسبيين:

: أن فيها مشاهمة الكفار. والثاني: أنها من البدع.

فما أحدث من المواسم والأعياد فهو منكر، وإن لم يكن فيه مشاهمة لأهل الكتاب، لوجهين:

:<sup>(٢)</sup> فيدخل فيما رواه مسلم في

صحيحه عن جابر قال: ﴿ كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته،

واشدد غضبه حتى كأنه منذر جيش. ﴾<sup>(٣)</sup> . يقول: صبحكم ومساكم، ويقول:

﴿ بعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين أصبعين السبابة والوسطى ﴾<sup>(٤)</sup> ، ويقول:

﴿ أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها،

وكل بدعة ضلالة ﴾<sup>(٥)</sup> (١) وفي رواية للنسائي<sup>(٢)</sup> ﴿ وكل ضلالة في النار ﴾<sup>(٣)</sup> (٤) .

---

(١) المنكرات : سقطت من (أ ط) .

(٢) في (د) : والمحدثات .

(٣) مسلم الجمعة (٨٦٧) ، ابن ماجه المقدمة (٤٥) .

(٤) مسلم الجمعة (٨٦٧) ، ابن ماجه المقدمة (٤٥) .

(٥) مسلم الجمعة (٨٦٧) ، النسائي صلاة العيدين (١٥٧٨) ، ابن ماجه المقدمة (٤٥) ، الدارمي المقدمة (٢٠٦)

وفيما رواه أيضا في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد ﴾<sup>(٥) (٦)</sup> . وفي لفظ في الصحيحين: ﴿ من أحدث في أمرنا (هذا) ما ليس منه فهو رد ﴾<sup>(٧) (٨)</sup> .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أهل السنن عن العرباض بن سارية<sup>(٩)</sup> عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ إنه<sup>(١٠)</sup> من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور،

- 
- (١) صحيح مسلم ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، الحديث رقم (٨٦٧) ، (٣ / ٥٩٢) ، وللحديث بقية منها : " أنا أولى بكل مؤمن من نفسه) . . إلخ .
- (٢) في (أ) : وفي رواية النسائي .
- (٣) النسائي صلاة العيدين (١٥٧٨) .
- (٤) لم أحدها في السنن الصغرى والمطبوعة ، فلعلها في السنن الكبرى .
- (٥) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأفضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (١٤٦/٦) .
- (٦) صحيح مسلم ، كتاب الأفضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ، الحديث رقم (١٧١٨) ، (١٨) من أحاديث الباب (٣ / ١٣٤٣ ، ١٣٤٤) .
- (٧) البخاري الصلح (٢٥٥٠) ، مسلم الأفضية (١٧١٨) ، أبو داود السنة (٤٦٠٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٤) ، أحمد (٢٧٠/٦) .
- (٨) صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ، الحديث رقم (٢٦٩٧) ، (٥ / ٣٠١) من فتح الباري ، وصحيح مسلم ، الحديث بالرقم السابق (١٧١٨) ، (١٧) وجعلت (هذا) بين قوسين لأنها لا توجد في النسخ المخطوطة فأثبتها من رواية الصحيحين المشار إليها هنا ، وتوجد في المطبوعة كذلك .
- (٩) هو الصحابي الجليل : العرباض بن سارية السلمى ، أبو نجیح ، من أوائل الصحابة إسلامًا ، ومن أهل الفقه ، ومن نزل فيهم قوله تعالى : " وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ " نزل حمص بعد الفتوح ، توفي سنة (٧٥ هـ) . انظر : الإصابة (٢ / ٤٧٣) ، (ت٥٥٠١) .
- (١٠) أنه : سقطت من (ب ط) .

فإن كل بدعة ضلالة ﴿١﴾ . وهذه قاعدة قد دلت عليها السنة والإجماع، مع ما في

كتاب الله من الدلالة عليها أيضا، قال تعالى ﴿٢﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا

لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴿٣﴾ فمن ندب إلى شيء يتقرب به إلى الله، أو أوجبه بقوله أو بفعله من

غير أن يشرعه الله فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله، ومن اتبعه في ذلك فقد اتخذ

شريكا لله شرع له من الدين ما لم يأذن به الله.

نعم: قد يكون متأولا في هذا الشرع فيغفر له لأجل تأويله، إذا كان مجتهدا الاجتهاد

الذي يعفى فيه عن المخطئ ويثاب أيضا على اجتهاده، لكن (٣) لا يجوز اتباعه في ذلك

كما لا يجوز اتباع سائر من قال أو عمل قولاً أو عملاً قد علم الصواب في خلافه، وإن

كان القائل أو الفاعل مأجورا أو معذورا، وقد قال سبحانه ﴿٤﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ

أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَمَا أُمُورًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۗ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥﴾ .

قال عدي بن حاتم للنبي ﷺ ﴿٦﴾ يا رسول الله ما عبدوهم قال: ما عبدوهم، ولكن

أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم ﴿٧﴾ .

(١) سنن أبي داود، كتاب السنّة، باب لزوم السنّة، الحديث رقم (٤٦٠٧)، (٥ / ١٣)، وسنن الترمذي،

كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنّة، الحديث رقم (٢٦٧٦)، وقال الترمذي: " هذا حديث حسن

صحيح " (٥ / ٤٤، ٤٥)، وسنن ابن ماجه، المقدمة، باب اتباع سنّة الخلفاء الراشدين، الحديث رقم (٤٢)

(١ / ١٥، ١٦)، ومسند أحمد (٤ / ١٢٦، ١٢٧)، وأخرجه الحاكم في المستدرک من أكثر من طريق

، قال في أحدهما: " هذا حديث صحيح ليس له علة "، وقال في آخر: " هذا إسناد صحيح على شرطهما

جميعاً، ولا أعرف له علة " . المستدرک (١ / ٩٥—٩٧) .

(٢) سورة الشورى: من الآية ٢١ .

(٣) في (ب): ولكن .

(٤) سورة التوبة: الآية ٣١ .

(٥) مرت الإشارة إلى الحديث (ص٧٨) .

فمن أطاع أحدا في دين لم يأذن به الله من تحليل أو تحريم أو استحباب أو إيجاب؛ فقد لحقه من هذا الدم نصيب، كما يلحق الأمر الناهي أيضا نصيب، ثم قد يكون كل منهما معفوا عنه لاجتهاده، ومثابا أيضا على الاجتهاد<sup>(١)</sup> فيتخلف عنه الدم لفوات شرطه أو لوجود مانعه، وإن كان المقتضي له قائما. ويلحق الدم من تبين له الحق فتركه، أو من قصر في طلبه حتى لم يتبين له، أو عرض عن طلب معرفته لهوى، أو لكسل<sup>(٢)</sup> أو نحو ذلك.

وأيضا، فإن الله عاب على المشركين شيئين:

أهم أشركوا به<sup>(٣)</sup> ما لم يتزل به سلطانا.

: تحريمهم ما لم يحرمه الله عليهم.

وبين النبي ﷺ ذلك فيما رواه مسلم، عن عياض بن حمار رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

﴿ قال الله تعالى: إني خلقت<sup>(٤)</sup> عبادي حنفاء فاجتالتهم<sup>(٥)</sup> الشياطين، وحرمت عليهم ما

أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا ﴾<sup>(٦)</sup>.

قال سبحانه ﴿ سَيَقُولُ<sup>(٧)</sup> الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا

(١) في (د) : على اجتهاده .

(٢) في (ب) : أو لشغل .

(٣) في (ب ج د) : بالله .

(٤) في المطبوعة : جعلت .

(٥) في (ب) : فاجتالهم الشيطان ، وحرم عليهم ما أحلت لهم ، وأمرهم . . الحديث . ومعنى اجتالتهم : أي حولتهم ، وحرقتهم عن الحق .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب الصفات التي يعرف بها أهل الجنة ، الحديث رقم (٢٨٦٥) ، (٤ / ٢١٩٧) ، والحديث طويل ، وجاء فيه ما أورده المؤلف ، مع اختلاف يسير في الألفاظ ، قوله : " وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحلت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا . . " الحديث .

(٧) في (أ) : وقال الذين أشركوا . . إلخ . وهذا صدر آية النحل ٣٥ . والآية التي ساقها المؤلف آية الأنعام . وهذا خلط من الناسخ .

مِنْ شَيْءٍ <sup>ج</sup> ﴿١﴾ فجمعوا بين الشرك والتحریم، والشرك يدخل فيه كل عبادة لم يأذن الله بها، فإن <sup>(٢)</sup> المشركين يزعمون أن عبادتهم إما واجبة، وإما مستحبة، وإن فعلها خير من تركها.

ثم منهم من عبد غير الله ليتقرب بعبادته إلى الله، ومنهم من ابتدع ديناً عبدوا به الله في زعمهم كما أحدثته <sup>(٣)</sup> النصارى من أنواع العبادات المحدثه.

وأصل الضلال في أهل الأرض <sup>(٤)</sup> إنما نشأ من هذين:

إما اتخاذ دين لم يشرعه الله.

أو تحريم ما لم يحرمه الله.

ولهذا كان الأصل الذي بنى الإمام أحمد وغيره من الأئمة عليه مذاهبهم أن أعمال

الخلق تنقسم إلى:

عبادات يتخذونها ديناً، ينتفعون بها في الآخرة، أو في الدنيا والآخرة <sup>(٥)</sup>.

وإلى عادات ينتفعون بها في معاشهم <sup>(٦)</sup>.

فالأصل في العبادات: أن لا يشرع منها إلا ما شرعه الله.

والأصل في العادات: أن لا <sup>(٧)</sup> يحظر منها إلا ما حظره الله.

وهذه المواسم المحدثه إنما نهى <sup>(٨)</sup> عنها لما حدث فيها <sup>(٩)</sup> من الدين الذي يتقرب به

(١) سورة الأنعام : من الآية ١٤٨ .

(٢) في (أ) : قال المشركون .

(٣) في (ط) : أحدثه .

(٤) في أهل الأرض : ساقطة من (ب) .

(٥) والآخرة : سقطت من (أ) .

(٦) وإلى عادات . . إلخ : سقطت من (أ) .

(٧) في (أ) : أن يحظر .

(٨) في (أ) : نهى الله .

(٩) في (ط) : لما حدث في الدين .

المتقربون (١) كما سنذكره إن شاء الله.

واعلم أن هذه القاعدة، وهي: الاستدلال بكون الشيء بدعة على كراهته، قاعدة عامة عظيمة، وتماها بالجواب عما يعارضها، وذلك أن من الناس من يقول: البدع تنقسم إلى قسمين: حسنة، وقبيحة؛ بدليل قول عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح: " نعمت البدعة هذه " (٢) وبدليل أشياء من الأقوال والأفعال أحدثت بعد رسول الله صلوات الله عليه وليست بمكروهة، أو هي حسنة؛ للأدلة الدالة على ذلك من الإجماع أو القياس.

وربما يضم إلى ذلك مَنْ لم يحكم أصول العلم، ما عليه كثير من الناس من كثير من العادات ونحوها، فيجعل هذا أيضا من الدلائل على حسن بعض البدع، إما بأن يجعل ما اعتاده هو ومن يعرفه إجماعا، وإن لم يعلم قول سائر المسلمين في ذلك، أو يستنكر تركه لما اعتاده (٣) بمثابة من إذا قيل لهم: تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا: حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا. وما أكثر (٤) ما قد يحتج بعض من يتميز (٥) من المنتسبين إلى علم أو عبادة، بحجج ليست من أصول العلم التي يعتمد في الدين عليها.

أن هذه النصوص الدالة على ذم البدع معارضة بما دل على حسن بعض البدع، إما من الأدلة (٦) الشرعية الصحيحة، أو من حجج بعض الناس التي يعتمد عليها بعض الجاهلين (٧) أو المتأولين في الجملة. ثم هؤلاء المعارضون لهم هنا مقامان:

: أن يقولوا إذا ثبت أن بعض البدع حسن وبعضها قبيح، فالقبيح ما نهي عنه الشارع، وما سكت عنه من البدع فليس بقبيح، بل قد يكون حسنا، فهذا مما قد يقوله

(١) المتقربون : سقطت من (أ ط) والمطبوعة .

(٢) أخرجه البخاري في قصة جمع عمر للناس على إمام واحد في صلاة التراويح ، كتاب صلاة التراويح ، باب فضل من قام رمضان ، الحديث رقم (٢٠١٠) من فتح الباري (٤ / ٢٥٠) .

(٣) في (ب) : يعتاد . وفي (ج) : يعتاده .

(٤) في (ب) : ومن أكثر ما يحتج . وفي (د) : وبأكثر ما قد يحتج .

(٥) كذا في جميع النسخ التي بين يدي (يتميز) .

(٦) في (ب) : الدلالة .

(٧) في (أ) : التي يعتمد عليها الجاهلون .

بعضهم.

: أن يقال عن بدعة معينة <sup>(١)</sup> هذه بدعة حسنة؛ لأن <sup>(٢)</sup> فيها من المصلحة

كيت وكيت، وهؤلاء المعارضون يقولون: ليست كل بدعة ضلالة.

: أما القول إن شر الأمور محدثاتها، وإن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في

النار، والتحذير من الأمور المحدثات: فهذا نص رسول الله ﷺ فلا يحل <sup>(٣)</sup> لأحد أن يدفع دلالته على ذم البدع، ومن نازع في دلالته فهو مراغم.

:

: إن ما ثبت حسنه فليس من البدع، فيبقى العموم محفوظا لا خصوص

فيه.

: ما ثبت حسنه فهو مخصوص من العموم، والعام المخصوص دليل فيما

عدا صورة التخصيص، فمن اعتقد أن بعض البدع مخصوص من هذا العموم، احتاج إلى دليل يصلح للتخصيص، وإلا كان ذلك العموم اللفظي المعنوي موجبا للنهي، ثم المخصص هو الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع، نصا واستنباطا، وأما عادة بعض البلاد أو أكثرها، أو قول كثير من العلماء أو العباد أو أكثرهم، ونحو ذلك، فليس مما يصلح أن يكون معارضا لكلام الرسول ﷺ حتى يعارض به.

ومن اعتقد أن أكثر هذه العادات المخالفة للسنن مجمع عليها، بناء على أن الأمة أقرتها، ولم تنكرها <sup>(٤)</sup> فهو مخطئ في هذا الاعتقاد، فإنه لم يزل ولا يزال في كل وقت من ينهى عن عامة العادات المحدثه المخالفة للسننة، وما يجوز دعوى الإجماع بعمل بلد أو بلاد من بلاد المسلمين، فكيف بعمل طوائف منهم؟

(١) في المطبوعة : سيئة .

(٢) في (أ) : لا فيها . أي أن نون (لأن) سقطت ، وفي (ب) : لكن فيها .

(٣) في (ب) : لا يحل .

(٤) في (أ) : ولم تنكر .

وإذا كان أكثر أهل العلم لم يعتمدوا على عمل علماء أهل المدينة وإجماعهم في (١) عصر مالك، بل رأوا السنة حجة عليهم كما هي حجة على غيرهم مع ما أوتوه من العلم والإيمان، فكيف يعتمد المؤمن العالم على عادات أكثر من اعتادها عامة، أو من قيده العامة، أو قوم مترسبون بالجهالة، لم يرسخوا في العلم، لا يعدون من أولي الأمر، ولا يصلحون للشورى؟ ولعلمهم لم يتم إيمانهم بالله وبرسوله (٢) أو قد دخل معهم فيها بحكم العادة قوم من أهل الفضل عن غير روية، أو لشبهة أحسن أحوالهم فيها أن يكونوا فيها بمنزلة المجتهدين من الأئمة والصدّيقين.

والاحتجاج بمثل هذه الحجج، والجواب عنها معلوم: أنه ليس طريقة أهل العلم، لكن لكثرة الجهالة قد يستند إلى مثلها خلق كثير من الناس، حتى من المنتسبين إلى العلم والدين، وقد يبدي ذو العلم و (٣) الدين له فيها مستندا آخر من الأدلة الشرعية، والله يعلم أن قوله بها وعمله لها (٤) ليس مستندا (٥) إلى ما أبداه من الحججة الشرعية، وإن كانت شبهة، وإنما هو مستند إلى أمور ليست مأخوذة عن الله ورسوله، من أنواع المستندات التي يستند إليها غير أولي العلم والإيمان، وإنما يذكر الحججة الشرعية حجة على غيره، ودفعاً لمن يناظره. والمجادلة المحمودة إنما هي بإبداء المدارك وإظهار الحجج التي هي مستند الأقوال والأعمال، وأما إظهار الاعتماد على ما ليس هو المعتمد في القول والعمل، فنوع من النفاق في العلم والجدل، والكلام والعمل.

وأيضاً، فلا يجوز حمل قوله ﷺ " كل بدعة ضلالة " على البدعة التي نهي عنها

(١) في (ب) : من عصر مالك .

(٢) وهذه هي حال سائر أصحاب الطرق الصوفية التي ابتليت بها أكثر بلاد المسلمين ، فإنهم بجهلهم عملوا من العبادات ما لم يأذن به الله ، وابتدعوا عوائد وأوراداً وطقوساً ليس لها أصل في الكتاب والسنة ، حتى لقد بلغ الأمر ببعضهم إلى تعمد رفض ما جاء عن الله ورسوله ، بدعوى أن شيوخهم يتلقون عن الله مباشرة ، أو عن رسول الله بعد موته في المنام ، بل واليقظة ! ومن هنا زلت أقدامهم عن الحق ، والعياذ بالله .

(٣) في (أ د ج) : أو الدين .

(٤) لها : ساقطة من (ب) .

(٥) في المطبوعة : أسقط قوله : إلى ما أبداه من الحججة الشرعية ، وكتب بدلها : آخر من الأدلة الشرعية .



بخصوصها؛ لأن هذا تعطيل لفائدة هذا الحديث، فإن ما نهى عنه من الكفر والفسوق وأنواع المعاصي، قد علم بذلك النهي أنه قبيح<sup>(١)</sup> محرم، سواء كان بدعة، أو لم يكن بدعة، فإذا كان لا منكر في<sup>(٢)</sup> الدين إلا ما نهى عنه بخصوصه، سواء كان مفعولا على عهد رسول الله ﷺ أو لم يكن، وما نهى عنه فهو منكر، سواء كان بدعة أو لم يكن، صار وصف البدعة عديم التأثير، لا يدل وجوده على القبح، ولا عدمه على الحسن، بل يكون قوله: ﴿كل بدعة ضلالة﴾<sup>(٣)</sup> بمترلة قوله: كل عادة ضلالة. أو: كل ما عليه العرب والعجم فهو ضلالة، ويراد بذلك: أن ما نهى عنه من ذلك فهو الضلالة.. وهذا تعطيل للنصوص من نوع التحريف والإلحاد، وليس من نوع التأويل السائغ، وفيه من المفساد أشياء:

: سقوط الاعتماد على هذا الحديث، فإنما علم أنه منهي عنه بخصوصه، فقد علم حكمه<sup>(٤)</sup> بذلك النهي، وما لم يعلم لا يندرج في هذا الحديث، فلا يبقى في هذا الحديث فائدة! مع كون النبي ﷺ كان يخطب به في الجمع، ويعدده من جوامع الكلم.

: أن لفظ البدعة ومعناها يكون اسما عديم التأثير، فتعليق الحكم بهذا اللفظ أو المعنى، تعليق له بما لا تأثير له، كسائر الصفات العديمة التأثير.

: أن الخطاب بمثل هذا، إذا لم يقصد إلا الوصف الآخر- وهو كونه منهيًا عنه- كتمان لما يجب بيانه، وبيان لما لم<sup>(٥)</sup> يقصد ظاهره، فإن البدعة والنهي الخاص بينهما عموم وخصوص، إذ ليس كل بدعة عنها<sup>(٦)</sup> نهى<sup>(١)</sup> خاص، وليس كل ما فيه<sup>(٢)</sup> نهى

(١) في المطبوعة : قد أبيض .

(٢) في (أ) : من الدين .

(٣) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، ابن ماجه المقدمة (٤٢) ، أحمد (١٢٦/٤) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٤) في (ط) : حكمة ذلك النهي .

(٥) لم : سقطت من (ط) .

(٦) في المطبوعة : جاء عنها .

خاص بدعة، فالتكلم بأحد الاسمين وإرادة الآخر تلبس محض، لا يسوغ للمتكلم، إلا أن يكون مدلسا، كما لو قال: (الأسود)، وعنى به الفرس، أو: الفرس، وعنى به الأسود.

(٣) : أن قوله ﴿ كل بدعة ضلالة ﴾ (٤) ، وإياكم ومحدثات الأمور، إذا أراد

بهذا ما فيه نهي خاص، كان قد أحالهم في معرفة المراد بهذا الحديث على ما لا يكاد يحيط به أحد، ولا يحيط بأكثره إلا خواص الأمة، ومثل هذا لا يجوز بحال.

: أنه إذا أريد به ما فيه النهي الخاص، كان ذلك أقل مما ليس فيه نهي خاص

من البدع، فإنك لو (٥) تأملت البدع التي نهي (٦) عنها بأعيانها، وما لم ينع (٧) عنها بأعيانها، وجدت هذا الضرب هو الأكثر، واللفظ العام لا يجوز أن يراد به الصور القليلة أو النادرة.

: توجب القطع بأن هذا التأويل فاسد، لا يجوز حمل الحديث

عليه، سواء أراد المتأول أن (٨) يعضد التأويل بدليل صارف، أو لم يعضد، فإن على المتأول (٩) بيان جواز إرادة المعنى الذي حمل الحديث عليه، من ذلك الحديث، ثم بيان الدليل الصارف له إلى ذلك.

وهذه الوجوه تمنع جواز إرادة هذا المعنى بالحديث. فهذا الجواب عن مقامهم الأول.

فيقال: هب أن البدع تنقسم إلى حسن وقبيح، فهذا القدر لا يمنع

(١) من هنا حتى قوله : فالتكلم (سطر تقريبا) : ساقط من (أ) .

(٢) في المطبوعة : جاء فيه .

(٣) في (ب) : والرابع .

(٤) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، ابن ماجه المقدمة (٤٢) ، أحمد (١٢٦/٤) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٥) في (ب) : إذا تأملت .

(٦) نهي : ساقطة من (ط) .

(٧) في (ب د) : التي لم ينع عنها .

(٨) في (أ) : أول . وهو تحريف .

(٩) في (أ) : فإن على التأويل .

أن يكون هذا الحديث دالا على قبح الجميع، لكن أكثر ما يقال: إنه إذا ثبت أن هذا حسن يكون مستثنى من العموم، وإلا فالأصل أن كل بدعة ضلالة، فقد تبين أن الجواب عن كل ما يعارض به من أنه حسن، وهو بدعة: إما أنه ليس ببدعة، وإما أنه مخصوص، فقد سلمت دلالة الحديث. وهذا الجواب إنما هو عما ثبت حسنه، فأما أمور أخرى قد يظن أنها حسنة وليست بحسنة، أو أمور يجوز أن تكون حسنة، ويجوز أن لا تكون حسنة، فلا تصلح المعارضة بها، بل يجاب عنها بالجواب المركب، وهو: إن ثبت أن هذا حسن فلا يكون بدعة، أو يكون مخصوصا، وإن لم يثبت أنه حسن فهو داخل في العموم.

وإذا عرفت أن <sup>(١)</sup> الجواب عن هذه المعارضة بأحد الجوابين، فعلى التقديرين: الدلالة من الحديث باقية، لا ترد بما ذكره <sup>(٢)</sup> ولا يحل لأحد أن يقابل هذه الكلمة الجامعة من رسول الله ﷺ الكلية، وهي قوله: ﴿كل بدعة ضلالة﴾ <sup>(٣)</sup> بسلب عمومها، وهو أن يقال ليست كل بدعة ضلالة، فإن هذا إلى مشاققة الرسول <sup>(٤)</sup> أقرب منه إلى التأويل، بل الذي يقال فيما يثبت به حسن الأعمال التي قد يقال هي بدعة: إن هذا العمل المعين مثلا ليس ببدعة، فلا يندرج في الحديث، أو إن اندرج لكنه مستثنى من هذا العموم للدليل كذا وكذا، الذي هو أقوى من العموم، مع أن الجواب الأول أجود، وهذا الجواب فيه نظر، فإن قصد التعميم المحيط ظاهر من <sup>(٥)</sup> رسول الله ﷺ بهذه الكلمة الجامعة، فلا يعدل عن مقصوده <sup>(٦)</sup> بأبي هو وأمي -عليه الصلاة والسلام-.

فأما صلاة التراويح، فليست بدعة في الشريعة، بل سنة بقول رسول الله ﷺ وفعله،

(١) في (ب) : بأن الجواب .

(٢) في (أ) : بما ذكره .

(٣) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، ابن ماجه المقدمة (٤٢) ، أحمد (١٢٦/٤) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٤) في (ب د) : إلى المشاققة أقرب .

(٥) في المطبوعة : من نص رسول الله .

(٦) في (أ ط) : مقصده .

فإنه قال: ﴿ إن الله فرض عليكم صيام رمضان، وسنتت لكم قيامه ﴾<sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup> ولا صلاحها جماعة بدعة، بل هي سنة في الشريعة، بل قد صلاحها رسول الله ﷺ في الجماعة في أول شهر رمضان ليلتين، بل ثلاثاً<sup>(٣)</sup> وصلاحها أيضاً في العشر الأواخر في جماعة مرات<sup>(٤)</sup> وقال: ﴿ إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة ﴾<sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup> كما قام بهم حتى خشوا أن يفوتهم الفلاح<sup>(٧)</sup> رواه أهل السنن. وبهذا الحديث احتج أحمد وغيره على أن فعلها في الجماعة أفضل من فعلها في حال<sup>(٨)</sup> الانفراد، وفي قوله هذا ترغيب لقيام شهر رمضان خلف الإمام، وذلك أوكد من أن يكون سنة مطلقة، وكان الناس يصلونها جماعات<sup>(٩)</sup> في المسجد على عهد ﷺ ويقرهم، وإقراره سنة منه ﷺ .

(١) النسائي الصيام (٢٢١٠) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٢٨) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ، انظر : الفتح الرباني (٩ / ٢٤٤) ؛ وابن ماجه في سننه ، كتاب إقامة الصلاة ، باب ما جاء في قيام شهر رمضان ، الحديث رقم (١٣٢٨) ، (١ / ٤٢١) ، وابن خزيمة في صحيحه في كتاب الصيام ، الباب (٢٣٥) ، الحديث رقم (٢٢٠١) ، (٣ / ٣٣٥) ، وفي إسناد هذا الحديث ، النضر بن شيبان ، ضعيف . انظر : الفتح الرباني (٩ / ٢٤٤) ، وقال فيه ابن خزيمة : فهذه اللفظة معناها صحيح من كتاب اللهوسنة نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، لا بهذا الإسناد ، فإني خائف أن يكون هذا الإسناد وهماً ، أخاف أن يكون أبو سلمة لم يسمع من أبيه شيئاً ، وهذا الخبر لم يروه عن أبي سلمة أحد أعلمه غير النضر بن شيبان (٣ / ٣٣٥) من صحيح ابن خزيمة .

(٣) بل ثلاثاً : سقطت من (ط) .

(٤) من هنا إلى قوله : وكان الناس يصلونها (بعد أربعة أسطر تقريباً) : سقطت من (ط) .

(٥) الترمذي الصوم (٨٠٦) ، النسائي السهو (١٣٦٤) ، أبو داود الصلاة (١٣٧٥) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٢٧) ، أحمد (١٦٠/٥) ، الدارمي الصوم (١٧٧٧) .

(٦) انظر : سنن الترمذي ، كتاب الصوم ، باب ما جاء في قيام شهر رمضان ، الحديث رقم (٨٠٦) ، (٣ / ١٦٩) ، وقال الترمذي فيه : " هذا حديث حسن صحيح " ، وانظر : سنن ابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء في قيام شهر رمضان ، الحديث رقم (١٣٢٧) ، (١ / ٤٢٠١) ، وصحيح ابن خزيمة ، كتاب الصيام ، باب (٢٤٠) ، الحديث رقم (٢٢٠٦) ، (٣ / ٣٣٧) ، (٣٣٨) ، ولفظه : " إنه من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة " الحديث . وفسروا الفلاح في الحديث بالسحور .

(٧) نفس التعليق السابق .

(٨) حال : سقطت من (أ) .

(٩) في المطبوعة : جماعة .

وأما قول عمر: " نعمت البدعة هذه " (١) فأكثر المحتجين بهذا لو أردنا أن نثبت حكما بقول عمر الذي لم يخالف فيه؛ لقالوا: قول الصحاب (٢) ليس بحجة، فكيف يكون حجة لهم في خلاف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

ومن اعتقد أن قول الصحاب حجة، فلا يعتقده إذا خالف الحديث.

فعلى التقديرين لا تصلح معارضة الحديث بقول الصحاب. نعم، يجوز تخصيص عموم الحديث بقول الصحاب الذي لم يخالف، على إحدى (٣) الروايتين، فيفيدهم هذا حسن تلك البدعة، أما غيرها فلا.

ثم نقول: أكثر ما في هذا تسمية عمر تلك: بدعة، مع حسنها، وهذه تسمية لغوية، لا تسمية شرعية، وذلك أن (٤) البدعة في اللغة تعم كل ما فعل ابتداء من غير مثال سابق.

وأما البدعة الشرعية: فما (٥) لم يدل عليه دليل شرعي، فإذا كان نص رسول الله ﷺ قد دل على استحباب فعل أو إيجابه (٦) بعد موته أو دل عليه مطلقا، ولم يعمل به إلا بعد موته، ككتاب الصدقة، الذي أخرجه أبو بكر رضي الله عنه فإذا عمل (٧) ذلك العمل بعد موته صح أن يسمى بدعة في اللغة؛ لأنه عمل مبتدأ (٨) كما أن نفس الدين الذي جاء به النبي ﷺ يسمى بدعة ويسمى محدثا في اللغة، كما قالت رسل قريش للنجاشي (٩) عن

(١) هذه : سقطت من (أ) .

(٢) يعني : الصحابي .

(٣) في (أ) : أحد .

(٤) في (ب) :؛ لأن .

(٥) في (ب) : فكل ما لم . وكذلك في المطبوعة .

(٦) في (أ) : أو إيجاب .

(٧) في المطبوعة : فإذا عمل أحد ذلك العمل .

(٨) في المطبوعة : مبتدع .

(٩) النجاشي : لقب يلقب به ملوك الحبشة ، كما يقال لملك الفرس : كسرى ، وملك الروم : قيصر ، ونجاشي الحبشة المعني هنا هو : أصحمة بن بحر ، وكان ملكاً صالحاً ، لبيباً ذكياً ، وعالماً عادلاً ، شهد له الرسول عليه السلام بالإسلام والصلاح ، وصلى عليه حين مات ، وهو الذي آوى المسلمين في هجرتهم للحبشة وأكرمهم ،

أصحاب النبي ﷺ المهاجرين إلى الحبشة: " إن هؤلاء خرجوا من دين آبائهم، ولم يدخلوا في دين الملك، وجاءوا بدين محدث لا يعرف " (١) .

ثم ذلك العمل الذي يدل عليه الكتاب والسنة: ليس بدعة في الشريعة، وإن سمي بدعة في اللغة، فلفظ البدعة في اللغة أعم من لفظ البدعة في الشريعة. وقد علم أن قول النبي ﷺ ﴿ كل بدعة ضلالة ﴾ (٢) (٣) لم يرد به كل (٤) عمل مبتدأ، فإن (٥) دين الإسلام، بل كل دين جاءت به الرسل فهو عمل مبتدأ، وإنما أراد: ما ابتدئ من الأعمال التي لم يشرعها هو ﷺ .

وإذا كان كذلك: فالنبي ﷺ قد كانوا يصلون قيام رمضان على عهده جماعة وفرادى؛ وقد قال لهم في الليلة الثالثة، أو الرابعة (٦) لما اجتمعوا: "إنه لم يمنعني أن أخرج إليكم إلا كراهة أن تفرض عليكم، فصلوا في بيوتكم؛ فإن أفضل صلاة المرء في بيته، إلا المكتوبة" (٧) فعّل ﷺ عدم الخروج بخشية الافتراض، فعلم بذلك أن المقتضي للخروج قائم، وأنه لولا خوف الافتراض لخرج إليهم.

ودفع عنهم أذى قريش . توفي رحمه الله سنة تسع من الهجرة ، وقيل قبل ذلك ، انظر : السيرة النبوية لابن كثير ( ٢ / ٢٩ ، ٣٠ ) .

(١) انظر : السيرة النبوية لابن كثير ( ٢ / ١٨ ) .

(٢) الترمذي العلم (٢٦٧٦) ، أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، ابن ماجه المقدمة (٤٢) ، أحمد (١٢٦/٤) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٣) ضلالة : ساقطة من (أ ط) .

(٤) كل : سقطت من (ب) .

(٥) في (د) : فإنه .

(٦) أو الرابعة : سقطت من (أ) .

(٧) أخرجه البخاري مع اختلاف يسير في كتاب الاعتصام ، باب ما يكره من كثرة السؤال ، ومن تكلف ما لا يعنيه ، الحديث رقم (٧٢٩٠) ، (١٣ / ٢٦٤) فتح الباري ، وفي كتاب صلاة التراويح ، باب فضل من قام رمضان ، الحديث رقم (٢٠١٢) ، (٤ / ٢٥٠ ، ٢٥١) فتح الباري ، وفي كتاب الجمعة ، باب (٢٩) ، الحديث رقم (٩٢٤) فتح الباري ، وفي مواضع أخرى أيضًا ، وأخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الترغيب في قيام رمضان ، الحديث رقم (٧٦١) ، (١ / ٥٢٤) ، وأخرجه أحمد في المسند (١٨٢ /

فلما كان في عهد عمر رضي الله عنه جمعهم على قارئ واحد، وأسرج المسجد، فصارت هذه الهيئة وهي اجتماعهم في المسجد على إمام واحد مع الإسراج عملاً لم يكونوا يعملونه من قبل؛ فسمي بدعة؛ لأنه في اللغة يسمى بذلك، ولم <sup>(١)</sup> يكن بدعة شرعية؛ لأن السنة اقتضت أنه عمل صالح لولا خوف الافتراض، وخوف الافتراض قد زال بموته صلى الله عليه وسلم فانتفى المعارض.

وهكذا جمع القرآن، فإن المانع من جمعه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أن الوحي كان لا يزال يتزل، فيغير <sup>(٢)</sup> الله ما يشاء ويحكم ما يريد، فلو جمع في مصحف واحد لتعسر أو تعذر تغييره كل وقت، فلما استقر القرآن بموته صلى الله عليه وسلم واستقرت الشريعة بموته صلى الله عليه وسلم أمن الناس من زيادة القرآن ونقصه، وأمّنوا من زيادة الإيجاب والتحرّيم، والمقتضي للعمل قائم بسنته صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فعمل المسلمون <sup>(٣)</sup> بمقتضى سنته، وذلك العمل من سنته، وإن كان يسمى في اللغة بدعة. وصار هذا كنفى عمر رضي الله عنه لليهود خيبر ونصارى نجران ونحوهما من أرض العرب، فإن النبي صلى الله عليه وسلم عهد بذلك في مرضه فقال: ﴿أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب﴾ <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup> وإنما لم ينفذه أبو بكر رضي الله عنه لاشتغاله عنه بقتال

(١) في المطبوعة: وإن لم .

(٢) في (ب): فيعين .

(٣) في (ط): المسلمين .

(٤) البخاري الجزية (٢٩٩٧) ، مسلم الوصية (١٦٣٧) ، أحمد (٢٢٢/١) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه بفظ: (لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، الحديث رقم (١٧٦٧) ، (٣ / ١٣٨٨) ، ونحوه الترمذي ، كتاب السير ، باب ما جاء في إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، الحديث رقم (١٦٠٧) ، (٤ / ١٥٦) . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وأبو داود في كتاب الخراج ، باب في إخراج اليهود من جزيرة العرب ، الحديث رقم (٣٠٣٠) ، (٣ / ٤٢٤) ، وفي لفظ الترمذي وأبي داود : " أترك " ، بدل : " أدع " . وانظر مسند أحمد (٣ / ٣٤٥) ، كما أخرج أحمد أيضاً عن أبي عبيدة بن الجراح قال : إن آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : (أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب) المسند (١ / ١٩٦) .

أهل الردة وبشروعه في قتال فارس والروم، وكذلك عمر لم يمكنه فعله في أول الأمر لاشتغاله بقتال فارس والروم، فلما تمكن من ذلك فعل ما أمر به النبي ﷺ .

وإن كان هذا الفعل قد يسمى بدعة في اللغة كما قال له اليهود (١) "كيف تخرجنا وقد أقرنا أبو القاسم". وكما جاءوا إلى علي (٢) ﷺ في خلافته فأرادوا منه إعادتهم وقالوا: "كتابك بخطك" (٣) فامتنع من ذلك؛ لأن ذلك الفعل (٤) كان بعهد رسول الله ﷺ وإن كان محدثا بعده، ومغيرا لما فعله هو ﷺ .

وكذلك قوله ﷺ ﴿ خذوا العطاء ما كان عطاء، فإذا كان عوضا عن دين أحدكم

فلا تأخذوه ﴾ (٥) فلما صار الأمراء يعطون مال الله لمن (٦) يعينهم على أهوائهم وإن كانت معصية، كان من امتنع من أخذه متبعا لسنة رسول الله ﷺ وإن كان ترك قبول العطاء من أولي الأمر محدثا، لكن لما أحدثوا هم (٧) أحدث لهم حكم آخر بسنة رسول الله ﷺ .

وكذلك دفعه إلى أهبان بن صيفي (٨) سيفا وقوله له: ﴿ قاتل به المشركين، فإذا

(١) في (أ ط) : اليهودي .

(٢) في (د) : إلى عثمان .

(٣) أخرج نحو هذا القاسم بن سلام ، أبو عبيد ، في كتاب الأموال ، بسنده عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن سالم بن أبي الجعد ، وفيه قولهم لعلي : (وكتابك بيدك) ، كتاب الأموال (ص ٩٨) .

(٤) في المطبوعة زاد : من عمر .

(٥) أخرجه أبو داود في سننه ، في كتاب الخراج والإمارة ، باب كراهية الاقتراض في آخر الزمان ، الحديث رقم ( ٢٩٥٨ ) ، ( ٣ / ٣٦٣ ) ، ولفظه : (يا أيها الناس خذوا العطاء ما كان عطاء ، فإذا تجاحفت قريش على الملك وكان عن دين أحدكم فدعوه) ومثله عند الطبراني في المعجم الكبير ، حديث رقم (٤٢٣٩) ، ( ٤ / ٢٨١ ) ، وقال محققه : (وهو ضعيف) . وفي سننه عند أبي داود مجهول . وأخرجه البخاري في الكبير وذكره السيوطي في الجامع الصغير ، وقال : صحيح ( ١ / ٦٠٠ ) ، رقم (٣٨٩٣) .

(٦) في (ط) : لم . وهو تحريف .

(٧) في المطبوعة زاد : ما أحدثوه .

(٨) هو الصحابي الحليل : أهبان بن صيفي الغفاري ، من بني حرام بن غفار ، وكنيته أبو مسلم ، سكن البصرة .

انظر : أسد الغاية ( ١ / ١٣٨ ) .



رأيت المسلمين قد اقتتلوا فأكسره ﴿<sup>(١)</sup>﴾ فإن كسره لسيفه وإن كان محدثا حيث لم يكن المسلمون يكسرون سيوفهم على عهد <sup>(٢)</sup> رسول الله ﷺ لكن هو بأمره ﷺ .

ومن هذا الباب قتال أبي بكر لمانعي الزكاة، فإنه وإن كان بدعة لغوية من حيث إن النبي ﷺ لم يقاتل أحدا على إيتاء الزكاة فقط، لكن لما قال: ﴿أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فإذا قالوا <sup>(٣)</sup> ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله﴾ <sup>(٤)</sup> وقد علم أن الزكاة من حقها <sup>(٥)</sup> فلم تعصم <sup>(٦)</sup> من منع الزكاة كما بينه في الحديث الآخر الصحيح ﴿حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة﴾ <sup>(٧)</sup> <sup>(٨)</sup> وهذا باب واسع.

والضابط في هذا والله أعلم أن يقال: إن الناس لا يجدثون شيئا إلا لأنهم <sup>(٩)</sup> يروونه

(١) جاء ذلك في قصة علي بن أبي طالب مع أهبان ، ذكرها أحمد في المسند (٥ / ٦٩) ، (٦ / ٣٩٣) ، وذكر ابن حجر في الإصابة (١ / ١٣٨) طرفاً من هذه القصة ، وأسانيده عند أحمد جيدة ، وليس في القصة قوله : (قاتل به المشركين) .

(٢) في (ب) : على عهده ، لكن . . إلخ . أي : إن عبارة (رسول الله صلى الله عليه وسلم) سقطت .

(٣) في (ب ج د) : فإذا قالوها . وفي المطبوعة : فإذا فعلوا ذلك .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب (٨) ، الحديث رقم (٢١) و(٣٤) من كتاب الإيمان (١ / ٥٢) ، وجاء فيه : (ويؤمنوا بي وبما جئت به ، فإذا فعلوا ذلك . . ) ، بدل : (وأن محمداً رسول الله) . وأخرجه أحمد في المسند في قصة إعطائه علياً الراية يوم خيبر ، قال علييا رسول الله علام أقاتل ؟ قال : (حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله — صلى الله عليه وعلى آله وسلم — فإذا فعلوا ذلك . . ) . الحديث . المسند (٢ / ٣٨٤) في مسند أبي هريرة .

(٥) في المطبوعة : من حق لا إله إلا الله .

(٦) في المطبوعة : فلم يعصم مجرد قولها .

(٧) البخاري الإيمان (٢٥) ، مسلم الإيمان (٢٢) .

(٨) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب (١٧) ، الحديث رقم (٢٥) من فتح الباري (١ / ٧٥) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب (٨) ، الحديث رقم (٢٢) ، (١ / ٥٣) .

(٩) في (أ) : إلا أنهم .

مصلحة إذ لو <sup>(١)</sup> اعتقدوه مفسدة لم يحدثوه فإنه لا يدعو إليه عقل ولا دين فما رآه الناس <sup>(٢)</sup> مصلحة نظر في السبب المحجج إليه: فإن كان السبب المحجج إليه أمراً حدث <sup>(٣)</sup> بعد النبي ﷺ من <sup>(٤)</sup> غير تفريط منا، فهنا قد يجوز إحداث ما تدعو الحاجة إليه، وكذلك إن "كان المقتضي لفعله قائماً على عهد رسول الله ﷺ لكن تركه النبي ﷺ لمعارض زال بموته.

وأما ما لم يحدث سبب <sup>(٥)</sup> يحوج إليه أو <sup>(٦)</sup> كان السبب المحجج إليه بعض ذنوب العباد، فهنا لا يجوز الإحداث، فكل أمر يكون المقتضي لفعله على عهد رسول الله ﷺ موجوداً، لو كان مصلحة ولم يفعل، يعلم أنه ليس بمصلحة. وأما ما حدث المقتضي له بعد موته من غير معصية الخالق فقد يكون مصلحة.

:

: أن ذلك يفعل ما لم ينه عنه، وهذا قول القائلين بالمصالح المرسلة.

: أن ذلك لا يفعل إن لم <sup>(٧)</sup> يؤمر به: وهو قول من لا يرى إثبات الأحكام

بالمصالح المرسلة، وهؤلاء ضربان:

من لا يثبت الحكم، إن لم يدخل في لفظ <sup>(٨)</sup> كلام الشارع، أو فعله، أو إقراره،

وهم نفاة القياس.

(١) في (أ) : إذا اعتقدوه .

(٢) في المطبوعة : المسلمون .

(٣) في (ب د) : أحدث .

(٤) في المطبوعة : لكن تركه النبي عليه السلام من غير تفريط منا .

(٥) في (د) : بسبب .

(٦) في (أ) : لو .

(٧) في المطبوعة : ما لم .

(٨) في المطبوعة : تحت دليل من كلام الشارع .

من يثبتته بلفظ الشارع أو بمعناه وهم القياسيون. (١)

فأما ما (٢) كان المقتضي لفعله موجودا لو كان مصلحة، وهو مع هذا لم يشرعه، فوضعه تغيير لدين الله، وإنما دخل (٣) فيه من نسب إلى تغيير الدين، من الملوك والعلماء والعباد، أو من زل منهم باجتهد، كما روي عن النبي ﷺ وغير واحد من الصحابة: ﴿إن أخوف ما أخاف عليكم زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن، وأئمة مضلون﴾ (٤) (٥).

فمثال هذا القسم: الأذان في العيدين، فإن هذا لما أحدثه بعض الأمراء، أنكره المسلمون لأنه بدعة، فلو لم يكن كونه بدعة دليلا على كراهته، وإلا لقليل: هذا ذكر لله ودعاء للخلق إلى عبادة الله، فيدخل في العمومات. كقوله تعالى: ﴿أذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (٦) وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ (٧) أو يقاس على الأذان في الجمعة، فإن الاستدلال على (٨) حسن الأذان في العيدين، أقوى من الاستدلال على حسن أكثر البدع. بل يقال: ترك رسول الله ﷺ مع وجود ما يعتقد مقتضيا، وزوال المانع، سنة، كما أن فعله

(١) في (أ ب ط) : القياسون . والقياسيون هم : القائلون بالقياس في الاستدلال واستنباط الأحكام من الأئمة والفقهاء ، ويعرف الأصوليون القياس بأنه : رد فرع إلى أصله بعللة جامعة . وذلك كرد النبيذ إلى الخمر بعللة الإسكار . انظر : شرح الكوكب المنير للفتوحى (ص ٢٧٢) .

(٢) في (ط) : فأما إن كان .

(٣) كذا في النسخ المخطوطة ، وفي المطبوعة : وإنما أدخله فيه من نسب . إلخ .

(٤) الدارمي المقدمة (٦٤٩) .

(٥) ذكر الحاكم في المستدرک نحو هذا عن معاذ بن جبل رضي الله عنه . المستدرک (٤ / ٤٢٠) ، وذكره نحوه البغوي في شرح السنة (١ / ٣١٧) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وذكر ابن مفلح في الآداب الشرعية عن يزيد بن أبي زياد ، عن مجاهد ، عن ابن عمر مرفوعاً : (إن أشد ما أتخوف على أمي ثلاث : زلة عالم ، وجدال منافق بالقرآن ، ودنيا تقطع أعناقكم فاتهموها على أنفسكم) ، ثم قال : (يزيد ضعيف ولم يترك) (٢ / ٥٢) وللحديث شواهد صحيحة .

(٦) سورة الأحزاب : من الآية ٤١ .

(٧) سورة فصلت : من الآية ٣٣ . وفي (أ) : أكمل الآية .

(٨) في (أ) : عن .

سنة. فلما أمر بالأذان في الجمعة، وصلى العيدين بلا أذان ولا إقامة، كان ترك الأذان فيهما سنة، فليس لأحد أن يزيد في ذلك، بل الزيادة في ذلك كالزيادة في أعداد الصلوات أو أعداد الركعات، أو صيام الشهر، أو الحج، فإن رجلا لو أحب أن يصلي الظهر خمس ركعات وقال: هذا زيادة عمل صالح، لم يكن له ذلك. وكذلك لو أراد أن ينصب مكاناً آخر يقصد لدعاء الله فيه وذكره، لم يكن له ذلك، وليس له أن يقول: هذه بدعة حسنة، بل يقال له كل بدعة ضلالة.

ونحن نعلم أن هذا ضلالة قبل أن نعلم نهيها خاصا عنها، أو نعلم ما فيها من المفسدة. فهذا مثال لما حدث، مع قيام المقتضي له، وزوال المانع لو كان خيرا. فإن كل ما يديه المحدث لهذا من المصلحة، أو يستدل به من الأدلة، قد <sup>(١)</sup> كان ثابتا على عهد رسول الله ﷺ ومع هذا لم يفعله رسول الله ﷺ فهذا الترك سنة خاصة، مقدمة على كل <sup>(٢)</sup> عموم وكل قياس.

ومثال ما حدثت الحاجة إليه من البدع بتفريط من الناس: تقديم الخطبة على الصلاة في العيدين، فإنه لما فعله بعض الأمراء <sup>(٣)</sup> أنكره المسلمون لأنه بدعة، واعتذر من أحدثه بأن الناس قد صاروا ينفضون قبل سماع الخطبة، وكانوا على عهد رسول الله ﷺ لا ينفضون حتى يسمعوا، أو أكثرهم.

فيقال له: سبب هذا تفريطك، فإن النبي ﷺ كان يخطبهم خطبة يقصد بها نفعهم وتبليغهم وهدايتهم، وأنت قصدك إقامة رياستك، أو إن قصدت صلاح دينهم، فلا <sup>(٤)</sup>

(١) في (ب د) : فقد .

(٢) كل : سقطت من (ط) .

(٣) الذي فعل ذلك هو : مروان بن الحكم ، كما جاء في صحيح البخاري ، كتاب العيدين ، باب الخروج إلى المصلى بغير منبر ، الحديث رقم (٩٥٦) ، ( ٢ / ٤٤٨ ، ٤٤٩ ) من فتح الباري ، وصحيح مسلم ، كتاب العيدين ، الحديث رقم (١٨٨٩) ، ( ٢ / ٦٠٥ ) .

(٤) في المطبوعة : فلست . ومعناه : أنك بفعلك هذا لا تعلمهم ما ينفعهم؛ لأن ما علمتهم — وهو : تقديم الخطبة على الصلاة في العيدين — معصية ، لأنها بدعة خالفت بها السنة ، كما أن تفريطك ابتداءً معصية .

تعلمهم ما ينفعهم، فهذه المعصية منك لا تبيح لك إحداث معصية أخرى، بل الطريق في (١)  
ذلك أن تتوب إلى الله، وتتبع سنة نبيه، وقد استقام الأمر، وإن لم يستقم فلا يسألك الله  
إلا عن عملك، لا عن عملهم.

وهذان المعنيان من فهمهما انحل عنه كثير من شبه البدع الحادثة، فإنه قد روي عن  
النبي ﷺ أنه قال: ﴿ ما أحدث قوم بدعة إلا نزع الله عنهم من السنة مثلها ﴾ (٢) (٣)  
وقد أشرت إلى هذا المعنى فيما تقدم، وبينت أن الشرائع أغذية القلوب، فمتى اغتذت  
القلوب بالبدع لم يبق فيها فضل (٤) للسنن، فتكون بمتزلة من اغتذى بالطعام الخبيث.

إنما أحدثوا أنواعا من السياسات الجائرة من أخذ أموال لا يجوز  
أخذها، وعقوبات على الجرائم لا تجوز؛ لأنهم فرطوا في المشروع من الأمر بالمعروف  
والنهي عن المنكر، وإلا فلو قبضوا ما يسوغ قبضه، ووضعوه حيث يسوغ وضعه، طالبين  
بذلك إقامة دين الله، لا رياسة نفوسهم، وأقاموا الحدود المشروعة على الشريف والوضيع،  
والقريب والبعيد، متحرين في ترغيبهم وترهيبهم للعدل الذي شرعه الله - لما احتاجوا إلى  
المكوس (٥) الموضوع، ولا إلى العقوبات الجائرة، ولا إلى من يحفظهم من العبيد  
والمستعبدين، كما كان الخلفاء الراشدون، وعمر بن عبد العزيز وغيرهم من أمراء بعض  
الأقاليم.

: إذا أقاموا كتاب الله وفقهوا ما فيه من البينات التي هي حجج الله،

وما فيه من الهدى، الذي هو العلم النافع والعمل الصالح، وأقاموا حكمة الله التي بعث (٦)

(١) في (ب) : في هذا .

(٢) أحمد (١٠٥/٤) .

(٣) الحديث مرّ تخريجه . انظر : فهرس الأحاديث .

(٤) فضل : سقطت من (أ) .

(٥) المكوس : هي الضرائب . خاصة تلك التي تأخذها الدول على البضائع الواردة من خارجها ، وهي أموال

مسلمين ، وتسمى اليوم (الجمارك) .

(٦) في (أ) : بعث الله بها .

بها رسوله ﷺ - وهي سنته - لوجدوا فيها من أنواع العلوم النافعة ما يحيط بعلم عامة الناس، ولميزوا<sup>(١)</sup> حينئذ بين الحق والمبطل من جميع الخلق، بوصف الشهادة التي<sup>(٢)</sup> جعلها الله لهذه الأمة، حيث يقول ﷻ ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾<sup>(٣)</sup> ولاستغنوا بذلك عما ابتدعه المبتدعون، من الحجج الفاسدة، التي يزعم الكلاميون<sup>(٤)</sup> أنهم ينصرون بها أصل الدين، ومن الرأي الفاسد الذي يزعم القياسيون<sup>(٥)</sup> أنهم يتمون<sup>(٦)</sup> به فروع<sup>(٧)</sup> الدين، وما كان من الحجج صحيحا ومن الرأي سديدا، فذلك له أصل في كتاب الله وسنة رسوله، فهمه من فهمه، وحرمه من حرمه.

: إذا تعبدوا بما شرع من الأقوال والأعمال ظاهرا وباطنا، وذاقوا طعم الكلم الطيب، والعمل الصالح الذي بعث الله به<sup>(٨)</sup> رسوله، وجدوا في ذلك من الأحوال الزكية، والمقامات العلية، والنتائج العظيمة، ما يغنيهم عما قد يحدث في نوعه: كالتغيير ونحوه، من السماعيات المبتدعة، الصارفة عن سماع القرآن، وأنواع من الأذكار والأوراد، لفقها بعض الناس. أو في قدره: كزيادات من التبعيدات، أحدثها من أحدثها لنقص تمسكه بالمشروع منها، وإن كان كثير من العلماء والعباد، بل والأمراء<sup>(٩)</sup> معذورا فيما أحدثه

(١) في (ب) : ليميزوا .

(٢) في (أ ب ط) : الذي جعله الله .

(٣) سورة البقرة : من الآية ١٤٣ .

(٤) الكلاميون : هم أهل الكلام والفلسفة الذين يخوضون في العقيدة وأمور الغيب وأسماء الله وصفاته بكلام يخترعونه من عندهم لم يتزله الله ولم يؤثر عن أنبيائه ، كالجهمية والمعتزلة وبعض الأشاعرة والفلاسفة وأكثر الصوفية .

(٥) في (أ ط) : القياسون : وقد عرفتهم من قبل . ولعل المؤلف هنا ذم أولئك الذين يتوسعون بالأخذ بالقياس ويستهيئون بالنصوص من الفقهاء ونحوهم .

(٦) في (ب) : متمون .

(٧) في (ط) : فروع .

(٨) في (أ ب ط) : بعث به الرسول .

(٩) في المطبوعة زاد : قد يكون .

---

لنوع اجتهاد.

أن يعرف الدليل الصحيح، وإن كان التارك له قد يكون معذورا لاجتهاده، بل قد يكون صديقا عظيما، فليس من شرط الصديق أن يكون قوله كله صحيحا، وعمله كله سنة، إذ كان يكون بمثلة النبي ﷺ. وهذا باب واسع.

والكلام في أنواع البدع وأحكامها وصفاتها، لا يتسع له هذا الكتاب، وإنما الغرض التنبيه على ما يزيل شبهة المعارضة للحديث الصحيح، الذي ذكرناه<sup>(١)</sup> والتعريف بأن النصوص الدالة على ذم البدع، مما يجب العمل بها.

---

(١) يعني — رحمه الله — حديث مسلم : (أما بعد : فإن خير الحديث) إلى قوله : (وكل بدعة ضلالة) ، الذي أورده في أول الفصل ، ثم أخذ في الرد على الشبه والمعارضات التي أثارها المخالفون .

(١)

: ما تشتمل عليه من الفساد في

الدين. واعلم أنه ليس كل أحد، بل ولا أكثر الناس يدرك فساد هذا النوع من البدع، لا سيما إذا كان من جنس العبادات المشروعة، بل أولو الألباب هم الذين يدركون بعض ما فيه من الفساد.

: اتباع الكتاب والسنة، وإن لم يدركوا ما في ذلك من المصلحة

والمفسدة، فننبه على بعض مفاستها، فمن ذلك:

أن من أحدث عملاً في يوم: كإحداث صوم أول خميس من رجب، والصلاة في ليلة تلك<sup>(٢)</sup> الجمعة، التي يسميها الجاهلون: "صلاة الرغائب"<sup>(٣)</sup> مثلاً. وما يتبع ذلك، من إحداث أطعمة وزينة، وتوسيع في النفقة، ونحو ذلك؛ فلا بد أن يتبع هذا العمل اعتقاد في القلب. وذلك لأنه لا بد<sup>(٤)</sup> أن يعتقد أن هذا اليوم أفضل من أمثاله، وأن الصوم فيه مستحب استحباباً زائداً على الخميس الذي قبله وبعده مثلاً، وأن هذه الليلة أفضل من غيرها من الجمع، وأن الصلاة فيها أفضل من الصلاة في غيرها من ليالي الجمع خصوصاً، وسائر الليالي عموماً، إذ لولا قيام هذا الاعتقاد في قلبه، أو في قلب متبوعه لما انبعث القلب لتخصيص هذا اليوم والليلة، فإن الترجيح من غير مرجح ممتنع.

وهذا المعنى قد شهد له الشرع بالاعتبار في هذا الحكم، ونص على تأثيره فهو من المعاني المناسبة المؤثرة، فإن مجرد المناسبة مع الاقتران، يدل على العلة عند من يقول بالمناسب القريب وهم<sup>(٥)</sup> كثير من الفقهاء، من أصحابنا وغيرهم. ومن لا يقول إلا بالمؤثرة فلا يكتفي بمجرد المناسبة، حتى يدل الشرع على أن مثل ذلك الوصف مؤثر في

(١) الوجه الأول مر (ص ٨٢).

(٢) تلك : ساقطة من (ط).

(٣) سيأتي الكلام عنها عندما يتعرض لها المؤلف مع غيرها من البدع الزمانية التي استحدثها الناس (ص ١٢١).

(٤) في (ب) : وذلك ولا بد .

(٥) في (ب) : وهو .



مثل ذلك الحكم، وهو قول كثير من الفقهاء أيضا، من أصحابنا وغيرهم. وهؤلاء إذا رأوا الحكم المنصوص فيه معنى قد أثر في مثل ذلك الحكم في موضع آخر، عللوا ذلك الحكم المنصوص به.

وهنا قول ثالث قاله كثير من الفقهاء من أصحابنا، وغيرهم أيضا. وهو: أن الحكم المنصوص لا يعلل إلا بوصف دل الشرع على أنه معلل به، ولا يكتفى بكونه علل به<sup>(١)</sup> نظيره أو نوعه.

وتلخيص الفرق بين الأقوال الثلاثة: أنا إذا رأينا الشارع قد نص على الحكم، ودل على علته، كما قال<sup>(٢)</sup> في الهرة: ﴿إنها ليست بنجس، إنها من الطوافين عليكم والطوافات﴾<sup>(٣)</sup> فهذه العلة تسمى المنصوصة، أو المومي إليها، علمت مناسبتها أو لم تعلم فيعمل بموجبها باتفاق الطوائف الثلاث، وإن اختلفوا: هل يسمى هذا قياسا أو لا يسمى؟

ومثاله في كلام الناس، ما لو قال السيد لغلامه: لا تدخل داري فلانا، فإنه مبتدع، أو فإنه أسود، ونحو ذلك، فإنه يفهم منه أنه لا يدخل داره من كان مبتدعا، أو من كان أسود، وهو نظير أن يقول: لا تدخل داري مبتدعا ولا أسود. ولهذا نعمل نحن بمثل هذا في باب الأيمان، فلو قال: لا لبست هذا الثوب الذي يمن به علي<sup>(٤)</sup> حث بما كانت منته مثل

(١) في (أ) : علل نظيره .

(٢) في (ب) : كما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلّم .

(٣) الترمذي الطهارة (٩٢) ، النسائي الطهارة (٦٨) ، أبو داود الطهارة (٧٥) ، ابن ماجه الطهارة وسننها (٣٦٧) ، أحمد (٣٠٣/٥) ، مالك الطهارة (٤٤) ، الدارمي الطهارة (٧٣٦) .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الطهارة ، باب سؤر الهرة ، الحديث رقم (٧٥) ، (١ / ٦٠) ، والترمذي أبواب الطهارة ، باب ما جاء في سؤر الهرة ، الحديث رقم (٩٢) ، (١ / ١٥٣ ، ١٥٤) ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه في كتاب الطهارة ، باب الوضوء بسؤر الهرة ، الحديث رقم (٣٦٧) ، (١ / ١٣١) ، وابن خزيمة في صحيحه ، كتاب الوضوء باب الرخصة في الوضوء بسؤر الهرة ، الحديث رقم (١٠٤) ، (١ / ٥٥) ، وقال المعلق (الأعظمي) : (إسناده صحيح) .

(٥) في المطبوعة زاد : فلان .

منتته، وهو يمنه <sup>(١)</sup> ونحو ذلك.

وأما إذا رأينا الشارع قد حكم بحكم ولم يذكر علته، لكن قد ذكر علة نظيره، أو نوعه. مثل: أنه جوز للأب أن يزوج ابنته الصغيرة البكر بلا إذنها. وقد رأينا جوز له الاستيلاء على مالها لكونها صغيرة، فهل <sup>(٢)</sup> يعتقد أن علة ولاية النكاح هي الصغر -مثلا-؟ كما أن ولاية المال كذلك، أم نقول: بل قد يكون للنكاح علة أخرى، وهي البكارة، -مثلا-؟ فهذه العلة هي المؤثرة، أي قد بين الشارع تأثيرها في حكم منصوص، وسكت عن بيان تأثيرها في نظير ذلك الحكم. فالفرقان الأولان يقولان بها، وهو في الحقيقة إثبات للعلة <sup>(٣)</sup> بالقياس، فإنه يقول كما أن هذا الوصف أثر في الحكم في ذلك المكان، كذلك يؤثر في هذا المكان.

والفريق الثالث لا يقول بها، إلا بدلالة خاصة، لجواز أن يكون النوع الواحد من الأحكام له علل مختلفة. ومن هذا النوع: أنه ﷺ نهي عن أن يبيع الرجل على بيع أخيه، أو يستام <sup>(٤)</sup> الرجل على سوم أخيه، أو يخطب الرجل على خطبة أخيه <sup>(٥)</sup>. فيعلل ذلك بما فيه من فساد ذات البين، كما علل به في قوله: ﴿ لا تنكح المرأة على عمتها، ولا على

(١) في المطبوعة: وهو ثمنه .

(٢) في (أ): فهلا .

(٣) في (ج د): العلة .

(٤) في المطبوعة: يسوم .

(٥) ورد في ذلك أحاديث كثيرة، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: نهي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يبيع حاضر لباد، ولا تناجشوا، ولا يبيع الرجل على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه . . ( الحديث رقم (٢١٤٠) من فتح الباري (٤ / ٣٥٣) . وجاء النهي عن هذه الأمور في أحاديث في صحيح مسلم . انظر: الحديث رقم (١٤١٢) عن ابن عمر، الحديث رقم (١٥١٥)، عن أبي هريرة (٣ / ١١٥٤)، (١١٥٥)، وكلها بروايات وألفاظ متعددة .

حالتها، فإنكم إذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم ﴿<sup>(١)</sup>﴾ <sup>(٢)</sup> وإن كان هذا المثال يظهر

التعليل فيه، ما لا يظهر في الأول، فإنما ذاك لأنه لا يظهر فيه وصف مناسب للنهي إلا هذا.

والسير دليل خاص على العلة، ونظيره من كلام الناس أن يقول: لا تعط هذا الفقير؛ فإنه مبتدع، ثم يسأله فقير آخر مبتدع، فيقول: لا تعطه، وقد <sup>(٣)</sup> يكون ذلك الفقير عدواً له <sup>(٤)</sup> فهل يحكم بأن العلة هي البدعة، أم يتردد لجواز أن تكون العلة هي العداوة؟.

وأما إذا رأينا الشارع قد حكم بحكم، ورأينا فيه وصفا مناسباً له، لكن الشارع لم يذكر تلك العلة، ولا علل بها نظير ذلك الحكم في موضع آخر، فهذا هو الوصف المناسب الغريب؛ لأنه لا نظير له في الشرع، ولا دل كلام الشارع وإيماءه عليه. فيجوز اتباعه الفريق الأول. ونفاه الآخران، وهذا إدراك لعلة الشارع بنفس عقولنا من غير دلالة منه، كما أن الذي قبله إدراك لعلة بنفس القياس على كلامه. والأول إدراك لعلة بنفس كلامه. ومع هذا: فقد تعلم علة الحكم المعين بالسير <sup>(٥)</sup> وبدلالات أخرى.

فإذا ثبتت هذه الأقسام فمسألتنا من باب العلة المنصوصة في موضع، المؤثرة في موضع آخر. وذلك: "أن النبي ﷺ نهي عن تخصيص أوقات بصلاة أو بصيام، وأباح ذلك إذا لم

(١) البخاري النكاح (٤٨٢٠)، مسلم النكاح (١٤٠٨)، الترمذي النكاح (١١٢٦)، النسائي النكاح (٣٢٩١)، أبو داود النكاح (٢٠٦٥)، ابن ماجه النكاح (١٩٢٩)، أحمد (٤٨٩/٢)، مالك النكاح (١١٢٩)، الدارمي النكاح (٢١٧٨).

(٢) أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، صدر هذا الحديث: (لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها)، الحديث رقم (١٤٠٨)، رقم (٣٧) من كتاب النكاح، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح (٢ / ١٠٢٩) من طرق وألفاظ متعددة.

(٣) وقد : سقطت من (أ ب ط).

(٤) من هنا حتى قوله : ورأينا فيه وصفاً مناسباً (سطر ونصف تقريباً) : سقطت من (ط).

(٥) في المطبوعة : بالصبر . ولعله خطأ مطبعي . والسير : قال في القاموس المحيط : (السير امتحان غور الجرح ، وغيره) ، فالسير هو : الاختبار والمتابعة . والأصوليون يعرفون السير والتقسيم بقولهم : (حصر الأوصاف وإبطال ما لا يصلح) . انظر : القاموس المحيط ، فصل السين ، باب الراء (٢ / ٤٥) ، وشرح الكوكب المنير (ص٣٠٨).

يكن على وجه التخصيص". فروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ لا تَخْصُوا <sup>(١)</sup> ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تَخْصُوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام، إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿ لا يصومن أحدكم يوم الجمعة، إلا يوماً قبله أو <sup>(٣)</sup> بعده ﴾ <sup>(٤)</sup> وهذا لفظ البخاري.

وروى البخاري عن جويرية بنت الحارث رضي الله عنها: ﴿ أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة فقال: أصمت أمس؟ قالت: لا. قال: أتريدين أن تصومي غداً؟ قالت: لا. قال: فأفطري ﴾ <sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup> .

وفي الصحيحين عن محمد بن عباد بن جعفر <sup>(٧)</sup> قال: "سألت جابر بن عبد الله، وهو يطوف بالبيت: أئهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيام يوم الجمعة؟ قال: نعم ورب هذا البيت؛

(١) في مسلم : لا تَخْصُوا .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصيام ، باب كراهة صيام يوم الجمعة منفرداً ، الحديث تابع رقم (١١٤٤) ، ورقم (١٤٨) من كتاب الصيام (٢ / ٨٠١) .

(٣) في المطبوعة : أو يوماً بعده . لكنه في البخاري كما أثبتته من النسخ الأخرى .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب صوم يوم الجمعة ، الحديث رقم (١٩٨٥) ، (٤ / ٢٣٢) من فتح الباري . وانظر : صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، باب كراهة صيام يوم الجمعة منفرداً ، الحديث رقم (١١٤٤) ، (٢ / ٨٠١) .

(٥) البخاري الصوم (١٨٨٥) ، أبو داود الصوم (٢٤٢٢) ، أحمد (١٨٩/٢) .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب صوم يوم الجمعة ، الحديث رقم (١٩٨٦) ، (٤ / ٢٣٢) من فتح الباري .

(٧) هو : محمد بن عباد بن جعفر بن رفاعة بن أمية ، المخزومي ، المكي ، ثقة أخرج له الستة ، من الطبقة الثالثة . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ١٧٤) ، (ت٣٤٧) .

وهذا <sup>(١)</sup> لفظ مسلم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ﴿ لا تصوموا يوم الجمعة وحده ﴾ <sup>(٢)</sup> رواه الإمام أحمد <sup>(٣)</sup> .

ومثل هذا ما <sup>(٤)</sup> أخرجاه في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿ لا يتقدم أحدكم رمضان بصوم يوم <sup>(٥)</sup> أو يومين، إلا أن يكون رجل كان <sup>(٦)</sup> يصوم صومه <sup>(٧)</sup> فليصم ذلك اليوم ﴾ <sup>(٨)</sup> . اللفظ للبخاري <sup>(٩)</sup> . أي يصوم عادته.

: أن الشارع قسم الأيام باعتبار الصوم ثلاثة أقسام:

\* قسم شرع تخصيصه بالصيام: إما إيجاباً كرمضان، وإما استحباباً: كيوم عرفة وعاشوراء.

\* وقسم نهي عن صومه مطلقاً: كيوم العيدين.

\* وقسم إنما نهي عن تخصيصه: كيوم الجمعة، وسرر <sup>(١٠)</sup> شعبان.

فهذا النوع لو صيم مع غيره لم يكره، فإذا خصص بالفعل نهي عن ذلك، سواء قصد

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، باب كراهة صيام يوم الجمعة منفرداً ، الحديث رقم (١١٤٣) ، ( ٢ / ٨٠١ ) ،  
، وانظر : صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب صوم يوم الجمعة ، الحديث رقم (١٩٨٤) ، ( ٤ / ٢٣٢ )  
من فتح الباري .

(٢) أحمد (٢٨٨/١) .

(٣) مسند الإمام أحمد (١ / ٢٨٨) .

(٤) ما : ساقطة من (أ) .

(٥) في (أ) : بصوم ولا يومين ، وهو خلط من الناسخ .

(٦) كان : سقطت من (د) .

(٧) هذا لفظ البخاري (صومه) . وفي (ب د) وفي المطبوعة : صوماً .

(٨) صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب لا يتقدم رمضان بصوم يوم ولا يومين ، الحديث رقم (١٩١٤) ، ( ٤ / ١٢٧ - ١٢٨ ) من فتح الباري .

(٩) في المطبوعة : قال : لفظ البخاري : (يصوم عادته) وهذا خطأ في سياق العبارة . والصحيح ما أثبتته .

(١٠) سرر شعبان : أواخره أو آخر ليلة منه . انظر : مختار الصحاح ، مادة (سرر) ، (ص٢٩٥) .

الصائم التخصيص أو <sup>(١)</sup> لم يقصده، وسواء اعتقد الرجحان، أو لم يعتقد. ومعلوم أن مفسدة هذا العمل لولا أنها موجودة في التخصيص دون غيره، لكان إما أن ينهى عنه مطلقاً: كيوم العيد، أو لا ينهى عنه كيوم عرفة <sup>(٢)</sup> وعاشوراء <sup>(٣)</sup> وتلك المفسدة ليست موجودة في سائر الأوقات <sup>(٤)</sup> وإلا لم يكن للتخصيص بالنهي فائدة. فظهر أن المفسدة تنشأ من تخصيص ما لا خصيصة له، كما أشعر به لفظ الرسول ﷺ فإن نفس الفعل المنهي عنه، أو المأمور به، قد يشتمل على حكمة الأمر أو النهي، كما في قوله: ﴿خالفوا المشركين﴾ <sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup>.

فلفظ النهي عن الاختصاص لوقت بصوم أو صلاة يقتضي أن الفساد ناشئ من جهة الاختصاص. فإذا كان يوم الجمعة يوماً فاضلاً، يستحب فيه من الصلاة والدعاء والذكر والقراءة والطهارة والطيب والزينة ما لا يستحب في غيره- كان ذلك في مظنة أن يتوهم أن صومه أفضل من غيره <sup>(٧)</sup> ويعتقد أن قيام ليلته كالصيام في نهاره، لها فضيلة على قيام غيرها من الليالي، فنهى النبي ﷺ عن التخصيص دفعاً لهذه المفسدة، التي لا تنشأ إلا من التخصيص.

وكذلك تلقي رمضان، قد يتوهم أن فيه فضلاً، لما فيه من الاحتياط للصوم، ولا فضل فيه في الشرع، فنهى النبي ﷺ عن تلقيه لذلك.

وهذا المعنى موجود في مسألتنا، فإن الناس قد <sup>(٨)</sup> يخصون هذه المواسم لاعتقادهم فيها

(١) من هنا حتى قوله: (دون غيره) بعد سطرين تقريباً، سقط من (أ).

(٢) يوم عرفة: سقطت من (ج ط).

(٣) وعاشوراء: سقطت من (أ) والمطبوعة.

(٤) في (ب): الآفات.

(٥) البخاري اللباس (٥٥٥٤)، مسلم الطهارة (٢٥٩)، الترمذي الأدب (٢٧٦٤)، أبو داود الترجل (٤١٩٩)

، أحمد (١٦/٢)، مالك الجامع (١٧٦٤).

(٦) الحديث مر: انظر: فهرس الأحاديث.

(٧) في (أ): زاد: كان. وهو خلط من الناسخ.

(٨) قد: سقطت من (أ د ط).

فضيلة. ومتى كان تخصيص الوقت بصوم، أو بصلاة، قد يقترن باعتقاد فضل ذلك، ولا فضل فيه، فهي عن التخصيص، إذ لا ينبعث التخصيص إلا عن اعتقاد الاختصاص.

ومن قال: إن الصلاة أو الصوم في هذه الليلة كغيرها، هذا اعتقادي ومع ذلك فأنا<sup>(١)</sup> أخصها، فلا بد أن يكون باعته: إما موافقة<sup>(٢)</sup> غيره، وإما اتباع العادة، وإما خوف اللوم له، ونحو ذلك، وإلا فهو كاذب.

فالداعي<sup>(٣)</sup> إلى هذا العمل لا يخلو قط من أن يكون ذلك الاعتقاد الفاسد<sup>(٤)</sup> أو باعثاً آخر غير ديني، وذلك الاعتقاد ضلال. فإننا قد علمنا يقيناً أن النبي ﷺ وأصحابه وسائر الأئمة، لم يذكروا في فضل هذا اليوم واللييلة ولا في فضل صومه بخصوصه، وفضل قيامها بخصوصها حرفاً واحداً. وأن الحديث المأثور فيها موضوع، وأنها إنما حدثت في الإسلام بعد المائة الرابعة، ولا يجوز -والحال هذه- أن يكون لها فضل، لأن ذلك الفضل إن لم يعلمه النبي ﷺ ولا أصحابه ولا التابعون، ولا سائر الأئمة، امتنع أن نعلم نحن من الدين الذي يقرب إلى الله ما لم يعلمه النبي ﷺ والصحابة، والتابعون وسائر الأئمة.

وإن علموه امتنع، مع توفر دواعيهم على العمل الصالح، وتعليم<sup>(٥)</sup> الخلق، والنصيحة لهم: - أن لا يعلموا أحداً بهذا الفضل ولا يسارع إليه واحد منهم. فإذا كان هذا الفضل المدعى، مستلزماً لعدم علم الرسول وخير القرون ببعض دين الله، أو لكتماهم وتركهم ما تقتضي شريعتهم وعاداتهم، أن لا يكتموه ولا يتركوه، وكل واحد من اللازمين منتف: إما بالشرع وإما بالعادة مع الشرع - علم انتفاء الملزوم، وهو الفضل المدعى.

العمل المبتدع - كالأعياد المحدثه - يستلزم لاعتقاد ضلال وفعل ما لا يجوز ثم هذا العمل المبتدع مستلزم: إما لاعتقاد هو ضلال في الدين، أو عمل دين لغير الله سبحانه،

(١) في (ج) : فإذا خصها .

(٢) في المطبوعة : تقليد .

(٣) في (أ) : كالداعي .

(٤) في (أ ب) : الاعتقاد فاسداً .

(٥) في (أ) : وتعلم .

والتدين بالاعتقادات الفاسدة، أو التدين لغير الله - لا يجوز.

فهذه البدع - وأمثالها - مستلزمة قطعاً، أو ظاهراً لفعل ما لا يجوز. فأقل أحوال المستلزم - إن لم يكن محرماً - أن يكون مكروهاً، وهذا المعنى سار في سائر البدع المحدثه. ثم هذا الاعتقاد يتبعه أحوال في القلب: من التعظيم، والإجلال، وتلك الأحوال أيضاً باطلة، ليست من دين الله.

ولو فرض أن الرجل قد يقول: أنا لا أعتقد الفضل فلا يمكنه مع التعبد أن يزيل الحال الذي في قلبه، من التعظيم والإجلال، والتعظيم والإجلال لا ينشأ إلا بشعور من جنس الاعتقاد، ولو أنه وهم، أو ظن أن هذا أمر ضروري، فإن النفس لو خلت عن الشعور بفضل الشيء امتنع مع ذلك أن تعظمه، ولكن قد تقوم بها خواطر متقابلة. فهو من <sup>(١)</sup> حيث اعتقاده أنه بدعة، يقتضي منه ذلك عدم تعظيمه. ومن حيث شعوره بما روى فيه، أو بفعل الناس له، أو بأن فلاناً وفلاناً <sup>(٢)</sup> فعلوه، أو بما يظهر له فيه من المنفعة - يقوم بقلبه عظيمته <sup>(٣)</sup>. فعلمت أن فعل هذه البدع يناقض الاعتقادات الواجبة، وينازع الرسل ما جاءوا به عن الله. وأنها تورث القلب نفاقاً، ولو كان نفاقاً خفيفاً.

ومثلها مثل أقوام كانوا يعظمون أبا جهل، أو عبد الله بن أبي <sup>(٤)</sup> لرياسته وماله ونسبه، وإحسانه إليهم، وسلطانه عليهم، فإذا ذمه الرسول أو بين نقصه، أو أمر بإهانتة أو قتله، فمن لم يخلص إيمانه، وإلا يبقى <sup>(٥)</sup> في قلبه منازعة بين طاعة الرسول التابعة لاعتقاده الصحيح، واتباع ما في نفسه من الحال التابع لتلك الظنون الكاذبة <sup>(٦)</sup>.

فمن تدبر هذا، علم يقيناً ما في حشو البدع من السموم المضعفة للإيمان، ولهذا قيل:

(١) من : ساقطة من (أ) .

(٢) في (أ ب) : زاد : وفلاناً . ثالثة .

(٣) في المطبوعة : بفعله وتعظيمه .

(٤) هو : عبد الله بن أبي ابن سلول ، رأس المنافقين . مرت ترجمته . انظر : فهرس الأعلام .

(٥) في (ب) : فلا بد أن يبقى في قلبه منازعة .

(٦) الكاذبة سقطت من (ط) .



إن البدع مشتقة من الكفر.

وهذا المعنى الذي ذكرته معتبر في كل ما نهى عنه الشارع، من أنواع العبادات التي لا مزية لها في الشرع -إذا جاز أن يتوهم لها مزية- كالصلاة عند القبور، أو الذبح عند الأصنام، ونحو ذلك، وإن لم يكن الفاعل معتقداً للمزية، لكن نفس الفعل قد يكون مظنة للمزية، فكما أن إثبات الفضيلة الشرعية مقصود، فرفع الفضيلة غير الشرعية مقصود أيضاً.

: هذا يعارضه أن هذه المواسم -مثلاً- فعلها قوم من أولي العلم والفضل، الصديقين فمن دونهم، وفيها فوائد يجدها المؤمن في قلبه وغير قلبه: من طهارة قلبه ورقته، وزوال آصار الذنوب عنه، وإجابة دعائه، ونحو ذلك، مع ما ينضم إلى ذلك من العمومات الدالة على فضل الصلاة والصيام، كقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ (١) وقوله ﷺ ﴿الصلاة نور﴾ (٢) (٣) (٤) ونحو ذلك.

: لا ريب أن من فعلها متأولاً مجتهداً أو مقلداً كان له أجر على حسن قصده، وعلى عمله، من حيث ما فيه من المشروع، وكان ما فيه من المبتدع مغفوراً له، إذا كان في اجتهاده أو تقليده من المعذورين، وكذلك ما ذكر فيها من الفوائد كلها، إنما حصلت لما اشتملت عليه من المشروع في جنسه: كالصوم والذكر، والقراءة، والركوع، والسجود، وحسن القصد في عبادة الله وطاعته ودعائه، وما اشتملت عليه من المكروه، انتفى موجباً

(١) سورة العلق: الآيتان ٩ ، ١٠ .

(٢) مسلم الطهارة (٢٢٣) ، الترمذي الدعوات (٣٥١٧) ، النسائي الزكاة (٢٤٣٧) ، ابن ماجه الطهارة وسنتها (٢٨٠) ، أحمد (٣٤٤/٥) ، الدارمي الطهارة (٦٥٣) .

(٣) في المطبوعة زاد : وبرهان . ولعلها زيادة من النسخ ، فلم أجد الحديث بهذه الزيادة وإنما بلفظ : (الصلاة نور ، والصدقة برهان) .

(٤) جاء ذلك في حديث رواه مسلم في كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء ، الحديث رقم (٢٢٣) ، (١ / ٢٠٣) ، وأحمد في المسند (٥ / ٣٤٣) . وأخرجه غيرهما أيضاً .

بعفو الله عنه <sup>(١)</sup> لاجتهاد صاحبها <sup>(٢)</sup> أو تقليده، وهذا المعنى ثابت في كل ما يذكر في بعض البدع المكروهة من الفائدة.

لكن هذا القدر لا يمنع كراهتها والنهي عنها، والاعتياض عنها بالمشروع، الذي لا بدعة فيه، كما أن الذين زادوا الأذان في العيدين هم كذلك، بل اليهود والنصارى يجدون في عباداتهم أيضاً فوائد، وذلك لأنه لا بد أن تشتمل عبادتهم على نوع ما، مشروع في جنسه، كما أن أقوالهم لا بد أن تشتمل على صدق ما، مأثور عن الأنبياء. ثم مع ذلك لا يوجب ذلك أن نفعل عباداتهم، أو نروي كلماتهم، لأن جميع المبتدعات لا بد أن تشتمل على شر راجح على ما فيها من الخير إذ لو كان خيرا راجحاً لما أهملتها الشريعة. فنحن نستدل بكونها بدعة على أن إثمها أكبر من نفعها، وذلك هو الموجب للنهي.

: إن إثمها قد يزول عن بعض الأشخاص لمعارض <sup>(٣)</sup>؛ لاجتهاد أو غيره، كما يزول إثم النبيذ والربا المختلف فيهما عن المجتهدين من السلف، ثم مع ذلك يجب بيان حالها، وأن لا يقتدى بمن استحلتها، وأن لا يقصر في طلب العلم المبين لحقيقتها. وهذا الدليل كاف في بيان أن هذه البدع <sup>(٤)</sup> مشتملة على مفاصد اعتقادية، أو حالة مناقضة لما جاء به الرسول ﷺ وأن ما فيها من المنفعة مرجوح لا يصلح للمعارضة.

: إذا فعلها قوم ذوو فضل ودين <sup>(٥)</sup> فقد تركها في زمان هؤلاء، معتقداً لكراهتها، وأنكرها قوم <sup>(٦)</sup> إن لم يكونوا أفضل ممن فعلها، فليسوا دونهم <sup>(٧)</sup>. ولو كانوا دونهم في الفضل فقد تنازع فيها أولو الأمر، فترد إلى الله والرسول وكتاب الله

(١) عنه : ساقطة من (أ) والمطبوعة .

(٢) في (ب) : صاحبه .

(٣) في (ج) : لعارض .

(٤) في (ب ج د) : البدعة .

(٥) ودين : ساقطة من (أ ط) والمطبوعة .

(٦) في المطبوعة زاد : كذلك وهؤلاء التاركون والمنكرون .

(٧) في المطبوعة زاد : وغير في العبارات هنا فقال : فليسوا دونهم في الفضل ، ولو فرضوا دونهم في الفضل فتكون حينئذ قد تنازع فيها أولو الأمر ، فترد إذن إلى الله والرسول . . إلخ .

وسنة رسوله مع من كرهها، لا مع من رخص فيها. ثم عامة المتقدمين الذين هم أفضل من المتأخرين مع هؤلاء<sup>(١)</sup>.

وأما ما فيها من المنفعة، فيعارضه ما فيها من مفسد البدع<sup>(٢)</sup> الراجعة:

: مع ما تقدم من المفسدة الاعتقادية والحالية: أن القلوب تستعذبها<sup>(٣)</sup> وتستغني بها عن كثير من السنن، حتى تجد كثيراً من العامة يحافظ عليها<sup>(٤)</sup> ما لا يحافظ على التراويح والصلوات الخمس.

: أن الخاصة والعامة تنقص - بسببها - عنايتهم بالفرائض والسنن، ورغبتهم فيها، فتجد الرجل يجتهد فيها، ويخلص وينيب، ويفعل فيها ما لا يفعله في الفرائض والسنن، حتى كأنه يفعل هذه<sup>(٥)</sup> عبادة، ويفعل الفرائض والسنن عادة ووظيفة، وهذا عكس الدين، فيفوته بذلك ما في الفرائض والسنن من المغفرة والرحمة والرقّة والطهارة والخشوع، وإجابة الدعوة، وحلاوة المناجاة، إلى غير ذلك من الفوائد. وإن لم يفته هذا كله، فلا بد أن يفوته كماله.

: ما في ذلك من مصير المعروف منكراً، والمنكر معروفاً<sup>(٦)</sup>. وجهالة أكثر الناس بدين المرسلين، وانتشاء<sup>(٧)</sup> زرع الجاهلية.

: اشتغالها على أنواع من المكروهات في الشريعة مثل: تأخير الفطور، وأداء

---

(١) في المطبوعة زاد: التاركين المنكرين: والإشارة في هؤلاء: إلى الذين كرهوا وأنكروا البدع في العبادات وغيرها.

(٢) البدع: ساقطة من (أ).

(٣) في (ب د): تستعد لها.

(٤) قوله: عليها ما لا يحافظ: سقطت من (ط).

(٥) الإشارة إلى البدع التي هي موضوع الكلام هنا.

(٦) في المطبوعة زاد: وما يترتب على ذلك.

(٧) الانتشاء: من النشوة وهو النشاط. لذلك يقال للسكران إذا سكر: انتشى. وانتشى بالشيء: عاوده مرة بعد أخرى. انظر: القاموس المحيط، فصل النون، باب الواو والياء (٤ / ٣٩٨)، فالمقصود بانتشاء زرع الجاهلية: نشاطه وعودته بنشوة وقوة بعد ما انكمش بظهور الإسلام.

العشاء الآخرة بلا قلوب حاضرة، والمبادرة إلى تعجيلها، والسجود بعد السلام لغير سهو، وأنواع من الأذكار ومقاديرها لا أصل لها <sup>(١)</sup> إلى غير ذلك من المفاسد التي لا يدركها إلا من استنارت بصيرته، وسلمت سريرته.

: مسارقة <sup>(٢)</sup> الطبع إلى الانحلال من ربة الاتباع وفوات سلوك الصراط المستقيم، وذلك أن النفس فيها نوع من الكبر، فتحب أن تخرج من العبودية والاتباع بحسب الإمكان، كما قال أبو عثمان النيسابوري <sup>(٣)</sup> رحمه الله: ما ترك أحد شيئاً من السنة إلا لكبر في نفسه ثم هذا مظنة لغيره، فينسلخ القلب عن حقيقة اتباع الرسول ﷺ ويصير فيه من الكبر وضعف الإيمان ما يفسد عليه دينه، أو يكاد، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

: ما تقدم التنبيه عليه في أعياد أهل الكتاب من المفاسد التي توجد في كلا النوعين المحدثين، النوع الذي فيه مشاهمة، والنوع الذي لا مشاهمة فيه. والكلام في ذم البدع لما كان مقرراً في هذا الموضوع <sup>(٤)</sup> لم نطل النفس في تقريره، بل نذكر بعض أعيان هذه المواسم.

(١) في (ب ط) : له .

(٢) المسارقة هي : طلب الغفلة . قال في القاموس المحيط : (وهو يسارق النظر إليه ، أي : يطلب غفلة لينظر إليه ، وانسرق : فتر وضعف . وعنهم : خنس ليذهب) . القاموس المحيط ، فصل السين ، باب القاف (٣ / ٢٥٣) . والمقصود بمسارقة الطبع هنا : طلبه غفلة من القلب حين يغفل أو يضعف إيمانه ، لأن الطبع ميال للانحلال ما لم يعتصم بتقوى الله ورجاء ثوابه وخوف عقابه .

(٣) هو : الإمام إسماعيل بن عبد الرحمن النيسابوري ، أبو عثمان ، الصابوني الشافعي ، حافظ واعظ مفسر ، من أئمة السنة ، توفي سنة (٤٤٩هـ) ، وعمره (٧٧) سنة . انظر : شذرات الذهب (٣ / ٢٨٢) ، والبداية والنهاية (١٢ / ٧٦) .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى (١١ / ٤٤٥ — ٤٧٥) ، (٢٠ / ١٠٣ — ١٠٥) .

قد تقدم أن العيد يكون اسماً لنفس المكان، ولنفس الزمان، ولنفس الاجتماع. وهذه الثلاثة قد أحدث منها أشياء:

أما الزمان فثلاثة أنواع، ويدخل فيها بعض بدع أعياد المكان والأفعال:

: ولم يكن له ذكر في السلف، ولا جرى فيه ما يوجب تعظيمه: مثل أول خميس من رجب<sup>(١)</sup> وليلة تلك الجمعة التي تسمى الرغائب<sup>(٢)</sup> فإن تعظيم هذا اليوم والليلة، إنما حدث في الإسلام بعد المائة الرابعة، وروي فيه حديث موضوع باتفاق العلماء، مضمونه: فضيلة صيام ذلك اليوم وفعل هذه الصلاة، المسماة عند الجاهلين بصلاة الرغائب<sup>(٣)</sup> وقد ذكر ذلك بعض المتأخرين من العلماء من الأصحاب وغيرهم.

والصواب الذي عليه المحققون من أهل العلم: النهي عن أفراد هذا اليوم<sup>(٤)</sup> بالصوم، وعن هذه الصلاة المحدثة، وعن كل ما فيه تعظيم لهذا اليوم من صنعة الأتعمة، وإظهار الزينة، ونحو ذلك حتى يكون هذا اليوم بمرتبة غيره من الأيام، وحتى لا يكون له مزية أصلاً.

وكذلك يوم آخر في وسط رجب، يصلى فيه صلاة تسمى صلاة أم داود<sup>(٥)</sup> فإن

(١) انظر: تبيين العجب فيما ورد في فضل رجب، لابن حجر العسقلاني (ص ٢٣).

(٢) انظر: ما قاله العلماء عن هذه الصلاة المزعومة وما ورد فيها من الحديث الموضوع في: تبيين العجب فيما ورد في فضل رجب، رسالة لابن حجر العسقلاني (مطبوعة) تصحيح الشيخ عبد الله الجبرين، والنتار المنيف لابن القيم (ص ٩٥) (تحقيق أبو غدة)، واللائئ المصنوعة (٢ / ٥٦-٥٥).

(٣) نفس التعليق السابق.

(٤) في (٥): النوع.

(٥) لعلها الصلاة المذكورة في ليلة النصف من رجب. انظر: اللآئئ المصنوعة (٢ / ٥٧).

تعظيم هذا اليوم لا أصل له في الشريعة أصلاً.

(١) : ما جرى فيه حادثة كما كان يجري في غيره، من غير أن يوجب ذلك جعله موسمًا، ولا كان السلف يعظمونه: كثامن عشر ذي الحجة الذي خطب النبي ﷺ فيه بغدير خم مرجعه من حجة الوداع، فإنه ﷺ خطب فيه خطبة وصى فيها باتباع كتاب الله، ووصى فيها بأهل بيته كما روى ذلك مسلم في صحيحه (٢) عن زيد بن أرقم رضي عنه (٣). فزاد بعض أهل الأهواء في ذلك حتى زعموا أنه عهد إلى علي رضي عنه بالخلافة بالنص الجلي، بعد أن فرش له، وأقعدته على فراش عالية، وذكروا كلامًا وعملاً قد علم بالاضطرار أنه لم يكن من ذلك شيء، وزعموا أن الصحابة تمالئوا على كتمان هذا النص، وغضبوا الوصي حقه، وفسقوا وكفروا، إلا نفرًا قليلًا.

والعادة التي جبل الله عليها بني آدم، ثم ما كان القوم عليه من الأمانة (٥) والديانة، وما أوجبه شريعتهم من بيان الحق يوجب العلم اليقيني بأن مثل هذا ممتنع (٦) كتمانها. وليس الغرض الكلام في مسألة الإمامة، وإنما الغرض أن اتخذ هذا اليوم عيدًا محدث لا أصل له، فلم يكن في السلف لا من أهل البيت ولا من غيرهم—من اتخذ ذلك اليوم عيدًا، حتى يحدث فيه أعمالًا. إذ الأعياد شريعة من الشرائع، فيجب فيها الاتباع، لا الابتداع.

(١) يعني من الأعياد الزمانية .

(٢) جاء ذلك في حديث طويل أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل علي بن أبي طالب بالحديث رقم (٢٤٠٨) ، (٤ / ١٨٧٣) ، وقد جاء فيه : (وأهل بيته ، أذكركم الله في أهل بيته) كررها ثلاث مرات .

(٣) هو الصحابي الجليل : زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان الخزرجي ، حضر الخندق — وهي أول مشاهدته — مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، لأنه يوم أحد استصغره وردده ، وشهد سبع عشرة غزوة . وهو الذي أخبر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بقول المنافق عبد الله بن أبي " لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ " وأنزل الله تصديقه في سورة المنافقون ، وشهد صفين مع علي ، ومات بالكوفة سنة (٦٦هـ) . انظر : الإصابة (١ / ٥٦٠) ، (ت ٢٨٧٣) .

(٤) في (أ) : بنو .

(٥) قوله : من الأمانة والديانة : سقط من (أ د ط) .

(٦) في (ج د) : يمتنع .

وللنبي ﷺ خطب وعهود ووقائع في أيام متعددة: مثل يوم بدر، وحنين، والخندق، وفتح مكة، ووقت هجرته، ودخوله المدينة، وخطب له متعددة يذكر فيها قواعد الدين. ثم لم يوجب ذلك أن يتخذ أمثال تلك الأيام أعياداً. وإنما يفعل مثل هذا النصرى الذين يتخذون أمثال أيام حوادث عيسى عليه السلام أعياداً، أو اليهود، وإنما العيد شريعة، فما شرعه الله اتبع. وإلا لم يحدث في الدين ما ليس منه.

وكذلك ما يحدثه بعض الناس، إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام، وإما محبة للنبي ﷺ وتعظيمًا. والله قد يثيبهم<sup>(١)</sup> على هذه المحبة والاجتهاد، لا على البدع- من اتخاذ مولد النبي ﷺ عيداً. مع اختلاف الناس في مولده. فإن هذا لم يفعله السلف، مع قيام المقتضى له وعدم المانع منه لو كان خيراً. ولو كان هذا خيراً<sup>(٢)</sup> محضاً، أو راجحاً لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيمًا له منا، وهم على الخير أحرص.

وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعتة وطاعته واتباع أمره، وإحياء سنته باطنًا وظاهرًا، ونشر ما بعث به، والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان. فإن هذه<sup>(٣)</sup> طريقة السابقين الأولين، من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان. وأكثر هؤلاء الذين تجدهم حراساً<sup>(٤)</sup> على أمثال هذه البدع، مع ما لهم من حسن القصد، والاجتهاد الذين<sup>(٥)</sup> يرجى لهم بهما المثوبة، تجدهم فاترين في<sup>(٦)</sup> أمر الرسول، عما أمروا بالنشاط فيه، وإنما هم بمثلة من يحلي المصحف ولا يقرأ فيه، أو يقرأ فيه ولا يتبعه وبمثلة من يزخرف المسجد، ولا

(١) في (ب) : يشتهم .

(٢) في المطبوعة : اختلاف في العبارة . راجع : (ص ٢٩٥) سطر (٢) من المطبوعة .

(٣) في (ب) : هذا .

(٤) في المطبوعة : حرصاء .

(٥) كذا في (ط) : (الذين) ، ولعل المراد (الَّذِينَ) للمثنى . وفي باقي النسخ : (الذي) .

(٦) في (ب) : عن . وفي (ط) : من .

يصلي فيه، أو يصلي فيه قليلاً، وبمترلة من يتخذ المساييح<sup>(١)</sup> والسجادات المزخرفة، وأمثال هذه الزخارف الظاهرة التي لم تشرع، ويصحبها من الرياء والكبر، والاشتغال عن المشروع ما يفسد حال صاحبها، كما جاء في الحديث: ﴿ما ساء عمل أمة قط إلا زخرفوا مساجدهم﴾<sup>(٢)</sup> (٣).

واعلم أن من الأعمال ما يكون فيه خير، لاشتماله على أنواع من المشروع، وفيه أيضاً شر، من بدعة وغيرها، فيكون ذلك العمل خيراً<sup>(٤)</sup> بالنسبة إلى [ما اشتمل عليه من أنواع المشروع وشرّاً بالنسبة إلى ما اشتمل عليه من] الإعراض عن الدين بالكلية كحال المنافقين والفاسقين<sup>(٥)</sup> وهذا قد ابتلى به أكثر<sup>(٦)</sup> الأمة في الأزمان المتأخرة، فعليك هنا بأدبين:

: أن يكون حرصك على التمسك بالسنة باطناً وظاهراً، في خاصتك وخاصة من يطيعك. وأعرف المعروف وأنكر المنكر.

: أن تدعو الناس إلى السنة بحسب الإمكان فإذا رأيت من يعمل هذا ولا يتركه إلا إلى شر منه، فلا تدعو إلى ترك منكر بفعل ما هو أنكرك منه، أو بترك واجب أو مندوب تركه أضرم من فعل ذلك المكروه، ولكن إذا كان في البدعة من الخير، فعوض عنه من

---

(١) المساييح جمع مسبحة، وسبحة، وهي خرزات يُسَبَّحُ بها. انظر: مختار الصحاح، مادة (س ب ح)، (ص ٢٨٢)، ويزعم الذين يستخدمون المساييح أنها تعينهم على ضبط عد التسييح والذكر، لكن المتصوفة يضيفون عليها شيئاً من القداسة والتبرك والاعتقادات الباطلة، ويكاد بعضهم لا يذكر الله ويسبحه دون اصطحابها، مع أنها مبتدعة لا أصل لها في دين الله، لا سيما إذا اعتقد فيها فضيلة.

(٢) ابن ماجه المساجد والجماعات (٧٤١).

(٣) الحديث أخرجه ابن ماجه، في كتاب المساجد، باب تشييد المساجد، الحديث رقم (٧٤١)، (١ / ٢٤٤، ٢٤٥)، وقال السيوطي في الجامع الصغير (٢ / ٤٩٧): (حديث حسن)، الحديث رقم (٧٩١٨).

(٤) في المطبوعة: شرّاً. وهو قلب للمعنى المراد.

(٥) ما بين المعكوفين أثبتته من (ب) فقط، وسقط من بقية النسخ والمطبوعة.

(٦) في (أ): والفاسدين.

(٧) في (أ): كثير.



الخير<sup>(١)</sup> المشروع بحسب الإمكان، إذ النفوس لا تترك شيئاً إلا بشيء، ولا ينبغي لأحد أن يترك خيراً إلا إلى مثله أو إلى خير منه، فإنه كما أن الفاعلين لهذه البدع معيون قد أتوا مكروهاً، فالتاركون أيضاً للسنن مذمومون، فإن منها ما يكون واجباً على الإطلاق، ومنها ما يكون واجباً على التقييد، كما<sup>(٢)</sup> أن الصلاة النافلة لا تجب. ولكن من أراد أن يصلحها يجب عليه<sup>(٣)</sup> أن يأتي بأركانها، وكما يجب على من أتى الذنوب من الكفارات والقضاء والتوبة والحسنات الماحية، وما يجب على من كان إماماً، أو قاضياً، أو مفتياً، أو والياً من الحقوق، وما يجب على طالبي العلم، أو نوافل العبادة من الحقوق.

: ما يكره المداومة على تركه كراهة شديدة.

: ما يكره تركه أو يجب فعله على الأئمة دون غيرهم وعامتها يجب تعليمها

والحض عليها والدعاء إليها.

وكثير من المنكرين لبدع العبادات والعادات تجدهم مقصرين في فعل السنن من ذلك، أو الأمر به. ولعل حال كثير منهم يكون أسوأ من حال من يأتي بتلك العبادات المشتملة على نوع من الكراهة. بل الدين هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا قوام لأحدهما إلا بصاحبه، فلا ينهى عن منكر إلا ويؤمر بمعروف يغني عنه كما يؤمر بعبادة الله سبحانه، وينهى عن عبادة ما سواه، إذ رأس الأمر شهادة أن لا إله إلا الله، والنفوس خلقت لتعمل، لا لتترك، وإنما الترك مقصود لغيره، فإن لم يشتغل بعمل صالح، وإلا لم يترك العلم السيئ، أو الناقص، لكن لما كان من الأعمال السيئة ما يفسد عليها العمل الصالح، نهيت عنه حفظاً للعمل الصالح.

فتعظيم المولد، واتخاذة موسماً، قد يفعله بعض الناس، ويكون له فيه<sup>(٤)</sup> أجر عظيم

لحسن قصده، وتعظيمه لرسول الله ﷺ كما قدمته لك أنه يحسن من بعض الناس، ما

(١) قوله : فعوض عنه من الخير : ساقطة من (د) .

(٢) كما : ساقطة من (أ) .

(٣) عليه : سقطت من (ج د) .

(٤) في : سقطت من (أ) .

يستقبح من المؤمن المسدد. ولهذا قيل للإمام أحمد عن بعض الأمراء: إنه أنفق على مصحف ألف دينار، أو نحو ذلك فقال: دعهم، فهذا أفضل ما أنفقوا فيه الذهب، أو كما قال. مع أن مذهبه أن زخرفة المصاحف مكروهة. وقد تأول بعض الأصحاب أنه أنفقها في تجويد<sup>(١)</sup> الورق والخط. وليس مقصود أحمد هذا، إنما قصده أن هذا العمل فيه مصلحة، وفيه أيضًا مفسدة كره لأجلها. فهؤلاء إن لم يفعلوا هذا، وإلا اعتاضوا بفساد<sup>(٢)</sup> لا صلاح فيه، مثل أن ينفقها في كتاب من كتب الفجور: من كتب الأسمار أو الأشعار، أو حكمة فارس والروم.

فتفطن لحقيقة الدين، وانظر ما اشتملت عليه الأفعال من المصالح الشرعية، والمفاسد، بحيث تعرف ما مراتب المعروف، ومراتب المنكر، حتى تقدم أهمها عند الازدحام، فإن هذا حقيقة العلم بما جاءت به الرسل، فإن التمييز بين جنس المعروف، وجنس المنكر، أو جنس الدليل، وغير الدليل، يتيسر كثيرًا.<sup>(٣)</sup>

فأما مراتب المعروف والمنكر، ومراتب الدليل، بحيث يقدم عند التزاحم أعرف المعروفين<sup>(٤)</sup> وينكر أنكر المنكرين، ويرجح أقوى الدليلين، فإنه هو خاصة العلماء بهذا الدين.

:

: العمل الصالح المشروع الذي لا كراهة فيه.

<sup>(٥)</sup> العمل الصالح من بعض وجوهه، أو أكثرها إما لحسن القصد، أو لاشتماله مع ذلك على أنواع من المشروع.

(١) في المطبوعة: بتجديد.

(٢) في المطبوعة: بالفساد الذي لا صلاح فيه.

(٣) انظر: رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للمؤلف. طبعت مستقلة في كتاب بتحقيق صلاح الدين المنجد. وانظر: مجموع الفتاوى (٢٨ / ١٢١ - ١٧١)، للمؤلف أيضًا.

(٤) في المطبوعة زاد: فندعو إليه.

(٥) في (د): والثاني.

(١) ما ليس فيه صلاح أصلاً: إما لكونه تركاً للعمل الصالح مطلقاً، أو لكونه عملاً فاسداً محضاً.

: فهو سنة رسول الله ﷺ باطنها وظاهرها، قولها وعملها، في الأمور العلمية والعملية مطلقاً، فهذا هو الذي يجب تعلمه وتعليمه، والأمر به وفعله على حسب مقتضى الشريعة، من إيجاب واستحباب، والغالب على هذا الضرب: هو أعمال السابقين الأولين، من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان.

: فهي كثيرة جداً في طرق المتأخرين من المنتسبين إلى علم أو عبادة، ومن العامة أيضاً، وهؤلاء خير ممن لا يعمل عملاً صالحاً مشروعاً، ولا غير مشروع، أو من يكون عمله من جنس المحرم: كالكفر والكذب والخيانة، والجهل. ويندرج في هذا أنواع كثيرة.

فمن تعبد ببعض هذه العبادات المشتملة على نوع من الكراهة: كالوصال في الصيام، وترك جنس الشهوات (٢) ونحو ذلك، أو قصد إحياء ليالٍ لا خصوص لها: كأول ليلة من رجب، ونحو ذلك، قد يكون حاله خيراً من حال البطلان (٣) الذي ليس فيه حرص على عبادة الله وطاعته. بل كثير من (٤) هؤلاء الذين ينكرون هذه الأشياء، زاهدون في جنس عبادة الله: من العلم النافع، والعمل الصالح، أو في أحدهما - لا يجونها ولا يرغبون فيها، لكن (٥) لا يمكنهم ذلك في المشروع، فيصرفون قوتهم إلى هذه الأشياء، فهم بأحوالهم منكرون للمشروع وغير المشروع، وبأقوالهم لا يمكنهم إلا إنكار غير المشروع.

ومع هذا: فالمؤمن يعرف المعروف وينكر المنكر، ولا يمنعه من ذلك موافقة بعض

(١) في (أ ب د) : والثالث .

(٢) أي المباحة التي لم يؤمر بتركها .

(٣) قال في مختار الصحاح : وبطل الأجير يبطل ، بالضم ، بطالة بالفتح ، أي تعطل ، فهو بطال . مختار الصحاح ، مادة ( ب ط ل ) ، (ص ٥٦) . فهي بمعنى الكسول عن عبادة الله وطاعته .

(٤) من : سقطت من (أ) .

(٥) لكن : سقطت من (ب) .

المنافقين له، ظاهرًا في الأمر بذلك المعروف، والنهي عن ذلك المنكر، ولا مخالفة بعض علماء المؤمنين. فهذه الأمور وأمثالها مما ينبغي معرفتها، والعمل بها.

(١) : كيوم عاشوراء، ويوم عرفة، ويومي العيدين والعاشر<sup>(٢)</sup> الأواخر من شهر رمضان والعاشر الأول من ذي الحجة، وليلة الجمعة ويومها، والعاشر الأول من<sup>(٣)</sup> المحرم، ونحو ذلك من الأوقات الفاضلة. فهذا الضرب قد يحدث فيه ما يعتقد أن له فضيلة، وتوابع ذلك، ما يصير منكراً ينهى عنه. مثل ما أحدث بعض أهل الأهواء، في يوم عاشوراء، من التعطش، والتحنن والتجمع<sup>(٤)</sup> وغير ذلك من الأمور المحدثه التي لم يشرعها الله تعالى ولا رسوله ﷺ ولا أحد من السلف، لا من أهل بيت رسول الله ﷺ ولا من غيرهم<sup>(٥)</sup> لكن لما أكرم الله فيه سبط نبيه<sup>(٦)</sup> أحد سيدي شباب<sup>(٧)</sup> أهل الجنة، وطائفة من أهل بيته، بأيدي الفجرة الذين أهانهم الله<sup>(٨)</sup> وكانت هذه مصيبة عند المسلمين، يجب أن تتلقى بما يتلقى به المصائب، من الاسترجاع المشروع<sup>(٩)</sup> فأحدث بعض أهل البدع، في مثل هذا اليوم خلاف ما أمر الله به عند المصائب، وضموا إلى ذلك من الكذب والوقيعه في الصحابة، البراء من فتنة

(١) هذا هو النوع الثالث من الأعياد الزمانية، والأول مضى ص ١٢١ والثاني ص ١٢٢ .

(٢) العشر : ساقطة من (أ) .

(٣) قوله : والعاشر الأول من المحرم : سقطت من (أ ط د) .

(٤) في (ب) : التجميع .

(٥) إنما تفعل ذلك الرافضة .

(٦) يقصد إكرامه بالشهادة حيث قتل شهيداً .

(٧) قد جاء ذلك في حديث أخرجه الترمذي عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) ، وقال الترمذي : (هذا حديث حسن صحيح) . انظر : سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب مناقب الحسن والحسين ، الحديث رقم (٣٧٦٨) ، (٥ / ٦٥٦) ، ومسنند أحمد (٣ / ٣) .

(٨) انظر : تفاصيل القصة كما رواها ابن كثير في البداية والنهاية (٨ / ١٧٢ - ١٩٨) ، وأشار إليها المؤلف في مجموع الفتاوى (٢٥ / ٣٠٦ - ٣٠٧) .

(٩) من ذلك قوله تعالى في وصف المؤمنين : " الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ " سورة البقرة : الآية ١٥٦ .

الحسين عليه السلام وغيرها، أموراً أخرى، مما يكرهها الله ورسوله، وقد روي عن فاطمة بنت الحسين <sup>(١)</sup> عن أبيها الحسين <sup>(٢)</sup> بن علي رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ من أصيب بمصيبة، فذكر مصيبتة، فأحدث استرجاعاً، وإن تقادم عهدها، كتب الله له من الأجر مثلها يوم أصيب ﴾ <sup>(٣)</sup> رواه أحمد وابن ماجه <sup>(٤)</sup> .

فتدبر كيف روى مثل هذا الحديث الحسين عليه السلام وعنه <sup>(٥)</sup> بنته التي شهدت مصابه!  
وأما اتخاذ أمثال أيام المصائب مآتم <sup>(٦)</sup> فهذا ليس في دين المسلمين، بل هو إلى دين الجاهلية أقرب.

ثم فوتوا <sup>(٧)</sup> بذلك ما في صوم هذا اليوم من الفضل، وأحدث بعض الناس فيه أشياء مستندة إلى أحاديث موضوعة، لا أصل لها، مثل: فضل الاغتسال فيه، أو التكحل، أو المصافحة <sup>(٨)</sup> وهذه الأشياء ونحوها، من الأمور المبتدعة، كلها مكروهة، وإنما المستحب صومه.

(١) هي : بنت الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمية المدينة ، وهي زوجة الحسن بن الحسن بن علي ، ثقة من الطبقة الرابعة ، ماتت بعد المائة وهي مسنة . انظر : تقريب التهذيب ( ٢ / ٦٠٩ ) ، ( ت ٥ ) .

(٢) هو : الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي ، سبط رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وربحانته ، وابن بنته فاطمة ، وكان كثير الشبه به ، وحضر مع أبيه الجمل وصفين ، وقتال الخوارج ، وفي سنة ( ٦١ هـ ) ، خرج من المدينة قاصداً الكوفة لأخذ البيعة من أهلها لكنهم خذلوه ، وقتله جيش عبيد الله بن زياد بكرلاء ، فقتل بها يوم عاشوراء من سنة ( ٦١ هـ ) . انظر : الإصابة ( ١ / ٣٣٢ — ٣٣٥ ) .

(٣) ابن ماجه ما جاء في الجنائز ( ١٦٠٠ ) ، أحمد ( ١ / ٢٠١ ) .

(٤) انظر : مسند الإمام أحمد ( ١ / ٢٠١ ) ، وسنن ابن ماجه ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في الصبر على المصيبة ، الحديث رقم ( ١٦٠٠ ) ، ( ١ / ٥١٠ ) .

(٥) في ( ب ) : وعن بنته .

(٦) المآتم جمع مآتم ، وقال في مختار الصحاح : المآتم عند العرب : نساء يجتمعن في الخير والشر ، والجمع ( مآتم ) ، وعند العامة : المصيبة . انظر : مختار الصحاح ، مادة ( أ ت م ) ، ( ص ٤ ) . فالمقصود بالمآتم التي أشار إليها المؤلف : ما يحدثه بعض الناس من التحزن وإظهار الجزع ، وما يصاحب ذلك من التجمع وإقامة المراسم وتلاوة القصص الحزينة ونحو ذلك ، بالمناسبات المكروهة ، كما تفعل الشيعة أيام عاشوراء .

(٧) في ( ط ) : فرقوا .

(٨) انظر : تفصيل هذه المسألة في مجموع الفتاوى للمؤلف ( ٢٥ / ٢٩٩ — ٣١٧ ) .

وقد روي في التوسيع على العيال في آثار معروفة<sup>(١)</sup> أعلى ما فيها حديث إبراهيم بن محمد بن<sup>(٢)</sup> المنتشر<sup>(٣)</sup> عن أبيه<sup>(٤)</sup> قال: ﴿بلغنا أنه من وسع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته﴾<sup>(٥)</sup> رواه عنه ابن عيينة<sup>(٦)</sup>. وهذا بلاغ منقطع لا يعرف قائله. والأشبه أن هذا وضع لما ظهرت العصبية بين الناصبة<sup>(٧)</sup> والرافضة<sup>(٨)</sup> فإن هؤلاء اتخذوا يوم عاشوراء مأثماً<sup>(٩)</sup> فوضع أولئك فيه آثاراً تقتضي التوسع فيه، واتخاذ عيداً، وكلاهما باطل.

وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿سيكون في ثقيف كذاب ومبير﴾<sup>(١٠)</sup> فكان الكذاب المختار بن أبي عبيد<sup>(١١)</sup> وكان يتشيع للحسين، ثم أظهر

- 
- (١) من هنا حتى قوله: (بعد صفحة ونصف تقريباً): وقد يكون سبب الغلو في تعظيمه . . إلخ: ساقط من (أ) .  
(٢) ابن: سقطت من (د) .  
(٣) هو: إبراهيم بن محمد بن المنتشر الأجدع، الهمداني الكوفي، ثقة، من الطبقة الخامسة، أخرج له الستة .  
انظر: تقريب التهذيب (١ / ٤٢)، (ت ٢٦٨) .  
(٤) مر ذكر نسبه الآن في نسب ابنه، وهو ثقة من الطبقة الرابعة، أخرج له الستة . انظر: تقريب التهذيب (٢ / ٢١٠)، (ت ٧٣٣) .  
(٥) جاء ذلك في مسائل الإمام أحمد للنيسابوري قال: (سألت أبا عبد الله قلت: هل سمعت في الحديث أنه من وسع على عياله في يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر السنة؟ قال: نعم، شيء رواه سفيان عن جعفر الأحمر، عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر . قال سفيان — وكان من أفضل من رأينا — أن بلغه (أنه من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته) . انظر: مسائل الإمام أحمد للنيسابوري (١ / ١٣٦، ١٣٧)، وذكره المؤلف في مجموع الفتاوى (٢٥ / ٣٠٠)، وقال بأنه: (حديث موضوع مكذوب) .  
(٦) هو: سفيان . مرت ترجمته . انظر فهرس الأعلام .  
(٧) الناصبة: هم الذين يبغضون علياً وأصحابه . انظر: مجموع الفتاوى (٢٥ / ٣٠١) .  
(٨) الرافضة: فرقة من فرق الشيعة الكبرى، بايعوا زيد بن علي، ثم قالوا له: تبرأ من الشيخين (أبي بكر وعمر) فأبى، فتركوه ورفضوه، أي قاطعوه وخرجوا من بيعته، ومن أصولهم: الإمامة، والعصمة، والمهدية، والتقية، وسب الصحابة، وغيرها . انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١ / ٨٩)، والتنبيه والرد للملطي (٢٩—٤٥)، وانظر القاموس المحيط (ر ف ض) ص ٨٣٠ . ط الرسالة .  
(٩) في (ب): مأثماً .  
(١٠) الترمذي الفتن (٢٢٢٠) .

الكذب والافتراء على الله. وكان فيها الحجاج<sup>(٣)</sup> بن يوسف، وكان في انحراف عن علي وشيعته، وكان مبيراً<sup>(٤)</sup>.

وهؤلاء فيهم بدع وضلال، وأولئك<sup>(٥)</sup> فيهم بدع وضلال وإن كانت الشيعة أكثر كذباً وأسوأ حالاً.

لكن لا يجوز لأحد أن يغير شيئاً من الشريعة لأجل أحد، وإظهار الفرح والسرور يوم عاشوراء، وتوسيع النفقات فيه، هو من البدع المحدثّة المقابلة<sup>(٦)</sup> للرافضة، وقد وضعت في ذلك أحاديث مكذوبة في فضائل ما يصنع فيه من الاغتسال، والاكتحال وغير ذلك. وصححها بعض الناس: كابن ناصر<sup>(٧)</sup> وغيره، وليس فيها ما يصح. لكن رويت لأناس

(١) أخرجه مسلم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، في فضائل الصحابة، باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها، الحديث رقم (٢٥٤٥)، (٤ / ١٩٧١، ١٩٧٢) بغير هذا اللفظ الذي أشار إليه المؤلف، وإنما لفظ مسلم: (إن في ثقيف كذاباً ومبيراً).

(٢) هو: المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي، كان أول أمره يبغض علياً ثم مال إلى التشيع حتى استحوذ على الكوفة فالتفت إليه جماعات من الشيعة، فقاتل جيوش بني أمية، وكان يظهر ولاءه لابن الزبير فلما انتصر على جيش ابن زياد انفرد بالأمر وأظهر بدعته من التشيع والكهانة ودعوى الوحي إليه، وقاتله مصعب بن الزبير حتى هزمه وقتله سنة (٦٧)، وعمره (٦٧) سنة. انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٨ / ٢٨٩ — ٢٩٢).

(٣) هو: الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، عامل عبد الملك بن مروان وابنه الوليد على العراق، وكان حازماً قوياً ظالماً توفي سنة (٩٥هـ). انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٢ / ٢٩—٥٤).

(٤) المبير: هو المهلك. يقال: أباره: أي أهلكه. سمي الحجاج بذلك لكثرة قتله. انظر: مختار الصحاح، مادة (ب و ر)، (ص ٦٨).

(٥) من هنا حتى قوله: المقتضي لاستحبابها مكروه (بعد ثلاث صفحات تقريباً): سقط من (د).

(٦) أي المقابلة لعمل الشيعة حين بالغوا في التحزن وإقامة المآتم في هذا اليوم فجاء آخرون وبالغوا في مخالفتهم، فجعلوا يوم عاشوراء مناسبة فرح أشبه بالعيد. وكلا الفريقين سن ما لم يشرعه الله.

(٧) هو: أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر البغدادي المعروف بالسلامي من علماء القرن السادس، سمع الحديث والفقهاء على مذهب الشافعي، وكان كثير الحفظ والعناية بالأدب والنحو واللغة، وانتقل آخر عمره إلى مذهب أحمد في الأصول والفروع. توفي سنة (٥٥١هـ)، وكانت ولادته سنة (٤٦٧هـ). انظر: وفيات الأعيان (٤ / ٢٩٣، ٢٩٤)، (ت ٦٢٤)، (٧ / ٣٣٠)، وكتاب الذيل على طبقات الحنابلة (١ / ٢٢٥ — ٢٢٩)، (ت ١١٣).

اعتقدوا صحتها، فعملوا بها، ولم يعلموا أنها كذب، فهذا مثل هذا.  
وقد يكون سبب الغلو في تعظيمه من بعض المنتسبة<sup>(١)</sup> لمقابلة الروافض، فإن الشيطان  
قصده أن يحرف الخلق عن الصراط المستقيم، ولا يبالي إلى أي الشقين صاروا.  
فينبغي أن يجتنب جميع هذه المحدثات.

ومن هذا الباب: شهر رجب، فإنه أحد الأشهر الحرم، وقد روي عن النبي ﷺ أنه  
كان إذا دخل شهر رجب قال: اللهم بارك لنا في<sup>(٢)</sup> رجب وشعبان، وبلغنا<sup>(٣)</sup>  
رمضان<sup>(٤)</sup> . ولم يثبت عن النبي ﷺ في فضل رجب حديث آخر، بل عامة الأحاديث  
المأثورة فيه عن النبي ﷺ كذب، والحديث إذا لم يعلم أنه كذب، فروايته في الفضائل أمر  
قريب، أما إذا علم كذبه فلا يجوز روايته إلا مع بيان حاله. لقوله ﷺ من روى عني  
حديثاً وهو يرى<sup>(٥)</sup> أنه كذب، فهو أحد الكاذبين<sup>(٦)</sup> .<sup>(٧)</sup>

نعم، روي عن بعض السلف في تفضيل العشر الأول من رجب بعض الأثر،  
وروي<sup>(٨)</sup> غير ذلك، فاتخاذهم موسمًا بحيث يفرد بالصوم، مكروه عند الإمام أحمد وغيره،

(١) لعله يقصد بعض المنتسبين إلى العلم والسنة .

(٢) في المطبوعة : في شهر رجب .

(٣) في (ب) : وبلغنا شهر رمضان .

(٤) ذكر ابن حجر العسقلاني هذا الحديث في رسالته (تبيين العجب بما ورد في فضل رجب) (ص ١١ ، ١٢) ،  
وذكر أنه أخرجه البزار في مسنده ، والطبراني في الأوسط والبيهقي في فضائل الأوقات ، وأبو يوسف القاضي  
في كتاب الصيام ، وقال ابن حجر : (وهو حديث ليس بالقوي) . وانظر : كشف الأستار عن زوائد البزار  
للهميشي ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي (١ / ٤٥٧) ، الحديث رقم (٩٦١) فقد أورد الحديث ، وعلق عليه

(٥) في المطبوعة : يعلم .

(٦) في (ط) : الكذابين .

(٧) أخرجه أحمد في المسند (١ / ١١٣) ، عن علي بن أبي طالب (٤ / ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥) ، عن المغيرة بن  
شعبة . وأخرجه مسلم مقطوعاً وموصولاً عن المغيرة ، في المقدمة ، باب وجوب الرواية عن الثقات (١ / ٩) .

(٨) وروي : ساقطة من (ب) .



كما روي عن عمر بن الخطاب <sup>(١)</sup> وأبي بكرة <sup>(٢)</sup> وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم.  
وروى ابن ماجه: "أن النبي ﷺ نهى عن صوم رجب" <sup>(٣)</sup> رواه عن إبراهيم بن منذر  
الحزامي <sup>(٤)</sup> عن <sup>(٥)</sup> داود بن عطاء <sup>(٦)</sup> حدثني زيد بن عبد الحميد بن <sup>(٧)</sup> عبد الرحمن بن  
زيد بن الخطاب <sup>(٨)</sup> ، عن سليمان بن علي <sup>(٩)</sup> عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما.  
وليس بالقوي <sup>(١٠)</sup> <sup>(١١)</sup> .

وهل الأفراد المكروه أن يصومه كله؟ أو ألا يقرب به شهرا آخر؟ فيه للأصحاب

- 
- (١) ابن الخطاب : ساقطة من (ب) . ولمعرفة ما ورد عن عمر في ذلك . انظر : تبين العجب (ص ٣٥) .  
(٢) في المطبوعة : وأبي بكر ، وكلاهما صحيح ، لأنه ورد أن أبا بكر نهى أهله عن ذلك . انظر : مجموع الفتاوى  
للمؤلف (٢٥ / ٢٩١) . وكذلك ورد عن أبي بكرة . انظر : تبين العجب بما ورد في فضل رجب (ص ٣٥) .  
وأبو بكرة هو الصحابي الجليل : نفع بن الحارث ، وقيل : ابن مسروح ، الثقفي ، مولى رسول الله عليه  
السلام ، وكان من فضلاء الصحابة وسكن البصرة . انظر : الإصابة (٣ / ٥٧٢) ، (ت ٨٧٩٣) .  
(٣) من هنا حتى قوله : وهل الأفراد المكروه (بعد ثلاثة أسطر تقريباً) : ساقط من (أ) .  
(٤) في (ب) : الجزامي وهو تصحيف . وهو : إبراهيم بن المنذر بن عبد الله بن المنذر بن المغيرة الأسدي الحزامي ،  
قال في تقريب التهذيب : (صدوق ، تكلم فيه أحمد لأجل القرآن) ، من الطبقة العاشرة ، توفي سنة (٢٣٦ هـ)  
(هـ) ، وقد أخرج له البخاري والترمذي وغيرهما . انظر : تقريب التهذيب (١ / ٤٣ ، ٤٤) ، (ت ٢٨٣) .  
(٥) عن : سقطت من (ط) ، وفي (ب) : حدثنا داود بن عطاء .  
(٦) هو : داود بن عطاء ، المزني ، بالولاء ، أبو سليمان ، المدني ، ضعيف ، لم يخرج له من الستة سوى ابن ماجه ،  
من الطبقة الثامنة . انظر : تقريب التهذيب (١ / ٢٣٣) ، (ت ٢٨) .  
(٧) في المطبوعة : عن عبد الرحمن . وهو تحريف (ابن) ، فالصحيح (ابن) كما هو في النسخ المخطوطة ، وسنن ابن  
ماجه (١ / ٥٥٤) .  
(٨) هو : زيد بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي القرشي المدني ، مقبول ، من الطبقة  
السابعة ، ولم يخرج له من الستة سوى ابن ماجه . انظر تقريب التهذيب (١ / ٢٧٥) ، (ت ١٩٤) .  
(٩) هو : سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي ، عم الخلفيتين السفاح والمنصور ، مقبول ، من الطبقة  
السادسة ، توفي سنة (١٤٢) ، وعمره (٥٩) سنة ، أخرج له النسائي وابن ماجه . انظر : تقريب التهذيب (١ /  
٣٢٨) ، (ت ٤٧٥) .  
(١٠) في (ب ط) : بقوي .  
(١١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الصيام ، باب صيام أشهر الحرم ، الحديث رقم (١٧٤٣) ، (١ / ٥٥٤) .

وجهان. ولولا أن هذا موضع الإشارة إلى رؤوس المسائل لأطلقنا الكلام في ذلك<sup>(١)</sup>.  
ومن هذا الباب: ليلة النصف من شعبان، فقد روى في فضلها من الأحاديث المرفوعة والآثار ما يقتضي أنها ليلة مفضلة<sup>(٢)</sup> وأن من السلف من كان يخصها بالصلاة فيها، وصوم شهر شعبان قد جاءت فيه أحاديث صحيحة. ومن العلماء: من السلف<sup>(٣)</sup> من أهل المدينة، وغيرهم من الخلف، من أنكروا فضلها، وطعنوا في الأحاديث الواردة فيها، كحديث: ﴿إن الله يغفر فيها لأكثر من عدد شعر غنم كلب﴾<sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup>. وقال: لا فرق بينها وبين غيرها.

لكن الذي عليه كثير من أهل العلم<sup>(٦)</sup>، أو أكثرهم، من أصحابنا وغيرهم -على تفضيلها، وعليه يدل<sup>(٧)</sup> نص<sup>(٨)</sup> أحمد، لتعدد<sup>(٩)</sup> الأحاديث الواردة فيها، وما يصدق ذلك

(١) لزيادة الفائدة في بيان حقيقة ما ورد في فضل رجب. راجع: تبين العجب بما ورد في فضل رجب، رسالة لابن حجر العسقلاني مطبوعة بعناية عبد الله الجبرين.  
(٢) أخرج أحمد عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله عليه السلام قال: (يطلع الله لي خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا لاثنتين: مشاحن وقاتل نفس)، مسند أحمد (٢ / ١٧٦)، ورجاله ثقات إلا أن فيه ابن لهيعة تكلم فيه بعضهم. انظر: ترجمته (١ / ٢٦٢)، وأخرج أحمد أيضًا والترمذي عن عائشة في حديث ذكرت فيه أن النبي عليه السلام قال: (إن الله يترسل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب)، مسند أحمد (٦ / ٢٣٨)، وسنن الترمذي، كتاب الصوم، باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان، الحديث رقم (٧٣٩)، (٣ / ١١٦ - ١١٧)، وأشار الترمذي إلى تضعيفه. وكذلك أخرجه ابن ماجه. انظر: الحديث رقم (١٣٨٩)، وذكره السيوطي في الجامع الصغير (١ / ٢٩٧)، حديث رقم (١٩٤٢)، وقال: (حديث حسن). وأشار الشوكاني في الفوائد المجموعة إلى حديث عائشة هذا وقال: (فيه ضعف وانقطاع)، الفوائد المجموعة (ص ٥١).

(٣) من السلف: سقطت من (أ).

(٤) الترمذي الصوم (٧٣٩)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٨٩)، أحمد (٦ / ٢٣٨).

(٥) جاء ذلك في الحديث المشار إليه آنفًا.

(٦) في (ب): قال: من أهل المدينة من أهل العلم.

(٧) في (ب): ويدل عليه.

(٨) في (ط ب): نصوص أحمد.

(٩) في (ب): لتعداد.

من الآثار السلفية، وقد روي بعض فضائلها في المسانيد والسنن<sup>(١)</sup>. وإن كان قد وضع فيها أشياء أخرى.

فأما صوم يوم النصف مفرداً<sup>(٢)</sup> فلا أصل له، بل إفراده مكروه، وكذلك اتخاذه موسماً تصنع فيه الأطعمة، وتظهر فيه الزينة، هو من المواسم المحدثه المبتدعة، التي لا أصل لها. وكذلك ما قد أحدث في ليلة النصف، من الاجتماع العام للصلاة الألفية<sup>(٣)</sup> في المساجد الجامعة، ومساجد الأحياء والدروب<sup>(٤)</sup> والأسواق. فإن هذا الاجتماع لصلاة نافلة مقيدة بزمان وعدد، وقدر من القراءة لم يشرع، مكروه. فإن الحديث الوارد في الصلاة الألفية<sup>(٥)</sup> موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث، وما كان هكذا لا يجوز استحباب صلاة بناء عليه، وإذا لم يستحب فالعمل المقتضي لاستحبابها مكروه.

ولو سوغ<sup>(٦)</sup> أن كل ليلة لها نوع فضل، تخص بصلاة مبتدعة يجتمع لها، لكان يفعل مثل هذه الصلاة - أو أزيد أو أنقص<sup>(٧)</sup> - ليلتي العيدين، وليلة عرفة، كما أن بعض أهل البلاد يقيمون مثلها أول ليلة من رجب.

وكما بلغني أنه كان<sup>(٨)</sup> في بعض القرى يصلون بعد المغرب صلاة مثل المغرب في جماعة، يسمونها صلاة بر الوالدين. وكما كان بعض الناس يصلي كل ليلة في جماعة صلاة

---

(١) قد أشرت إلى بعض الأحاديث الواردة فيها في مسند أحمد وسنن الترمذي وابن ماجه، عن عائشة وعبد الله بن عمرو. وهذه الأحاديث إنما تذكر فضل هذه الليلة لكن ليس فيها ما يشير إلى إحيائها بالصلاة والعبادة ولا الاحتفال فيها كما يفعل المبتدعون.

(٢) مفرداً: سقطت من (ب).

(٣) الصلاة الألفية هي التي يزعمون أنه ورد الفضل بقراءة " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " فيها ألف مرة. انظر: اللآلئ المصنوعة (٢ / ٥٨، ٥٩).

(٤) في المطبوعة: والدور.

(٥) انظر: تفصيل ذلك في كتب الموضوعات مثل: اللآلئ المصنوعة (٢ / ٥٨، ٥٩)، والفوائد المجموعة (ص ٥٠، ٥١)، وتبيين العجب (ص ٢٥، ٢٦).

(٦) في (ب): ولو شرع.

(٧) في (أ): أو ليقص.

(٨) في (ج د): أنهم كانوا.

الجنائز<sup>(١)</sup> على من مات من المسلمين في جميع الأرض، ونحو ذلك من الصلوات الجماعية التي لم تشرع.

: أنه إذا استحب التطوع المطلق في وقت معين، وجوز التطوع في جماعة، لم يلزم من ذلك تسوية جماعة راتبة غير مشروعة<sup>(٢)</sup> ففرق بين البابين، وذلك أن الاجتماع لصلاة تطوع<sup>(٣)</sup> أو استماع قرآن، أو ذكر الله، ونحو ذلك، إذا كان يفعل أحياناً، فهذا حسن. فقد صح عن النبي ﷺ "أنه صلى التطوع في جماعة أحياناً"<sup>(٤)</sup>.  
و"خرج على أصحابه وفيهم من يقرأ وهم يستمعون"<sup>(٥)</sup> فجلس معهم يستمع"<sup>(٦)</sup>. وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا أمروا واحداً يقرأ وهم يستمعون.

وقد ورد في القوم الذين يجلسون يتدارسون كتاب الله ويتلونه، وفي القوم الذين يذكرون الله من الآثار ما هو معروف مثل قوله ﷺ ﴿ ما جلس قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا غشيتهم الرحمة ونزلت<sup>(٧)</sup> عليهم السكينة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده ﴾<sup>(٨)</sup>.

(١) في (ب د) : الجنائز .

(٢) في المطبوعة : قال : بل ينبغي أن نفرق بين البابين .

(٣) في (د) وفي المطبوعة : التطوع .

(٤) من ذلك ما ورد في الصحيحين عن أنس أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو واليتيم وأم سليم ، ونحو ذلك . انظر : فتح الباري ، الحديث رقم (٧٢٧) ، في كتاب الأذان ، الباب رقم (٧٨) ، وصحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب جواز الجماعة في النافلة ، الحديث رقم (٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، (١ / ٤٥٧ ، ٤٥٨) ومثله في قصة عتبان بن مالك . انظر : صحيح مسلم ، الحديث رقم (٣٣) ، (١ / ٤٥٥) .

(٥) من هنا حتى قوله : وقد ورد (بعد سطر تقريباً) : سقط من (ط) .

(٦) انظر : تفسير ابن كثير في تفسير سورة النساء : الآية ٤١ (١ / ٤٩٨) ، فقد ذكر قصة بهذا المعنى ومثله في فتح الباري (٩ / ٩٩) .

(٧) في (ب) : ويزل . وفي (ج د ط) : وتزلت .

(٨) أخرجه مسلم عن أبي هريرة في حديث طويل وفيه : (وما اجتمع قوم . . .) الحديث ، باختلاف يسير وزيادة عما ذكره المؤلف . انظر : صحيح مسلم ، كتاب الذكر ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى

وورد أيضاً في الملائكة الذين يلتمسون مجالس الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلموا<sup>(١)</sup> إلى حاجتكم. الحديث<sup>(٢)</sup> .

فأما اتخاذ اجتماع راتب يتكرر<sup>(٣)</sup> بتكرر الأسابيع أو الشهور أو الأعوام، غير الاجتماعات المشروعة، فإن ذلك يضاهاى الاجتماع للصلوات الخمس، وللجمعة، وللعيدين وللحج. وذلك هو المبتدع المحدث.

ففرق بين ما يتخذ سنة وعادة، فإن ذلك يضاهاى المشروع. وهذا الفرق هو المنصوص عن الإمام أحمد، وغيره من الأئمة فروى أبو بكر الخلال، في كتاب الأدب، عن إسحاق بن منصور الكوسج، أنه قال لأبي عبد الله: تكره أن يجتمع القوم يدعون الله ويرفعون أيديهم؟ قال: "ما أكرهه للإخوان إذا لم يجتمعوا على عمد<sup>(٤)</sup> إلا أن يكثروا"<sup>(٥)</sup> .

قال إسحاق بن راهويه كما قال<sup>(٦)</sup> . وإنما معنى أن لا يكثروا: أن لا يتخذوها عادة حتى يكثروا. هذا كلام إسحاق.

وقال المروزي: سألت أبا عبد الله عن القوم يبيتون، فيقرأ قارئ ويدعون حتى يصبحوا؟ قال: أرجو أن لا يكون به بأس. وقال أبو السري الحربي<sup>(٧)</sup> قال أبو عبد الله:

---

الذكر ، الحديث رقم (٢٦٩٩) ، (٤ / ٢٠٧٤) . ومثله عن أبي سعيد الخدري مختصراً ، الحديث رقم (٢٧٠٠) ، (٤ / ٢٠٢٠٧٤) من صحيح مسلم أيضاً .

(١) في (أ ب ط) : هلم .

(٢) جاء ذلك في حديث أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : (إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا : هلموا إلى حاجتكم . . ) إلخ من حديث طويل في كتاب الدعوات ، باب فضل ذكر الله ، الحديث رقم (٦٤٠٨) من فتح الباري (١١ / ٢٠٨ ، ٢٠٩) ، وفي مسلم بلفظ آخر ، الحديث رقم (٢٦٨٩) ، (٤ / ٢٠٦٩) .

(٣) يتكرر : ساقطة من (ط) .

(٤) في (د) : على عهد .

(٥) من هنا حتى قوله : أن لا يتخذوها عادة : سقط من (د) .

(٦) أي كما قال الإمام أحمد . وكذا زادها في المطبوعة . وانظر : الآداب الشرعية لابن مفلح (٢ / ١١٠) .

(٧) هو : يعقوب بن يوسف ، أبو السري الحربي ، نقل عن الإمام أحمد بعض المسائل . انظر : طبقات الحنابلة : ١ (٤١٧ / ) .

"وأى شيء أحسن من أن يجتمع الناس يصلون، ويذكرون ما أنعم الله عليهم، كما قالت الأنصار؟" (١) وهذا إشارة إلى ما رواه أحمد، حدثنا (٢) إسماعيل أنبأنا أيوب، عن محمد بن سيرين قال: "نبئت أن الأنصار قبل قدوم رسول (٣) الله ﷺ المدينة، قالوا: لو نظرنا يوماً فاجتمعنا فيه، فذكرنا هذا الأمر الذي أنعم الله به علينا، فقالوا: يوم السبت ثم قالوا: لا نجتمع اليهود في يومهم. قالوا: فيوم الأحد. قالوا: لا نجتمع النصارى في يومهم. قالوا: فيوم العروبة. وكانوا يسموه يوم الجمعة يوم العروبة- فاجتمعوا في بيت أبي أمامة أسعد (٤) بن زرارة فذبحت لهم شاة فكفتهم" (٥) .

وقال أبو أمية الطرسوسي (٦) سألت أحمد بن حنبل عن القوم يجتمعون ويقرأ لهم القارئ قراءة حزينة فيكون، وربما طفوا (٧) السراج. فقال لي أحمد: إن كان يقرأ قراءة أبي موسى فلا بأس.

وروى الخلال عن الأوزاعي: أنه سئل عن القوم يجتمعون (٨) فيأمرون رجلاً فيقص

(١) طبقات الحنابلة (١ / ٤١٧) . وانظر : الآداب الشرعية لابن مفلح (٢ / ١١٢) .

(٢) في (ب د) : قال أخبرنا .

(٣) في (ب د) : النبي .

(٤) هو الصحابي الأنصاري : أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد الخزرجي ، من أول الأنصار إسلاماً ، وممن بايع بيعة العقبة ، وكان نقيب قومه ، ومات في السنة الأولى من الهجرة ، انظر : أسد الغابة (١ / ٧١) .

(٥) جاء ذلك في مصنف عبد الرزاق ، كتاب الجمعة ، باب أول من جمع ، الحديث رقم (٥١٤٤) ، (٣ / ١٥٩) ، ولم أجده في مسند أحمد . وأورده القرطبي في تفسيره (١٨ / ٩٨) ، كما ساقه ابن حجر في فتح الباري (٢ / ٣٥٣) مختصراً ، وذكر أن سنده صحيح إلى ابن سيرين .

(٦) هو : محمد بن إبراهيم بن مسلم الخزاعي الطرسوسي ، أبو أمية ، بغدادى الأصل ، مشهور بكنيته ، قال عنه في التقريب : (صدوق صاحب حديث ، يهيم) ، وروى عن الإمام أحمد بعض المسائل ، توفي سنة (٢٧٣هـ) ، وأخرج له النسائي . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ١٤١) ، (ت١٤) أ ، وطبقات الحنابلة (١ / ٢٦٥) ، (٢٦٦) ، (ت٣٧٦) . وفي المطبوعة : قال : وقال أبو أمية محمد بن إبراهيم بن مسلم الطرسوسي . أي ذكر اسمه . وهو خلاف النسخ الأخرى .

(٧) في المطبوعة : أطفئوا .

(٨) القوم يجتمعون : ساقطة من (أ) .

عليهم. قال: إذا كان ذلك يوماً بعد (١) الأيام فليس به بأس.

فقيده أحمد (٢) الاجتماع على الدعاء بما إذا لم يتخذ عادة. وكذلك قيد إتيان الأمكنة التي فيها آثار الأنبياء. قال سندي الخواتيمي (٣) سألنا أبا عبد الله عن الرجل يأتي هذه المشاهد ويذهب إليها، ترى ذلك؟ قال: أما على حديث "ابن أم مكتوم" (٤) أنه سأل النبي ﷺ أن يصلي في بيته، حتى يتخذ ذلك مصلى". وعلى ما كان يفعل ابن عمر رضي الله عنهما: يتبع مواضع النبي ﷺ وأثره، فليس بذلك بأس أن يأتي الرجل المشاهد، إلا أن الناس قد أفرطوا في هذا جداً، وأكثروا فيه.

وكذلك نقل عنه أحمد بن القاسم (٥). ولفظه: سئل عن الرجل يأتي هذه المشاهد التي بالمدينة وغيرها؛ يذهب إليها؟ فقال: أما على حديث ابن أم مكتوم أنه: سأل النبي ﷺ أن يأتيه فيصلي في بيته، حتى يتخذ مسجداً، وعلى ما كان يفعله (٦) ابن عمر: يتبع مواضع سير النبي ﷺ وفعله، حتى رئي يصب في موضع ماء، فسئل عن ذلك، فقال: رأيت النبي ﷺ يصب هاهنا ماء. قال: أما على هذا فلا بأس قال: ورخص فيه. ثم قال: ولكن قد أفرط الناس جداً، وأكثروا في هذا المعنى، فذكر قبر الحسين وما يفعل الناس عنده. وهذا الذي كرهه أحمد وغيره من اعتياد ذلك مأثور عن ابن مسعود رضي الله عنه وغيره لما اتخذ

(١) في (د) : من . ومعنى (بعد الأيام) ، أي : لم يكن متكرراً وفي زمان محدد . والله أعلم .

(٢) أحمد : ساقطة من (ط) .

(٣) هو : سندي أبو بكر الخواتيمي البغدادي . سمع من الإمام أحمد مسائل صالحة . انظر : طبقات الحنابلة (١) / (١٧٠ ، ١٧١) ، (ت ٢٢٩) .

(٤) هو الصحابي الجليل : عمرو — وقيل : عبد الله — بن قيس بن زائدة بن الأصم القرشي ، وأم مكتوم ، أمه ، وهي : عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة . أسلم قديماً بمكة وكان من المهاجرين الأولين إلى المدينة قبل قدوم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إليها ، وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يستخلفه على المدينة يصلي بالناس في عامة غزواته ، وشهد القادسية ، واستشهد بها وكان معه اللواء ، وقيل : بل رجع للمدينة فمات بها . انظر : الإصابة (٢ / ٥٢٣ ، ٥٢٤) ، (ت ٥٧٦٤) .

(٥) هو أحمد بن القاسم ، صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام ، حدث عن الإمام أحمد بمسائل كثيرة . انظر : طبقات الحنابلة (١ / ٥٥ ، ٥٦) ، (ت ٤٨) .

(٦) في (أ ب ج) : يفعل .

أصحابه مكانا يجتمعون فيه للذكر، فخرج إليهم<sup>(١)</sup> قال: "يا قوم لأنتم أهدى من أصحاب<sup>(٢)</sup> محمد<sup>(٣)</sup> أو لأنتم على شعبة ضلالة"<sup>(٤)</sup>.

وأصل هذا: أن العبادات المشروعة التي تتكرر بتكرر الأوقات، حتى تصير سننا ومواسم، قد شرع الله منها ما فيه كفاية العباد، فإذا أحدث اجتماع زائد على هذه الاجتماعات معتاد، كان ذلك مضاهاة لما شرعه الله وسنه. وفيه من الفساد ما تقدم التنبيه على بعضه، بخلاف ما يفعله الرجل وحده، أو الجماعة المخصوصة أحيانا، ولهذا كره الصحابة إفراد صوم<sup>(٥)</sup> رجب، لما شبه برمضان، وأمر عمر رضي الله عنه بقطع الشجرة التي توهموا أنها الشجرة التي بويع<sup>(٦)</sup> الصحابة تحتها بيعة الرضوان. لما رأى الناس ينتابونها<sup>(٧)</sup> ويصلون عندها، كأنها المسجد الحرام، أو مسجد المدينة، وكذلك لما رأهم قد عكفوا على مكان قد صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم عكيفا عاما فهاهم عن ذلك، وقال: "أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد؟"<sup>(٨)</sup> . أو كما قال رضي الله عنه.

فكما أن تطوع الصلاة فرادى وجماعة مشروع، من غير أن يتخذ جماعة عامة<sup>(٩)</sup> متكررة، تشبه المشروع من الجمعة، والعيدين والصلوات الخمس، فكذلك تطوع القراءة والذكر والدعاء، جماعة وفرادى، وتطوع قصد بعض المشاهد، ونحو ذلك، كله من نوع واحد، يفرق بين الكثير الظاهر منه، والقليل الخفي، والمعتاد وغير المعتاد، وكذلك كل

(١) إليهم : ساقطة من (ط) .

(٢) في المطبوعة : أهدى من محمد .

(٣) في (ب) : صلى الله عليه وعلى آله وسلم ورضي عنهم .

(٤) أخرجه الدارمي في سننه ، باب في كراهية أخذ الرأي (١ / ٦٨) ، ولفظه : (والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد ، أو مفتتحو باب ضلالة) ، ذكره في سياق قصة .

(٥) صوم : ساقطة من (أ ب) .

(٦) في (د) : التي بايع الصحابة تحتها . وفي المطبوعة : التي بايع الصحابة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تحتها .

(٧) في (ب) : يأتونها .

(٨) انظر القصة في كثر العمال (١٧ / ١٤٠) ورمز له بقوله : (عب) يعني عبد الرزاق في الجامع .

(٩) عامة : ساقطة من (ب) .



مكان مشروع الجنس، لكن البدعة اتخاذه عادة لازمة، حتى يصير كأنه واجب، ويترتب<sup>(١)</sup> على استحبابه وكرهه حكم نذره، واشتراط فعله في الوقف والوصية ونحو ذلك، حيث كان النذر لا يلزم إلا في القرب، وكذلك العمل المشروط في الوقف، لا يجوز أن يكون إلا برا ومعروفا على ظاهر المذهب، وقول جمهور أهل العلم. وسنومئ إلى ذلك إن شاء الله.

وهذه المسائل تفتقر إلى بسط أكثر من هذا، لا يحتمله هذا الموضوع، وإنما الغرض التنبيه على المواسم المحدثة. وأما ما يفعل في هذه المواسم مما جنسه منهي عنه في الشرع، فهذا لا يحتاج إلى ذكره؛ لأن ذلك لا يحتاج أن يدخل في هذا الباب مثل: رفع الأصوات في المساجد، واختلاط الرجال والنساء، أو كثرة إيقاد المصاييح زيادة على الحاجة، أو إيذاء المصلين أو غيرهم بقول أو فعل، فإن قبح هذا ظاهر لكل مسلم. وإنما هذا من جنس سائر<sup>(٢)</sup> الأقوال المحرمة في المساجد، سواء حرمت في المسجد وغيره، كالقواحش والفحش، أو صين<sup>(٣)</sup> عنها المسجد: كالبيع<sup>(٤)</sup> وإنشاد الضالة، وإقامة الحدود ونحو ذلك.

وقد ذكر بعض المتأخرين، من أصحابنا وغيرهم - أنه يستحب قيام هذه الليلة بالصلاة التي يسمونها الألفية، لأن فيها قراءة " قل هو الله أحد " ألف مرة. وربما استحَبوا الصوم أيضا، وعمدتم في خصوص ذلك: الحديث الذي يروى عن النبي ﷺ في ذلك<sup>(٥)</sup>. وقد يعتمدون على العمومات التي تدرج فيها هذه الصلاة، وعلى ما جاء في فضل هذه الليلة بخصوصها، وما جاء من الأثر بإحيائها، وعلى الاعتياد<sup>(٦)</sup> حيث فيها من المنافع والفوائد ما يقتضي الاستحباب كجنسها من العبادات.

(١) هنا بياض في (ط) : مكان (يترتب) .

(٢) سائر : سقطت من (ط) .

(٣) في (ب) : يسان . وفي (د) : مصان .

(٤) في المطبوعة زاد : والشراء .

(٥) انظر : اللآلئ المصنوعة (٢ / ٦٠) ، والفوائد المجموعة (ص ٥٠ ، ٥١) ، وقد ذكروا أن الحديث الوارد في صوم ذلك اليوم موضوع .

(٦) في (أ) : الاعتبار . وقوله على الاعتياد : أي أنهم يعتمدون على ما اعتادوه حتى صار كأنه مشروع ، وهو باطل .

فأما الحديث المرفوع في هذه الصلاة الألفية: فكذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث (١) .

وأما العمومات الدالة على استحباب الصلاة فحق، لكن العمل المعين إما أن يستحب بخصوصه، أو يستحب لما فيه من المعنى العام.

فأما المعنى العام: فلا يوجب جعل خصوصها (٢) مستحبا ومن استحبابها ذكرها في النفل المقيد: كصلاة الضحى والتراويح. وهذا خطأ، ولهذا لم يذكر هذا أحد من الأئمة المعدودين، لا الأولين ولا الآخرين. وإنما كره التخصيص لما صار يخص ما لا خصوص له بالاعتقاد والاقتصاد (٣) كما كره (٤) النبي ﷺ إفراد يوم الجمعة وسرر (٥) شعبان بالصيام، وإفراد ليلة الجمعة بالقيام، وصار نظير هذا: لو (٦) أحدثت صلاة مقيدة ليالي العشر (٧) أو بين العشائين، ونحو ذلك.

فالعبادات ثلاثة:

منها ما هو مستحب بخصوصه: كالنفل المقيد (٨) من ركعتي الفجر، وقيام رمضان، ونحو ذلك. وهذا منه المؤقت كقيام الليل.

ومنه المقيد بسبب: كصلاة الاستسقاء، وصلاة الآيات (٩) .

ثم قد يكون مقدرًا (١٠) في الشريعة بعدد: كالوتر. وقد يكون مطلقًا مع فضل الوقت:

---

(١) مرت الإشارة إلى ذلك (ص ١٣٨) .

(٢) في المطبوعة: فلا يجب جعله خصوصاً .

(٣) في المطبوعة: والقصد .

(٤) في المطبوعة: كما ذكره .

(٥) في المطبوعة: وسرد، وهو خطأ .

(٦) في (أ): نظير هذا الحديث .

(٧) في المطبوعة: فصار نظير هذا ما لو أحدثت ليالي العشر صلاة مقيدة .

(٨) من هنا حتى قوله: بسبب كصلاة الاستسقاء (سطر ونصف): سقط من (ط) .

(٩) صلاة الآيات: صلاة كسوف الشمس وخسوف القمر. وما يشرع من الفرع للصلاة عند النوازل والزلازل ونحوها .

(١٠) في (ب): مقيدا . وفي (ط): قرر .

---

كالصلاة يوم الجمعة قبل الصلاة، فصارت أقسام المقيد أربعة.

ومن العبادات ما هو مستحب بعموم معناه، كالنفل المطلق، فإن الشمس إذا طلعت فالصلاة مشهودة محضرة حتى يصلي العصر.

ومنها ما هو مكروه تخصيصه لا مع غيره كقيام<sup>(١)</sup> ليلة الجمعة. وقد يكره مطلقا، إلا في أحوال مخصوصة، كالصلاة في أوقات النهي. ولهذا اختلف العلماء في كراهة الصلاة بعد الفجر والعصر، هل هو لئلا يفضي إلى تحري الصلاة في هذا الوقت، فيرخص في ذوات الأسباب العارضة، أو هو<sup>(٢)</sup> فهي مطلق لا يستثنى منه إلا قدر الحاجة؟ على قولين، هما روايتان عن أحمد، وفيها أقوال أخر للعلماء<sup>(٣)</sup> (٤).

---

(١) في المطبوعة : إلا مع غيره كالقيام .

(٢) في المطبوعة : هي .

(٣) في المطبوعة زاد : والله أعلم .

(٤) انظر : المغني والشرح الكبير ( ١ / ٧٥٦ - ٧٦٨ ) ، وبداية المجتهد ( ١ / ١٣١ - ١٣٥ ) .

---

وقد يحدث في اليوم الفاضل، مع العيد العملي المحدث، العيد المكاني، فيغلظ قبح هذا، ويصير خروجاً عن الشريعة. فمن ذلك: ما يفعل يوم عرفة، مما لا أعلم بين المسلمين خلافاً في النهي عنه، وهو قصد قبر بعض من يحسن به الظن يوم عرفة، والاجتماع العظيم عند قبره، كما يفعل في بعض أرض المشرق والمغرب، والتعريف هناك، كما يفعل بعرفات فإن هذا نوع من الحج المبتدع الذي لم يشرعه الله، ومضاهاة للحج الذي شرعه الله، واتخاذ القبور أعياداً.

وكذلك السفر إلى بيت المقدس، للتعريف فيه، فإن هذا أيضاً ضلال بين، فإن زيارة بيت المقدس مستحبة مشروعة للصلاة فيه والاعتكاف، وهو أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، لكن قصد إتيانه في أيام الحج هو المكروه، فإن ذلك تخصيص وقت معين بزيارة بيت المقدس، ولا خصوص لزيارته في هذا الوقت على غيره.

ثم فيه أيضاً مضاهاة للحج إلى المسجد الحرام، وتشبيهه له بالكعبة، ولهذا قد أفضى إلى ما لا يشك مسلم في أنه شريعة أخرى، غير شريعة الإسلام، وهو ما قد يفعله بعض الضلال من الطواف بالصخرة، أو من حلق الرأس هناك، أو من قصد النسك هناك. وكذلك ما يفعله بعض الضلال<sup>(١)</sup> من الطواف بالقبة التي بجبل الرحمة بعرفة<sup>(٢)</sup> كما يطاف بالكعبة.

فأما الاجتماع في هذا الموسم لإنشاد الغناء أو الضرب بالدف بالمسجد الأقصى ونحوه، فمن أقبح المنكرات من جهات أخرى.

---

(١) في (أ) : الصلاة . وهو تحريف .

(٢) الآن بحمد الله لا توجد هذه القبة بجبل عرفات وذلك بفضل الله ثم بفضل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، التي ناصرها الأئمة من آل سعود ، والتي هيأها الله للقضاء على هذه المشاهد والأبنية المبتدعة في جزيرة العرب ، ونسأل الله أن يحميها من كيد المبتدعين الذين ما فتئوا يحاولون إحياء بدعهم في هذه البلاد .

: فعل ذلك في المسجد<sup>(١)</sup> فإن ذلك فيه ما نهي عنه خارج المساجد<sup>(٢)</sup> فكيف

بالمسجد الأقصى؟!!

: اتخاذ الباطل ديناً.

فعله في الموسم.

فأما قصد الرجل<sup>(٣)</sup> مسجد بلده يوم عرفة للدعاء والذكر فهذا هو التعريف في الأمصار الذي اختلف العلماء فيه، ففعله ابن عباس، وعمرو بن حريث<sup>(٤)</sup> من الصحابة وطائفة من البصريين والمدنيين<sup>(٥)</sup> ورخص فيه أحمد، وإن كان مع ذلك لا يستحبه<sup>(٦)</sup> هذا هو المشهور عنه<sup>(٧)</sup>. وكرهه طائفة من الكوفيين والمدنيين: كإبراهيم النخعي<sup>(٨)</sup> وأبي حنيفة ومالك، وغيرهم.

ومن كرهه قال: هو من البدع، فيندرج في العموم لفظاً ومعنى.

ومن رخص فيه قال: فعله ابن عباس بالبصرة<sup>(٩)</sup> حين كان خليفة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ولم ينكر عليه، وما يفعل في عهد الخلفاء الراشدين من غير إنكار لا يكون بدعة.

---

(١) في المطبوعة زاد: الأقصى ونحوه .

(٢) في (ج د) : المسجد .

(٣) في المطبوعة : الرجل المسلم .

(٤) هو الصحابي الجليل : عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان القرشي المخزومي ، قيل بأنه ولد قبل الهجرة بستين ، ولي إمارة الكوفة أيام زياد وابنه عبيد الله ، وتوفي بها سنة (٨٥هـ) . انظر : الإصابة (٢ / ٥٣١) ، (ت٥٨٠٨) ، والاستيعاب بمامش الإصابة (٢ / ٥١٥) .

(٥) انظر : السنن الكبرى للبيهقي (٥ / ١١٧ ، ١١٨) ، والمغني والشرح الكبير (٢ / ٢٥٩) .

(٦) في (د) : لا يستحبّه .

(٧) المغني والشرح الكبير (٢ / ٢٥٩) .

(٨) انظر : السنن الكبرى للبيهقي (٥ / ١١٨) .

(٩) انظر : السنن الكبرى للبيهقي (٥ / ١١٨) ، حيث ذكر عن الحسن أن أول من صنع ذلك ابن عباس . وكذلك ذكر في المغني والشرح الكبير (٢ / ٢٥٩) .

لكن ما يزداد على ذلك من رفع الأصوات الرفع الشديد في (١) المساجد بالدعاء، وأنواع من الخطب والأشعار الباطلة مكروه في هذا اليوم وغيره. قال المروزي: سمعت أبا عبد الله يقول: "ينبغي أن يسر دعاءه؛ لقوله: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ (٢) (٣). قال: هذا في الدعاء. قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: وكان (٤) يكره أن يرفعوا أصواتهم بالدعاء.

وروى الخلال بإسناد صحيح، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب قال: "أحدث الناس الصوت عند الدعاء" (٥).

وعن سعيد بن أبي عروبة: أن مجالد بن سعيد (٦) سمع قوما يعجون في دعائهم، فمشى إليهم فقال: أيها القوم، إن كنتم أصبتم فضلا على من كان قبلكم لقد ضللتهم، قال: فجعلوا يتسللون رجلا رجلا، حتى تركوا بغيتهم التي كانوا فيها (٧). وروى أيضا بإسناده عن ابن شوذب (٨) (٩) عن أبي التياح (١٠) قال: قلت للحسن: إمامنا يقص، فيجتمع (١١) الرجال والنساء، فيرفعون أصواتهم بالدعاء. فقال الحسن (١) إن

(١) في (ب د) : هنا في المساجد .

(٢) سورة الإسراء آية : ١١٠ .

(٣) سورة الإسراء : من الآية ١١٠ . وفي المطبوعة : أكمل الآية .

(٤) في المطبوعة : وكانوا يكرهون . وهو أقرب للصواب .

(٥) لم أجده . وكتاب الجامع للخلال لم أحصل عليه .

(٦) هو : مجالد بن سعيد بن عمير بن بسطام الهمداني ، أبو عمرو ، ويقال أبو سعيد ، الكوفي ، ليس بالقوي في الحديث ، وقد تغير في أواخر عمره . مات سنة (١٤٤هـ) . انظر تقريب التهذيب ( ٢ / ٢٢٩ ) ، ( ت ٩١٩ ) .

(٧) لم أجده .

(٨) في (أ ب ط) : ابن سودف . وهو تحريف .

(٩) هو عبد الله بن شوذب الخراساني ، أبو عبد الرحمن ، من الطبقة السابعة ، قال ابن حجر في التقريب : (صدوق عابد) أخرج له الأربعة . ومات سنة (١٥٧هـ) . انظر : تقريب التهذيب ( ١ / ٤٢٣ ) ، ( ت ٣٨٠ ) .

(١٠) هو يزيد بن حميد الضبي ، أبو التياح ، مشهور بكنيته ، من الأئمة الثقات الأثبات ، أخرج له الستة ، من الطبقة الخامسة . توفي سنة (١٢٨هـ) انظر تقريب التهذيب ( ٢ / ٣٦٣ ) ، ( ت ٢٤٠ ) .

(١١) في (ط) : فيجمع .

رفع الصوت بالدعاء لبدعة، وإن مد الأيدي بالدعاء لبدعة، وإن اجتماع الرجال والنساء لبدعة (٢) .

فرع الأيدي فيه خلاف وأحاديث ليس هذا موضعها.

والفرق بين هذا التعريف المختلف فيه وتلك التعريفات التي لم يختلف فيها: أن في تلك قصد بقعة (٣) بعينها للتعريف فيها: كقبر الصالح، أو كالمسجد الأقصى، وهذا تشبيه بعرفات، بخلاف مسجد مصر، فإنه قصد له بنوعه لا بعينه، ونوع المساجد مما شرع قصدها، فإن الآتي إلى المسجد ليس قصده مكانا معينا لا يتبدل اسمه وحكمه، وإنما الغرض بيت من بيوت الله، بحيث لو حول ذلك المسجد لتحول حكمه، ولهذا لا تتعلق القلوب إلا بنوع المسجد لا بخصوصه.

وأيضاً، فإن شد الرحال إلى مكان للتعريف فيه، مثل الحج، بخلاف مصر، ألا ترى أن النبي ﷺ قال: ﴿ لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا ﴾ (٤) (٥) . هذا مما لا أعلم فيه خلافاً. فقد نهي النبي ﷺ عن السفر إلى غير المساجد الثلاثة، ومعلوم أن إتيان الرجل مسجد مصره: إما واجب كالجمعة، وإما مستحب كالأعتكاف به.

وأيضاً فإن التعريف عند القبر اتخاذ له عيداً، وهذا بنفسه محرم، سواء كان فيه شد للرحل، أو لم يكن، وسواء كان في يوم عرفة أو في غيره، وهو من الأعياد المكانية مع

(١) هو الحسن البصري : مرت ترجمته . انظر : فهرس الأعلام .

(٢) لم أجده .

(٣) في (أ) : قصد منفعة بعضها للتعريف فيها .

(٤) البخاري الجمعة (١١٣٢) ، مسلم الحج (١٣٩٧) ، النسائي المساجد (٧٠٠) ، أبو داود المناسك (٢٠٣٣) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٤٠٩) ، أحمد (٢٣٤/٢) ، الدارمي الصلاة (١٤٢١) .

(٥) هذا حديث متفق عليه ، أخرجه البخاري عن أبي هريرة ، في كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، الحديث رقم (١١٨٩) من فتح الباري (٣ / ٦٣) ، ومسلم في كتاب الحج ، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، الحديث رقم (١٣٩٧) ، (٢ / ١٠١٤) .

الزمانية.

وأما ما أحدث في الأعياد، من ضرب البوقات والطبول فإن هذا مكروه في العيد وغيره، لا اختصاص للعيد به، وكذلك لبس الحرير، أو غير ذلك من المنهي عنه في الشرع وترك السنن من جنس فعل البدع، فينبغي إقامة المواسم على ما كان <sup>(١)</sup> السابقون الأولون يقيمونها، من الصلاة والخطبة المشروعة، والتكبير والصدقة في الفطر، والذبح في الأضحى. فإن من الناس من يقصر في التكبير المشروع. ومن الأئمة من يترك أن يخاطب للرجال والنساء. كما كان رسول <sup>(٢)</sup> الله ﷺ يخاطب الرجال ثم النساء <sup>(٣)</sup>.

ومنهم من لا يذكر في خطبته <sup>(٤)</sup> ما ينبغي ذكره، بل يعدل إلى ما تقل فائدته، ومنهم من لا ينحر بعد الصلاة بالمصلى وهو ترك للسنة، إلى أمور أخرى من السنة <sup>(٥)</sup> فإن الدين هو فعل المعروف والأمر به، وترك المنكر والنهي عنه.

(١) في (ط) : ما كان عليه السابقون .

(٢) في (ط) : النبي .

(٣) جاء ذلك في حديث متفق عليه . انظر : الحديث رقم (٩٧٨ ، ٩٧٩) من فتح الباري ، والحديث رقم (٨٨٤)

( ) في مسلم .

(٤) في (ب) خطبة .

(٥) في المطبوعة : من غير السنة .



---

---

وأما الأعياد المكانية فتنقسم أيضا كالزمانية - <sup>(١)</sup> ثلاثة أقسام:

: ما لا خصوص <sup>(٢)</sup> له في الشريعة.

: ما له خصيصة لا تقتضي قصده للعبادة فيه.

: ما يشرع العبادة فيه، لكن لا يتخذ عيداً.

والأقسام الثلاثة جاءت الآثار بها. مثل قوله ﷺ للذي نذر أن ينحر ببوانة: ﴿أبها

وثن من أوثان المشركين، أو عيد من أعيادهم؟ قال: لا. قال: فأوف بندرك ﴿<sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup>.

ومثل قوله ﷺ ﴿لا تتخذوا قبري عيداً﴾ <sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup>. ومثل نهي عمر عن اتخاذ آثار الأنبياء

أعياداً. كما سنذكره إن شاء الله.

---

(١) في المطبوعة: إلى ثلاث أقسام .

(٢) في (أ) : حوص .

(٣) أبو داود الأيمان والندور (٣٣١٣) .

(٤) الحديث مر . انظر : فهرس الأحاديث .

(٥) أبو داود المناسك (٢٠٤٢) ، أحمد (٣٦٧/٢) .

(٦) الحديث مر . انظر : فهرس الأحاديث .

فهذه الأقسام الثلاثة: أحدها مكان لا فضل له في الشريعة أصلاً، ولا فيه ما يوجب تفضيله، بل هو كسائر الأماكن، أو دونها، فقصده ذلك المكان، أو قصد<sup>(١)</sup> الاجتماع فيه لصلاة أو دعاء، أو ذكر، أو غير ذلك - ضلال بين.

ثم إن كان به بعض آثار الكفار، من اليهود أو النصارى أو غيرهم، صار أقبح وأقبح، ودخل في هذا الباب وفي الباب قبله، في مشابهة الكفار. وهذه أنواع لا يمكن ضبطها<sup>(٢)</sup> بخلاف الزمان، فإنه محصور. وهذا الضرب أقبح من الذي قبله، فإن هذا يشبه عبادة الأوثان أو هو ذريعة إليها، أو نوع من عبادة الأوثان، إذ عباد الأوثان كانوا يقصدون بقعة بعينها لتمثال هناك أو غير تمثال، يعتقدون أن ذلك يقربهم إلى الله تعالى، وكانت الطواغيت الكبار التي تشد إليها الرحال ثلاثة: اللات، والعزى، ومناة الثالثة الأخرى. كما ذكر الله ذلك في كتابه<sup>(٣)</sup> حيث يقول: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١١﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ

الْأُخْرَىٰ ﴿١٢﴾ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿١٣﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿١٤﴾﴾<sup>(٤)</sup>.

كل واحد من هذه الثلاثة<sup>(٥)</sup> لمصر من أمصار العرب. والأمصار التي كانت من ناحية الحرم، ومواقيت الحج ثلاثة: مكة، والمدينة، والطائف.

فكانت اللات: لأهل الطائف، ذكروا أنه كان في الأصل رجلاً صالحاً، يلت السويق للحجيج، فلما مات عكفوا على قبره مدة، ثم اتخذوا تمثاله<sup>(٦)</sup> ثم بنوا عليه بنية سموها: بيت الربة. وقصتها معروفة، لما بعث النبي ﷺ لهدمها لما<sup>(٧)</sup> افتتحت الطائف<sup>(١)</sup> بعد فتح مكة<sup>(٢)</sup>

(١) في (ب) : وهذا الاجتماع .

(٢) في (ب) : وهذا نوع لا يمكن ضبطه .

(٣) في (ب) : في كتابه العزيز .

(٤) سورة النجم : الآيات ١٩ - ٢٢ .

(٥) الثلاثة : ساقطة من (ط) .

(٦) في (ط) : تمثالاً له .

(٧) في المطبوعة : لهدمها المغيرة بن شعبة لما افتتحت الطائف ، وهو زيادة توضيح مكان الهامش .

سنة تسع من الهجرة.

وأما العزى: فكانت (٣) لأهل مكة قريبا من عرفات، وكانت هناك شجرة يذبجون عندها ويدعون. فبعث النبي ﷺ إليها خالد بن الوليد، عقب فتح مكة فأزالها، وقسم النبي ﷺ مالها، وخرجت منها (٤) شيطانة ناشرة شعرها (٥) فيئست العزى أن تعبد. وأما مناة: فكانت لأهل المدينة، يهلون لها شركا بالله تعالى، وكانت حذو قديد الجبل الذي بين مكة والمدينة من ناحية الساحل.

ومن أراد أن يعلم كيف كانت أحوال المشركين في عبادة أوثانهم، ويعرف حقيقة الشرك الذي ذمه الله، وأنواعه، حتى يتبين له تأويل القرآن، ويعرف ما كرهه الله ورسوله، فلينظر سيرة النبي ﷺ وأحوال العرب في زمانه، وما ذكره الأزرقى (٦) في أخبار مكة، وغيره من العلماء.

ولما كان للمشركين شجرة يعلقون عليها أسلحتهم، ويسمونها ذات أنواط، فقال بعض الناس: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط. فقال: ﴿الله أكبر، قلت كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلهة، إنها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم﴾ (٧) (١). فأنكر النبي ﷺ مجرد مشابهتهم للكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها،

(١) انظر: القصة في السيرة النبوية لابن كثير (٤ / ٦١).

(٢) مكة: ساقطة من (ط).

(٣) في (ب ط): وكانت.

(٤) في (ط): منه.

(٥) انظر: القصة في البداية والنهاية (٤ / ٣١٦).

(٦) هو: محمد بن عبد الله بن أحمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق، أحد الإخباريين وأصحاب السير، قال ابن النديم في الفهرست: (وله من الكتب: كتاب مكة وأخبارها وجبالها وأوديتها)، وهو كتاب أخبار مكة الذي أشار إليه المؤلف هنا. توفي نحو سنة (٢٥٠). انظر: الأعلام للزركلي (٦ / ٢٢٢)، والفهرست لابن النديم (ص ١٦٢).

(٧) الترمذي الفتن (٢١٨٠)، أحمد (٢١٨/٥).

معلقين عليها سلاحهم. فكيف بما هو أعظم من ذلك من مشابھتهم المشركين، أو هو الشرك بعينه؟.

فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها، ولم تستحب الشريعة ذلك، فهو من المنكرات، وبعضه أشد من بعض، سواء كانت البقعة شجرة أو عين ماء<sup>(٢)</sup> أو قناة جارية، أو جبلا، أو مغارة، وسواء قصدها ليصلي عندها، أو ليدعو عندها، أو ليقراً عندها، أو ليذكر الله سبحانه عندها، أو ليتنسك<sup>(٣)</sup> عندها، بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيص تلك البقعة به لا عينا ولا نوعا. وأقبح من ذلك أن ينذر لتلك البقعة دهنا لتنور به، ويقال: <sup>(٤)</sup> إنها تقبل النذر، كما يقول بعض الضالين. فإن هذا النذر نذر معصية باتفاق العلماء، ولا يجوز الوفاء به، بل عليه كفارة<sup>(٥)</sup> عند كثير من أهل العلم، منهم أحمد في المشهور عنه، وعنه رواية هي قول أبي حنيفة والشافعي وغيرهما: أنه يستغفر الله من هذا النذر، ولا شيء عليه، والمسألة معروفة<sup>(٦)</sup>.

وكذلك إذا نذر طعاما من الخبز أو غيره للحيتان التي في تلك العين، أو البئر<sup>(٧)</sup>. وكذلك إذا نذر مالا<sup>(٨)</sup> من النقد أو غيره للسدنة، أو المجاورين العاكفين بتلك البقعة، فإن هؤلاء السدنة فيهم شبه من السدنة التي كانت<sup>(٩)</sup> لللال والعزى ومناة، يأكلون أموال

---

(١) جاء ذلك في حديث أخرجه الترمذي عن أبي واقد الليثي وقال: (هذا حديث حسن). انظر: سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، الحديث رقم (٢١٨٠)، (٤ / ٤٧٥)، وأحمد في المسند (٥ / ٢١٨).

(٢) في المطبوعة: أو غيرها. بدل: أو عين ماء.

(٣) في (ب ج د): ليستنسك. وفي (ط): ليتبتل.

(٤) في المطبوعة: ويقول.

(٥) في المطبوعة: كفارة يمين. ومعناها صحيح لكنه خلاف النسخ.

(٦) انظر: تفصيل القول في نذر المعصية في الفتاوى للمؤلف (١١ / ٥٠٤، ٥٠٥)، (٢٧ / ٣٣٣ - ٣٣٥)، (٣٣ / ١٢٣، ١٢٥)، (٣٥ / ٣٥٤). وانظر: المغني والشرح الكبير (١١ / ٣٣٤ - ٣٣٦).

(٧) في (ب ج): أو النهر.

(٨) في (ب): إذا نذر كلها من النقد.

(٩) في المطبوعة: الذين كانوا.

الناس بالباطل <sup>(١)</sup> ويصدون عن سبيل الله، والمجاورون هناك فيهم شبه من العاكفين الذين قال لهم إبراهيم الخليل إمام الحنفاء، صلى الله عليه وسلم ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عِبَكُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> وقال: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> أَنْتُمْ وَاَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَامُونَ ﴾ <sup>(٤)</sup> فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ <sup>(٥)</sup> والذين أتى عليهم موسى عليه السلام وقومه <sup>(٦)</sup> كما قال تعالى: ﴿ وَجَوَازْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ ﴾ <sup>(٧)</sup> .

فالنذر لأولئك السدنة والمجاورين <sup>(٨)</sup> في هذه البقاع التي لا فضل في الشريعة للمجاور بها، نذر معصية، وفيه شبه من النذر لسدنة الصلبان والمجاورين عندها، أو لسدنة الأبداد <sup>(٩)</sup> التي بالهند، والمجاورين عندها.

ثم هذا <sup>(١٠)</sup> المال المندور، إذا صرفه في جنس تلك العبادة من المشروع، مثل أن يصرفه في عمارة المساجد، أو للصلحين من فقراء المسلمين، الذين يستعينون بالمال على عبادة الله وحده لا شريك له - كان حسنا. فمن هذه الأمكنة ما يظن أنه قبر نبي، أو رجل صالح، وليس كذلك، أو يظن أنه مقام له، وليس كذلك. فأما ما كان قبراً له أو مقاماً، فهذا من النوع الثاني <sup>(١١)</sup> .

(١) لا يزال كثير من سدنة القبور يتخذون منها تجارة ، وبعض الدول اتخذتها مراكز سياحية تدر عليها ، وكثير من رجال الطرق الصوفية يعيشون على ذلك .

(٢) سورة الأنبياء : الآية ٥٢ .

(٣) سورة الشعراء : الآيات ٧٥ - ٧٧ .

(٤) في المطبوعة زاد : بعد مجاوزة البحر .

(٥) سورة الأعراف : من الآية ١٣٨ .

(٦) في (أ) : والمجاورون ، وهو خطأ ، لأنه معطوف على مجرور بالإضافة .

(٧) في (ب ط) : الأنداد . والأنداد جمع ند ، وهو المثل والشريك والنظير ، وهي الأصنام . انظر : مختار الصحاح ، مادة (ندد) ، (ص ٦٥٢) . أما الأبداد فهي جمع بد - بالكسر - المثل والنظير . وبالضم : الصنم ، والجمع بددة وأبداد ، وهي بيوت الأصنام . انظر : القاموس المحيط ، فصل الباء ، باب الدال (١ / ٢٨٦) .

(٨) هذا : سقطت من (أ) .

(٩) وهو ما له خصيصة لا تقتضي قصده للعبادة فيه .

:

فمن ذلك: عدة أمكنة بدمشق، مثل مشهد لأبي بن كعب خارج الباب الشرقي، ولا خلاف بين أهل العلم، أن أبي بن كعب إنما توفي بالمدينة، لم يمّت بدمشق. والله أعلم قبر من هو، لكنه ليس <sup>(١)</sup> بقبر أبي بن كعب صاحب رسول الله ﷺ بلا شك.

وكذلك مكان بالحائط القبلي، بجامع دمشق <sup>(٢)</sup> يقال إن فيه قبر هود عليه السلام، وما عملت أحدا من أهل العلم ذكر أن هودا النبي مات بدمشق، بل قد قيل إنه مات باليمن، وقيل بمكة، فإن مبعثه كان باليمن، ومهاجره بعد هلاك قومه كان إلى مكة، فأما الشام فلا داره <sup>(٣)</sup> ولا مهاجره، فموته بها -والحال هذه مع أن أهل العلم لم يذكروه بل ذكروا خلافه- في غاية البعد.

وكذلك مشهد خارج الباب الغربي من دمشق، يقال إنه قبر أويس القرني <sup>(٤)</sup> وما علمت أن أحدا ذكر أن أويسا مات بدمشق، ولا هو متوجه أيضا، فإن أويسا قدم من اليمن إلى أرض العراق. وقد قيل: إنه قتل بصفين، وقيل: إنه مات بنواحي أرض فارس، وقيل غير ذلك. فأما الشام فما ذكر أنه قدم إليها فضلا عن الممات بها.

: قبر يقال له: قبر أم سلمة زوج النبي ﷺ ولا خلاف أنها رضي الله

عنها ماتت بالمدينة لا بالشام، ولم تقدم الشام أيضا. فإن أم سلمة زوج النبي ﷺ لم تكن

(١) في (ب): لكن ليس هو بقبر أبي .

(٢) بجامع دمشق: ساقطة من (أ) .

(٣) في المطبوعة: فلا هي داره .

(٤) هو: أويس بن عامر بن عمرو القرني اليميني العابد، من الأتقياء الصالحين، ورد في فضله عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: (إن رجلا يأتيكم من اليمن يقال له: أويس، لا يدع باليمن غير أم له، وقد كان به بياض فدعا الله فأذهب عنه إلا موضع الدرهم، فمن لقيه منكم فمروه فليستغفر لكم . .) الحديث، أخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل أويس القرني، الحديث رقم (٢٥٤٢)، (٤ / ١٩٦٨)، وذكر أن عمر طلب منه أن يستغفر له ففطن له الناس فهام على وجهه، ونزل الكوفة، توفي في صفين مع علي رضي الله عنه. انظر: لسان الميزان (١ / ٤٧١ - ٤٧٥)، (ت١٤٤٩) .

تسافر بعد رسول الله ﷺ . بل لعلها أم سلمة أسماء بنت يزيد بن السكن<sup>(١)</sup> الأنصارية، فإن أهل الشام كشهر بن حوشب<sup>(٢)</sup> ونحوه، كانوا إذا حدثوا عنها قالوا: أم سلمة. وهي بنت عم معاذ بن جبل، وهي من أعيان الصحابيات، ومن ذوات الفقه والدين منهم. أو لعلها أم سلمة<sup>(٣)</sup> امرأة يزيد بن معاوية<sup>(٤)</sup> وهو بعيد، فإن هذه ليست مشهورة بعلم ولا دين. وما أكثر الغلط في هذه الأشياء وأمثالها من جهة الأسماء المشتركة أو المغيرة.

: (٥) : إن فيه رأس الحسين ﷺ وأصله<sup>(٦)</sup> أنه كان بعسقلان مشهد يقال: إن فيه رأس الحسين، فحمل فيما قيل الرأس من هناك إلى مصر، وهو باطل باتفاق أهل العلم، لم يقل أحد من أهل العلم<sup>(٧)</sup> إن رأس الحسين كان

---

(١) هي الصحابية الجليلة : أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع بن امرئ القيس ، الأنصارية الأوسية الأشهلية ، يقال لها : خطيبة النساء . شهدت اليرموك وقتلت تسعة من الروم بعمود فسطاط وعاشت بعد ذلك دهرًا . انظر : الإصابة ( ٤ / ٢٣٤ ) ، (ت٥٨) . النساء .

(٢) هو : شهر بن حوشب الأشعري الشامي ، مولى أسماء بنت يزيد بن السكن المذكورة هنا ، قال ابن حجر في التقريب : (صدوق كثير الإرسال والأوهام) من الثالثة ، توفي سنة (١١٢هـ) . انظر : تقريب التهذيب ( ١ / ٣٥٥ ) ، (ت١١٢) ش .

(٣) لم أجد لها ترجمة في المراجع التي اطلعت عليها .

(٤) هو : يزيد بن معاوية بن أبي سفيان القرشي الأموي ، تولى الخلافة بعد أبيه معاوية سنة (٦٠هـ) وباع له المسلمون ، وكان أبوه قد أخذ له البيعة بولاية العهد من قبل ، ولد سنة (٢٦هـ) ، وتوفي سنة (٦٤هـ) . انظر : البداية والنهاية ( ٨ / ٢٢٦ — ٢٣٦ ) .

(٥) لا يزال هذا القبر المزعوم بالقاهرة وقد بنيت عليه القباب ، وتقام حوله كثير من مراسم الشركيات والبدع من الطواف حوله ، ودعائه من دون الله والتمسح به ، وغير ذلك من الشركيات والبدع والمنكرات ، نسأل الله العافية ونسأله سبحانه أن يطهر الأرض من هذه المشاهدة المبتدعة ، التي لوئت بها الشيعة والصوفية ديار المسلمين . فمعلوم أن أول من بنى القباب على القبور واتخذها مزارات ومعابد ، هم الشيعة ، فالدولة الفاطمية هي التي شيدت قبر الحسين في القاهرة وغيره ، وكذلك في العراق والشام والحجاز وجزيرة العرب ، ثم تولى المهمة أصحاب الطرق الصوفية ، فهم الآن الذين يتزعمون رعاية هذه البدع في سائر بلاد المسلمين .

(٦) في المطبوعة : وأصله المكذوب .

(٧) في (ب د) : منهم .

بعسقلان، بل فيه أقوال ليس هذا منها، فإنه حمل رأسه إلى قدام عبید الله بن زياد<sup>(١)</sup> بالكوفة، حتى روي له عن النبي ﷺ ما يغيظه. وبعض الناس يذكر أن الرواية كانت أمام يزيد بن معاوية بالشام، ولا يثبت ذلك، فإن الصحابة المسمين في الحديث<sup>(٢)</sup> إنما كانوا بالعراق.

وكذلك مقابر كثيرة لأسماء<sup>(٣)</sup> رجال معروفين، قد علم أنها ليست مقابرهم. فهذه المواضع ليست فيها فضيلة أصلاً، وإن اعتقد الجاهلون أن لها فضيلة، اللهم إلا أن يكون قبراً لرجل مسلم فيكون كسائر قبور المسلمين، ليس لها من الخصيصة<sup>(٤)</sup> ما يحسبه الجهال، وإن كانت القبور<sup>(٥)</sup> الصحيحة لا يجوز اتخاذها أعياداً<sup>(٦)</sup> ولا أن يفعل ما يفعل عند هذه القبور المكذوبة، أو تكون قبراً لرجل صالح غير المسمى، فيكون من القسم الثاني. : مواضع يقال إن فيها أثر النبي ﷺ أو غيره، ويضاهي بها مقام إبراهيم الذي بمكة، كما يقول الجهال في الصخرة التي ببيت المقدس، من أن فيها أثراً من وطء رسول الله ﷺ<sup>(٧)</sup> وبلغني أن بعض الجهال يزعم أنها من وطء الرب سبحانه وتعالى! فيزعمون أن ذلك الأثر موضع القدم.

(١) هو عبید الله بن زياد بن عبید المعروف بابن زياد بن أبي سفيان ، ويقال له : زياد بن أبيه ، ولد سنة (٣٩هـ) ، وولاه معاوية على البصرة سنة (٥٥هـ) ، وفي عهد يزيد وولاه البصرة والكوفة ، وتوفي سنة (٦٧هـ) . انظر : البداية والنهاية (٨ / ٢٨٣) .

(٢) الحديث الذي أغاظ عبید الله بن زياد هو : ما رواه البخاري عن أنس بن مالك : (أُتي عبید الله بن زياد برأس الحسين بن علي فَجَعَلَ في طست فَجَعَلَ ينكت ، وقال في حسنه شيئاً ، فقال أنس : كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وكان مخضوباً بالوسمة) . انظر : صحيح البخاري ، كتاب مناقب الصحابة ، باب مناقب الحسن والحسين ، الحديث رقم (٣٧٤٨) ، (٧ / ٩٤) ، وذكر ابن كثير أن زيد بن أرقم فعل ذلك . انظر : البداية والنهاية (٨ / ١٩١) .

(٣) في (ب) : لا سيما .

(٤) في المطبوعة : الخصوصية .

(٥) القبور : ساقطة من (ط) .

(٦) في (ب) : عيداً .

(٧) في المطبوعة : من وطء قدم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم .



وفي مسجد قبلي دمشق - يسمى مسجد القدم - أثر (١) أيضا يقال إن ذلك أثر (٢)  
قدم موسى عليه السلام، وهذا باطل لا أصل له. ولم يقدم موسى دمشق ولا ما حولها.  
وكذلك مشاهد تضاف إلى بعض الأنبياء أو الصالحين بناء على أنه رؤى في المنام  
هناك، ورؤية النبي ﷺ أو الرجل الصالح في المنام ببقعة لا يوجب لها فضيلة تقصد البقعة  
لأجلها، وتتخذ مصلى، بإجماع المسلمين. وإنما يفعل هذا وأمثاله أهل الكتاب، وربما  
صور (٣) فيها (٤) صورة النبي أو الرجل الصالح أو بعض أعضائه، مضاهاة لأهل الكتاب،  
كما كان في بعض مساجد دمشق، مسجد (٥) يسمى مسجد الكف، فيه تمثال كف  
يقال: إنه كف علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (٦) حتى هدم الله ذلك الوثن. وهذه  
الأمكنة كثيرة موجودة في أكثر البلاد.

مواضع، كغار عن يمين الطريق وأنت ذاهب من بدر إلى مكة يقال: إنه  
الغار الذي كان فيه (٧) النبي ﷺ وأبو بكر، وإنه الغار الذي ذكره الله في قوله (٨) تعالى:  
﴿ثَانِي آتَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ (٩) ولا خلاف بين أهل العلم أن الغار المذكور في  
القرآن إنما هو غار بجبل ثور، قريب من مكة، معروف عند أهل مكة إلى اليوم.  
فهذه البقاع التي يعتقد لها خصيصة - كائنة ما كانت - (١٠) فإن تعظيم مكان لم

(١) في المطبوعة: به أيضا أثر .

(٢) أثر: ساقطة من (ب) .

(٣) في المطبوعة: صوروا .

(٤) في (ج د): فيه .

(٥) مسجد: ساقطة من (أ) .

(٦) في (ج) وفي المطبوعة: رضي الله عنه . وهو أولى .

(٧) في المطبوعة: الذي أوى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إليه هو وأبو بكر .

(٨) في (د ط): في القرآن في قوله .

(٩) سورة التوبة: من الآية ٤٠ .

(١٠) في المطبوعة زاد: ليس من الإسلام تعظيمها بأي نوع من التعظيم . ويلاحظ أنه في الثلث الأخير من الكتاب  
ازدادت أخطاء المطبوعة واختلافها عن النسخ المخطوطة زيادة كبيرة يصل معدنها إلى سبع مرات تقريبا في

يعظمه الشرع شر من تعظيم زمان لم يعظمه، فإن تعظيم الأجسام بالعبادة عندها أقرب إلى عبادة الأوثان من تعظيم الزمان، حتى إن الذي ينبغي تجنب الصلاة فيها<sup>(١)</sup> وإن كان المصلي لا يقصد تعظيمها، لئلا يكون ذلك ذريعة إلى تخصيصها بالصلاة فيها، كما ينهى عن الصلاة عند القبور المحققة، وإن لم يكن المصلي يقصد الصلاة لأجلها. وكما ينهى عن أفراد الجمعة وسرر شعبان بالصوم، وإن كان الصائم لا يقصد التخصيص بذلك الصوم، فإن ما كان مقصودا بالتخصيص، مع النهي عن ذلك، ينهى عن تخصيصه أيضا بالفعل. وما أشبه هذه الأمكنة بمسجد الضرار الذي<sup>(٢)</sup> أسس على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم. فإن ذلك المسجد لما بني ضرارا وكفرا، وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل، نهى الله نبيه ﷺ عن الصلاة فيه، وأمر بهدمه. وهذه المشاهد الباطلة إنما وضعت مضاهاة لبيوت الله، وتعظيما لما لم يعظمه الله، وعكوبا على أشياء لا تنفع ولا تضر، وصداً للخلق عن سبيل الله، وهي عبادته وحده لا شريك له بما شرعه على لسان رسوله ﷺ تسليما، واتخاذها عيدا هو الاجتماع عندها واعتياد قصدها، فإن العيد من المعاودة.

ويلتحق بهذا الضرب - لكنه ليس منه - مواضع يدعى لها خصائص لا تثبت، مثل كثير من القبور التي يقال إنها قبر نبي، أو قبر صالح، أو مقام نبي، أو صالح، ونحو ذلك، وقد يكون ذلك صدقا، وقد يكون كذبا. وأكثر المشاهد التي على وجه الأرض من هذا الضرب. فإن القبور الصحيحة والمقامات الصحيحة قليلة جدا. وكان غير واحد من أهل العلم يقول: لا يثبت من قبور الأنبياء إلا قبر نبينا ﷺ. وغيره قد يثبت غير هذا أيضا مثل: قبل إبراهيم الخليل عليه السلام، وقد يكون علم أن القبر في تلك الناحية لكن يقع الشك في عينه، ككثير من قبور الصحابة التي بباب الصغير من دمشق، فإن الأرض غيرت مرات،

---

الصفحة الواحدة أو يزيد، وأكثرها زيادات وتقديم وتأخير، لذلك سيقصر التنبيه فيما يلي على التنبيه على الزيادات والأخطاء المهمة.

(١) في (ج د) : عندها .

(٢) في (ط) : التي .

فتعيين قبر أنه قبر بلال أو غيره لا يكاد يثبت، إلا من طريق خاصة، وإن كان لو ثبت ذلك لم يتعلق به حكم شرعي مما قد أحدث عندها.

ولكن الغرض أن نبين هذا القسم الأول، وهو تعظيم الأمكنة التي لا خصيصة لها: إما (١) مع العلم بأنه (٢) لا خصيصة لها، أو مع عدم العلم بأن لها خصيصة، إذ العبادة والعمل بغير علم منهي عنه، كما أن العبادة والعمل بما يخالف العلم منهي عنه، ولو كان ضبط هذه الأمور من الدين لما أهمل، ولما ضاع عن الأمة المحفوظ دينها، المعصومة عن الخطأ.

وأكثر ما تجد الحكايات المتعلقة بهذا عند السدنة والمجاورين لها (٣) الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله. وقد يحكي من الحكايات التي فيها تأثير، مثل أن رجلا دعا عندها فاستجيب له، أو نذر لها إن قضى (٤) الله حاجته فقضيت حاجته، ونحو ذلك. وبمثل هذه الأمور كانت تعبد الأصنام فإن القوم كانوا أحيانا يخاطبون من الأوثان، وربما تقضي حوائجهم إذا قصدوها (٥) وكذلك يجري لأهل (٦) الأبداد (٧) من أهل الهند وغيرهم. وربما قيس على ما شرع الله تعظيمه من بيته المحجوج، والحجر الأسود الذي شرع الله استلامه وتقبيله، كأنه يمينه، والمساجد التي هي بيوته.

وإنما عبادت الشمس والقمر بالمقاييس (٨) وبمثل هذه الشبهات حدث الشرك في أهل

(١) في (د) : وأما .

(٢) في (أ) : فإنه .

(٣) في (ط) : بها .

(٤) في (ط) : إن قضيت حاجته .

(٥) وهذا ابتلاء لهؤلاء المشركين والملتدعين ، كما أنه إمداد في الغي من الشيطان ، قال تعالى : " وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ " سورة الأعراف : الآية ٢٠٢ . فإن الله تعالى يسلم على الإنسان عدوه الشيطان بذنوبه وما يرتكبه من بدع . نسأل الله العافية .

(٦) في المطبوعة : وكذلك يجري لهم مثل ما يجري لأهل الأبداد .

(٧) في (ب) : أنداد .

(٨) المقاييس : هي الأقيسة المنطقية والعقلية التي يعتمد عليها الفلاسفة والمنطقيون في اعتقادهم والتي لم تستمد من وحي الله تعالى . وللمؤلف كتاب مستوفى في الرد عليهم وهو كتاب " الرد على المنطقيين " مطبوع .

الأرض.

وقد صح "عن النبي ﷺ أنه نهى عن النذر وقال: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ﴾<sup>(١)</sup> وإنما يستخرج به من البخيل ﴿٢﴾ فإذا كان نذر الطاعات المعلقة بشرط لا فائدة فيه، ولا يأتي بخير، فما الظن بالنذر لما<sup>(٣)</sup> لا يضر ولا ينفع؟.

وأما إجابة الدعاء، فقد يكون سببه<sup>(٤)</sup> اضطرار الداعي وصدقه<sup>(٥)</sup> وقد يكون سببه مجرد رحمة الله له، وقد يكون أمرا قضاه<sup>(٦)</sup> الله لا لأجل دعائه، وقد يكون له أسباب أخرى، وإن كانت فتنة<sup>(٧)</sup> في حق الداعي، فإننا نعلم أن الكفار قد يستجاب لهم فيسقون، وينصرون ويعانون، ويرزقون<sup>(٨)</sup> مع دعائهم عند أوثانهم وتوسلهم بها. وقد قال الله تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هُنُوْلًا وَهَتْوْلًا مِّنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾<sup>(٩)</sup> وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾<sup>(١٠)</sup>.

وأسباب المقدورات فيها أمور يطول تعدادها، ليس هذا موضع تفصيلها، وإنما على الخلق اتباع ما بعث الله به المرسلين، والعلم بأن فيه خير الدنيا والآخرة.

(١) من هنا حتى قوله : فما الظن (بعد سطر ونصف تقريبا) : سقط من (ط) .

(٢) جاء ذلك في حديث أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور ، باب الوفاء بالنذر ، الحديث رقم (٦٦٩٣) ، (٦٦٩٤) من فتح الباري (١١ / ٥٧٦)؛ ومسلم في كتاب النذر باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئا ، الحديث رقم (٢٦٣٩ ، ١٦٤٠) ، (٣ / ١٢٦٠ - ١٢٦٣) ، عن عبد الله وأبي هريرة رضي الله عنهما .

(٣) في (ط) : الذي لا يضر .

(٤) في (ط) : شبهه .

(٥) في المطبوعة : وصدق التجائه .

(٦) في (د) : قضاء الله له .

(٧) في (أ) : فيه .

(٨) ويرزقون : ساقطة من (أ ب ط) .

(٩) سورة الإسراء : الآية ٢٠ .

(١٠) سورة الجن : الآية ٦ .

ولعلي إن شاء الله أبين بعض أسباب هذه التأثيرات في موضع آخر <sup>(١)</sup> .

: ما له خصيصة لكن لا يقتضي اتخاذ عيداء، ولا الصلاة ونحوها من العبادات عنده. فمن هذه الأمكنة: قبور الأنبياء والصالحين، وقد جاء عن النبي ﷺ والسلف النهي عن اتخاذها عيداء، عموما وخصوصا. وبينوا معنى العيد.

: فقال أبو داود في سننه: حدثنا أحمد بن صالح <sup>(٢)</sup> قال: قرأت على عبد الله بن نافع <sup>(٣)</sup> أخبرني ابن أبي ذئب <sup>(٤)</sup> عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيداء، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم ﴾ <sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup> وهذا إسناد حسن، فإن رواته كلهم ثقات مشاهير، لكن عبد الله بن نافع الصائغ الفقيه المدني صاحب مالك فيه لين لا يقدر في حديثه. قال يحيى بن معين: هو ثقة. وحسبك بابن معين موثقا. وقال أبو زرعة: لا بأس

(١) راجع: كتاب المؤلف: "قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة" (ص ٦٨٩ - ٧٣٢) .

(٢) هو: أحمد بن صالح المصري؛ أبو جعفر ابن الطبري، ثقة حافظ، من الطبقة العاشرة، تكلم فيه النسائي بسبب أوهام له قليلة، أخرج له البخاري وأبو داود والترمذي في الشمائل، توفي سنة (٢٤٨ هـ) وعمره (٧٨) سنة. انظر: تقريب التهذيب (١ / ١٦)، (ت ٥٨) .

(٣) لقد تكلم عنه المؤلف بما يكفي، وقال ابن حجر في التقريب: "ثقة، صحيح الكتاب، في حفظه لين" توفي سنة (٢٠٦ هـ)، وأخرج له مسلم والأربعة. انظر: تقريب التهذيب (١ / ٤٥٦)، (ت ٦٨٦) .

(٤) هو: محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب القرشي العامري، أبو الحارث المدني، ثقة فقيه فاضل، من الطبقة السابعة، أخرج له الستة، ومات سنة (١٥٨ هـ). انظر: تقريب التهذيب (٢ / ١٨٤)، (ت ٤٦٢) .

(٥) أبو داود المناسك (٢٠٤٢)، أحمد (٣٦٧/٢) .

(٦) في (أ) وفي المطبوعة: حيثما كنتم. وفي (ط): حيث كنت، وفي أبي داود كما أثبتته .

(٧) سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، الحديث رقم (٢٠٤٢)، (٢ / ٥٣٤)، وأخرجه أحمد في المسند (٢ / ٣٦٧) .

به. وقال أبو حاتم الرازي: ليس بالحافظ، وهو لين (١) تعرف (٢) حفظه وتنكر (٣). فإن هذه العبارات منهم تنزل حديثه من مرتبة الصحيح إلى مرتبة الحسن، إذ لا خلاف في عدالته وفقهه، وأن الغالب عليه الضبط، لكن قد يغلط أحيانا، ثم هذا الحديث مما يعرف من حفظه، ليس مما ينكر، لأنه سنة مدنية (٤) وهو محتاج إليها في فقهه، ومثل هذا يضبطه الفقيه. وللحديث شواهد من غير طريقه، فإن هذا الحديث روي من جهات أخرى (٥) فما بقي منكرا. وكل جملة من هذا الحديث رويت عن النبي ﷺ بأسانيد معروفة، وإنما الغرض هنا النهي عن اتخاذه عيدا.

: ما رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا (٦) زيد بن الحباب، حدثنا جعفر بن إبراهيم - من ولد ذي الجناحين - حدثنا علي بن عمر، عن أبيه، عن علي بن الحسين: أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو. فنهاه، فقال: ألا أحدثكم حديثا سمعته عن (٧) أبي عن جدي عن رسول الله (٨) ﷺ قال: ﴿ لا تتخذوا قبوري عيدا، ولا بيوتكم قبورا، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم ﴾ (٩) رواه أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي الحافظ، فيما اختاره من الأحاديث الجياد الزائدة على الصحيحين، وشرطه فيه أحسن من شرط الحاكم

(١) في المطبوعة: هو لين الحديث .

(٢) في (ب) وفي المطبوعة: يعرف حديثه وينكر .

(٣) انظر: تهذيب التهذيب (٦ / ٥١ - ٥٢)، ترجمة عبد الله بن نافع الصائغ رقم (٩٨). وانظر أيضا: الجرح والتعديل (٥ / ١٨٣ - ١٨٤) ترجمة عبد الله بن نافع الصائغ رقم (٨٥٦) .

(٤) أي من السنن التي تفعل بالمدينة، أو المعروفة عند أهل المدينة .

(٥) فقد أخرجه أحمد في المسند (٢ / ٣٦٧)، كما سيذكر المؤلف من طرق الحديث ما فيه كفاية .

(٦) في المطبوعة: أنبأنا .

(٧) في (أ د): عن جدي .

(٨) في (د ب): عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(٩) أبو داود المناسك (٢٠٤٢)، أحمد (٣٦٧/٢) .

في صحيحه (١) .

وروى سعيد في سننه، حدثنا حبان بن علي (٢) حدثني محمد بن عجلان (٣) عن أبي سعيد مولى المهري (٤) قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ لا تتخذوا بيتي عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي حيثما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني ﴾ (٥) (٦) .

وقال سعيد: حدثنا عبد العزيز بن محمد (٧) أخبرني سهيل بن أبي سهيل قال: رأيت الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عند القبر، فناداني، وهو في بيت فاطمة يتعشى. فقال: هلم إلى العشاء؟ فقلت لا أريده. فقال: ما لي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلمت على النبي ﷺ فقال: إذا دخلت المسجد فسلم. ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: ﴿ لا تتخذوا بيتي عيداً، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر، لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم ﴾ (٨) (٩) [ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء] (١٠) .

فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين يدلان على ثبوت الحديث، لا سيما وقد

(١) مرت الإشارة إلى الحديث ومصادره . انظر : فهرس الأحاديث .

(٢) هو : حبان بن علي العتري الكوفي ، ضعيف ، وكان له فقه وفضل ، من الطبقة الثامنة ، أخرج له ابن ماجه ، وتوفي سنة (١٧٢هـ) ، وعمره (٦٠) سنة . انظر : تقريب التهذيب (١ / ١٤٧) ، (ت ٩٨) .

(٣) هو : محمد بن عجلان المدني القرشي ، مولى فاطمة بنت الوليد بن عتبة ، أحد العلماء العاملين ، وثقه أحمد وابن معين والنسائي وغيرهم ، وقد اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة . توفي سنة (١٤٨هـ) . انظر : تهذيب التهذيب (٩ / ٣٤١ ، ٣٤٢) ، (ت ٥٦٤)؛ وتقريب التهذيب (٢ / ١٩٠) ، (ت ٥٢٤) .

(٤) في (د) : مولى المهدي . وهو خطأ والصحيح ما أثبتته . وأبو سعيد مولى المهري مقبول من الطبقة الثالثة ، أخرج له مسلم وأبو داود والنسائي والترمذي . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ٤٢٩) ، (ت ٤٢) .

(٥) أبو داود المناسك (٢٠٤٢) ، أحمد (٣٦٧/٢) .

(٦) انظر : (١ / ٣٣٩) من هذا الكتاب .

(٧) هو الدراوردي . انظر : فهرس الأعلام .

(٨) أبو داود المناسك (٢٠٤٢) ، أحمد (٣٦٧/٢) .

(٩) في المطبوعة : تقديم وتأخير في ألفاظ الحديث . راجع : (ص ٣٢٣) من المطبوعة .

(١٠) الحديث مر . انظر : فهرس الأحاديث ، وقوله : ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء من كلام الحسن بن الحسن ،

وليس من نص الحديث .

احتج من <sup>(١)</sup> أرسله به وذلك يقتضي ثبوته عنده، ولو لم يكن روي من وجوه مسندة غير هذين. فكيف وقد تقدم مسندا؟.

: أن قبر رسول الله ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض، وقد نهى عن اتخاذها

عيدا. فقبر غيره أولى بالنهي كائنا من كان، ثم إنه قرن ذلك بقوله ﷺ ﴿ ولا تتخذوا

بيوتكم قبورا ﴾ <sup>(٢)</sup> أي لا تعطلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة، فتكون بمثلة

القبور، فأمر بتحري العبادة في البيوت، ونهى عن تحريها عند القبور، <sup>(٣)</sup> عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبه بهم.

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ﴿ اجعلوا من

صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبورا ﴾ <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup> .

وروى مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ﴿ لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإن

الشیطان يفر من البيت الذي يسمع سورة البقرة تقرأ فيه ﴾ <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup> ثم إنه ﷺ أعقب

(١) في المطبوعة: به من أرسله .

(٢) أبو داود المناسك (٢٠٤٢) ، أحمد (٣٦٧/٢) .

(٣) في المطبوعة: وهذا عكس .

(٤) البخاري الصلاة (٤٢٢) ، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٧٧) ، الترمذي الصلاة (٤٥١) ، النسائي قيام الليل وتطوع النهار (١٥٩٨) ، أبو داود الصلاة (١٤٤٨) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٧٧) ، أحمد (١٦/٢) .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ، باب كراهية الصلاة في المقابر ، الحديث رقم (٤٣٢) ، (١ / ٥٢٨) ، (٥٢٩) من فتح الباري ولفظه : " اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم ولا تتخذوها قبورا " وكذلك الحديث رقم (١١٨٧) ، (٣ / ٦٢) ، واللفظ الذي ذكره المؤلف هو لفظ مسلم في صحيحه ، وكتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب صلاة النافلة في بيته ، الحديث رقم (٧٧٧) ، (١ / ٥٣٨) .

(٦) مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٨٠) ، الترمذي فضائل القرآن (٢٨٧٧) ، أبو داود المناسك (٢٠٤٢) ، أحمد (٣٦٧/٢) .

(٧) أخرجه مسلم في الكتاب والباب السابقين ، الحديث رقم (٧٨٠) ، (١ / ٥٣٩) ولفظه : " لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة " .



النهي عن اتخاذه عيداً بقوله: ﴿ صلوا علي فإن صلاتكم تبغني حيثما كنتم ﴾ (١) (٢) وفي الحديث الآخر: ﴿ فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم ﴾ يشير بذلك ﷺ إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبوري وبعدم منه فلا حاجة بكم إلى اتخاذه عيداً.

والأحاديث عنه بأن صلاتنا وسلامنا تعرض عليه كثيرة، مثل ما روى أبو داود من حديث أبي صخر حميد بن زياد (٣) عن يزيد بن عبد الله بن قسيط (٤) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام ﴾ (٥) (٦) . وهذا الحديث على شرط مسلم.

ومثل ما روى أبو داود أيضاً عن أوس بن أوس (٧) أوس (٨) ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة وليلة الجمعة، فإن صلاتكم معروضة علي، قالوا: يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ فقال: إن الله حرم علي الأرض أن

(١) أبو داود المناسك (٢٠٤٢)، أحمد (٣٦٧/٢).

(٢) من هنا حتى قوله: أينما كنتم (نصف سطر): سقط من (أ).

(٣) هو: حميد بن زياد بن أبي المخارق، الخراط، أبو صخر، صاحب العباء، مدني، صدوق يهم، من الطبقة السادسة، مات سنة (١٨٩هـ). انظر: تقريب التهذيب (١ / ٢٠٢)، (ت٥٩٤).

(٤) هو: يزيد بن عبد الله بن قسيط بن أسامة الليثي أبو عبد الله المدني الأعرج ثقة من الطبقة الرابعة أخرج له الستة، ومات سنة (١٢٢هـ)، وعمره (٩٠) سنة. انظر: تقريب التهذيب (٢ / ٣٦٧)، (ت٢٨١).

(٥) أبو داود المناسك (٢٠٤١)، أحمد (٥٢٧/٢).

(٦) سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، الحديث رقم (٢٠٤١)، (٢ / ٥٣٤)، وقد تبين المؤلف أنه على شرط مسلم.

(٧) في (د): بن أبي أوس. لكنه في أبي داود وابن ماجه: أوس بن أوس، كما في النسخ المخطوطة الأخرى.

(٨) هو الصحابي الجليل: أوس بن أوس الثقفي، وقد اختلف في اسمه، عداه في أهل الشام: انظر: أسد الغابة (١ / ١٣٩، ١٤٠)؛ وتهذيب التهذيب (١ / ٣٨١، ٣٨٢)، (ت٣٩٧، ٣٩٨).

## تأكل لحوم الأنبياء ﴿ (١) (٢) .

[أرم أي صار رميما، أي عظما باليا، فإذا اتصلت به تاء الضمير فأفصح اللغتين أن يفك الإدغام فيقال: أرمت. وفيه لغة أخرى كما في الرواية: أرمت بتشديد الميم، وقد يخفف، فيقال: أرمت] (٣) .

وفي (٤) مسند ابن أبي شيبه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ من صلى عند قبري (٥) سمعته، ومن صلى علي نائيا بلغته ﴾ (٦) . رواه الدارقطني بمعناه.

وفي النسائي وغيره عنه ﷺ أنه قال: ﴿ إن الله وكل بقبري ملائكة يبلغوني عن أمي السلام ﴾ (٧) إلى أحاديث أخر (٨) في هذا الباب متعددة.

ثم إن أفضل التابعين من أهل بيته علي بن الحسين رضي الله عنه نهي ذلك (٩) الرجل أن يتحرى

---

(١) النسائي الجمعة (١٣٧٤)، أبو داود الصلاة (١٠٤٧)، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٦٣٦)، أحمد (٨/٤)، الدارمي الصلاة (١٥٧٢) .

(٢) انظر: سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، الحديث رقم (١٠٤٧) (١ / ٦٣٥)، وفيه زيادة قليلة فليراجع، كما أخرجه أبو داود أيضا في كتاب الصلاة، باب الاستغفار، الحديث رقم (١٥٣١)، (٢ / ١٨٤) باختلاف يسير في أول السياق عما ذكره المؤلف؛ وأخرجه ابن ماجه في كتاب الجنائز؛ باب (٦٥)، الحديث رقم (١٦٣٦)، (١ / ٥٢٤)، وأحمد في مسنده (٤ / ٨) .

(٣) ما بين المعكوفين من المخطوطة (أ) . ولم تذكره النسخ الأخرى كما في المتن، لكن ذكره في النسخة (ط) في الحاشية، وقال: حاشية بخط المصنف . ثم ذكره، وبعده رمز بالإشارة: (ن) .

(٤) من هنا حتى قوله: إلى أحاديث أخر (ثلاثة سطور تقريبا): سقط من (أ) .

(٥) في المطبوعة: علي . وعند قبري: ساقطة .

(٦) في (ط): بقلته . وهو تحريف .

(٧) سنن النسائي، كتاب السهو، باب السلام على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم (٣ / ٤٣)، ولفظه: " إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمي السلام "؛ وأخرجه الدرامي في سننه، كتاب الرقاق، باب فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم (١ / ٣١٧)، وأحمد في المسند (١ / ٣٨٧)، ٤٤١، (٤٥٢)، كلهم عن عبد الله بن مسعود، وقال السيوطي في الجامع الصغير: حديث صحيح (١ / ٣٥٩) .

(٨) في (أ): أخرى .

(٩) في (ط): نهي عن ذلك .

الدعاء عند قبره ﷺ واستدل بالحديث، وهو راوي الحديث الذي سمعه من أبيه الحسين، عن جده علي، واعلم بمعناه من غيره (١)؛ فبين أن قصده (٢) للدعاء ونحوه اتخاذ له عيداً. وكذلك ابن عمه حسن بن حسن شيخ أهل بيته، كره أن يقصد الرجل القبر للسلام عليه ونحوه عند دخول المسجد، ورأى أن ذلك (٣) من اتخاذه عيداً. فانظر هذه السنة كيف مخرجها من أهل المدينة وأهل البيت، الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب وقرب الدار، لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم فكانوا لها أضبط.

والعيد إذا جعل اسماً للمكان فهو المكان الذي يقصد الاجتماع فيه، وانتيا به (٤) للعبادة عنده، أو لغير العبادة، كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة، جعلها الله عيداً، مثابة للناس، يجتمعون فيها، ويتنابونها، للدعاء والذكر والنسك، وكان للمشركين أمكنة يتنابونها للاجتماع عندها. فلما جاء الإسلام محاً الله ذلك كله.

وهذا النوع من الأمكنة يدخل فيه قبور الأنبياء والصالحين والقبور التي يجوز أن تكون قبوراً لهم، بتقدير كونها قبوراً لهم، بل وسائر القبور أيضاً داخله في هذا. فإن قبر المسلم له من الحرمة ما جاءت به السنة، إذ هو بيت المسلم الميت، فلا يترك عليه شيء من النجاسات بالاتفاق ولا يوطأ ولا يداس، ولا يتكأ عليه عندنا، وعند جمهور العلماء، ولا يجاور بما يؤذي الأموات من الأقوال والأفعال الخبيثة، ويستحب عند إتيانه السلام على صاحبه، والدعاء له، وكلما كان الميت أفضل، كان حقه أوكد.

(١) في المطبوعة: وهم أعلم بمعناه من غيرهم.

(٢) في المطبوعة: فتبين أن قصد قبره.

(٣) ذلك: ساقطة من (ط).

(٤) في المطبوعة: وإتيانه. وانتيا به: أي إتيانه مرة بعد أخرى. انظر: القاموس المحيط، فصل الواو، باب الباء)

قال بريدة بن الحصيب <sup>(١)</sup> رضي الله عنه ﴿ كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر، أن يقول قائلهم: "السلام على أهل الديار"، وفي لفظ: "السلام عليكم أهل الديار، من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية ﴾ <sup>(٢)</sup> . رواه مسلم <sup>(٣)</sup> .

وروى أيضاً عن أبي هريرة ﴿ أن رسول الله ﷺ خرج إلى المقبرة فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون ﴾ <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup> .

وروي أيضاً عن عائشة في حديث طويل "عن النبي ﷺ قال: ﴿ إن جبريل أتاني فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع، فتستغفر لهم، قالت: قلت: كيف أقول يا رسول الله؟ قال: قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون ﴾ <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup> <sup>(٨)</sup> .

وروى ابن ماجه عن عائشة قالت: ﴿ فقدته فإذا هو بالبقيع، فقال: السلام عليكم

---

(١) هو الصحابي الجليل : بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحرث بن الأعرج الأسلمي ، أسلم أثناء الهجرة ، وقدم إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعد أحد ، وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ست عشرة غزوة ، وغزا خراسان في زمن عثمان ، وكان سكن البصرة لما فتحت ، ثم سكن مرو إلى أن مات في خلافة يزيد سنة (٦٣هـ) . انظر الكتاب : الإصابة ( ١ / ١٤٦ ) ، (ت ٦٣٢) .

(٢) مسلم الجنائز (٩٧٥) ، النسائي الجنائز (٢٠٤٠) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٥٤٧) ، أحمد (٣٦٠/٥) .  
(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز ، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها الحديث رقم (٩٧٥) ، ٢ / (٦٧١) .

(٤) مسلم الطهارة (٢٤٩) ، النسائي الطهارة (١٥٠) ، أبو داود الجنائز (٣٢٣٧) ، ابن ماجه الزهد (٤٣٠٦) ، أحمد (٣٠٠/٢) ، مالك الطهارة (٦٠) .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة ، باب استحباب إطالة الغرة ، الحديث رقم (٢٤٩) ، (١ / ٢١٨) .

(٦) مسلم الجنائز (٩٧٤) ، النسائي الجنائز (٢٠٣٧) ، أحمد (٢٢١/٦) .

(٧) في (د ط) : للاحقون .

(٨) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب ما يقال عند دخول القبور ، الحديث رقم (٩٧٤) ، (٢ / ٦٦٩ - ٦٧١) .

دار قوم مؤمنين، أنتم لنا فرط، ونحن بكم لاحقون، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم ﴿ (١) (٢) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿ مر رسول الله ﷺ بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال: "السلام عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر ﴿ (٣) رواه أحمد والترمذي وقال: "حديث حسن غريب" (٤) .

وقد ثبت عنه أنه بعد أحد بثمان سنين خرج إلى الشهداء، فصلى عليهم كصلاته على الميت (٥) . وروى أبو داود، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: ﴿ كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت، وقف عليه فقال: استغفروا لأخيكم وسلوا (٦) له التثبيت، فإنه الآن يسأل ﴿ (٧) .

وقد روي حديث صححه ابن عبد البر أنه قال: ﴿ ما من رجل يمر بقبر رجل كان

---

(١) مسلم الطهارة (٢٤٩) ، النسائي الطهارة (١٥٠) ، أبو داود الجنائز (٣٢٣٧) ، ابن ماجه الزهد (٤٣٠٦) ، أحمد (٣٧٥/٢) ، مالك الطهارة (٦٠) .

(٢) انظر : سنن ابن ماجه ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء فيما يقال إذا دخل المقابر ، حديث رقم (١٥٤٦) ، (١) / (٤٩٣) .

(٣) الترمذي الجنائز (١٠٥٣) .

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب الجنائز ، باب ما يقول الرجل إذا دخل المقابر ، الحديث رقم (١٠٥٣) ، (٣) / (٣٦٩) ، وقال : " وفي الباب عن بريدة وعائشة " ، ثم قافل : " حديث ابن عباس حديث حسن غريب " (٣) / (٣٦٩) ؛ وأحمد في المسند عن أبي هريرة وبريدة وعائشة رضي الله عنهم . انظر : الفتح الرباني (٨ / ١٧٢ - ١٧٦) .

(٥) ورد ذلك في الصحيحين وغيرهما ، وقد مر تخريجه . انظر فهرس الأحاديث .

(٦) في (د) : واسألوا .

(٧) أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز ، باب الاستغفار عند القبر للميت ، الحديث رقم (٣٢٢١) ، (٣) / (٥٥٠) ؛ وأخرجه الحاكم في المستدرک ، كتاب الجنائز ، باب الاستغفار وسؤال التثبيت للميت عند الدفن (١) / (٣٧٠) ، وقال : " هذا حديث صحيح على شرط الإسناد ، ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي في التلخيص . انظر : الهامش (١) / (٣٧٠ ، ٣٧١) .

يعرفه في الدنيا، فيسلم عليه، إلا رد الله عليه روحه، حتى يرد عليه السلام ﴿<sup>(١)</sup>﴾ .

وروى في تلقين الميت <sup>(٢)</sup> بعد الدفن حديث فيه نظر، لكن عمل به رجال من أهل الشام الأولين، مع روايتهم له، فلذلك استحبه أكثر أصحابنا وغيرهم <sup>(٣)</sup> .  
فهذا ونحوه مما <sup>(٤)</sup> كان النبي ﷺ يفعله، ويأمر به أمته عند قبور المسلمين، عقب الدفن، <sup>(٥)</sup> وعند زيارتهم، والمرور بهم، إنما هو تحية للميت، كما يحي الحي ودعاء له كما يدعى له، إذا صلى عليه قبل الدفن أو بعده، وفي ضمن الدعاء للميت، دعاء الحي لنفسه، ولسائر المسلمين، كما أن الصلاة على الجنازة فيها الدعاء للمصلي، ولسائر المسلمين، وتخصيص الميت بالدعاء له، فهذا كله، وما كان مثله، من سنة رسول الله ﷺ وما كان عليه السابقون الأولون، هو المشروع للمسلمين في ذلك. وهو الذي كانوا يفعلونه عند قبر النبي ﷺ وغيره.

وروى ابن بطة <sup>(٦)</sup> في الإبانة، بإسناد صحيح، عن معاذ بن معاذ <sup>(١)</sup> حدثنا ابن <sup>(٢)</sup>

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير، وقال: الخطيب في التاريخ وابن عساكر عن أبي هريرة (٢ / ٥١٨)، ح (٧٠٦٢)، ولفظه: " ما من عبد . . . الحديث . قال المناوي في فيض القدير: " قال الجوزي: حديث لا يصلح"، ثم قال: " وأفاد الحافظ العراقي أن ابن عبد البر أخرجه في (التمهيد) و (الاستذكار) بإسناد صحيح من حديث ابن عباس، ومن صححه عبد الحق " فيض القدير (٥ / ٤٨٧)، وأخرجه ابن عبد البر في (الاستذكار) (١ / ٢٣٤) .

(٢) تلقين الميت: أن يقف الرجل على قبر الميت ويقول له: يا فلان اذكر كذا وكذا . . إلخ . انظر: المغني والشرح الكبير (٢ / ٣٨٧) .

(٣) فصل المؤلف في هذا الموضوع في مجموع الفتاوى (٢٤ / ٢٩٦ - ٢٩٩) . وانظر: المغني والشرح الكبير (٢ / ٣٨٥ ، ٣٨٦) . وانظر التفصيل عن الحديث الوارد في ذلك في كتاب (الأذكار) للنووي مع شرحه (الفتوحات الربانية) لابن علان (٤ / ١٩٤ - ١٩٦) .

(٤) في (أ ج د): ما كان .

(٥) من هنا حتى قوله: أو بعده (سطران): ساقطة من (ط) .

(٦) هو: عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان، أبو عبد الله العكبري المعروف بابن بطة: فقيه وعالم بالحديث، ومن كبار علماء الحنابلة، وله مصنفات كثيرة تزيد على المائة. منها: الشرح والإبانة على أصول الديانة، ومنها: التفرد والعزلة. وتحريم الخمر. واذم الغناء والاستماع إليه، وغيرها توفي سنة (٣٨٧هـ)، وكانت

---

عون<sup>(٣)</sup> قال: سأل رجل نافعاً<sup>(٤)</sup> فقال: هل كان ابن عمر يسلم على القبر، فقال: نعم، لقد رأيتُه مائة<sup>(٥)</sup> أو أكثر من مائة مرة، كان يأتي القبر، فيقوم عنده فيقول: "السلام على النبي، السلام على أبي بكر، السلام على أبي" <sup>(٦)</sup>. وفي رواية أخرى، ذكرها الإمام أحمد محتجاً بها: "ثم ينصرف"، وهذا الأثر رواه مالك في الموطأ<sup>(٧)</sup>.

---

ولادته سنة (٣٠٤هـ). انظر: طبقات الحنابلة (٢ / ١٤٤ - ١٥٣)، (ت ٦٢٢)؛ والأعلام للزركلي (٤ / ١٩٧).

(١) هو: معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان العنبري، أبو المثني، البصري القاضي، ثقة متقن. مات سنة (١٩٦هـ)، أخرج له الستة. انظر: تهذيب التهذيب (٢ / ٢٥٧)، (ت ١٢٠٩).

(٢) ابن: ساقطة من (أ).

(٣) في (د): عوف. والصحيح: ابن عون؛ لأنه هو الراوي عن معاذ، وقد مرت ترجمته. انظر فهرس الأعلام.

(٤) أي: مولى ابن عمر.

(٥) في (أ): مائة مرة.

(٦) في المطبوعة: على عمر أبي.

(٧) انظر: الموطأ، كتاب قصر الصلاة والسفر، باب ما جاء في الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم

، رقم (٦٨)، (٢ / ١٦٦).

وزيارة القبور جائزة في الجملة، حتى قبور الكفار، فإن في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال ﷺ ﴿ استأذنت ربي أن أستغفر لأمي <sup>(١)</sup> فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي <sup>(٢)</sup> ﴾ .

وفيه أيضاً عنه قال: ﴿ زار النبي ﷺ قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله، فقال: استأذنت ربي أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور، فإنها تذكروا الموت <sup>(٣)</sup> ﴾ <sup>(٤)</sup> .

وفي صحيح مسلم <sup>(٥)</sup> عن بريدة، " أن النبي ﷺ قال: " <sup>(٦)</sup> ﴿ فهيتكم عن زيارة القبور فزوروها <sup>(٧)</sup> ﴾ <sup>(٨)</sup> . وفي رواية لأحمد والنسائي: ﴿ فمن أراد أن يزور فليزر ولا تقولوا هجراً <sup>(٩)</sup> ﴾ <sup>(١٠)</sup> .

(١) في (ط) : لأمتي . وهو خطأ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي ربه في زيارة قبر أمه ، الحديث رقم (٩٧٦) ، ٢ / ٦٧١ .

(٣) مسلم الجنائز (٩٧٦) ، النسائي الجنائز (٢٠٣٤) ، أبو داود الجنائز (٣٢٣٤) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٥٧٢) ، أحمد (٤٤١/٢) .

(٤) نفس المرجع السابق .

(٥) مسلم : ساقطة من (أ) .

(٦) في المطبوعة : كنت فهيتكم . لكنه خلاف النسخ الأخرى ومسلم .

(٧) مسلم الجنائز (٩٧٧) ، النسائي الضحايا (٤٤٢٩) ، أبو داود الأشربة (٣٦٩٨) ، أحمد (٣٥٥/٥) .

(٨) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي ربه في زيادة قبر أمه ، الحديث رقم (٩٧٧) ، ٢ / ٦٧٢ .

(٩) مسلم الجنائز (٩٧٧) ، النسائي الجنائز (٢٠٣٣) ، أبو داود الأشربة (٣٦٩٨) ، أحمد (٣٥٥/٥) .

(١٠) مسند أحمد (٥ / ٣٦١)؛ وسنن النسائي (٤ / ٨٩)؛ ومالك في الموطأ ، كتاب الضحايا ، باب ادخار لحوم الأضاحي ، حديث رقم (٨) ، ٢ / ٤٨٥)؛ وأخرج الشافعي في (الأم) عن مالك ، عن ربيعة بن عبد الرحمن ، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله قال : " وهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا " وإسناده



وروى أحمد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنها تذكركم الآخرة﴾ (١) (٢) .

فقد أذن النبي صلى الله عليه وسلم في زيارتها بعد النهي، وعلل ذلك بأنها تذكر الموت، والدار الآخرة، وأذن (٣) إذناً عاماً، في زيارة قبر المسلم والكافر.

والسبب الذي ورد عليه هذا اللفظ يوجب دخول الكافر، والعلة -وهي تذكر الموت والآخرة- موجودة في ذلك كله. وقد كان (٤) صلى الله عليه وسلم يأتي قبور أهل البقيع والشهداء للدعاء لهم والاستغفار، فهذا المعنى يختص (٥) بالمسلمين دون الكافرين. فهذه الزيارة وهي زيارة القبور، لتذكر الآخرة، أو لتحيتهم والدعاء لهم، هو الذي جاءت به السنة، كما تقدم.

وقد اختلف أصحابنا وغيرهم، هل يجوز السفر لزيارتها؟ على قولين:

: لا يجوز، والمسافرة لزيارتها معصية، ولا يجوز قصر الصلاة فيها، وهذا قول

ابن بطة وابن عقيل، وغيرهما؛ لأن هذا السفر بدعة، لم يكن في عصر السلف، وهو مشتمل على ما سيأتي من معاني النهي، ولأن في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لا تشد

الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا﴾ (٦) (٧) .

وهذا النهي يعم السفر إلى المساجد والمشاهد، وكل مكان يقصد السفر إلى عينه

صحيح . انظر : (الأم) ( ١ / ٢٧٨ ) . والهجر ، بالضم : الكلام القبيح . قال الشافعي : " وذلك مثل الدعاء

بالويل والثبور ، والنياحة " . (الأم) ( ١ / ٢٧٨ ) ؛ والقاموس المحيط ، فصل الهاء ، باب الراء ( ٢ / ١٦٤ ) .

(١) مسلم الأضاحي (١٩٧٧) ، النسائي الضحايا (٤٤٢٩) ، أبو داود الأشربة (٣٦٩٨) ، أحمد (٣٥٥/٥) .

(٢) مسند أحمد (١ / ١٤٥) .

(٣) في المطبوعة : وأذن لنا .

(٤) في (ب د) : وقد كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(٥) في (ب) : تخصيص للمسلمين .

(٦) البخاري الجمعة (١١٣٢) ، مسلم الحج (١٣٩٧) ، النسائي المساجد (٧٠٠) ، أبو داود المناسك (٢٠٣٣) ،

ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٤٠٩) ، أحمد (٢٣٤/٢) ، الدارمي الصلاة (١٤٢١) .

(٧) الحديث مر . انظر : فهرس الأحاديث .

للتقرب<sup>(١)</sup> بدليل أن بصرة بن أبي بصرة الغفاري<sup>(٢)</sup> لما رأى أبا هريرة راجعاً من الطور الذي كلم الله عليه موسى<sup>(٣)</sup> قال: لو رأيتك قبل أن تأتيه لم تأتته لأن النبي ﷺ قال: ﴿ لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ﴾<sup>(٤) (٥)</sup>.

فقد فهم الصحابي الذي روى الحديث أن الطور وأمثاله من مقامات الأنبياء، مندرجة في العموم، وأنه لا يجوز السفر إليها، كما لا يجوز السفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة. وأيضاً فإذا كان السفر إلى بيت من بيوت الله -غير الثلاثة- لا يجوز، مع أن قصده لأهل مصره يجب تارة، ويستحب أخرى، وقد جاء في قصد المساجد من الفضل ما لا يحصى -فالسفر إلى بيوت<sup>(٦)</sup> عباده أولى أن لا يجوز.

: أنه يجوز السفر إليها، قاله طائفة من المتأخرين، منهم أبو حامد الغزالي<sup>(٧)</sup> وأبو الحسن بن عبدوس الحراني<sup>(٨)</sup> والشيخ أبو محمد المقدسي<sup>(٩)</sup>. وما علمته

(١) في المطبوعة زاد: والعبادة.

(٢) هو الصحابي الجليل: بصرة بن أبي بصرة، جميل بن بصرة بن وقاص الغفاري، له ولأبيه صحبة. انظر: تهذيب التهذيب (١ / ٤٧٣)، (ت ٨٧٦).

(٣) في (ب): الذي كلم الله موسى عليه.

(٤) البخاري الجمعة (١١٣٢)، مسلم الحج (١٣٩٧)، النسائي المساجد (٧٠٠)، أبو داود المناسك (٢٠٣٣)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٤٠٩)، أحمد (٢٣٤/٢)، الدارمي الصلاة (١٤٢١).

(٥) جاء ذلك في حديث طويل أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الجمعة، باب ما جاء في الساعة التي في يوم الجمعة، الحديث رقم (١٦)، (ص ١٠٨ - ١١٠) وفي لفظه: " لا تعمل المطي إلا ثلاثة مساجد؛ وأخرجه النسائي في كتاب الجمعة، باب الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة (٣ / ١١٣ - ١١٦) وبلفظ: " لا تعمل المطي " أيضاً. وإسناد الحديث صحيح.

(٦) في المطبوعة: بيوت الموتى من عباده.

(٧) هو: محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو محمد، الملقب بحجة الإسلام، ولد سنة (٤٥٠هـ) من فقهاء الشافعية، له مصنفات في الفقه وأصوله والفلسفة، ولولا اشتغاله بالفلسفة والتصوف لكان له شأن أعظم مما كان. من مصنفته: إحياء علوم الدين، والمستضفى. والوجيز، والخلاصة. توفي سنة (٥٠٥هـ). انظر: وفيات الأعيان (٤ / ٢١٦ - ٢١٩)، (ت ٥٨٨)؛ والأعلام (٧ / ٢٢).

(٨) هو: علي بن عمر بن أحمد بن عمار بن أحمد بن عبدوس الحراني، الفقيه الزاهد، العارف الواعظ، أبو الحسن، ولد سنة (٥١١هـ). من علماء الحنابلة في القرن السادس، له تفسير القرآن العظيم، وكتاب:

منقولاً عن أحد من المتقدمين، بناء على أن الحديث لم يتناول النهي عن ذلك، كما لم يتناول النهي عن السفر إلى الأمكنة التي فيها الوالدان، والعلماء والمشايخ، والإخوان، أو بعض المقاصد، من الأمور الدنيوية المباحة.

فأما ما سوى ذلك من المحدثات، فأمر:

منها- الصلاة عند القبور مطلقاً، واتخاذها مساجد، وبناء المساجد عليها، فقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك، والتغليظ فيه. فأما بناء المساجد على القبور فقد صرح عامة علماء الطوائف بالنهي عنه، متابعة للأحاديث، وصرح أصحابنا وغيرهم، من أصحاب مالك والشافعي وغيرهما، بتحريمه، ومن العلماء من أطلق فيه لفظ الكراهة. فما أدري عني به التحريم، أو التثريب؟

ولا ريب في القطع بتحريمه، لما روى مسلم في صحيحه "عن جندب بن عبد الله البجلي قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: ﴿إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمي<sup>(٢)</sup> خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك﴾" (٣).

المذهب في المذهب . توفي سنة (٥٥٩هـ) . انظر : كتاب الذيل على طبقات الحنابلة (١ / ٢٤١ - ٢٤٤) ، (ت ١٢٨) .

(١) ممن يعرف بهذه الكنية : عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور الجماعيلي المقدسي ، تقي الدين ، أبو محمد ، الحافظ المحدث الفقيه الحنبلي . ولد سنة (٥٤١هـ) ، توفي سنة (٦٠٠هـ) ، وله مصنفات كثيرة منها : العمدة في الأحكام ، والأحكام ، والكمال في معرفة الرجال ، وغيرها . انظر : كتاب الذيل على طبقات الحنابلة (٢ / ٥ - ٢٩) . وكذلك : عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي ، موفق الدين أبو محمد ، صاحب كتاب (المغني) في الفقه الحنبلي ، وصاحب التصانيف الكثيرة ولد سنة (٥٤١هـ) ، وتوفي سنة (٦٢٠هـ) . انظر : كتاب الذيل على طبقات الحنابلة (٢ / ١٣٣ - ١٤٩) . وكلاهما يكتنن بأبي محمد ، كما أن كلا منهما مشهور عند الحنابلة وغيرهم ، ولم أجد ما يرجح أيهما المقصود .

(٢) في المطبوعة : منكم . والصحيح ما أثبتته كما هو في مسلم والنسخ الأخرى .

(٣) انظر : صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، الحديث رقم (٥٣٢) ، (١ / ٣٧٧ ، ٣٧٨) .

وعن عائشة رضي الله عنها، وعبد الله بن عباس قالاً (١) ﴿لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا﴾ (٢) أخرجه البخاري ومسلم (٣). وأخرجاً جميعاً عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: ﴿قاتل الله اليهود (٤) اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد﴾ (٥) (٦) وفي رواية لمسلم: ﴿لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد﴾ (٧) (٨). فقد نهى عن اتخاذ القبور مساجد في آخر حياته، ثم إنه لعن -وهو في السياق- من فعل ذلك من أهل الكتاب، ليحذر أمته أن يفعلوا ذلك. قالت عائشة: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يبق منه: ﴿لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد﴾ (٩) ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشى أن

(١) في (ب) : قال .

(٢) البخاري الصلاة (٤٢٥) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣١) ، النسائي المساجد (٧٠٣) ، أحمد (٦/٢٧٤) ، الدارمي الصلاة (١٤٠٣) .

(٣) أخرج البخاري هذا الحديث في مواضع كثيرة . انظر : كتاب الصلاة ، الباب (٥٥) ، الحديث رقم ٤٣٥ - ٤٣٦ فتح الباري (١ / ٥٣٢) . وأخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ، الحديث رقم (٥٣١) ، (١ / ٣٧٧) .

(٤) في المطبوعة : والنصارى . وهو خلاف ما في الصحيحين والنسخ الأخرى .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، الباب (٥٥) ، الحديث رقم (٤٣٧) ، (١ / ٥٣٢) من فتح الباري . وصحيح مسلم ، وكتاب المساجد ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ، الحديث رقم (٥٣٠) ، (١ / ٣٧٦ ، ٣٧٧) .

(٦) من هنا حتى قوله : فقد نهى (سطر واحد تقريباً) : ساقطة من (د) .

(٧) البخاري الجناز (١٣٢٤) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣١) ، النسائي المساجد (٧٠٣) ، أحمد (٦/١٢١) ، الدارمي الصلاة (١٤٠٣) .

(٨) صحيح مسلم ، الكتاب والباب السابقان ، تابع الحديث رقم (٥٣٠) ، (١ / ٣٧٧) .

(٩) البخاري الجناز (١٣٢٤) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣١) ، النسائي المساجد (٧٠٣) ، أحمد (٦/١٢١) ، الدارمي الصلاة (١٤٠٣) .

يتخذ مسجداً. رواه البخاري ومسلم<sup>(١)</sup> .

وروى الإمام أحمد في مسنده بإسناد جيد عن عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال:

﴿ إن من أشرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور

مساجد ﴾<sup>(٢)</sup> رواه أبو حاتم<sup>(٣)</sup> في صحيحه<sup>(٤)</sup> .

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ لعن الله اليهود<sup>(٥)</sup> اتخذوا قبور

أنبيائهم مساجد ﴾<sup>(٦)</sup> . رواه الإمام أحمد.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿ لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين

عليها المساجد والسرج ﴾<sup>(٧)</sup> . رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي<sup>(٨)</sup> .

(١) صحيح مسلم ، الكتاب والباب السابقان ، الحديث رقم (٥٢٩) ، ( ١ / ٣٧٦ ) . وصحيح البخاري ، كتاب

الجنائز ، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور ، الحديث رقم (١٣٣٠) ، ( ٣ / ٢٠٠ ) من فتح الباري .

(٢) مسند أحمد ( ١ / ٤٣٥ ) .

(٣) قوله : رواه أبو حاتم في صحيحه : سقطت من (أ ط) .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ، عن معمر والثوري ، عن أبي إسحاق والحارث ، عن علي ، وأحسب معمر

رفعه قال : " من شرار الناس من يتخذ القبور مساجد " . المصنف ( ١ / ٤٠٥ ) ، رقم (١٥٨٦) ، باب

الصلاة على القبور .

(٥) في (ب د) وفي المطبوعة : والنصارى . ولم أجد لها في مسند أحمد عن زيد بن ثابت ، أي كلمة " والنصارى "

(٦) مسند أحمد ( ٥ / ١٨٤ ، ١٨٦ ) في مسند زيد . وفي إسناده عقبة بن عبد الرحمن ، مجهول عند بعض أئمة

الجرح ، وذكره ابن حبان في الثقات . انظر : تهذيب التهذيب ( ٧ / ٢٤٥ ) ، (ت ٤٤١) . أما بقية رجال

الحديث فهم ثقات ، وقد ذكر المؤلف آنفا هذا الحديث من طرق صحيحة متفق عليها عند البخاري ومسلم .

(٧) الترمذي الصلاة (٣٢٠) ، النسائي الجنائز (٢٠٤٣) ، أبو داود الجنائز (٣٢٣٦) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز

(١٥٧٥) ، أحمد (٣٣٧/١) .

(٨) مسند أحمد ( ١ / ٢٢٩ ، ٢٨٧ ، ٣٢٤ ، ٣٣٧ ) ، وأبو داود ، كتاب الجنائز ، باب في زيارة النساء القبور ،

الحديث رقم (٣٢٣٦) ، ( ٣ / ٥٥٨ ) ، والترمذي في كتاب الصلاة ، باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على

القبر مسجداً ، الحديث رقم (٣٢٠) ، ( ٢ / ١٣٦ ) ، وقال الترمذي : " حديث ابن عباس حديث حسن " ( ٢ )

---

وفي الباب أحاديث وآثار<sup>(١)</sup> كثيرة ليس هذا موضع استقصائها<sup>(٢)</sup> .  
فهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين، والملوك وغيرهم - يتعين إزالتها بهدم  
أو بغيره، هذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء المعروفين، وتكره الصلاة فيها من غير  
خلاف أعلمه، ولا تصح عندنا في ظاهر المذهب<sup>(٣)</sup> لأجل النهي واللعن الوارد في ذلك،  
ولأحاديث أخرى، وليس في هذه المسألة خلاف لكون المدفون فيها<sup>(٤)</sup> واحداً، وإنما اختلف  
أصحابنا في المقبرة المجردة عن مسجد، هل حدوها ثلاثة أقبر، أو ينهى عن الصلاة عند القبر  
الغد وإن لم يكن عنده قبر آخر؟ على وجهين<sup>(٥)</sup> .

---

/ ١٣٧) ، وإذا نظرنا إلى مجموع طرقه وشواهدة فهو يصل إلى درجة الصحيح ، وتقدم تخرجه . انظر : فهرس  
الأحاديث .

(١) في المطبوعة : أحاديث كثيرة وآثار ليس هذا . . إلخ .

(٢) راجع : مجموع الفتاوى للمؤلف (٢٧ / ١٥٥ - ١٧٠) .

(٣) ذكر في المغني أن من بنى مسجداً في المقبرة بين القبور فحكمه حكمها . أي في عدم جواز الصلاة (١ / ٧٢٠

- ٧٢١) في المغني والشرح الكبير . وانظر : مجموع الفتاوى للمؤلف (٢١ / ٣٠٤ ، ٣٢١ - ٣٢٣) ، (٢٢ /  
١٩٤ ، ١٩٥) ، (٢٧ / ١٤٠) .

(٤) فيها : ساقطة من (ط) .

(٥) انظر : الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ، للمرادوي (١ / ٤٩٠) .

ثم يتغلظ النهي إن كانت البقعة مغصوبة، مثل ما بني على<sup>(١)</sup> بعض العلماء، أو الصالحين، أو غيرهم ممن كان مدفوناً في مقبرة مسبلة، فبني على قبره مسجد، أو مدرسة، أو رباط، أو مشهد، وجعل فيه مطهرة، أو لم يجعل فإن هذا مشتمل على أنواع من المحرمات.

: أن المقبرة المسبلة لا يجوز الانتفاع بها في غير الدفن من غير تعويض بالاتفاق، فبناء المسجد أو المدرسة أو الرباط فيها: كدفن الميت في المسجد، أو كبناء الخانات ونحوها في المقبرة، أو كبناء المسجد في الطريق الذي يحتاج الناس إلى المشي فيه.  
: اشتمال غالب ذلك على نبش قبور المسلمين، وإخراج عظام موتاهم، كما قد علم ذلك في كثير من هذه المواضيع.

: أنه قد روى مسلم في صحيحه عن جابر: ﴿ أن رسول الله ﷺ نهى أن يبنى

على القبور ﴾<sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup>.

: أن بناء المطاهر<sup>(٤)</sup> التي هي محل النجاسات، بين مقابر المسلمين، من أقبح ما تجاور به القبور، لا سيما إن كان محل المطهرة قبر رجل<sup>(٥)</sup> مسلم.  
: اتخاذ القبور مساجد، وقد تقدم بعض النصوص المحرمة لذلك.

(١) في المطبوعة : على قبر بعض العلماء . وهو توضيح للعبارة مكانه الهامش .

(٢) مسلم الجنائز (٩٧٠) ، الترمذي الجنائز (١٠٥٢) ، النسائي الجنائز (٢٠٢٧) ، أبو داود الجنائز (٣٢٢٥) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٥٦٣) ، أحمد (٣٣٩/٣) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب النهي عن تخصيص القبر والبناء عليه ، الحديث رقم (٩٧٠) ، (٢) / (٦٦٧) ، ولفظه : " عن جابر قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يخصص القبر ، وأن يقعد عليه ، وأن يبنى عليه " .

(٤) المطاهر : جمع مطهرة وهي : الأماكن المعدة للتطهر والوضوء . وضاء الحاجة . وهي الحمامات " دورات المياه " في عرفنا اليوم .

(٥) رجل : سقطت من (أ) .

: الإسراج على القبور وقد لعن رسول الله ﷺ من يفعل ذلك (١) .

: مشاهمة أهل الكتاب في كثير من الأقوال والأفعال والسنن بهذا السبب كما

هو الواقع. إلى غير ذلك من الوجوه.

وقد كانت البنية التي على قبر إبراهيم الخليل ﷺ مسدودة لا يدخل إليها إلى حدود

المائة الرابعة، ف قيل: إن بعض النسوة المتصلات بالخلفاء رأَت في ذلك منامًا فنقبت (٢)

لذلك. وقيل: إن النصرى لما استولوا على هذه النواحي نقبوا ذلك. ثم ترك ذلك مسجدًا

بعد الفتوح المتأخرة. وكان أهل الفضل من شيوخنا لا يصلون في مجموع تلك البنية،

وينهون أصحابهم عن الصلاة فيها، اتباعًا لأمر رسول الله ﷺ واتقاء لمعصيته، كما تقدم.

وكذلك إيقاد المصاييح في هذه المشاهد مطلقًا، لا يجوز بلا خلاف أعلمه، للنهي

الوارد، ولا يجوز الوفاء بما ينذر لها من دهن وغيره، بل موجه موجب نذر المعصية.

ومن ذلك الصلاة عندها، وإن لم (٣) بين هناك مسجد، فإن ذلك أيضًا اتخاذها

مسجدًا، كما قالت عائشة: ﴿ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن خشي أن يتخذ

مسجدًا﴾ (٤) (٥) ولم تقصد عائشة رضي الله عنها مجرد بناء مسجد، فإن الصحابة لم

يكونوا لينوا حول قبره مسجدًا، وإنما قصدت أنهم خشوا أن الناس يصلون عند قبره،

وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدًا، بل كل موضع يصلى فيه فإنه يسمى

مسجدًا (٦) وإن لم يكن هناك بناء، كما قال النبي ﷺ ﴿جعلت لي الأرض مسجدًا

(١) تقدم ذكر الحديث الوارد في ذلك قريبا .

(٢) في (ب) : مقيت .

(٣) في (ط) : وإن هناك مسجد . ولعله خطأ من الناسخ .

(٤) البخاري المغازي (٤١٧٧) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣١) ، النسائي المساجد (٧٠٣) ، أحمد (٦)

(٤٦) ، الدارمي الصلاة (١٤٠٣) .

(٥) قد مر ذلك قريبا .

(٦) في (ب) : زاد : كما أن ما يتطهر به يسمى طهورا . وهو مناسب للسياق ، ولكنه لم يرد في النسخ الأخرى .



وطهوراً ﴿١﴾ .

وقد روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: ﴿الأرض كلها مسجد، إلا المقبرة والحمام﴾ ﴿٢﴾ رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه والبخاري، وغيرهم بأسانيد جيدة ﴿٣﴾ ومن تكلم فيه فما استوفى طريقه.

واعلم أن من الفقهاء من اعتقد أن سبب كراهة الصلاة في المقبرة ليس إلا كونها مظنة النجاسة، لما يختلط بالتراب من صديد الموتى، وبني على هذا الاعتقاد الفرق بين المقبرة الجديدة والعتيقة، وبين أن يكون بينه وبين التراب حائل، أو لا يكون.

ونجاسة الأرض مانع من الصلاة عليها، سواء كانت مقبرة أو لم تكن، لكن المقصود الأكبر بالنهي عن الصلاة عند القبور ليس هو هذا. فإنه قد بين أن اليهود والنصارى كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، وقال: ﴿لعن الله اليهود والنصارى

اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد﴾ ﴿٤﴾ يحذر ما فعلوا ﴿٥﴾ .

وروي عنه ﷺ ﴿٦﴾ أنه قال: ﴿اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على

---

(١) جاء ذلك في حديث متفق عليه . انظر : صحيح البخاري ، كتاب التيمم ، الباب (١) ، الحديث رقم (٣٣٥) من فتح الباري (١ / ٤٣٥ ، ٤٣٦)؛ وصحيح مسلم ، كتاب المساجد ، الحديث رقم (٥٢٣) ، (١ / ٣٧١)

(٢) الترمذي الصلاة (٣١٧) ، أبو داود الصلاة (٤٩٢) ، ابن ماجه المساجد والجماعات (٧٤٥) .

(٣) مسند أحمد (٣ / ٨٣ ، ٩٦)؛ وسنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب المواضع التي لا تجوز فيها الصلاة ، الحديث رقم (٤٩٢) ، (١ / ٣٣٠)؛ وسنن الترمذي ، كتاب الصلاة باب ما جاء أن الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام ، الحديث رقم (٣١٧) ، (٢ / ١٣١)؛ وسنن ابن ماجه ، كتاب المساجد ، باب المواضع التي تكره فيها الصلاة ، الحديث رقم (٧٤٥) ، (١ / ٢٤٦) ، وقد أشار المؤلف إلى أن أسانيد جيدة .

(٤) البخاري الجنائز (١٣٢٤) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣١) ، النسائي المساجد (٧٠٣) ، أحمد (٦ / ١٢١) ، الدارمي الصلاة (١٤٠٣) .

(٥) الحديث مر . انظر : فهرس الأحاديث .

(٦) في (أ ط) : وروي عنه اللهم .

قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ﴿<sup>(١)</sup>﴾ <sup>(٢)</sup> قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجدا <sup>(٣)</sup> وقال: ﴿إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد <sup>(٤)</sup>﴾ <sup>(٥)</sup> .

فهذا كله يبين لك أن السبب ليس هو مظنة النجاسة وإنما هو مظنة اتخاذها أوثانا. كما قال الشافعي رحمه الله " وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجدا، مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس " <sup>(٦)</sup> وقد ذكر هذا المعنى أبو بكر الأثرم في (ناسخ الحديث ومنسوخه)، وغيره من أصحاب أحمد وسائر العلماء فإن قبر النبي أو الرجل الصالح، لم يكن ينبش، والقبر الواحد لا نجاسة عليه.

وقد نبهه هو صلى الله عليه وسلم على العلة بقوله: ﴿اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد﴾ <sup>(٧)</sup> وبقوله: ﴿إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد فلا تتخذوها مساجد﴾ <sup>(٨)</sup> وأولئك إنما كانوا يتخذون قبورا لا نجاسة عندها. ولأنه قد روى مسلم في صحيحه عن أبي مرثد

(١) البخاري الصلاة (٤٢٦) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٠) ، النسائي الجنائز (٢٠٤٧) ، أبو داود الجنائز (٣٢٢٧) ، أحمد (٢/٢٤٦) .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ ، كتاب قصر الصلاة في السفر ، باب جامع الصلاة ، الحديث رقم (٨٥) ، (١ / ١٧٢) ، ومالك أرسله . لكن رواه أحمد عن أبي هريرة موصولا عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، المسند (٢ / ٢٤٦) .

(٣) مر كلام عائشة قريبا (٢ / ١٨٥) .

(٤) في (ط) : المساجد .

(٥) مر الحديث ، وفيه : " قبور أنبيائهم وصالحهم " . انظر : فهرس الأحاديث .

(٦) انظر : كتاب (الأم) للشافعي (١ / ٢٧٨) ، باب ما يكون بعد الدفن . وفيه ما يفيد هذا بمعناه .

(٧) البخاري الصلاة (٤٢٦) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٠) ، النسائي الجنائز (٢٠٤٧) ، أبو داود الجنائز (٣٢٢٧) ، أحمد (٢/٢٤٦) .

(٨) أحمد (١/١٩٥) .

الغنوي (١) أن النبي ﷺ قال: ﴿ لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها ﴾ (٢) (٣) .  
ولأنه ﷺ قال: ﴿ كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه  
تلك التصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة ﴾ (٤) (٥) . فجمع بين التماثيل  
والقبور.

وأیضا فإن اللات كان سبب عبادتها تعظیم قبر رجل صالح كان هناك، وقد ذكروا أن  
ودا وسواعا ويعوق ونسرا أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام.  
فروى محمد بن جرير بإسناده إلى الثوري عن موسى بن محمد بن قيس: "ويعوق ونسرا"  
قال: كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح عليهما السلام، وكان لهم اتباع يقتدون بهم، فلما  
ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا  
ذكرناهم، فصوروهم. فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا  
يعبدونهم، وبهم يسقون المطر، فعبدوهم (٦) . قال قتادة وغيره: "كانت هذه الآلهة يعبدها  
قوم نوح، ثم اتخذها العرب بعد ذلك" (٧) .

(١) هو الصحابي الجليل : كنان بن الحصين بن يربوع بن عمرو ، أبو مرثد الغنوي ، سكن الشام ، وهو حليف  
حمزة بن عبد المطلب ، وشهد بدرا ، وتوفي في عهد أبي بكر سنة (١٢هـ) ، وعمره (٦٦) سنة . انظر : أسد  
الغاية (٥ / ٢٩٤)؛ والإصابة (٤ / ١٧٧) ، (ت ١٠٣٢) .

(٢) مسلم الجنائز (٩٧٢) ، الترمذي الجنائز (١٠٥٠) ، النسائي القبلة (٧٦٠) ، أبو داود الجنائز (٣٢٢٩) ، أحمد  
(١٣٥/٤) .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز ، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه ، الحديث رقم (٩٧٢) ، (٣)  
(٦٦٨ / ) .

(٤) البخاري الصلاة (٤١٧) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٨) ، النسائي المساجد (٧٠٤) ، أحمد (٥١/٦)  
( ) .

(٥) الحديث مر تخريجه . انظر : فهرس الأحاديث .

(٦) تفسير ابن جرير (٢٩ / ٦٢) .

(٧) تفسير ابن جرير (٢٩ / ٦٢) .

وهذه العلة التي لأجلها نهي الشارع هي <sup>(١)</sup> أوقعت كثيرا من الأمم، إما في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك، فإن النفوس قد أشركت بتمثيل القوم الصالحين، وبتماثيل يزعمون أنها طلاس للكواكب <sup>(٢)</sup> ونحو ذلك.

فإن <sup>(٣)</sup> يشرك بقبر الرجل الذي يعتقد نبوته أو صلاحه، أعظم من أن يشرك بخشبة أو حجر على تمثاله. ولهذا نجد أقواما كثيرين يتضرعون عندها، ويخشعون <sup>(٤)</sup> ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها <sup>(٥)</sup> في المسجد، بل ولا في السحر، ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد التي تشد إليها الرحال.

فهذه المفسدة - التي هي مفسدة الشرك، كبيره وصغيره - هي التي حسم النبي ﷺ مادتها، حتى نهي عن الصلاة في المقبرة مطلقا، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته كما يقصد بصلاته بركة المساجد الثلاثة، ونحو ذلك كما نهي عن الصلاة وقت طلوع الشمس واستوائها وغروبها؛ لأنها الأوقات التي يقصد المشركون بركة الصلاة للشمس فيها فينهي المسلم عن الصلاة حينئذ - وإن لم يقصد ذلك - سدا للذريعة.

فأما إذا قصد الرجل الصلاة عند بعض قبور الأنبياء والصالحين، متبركا بالصلاة في تلك البقعة، فهذا عين المحادة لله ورسوله، والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن به الله، فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله ﷺ من أن الصلاة عند القبر - أي قبر كان - لا فضل فيها لذلك، ولا للصلاة في تلك البقعة مزية خير أصلا، بل مزية شر.

واعلم أن تلك البقعة وإن كان قد تنزل عندها الملائكة والرحمة، ولها شرف وفضل،

(١) في المطبوعة : هي التي .

(٢) في (ط) : الكواكب .

(٣) في المطبوعة : فلأن .

(٤) في المطبوعة : ويتخشعون .

(٥) في المطبوعة : لا يعبدونها .

لكن دين الله تعالى بين الغالي فيه والجاقي عنه.

فإن النصارى عظموا الأنبياء حتى عبدوهم، وعبدوا تماثيلهم، واليهود استخفوا بهم حتى قتلوهم، والأمة الوسط عرفوا مقاديرهم؛ فلم يعلوا فيهم غلو النصارى، ولم يجفوا عنهم جفاء اليهود، ولهذا قال ﷺ فيما صح عنه: ﴿ لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، وإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله ﴾<sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup>. فإذا قدر أن الصلاة هناك توجب من الرحمة أكثر من الصلاة في غير تلك البقعة كانت المفسدة الناشئة من الصلاة هناك تربي<sup>(٣)</sup>. على هذه<sup>(٤)</sup>. المصلحة حتى تغمرها أو تزيد عليها، بحيث تصير الصلاة هناك مذهبة لتلك الرحمة، ومثبتة لما يوجب<sup>(٥)</sup> العذاب، ومن لم تكن له بصيرة يدرك بها الفساد الناشئ من الصلاة عندها فيكفيه أن يقلد الرسول ﷺ فإنه لولا أن الصلاة عندها مما غلبت مفسدته على مصلحته لما نهي عنه، كما نهي عن الصلاة في الأوقات الثلاثة وعن صوم يومي العيدين بل كما حرم الخمر، فإنه لولا أن فسادهما غالب على ما فيها من المنفعة لما حرمها، وكذلك تحريم القطرة منها، ولولا غلبة الفساد فيها على الصلاح لما حرمها.

وليس على المؤمن ولا له أن يطالب الرسل بتبيين وجوه المصالح والمفاسد وإنما عليه طاعتهم. قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾<sup>(٦)</sup> وقال<sup>(٧)</sup>

(١) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٦١).

(٢) أخرجه البخاري عن عمر بن الخطاب في أكثر من موضع. انظر: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا الْحَدِيثِ رَقْم (٣٤٤٥)، من فتح الباري (٦ / ٤٧٨).

(٣) في المطبوعة: تربي، من ربا. وتربي: من أربي، وكلاهما بمعنى: زاد. قال تعالى: وَيُرِي الصَّدَقَاتِ. انظر: لسان العرب، مادة (ربا) (١٤ / ٣٠٤).

(٤) في (ط): زاد: الصلاة. وهو خلط من الناسخ.

(٥) في المطبوعة: اللعنة والعذاب.

(٦) سورة النساء: من الآية ٦٤.

(٧) قال: ساقطة من (أ ط).

﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾<sup>(١)</sup> وإنما حقوق الأنبياء في تعزيرهم وتوقييرهم، ومحبتهم محبة مقدمة على النفس والأهل والمال<sup>(٢)</sup> وإيثار طاعتهم ومتابعة سنتهم، ونحو ذلك من الحقوق التي من قام بها لم يقم<sup>(٣)</sup> بعبادتهم والإشراك بهم، كما أن عامة من يشرك بهم شركا أكبر أو أصغر يترك ما يجب عليه من طاعتهم، بقدر ما ابتدعه من الإشراك بهم.

وكذلك حقوق الصديقين المحبة والإجلال ونحو ذلك من الحقوق التي جاء بها الكتاب والسنة وكان عليها سلف الأمة.

وقد اختلف الفقهاء في الصلاة في المقررة: هل هي محرمة أو مكروهة؟

وإذا قيل: هي محرمة،<sup>(٤)</sup> فهل تصح مع التحريم أم لا؟ المشهور عندنا أنها محرمة لا

تصح<sup>(٥)</sup> ومن تأمل النصوص المتقدمة تبين له أنها محرمة بلا شك، وأن صلاته لا تصح<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة النساء : من الآية ٨٠ .

(٢) والمال : ساقطة من ( أ ) .

(٣) يقيم : ساقطة من ( أ ) .

(٤) من هنا حتى قوله : ومن تأمل النصوص (سطر تقريبا) : ساقطة من ( ط ) .

(٥) راجع : مجموع الفتاوى ( ٢١ / ٣٠٤ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ) ، ( ٢٢ / ١٩٤ - ١٩٥ ) ، ( ٢٧ / ١٤٠ ) .

(٦) في المطبوعة : وأن صلاته عندها لا تصح .

وليس الغرض هنا تقرير المسائل المشهورة فإنها معروفة، إنما الغرض التنبيه على ما يخفى من غيرها. فمما<sup>(١)</sup> يدخل في هذا: قصد القبور للدعاء عندها أو بها. فإن الدعاء عند القبور وغيرها من الأماكن ينقسم إلى نوعين:

: أن يحصل الدعاء في البقعة بحكم الاتفاق، لا لقصد الدعاء فيها، كمن يدعو الله في طريقه، ويتفق أن يمر بالقبور أو كمن يزورها فيسلم عليها، ويسأل الله العافية له وللموتى، كما جاءت به السنة، فهذا ونحوه لا بأس به.

: أن يتحرى الدعاء عندها بحيث يستشعر أن الدعاء هناك<sup>(٢)</sup> أجوب منه في غيره فهذا النوع منهي عنه إما نهي تحريم أو تنزيه وهو إلى تحريم أقرب، والفرق بين البابين ظاهر فإن الرجل لو كان يدعو الله، واجتاز في ممره بصنم أو صليب أو كنيسة، أو كان يدعو في بقعة<sup>(٣)</sup> وهناك<sup>(٤)</sup> صليب هو عنه ذاهل، أو دخل كنيسة<sup>(٥)</sup> لبيت فيها مبيتا جائزا، ودعا الله في الليل، أو بات في بيت بعض أصدقائه ودعا الله، لم يكن بهذا بأس.

ولو تحرى الدعاء عند صنم أو صليب، أو كنيسة<sup>(٦)</sup> يرجو الإجابة بالدعاء في تلك البقعة، لكان هذا من العظائم. بل لو قصد بيتا أو حانوتا في السوق، أو بعض عواميد الطرقات يدعو عندها، يرجو الإجابة بالدعاء عندها لكان هذا من المنكرات المحرمة؛ إذ ليس للدعاء عندها فضل. فقصد القبور للدعاء عندها من هذا الباب بل هو<sup>(٧)</sup> أشد من بعضه؛ لأن النبي ﷺ نهي عن اتخاذها مساجد، واتخاذها عيدا، وعن الصلاة عندها، بخلاف

(١) في ( ب ) فمهما .

(٢) في : المطبوعة : عندها .

(٣) في ( ب ج د ) : في البقعة .

(٤) في المطبوعة : وكان هناك بقعة فيها صليب .

(٥) في ( ط ) والمطبوعة : إلى كنيسة .

(٦) في ( ج د ) : أو في كنيسة .

(٧) في ( ب ) : بل هذا .

كثير من هذه المواضع. وما يرويه بعض الناس من أنه قال: " إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا <sup>(١)</sup> بأهل القبور "، أو نحو هذا، فهو كلام موضوع مكذوب باتفاق العلماء <sup>(٢)</sup> والذي يبين ذلك أمور:

: أنه قد تبين أن العلة التي نهى النبي ﷺ لأجلها عن الصلاة عندها إنما هو لئلا تتخذ ذريعة إلى نوع من الشرك <sup>(٣)</sup> بالعكوف عليها وتعلق القلوب بها رغبة ورهبة. ومن المعلوم أن المضطر في الدعاء الذي قد نزلت به نازلة فيدعو لاستجلاب خير كالاستسقاء، أو لرفع شر كالاستنصار <sup>(٤)</sup> حاله في افتتانه بالقبور - إذا رجا الإجابة عندها - أعظم من حال من يؤدي الفرض عندها في حال العافية، فإن أكثر المصلين - في حال العافية - لا تكاد قلوبهم تفتن بذلك إلا قليلا، أما الداعون المضطرون ففتنتهم بذلك عظيمة جدا، فإذا كانت المفسدة والفتنة التي لأجلها نهى عن الصلاة <sup>(٥)</sup> متحققة في حال <sup>(٦)</sup> هؤلاء، كان نهيمهم عن ذلك <sup>(٧)</sup> أوكد وأوكد. وهذا واضح لمن فقه في دين الله، وتبين له <sup>(٨)</sup> ما جاءت به الحنفية من الدين الخالص لله، وعلم كمال <sup>(٩)</sup> سنة إمام المتقين في تجريد التوحيد، ونفي الشرك بكل طريق.

: أن قصد القبور للدعاء عندها، ورجاء الإجابة بالدعاء هنالك رجاء أكثر من رجائها بالدعاء في غير ذلك الموطن، أمر لم يشرعه الله ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين، ولا أئمة المسلمين ولا ذكره أحد من العلماء ولا الصالحين

(١) في (أ) : فاستغيثوا .

(٢) انظر مجموع الفتاوى للمؤلف (١ / ٣٥٦) ، و (١١ / ٢٩٣) .

(٣) في المطبوعة : بقصدها وبالعكوف عليها .

(٤) أي طلب النصر والغوث عند الملمات .

(٥) في المطبوعة : عن الصلاة عندها .

(٦) حال : ساقطة من (أ ط) .

(٧) عن ذلك : ساقطة من (أ ب ط) .

(٨) له : ساقطة من (أ ط) .

(٩) في (أ) : كما سنه .



المتقدمين، بل أكثر ما ينقل من ذلك عن بعض المتأخرين بعد المائة الثانية.

وأصحاب رسول الله ﷺ قد أجدبوا مرات، ودهمتهم نوائب غير ذلك، فهلا جاءوا فاستسقوا واستغاثوا، عند قبر النبي ﷺ؟

بل خرج عمر بالعباس فاستسقى به <sup>(١)</sup> ولم يستسق عند قبر النبي ﷺ .

بل قد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها كشفت عن قبر النبي ﷺ ليتزل المطر، فإنه رحمة تتزل على قبره ولم تستسق عنده ولا استغاثت هناك.

ولهذا لما بنيت حجرته <sup>(٢)</sup> على عهد التابعين - بأبي هو وأمي - تركوا في أعلاها كوة إلى السماء وهي إلى الآن باقية فيها، موضوع عليها مشمع <sup>(٣)</sup> على أطرافه حجارة تمسكه، وكان السقف بارزا إلى السماء وبني كذلك لما احترق المسجد والمنبر سنة بضع وخمسين وستمائة <sup>(٤)</sup> وظهرت النار بأرض الحجاز، التي أضاءت لها أعناق الإبل ببصرى <sup>(٥)</sup> وجرت بعدها فتنة الترك <sup>(٦)</sup> ببغداد وغيرها <sup>(٧)</sup> .

(١) أي بدعائه كما سيبين المؤلف .

(٢) من هنا حتى قوله : وكان السقف بارزا (سطران تقريبا) : سقط من (أ) .

(٣) في المطبوعة : شمع . والمشمع : ما عولج بالشمع من النسيج ونحوه . انظر : المعجم الوسيط ( ١ / ٤٩٦ ) ، مادة (شمع) .

(٤) ذكر ابن كثير التفاصيل الواقعة في البداية والنهاية (١٣ / ١٩٣) في حوادث سنة (٦٥٤هـ) .

(٥) وذكر ابن كثير أيضا هذه الحادثة في البداية والنهاية (١٣ / ١٨٧ - ١٩٢) في حوادث سنة (٦٥٤هـ) أيضا ، وهاتان الحادثتان وقعتا في سنة واحدة ، وقصة النار المذكورة من معجزات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فقد ورد الخبر الصحيح بوقوعها في الحديث المتفق عليه أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : " لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى " . أخرجه البخاري في كتاب الفتن ، باب خروج النار ، حديث رقم (٧١١٨) من فتح الباري ، (١٣ / ٧٨) . ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز ، حديث رقم (٢٩٠٢) ، (٢ / ٢٢٢٨) .

(٦) كذا في جميع المخطوطات . وفي المطبوعة : (الترت) ، والمعنى واحد لأن المؤلف قد أشار فيما قبل أن التتار هم : بادية الترك . وذكره غيره أيضا . انظر (١ / ٤١٨) .

(٧) انظر : التفاصيل عن هذه الفتنة التي جرت سنة (٦٥٦هـ) ، والتي أتمت الخلافة العباسية واستباححت دماء المسلمين على يد هولاءكو سلطان التتار وبتحريض من الرافضة الذين هم وراء أغلب الفتن في تاريخ الإسلام . في البداية والنهاية (٣ / ٢٠٠ - ٢٠٤) .

ثم عمر المسجد والسقف كما كان، وأحدث حول الحجرة الحائط الخشبي، ثم بعد ذلك بسنين متعددة بنيت القبة على السقف، وأنكره من كرهه (١) .

على أنا قد روينا في مغازي محمد بن إسحاق من زيادات يونس بن بكير (٢) عن أبي خلدة خالد بن دينار، حدثنا أبو العالية (٣) قال: " لما فتحنا تستر (٤) وجدنا في بيت مال (٥) الهرمزان (٦) سريرا عليه رجل ميت، عند رأسه مصحف له، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر رضي الله عنه فدعا له كعبا (٧) فنسخه بالعربية، فأنا أول رجل من العرب قرأه قراءة مثلما أقرأ القرآن هذا، فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟، قال: " سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم، وما هو كائن بعد " قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: " حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة، فلما كان بالليل دفناه، وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس لا ينبشونه " فقلت: ما يرجون (٨) منه؟ قال: " كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره (٩) فيمطرون " .

(١) في المطبوعة: وأنكرها من أنكرها، وفي (أ): وأنكرهن أكثرها، وهو خلط من الناسخ .

(٢) هو: يونس بن بكير بن واصل الشيباني، أبو بكر، الجمال الكوفي، وثقه ابن معين، ومرة قال: صدوقا، وقال النسائي: ليس بالقوي، وأكثرهم يوثقه، إلا أنه يخطئ، أخرج له مسلم وغيره، توفي سنة (١٩٩هـ) . انظر: تهذيب التهذيب (١١ / ٤٣٤ - ٤٣٦)، (ت ٨٤٤)؛ وتقريب التهذيب (٢ / ٣٨٤)، (ت ٤٧٢) .

(٣) هو: رفيع بن دينار مرت ترجمته . انظر: فهرس الأعلام .

(٤) تستر هي: مدينة بإقليم خوزستان فتحها أبو موسى الأشعري أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنهما . انظر: معجم البلدان لياقوت (٢ / ٢٩ - ٣١) .

(٥) في (أ ط): مال بيت الهرمزان .

(٦) الهرمزان: من قواد الفرس الذين حاربوا جيوش الفتح في العراق، وهو ملك الأهواز، هزمه المسلمون حين فتحوا تستر، فأرسله أبو موسى إلى عمر بن الخطاب فأعلن إسلامه، وبقي في المدينة حتى قتله عبيد الله بن عمر متهما إياه بالتحريض على قتل عمر رضي الله عنهم . انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٧ / ٨٥ - ٨٨) .

(٧) هو كعب الأحبار، مرت ترجمته . انظر: فهرس الأعلام .

(٨) في المطبوعة: ما كانوا يرجون منه .

(٩) في (د): أبرزوا سريره، وفي (ط): برزوا لسريه .

فقلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: " رجل يقال له دانيال " (١) فقلت: منذ كم وجدتموه مات؟ قال: " منذ ثلاثمائة سنة ". قلت: ما كان تغير منه شيء؟ قال: " لا، إلا شعيرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض، ولا تأكلها السباع " (٢) .  
ففي هذه القصة (٣) ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية (٤) قبره، لئلا يفتتن به الناس، وهو إنكار منهم لذلك.

ويذكر (٥) أن قبر أبي أيوب الأنصاري عند أهل القسطنطينية كذلك، ولا قدوة بهم (٦) فقد كان من قبور أصحاب رسول الله ﷺ بالأمصار عدد كثير، وعندهم التابعون، ومن بعدهم من الأئمة، وما استغاثوا عند قبر صاحب قط، ولا استسقوا عند قبره (٧) ولا به، ولا استنصروا عنده ولا به. ومن المعلوم أن مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله، بل على نقل ما هو دونه. ومن تأمل كتب الآثار، وعرف حال السلف، تيقن قطعاً أن القوم ما كانوا يستغيثون عند القبور، ولا يتحرون الدعاء عندها أصلاً، بل كانوا ينهون عن ذلك من كان يفعل من جهالهم. كما قد ذكرنا بعضه.

فلا يخلو: إما أن يكون الدعاء عندها أفضل منه في غير تلك البقعة، أو لا يكون. فإن كان أفضل لم يجز أن يخفى علم هذا عن الصحابة والتابعين وتابعيهم؛ فتكون القرون الثلاثة الفاضلة جاهلة بهذا الفضل العظيم، ويعلمه من بعدهم. ولم يجز أن يعلموا ما

---

(١) دانيال : تذكر الروايات التي ذكرها ابن كثير وغيره أنه نبي من أنبياء بني إسرائيل ، أو رجل صالح من صالحهم ، كان في الأرض المقدسة ، وبعضها جاء في حديث مرسل . انظر : البداية والنهاية ( ٢ / ٤٠ - ٤٢ ) .

(٢) ذكر هذه القصة ابن كثير في البداية والنهاية وقال : إسناده صحيح إلى أبي العالية ، وذكر لها أيضاً طرقاً أخرى تؤكد أن القصة واقعة وصحيحة . انظر البداية والنهاية ( ٢ / ٤٠ - ٤٢ ) .

(٣) في ( ط ) : القضية .

(٤) في ( ب ) : تعميمهم . وفي ( د ) : تعميمتهم .

(٥) في ( أ ) والمطبوعة : ويذكرون .

(٦) أي أن فعلهم ليس بحجة شرعاً ، كما أنهم ليسوا أئمة هدى يقتدى بهم ، أي الذين فعلوا ذلك من أهل القسطنطينية .

(٧) في ( أ ط ) والمطبوعة : عنده .

فيه من الفضل العظيم<sup>(١)</sup> ويزهدوا فيه، مع حرصهم على كل خير، لا سيما الدعاء، فإن المضطر يتشبث بكل سبب، وإن كان فيه نوع كراهة، فكيف يكونون مضطرين في كثير من الدعاء، وهم يعلمون فضل الدعاء عند القبور، ثم لا يقصدونه<sup>(٢)</sup>؟ هذا محال طبعاً وشرعاً.

وإن لم يكن الدعاء عندها أفضل، كان قصد الدعاء عندها ضلالة ومعصية، كما لو تحرى الدعاء وقصده عند سائر البقاع التي لا فضيلة للدعاء عندها، من شطوط الأنهار، ومغارس الأشجار وحوانيت الأسواق، وجوانب الطرقات، وما لا يحصي عدده إلا الله.

وهذا الدليل قد دل عليه كتاب الله في غير موضع، مثل قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ

شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾<sup>(٣)</sup> فإذا لم يشرع الله استحباب

الدعاء عند المقابر ولا وجوبه؛ فمن شرعه فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله وقال

تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ

تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَنًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> وهذه العبادة

عند المقابر نوع من أن يشرك بالله ما لم يترل به سلطاناً، لأن الله لم يترل حجة تتضمن

استحباب قصد الدعاء عند القبور وفضله على غيره. ومن جعل ذلك من دين الله فقد قال

على الله ما لا يعلم<sup>(٥)</sup>.

وما أحسن قوله تعالى: ﴿ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَنًا ﴾<sup>(٦)</sup> لئلا يحتج بالمقاييس

والحكايات.

(١) العظيم : ساقطة من ( ط ) والمطبوعة .

(٢) في ( د ) : ثم لا يقصدونها .

(٣) سورة الشورى : الآية ٢١ .

(٤) سورة الأعراف : الآية ٣٣ .

(٥) في ( ط ) : ما لا يعلمه .

(٦) سورة الأعراف آية : ٣٣ .

ومثل هذا قوله تعالى في حكايته عن الخليل: ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۚ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَبْنِي ۚ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ۚ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۗ إِنَّ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴿١﴾ .

فإن هؤلاء المشركين الشرك الأكبر والأصغر يخوفون المخلصين بشفعائهم<sup>(٢)</sup> فيقال لهم<sup>(٣)</sup> نحن لا نخاف هؤلاء الشفعاء الذين لكم، فإنهم خلق من خلق الله، لا يضررون إلا بعد مشيئة الله، فمن مسه بضر فلا كاشف له إلا هو، ومن أصابه برحمة فلا راد لفضله وكيف نخاف هؤلاء المخلوقين الذين جعلتموهم شفعاء وأنتم لا تخافون الله، وقد أحدثتم<sup>(٤)</sup> في دينه من الشرك ما لم يتزل به وحيا من السماء؟! فأَيُّ الفريقين أحق بالأمن؟ من كان لا يخاف إلا الله، ولم يبتدع في دينه شركاء، أم من ابتدع في دينه شركا بغير إذنه؟ بل من آمن ولم يخلط إيمانه بشرك فهؤلاء من<sup>(٥)</sup> المهتدين.

وهذه الحجة المستقيمة التي يرفع الله بها وبأمثالها أهل العلم.

فإن قيل: فقد نقل عن بعضهم أنه قال: " قبر معروف<sup>(٦)</sup> الترياق المحرب<sup>(١)</sup> وروي

(١) سورة الأنعام : الآيات ٨٠ - ٨٣ .

(٢) في ( ط ) : بشفعائهم ، ولعله تحريف من الناسخ .

(٣) في ( أ ) : فقال لهم .

(٤) في المطبوعة : وأنتم قد أحدثتم .

(٥) في المطبوعة قال : فهؤلاء هم الذين لهم الأمن وهم مهتدون .

(٦) هو : معروف بن فيروز الكرخي ، من العباد والزهاد والمشاهير ، مشهور بإجابة الدعوة ، وله في التصوف

أحوال ومقالات تخالف ما عليه الصحابة والتابعون ، توفي سنة ( ٢٠٠ هـ ) . انظر : وفيات الأعيان ( ٥ /

٢٣١ - ٢٣٣ ) ، ( ت ٧٢٩ ) ، ومجموع الفتاوى للمؤلف ( ١٠ / ٤٦٨ ) .

عن معروف أنه أوصى ابن أخيه أن يدعو عند قبره.

وذكر أبو علي الخرقى<sup>(٢)</sup> في قصص من هجره أحمد، أن بعض هؤلاء المهجورين كان يجيء عند قبر أحمد، ويتوخي الدعاء عنده، وأظنه ذكر ذلك للمروزي<sup>(٣)</sup> ونقل عن جماعات أنهم دعوا عند قبور جماعات من الأنبياء والصالحين، من أهل البيت وغيرهم، فاستجيب لهم الدعاء، وعلى هذا عمل كثير من الناس.

وقد ذكر العلماء<sup>(٤)</sup> المصنفون في مناسك الحج إذا زار قبر النبي ﷺ فإنه يدعو عنده، وذكر بعضهم أنه من صلى عليه سبعين مرة عند قبره ودعا استجيب له. وذكر بعض الفقهاء في حجة من يجوز القراءة على القبر: أنها بقعة يجوز السلام والذكر والدعاء عندها، فجازت القراءة<sup>(٥)</sup> كغيرها.

وقد رأى بعضهم منامات في الدعاء عند قبر بعض الأسيخ، وجرب أقوام استجابة الدعاء عند قبور معروفة، كقبر الشيخ أبي الفرج الشيرازي المقدسي<sup>(٦)</sup> وغيره. وقد أدركنا في أزماننا وما قاربها من ذوي الفضل<sup>(٧)</sup> علما وعملا من كان يتحرى الدعاء عندها أو العكوف عليها، وفيهم من كان بارعا في العلم، وفيهم من كان له<sup>(٨)</sup>

(١) انظر: وفيات الأعيان (٥ / ٢٣٢)؛ وفي طبقات الحنابلة (١ / ٣٨٢)، نسب هذه العبارة لإبراهيم الحربي، ومعنى الترياق المحرب: أنه محرب في قبول الدعاء عند قبره، وانتفاع من يتبرك به، وهذا من ترهات الصوفية، وإن صح فهو ابتلاء وفتنة للمبتدعين.

(٢) هو: الحسين بن عبد الله بن أحمد الخرقى، أبو علي، صحب بعض أصحاب أحمد كحرب والمروزي. توفي سنة (٢٩٩هـ). انظر: طبقات الحنابلة (٢ / ٤٥، ٤٦).

(٣) في المطبوعة: ذكر ذلك المروزي.

(٤) في المطبوعة: وقد ذكر المتأخرون.

(٥) في المطبوعة: فجازت القراءة عندها كغيرها.

(٦) هو: عبد الواحد بن محمد بن علي بن أحمد الشيرازي، ثم المقدسي، ثم الدمشقي، أبو الفرج، الحنبلي، الفقيه الزاهد، شيخ الشام في وقته، له مصنفات في الفقه والأصول، منها: التبصرة في أصول الدين، والمبهج، والإيضاح، وغيرها. توفي سنة (٤٨٦هـ). انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (١ / ٦٨ - ٧٣).

(٧) في المطبوعة زاد: عند الناس.

(٨) في المطبوعة زاد أيضا: عند الناس.

كرامات، فكيف يخالف هؤلاء؟ وإنما ذكرت هذا السؤال مع بعده عن طريق (١) العلم والدين، لأنه غاية ما يتمسك به المقبريون (٢) .

قلنا: الذي ذكرنا كراهته، لا ينقل في استحبابه - فيما علمناه - شيء ثابت، عن القرون الثلاثة التي أتى النبي ﷺ (٣) عليها حيث قال: ﴿ خير أمتي القرن الذي بعثت فيه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ﴾ (٤) (٥) مع شدة المقتضي فيهم (٦) لذلك (٧) لو كان فيه فضيلة، فعدم (٨) أمرهم وفعالهم لذلك مع قوة المقتضي لو كان فيه فضل يوجب (٩) القطع بأن لا فضل فيه.

وأما من بعد هؤلاء، فأكثر ما يفرض: أن الأمة اختلفت، فصار كثير من العلماء أو الصديقين إلى فعل (١٠) ذلك، وصار بعضهم إلى النهي عن ذلك، فإنه لا يمكن أن يقال:

(١) في المطبوعة: عن طريق أهل العلم .

(٢) في المطبوعة: القبوريون ، كذا تكررت في مواضع كثيرة ستأتي ، في حين أنها في جميع النسخ المخطوطة ، وفي كل المواطن التي أوردها المؤلف يقول : " المقبريون " و " المقابريون " كما هو مثبت ، ولم ترد بلفظ " القبوريون " ، إلا في المطبوعة . ولعله تصرف من أحد النساخ أو المصحح للمطبوعة .

(٣) في المطبوعة: أتى عليها رسول الله .

(٤) البخاري الشهادات (٢٥٠٩) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٥٣٣) ، الترمذي المناقب (٣٨٥٩) ، ابن ماجه الأحكام (٢٣٦٢) ، أحمد (٤٣٤/١) .

(٥) هذا حديث متفق عليه : أخرجه البخاري في كتابه وباب فضائل أصحاب النبي حديث رقم (٣٦٥٠) ، من فتح الباري ، (٧ / ٣) ولفظه " خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم " الحديث . وأخرجه مسلم في كتابه وباب فضائل الصحابة ، حديث رقم (٢٥٣٣) ، (٢٥٣٤) ، (٢٥٣٥) ، بلفظ البخاري . وباللفظ الذي أشار إليه المؤلف ، لكن قال فيه الراوي : " والله أعلم أذكر الثالثة أم لا " يعني بعد قوله : " ثم الذين يلونهم " (٤ / ١٩٦٢ - ١٩٦٤) .

(٦) في المطبوعة: عندهم .

(٧) في (أ) : كذلك .

(٨) في (أ ط) : بعدم .

(٩) في (ط) : موجب .

(١٠) فعل : ساقطة من (ط) .

قد أجمعت الأمة على استحسان ذلك لوجهين:

: أن كثيرا من الأمة كره ذلك وأنكره، قديما وحديثا.

: أنه من الممتنع أن تتفق الأمة على استحسان فعل لو كان حسنا لفعله

المتقدمون، ولم يفعلوه، فإن هذا من باب تناقض الإجماعات، وهي لا تتناقض، وإذا اختلف فيه المتأخرون فالفاصل بينهم: هو الكتاب والسنة، وإجماع المتقدمين نصا

واستنباطا، فكيف <sup>(١)</sup> - والحمد لله - لا ينقل هذا عن إمام معروف، ولا عالم متبع؟

بل المنقول في ذلك إما أن يكون كذبا على صاحبه، مثل ما حكى بعضهم عن الشافعي أنه قال: "إني إذا نزلت بي شدة أجيء فأدعو عند قبر أبي حنيفة فأجاب" أو كلاما هذا معناه. وهذا كذلك معلوم كذبه بالاضطرار عند من له <sup>(٢)</sup> معرفة بالنقل، فإن الشافعي لما قدم بغداد لم يكن ببغداد قبر ينتاب للدعاء عنده البتة، بل ولم يكن هذا على عهد الشافعي معروفا، وقد رأى الشافعي بالحجاز واليمن والشام والعراق ومصر من قبور الأنبياء والصحابة والتابعين، من كان أصحابها عنده وعند المسلمين، أفضل من أبي حنيفة، وأمثاله من العلماء. فما باله لم يتوخَّ الدعاء إلا عنده <sup>(٣)</sup>؟ ثم أصحاب أبي حنيفة الذين أدركوه، مثل أبي يوسف ومحمد <sup>(٤)</sup> وزفر <sup>(٥)</sup> والحسن بن زياد <sup>(٦)</sup> وطبقتهم، لم يكونوا يتحرون الدعاء، لا عند قبر أبي حنيفة ولا غيره.

(١) في المطبوعة: فكيف وهذا - والحمد لله - لم ينقل هذا عن إمام .

(٢) في المطبوعة: عند من له أدنى معرفة .

(٣) في المطبوعة: إلا عند قبر أبي حنيفة .

(٤) هو: محمد بن الحسن الشيباني . مرت ترجمته . انظر فهرس الأعلام .

(٥) هو: زفر بن الهذيل بن قيس البصري، من كبار تلاميذ أبي حنيفة، وكان هو المقدم في مجلسه، جمع بين الفقه والعبادة . توفي سنة (١٥٨هـ)، وكانت ولادته سنة (١١٠هـ)، وهو في الحديث صدوق . انظر: لسان

الميزان (٢ / ٤٧٦)، (ت ١٩١٩) . انظر: الفوائد البهية في تراجم الحنفية للكنوي (ص ٧٥ - ٧٧) .

(٦) هو: الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي، صاحب أبي حنيفة، كان فقيها فطنا، ولي القضاء بالكوفة، وهو في الحديث ليس بشيء، بل اتهمه كثير من أئمة الحديث بالكذب، مات سنة (٢٠٤هـ) . انظر لسان الميزان (

٢ / ٢٠٨، ٢٠٩)، (ت ٩٢٧)؛ والفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص ٦٠، ٦١) .



ثم قد تقدم عند الشافعي ما هو ثابت في كتابه من كراهة تعظيم قبور المخلوقين<sup>(١)</sup>  
خشية الفتنة بها، وإنما يضع مثل هذه الحكايات من يقل علمه ودينه.

وإما أن يكون المنقول من هذه الحكايات عن مجهول لا يعرف، ونحن لو روي لنا مثل  
هذه الحكايات المسيية<sup>(٢)</sup> أحاديث عن لا ينطق عن الهوى، لما جاز التمسك بها حتى  
تثبت. فكيف بالمنقول عن غيره؟

ومنها ما قد يكون صاحبه قاله أو فعله، باجتهاد يخطئ ويصيب، أو قاله بقيود  
وشروط كثيرة على وجه لا محذور فيه، فحرف النقل عنه، كما أن النبي ﷺ لما أذن في  
زيارة القبور بعد النهي<sup>(٣)</sup> فهم المبطلون أن ذلك هو الزيارة<sup>(٤)</sup> التي يفعلونها، من حجها  
للصلاة عندها، والاستغائة<sup>(٥)</sup> بها.

ثم سائر هذه الحجج دائرة بين نقل لا يجوز إثبات الشرع به، أو قياس لا يجوز  
استحباب العبادات بمثله، مع العلم بأن الرسول ﷺ لم يشرعها، وتركه<sup>(٦)</sup> مع قيام  
المقتضي للفعل بمثله فعله، وإنما يثبت العبادات بمثل هذه الحكايات والمقاييس - من غير  
نقل عن الأنبياء -<sup>(٧)</sup> النصارى وأمثالهم.

وإنما المتبع في إثبات أحكام الله<sup>(٨)</sup> كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسبيل السابقين أو  
الأولين، لا يجوز إثبات حكم شرعي بدون هذه الأصول الثلاثة، نصا واستنباطا بحال.  
والجواب عنها من وجهين: مجمل ومفصل.

(١) في المطبوعة: الصالحين .

(٢) المسيية أي: المهملة السند التي لا أصل لها .

(٣) في المطبوعة: النهي عنها .

(٤) في (أ) : الزيادة .

(٥) في (أ) : والاستعانة .

(٦) في المطبوعة: وتركه لها .

(٧) في المطبوعة: عن أبناء النصارى، والمقصود من كلام المؤلف: أن النصارى وأمثالهم كغلاة المتصوفة والمقربين  
هم الذين يثبتون العبادات ويتدعونها بالحكايات والمنامات والمقاييس والأوهام، وهذه طرق باطلة .

(٨) في المطبوعة: وإنما المتبع عند علماء الإسلام في إثبات الأحكام هو كتاب الله .

\* : : فإن اليهود والنصارى عندهم من الحكايات والقياسات من هذا النمط كثير، بل المشركون الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ كانوا يدعون عند أوثانهم فيستجاب لهم أحيانا، كما قد يستجاب لهؤلاء أحيانا، وفي وقتنا هذا عند النصارى من هذا طائفة، فإن كان هذا وحده دليلا على أن الله يرضى ذلك ويحبه، فليطرد الدليل (١) . وذلك (٢) كفر متناقض.

ثم إنك تجد كثيرا من هؤلاء الذين يستغيثون، عند قبر أو غيره، كل منهم قد اتخذ وثنا أحسن به الظن، وأساء الظن بآخر، وكل منهم يزعم أن وثنه يستجاب عنده، ولا يستجاب عند غيره، فمن المحال إصابتهم جميعا، وموافقة بعضهم دون بعض تحكم، وترجيح بلا مرجح، والتدين بدينهم جميعا جمع بين الأضداد.

فإن أكثر هؤلاء إنما يكون تأثيرهم - فيما يزعمون - بقدر إقبالهم على وثنهم، وانصرافهم عن غيره، وموافقتهم جميعا فيما يثبتونه - دون ما ينفونه -، بضعف التأثير على زعمهم، فإن الواحد (٣) إذا أحسن الظن بالإجابة عند هذا وهذا، لم يكن تأثيره مثل تأثير الحسن (٤) الظن بواحد دون آخر. وهذه كلها من خصائص الأوثان.

ثم قد استجيب لبلعم بن باعور (٥) في قوم موسى المؤمنين وسلبه الله الإيمان.

(١) نعم ، إن الاستجابة في هذه الحال ليست دليلا؛ لأنها قد تكون ابتلاء ، وقد تكون من باب تعجيل النعيم في الدنيا وتأخير العذاب في الآخرة ، أو غير ذلك . ومع هذا فلاستجابة لأمثال هؤلاء نادرة كما سيبين المؤلف بعد قليل .

(٢) في ( ط ) : وهذا .

(٣) في ( د ) : الوالد ، وهو تحريف .

(٤) في ( ب ) : حسن الظن ، وفي المطبوعة : من حسن الظن .

(٥) في المطبوعة : بن باعوراء ، وقد ورد اسمه باللفظين ، وهو رجل من الكنعانيين ، وقيل : من اليمن ، أعطاه الله اسمه الأعظم ، وقيل : النبوة ، وقيل إنه كان لا يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه ، حتى دعا على موسى عليه السلام وقومه ، فعوقب بأن سلب الله منه الإيمان ووقع في الشهوات وطاعة الشيطان ، وهو الذي قال الله فيه : **وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ** سورة الأعراف : من الآية ١٧٥ ، وقصته مأثورة عن السلف . انظر : تفاصيلها في تفسير ابن جرير ( ٩ / ٨٣ - ٨٨ ) وأكثرها من عدد الإسرائيليات . والبداية والنهية لابن كثير ( ١ / ٣٢٢ ) .

والمشركون قد يستسقون فيسقون، ويستنصرون فينصرون.

: مدار هذه الشبه على أصليين:

: وهو ما يحكى من فعل هذا الدعاء عن <sup>(١)</sup> بعض الأعيان.

: وهو ما يعتقد من منفعته بالتجارب والأقيسة.

: فإما كذب، أو غلط، أو ليس بحجة، بل قد ذكرنا النقل عن

يقتدى به بخلاف ذلك.

: عامة المذكور من المنافع كذب، فإن هؤلاء الذين يتحرون

الدعاء عند القبور وأمثالهم - إنما يستجاب لهم في النادر. ويدعو الرجل منهم ما شاء الله من دعوات، فيستجاب له في واحدة، ويدعو خلق كثير منهم، فيستجاب للواحد بعد الواحد وأين هذا من الذين يتحرون الدعاء أوقات الأسحار، ويدعون الله في سجودهم وأدبار صلاتهم، وفي بيوت الله؟ فإن هؤلاء إذا ابتهلوا <sup>(٢)</sup> من جنس ابتهال المقابر <sup>(٣)</sup> لم تكذب تسقط لهم دعوة إلا لمانع.

بل الواقع أن الابتهال الذي يفعله المقابريون <sup>(٤)</sup> إذا فعله المخلصون، لم يرد المخلصون

إلا نادرا، ولم يستجب للمقابريين <sup>(٥)</sup> إلا نادرا، والمخلصون كما قال النبي ﷺ ما من

عبد يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى خصال ثلاث:

إما أن يعجل الله له دعوته، أو يدخر <sup>(٦)</sup> له من الخير مثلها، أو يصرف عنه من الشر مثلها،

(١) في (د) : من .

(٢) في المطبوعة : ابتهلوا ابتهالا .

(٣) في المطبوعة : القبورين . وهو كما قلت خلاف عبارة المؤلف في جميع النسخ المخطوطة .

(٤) في المطبوعة : القبورين أيضا .

(٥) في المطبوعة : القبورين .

(٦) في (ط) : أو يؤخر .

قالوا: يا رسول الله، إذن نكثر. قال: الله أكثر ﴿١﴾ . فهم في دعائهم لا يزالون بخير.

وأما المقبريون: فإنهم إذا استجيب لهم نادرا، فإن أحدهم يضعف توحيده، ويقل نصيبه من ربه، ولا يجد في قلبه من ذوق الإيمان وحلاوته ما كان يجده السابقون الأولون. ولعله لا يكاد يبارك له <sup>(٢)</sup> في حاجته، اللهم إلا أن يعفو الله عنهم لعدم علمهم بأن ذلك بدعة، فإن المجتهد إذا أخطأ أثابه الله على اجتهاده، وغفر له خطأه.

وجميع الأمور التي يظن أن لها تأثيرا في العالم وهي محرمة في الشرع، كالتمريجات <sup>(٣)</sup> الفلكية، والتوجهات النفسانية. كالعين، والدعاء المحرم، والرقى المحرمة، أو التمريجات الطبيعية. ونحو ذلك، فإن مضرتهما أكثر من منفعتها حتى في نفس ذلك المطلوب، فإن هذه الأمور لا يطلب بها غالبا إلا أمور دنيوية، فقل أن يحصل <sup>(٤)</sup> لأحد بسببها أمر دنيوي إلا كانت عاقبته فيه في الدنيا عاقبة خبيثة. دع الآخرة.

والمخفق <sup>(٥)</sup> من أهل هذه الأسباب أضعاف أضعاف المنجح، ثم إن فيها من النكد <sup>(٦)</sup> والضرر ما الله به عليم. فهي في نفسها مضرّة ولا يكاد يحصل الغرض بها إلا نادرا وإذا

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (مع اختلاف يسير في الألفاظ) (٣ / ١٨) ، عن أبي سعيد الخدري ، وأخرج الترمذي حديثا بمعناه عن عبادة بن الصامت ، سنن الترمذي ، كتاب الدعوات ، باب انتظار الفرج ، الحديث رقم (٣٥٧٣) ، (٥ / ٥٦٦) ، وقال الترمذي : " هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه " (٥ / ٥٦٧) .

(٢) له : سقطت من (ط) .

(٣) في (أ ط) : التمريجات : ولعلها بالراء أصح . والتمريجات مأخوذة من المرج ، وهو : الخلط والفساد والاضطراب والقلق . ولعل القصد بها هنا : تخرصات الفلكيين والذين يعتقدون أن للأفلاك تأثيرا ، وتخليطهم بذلك . والتمريجات أيضا بمعنى : الخلط وما ركب عليه البدن من الطبائع . انظر : القاموس المحيط ، فصل الميم ، باب الجيم (١ / ٢١٤ ، ٢١٥) .

(٤) في (أ ط) : حصل .

(٥) في المطبوعة : والمخبل . وما أثبتته اتفقت عليه النسخ المخطوطة وهو أصح؛ لأنه يقابل المنجح . فالمخفق هو الذي لا يظفر بطلبه ، والمنجح بخلافه . انظر : لسان العرب ، مادة (خفق) ، (١٠ / ٨٢) ، ومادة (نجح) ، (٢ / ٦١١) .

(٦) في (أ) : من المنكر ، وهو تحريف .

حصل فضرره أكثر من نفعه (١) . والأسباب المشروعة في حصول هذه المطالب، المباحة أو المستحبة سواء كانت طبيعية: كالتجارة والحراثة، أو كانت دينية: كالتوكل على الله والثقة به، وكدعاء الله سبحانه على الوجه المشروع، في الأمكنة والأزمنة التي فضلها الله ورسوله، بالكلمات المأثورة عن إمام المتقين عليه السلام وكالصدقة، وفعل المعروف (٢) يحصل بها الخير المحض أو الغالب. وما يحصل من ضرر بفعل مشروع، أو ترك غير مشروع (٣) مما نهي عنه، فإن ذلك الضرر مكثور في جانب ما يحصل من المنفعة.

وهذا الأمر، كما أنه قد دل عليه الكتاب والسنة والإجماع، فهو أيضا معقول بالتجارب المشهورة والأقيسة الصحيحة، فإن الصلاة والزكاة يحصل بهما خير الدنيا والآخرة، ويجلبان كل خير، ويدفعان كل شر.

فهذا الكلام في بيان أنه لا يحصل بتلك الأسباب المحرمة لا خير محض، ولا غالب، ومن كان له خبرة بأحوال العالم (٤) وعقل، تيقن ذلك يقينا لا شك فيه.

وإذا ثبت ذلك: فليس علينا من سبب (٥) التأثير أحيانا، فإن الأسباب التي يخلق الله بها الحوادث في الأرض والسماء، لا يحصيها على الحقيقة إلا هو، أما أعيانها فبلا ريب - وكذلك أنواعها أيضا - لا يضبطها المخلوق (٦) لسعة ملكوت الله سبحانه وتعالى، ولهذا كانت طريقة الأنبياء عليهم السلام، أنهم يأمرون الخلق بما فيه صلاحهم، وينهونهم عما فيه فسادهم، ولا يشغلونهم بالكلام في أسباب الكائنات كما تفعل المتفلسفة، فإن ذلك كثير التعب، قليل الفائدة، أو موجب للضرر.

ومثال النبي صلى الله عليه وآله مثال طبيب دخل على مريض، فرأى مرضه فعلمه، فقال له: اشرب

(١) في (أ) : من فعله .

(٢) وفعل المعروف : ساقطة من (أ) .

(٣) في (أ) : عن المشروع .

(٤) في (أ) : العام .

(٥) في (ط) : من سب .

(٦) في (د) : المخلوقات .

كذا، واجتنب كذا. ففعل ذلك، فحصل غرضه من الشفاء.

والمفلس قد يطول معه الكلام في سبب ذلك المرض، وصفته، وذمه وذم ما أوجبه.

ولو قال له المريض: فما الذي يشفيني منه؟ لم يكن له بذلك علم تام.

والكلام<sup>(١)</sup> في بيان تأثير بعض هذه الأسباب قد يكون فيه فتنة لمن ضعف عقله

ودينه، بحيث تختطف<sup>(٢)</sup> عقله فيتأله<sup>(٣)</sup> إذا لم يرزق من العلم والإيمان ما يوجب له الهدى

واليقين. ويكفي العاقل أن يعلم أن ما سوى المشروع لا يؤثر بحال، فلا منفعة فيه، أو أنه

وإن أثر فضرره أكثر من نفعه.

ثم سبب قضاء حاجة بعض هؤلاء الداعين الأدعية المحرمة: أن الرجل منهم قد يكون

مضطراً ضرورة لو دعا الله بها مشرك عند وثن لاستجيب له، لصدق توجهه إلى الله، وإن

كان تحري الدعاء عند الوثن شركاً. ولو<sup>(٤)</sup> استجيب له على يد المتوسل به، صاحب

القبر أو غيره لاستغاثته، فإنه يعاقب على ذلك ويهوي به في النار إذا لم يعف الله عنه، كما

لو طلب من الله ما يكون فتنة له. كما أن ثعلبة<sup>(٥)</sup> لما سأل النبي ﷺ أن يدعو له بكثرة

المال، ونهاه النبي ﷺ عن ذلك مرة بعد مرة فلم ينته حتى دعا له، وكان ذلك سبب شقائه

في الدنيا والآخرة. وقد " قال النبي ﷺ ﴿ إِنْ رَجُلٌ لِيَسْأَلُنِي الْمَسْأَلَةَ فَأَعْطِيهِ إِيَّاهَا، فَيُخْرِجُ

بِهَا يَتَأْبَطُهَا نَارًا ﴾، فقالوا: يا رسول الله فلم تعطهم؟ قال: " يَأْبُونَ إِلَّا أَنْ يَسْأَلُونِي وَيَأْبِي

(١) في المطبوعة: على أن الكلام .

(٢) في (د) : يخطف .

(٣) في المطبوعة: بحيث يختلط عقله فيتوله . وتختطف عقله بمعنى: تستلبه وتذهبه . انظر: القاموس المحيط، فصل

الحاء، باب الفاء (٣ / ١٣٩) . ويتأله: أي يتحير أو يتنسك . انظر القاموس المحيط، فصل الهمزة، باب

الهاء (٤ / ٢٨٢) ، والمنجد في اللغة (١٦) : أله . والمعنى هنا والله أعلم: أن المشتغل بهذه الفلسفة تهيم

على عقله وتعمي بصيرته، وتجعله حيران، أو هائماً في طريق التعب والتنسك الخاطيء كتنسك النصراني

وبعض المتصوفة والفلاسفة على غير هدى من الله .

(٤) في (ب) : ولو كان قد استجيب له .

(٥) هو: ثعلب بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد الأنصاري الأوسي، وقيل: ثعلبة بن أبي

حاطبصحابي، وممن شهد بدرًا، مات في خلافة عثمان رضي الله عنه . انظر: أسد الغابة (١ / ٢٣٨) .

الله لي البخل ﴿ (١) (٢) .

فكم من عبد دعا دعاء غير مباح، فقضيت حاجته في ذلك الدعاء، وكان سبب هلاكه في الدنيا والآخرة، تارة بأن يسأل ما لا تصلح له مسألته، كما فعل بلعام وثعلبة، وكخلق كثير دعوا بأشياء فحصلت لهم، وكان فيها هلاكهم. وتارة بأن يسأل على الوجه الذي لا يحبه الله كما قال سبحانه: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ ﴿٣﴾ فهو سبحانه لا يحب المعتدين في صفة (٤) الدعاء، ولا في المسؤول، وإن كانت حاجتهم قد تقضى، كأقوام ناحوا الله في دعواتهم بمناجاة فيها جرأة على الله، واعتداء لحدوده، وأعطوا طلبتهم فتنة، ولما يشاء سبحانه، بل أشد من ذلك.

ألست ترى السحر والطلسمات (٥) والعين وغير ذلك، من المؤثرات في العالم بإذن الله، قد يقضى (٦) بها كثير من أغراض النفوس (٧) ومع هذا فقد قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ .

فإنهم معترفون بأنه لا ينفع في الآخرة، وأن صاحبه خاسر في الآخرة، وإنما يتشبثون بمنفعته في الدنيا. وقد قال تعالى: ﴿ وَيَتَعَاطَىٰ مَا يُضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾ ﴿٩﴾ .

(١) أحمد (١٦/٣) .

(٢) مسند أحمد (٣ / ٤ ، ١٦ ، ) ، كلاهما عن أبي سعيد الخدري ، وفيهما اختلاف يسير عن اللفظ الذي أورده المؤلف .

(٣) سورة الأعراف : الآية ٥٥ .

(٤) صفة : ساقطة من ( ط ) .

(٥) الطلسمات هي : الأشياء المبهمة التي تشبه الألغاز .

(٦) في ( أ ) : يقتضى . وفي المطبوعة : يقضى الله بها .

(٧) في المطبوعة زاد : الشريرة .

(٨) سورة البقرة : الآيتان ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٩) سورة البقرة : من الآية ١٠٢ .

وكذلك أنواع من الداعين والسائلين قد يدعون دعاء محرما، يحصل معه ذلك الغرض، ويورثهم ضررا أعظم منه، وقد يكون الدعاء مكروها ويستجاب له أيضا. ثم هذا التحريم والكراهة قد يعلمه الداعي، وقد لا يعلمه، على وجه لا يعذر فيه بتقصير في طلب العلم، أو ترك للحق، وقد لا يعلمه على وجه يعذر فيه، بأن يكون فيه مجتهدا، أو مقلدا، كالمجتهد والمقلد اللذين يعذران في سائر الأعمال، وغير المعذور قد يتجاوز عنه في ذلك الدعاء؛ لكثرة حسناته وصدق قصده، أو لمحض رحمة الله به، أو نحو ذلك من الأسباب.

: أن ما يقع من الدعاء المشتمل على كراهة شرعية<sup>(١)</sup> بمثلة سائر أنواع العبادات. وقد علم<sup>(٢)</sup> أن العبادة المشتملة على وصف مكروه قد تغفر تلك الكراهة<sup>(٣)</sup> لصاحبها، لاجتهاده أو تقليده، أو حسناته أو غير ذلك. ثم ذلك لا يمنع أن يعلم أن ذلك مكروه ينهى<sup>(٤)</sup> عنه، وإن كان هذا الفاعل المعين<sup>(٥)</sup> قد زال موجب الكراهة في حقه.

---

(١) في (ب) : زاد " قد يغفر تلك الكراهية " .

(٢) علم : ساقطة من (أ) .

(٣) في (د) : الكراهية .

(٤) في (ب) : منهي عنه .

(٥) في (د) : للعين .



ومن هنا يغلط كثير من الناس، فإنهم يبلغهم أن بعض الأعيان من الصالحين عبدوا عبادة، أو دعوا دعاء، ووجدوا أثر تلك العبادة وذلك الدعاء، فيجعلون ذلك دليلا على استحسان تلك العبادة والدعاء، ويجعلون ذلك العمل سنة، كأنه قد فعله نبي، وهذا غلط، لما ذكرناه. خصوصا إذا كان ذلك العمل إنما كان أثره بصدق قام بقلبه فاعله حين الفعل، ثم يفعله الأتباع صورة لا صدقا، فيضرون به <sup>(١)</sup> لأنه ليس العمل مشروعاً فيكون <sup>(٢)</sup> لهم ثواب المتبعين، ولا قام بهم <sup>(٣)</sup> صدق ذلك الفاعل الذي <sup>(٤)</sup> لعله بصدق الطلب وصحة القصد يكفر عن الفاعل.

ومن هذا الباب ما يحكى من آثار لبعض الشيوخ، حصلت في السماع المبتدع، فإن <sup>(٥)</sup> تلك الآثار، إنما كانت عن أحوال قامت بقلوب أولئك الرجال، حركها محرك كانوا في سماعه إما مجتهدين، وإما <sup>(٦)</sup> مقصرين تقصيرا غمره حسنات قصدهم، فيأخذ الأتباع حضور صورة السماع وليس حضور أولئك الرجال سنة تتبع، ولا مع المقتدين <sup>(٧)</sup> من الصدق والقصد ما لأجله عذروا، أو غفر لهم، فيهلكون بذلك.

وكما يحكى عن بعض الشيوخ، أنه رثي بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه وقال لي: يا شيخ السوء، أنت الذي كنت تتمثل بسعدى ولبنى؟ لولا أني <sup>(٨)</sup> أعلم أنك صادق لعذبتك.

(١) في المطبوعة : فيضربون به .

(٢) في المطبوعة : فلا يكون .

(٣) في ( ب ) : به .

(٤) في جميع النسخ : سقطت (الذي) وما أثبتته من المطبوعة ، وهو أنسب للسياق .

(٥) في ( ج د ) : وإنما .

(٦) في ( ط ) : أو مقصرين .

(٧) في المطبوعة : وليس مع المقلدين .

(٨) أي : سقطت من المطبوعة .

فإذا سمعت دعاء، أو مناجاة مكروهة في الشرع قد قضيت حاجة صاحبها <sup>(١)</sup> فكثير ما يكون من هذا الباب. ولهذا كان الأئمة، العلماء بشريعة الله، يكرهون هذا من أصحابهم وإن وجد أصحابهم أثره، كما يحكى عن سمنون <sup>(٢)</sup> المحب قال: وقع في قلبي شيء من هذه الآيات، إلى دجلة. فقلت: وعزتك لا أذهب حتى يخرج لي حوت. فخرج حوت عظيم، أو كما قال. قال: فبلغ ذلك الجنيد، فقال: كنت أحب أن تخرج إليه حية فتقتله.

وكذلك حكى لنا أن بعض المجاورين بالمدينة، جاء إلى عند قبر النبي ﷺ فاشتبه عليه نوعا من الأطعمة، فجاء بعض الهاشميين إليه، فقال: إن النبي ﷺ بعث لك ذلك <sup>(٣)</sup> وقال لك: اخرج من عندنا، فإن من يكون عندنا لا يشتهي مثل هذا. وآخرون قضيت حوائجهم، ولم يقل لهم مثل <sup>(٤)</sup> هذا، لاجتهادهم أو تقليدهم، أو قصورهم في العلم، فإنه يغفر للجاهل ما لا يغفر لغيره، كما يحكى عن برخ العابد <sup>(٥)</sup> الذي استسقى في بني إسرائيل.

ولهذا عامة ما يحكى في هذا الباب، إنما هو عن قاصري المعرفة، ولو كان هذا شرعا وديننا لكان أهل المعرفة أولى به. ولا يقال: هؤلاء لما نقصت معرفتهم ساغ لهم ذلك، فإن الله لم يسوغ هذا لأحد، لكن قصور المعرفة قد يرجى معه العفو والمغفرة.

(١) في المطبوعة: فاعلم أن كثيرا منها ما يكون .

(٢) في المطبوعة: سحنون . والصحيح (سمنون) كما هو مثبت . وهو : سمنون بن حمزة الخواص ، صوفي شاعر ، سمي نفسه سمنون الكذاب ! سكن بغداد وتوفي بها سنة (٢٩٠هـ) . انظر : حلية الأولياء لأبي نعيم (١٠ / ٣٠٩ ، ٣١٢) ، (ت ٥٨١) ؛ والأعلام للزركلي (٣ / ١٤٠) ؛ ومجموع الفتاوى للمؤلف (١٠ / ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٣) حيث ذكر طرفا من أحواله .

(٣) في المطبوعة : إليك هذا .

(٤) في (أ) : من هذا .

(٥) جاء في كتاب التوايين لابن قدامة (ص ٧٩ ، ٨٠) ، أنه : أحد عباد بني إسرائيل ، طلب منه موسى عليه السلام الاستسقاء ، فقال : قدوس قدوس ، ما عندك لا يفقد ، وخزائنك لا تفنى ، وأنت بالبخل لا ترمى ، فما هذا الذي لا تعرف به ، اسقنا الغيث الساعة الساعة . فانصرفا يخوضان الوحل . نسب ابن قدامة هذه القصة عن ابن البراء في الروضة إلى كعب الأخبار . والله أعلم .

أما استحباب المكروهات، أو إباحة المحرمات، فلا نفرق بين العفو عن الفاعل والمغفرة له، وبين إباحة فعله أو المحبة له <sup>(١)</sup> سواء كان ذلك متعلقا بنفس الفعل، أو ببعض صفاته. وقد علمت جماعة ممن سأل حاجته من بعض المقبورين <sup>(٢)</sup> من الأنبياء والصالحين. فقضيت حاجته، وهو لا يخرج عما ذكرته، وليس ذلك بشرع <sup>(٣)</sup> فيتبع <sup>(٤)</sup> ولا سنة وإنما يثبت استحباب الأفعال واتخاذها دينا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه السابقون الأولون، وما سوى هذه <sup>(٥)</sup> من الأمور المحدثه فلا يستحب، وإن اشتملت أحيانا على فوائد، لأننا نعلم أن مفاصلها راجحة على فوائدها.

ثم هذا التحريم أو الكراهة المقترنة بالأدعية المكروهة، إما من جهة المطلوب، وإما من جهة نفس الطلب، وكذلك الاستعاذة المحرمة أو المكروهة فكراهتها: إما من جهة المستعاذ منه، وإما من جهة نفس الاستعاذة، فينجون من ذلك <sup>(٦)</sup> الشر، ويقعون فيما هو أعظم منه.

فمثل أن يسأل ما يضره في <sup>(٧)</sup> دنياه أو آخرته، وإن كان لا يعلم أنه يضره، فيستجاب له، ﴿كالرجل الذي عادته <sup>(٨)</sup> النبي ﷺ فوجده مثل الفرخ فقال: " هل كنت تدعو الله بشيء؟ " قال: كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي <sup>(٩)</sup> في الدنيا. قال: " سبحان الله إنك لا تسطيعه - أو لا تطيقه - هلا

(١) أي أن العفو عن الفاعل والمغفرة له لا تقتضي إباحة فعله ولا محبته، ما لم يكن فعله مباحا بدليل شرعي معتبر

(٢) في ( ط ) : لبعض .

(٣) في ( أ ) : الشرع .

(٤) في ( ط ) : متبع .

(٥) في المطبوعة : ذلك .

(٦) في ( ط ) : فينجون من الشر .

(٧) من هنا حتى قوله : فيستجاب له ( سطر تقريبا ) : سقط من ( أ ) .

(٨) في ( أ ) : دعاه .

(٩) لي : سقطت من ( أ ) .

قلت: ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار؟ ﴿١﴾ وكأهل

جابر بن عتيك <sup>(٢)</sup> لما مات، فقال النبي ﷺ ﴿ لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن

الملائكة يؤمنون على ما تقولون ﴾ <sup>(٣)</sup> (٤) .

وقد عاب الله على من يقتصر على طلب الدنيا بقوله: ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا

ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن خَلْقٍ ﴿٥﴾ ﴾ <sup>(٥)</sup> فأخبر أن من لم يطلب إلا الدنيا لم

يكن له في الآخرة من <sup>(٦)</sup> نصيب. ومثل أن يدعو على غيره دعاء منهيًا عنه، كدعاء بلعم

بن باعور على قوم موسى عليه السلام، وهذا قد يتلى به كثير من العباد أرباب القلوب،

فإنه قد يغلب على أحدهم ما يجده من حب أو بغض لأشخاص، فيدعو لأقوام وعلى

أقوام بما لا يصلح، فيستجاب له، ويستحق العقوبة على ذلك الدعاء، كما يستحقها على

سائر الذنوب، فإن لم يحصل له ما يحوه، من توبة أو حسنات ماحية، أو شفاعة غيره، أو

---

(١) جاء ذلك في حديث أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء ، باب كراهية الدعاء بتعجيل العقوبة في

الدنيا ، الحديث رقم ( ٢٦٨٨ ) ، ( ٤ / ٢٠٦٨ ) ، والترمذي في كتاب الدعوات ، الباب ( ٧٢ ) ، الحديث

رقم ( ٣٤٨٧ ) ، ( ٤ / ٥٢١ - ٥٢٢ ) ، وأحمد في مسنده ( ٣ / ١٠٧ ، ٢٨٨ ) .

(٢) جاء هذا الاسم لثلاثة من الصحابة ذكرهم ابن حجر في الإصابة منهم : جابر بن عتيك بن الحارث بن هيشة

وهذا عاش حتى سنة ( ٦١ هـ ) ، ولم يمض في عهد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، والثاني جابر بن

عتيك بن النعمان بن عتيك الأنصاري . والثالث جابر بن عتيك بن قيس بن الأسود بن مري بن كعب

الأنصاري السلمي . ولست أدري أيهما الثاني أو الثالث - يعني المؤلف - ولم أجد ما يرجح ، كما أني لم

أجد أن للحديث هذا صلة بجابر بن عتيك ، والله أعلم . انظر : الإصابة ( ١ / ٢١٤ - ٢١٥ ) ، ( ت ١٠٣٠

، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ )؛ وأسد الغاية ( ١ / ٢٥٨ ، ٢٥٩ ) .

(٣) مسلم الجنائز ( ٩٢٠ ) ، أبو داود الجنائز ( ٣١١٨ ) ، أحمد ( ٦ / ٢٩٧ ) .

(٤) وجدت هذا اللفظ في كثير من كتب السنة ، لكن لم أجد مقرونا بموت جابر بن عتيك ، وإنما جاء في قصة

موت أبي سلمة ، وأنه لما مات ضج ناس من أهله فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : " لا تدعوا على

أنفسكم " الحديث . أخرجه مسلم في كتاب الجنائز ، باب إغماض الميت والدعاء له إذا حضر ، الحديث رقم

( ٩٢٠ ) ، ( ٢ / ٦٣٤ ) .

(٥) سورة البقرة : الآية ٢٠٠ .

(٦) من : ساقطة من ( ب ط ) .

غير ذلك، وإلا فقد يعاقب، إما بأن يسلب ما كان عنده من ذوق طعم الإيمان ووجود حلاوته، فيتزل عن درجته، وإما أن يسلب عمل الإيمان، فيصير فاسقا، وإما بأن يسلب أصل الإيمان، فيصير كافرا منافقا، أو غير (١) منافق.

وما أكثر ما يتلى. يمثل هذا (٢) المتأخرون من أرباب الأحوال القلبية، بسبب عدم فقههم في أحوال قلوبهم، وعدم معرفة شريعة الله في أعمال القلوب، وربما غلب على أحدهم حال قلبه، حتى لا يمكنه صرفه عما توجه إليه، فيبقى ما يخرج منه مثل السهم الخارج من القوس. وهذه الغلبة إنما تقع غالبا بسبب التقصير في الأعمال المشروعة، التي تحفظ حال (٣) القلب، فيؤاخذ على ذلك، وقد تقع بسبب اجتهاد يخطئ صاحبه، فتقع معفوا عنها.

ثم من غرور هؤلاء وأشباههم، اعتقادهم أن استجابة مثل هذا الدعاء كرامة من الله تعالى لعبده، وليس في الحقيقة كرامة، وإنما تشبه الكرامة من جهة أنها دعوة نافذة، وسلطان قاهر (٤). وإنما الكرامة في الحقيقة: ما نفعت في الآخرة، أو نفعت في الدنيا ولم تضر في الآخرة، وإنما هذا بمرتلة ما ينعم به (٥) الكفار والفساق، من الرياسات والأموال في الدنيا، فإنها إنما تصير نعمة حقيقية، إذا لم تضر صاحبها في الآخرة، ولهذا اختلف أصحابنا وغيرهم من العلماء: هل ما ينعم به الكافر، نعمة أو ليس (٦) بنعمة؟ وإن كان الخلاف لفظيا. قال الله تعالى: ﴿أَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ﴿٥٦﴾﴾

(١) غير : ساقطة من (أ) .

(٢) في (أ ط) : بهذا .

(٣) حال : ساقطة من (ط) .

(٤) في المطبوعة : من جهة كونها دعوة نافذة وسلطانا قاهرا .

(٥) في المطبوعة : ينعم الله به على الكفار .

(٦) في (ط) وفي المطبوعة : أم ليس . وما أثبتته أصح ، لأن (أم) لا تقع بعد (هل)؛ لأن كلا منهما حرف

استفهام ، ولا يدخل الاستفهام على الاستفهام . انظر : أوضح المسالك (ص ٥٠٠) .

بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴿١﴾ وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ

كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٥٧﴾ ﴿٢﴾ .

وفي الحديث: ﴿ إذا رأيت الله ينعم على العبد مع إقامته على معصيته، فإنما هو

استدراج يستدرجه ﴾ ﴿٣﴾ (٤) .

ومثال هذا في الاستعاذة: ﴿ قول المرأة التي جاء (٥) النبي ﷺ ليخطبها فقالت: أعوذ

بالله منك، فقال: " لقد عدت بمعاذ " . ثم انصرف عنها، فقيل لها: إن هذا النبي ﷺ

فقالت: أنا كنت أشقى من ذلك ﴾ ﴿٦﴾ .

: فيكون تارة لأنه دعاء لغير الله، مثل ما يفعله السحرة

من مخاطبة الكواكب، وعبادتها ونحو ذلك، فإنه قد يقتضي عقب ذلك أنواعا من القضاء،

إذا لم يعارضه معارض، من دعاء أهل الإيمان وعبادتهم، أو غير ذلك ولهذا تنفذ هذه

الأمور في أزمان فترة الرسل، وفي بلاد الكفر والنفاق، ما لا تنفذ في دار الإيمان (٧)

وزمانه.

(١) سورة المؤمنون : الآيتان ٥٥ ، ٥٦ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ٤٤ .

(٣) في المطبوعة : يستدرجه به .

(٤) جاء نحو هذا في حديث أخرجه أحمد في المسند عن عقبة بن عامر ولفظه : " إذا رأيت الله يعطي العبد من

الدنيا على معاصيه ما يجب . فإنما هو استدراج " الحديث . المسند ( ٤ / ١٤٥ ) . وذكره السيوطي في الجامع

الصغير ( ١ / ٩٧ ) ، الحديث رقم ( ٦٢٩ ) ، وقال : حديث حسن . وأخرجه ابن جرير في تفسير الآية التي

ذكرها المؤلف ، سورة الأنعام : الآية ٤٤ . انظر تفسير ابن جرير ( ٧ / ١٢٤ ) .

(٥) في المطبوعة : جاءت ليخطبها .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأشربة ، باب الشرب من قذح النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم

وآنيته ، الحديث رقم ( ٥٦٣٧ ) ، ( ١٠ / ٩٨ ) من فتح الباري .

(٧) في المطبوعة : الإسلام .

: أني أعرف رجالا يستغيثون ببعض الأحياء في شدائد<sup>(١)</sup> تنزل بهم، فيفرج عنهم، وربما يعاينون أمورا، وذلك الحي المستغاث به لم يشعر بذلك، ولا علم به البتة، وفيهم من يدعو على أقوام، أو يتوجه في إيدائهم، فيرى بعض الأحياء<sup>(٢)</sup> أو بعض الأموات يحول بينه وبين إيذاء أولئك، وربما رآه ضاربا له بسيف، وإن كان الحائل<sup>(٣)</sup> لا شعور له بذلك، وإنما ذلك من فعل الله سبحانه، بسبب يكون بين المقصود وبين الرجل الدافع، من اتباع له، وطاعته فيما يأمره من طاعة الله، ونحو ذلك. فهذا قريب.

وقد يجري لعباد الأصنام أحيانا من الجنس المحرم،<sup>(٤)</sup> محنة من الله، بما تفعله الشياطين لأعوانهم، فإذا كان الأثر قد يحصل عقب دعاء من قد<sup>(٥)</sup> تيقن أنه لم يسمع الدعاء، فكيف يتوهم أنه هو الذي تسبب في ذلك، أو أن له فيه فعلا؟.

وإذا قيل: إن الله يفعله بذلك السبب، فإذا كان السبب محرما لم يجز، كالأعراض التي يحدثها الله عقب أكل السموم، وقد يكون الدعاء المحرم في نفسه دعاء لغير الله، وأن يدعو الله<sup>(٦)</sup> كما تقول النصارى: يا والدة الإله اشفعي لنا إلى الإله. وقد يكون دعاء الله<sup>(٧)</sup> لكنه توسل إليه بما لا يحب أن يتوسل به، كالمشركين<sup>(٨)</sup> الذين يتوسلون إلى الله بأوثانهم، وقد يكون دعاء الله<sup>(٩)</sup> بكلمات لا تصلح أن يناجى بها الله، ويدعى بها، لما في ذلك من الاعتداء.

فهذه الأدعية ونحوها، وإن كان قد يحصل لصاحبها أحيانا غرضه، لكنها محرمة، لما

(١) في (أ) : في أمور شدائد .

(٢) في (أ) : الأحيال . وهو تحريف .

(٣) في المطبوعة : الحي .

(٤) في المطبوعة زاد : ما يظنون أنه .

(٥) قد : سقطت من (ج) .

(٦) في المطبوعة زاد : مستشفعا بغيره إليه .

(٧) في (أ ب ط) : دعاء الله .

(٨) في المطبوعة : أن يتوسل إليه كما يفعل المشركون .

(٩) في (أ ب) والمطبوعة : دعا الله .

فيها من الفساد الذي يربي <sup>(١)</sup> على منفعتها، كما تقدم. ولهذا كانت هذه فتنة في حق من لم يهده <sup>(٢)</sup> الله، وينور قلبه، ويفرق بين أمر <sup>(٣)</sup> التكوين وأمر التشريع، ويفرق بين القدر والشرع <sup>(٤)</sup> ويعلم أن الأقسام ثلاثة:

\* أمور قدرها الله، وهو لا يجبرها ولا <sup>(٥)</sup> يرضأها، فإن الأسباب المحصلة لهذه تكون محرمة موجبة لعقابه.

\* وأمور شرعها فهو يجبرها من العبد ويرضأها، لكن لم يعنه على حصولها، فهذه محمودة عنده <sup>(٦)</sup> مرضية، وإن لم توجد.

\* والقسم الثالث: أن يعين الله العبد على ما يجبه منه.

فالأول: إعانة الله.

والثاني: عبادة الله.

والثالث: جمع له بين العبادة والإعانة. كما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ﴾ <sup>(٧)</sup>.

فما كان من الدعاء غير المباح إذا أثر: فهو من باب الإعانة لا العبادة <sup>(٨)</sup> كسائر

الكفار والمنافقين والفساق. ولهذا قال تعالى في مريم: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ

(١) في المطبوعة: يربو .

(٢) في (أ) : لمن لم يهد به الله .

(٣) في (ط) : أمور .

(٤) في المطبوعة : بين أمر القدر وأمر الشرع .

(٥) في (أ ب) : وهو لا يجبرها ويرضأها ، وما أثبتته أصح ، ولعل " لا " أسقطت من الناسخين ، ويجوز أن تكون الواو للعطف لا للاستئناف ، فيكون النفي للحب والرضا معا ، وعلى هذا يكون المعنى صحيحا ، لكن تكرار النفي أوضح .

(٦) عنده : ساقطة من (أ) .

(٧) سورة الفاتحة آية : ٥ .

(٨) في المطبوعة : كدعاء سائر الكفار .



رَبِّهَا وَكُتِبَهِ ﴿١﴾ ﴿وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَعِيدُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَاتِ الَّتِي لَا يَجَاوِزُهَا بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ﴾ (٢) (٣) .

ومن رحمة الله تعالى، أن الدعاء المتضمن شركاً، كدعاء غيره أن يفعل، أو دعائه أن يدعو، ونحو ذلك - لا يحصل غرض صاحبه، ولا يورث حصول الغرض شبهة (٤) إلا في الأمور الحقيرة، فأما الأمور العظيمة، كإنزال الغيث عند القحوط، أو كشف العذاب النازل، فلا ينفع فيه هذا الشرك. كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤٢﴾﴾ (٥) .

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ (٦) .

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ تُحِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ﴿٧٧﴾﴾ (٧) .

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا

(١) سورة التحريم : من الآية ١٢ .

(٢) أحمد (٤١٩/٣) .

(٣) جاء ذلك في حديث مرسل أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الشعر ، باب ما يؤمر به من التعوذ ، حديث رقم (١٠) ، (٢ / ٩٥١) ، وله شواهد مرفوعة في الموطأ أيضا ، حديث رقم (٩ ، ١١) ، (٢ / ٩٥٠ ، ٩٥١) ، كما أن له شاهد أيضا في مسلم عن أم حكيم وأبي هريرة في كتاب الذكر باب التعوذ من سوء القضاء ، حديث رقم (٢٧٠٨ ، ٢٧٠٩) من طرق ، (٤ / ٢٠٨٠ ، ٢٠٨١) .

(٤) شبهة : سقطت من (ج د) .

(٥) سورة الأنعام : الآيتان ٤٠ ، ٤١ .

(٦) سورة الإسراء : الآية ٦٧ .

(٧) سورة النمل : الآية ٦٢ .

تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ  
وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴿٥٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٨﴾ ﴿١﴾ .

وقال تعالى: ﴿٥٩﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوُ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا  
يَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ﴿٦١﴾ ﴿٢﴾ .

فكون (٣) هذه المطالب العظيمة لا يستجيب فيها إلا هو سبحانه، دل على توحيد،  
وقطع شبهة من أشرك به، وعلم بذلك أن ما دون هذا أيضاً من الإجابات إنما فعلها هو  
سبحانه (٤) وحده لا شريك له، وإن كانت تجري بأسباب محرمة أو مباحة، كما أن خلقه  
السموات والأرض والرياح والسحاب، وغير ذلك من الأجسام العظيمة، دل على  
وحدانيته، وأنه خالق لكل شيء، وأن ما دون هذا بأن يكون خلقاً له أولى، إذ هو  
منفعل (٥) عن مخلوقاته العظيمة، فخالق السبب التام، خالق للمسبب لا محالة.

(١) سورة الإسراء : الآيتان ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) سورة الزمر : الآيتان ٤٣ ، ٤٤ .

(٣) في ( ط ) : فتكون .

(٤) في المطبوعة : إنما حصولها منه وحده .

(٥) في المطبوعة : حاصل .

: :

\* : بأن يجعل لغيره معه تدبيراً ما، كما قال سبحانه: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ ﴾ (١) فبين سبحانه أنهم لا يملكون ذرة (٢) استقلالاً، ولا يشركونه في شيء من ذلك. ولا يعينونه على ملكه، ومن لم يكن مالكا ولا شريكاً ولا عوناً، فقد انقطعت علاقته (٣).

\* : بأن يدعى غيره دعاء عبادة، أو دعاء مسألة كما قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٤) فكما أن إثبات المخلوقات أسباباً لا يقدرح في توحيد الربوبية، ولا يمنع أن يكون الله خالق كل شيء، ولا يوجب أن يدعى المخلوق دعاء عبادة أو دعاء استغاثة. كذلك إثبات بعض الأفعال المحرمة، من شرك أو غيره أسباباً، لا يقدرح في توحيد الألوهية، ولا يمنع أن يكون الله هو الذي يستحق الدين الخالص، ولا يوجب أن نستعمل الكلمات والأفعال التي فيها شرك، إذا كان الله يسخط ذلك، ويعاقب العبد عليه، وتكون مضرة ذلك على العبد أكثر من منفعته، إذ قد جعل الخير كله في أنا لا نعبد إلا إياه، ولا نسعتين إلا إياه.

وعامة آيات القرآن تثبت (٥) هذا الأصل (٦) حتى إنه سبحانه قطع أثر الشفاعة بدون

(١) سورة سبأ : الآية ٢٢ .

(٢) في المطبوعة : مثقال ذرة .

(٣) في ( ط ) : علاقته .

(٤) سورة الفاتحة آية : ٥ .

(٥) في ( ج د ط ) : لتثبيت .

(٦) في المطبوعة زاد : الأصيل .

إذنه، كقوله سبحانه: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾<sup>(١)</sup> وكقوله سبحانه:

﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾<sup>(٢)</sup>

وقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبَسِّلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا

شَفِيعٌ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ الآية<sup>(٤)</sup>.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ

ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ

عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾<sup>(٥)</sup> وسورة الأنعام سورة عظيمة مشتملة على أصول

الإيمان<sup>(٦)</sup>.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا

شَفِيعٍ﴾<sup>(٧)</sup> وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا

لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾<sup>(٨)</sup> وقوله تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْكَانُوا

لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٩)</sup> قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا<sup>(١٠)</sup> . وسورة الزمر أصل

عظيم في هذا.

(١) سورة البقرة : من الآية ٢٥٥ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ٥١ .

(٣) سورة الأنعام : من الآية ٧٠ .

(٤) سورة الأنعام : من الآية ٧١ .

(٥) سورة الأنعام : الآية ٩٤ .

(٦) في المطبوعة زاد : والتوحيد .

(٧) سورة السجدة : من الآية ٤ .

(٨) سورة الزمر : من الآية ٣ .

(٩) سورة الزمر : الآيتان ٤٣ ، ٤٤ .

ومن هذا قوله سبحانه: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٠١﴾<sup>ط</sup> يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٠٢﴾<sup>ط</sup> يَدْعُوا لَمَن ضُرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٠٣﴾<sup>ط</sup> . (١)

وكذلك قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِئْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٤﴾<sup>ط</sup> . (٢)

والقرآن عامته إنما هو في تقرير هذا الأصل العظيم الذي هو أصل الأصول. وهذا الذي ذكرناه كله من تحريم هذا الدعاء، مع كونه قد يؤثر، إذا قدر أن هذا الدعاء كان سبباً أو جزءاً من السبب، في حصول طلبته.

والناس قد اختلفوا في الدعاء المستعقب لقضاء الحاجات فرعم<sup>(٣)</sup> قوم من المبطلين، متفلسفة ومتصوفة، أنه لا فائدة فيه أصلاً، فإن المشيئة الإلهية والأسباب العلوية، إما أن تكون قد اقتضت وجود المطلوب، وحينئذ فلا<sup>(٤)</sup> حاجة إلى الدعاء، أو لا تكون اقتضته، وحينئذ فلا<sup>(٥)</sup> ينفع الدعاء.

وقال قوم ممن تكلم<sup>(٦)</sup> في العلم: بل الدعاء علامة ودلالة على حصول المطلوب، وجعلوا ارتباطه بالمطلوب ارتباط الدليل بالمدلول، لا ارتباط السبب بالمسبب. بمتزلة الخبر الصادق والعلم السابق.

والصواب: ما عليه الجمهور - من أن الدعاء سبب لحصول الخير المطلوب، أو غيره،

(١) سورة الحج: الآيات ١١ - ١٣ .

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٤١ .

(٣) في (أ) : يزعم .

(٤) في (ط) : لا حاجة .

(٥) في (ب ط) : لا ينفع .

(٦) في (أ ج د) : يتكلم .

كسائر الأسباب المقدرّة والمشروعة. وسواء سمي سبباً أو جزءاً من السبب أو شرطاً، فالمقصود هنا واحد، فإذا (١) أراد الله بعبد خيراً ألهمه دعاءه والاستعانة به، وجعل استعانته ودعائه سبباً للخير الذي قضاه له، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه " إني لا أحمل هم الإجابة، وإنما أحمل (٢) هم الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه " (٣) .

كما أن الله تعالى إذا أراد أن يشبع عبداً، أو يرويه ألهمه أن يأكل أو يشرب، وإذا أراد الله أن يتوب على عبد ألهمه أن يتوب، فيتوب عليه، وإذا أراد أن يرحمه ويدخله الجنة يسره لعمل أهل الجنة، والمشية الإلهية اقتضت وجود هذه الخيرات، بأسبابها المقدرّة لها، كما اقتضت وجود دخول الجنة بالعمل الصالح، ووجود الولد بالوطء، والعلم بالتعليم.

فمبدأ الأمور من الله، وتمامها على الله، لا أن العبد نفسه هو المؤثر في الرب، أو في ملكوت الرب، بل الرب سبحانه هو المؤثر في ملكوته وجاعل دعاء عبده سبباً لما يريد به، سبحانه من القضاء، كما ﴿ قال رجل للنبي صلّى الله عليه وآله يا رسول الله (٤) أ رأيت أدوية نتداوى بها، ورقى نسترقى بها وتقى نتقيها (٥) هل ترد من قدر الله شيئاً؟ قال: هي من قدر الله ﴾ (٦) .

وعنه صلّى الله عليه وآله قال (٧) ﴿ إن الدعاء والبلاء ليلتقيان (١) فيعتلجان بين السماء

(١) في (أ ط) : وإذ .

(٢) في (أ) : أهمل ، وهو تحريف من الناسخ .

(٣) لم أجد في المراجع التي اطلعت عليها .

(٤) يا رسول الله ساقطة من (ب ج د) .

(٥) أي ما يتخذ من أسباب للوقاية من المرض والعدو ونحوه .

(٦) أخرجه الترمذي عن أبي خزيمة عن أبيه وقال : " هذا حديث حسن صحيح " . انظر : سنن الترمذي ، كتاب الطب ، باب ما جاء في الرقى والأدوية ، حديث رقم ( ٢٠٦٥ ) ، ( ٤ / ٣٩٩ ، ٤٠٠ ) ، ومرة قال : عن أبي خزيمة ( ٤ / ٤٠٠ ) ، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الطب ، باب ما أنزل الله داء إلا له شفاء ، حديث رقم ( ٣٤٣٧ ) ، ( ٢ / ١١٣٧ ) ، عن أبي خزيمة أيضا . وأخرجه أحمد في المسند ( ٣ / ٤٢١ ) ، عن أبي خزيمة عن أبيه أيضا .

(٧) قال : سقطت من (ب ج د) .

والأرض ﴿<sup>(٢)</sup> فهذا في الدعاء الذي يكون سبباً في حصول المطلوب <sup>(٣)</sup> .

<sup>(٤)</sup> وأعلى من هذا ما جاء به الكتاب والسنة، أن رضا الله وفرحه، وضحكه بسبب أعمال عباده الصالحة، كما جاءت به النصوص، وكذلك غضبه ومقتته. وقد بسطنا الكلام في <sup>(٥)</sup> هذا الباب، وما للناس فيه من المقالات والاضطراب <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup> .  
فما فرض من الأدعية المنهي عنها سبباً، فقد تقدم الكلام عليه.

فأما غالب الأدعية التي ليست مشروعة لا تكون هي السبب في حصول المطلوب، ولا جزءاً منه، ولا يعلم ذلك، بل يتوهم وهما كاذباً <sup>(٨)</sup> كالنذر سواء. فإن في الصحيح عن ابن عمر " عن النبي ﷺ أنه نهى عن النذر وقال: ﴿إنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل﴾ <sup>(٩)</sup> <sup>(١٠)</sup> وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ﴿إن النذر لا يقرب من ابن آدم شيئاً لم يكن الله قدره له، ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك <sup>(١١)</sup> من البخيل، ما لم

(١) في (ج د) : يلتقيان .

(٢) أخرجه الحاكم بلفظ: " وإن البلاء ليتزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة " ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . المستدرک ( ١ / ١٢٣ ) ، كتاب الدعاء ، وأشار إليه المؤلف في مجموع الفتاوى ( ٢٥ / ١٩١ ، ١٩٢ ) ، دون تخريج .

(٣) للاستزادة من هذا الموضوع : راجع شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٠٦ - ٤١١ ) ، تحقيق أحمد شاكر .

(٤) من هنا حتى قوله : فما فرض من الأدعية (أربعة سطور تقريباً) : سقط من (ط) .

(٥) في (أ) : من هذا الباب .

(٦) انظر : مجموع الفتاوى للمؤلف ( ٣ / ١٣٣ ، ١٣٨ ) و ( ٥ / ٣٥١ - ٣٥٦ ) و ( ٦ / ٨٨ - ١٠٥ ) و ( ٨ / ٣٧٨ ) وغيرها .

(٧) في المطبوعة زاد : في غير هذا الموضوع .

(٨) في المطبوعة : بل لا يتوهم إلا وهما كاذبا .

(٩) البخاري القدر (٦٢٣٤) ، مسلم النذر (١٦٣٩) ، النسائي الأيمان والنذور (٣٨٠٣) ، أبو داود الأيمان والنذور (٣٢٨٧) ، ابن ماجه الكفارات (٢١٢٢) ، أحمد (٦١/٢) ، الدارمي النذور والأيمان (٢٣٤٠) .

(١٠) الحديث مر . انظر : فهرس الأحاديث .

(١١) في (ب) : ذلك .

## يكن البخيل يريد أن يخرج ﴿١﴾ .

فقد أخبر النبي ﷺ أن النذر لا يأتي بخير، وأنه ليس من الأسباب الجالبة للخير، أو الدافعة لشر أصلاً، وإنما يوافق القدر موافقة كما توافقه سائر الأسباب فيخرج من البخيل حينئذ ما لم يكن يخرج من قبل ذلك. ومع هذا فأنت ترى الذين يحكون أنهم وقعوا في شدائد، فنذروا نذوراً<sup>(٢)</sup> تكشف شدائدهم، أكثر - أو قريباً - من الذين يزعمون أنهم دعوا عند القبور، أو غيرها، فقضيت حوائجهم، بل من كثرة اغترار المضلين<sup>(٣)</sup> بذلك؛ صارت النذور المحرمة في الشرع مآكل لكثير من السدنة والمجاورين، والعاكفين عند<sup>(٤)</sup> بعض المساجد أو غيرها، ويأخذون من الأموال شيئاً كثيراً، وأولئك الناذرون يقول أحدهم: مرضت فنذرت. ويقول آخر: خرج علي المحاربون فنذرت<sup>(٥)</sup> ويقول الآخر: ركبت البحر فنذرت<sup>(٦)</sup>. ويقول الآخر: حبست فنذرت. ويقول الآخر: أصابني فاقة فنذرت.

وقد قام بنفوسهم، أن هذه النذور هي السبب في حصول مطلوبهم، ودفع مرهوبهم. وقد أخبر الصادق المصدوق أن نذر طاعة الله - فضلاً عن معصيته - ليس سبباً لحصول الخير<sup>(٧)</sup> وإنما الخير الذي يحصل للناذر يوافقه<sup>(٨)</sup> موافقة كما يوافق سائر الأسباب، فما هذه الأدعية غير المشروعة، في حصول المطلوب<sup>(٩)</sup> بأكثر من هذه النذور في حصول

(١) صحيح مسلم ، كتاب النذر ، باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئاً ، تابع الحديث رقم (١٦٤٠ - ٧) ، (٣) / (١٢٦٢) .

(٢) في المطبوعة : نذرا .

(٣) في (أ ط د) : المبطلين ، وفي المطبوعة : الضالين المضلين .

(٤) في المطبوعة : العاكفين على القبور .

(٥) قوله : ويقول آخر : خرج علي المحاربون فنذرت : سقط من (أ ج د) .

(٦) قوله : ويقول آخر : ركبت البحر فنذرت : سقط من (ط) .

(٧) في (أ ج د) : سبباً للخير ، وفي (د) : لحصول خير .

(٨) يوافقه : ساقطة من (ط) .

(٩) من هنا حتى قوله : بل تجد (نصف سطر تقريباً) : سقط من (أ) .



المطلوب. بل تجد كثيراً من الناس يقول: إن المكان الفلاني، أو المشهد الفلاني، أو القبر<sup>(١)</sup> الفلاني، يقبل النذر، بمعنى أنهم نذروا له نذراً إن قضيت حاجتهم، وقضيت<sup>(٢)</sup>. كما يقول القائلون: الدعاء عند المشهد الفلاني، أو القبر الفلاني، مستجاب، بمعنى أنهم دعوا هناك مرة، فأروا أثر الإجابة. بل إذا كان المبطلون يضيفون<sup>(٣)</sup> قضاء حوائجهم<sup>(٤)</sup> إلى خصوص نذر المعصية<sup>(٥)</sup> مع أن جنس النذر لا أثر له في ذلك، لم يبعد منهم إذا أضافوا حصول غرضهم إلى خصوص الدعاء. بمكان لا خصوص له في الشرع، لأن جنس الدعاء هنا مؤثر، فالإضافة إليه ممكنة، بخلاف جنس النذر فإنه لا يؤثر.

أن يعرف أن الشيطان إذا زين لهم نسبة الأثر إلى ما لا يؤثر نوعاً ولا وصفاً، فنسبته إلى وصف قد ثبت تأثير نوعه أولى أن يزين لهم. ثم كما لم يكن ذلك الاعتقاد منهم صحيحاً، فكذلك هذا، إذ كلاهما مخالف للشرع.

: أن اعتقاد المعتقد أن هذا الدعاء أو هذا النذر كان هو السبب، أو

بعض السبب في حصول المطلوب لا بد له من دلالة، ولا دليل على ذلك في الغالب إلا الاقتران أحياناً، أعني: وجودهما جميعاً، وإن تراخى أحدهما عن الآخر مكاناً أو زماناً مع الانتقاض<sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup> أضعاف أضعاف الاقتران، ومجرد اقتران الشيء بالشيء بعض الأوقات مع

(١) أو القبر الفلاني : ساقطة من ( ط ) .

(٢) وقضيت : ساقطة من ( ب ) .

(٣) في ( ب ) : يضيفون .

(٤) في ( أ ط ) : حاجاتهم .

(٥) في الورقة ( ١٦١ ) من المخطوطة ( ط ) وجدت تهميشاً هذا نصه : " يقول داود الطيب : هذه البدعة إنما أصلها اليهود ، فإنهم ينذرون في كل شيء أصابهم ، حتى إذا قيل لأحدهم : صل أو صم أو تصدق ، يقول : لا ، ولكن أنذر للمكان الفلاني أو للعجوز الفلانية ، وما أشبه ذلك . وبعض جهال المسلمين يعينهم على ذلك ، حتى إني أعرف شيخاً من مشايخ المسلمين المشهورون ينذر زيتاً للكنيسة التي لهم ، ويزعمون أنها للخضر عليه السلام بقريّة (جوبر) ، ويقول : جربت ذلك فوجدته ناجحاً ، فهذا الجاهل مما كان يعينهم في أمر دينهم " . تمت .

(٦) في ( ط ) : مع انتقاض .

(٧) من هنا حتى قوله : ليس دليلاً (سطر تقريباً) ، سقط من ( ج د ) .

انتقاضه، ليس دليلاً على الغلبة<sup>(١)</sup> باتفاق العقلاء، إذا كان هناك سبب آخر صالح، إذ تخلف الأثر عنه يدل على عدم الغلبة<sup>(٢)</sup>.

: إن التخلف بفوات شرط، أو لوجود مانع.

: بل الاقتران لوجود سبب آخر، وهذا هو الراجح، فإننا نرى الله في كل وقت يقضي الحاجات ويفرج الكربات، بأنواع من الأسباب، لا يحصيها إلا هو، وما رأيناه يحدث المطلوب مع وجود هذا الدعاء المتبدع، إلا نادراً، فإذا رأيناه قد أحدث<sup>(٣)</sup> شيئاً وكان الدعاء المتبدع قد وجد، كان إحالة حدوث الحادث على ما علم من الأسباب التي لا يحصيها إلا الله، أولى من إحالته على ما لم يثبت كونه سبباً.

: إن كان دليلاً على العلة، فالانتقاض دليل على عدمها.

وهنا افترق الناس ثلاث فرق: مغضوب عليهم، وضالون، والذين أنعم الله عليهم.

يطعنون في عامة الأسباب المشروعة وغير المشروعة، ويقولون:

الدعاء المشروع قد يؤثر، وقد<sup>(٤)</sup> لا يؤثر ويتصل بذلك الكلام في دلالة الآيات على تصديق الأنبياء عليهم السلام.

: يتوهمون من كل ما يتخيل سبباً، وإن كان يدخل في دين اليهود

والنصارى والمجوس، وغيرهم. والمتكايسون<sup>(٥)</sup> من المتفلسفة يحيلون ذلك على أمور فلكية، وقوى نفسانية، وأسباب طبيعية، يدورون حولها، لا يعدلون عنها.

فهم لا ينكرون ما خلقه<sup>(٦)</sup> الله من القوى والطبائع في جميع الأجسام

(١) في المطبوعة: العلة، وهو أصح للسياق، ويدل عليه ما بعده، لكن ما أثبتته أجمعت عليه النسخ المخطوطة ويقوم به المعنى.

(٢) في المطبوعة: العلية، وهو كما أسلفت في الهامش السابق.

(٣) في المطبوعة: كان شيئاً.

(٤) وقد لا يؤثر: ساقطة من (أ).

(٥) أي الذين يزعمون الكيس: وهو العقل والغلبة بقوة الحجة العقلية، والكيس ضد الحمق. انظر: القاموس المحيط، فصل الكاف، باب السين (٢ / ٢٥٧).

(٦) في (ب): ما خلق الله.

والأرواح، إذ الجميع خلق الله، لكنهم يؤمنون بما وراء ذلك من قدرة الله التي هو بها على كل شيء قدير، ومن أنه كل يوم هو في شأن، ومن أن إجابته لعبده المؤمن <sup>(١)</sup> خارجة عن قوة نفسه، وتصرف جسمه وروحه <sup>(٢)</sup> وبأن الله يخرق العادات لأنبيائه، لإظهار صدقهم، <sup>(٣)</sup> وإكرامهم بذلك. ونحو ذلك من حكمه.

وكذلك يخرقها لأوليائه: تارة لتأييد دينه بذلك، وتارة تعجيباً لبعض ثوابهم في الدنيا، وتارة إنعاماً عليهم بجلب نعمة، أو دفع نقمة، ولغير ذلك، ويؤمنون بأن الله يرد بما أمرهم <sup>(٤)</sup> به، من الأعمال الصالحة، والدعوات المشروعة - <sup>(٥)</sup> ما جعله في قوى الأجسام والأنفس <sup>(٦)</sup> ولا يلتفتون إلى الأوهام التي دلت الأدلة العقلية، أو الشرعية على فسادها، ولا يعملون بما حرّمته الشريعة، <sup>(٧)</sup> وإن ظن أن له تأثيراً <sup>(٨)</sup> .

<sup>(٩)</sup> : فله طرق في الأمور الشرعية، كما له طرق في الأمور

الطبيعية منها: الاضطرار <sup>(١٠)</sup> ﴿فإن الناس لما عطشوا وجاعوا على عهد رسول الله ﷺ﴾

(١) في (ب) : إجابة خارجة .

(٢) أي نفس العبد وجسمه وروحه .

(٣) من هنا حتى قوله : ثوابهم في الدنيا (سطر ونصف تقريبا) : ساقطة من (ط) .

(٤) في المطبوعة : يرد ما أمرهم .

(٥) في المطبوعة : إلى ما جعله .

(٦) معناه - والله أعلم - : أن الله تعالى يرد عن العبد المؤمن ما فيه ضرر عليه صادر عن القوى التي هي الأجسام ، والطبائع التي هي الأنفس ، بسبب دعائه وأعماله الصالحة .

(٧) من هنا حتى قوله : كما له طرق (سطر تقريبا) : سقط من (ط) .

(٨) في المطبوعة تقدم وتأخير خالفت به جميع النسخ المخطوطة ، على النحو التالي بعد قوله : " وإن ظن أن له تأثيرا " ، جاءت العبارات : " وبالجملة : فالعلم بأن هذا هو السبب " إلى قوله : " من باب النهي عليه كما تقدم " ، مقدار نصف صفحة تقريبا ، والتي ستأتي بعد صفحتين ، بعد قوله : " حتى لا يميزوا بين الحق والباطل " ، وما أثبتته هو ما أجمعت عليه النسخ المخطوطة ، كما أنه أقرب لمناسبة السياق .

(٩) هنا اتفقت جميع النسخ ، حتى المطبوعة ، على العبارة المثبتة ، وهذا مرجح ، لما أثبتته من النسخ المخطوطة قبل قليل .

(١٠) في (ب) : بالإضرار .

فأخذ غير مرة ماء قليلاً، فوضع يده الكريمة<sup>(١)</sup> فيه حتى فار الماء من بين أصابعه<sup>(٢)</sup> ووضع يده الكريمة في الطعام، وبرك فيه حتى كثر كثرة خارجة عن العادة ﴿<sup>(٣)</sup> فإن العلم بهذا الاقتران المعين، يوجب العلم بأن كثرة الماء والطعام كانت بسببه ﷺ علماً ضرورياً، كما يعلم أن الرجل إذا ضُرب بالسيف ضربة شديدة صرخته فمات، أن الموت كان منها، بل<sup>(٤)</sup> أوكد، فإن العلم بأن كثرة الماء والطعام ليس له سبب معتاد في مثل ذلك أصلاً، مع أن<sup>(٥)</sup> العلم بهذه المقارنة، يوجب علماً ضرورياً بذلك.

وكذلك لما ﴿دعا ﷺ لأنس بن مالك أن يكثر الله ماله وولده﴾<sup>(٦)</sup> ، فكان نخله يحمل في السنة مرتين، خلاف عادة بلده، ورأى من ولده وولد ولده أكثر من مائة<sup>(٧)</sup> فإن مثل هذا الحادث يعلم أنه كان بسبب ذلك الدعاء. ومن رأى طفلاً يبكي بكاء شديداً، فألقمته أمه الثدي فسكن، علم يقيناً أن سكونه<sup>(٨)</sup> كان لأجل اللبن<sup>(٩)</sup> .

والاحتمالات، وإن تطرقت إلى النوع، فإنها قد لا تنطبق إلى الشخص المعين.

(١) قوله : الكريمة فيه : سقط من ( ط ) .

(٢) جاء ذلك في أحاديث متفق عليها . انظر : الأحاديث ( ١٦٩ ، ١٩٥ ، ٢٠٠ ) من فتح الباري ، والحديث رقم ( ٢٢٧٩ ) في صحيح مسلم .

(٣) انظر : الحديث رقم ( ٢٤٨٤ ، ٢٦١٨ ) من فتح الباري ، والحديث رقم ( ٢٧ ) من مسلم ، وهذه شواهد لما ساقه المؤلف ، وإلا فالأحاديث الواردة في ذلك كثيرة في الصحيحين وغيرهما .

(٤) بل : ساقطة من ( ب ) .

(٥) أن : ساقطة من ( أ ج د ط ) .

(٦) البخاري الدعوات ( ٦٠١٧ ) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة ( ٦٦٠ ) ، الترمذي المناقب ( ٣٨٢٧ ) ، أحمد ( ١٠٨ / ٣ ) .

(٧) جاء ذلك في الصحيحين . انظر : صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب ( ٦١ ) ، حديث رقم ( ١٩٨٢ ) ، ( ٤ / ٢٢٨ ) من فتح الباري . وانظر : صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أنس ، حديث رقم ( ٢٤٨٠ ) ، ( ٤ / ١٩٢٨ ) .

(٨) كذا في ( ج د ) : سكونه . وفي بقية النسخ : سكوته .

(٩) أي السبب : رضاعه من اللبن . وفي المطبوعة : قال : كان لأجل ارتضاعه اللبن . وهو تفسير للعبارة .

وكذلك الأدعية، فإن المؤمن يدعو بدعاء فيرى المدعو بعينه مع عدم الأسباب المقتضية له، أو يفعل فعلاً كذلك فيجده كذلك (١) كالعلاء بن الحضرمي رضي الله عنه لما قال: يا عليم، يا حليم، يا علي، يا عظيم، اسقنا، فمطروا في يوم شديد الحر، مطراً لم يجاوز عسكرهم (٢). وقال: احملنا فمشوا على النهر الكبير مشياً لم يبيل أسافل أقدام دوابهم (٣) وأيوب السخيتاني (٤) لما ركض الجبل لصاحبه ركضة، نبت له عين ماء فشرب، ثم غارت (٥).

فدعاء الله وحده لا شريك له، دل الوحي المنزل، والعقول الصحيحة على فائدته ومنفعته، ثم التجارب التي لا يحصي عددها إلا الله. فتجد أكثر المؤمنين قد دعوا الله وسألوه أشياء أسبابها منتفية (٦) في حقهم، فأحدث الله لهم تلك المطالب على الوجه الذي طلبوه، على وجه يوجب العلم تارة، والظن الغالب أخرى - أن الدعاء كان هو السبب في هذا، وتجد هذا ثابتاً عند ذوي (٧) العقول والبصائر، الذين يعرفون جنس الأدلة، وشروطها، واطرادها.

وأما اعتقاد تأثير الأدعية الحرمية، فعامته إنما نجد اعتقاده، عند أهل الجهل الذين لا يميزون بين الدليل وغيره، ولا يفهمون ما يشترط للدليل من الاطراد، وإنما يتفق (٨) في أهل الظلمات، من الكفار والمنافقين، أو ذوي (٩) الكبائر الذين أظلمت قلوبهم بالمعاصي حتى لا يميزوا بين الحق والباطل.

(١) كذلك : ساقطة من (أ ط) .

(٢) ساق ابن كثير هذه القصة مسندة من عدة طرق عن أناس من الصحابة وغيرهم شهدوا هذه الواقعة ، منهم : أنس بن مالك . انظر : البداية والنهاية (٦ / ٢٥٩ ، ٢٦٠) .

(٣) نفس المرجع السابق .

(٤) هو : أيوب بن أبي تيمية ، كيسان السخيتاني ، أبو بكر البصري ، ثقة ثبت حجة ، من كبار الفقهاء العباد . توفي سنة (١٣١ هـ) ، وأخرجه له الستة . انظر : تقريب التهذيب (١ / ٨٩) ، (ت ٦٨٨) .

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣ / ٥) .

(٦) في (ط) : منفعة .

(٧) في (ط) : ذي .

(٨) في المطبوعة : يقع .

(٩) في (أ) : لذوي .

---

: فالعلم بأن هذا كان هو السبب أو بعض<sup>(١)</sup> السبب، أو شرط السبب، في هذا الأمر الحادث، قد يعلم كثيراً، وقد يظن كثيراً، وقد يتوهم كثيراً وهماً ليس له مستند صحيح، إلا ضعف العقل.

ويكفيك أن كل ما يظن أنه سبب لحصول المطالب<sup>(٢)</sup> مما حرّمته الشريعة من دعاء أو غيره، لا بد فيه من أحد أمرين:

إما أن لا<sup>(٣)</sup> يكون سبباً صحيحاً، كدعاء من لا يسمع ولا يبصر، ولا يغني عنك شيئاً. وإما أن يكون ضرره أكثر من نفعه.

فأما ما كان سبباً صحيحاً منفعته أكثر من مضرته، فلا ينهي عنه الشرع<sup>(٤)</sup> بحال. وكل ما لم يشرع من العبادات مع قيام المقتضي لفعله من غير مانع فإنه من باب المنهي عنه. كما تقدم.

---

(١) في (أ) : أو خص السبب . وهو تحريف لـ (بعض) .

(٢) في (ج د) : المصائب .

(٣) لا : سقطت من (ب) .

(٤) في (ب) : في الشرع .



وأما ما ذكر في المناسك، أنه بعد تحية النبي ﷺ وصاحبيه، والصلاة والسلام يدعو، فقد ذكر الإمام أحمد وغيره: أنه يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره لئلا يستديره، وذلك بعد تحيته والصلاة والسلام، ثم يدعو لنفسه. وذكر أنه إذا حياه وصلى عليه يستقبل وجهه<sup>(١)</sup> - بأبي هو وأمي - ﷺ فإذا أراد الدعاء جعل الحجرة عن يساره واستقبل القبلة ودعا، وهذا مراعاة منهم لذلك، فإن الدعاء عند القبر لا يكره مطلقاً، بل يؤمر به<sup>(٢)</sup> كما جاءت به السنة فيما تقدم ضمناً وتبعاً، وإنما المكروه أن يتحرى الجيء إلى القبر للدعاء عنده.

وكذلك ذكر أصحاب مالك قالوا<sup>(٣)</sup> يدنو من القبر، فيسلم على النبي ﷺ ثم يدعو مستقبل القبلة، يوليه ظهره، وقيل: لا يوليه ظهره، وإنما<sup>(٤)</sup> اختلفوا لما فيه من استدباره، فأما<sup>(٥)</sup> إذا جعل الحجرة عن يساره، فقد زال المحذور بلا خلاف وصار في الروضة، أو أمامها. ولعل هذا الذي ذكره الأئمة، أخذوه من كراهة الصلاة إلى القبر، فإن ذلك قد ثبت النهي فيه<sup>(٦)</sup> عن النبي ﷺ كما تقدم<sup>(٧)</sup> فلما نهي أن يتخذ القبر مسجداً أو قبلة، أمروا بأن لا يتحرى الدعاء إليه، كما لا يصلى إليه.

وقال<sup>(٨)</sup> مالك في المبسوط: لا أرى أن يقف<sup>(٩)</sup> عند<sup>(١٠)</sup> قبر النبي ﷺ يدعو، لكن

(١) في المطبوعة: يستقبله بوجهه .

(٢) في المطبوعة زاد: للميت .

(٣) قالوا: ساقطة من (ط) .

(٤) في (أ ط) : فإنما .

(٥) في (أ) : فإذا .

(٦) في (ج د) : عنه .

(٧) انظر: (ص ١٨٤) وما بعدها من هذا الجزء .

(٨) في (ط) : بل قال .

(٩) في (ط) : يفتر .

(١٠) من هنا حتى قوله: " ولهذا والله أعلم " (سطر تقريباً) : سقط من (أ) . وقوله: " عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعو لكن " : سقط من (ط) .

يسلم ويمضي " (١) .

ولهذا - والله أعلم - حرفت الحجرة وثلثت (٢) لما بنيت، فلم يجعل حائطها الشمالي على سمت القبلة، ولا جعل مسطحاً (٣) .

وكذلك (٤) قصدوا قبل أن تدخل الحجرة في المسجد. فروى ابن بطة، بإسناد معروف عن هشام بن عروة، حدثني أبي، وقال: " كان الناس يصلون إلى القبر، فأمر عمر بن عبد العزيز، فرفع حتى لا يصل إلى الناس، فلما هدم بدت قدم بساق وركبة، قال: ففزع من ذلك عمر بن عبد العزيز، فأتاه عروة فقال له: هذه ساق عمر وركبته. فسري عن عمر بن عبد العزيز (٥) .

وهذا أصل مستمر، فإنه لا يستحب للداعي أن يستقبل إلا ما يستحب أن يصل إلى، ألا ترى أن الرجل (٦) لما نهي عن الصلاة إلى جهة المشرق وغيرها، فإنه ينهى أن يتحرى استقبالها وقت الدعاء، ومن الناس من يتحرى وقت دعائه استقبال الجهة التي يكون فيها الرجل (٧) الصالح، سواء كانت في المشرق أو غيره، وهذا ضلال بين، وشرك واضح، كما أن بعض الناس يمتنع من استدبار الجهة التي فيها بعض (٨) الصالحين، وهو استدبار الجهة التي فيها بيت الله وقبر رسوله ﷺ وكل هذه الأشياء من البدع التي تضارع دين النصارى. وما يبين لك ذلك، أن نفس السلام على النبي ﷺ قد راعوا فيه السنة، حتى لا يخرج إلى الوجه المكروه الذي قد يجر إلى إطراء النصارى عملاً بقوله ﷺ ﴿ لا تتخذوا قبوري

(١) انظر : كتاب (الشفاء) للقاضي عياض (٢ / ٨٤) .

(٢) أي جعلت جدرانها مثلثة الزوايا .

(٣) في المطبوعة : قال : ولا جعل جدارها مربعاً .

(٤) في ( ب ) : ولذلك .

(٥) ذكره ابن حجر في فتح الباري (٣ / ٢٥٧) ، عن أبي بكر الآجري من طريق شعيب بن إسحاق ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه . وإسناده صحيح .

(٦) في المطبوعة : المسلم .

(٧) في المطبوعة : معظمه ، بدل : الرجل .

(٨) في المطبوعة : بعض مقدسيهم من الصالحين .



عيداً ﴿ (١) (٢) . وبقوله: ﴿ لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا

عبد فقولوا: عبد الله ورسوله ﴿ (٣) (٤) فكان (٥) بعضهم يسأل عن السلام على القبر

خشية أن يكون من هذا الباب، حتى قيل له: إن ابن عمر كان يفعل ذلك.

ولهذا كره مالك رضي الله عنه (٦) وغيره من أهل العلم، لأهل المدينة كلما دخل أحدهم

المسجد، أن يجيء فيسلم (٧) على قبر النبي صلوات الله وسلامه عليه وصاحبيه. وقال: " وإنما يكون ذلك

لأحدهم إذا قدم من سفر، أو أراد سفرًا ونحو ذلك (٨) .

ورخص بعضهم في السلام عليه إذا دخل المسجد للصلاة ونحوها، وأما قصده دائماً

للصلاة والسلام، فما علمت أحداً رخص فيه، لأن ذلك النوع من اتخاذ عيداً، مع أنا قد

شرع لنا إذا دخلنا المسجد أن نقول: " السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته " (٩)

كما نقول ذلك في آخر صلاتنا. بل قد استحب ذلك لكل من دخل مكاناً ليس فيه أحد:

أن يسلم على النبي صلوات الله وسلامه عليه لما تقدم من أن السلام عليه يبلغه من كل موضع.

فخاف مالك وغيره، أن يكون فعل ذلك عند القبر كل ساعة، نوعاً من اتخاذ القبر

عيداً.

(١) أبو داود المناسك (٢٠٤٢) ، أحمد (٣٦٧/٢) .

(٢) الحديث مر تخريجه . انظر : فهرس الأحاديث .

(٣) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٦١) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى : **وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ** ،

الحديث رقم (٣٤٤٥) ، (٦ / ٤٨٧) فتح الباري .

(٥) في (أ) : أو كان .

(٦) في (ب) : رحمه الله .

(٧) في (أ) : ويسلم .

(٨) انظر : كتاب (الشفاء) للقاضي عياض (٢ / ٨٧ ، ٨٨) .

(٩) ذكر القاضي عياض في كتاب (الشفاء) عن محمد بن سيرين : " كان الناس يقولون إذ دخلوا المسجد : صلى

الله وملائكته على محمد ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته " ونحوه عن فاطمة ترفعه . انظر :

(الشفاء) (٢ / ٨٧) .

وأيضاً فإن ذلك بدعة، فقد كان المهاجرون والأنصار على عهد أبي بكر وعمر  
وعثمان وعلي رضي الله عنهم<sup>(١)</sup> يجيئون إلى المسجد الحرام كل يوم خمس مرات يصلون،  
ولم يكونوا يأتون مع ذلك إلى القبر يسلمون<sup>(٢)</sup> عليه، لعلمهم رضي الله عنهم بما<sup>(٣)</sup> كان  
النبي ﷺ يكرهه من ذلك، وما نهاهم عنه، وأنهم يسلمون عليه حين دخول المسجد  
والخروج منه، وفي التشهد، كما كانوا يسلمون عليه كذلك في حياته. والمأثور عن ابن  
عمر يدل على ذلك.

قال سعيد<sup>(٤)</sup> في سننه: حدثنا عبد الرحمن بن زيد<sup>(٥)</sup> حدثني أبي<sup>(٦)</sup> عن ابن عمر: أنه  
كان إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ وقال: السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا  
أبتاه<sup>(٧)</sup>. وعبد الرحمن بن زيد وإن كان يضعف، لكن الحديث المتقدم عن نافع -  
الصحيح<sup>(٨)</sup> - يدل على أن ابن عمر ما كان يفعل ذلك دائماً ولا غالباً.

وما أحسن ما قال مالك: " لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها " <sup>(٩)</sup> ولكن  
كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم، ونقص إيمانهم، عوضوا ذلك بما أحدثوه من  
البدع والشرك وغيره. ولهذا كرهت الأئمة<sup>(١٠)</sup> استلام القبر وتقبيله، وبنوه بناء منعوا

(١) من هنا حتى قوله : بما كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم (سطر ونصف تقريباً) : سقط من (أ) .

(٢) في (ط) : فيسلمون .

(٣) في (ب) : ما كان .

(٤) هو : سعيد بن منصور . مرت ترجمته . انظر : فهرس الأعلام .

(٥) هو : عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي ، مولاهم ، المدني ، ضعيف ، فقد ضعفه أحمد وعلي بن المدني والنسائي

وأبو حاتم وأبو زرعة وغيرهم . توفي سنة ( ١٨٢ هـ ) . انظر : تهذيب التهذيب ( ٦ / ١٧٧ - ١٧٩ ) ، ( ت ٣٥٨

.)

(٦) هو : زيد بن أسلم . مرت ترجمته . انظر : فهرس الأعلام .

(٧) انظر : كتاب (الشفاء) للقاضي عياض ( ٢ / ٨٥ )؛ و (الاستذكار) لابن عبد البر ( ١ / ٢٣٣ ) .

(٨) انظر : (ص ١٨٠) من هذا الجزء .

(٩) كتاب (الشفاء) للقاضي عياض ( ٢ / ٨٨ ) .

(١٠) في (أ ب ط) : الأمة .

الناس أن يصلوا إليه. فكانت حجرة عائشة التي دفنوه فيها منفصلة عن مسجده<sup>(١)</sup> وكان ما بين منبره وبيته هو الروضة، ومضى الأمر على ذلك في عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم، وزيد في المسجد زيادات وغيره، والحجرة على حالها<sup>(٢)</sup> هي وغيرها من الحجر المطيفة بالمسجد من شرقيه وقبليه، حتى بناه الوليد بن عبد الملك<sup>(٣)</sup> وكان عمر بن عبد العزيز عامله على المدينة، فابتاع هذه الحجر وغيرها وهدمهن وأدخلهن في المسجد، فمن أهل العلم من كره ذلك، كسعيد بن المسيب، ومنهم من لم يكرهه.

قال أبو بكر الأثرم: قلت لأبي عبد الله - يعني أحمد بن حنبل - : قبر النبي ﷺ بمسح ويتمسح به؟ فقال: ما أعرف هذا. قلت له: فالمنبر؟ فقال: أما المنبر فنعم قد جاء فيه. قال أبو عبد الله: شيء يروونه<sup>(٤)</sup> عن ابن أبي فديك<sup>(٥)</sup> عن ابن أبي ذئب عن ابن عمر: أنه مسح على المنبر. قال: ويروونه<sup>(٦)</sup> عن سعيد بن المسيب في الرمانة<sup>(٧)</sup>.

قلت: ويروون عن يحيى بن سعيد، أنه حين أراد الخروج إلى العراق، جاء إلى المنبر

---

(١) كذا جاء في (أ ط) . وفي (ب ج د) وفي المطبوعة : ملاصقة لمسجده . وفي الهامش في (ب ج د) : وضع رمز (خ) وقال : منفصلة عن مسجده . فلعله استدراك . فالذي يظهر لي أن عبارة (منفصلة عن مسجده) أصح؛ لأن هذا الوصف هو الذي يمنع الناس من الوصول إلى القبر من المسجد .

(٢) في (ج د) وفي المطبوعة : وغيروا الحجرة عن حالها . وما أثبتته من (أ ب ط) أصح؛ لأنه يدل عليه السياق بعده .

(٣) هو : الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم القرشي الأموي ، أحد خلفاء بني أمية ، ولد سنة (٥٠ هـ) ، وتولى الخلافة بعد أبيه سنة (٨٦ هـ) ، كثرت في عهده الفتوحات ، وكان يكرم طلاب العلم ويعطي العاجزين والمقعدين ونحوهم . واشتهر باللحن ، وتوفي سنة (٩٦ هـ) . انظر : البداية والنهاية لابن كثير (٩ / ١٦١ - ١٦٦) .

(٤) في (ب) : يرويه .

(٥) هو : محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبي فديك الديلمي - مولاهم - المدني ، أبو إسماعيل ، من صغار الطبقة الثامنة ، قال ابن حجر في التقريب : " صدوق " ، مات سنة (١٨٠ هـ) أخرج له الستة : انظر : التقريب التهذيب (٢ / ١٤٥) ، (ت ٥٢) .

(٦) في (ب) : يرويه .

(٧) هي : موضع قعود رسول الله صلى الله عليه وعلى وآله وسلم في المسجد كما سيوضح ذلك المؤلف بعد قليل . انظر : (الشفاء) للقاضي عياض (٢ / ٨٥) .

فمسحه ودعا، فرأيته استحسنته ثم قال: لعله عند الضرورة والشيء. قيل لأبي عبد الله: إنهم يلصقون بطونهم بجدار القبر. وقلت له: رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسونه ويقومون ناحية فيسلمون. فقال أبو عبد الله: نعم، وهكذا كان ابن عمر يفعل. ثم قال أبو عبد الله: بأبي وأمي ﷺ.

فقد رخص أحمد وغيره في التمسح بالمنبر والرمانة، التي هي <sup>(١)</sup> موضع مقعد النبي ﷺ ويده، ولم يرخصوا في التمسح بقبره. وقد حكى بعض أصحابنا رواية في مسح قبره، لأن أحمد شيع بعض الموتى، فوضع يده على قبره يدعو له. والفرق بين الموضعين <sup>(٢)</sup> ظاهر. وكره مالك التمسح بالمنبر. كما كرهوا التمسح بالقبر. فأما اليوم فقد احترق المنبر، وما بقيت الرمانة، وإنما بقي من المنبر خشبة صغيرة، فقد زال ما رخص فيه، لأن الأثر <sup>(٣)</sup> المنقول عن ابن عمر وغيره، إنما هو التمسح بمقعده.

وروى الأثرم بإسناده، عن القعني <sup>(٤)</sup> عن مالك، عن عبد الله بن دينار <sup>(٥)</sup> قال: رأيت ابن عمر يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي على النبي ﷺ وعلى أبي بكر وعمر. <sup>(٦)</sup>.

: في كراهة قصدها للدعاء: أن السلف رضي الله عنهم كرهوا ذلك،

متأولين في ذلك قوله ﷺ ﴿ لا تتخذوا قبوري عيداً ﴾ <sup>(٧)</sup> كما ذكرنا ذلك عن علي بن الحسين والحسن بن الحسن، ابن عمه، وهما أفضل أهل البيت من التابعين، وأعلم بهذا

(١) في (أ ب) : التي هو . وفي (ط) : الذي هو .

(٢) في (أ) : الوصفين . وفي (ط) : الموضعين .

(٣) في (ط) : الأمر .

(٤) هو : عبد الله بن مسلمة بن قعنب ، القعني الحارثي ، أبو عبد الرحمن ، من الثقات العباد ، توفي سنة ( ٢٢١ هـ ) ، أخرج له البخاري ومسلم وغيرهما . انظر : تقريب التهذيب ( ١ / ٤٥١ ) ، ( ت ٦٣٨ ) .

(٥) هو : عبد الله بن دينار العدوي - مولاهم - أبو عبد الرحمن ، المدني ، مولى ابن عمر ، ثقة من الطبقة الرابعة . وفي سنة ( ١٢٧ هـ ) ، أخرج له الستة . انظر : تقريب التهذيب ( ١ / ٤١٣ ) ، ( ت ٢٨٤ ) .

(٦) أخرج مالك في الموطأ ، كتاب قصر الصلاة في السفر ، باب ما جاء في الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، الحديث رقم ( ٦٨ ) ، ( ١ / ١٦٦ ) .

(٧) أبو داود المناسك ( ٢٠٤٢ ) ، أحمد ( ٣٦٧/٢ ) .

الشأن من غيرهما، لمجاورتهم الحجر النبوية نسباً ومكاناً.

وذكرنا عن أحمد وغيره، أنه أمر من سلم على النبي ﷺ وصاحبيه، ثم أراد أن يدعو: أن ينصرف <sup>(١)</sup> فيستقبل القبلة.

وكذلك أنكروا ذلك غير واحد من العلماء المتقدمين، كمالك وغيره. ومن المتأخرين: مثل أبي الوفاء <sup>(٢)</sup> ابن عقيل، وأبي الفرج بن الجوزي. وما أحفظ - لا عن صاحب ولا تابع، ولا عن إمام معروف - أنه استحب قصد شيء من القبور للدعاء عنده، ولا روى أحد في ذلك شيئاً، لا عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة ولا عن أحد من الأئمة المعروفين.

وقد صنف الناس في الدعاء وأوقاته وأمكنته، وذكروا فيه الآثار، فما ذكر أحد منهم في فضل الدعاء عند شيء من القبور حرفاً واحداً - فيما أعلم -، فكيف يجوز - والحال <sup>(٣)</sup> هذه - أن يكون الدعاء <sup>(٤)</sup> عندها أجوب وأفضل، والسلف تنكره ولا تعرفه، وتنهى عنه <sup>(٥)</sup> ولا تأمر به.

نعم صار من نحو المائة الثالثة يوجد متفرقاً في كلام بعض الناس: فلان ترجى الإجابة عند قبره <sup>(٦)</sup>. وفلان يدعى عند قبره، ونحو ذلك.

والإنكار <sup>(٧)</sup> على من يقول ويأمر به، كائناً من كان، فإن أحسن أحواله أن يكون مجتهداً في هذه <sup>(٨)</sup> المسألة أو مقلداً، فيعفو الله عنه.

(١) في (أ) : أن ينصرف .

(٢) أبي الوفاء : ساقطة من (ب) .

(٣) في (ب ج د) : والحالة .

(٤) الدعاء : سقطت من (ط) .

(٥) عنه : سقطت من (أ) .

(٦) في (أ ط) : عنده .

(٧) في المطبوعة : كما وجد الإنكار .

(٨) في (أ) : في المسألة .

أما أن هذا الذي قاله يقتضي استحباب ذلك فلا. بل قد يقال: هذا من جنس قول بعض الناس: المكان الفلاني يقبل النذر، والموضع الفلاني ينذر له. ويعينون<sup>(١)</sup> عينا أو بئرا أو شجرة، أو مغارة، أو حجرا، أو غير ذلك من الأوثان، فكما لا يكون مثل هذا القول عمدة في الدين، فكذلك القول الأول.

ولم يبلغني - إلى الساعة - عن أحد من السلف رخصة في ذلك، إلا ما روى ابن أبي الدنيا<sup>(٢)</sup> في كتاب القبور بإسناده عن محمد بن إسماعيل بن أبي فديك قال: أخبرني سليمان بن يزيد الكعبي<sup>(٣)</sup> عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: ﴿من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة﴾<sup>(٤)</sup>.

قال ابن أبي فديك: وأخبرني عمر بن حفص<sup>(٥)</sup> أن ابن أبي مليكة<sup>(٦)</sup> كان يقول: من

---

(١) في (أ ط) : ويعنون .

(٢) هو : عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشي الأموي - مولاهم - أبو بكر بن أبي الدنيا ، البغدادي ، الحافظ ، صاحب التصانيف المشهورة ، ومؤدب أولاد الخلفاء ، صدوق . مات سنة (٢٨١هـ) ، وكان ولادته سنة (٢٠٨هـ) . انظر تهذيب التهذيب (٦ / ١٢ ، ١٣) ، (ت ١٨) .

(٣) هو : سليمان بن يزيد الخزاعي ، أبو المثني الكعبي ، ووجدت ابن حجر في التقريب والتهذيب مرة يسميه : الكلبي ، وأخرى : الكعبي ، قال أبو حاتم : منكر الحديث ليس بالقوى ، وضعفه الدارقطني . وقال ابن حجر في التقريب : ضعيف من الطبقة السادسة ، أخرج له الترمذي وابن ماجه . انظر : تهذيب التهذيب (١٢ / ٢٢١) ، (ت ١٠١٤) ؛ وتقريب التهذيب (١ / ٣٣١) ، (ت ٥٠٤) ، (٢ / ٤٦٩) ، (ت ١٧) .

(٤) ذكره السيوطي في الجامع الصغير (٢ / ٦٠٥) ، الحديث رقم (٨٧١٦) ، وقال : حديث حسن . لكن تعقبه المناوي في فيض القدير فقال : " رمز المؤلف - يعني السيوطي - لحسنه ، وليس بحسن؛ ففيه ضعفاء ، منهم : أبو المثني سليمان بن يزيد الكعبي ، قال الذهبي : ترك ، وقال أبو حاتم : منكر الحديث " . فيض القدير (٦ / ١٤١) .

(٥) هو : عمر بن حفص المدني ، ذكره ابن حبان في الثقات ، أخرجه له أبو داود ، مقبول . انظر : تهذيب التهذيب (٧ / ٤٣٥) ، (ت ٢١٤) .

(٦) هو عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أبي مليكة ، المدني ، من الفقهاء والثقات ، أخرج له الستة ، وتوفي سنة (١١٧هـ) . انظر : تهذيب التهذيب (١ / ٤٣١) ، (ت ٤٥٢) .

أحب أن يقوم وجاءه النبي ﷺ فليجعل القنديل الذي في القبلة عند رأس القبر على رأسه (١) . قال ابن أبي فديك: وسمعت بعض من أدركت يقول: بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي ﷺ فتلا هذه الآية: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ (٢) فقال: " صلى الله عليك يا محمد " حتى (٣) يقولها سبعين مرة - ناداه ملك: صلى الله عليك يا فلان، ولم تسقط له حاجة (٤) .

فهذا الأثر من ابن أبي فديك قد يقال: فيه استحباب قصد (٥) الدعاء عند القبر. ولا حجة فيه لوجوه:

: أن ابن أبي فديك روى هذا عن مجهول، وذكر ذلك المجهول أنه بلاغ عمن لا يعرف، ومثل هذا لا يثبت به شيء أصلا، وابن أبي فديك متأخر في حدود المائة الثانية، ليس هو من التابعين، ولا من تابعيهم المشاهير حتى يقال قد كان هذا معروفا في القرون الثلاثة، وحسبك أن أهل العلم بالمدينة المعتمدين، لم ينقلوا شيئا من ذلك. ومما يضعفه: أنه قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ﴾ (٦) فكيف يكون من صلى عليه سبعين مرة جزاؤه (٨) أن يصلي عليه ملك من الملائكة؟ وأحاديثه المتقدمة تبين أن الصلاة والسلام عليه تبلغه عن البعيد والقريب.

: أن هذا إنما يقتضي استحباب الدعاء للزائر في ضمن الزيارة، كما ذكر

(١) ذكره القاضي عياض في كتابه (الشفاء) (٢ / ٨٤ ، ٨٥) .

(٢) سورة الأحزاب: من الآية ٥٦ .

(٣) حتى: ساقطة من (ب ط) .

(٤) ذكره القاضي عياض في كتاب (الشفاء) (٢ / ٨٤) .

(٥) قصد: سقطت من (ط) .

(٦) في (أ ط) وفي المطبوعة: أنه من صلى عليه مرة .

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة باب الصلاة على النبي وعلى آله وسلم بعد التشهد، الحديث رقم (٤٠٨) ، (١ / ٣٠٦) ، ولفظه: " من صلى علي واحدة . . " الحديث .

(٨) في (ب ج د) : فجزاؤه .

العلماء ذلك في مناسك الحج. وليس هذا مسألتنا، فإننا قد قدمنا أن من زار زيارة مشروعة، ودعا في ضمنها لم يكره هذا، كما ذكره بعض العلماء، مع ما في ذلك من التزاع، مع أن المنقول عن السلف كراهة الوقوف عنده للدعاء، وهو أصح.

وإنما المكروه الذي ذكرناه<sup>(١)</sup> قصد الدعاء عنده ابتداء، كما أن من دخل المسجد، فصلى تحية المسجد، ودعا في ضمنها، لم يكره ذلك، أو توضأ في مكان وصلّى هنالك ودعا في ضمن صلاته لم يكره ذلك، ولو تحرى الدعاء في تلك البقعة، أو في مسجد لا خصيصة له في الشرع دون غيره من المساجد، فنهي عن<sup>(٢)</sup> هذا التخصيص.

: أن الاستجابة هنا لعلها لكثرة صلاته<sup>(٣)</sup> على النبي ﷺ فإن الصلاة عليه قبل

الدعاء، وفي وسطه وآخره، من أقوى الأسباب التي يرجى بها إجابة سائر الدعاء، كما جاءت به الآثار، مثل قول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه الذي يروى موقوفا ومرفوعا:

﴿ الدعاء موقوف بين السماء والأرض حتى تصلي على نبيك ﴾<sup>(٤)</sup> رواه الترمذي<sup>(٥)</sup> .

وذكر محمد بن الحسن بن زباله<sup>(٦)</sup> في كتاب (أخبار<sup>(٧)</sup> المدينة)، فيما رواه عنه الزبير بن بكار<sup>(٨)</sup> روى<sup>(٩)</sup> عنه عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي<sup>(١٠)</sup> قال: رأيت رجلا من

(١) الذي ذكرناه : ساقطة من ( ط ) .

(٢) عن : ساقطة من ( أ ) .

(٣) في ( أ ) : الصلاة .

(٤) الترمذي الصلاة (٤٨٦) .

(٥) انظر : سنن الترمذي ، كتاب الوتر ، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، الحديث رقم (٤٨٦) ، ( ٢ / ٣٥٦ ) ، وكتاب الأذكار للنووي (ص ٩٩) .

(٦) في ( ط ) : ابن ذباله . والصحيح ما أثبتته . وهو محمد بن الحسن بن محمد بن زباله المخزومي ، أبو الحسن ، المدني ، متهم بالكذب ، لم يخرج له من الستة غير أبي داود ، ولم يكن يريد الإخراج له ، كما ذكر ابن حجر في التهذيب؛ لأنه - يعني أبا داود - كان يكذبه . توفي حدود المائتين . انظر : تهذيب التهذيب (٩ / ١١٥ - ١١٧) ، (ت ١٦٠)؛ وتقريب التهذيب (١ / ١٥٤) ، (ت ١٣٨) .

(٧) في (ج د) : الأخبار المدينة . ولم أجد هذا الكتاب .

(٨) هو : الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت ، من آل الزبير بن العوام ، قاضي المدينة ، ثقة ، من الطبقة العاشرة ، توفي سنة (٢٥٦ هـ) . انظر : تقريب التهذيب (١٠ / ٢٥٧) ، (ت ١٦) .



أهل المدينة يقال له: محمد بن كيسان، يأتي إذا صلى العصر من يوم الجمعة، ونحن جلوس مع ربيعة بن أبي عبد الرحمن، فيقوم عند القبر، فيسلم على النبي ﷺ ويدعو حتى يمسي<sup>(٣)</sup>. فيقول جلساء ربيعة: انظروا<sup>(٤)</sup> إلى ما يصنع<sup>(٥)</sup> هذا؟ فيقول: "دعوه، فإنما للمرء ما نوى"، ومحمد بن الحسن هذا صاحب أخبار، وهو مضعف عند أهل الحديث، كالواقدي ونحوه. لكن يستأنس بما يرويه ويعتبر به.

وهذه الحكاية قد يتمسك بها على الطرفين، فإنها تتضمن أن الذي فعله هذا الرجل أمر مبتدع عندهم، لم يكن من فعل الصحابة وغيرهم من علماء أهل المدينة، وإلا لو كان هذا أمرا<sup>(٦)</sup> معروفا من عمل أهل المدينة لما استغربه جلساء ربيعة وأنكروه. بل ذكر محمد بن الحسن لها في كتابه مع رواية الزبير بن بكار ذلك عنه، يدل على أنهم على عهد مالك وذويه، ما كانوا يعرفون هذا العمل، وإلا لو كان هذا شائعا بينهم لما ذكر في كتاب مصنف، ما يتضمن استغراب ذلك. ثم إن جلساء ربيعة - وهم قوم فقهاء علماء - أنكروا ذلك، وربيعه أقره.

فغايته: أن يكون في ذلك خلاف ولكن تعليل ربيعة له بأن لكل امرئ ما نوى، لا يقتضي إلا الإقرار على ما يكره، فإنه لو أراد الصلاة هناك لنهاه، وكذلك لو أراد الصلاة في وقت نهي. وإنما الذي أراده<sup>(٧)</sup> - والله أعلم - أن من كان له نية صالحة أثيب على نيته، وإن كان الفعل الذي فعله ليس بمشروع، إذا لم يتعمد مخالفة الشرع - يعني فهذا الدعاء، وإن لم يكن مشروعاً، لكن لصاحبه نية صالحة يثاب على نيته.

(١) روى : سقطت من (أ) .

(٢) في (ج د) : الدارودي . والصحيح ما أثبتته . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ٥٣٨) .

(٣) في (ط) : حتى يمسي .

(٤) في (ط) : انظر .

(٥) في (أ) : صنع .

(٦) أمرا : ساقطة من (أ) .

(٧) في المطبوعة : أراده ربيعة .

فيستفاد من ذلك: أنهم مجتمعون على أنه <sup>(١)</sup> غير مستحب، ولا خصيصة في تلك <sup>(٢)</sup> البقعة، وإنما الخير يحصل من جهة نية الداعي، ثم إن ربيعة لم ينكر عليه متابعة جلسائه: إما لأنه لم يبلغه أن النبي ﷺ نهي عن اتخاذ قبره عيداً، وعن الصلاة عنده. فإن ربيعة - كما قال أحمد - كان قليل العلم بالآثار. أو بلغه <sup>(٣)</sup> ذلك لكن <sup>(٤)</sup> لم ير مثل هذا داخلاً في معنى النهي، أو لأنه لم ير هذا محرماً، وإنما غايته أن يكون مكروهاً، وإنكار المكروه ليس بفرض. أو أنه رأى أن ذلك الرجل إنما قصد السلام، والدعاء جاء ضمناً وتبعاً. وفي هذا نظر.

ولا ريب أن العلماء قد يختلفون في مثل هذا كما اختلفوا <sup>(٥)</sup> في صحة الصلاة عند القبر، ومن لم يبطلها قد لا ينهي من فعل ذلك.

والعمدة على الكتاب والسنة، وما كان عليه السابقون، مع أن محمد بن الحسن هذا قد روى أخباراً عن السلف تؤيد ما ذكرناه. فقال: حدثني عمر بن هارون، عن سلمة بن وردان <sup>(٦)</sup> قال: رأيت أنس بن مالك يسلم على النبي ﷺ ثم يسند ظهره إلى جدار القبر، ثم يدعو " <sup>(٧)</sup> فهذا إن كان ثابتاً عن أنس فهو مؤيد لما ذكرناه، فإن أنسا لم يكن ساكناً بالمدينة، وإنما كان يقدم من البصرة، إما مع الحجيج أو نحوهم، فيسلم <sup>(٨)</sup> على النبي ﷺ ثم إذا أراد الدعاء الذي <sup>(٩)</sup> في حق مثله إنما يكون ضمناً وتبعاً، استدبر القبر.

(١) في المطبوعة: على أن الدعاء عند القبر غير مستحب .

(٢) في (أ ط) : ذلك البقعة .

(٣) في (ب) : أو أنه بلغه .

(٤) في (ج د) : أو بلغه ذلك ولم ير .

(٥) قوله : في مثل هذا كما اختلفوا : سقط من (أ) .

(٦) هو : سلمة بن وردان الليثي ، أبو يعلى ، المدني؛ ضعيف ، من الطبقة الخامسة ، مات سنة بضعة وخمسين ومائة

. انظر : تقريب التهذيب ( ١ / ٣١٩ ) ، ( ت ٣٨٧ ) .

(٧) لم أحده .

(٨) في (د) : فسلم .

(٩) في المطبوعة : فالذي ينبغي في حق مثله .

وذكر محمد بن الحسن، عن عبد العزيز محمد<sup>(١)</sup> ومحمد بن إسماعيل<sup>(٢)</sup> وغيرهما، عن محمد بن هلال<sup>(٣)</sup> وعن غير واحد من أهل العلم: أن بيت رسول الله ﷺ - الذي فيه قبره - هو بيت عائشة الذي كانت تسكن، وأنه مربع مبني بحجارة سود وقصة<sup>(٤)</sup> والذي يلي القبلة منه أطوله، والشرقي والغربي سواء، والشامي أنقصها، وباب البيت مما يلي الشام، وهو<sup>(٥)</sup> مسدود بحجارة سود وقصة.

ثم بنى عمر بن عبد العزيز على ذلك البيت هذا البناء الظاهر، وعمر بن عبد العزيز زواؤه<sup>(٦)</sup> لئلا يتخذه الناس قبلة تخص فيها الصلاة من بين مسجد النبي ﷺ وذلك أن رسول الله ﷺ قال - كما حدثني عبد العزيز بن محمد<sup>(٧)</sup> عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر<sup>(٨)</sup> عن أبي سلمة بن عبد الرحمن: ﴿قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد﴾<sup>(٩)</sup> (١٠).

(١) يعني: الدراوردي . مرت ترجمته . انظر : فهرس الأعلام .

(٢) هو : ابن أبي فديك . مرت ترجمته . انظر : فهرس الأعلام .

(٣) هو : محمد بن هلال بن أبي هلال المدني ، مولى بني كعب ، وثقه أحمد ، وقال النسائي : ليس به بأس ، وقال أبو حاتم : صالح ، وذكره ابن حبان في الثقات . توفي سنة ( ١٦٢ هـ ) . انظر : تهذيب ( ٩ / ٤٩٨ ) ، ( ت ٨١٧ ) .

(٤) القصة - بالفتح - : الجص ، لغة حجازية . انظر : مختار الصحاح ، مادة ( ق ص ص ) ، ( ص ٥٣٨ ) ، وذكر ذلك في هامش المخطوطة ( ط ) ، فقال في الهامش : القصة - بالفتح - : الجص : لغة حجازية . انظر : مختار ، الورقة ( ١٦٧ ) من المخطوطة ( ط ) .

(٥) في ( أ ) : وهو باب مسدود .

(٦) زواؤه : أي جعل له زوايا .

(٧) أي الدراوردي .

(٨) هو شريك بن عبد الله بن أبي نمر ، أبو عبد الله ، المدني ، وثقة ابن سعد وأبو داود ، وقال النسائي : ليس به بأس . أخرج له البخاري ومسلم وغيرهما . توفي سنة ( ١٤٤ هـ ) . انظر : تهذيب ( ٤ / ٣٣٧ ) ، ( ٣٣٨ ) ، ( ت ٥٧٨ ) .

(٩) البخاري الصلاة ( ٤٢٦ ) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة ( ٥٣٠ ) ، النسائي الجنائز ( ٢٠٤٧ ) ، أبو داود الجنائز ( ٣٢٢٧ ) ، أحمد ( ٢٤٦/٢ ) .

(١٠) الحديث مر تخرجه . انظر : فهرس الأحاديث .

وحدثني <sup>(١)</sup> مالك بن أنس، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، أن رسول الله ﷺ قال: ﴿اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد﴾ <sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup>. فهذه الآثار، إذا ضمت إلى ما قدمنا من الآثار، علم كيف كان حال السلف في هذا الباب. وأن ما عليه كثير من الخلف في ذلك <sup>(٤)</sup> من المنكرات عندهم.

: ما يروى من أن قوما سمعوا رد السلام من قبر النبي ﷺ أو قبور غيره من الصالحين. وأن سعيد بن المسيب كان يسمع الأذان من القبر ليالي الحرة <sup>(٥)</sup>. ونحو ذلك. فهذا كله حق ليس مما نحن فيه، والأمر أجل من ذلك وأعظم.

وكذلك أيضا ما يروى: " أن رجلا جاء إلى قبر النبي ﷺ فشكا إليه الجذب عام الرمادة <sup>(٦)</sup> فرآه وهو يأمره أن يأتي عمر، فيأمره أن يخرج يستسقي بالناس " <sup>(٧)</sup> فإن هذا ليس من هذا الباب. ومثل هذا يقع كثيرا لمن هو دون النبي ﷺ وأعرف من هذا وقائع.

وكذلك سؤال بعضهم للنبي ﷺ أو لغيره من أمته حاجة فتقضى له، فإن هذا قد وقع كثيرا، وليس هو مما نحن فيه.

: أن إجابة النبي ﷺ أو غيره لهؤلاء السائلين، ليس مما يدل على استحباب السؤال، فإنه هو " القائل ﷺ ﴿إن أحدهم ليسألني المسألة فأعطيه إياها،

(١) القائل : وحدثني . والقائل : كما حدثني (قبل سطرين ) هو محمد بن الحسن بن زباله .  
(٢) البخاري الصلاة (٤٢٦) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٠) ، النسائي الجنائز (٢٠٤٧) ، أبو داود الجنائز (٣٢٢٧) ، أحمد (٢٤٦/٢) .  
(٣) الحديث مر تخريجه ، انظر : فهرس الأحاديث .  
(٤) في ( ب ) : قال : كثرة ما حدث من المنكرات .  
(٥) أي : ليالي وقعة الحرة التي حدثت سنة (٦٣هـ ) بين أهل المدينة وجيش يزيد بن معاوية بقيادة مسلم بن عقبة ، فهزم أهل المدينة واستباحها . انظر : البداية والنهاية ( ٨ / ٢١٧ - ٢٢٤ ) .  
(٦) في ( ب ) : الرباذة . والصحيح : الرمادة ، وسمي عام الرمادة؛ لأن الأرض اسودت من الجذب حتى صار لوثها كالرماد . وهو عام (١٨ هـ ) في عهد عمر بن الخطاب . انظر : البداية والنهاية ( ٨ / ٩٠ ) .  
(٧) أورد القصة ابن كثير في البداية والنهاية ( ٧ / ٩١ ، ٩٢ ) ، عن الحافظ أبي بكر البيهقي بإسناده إلى أبي صالح عن مالك . وقال ابن كثير : " وهذا إسناد صحيح " ( ٧ / ٩٢ ) .

فيخرج بها يتأبطها ناراً"، فقالوا: يا رسول الله، فلم تعطهم؟ قال: "يأبون إلا أن يسألوني، ويأبى الله لي البخل" ﴿١﴾ (٢).

وأكثر هؤلاء السائلين الملحين لما هم فيه من الحال، لو لم يجابوا لاضطرب إيمانهم، كما أن السائلين به في الحياة كانوا كذلك، وفيهم من أجيب وأمر بالخروج من المدينة. فهذا القدر (٣) إذا وقع يكون كرامة لصاحب القبر، أما أن يدل على حسن حال السائل، فلا فرق (٤) بين هذا وهذا. فإن الخلق لم ينهوا عن الصلاة عند القبور (٥) واتخاذها مساجد استهانة بأهلها، بل لما يخاف عليهم من الفتنة، وإنما تكون الفتنة إذا انعقد سببها، فلولا أنه قد يحصل عند القبور ما يخاف الافتتان به لما نهي الناس عن ذلك.

وكذلك ما يذكر من الكرامات، وخوارق العادات، التي توجد عند قبور الأنبياء والصالحين مثل نزول الأنوار والملائكة عندها وتوقي الشياطين والبهائم لها، واندفاع النار عنها وعمن جاورها، وشفاعة بعضهم في جيرانه من الموتى، واستحباب الاندفاع عند بعضهم، وحصول الأنس والسكينة عندها، ونزول العذاب بمن استهانها - فجنس هذا حق، ليس مما نحن فيه.

وما في قبور الأنبياء والصالحين، من كرامة الله ورحمته، وما لها عند الله من الحرمة والكرامة فوق ما يتوهمه أكثر الخلق، لكن ليس هذا موضع تفصيل ذلك. وكل هذا لا يقتضي استحباب الصلاة، أو قصد الدعاء أو النسك عندها، لما في قصد العبادات عندها من المفاصد التي علمها الشارع (٦) كما تقدم. فذكرت هذه الأمور لأنها مما يتوهم معارضته لما قدمناه، وليس كذلك.

(١) أحمد (١٦/٣).

(٢) الحديث مر تخريجه انظر: فهرس الأحاديث.

(٣) من هنا سقط من (أ) ورقة (صفحتان تقريبا)، إلى قوله: وبعضها يجتمع عندها يوم عاشوراء.

(٤) في (ب): يفرق.

(٥) في (ب): القبر.

(٦) في (ج د): التي أعلم بها الشارع. وفي المطبوعة: التي حذر منها الشارع.

---

(١) : أن اعتقاد استحباب الدعاء عندها وفضلها، قد أوجب أن تنتاب لذلك وتقصد، وربما اجتمع عندها (٢) اجتماعات كثيرة، في مواسم معينة، وهذا بعينه هو الذي نهى عنه النبي ﷺ بقوله: ﴿ لا تتخذوا قبوري عيدا ﴾ (٣) وبقوله: ﴿ لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ﴾ (٤) وبقوله ﷺ ﴿ لا تتخذوا القبور مساجد، فإن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد فإني أحاكم عن ذلك ﴾ (٥) (٦) .

---

(١) أي : من وجوه نفي استحباب قصد الدعاء عند القبر ، المذكور أولها ص ( ٢٤٨ ) .  
(٢) في المطبوعة : وربما اجتمع القبوريون عندها . أي زيادة كلمة (القبوريون) . وهي عبارة لم يكن المؤلف يطلقها كما أسلفت ، وكان الأولى أن توضع بالهامش إذا قصد بها إيضاح المعنى .  
(٣) أبو داود المناسك (٢٠٤٢) ، أحمد (٣٦٧/٢) .  
(٤) البخاري الجناز (١٣٢٤) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣١) ، النسائي المساجد (٧٠٣) ، أحمد (١٢١/٦) ، الدارمي الصلاة (١٤٠٣) .  
(٥) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٢) .  
(٦) فإني أحاكم عن ذلك : ساقطة من (أ ط) والمطبوعة . وفي (ب) : زاد في الهامش : " ألا فلا تتخذوا القبور مساجد " ، وإشارة التهميش قبل قوله : " فإني أحاكم " ، والحديث مر (ص ١٨٤) من هذا الجزء .

حتى إن بعض القبور يجتمع عندها<sup>(١)</sup> في يوم من السنة ويسافر إليها<sup>(٢)</sup> إما في الحرم، أو رجب، أو شعبان، أو ذي الحجة، أو غيرها. وبعضها يجتمع عنده في يوم عاشوراء!، وبعضها في يوم عرفة، وبعضها في<sup>(٣)</sup> النصف من شعبان، وبعضها في وقت آخر، بحيث يكون لها يوم من السنة تقصد فيه، ويجتمع عندها فيه كما تقصد عرفة ومزدلفة ومنى، في أيام معلومة<sup>(٤)</sup> من السنة، أو كما يقصد مصلى المصر يوم العيدين، بل ربما كان الاهتمام بهذه الاجتماعات في الدين والدنيا أهم<sup>(٥)</sup> وأشد.

ومنها: ما يسافر إليه من الأمصار، في وقت معين أو في وقت غير معين<sup>(٦)</sup> لقصد الدعاء عنده، والعبادة هناك، كما يقصد بيت الله لذلك، وهذا السفر لا أعلم بين المسلمين خلافا في النهي<sup>(٧)</sup> عنه، إلا أن يكون خلافا حادثا.

وإنما ذكرت الوجهين المتقدمين في السفر المجرد لزيارة القبور. فأما إذا كان السفر للعبادة عندها بالدعاء أو الصلاة<sup>(٨)</sup> أو نحو ذلك: فهذا لا ريب فيه.

حتى إن بعضهم يسميه الحج ويقول: نريد الحج إلى قبر فلان وفلان<sup>(٩)</sup>.  
ومنها ما يقصد الاجتماع عنده في يوم معين من الأسبوع.

: هذا الذي يفعل عند هذه القبور هو بعينه الذي نهي عنه رسول الله ﷺ

(١) في المطبوعة : يجتمع عندها القبوريون .

(٢) في المطبوعة : ويسافرون إليها لإقامة العيد .

(٣) في ( ب ج د ) : وبعضها في يوم النصف من شعبان .

(٤) في ( ط ) : معلومات .

(٥) أهم : ساقطة من ( أ ط ) .

(٦) في ( أ ب ط ) : أو في غير وقت معين .

(٧) في المطبوعة : في تحريمه والنهي عنه .

(٨) في المطبوعة زاد : أو إقامة العيد .

(٩) وفلان : ساقطة من ( ج د ) .

بقوله: ﴿ لا تتخذوا قبوري عيداً ﴾<sup>(١)</sup> فإن اعتياد قصد المكان المعين، وفي وقت معين، عائد بعود السنة أو الشهر أو الأسبوع، هو بعينه معنى العيد. ثم ينهى عن دق ذلك وجله، وهذا هو الذي تقدم عن الإمام أحمد إنكاره، لما قال: " قد أفرط الناس في هذا جدا وأكثروا " وذكر ما يفعل عند قبر الحسين.

وقد ذكرت<sup>(٢)</sup> فيما تقدم: أنه يكره اعتياد عبادة في وقت إذا لم تجئ بها السنة. فكيف اعتياد مكان معين في وقت معين؟.

ويدخل في هذا: ما يفعل بمصر، عند قبر نفيسة<sup>(٣)</sup> وغيرها. وما يفعل بالعراق عند القبر الذي يقال إنه قبر علي عليه السلام وقبر الحسين، وحذيفة بن اليمان، وسلمان الفارسي. وقبر موسى بن جعفر<sup>(٤)</sup> ومحمد بن علي الجواد<sup>(٥)</sup> ببغداد.

وعند قبر أحمد بن حنبل، ومعروف الكرخي. وغيرهما وما يفعل عند قبر أبي يزيد البسطامي<sup>(٦)</sup>. وكان يفعل نحو ذلك بجران، عند قبر يسمى قبر الأنصاري<sup>(١)</sup> إلى قبور

(١) أبو داود المناسك (٢٠٤٢)، أحمد (٣٦٧/٢).

(٢) في (أ ط) : فسرت .

(٣) هي : نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم ، ولدت سنة (١٤٥ هـ) ، وكانت من النساء التقيات الصالحات العلمات بالتفسير والحديث ، وتوفيت بمصر سنة (٢٠٨ هـ) ، ونصب لها الشيعة مزارا ومشهدا في مصر لا يزال الآن يطوف المبتدعون والجهلة من حوله ويتمسحون به ، وتقام عنده الكثير من البدع والشركيات . فنسأل الله العافية . انظر " وفيات الأعيان (٥ / ٤٢٣ ، ٤٢٤) ؛ والأعلام للزركلي (٨ / ٤٤) .

(٤) هو : موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي ، المعروف بالكاظم ، عابد صدوق ، مات سنة (١٨٣ هـ) . انظر : تقريب التهذيب (٢ / ٢٨٢) ، (ت ١٤٤٤) .

(٥) هو : محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق الهاشمي ، المعروف بالجواد ، تزعم الروافض أنه أحد الأئمة الاثني عشر ، ولد سنة (١٩٥ هـ) ، وتوفي سنة (٢٢٠ هـ) . انظر : وفيات الأعيان (٤ / ١٧٥) ، (ت ٥٦١) .

(٦) هو : طيفور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن علي البسطامي ، أبو يزيد ، من العباد والزاهدين ومن الغالبيين في التصوف ، حتى أثر عنه أنه تمادى فيما يسمى بالفناء الذي تزعمه الصوفية ، وأثرت عنه كلمات إن صحت فهو ضال مبتدع ، توفي سنة (٢٦١ هـ) . انظر : وفيات الأعيان (٢ / ٣٥١) ، (ت ٣١٢) ؛ ومجموع الفتاوى (٢ / ٣١٣ ، ٤٦١) ، (١٣ / ٢٥٧) .



---

---

كثيرة، في أكثر بلاد الإسلام لا يمكن حصرها. كما أنهم بنوا على كثير منها مساجد وبعضها مغصوب، كما بنوا على قبر أبي حنيفة والشافعي وغيرهم.

وهؤلاء الفضلاء من الأئمة، إنما ينبغي محبتهم واتباعهم، وإحياء ما أحيوه من الدين، والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة والرضوان، ونحو ذلك.

فأما اتخاذ قبورهم أعيادا، فهو مما حرمه الله ورسوله واعتياد قصد هذه القبور في وقت معين، أو الاجتماع العام عندها في وقت معين، هو اتخاذها عيدا، كما تقدم. ولا أعلم بين المسلمين<sup>(٢)</sup> أهل العلم في ذلك خلافا. ولا يغتر بكثرة العادات الفاسدة، فإن هذا من التشبه بأهل الكتابين، الذين أخبرنا النبي ﷺ أنه كائن في هذه الأمة.

: إنما هو اعتقاد فضل الدعاء<sup>(٣)</sup> عندها، وإلا فلو لم<sup>(٤)</sup> يتم هذا الاعتقاد بالقلوب انمحي<sup>(٥)</sup> ذلك كله، فإذا كان قصدها للدعاء<sup>(٦)</sup> يجز هذه المفاصد كان حراما، كالصلاة عندها وأولى، وكان ذلك فتنة للخلق، وفتحا لباب الشرك، وإغلاقا لباب الإيمان.

---

(١) لم أستطع التعرف عليه .

(٢) المسلمين : سقطت من ( د ) .

(٣) الدعاء : ساقطة من ( د ) .

(٤) لم : ساقطة من ( ط ) .

(٥) في ( ب ) : محي .

(٦) في ( ج د ) : زاد : عندها .

قد تقدم أن النبي ﷺ نهي عن اتخاذها <sup>(١)</sup> مساجد وعن الصلاة عندها، وعن اتخاذها عيدا، وأنه دعا الله أن لا يتخذ قبره وثنا يعبد.

وقد تقدم أن اتخاذ المكان عيدا هو: اعتياد إتيانه للعبادة عنده أو غير ذلك، وقد تقدم النهي الخاص عن الصلاة عندها أو إليها، والأمر بالسلم عليها والدعاء لها.

وذكرنا ما في دعاء المرء لنفسه عندها، من الفرق بين قصدها لأجل الدعاء، أو الدعاء ضمنا وتبعاً. وتام الكلام في ذلك، بذكر سائر العبادات، فالقول فيها جميعاً <sup>(٢)</sup> كالقول في الدعاء، فليس في ذكر الله هناك، أو القراءة عند القبر، أو الصيام عنده، أو الذبح عنده، فضل على غيره من البقاع، ولا قصد ذلك عند القبور مستحبا. وما علمت أحدا من علماء المسلمين يقول إن الذكر هناك، أو الصيام أو القراءة، أفضل منه في غير تلك البقعة.

فأما ما يذكره بعض الناس، من أنه ينتفع الميت بسماع القرآن <sup>(٣)</sup> بخلاف ما إذا قرئ في مكان آخر - فهذا <sup>(٤)</sup> إذا عني به أن يصل الثواب إليه، إذا قرئ عند القبر خاصة، فليس عليه أحد من أهل العلم المعروفين، بل الناس على قولين:

: أن ثواب العبادات البدنية: من الصلاة والقراءة وغيرهما، يصل إلى الميت، كما يصل إليه ثواب العبادات المالية <sup>(٥)</sup> بالإجماع <sup>(٦)</sup>. وهذا مذهب أبي حنيفة وأحمد وغيرهما، وقول طائفة من أصحاب الشافعي، ومالك <sup>(٧)</sup>. وهو الصواب لأدلة كثيرة،

(١) أي القبور .

(٢) في ( ب ) : جميعها .

(٣) في ( ج د ط ) : القراءة .

(٤) من هنا حتى قوله : فليس عليه أحد (سطر تقريبا) : سقط في ( ط ) .

(٥) كالصدقة .

(٦) انظر : المغني والشرح الكبير ( ٢ / ٢٤٢ - ٤٣٠ ) في المغني . وانظر : (الأم) للشافعي ( ٤ / ١٢٠ ) .

(٧) نفس المصدر السابق .

ذكرناها في غير هذا الموضع <sup>(١)</sup> .

: أن ثواب البدنية لا يصل إليه بحال، وهو المشهور عند أصحاب الشافعي <sup>(٢)</sup> ومالك. وما من أحد من هؤلاء <sup>(٣)</sup> يخص مكانا بالوصول <sup>(٤)</sup> أو عدمه، فأما استماع الميت للأصوات، من القراءة أو غيرها - فحق. لكن الميت ما بقي يثاب بعد الموت على عمل يعمله <sup>(٥)</sup> هو بعد الموت من استماع أو غيره، وإنما ينعم أو يعذب بما كان عمله <sup>(٦)</sup> هو، أو بما يعمل عليه <sup>(٧)</sup> بعد الموت من أثره، أو بما يعامل به. كما قد اختلف في تعذيبه بالنيحة عليه، وكما ينعم بما يهدى إليه، وكما ينعم بالدعاء له وإهداء العبادات المالية بالإجماع <sup>(٨)</sup> .

وكذلك ذكر طائفة من العلماء، من أصحاب أحمد وغيرهم، ونقلوه عن أحمد، وذكروا فيه آثارا أن الميت يتألم بما يفعل عنده من المعاصي، فقد يقال أيضا: إنه ينعم بما يسمعه من قراءة وذكر. وهذا - لو صح - لم يوجب استحباب القراءة عنده، فإن ذلك لو كان مشروعا لسنة رسول الله ﷺ لأمته، وذلك لأن هذا، وإن كان من نوع مصلحة، ففيه مفسدة راجحة، كما في الصلاة عنده، وتنعم الميت بالدعاء له، والاستغفار والصدقة عنه <sup>(٩)</sup> وغير ذلك من العبادات <sup>(١٠)</sup> يحصل له به <sup>(١١)</sup> من النفع أعظم من ذلك، وهو

(١) انظر : مجموع الفتاوى للمؤلف (٢٤ / ٣٠٩ ، ٣١٣) و (ص ٣٦٦ ، ٣٦٧) ، وسيفصله المؤلف بعد قليل

(٢) انظر : (الأم) للشافعي (٤ / ١٢٠) .

(٣) في (ب ط) : من يخص .

(٤) في (ط) : بالوصول .

(٥) في (ب) : وهو .

(٦) في المطبوعة : قد عمله في حياته هو .

(٧) في المطبوعة : يعمل غيره عليه .

(٨) من هنا حتى : لكن اختلفوا (٨ سطور تقريبا) : ساقطة من (أ ط) .

(٩) عنه : ساقطة من (ب) .

(١٠) في (ب) : لأن ما يحصل به من النفع .

(١١) في (ج د) : به له .

مشروع ولا مفسدة فيه، ولهذا لم يقل أحد من العلماء بأنه يستحب قصد القبر دائما للقراءة عنده، إذ قد علم بالاضطرار من دين الإسلام، أن ذلك ليس مما شرعه النبي ﷺ لأئمة.

لكن اختلفوا في القراءة عند القبور: هل تكرهه، أم لا تكرهه؟

والمسألة مشهورة، وفيها ثلاث روايات عن أحمد:

أن ذلك لا بأس به. وهي اختيار الخلال وصاحبه، وأكثر المتأخرين من أصحابه. وقالوا: هي الرواية المتأخرة عن أحمد، وقول جماعة من أصحاب أبي حنيفة، واعتمدوا على ما نقل عن ابن عمر<sup>(١)</sup> رضي الله عنهما، أنه أوصى أن يقرأ على قبره وقت الدفن بفواتيح<sup>(٢)</sup> البقرة، وخواتيمها.

ونقل أيضا عن بعض المهاجرين قراءة سورة البقرة.

: أن ذلك مكروه. حتى اختلف هؤلاء: هل تقرأ الفاتحة في صلاة الجنائز إذا

صلي عليها في المقبرة؟ وفيه عن أحمد روايتان، وهذه الرواية هي التي رواها أكثر أصحابه عنه، وعليها قدماء أصحابه الذين صحبوه، كعبد الوهاب الوراق<sup>(٣)</sup> وأبي بكر المروزي، ونحوهما، وهي<sup>(٤)</sup> مذهب جمهور السلف، كأبي حنيفة ومالك وهشيم بن بشير وغيرهم، ولا يحفظ عن الشافعي نفسه في هذه المسألة كلام، وذلك لأن ذلك كان عنده

(١) في المطبوعة: ابن عمرو، والصحيح (ابن عمر) كما أجمعت عليه النسخ المخطوطة. وانظر: مجموع الفتاوى للمؤلف (٢٤ / ٣١٧)، وأشار البيهقي بإسناده عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج، عن أبيه أن ابن عمر يستحب ذلك. انظر: السنن الكبرى (٤ / ٥٦، ٥٧)، باب ما ورد في قراءة القرآن عند القبر، وقال النووي في الأذكار: "وروي في سنن البيهقي بإسناد حسن أن ابن عمر استحب أن يقرأ على القبر بعد الدفن أول سورة البقرة وخاتمها". انظر: الفتوحات الربانية (٤ / ١٩٤).

(٢) في (ج د): بفواتيح.

(٣) هو: عبد الوهاب بن الحكم بن نافع الوراق، أبو الحسن، صحب الإمام أحمد وسمع عنه، وكان صالحا ورعا ثقة، توفي سنة (٢٥١هـ)، انظر: طبقات الحنابلة (١ / ٢٠٩ - ٢١٢)، (ت ٢٨١)؛ وتقريب التقريب (١ / ٥٢٨)، (ت ١٤٠٣).

(٤) في (ب ج د): وهو.

بدعة.

وقال مالك: " ما علمت أحداً يفعل ذلك "، فعلم أن الصحابة والتابعين ما كانوا يفعلونه.

: أن القراءة عنده وقت الدفن لا بأس بها، كما نقل عن ابن عمر <sup>(١)</sup> رضي الله عنهما، وبعض المهاجرين، وأما القراءة بعد ذلك - مثل الذين يتناوبون <sup>(٢)</sup> القبر للقراءة عنده - فهذا مكروه، فإنه لم ينقل عن أحد من السلف مثل ذلك أصلاً. وهذه الرواية لعلها أقوى من غيرها، لما فيها من التوفيق بين الدلائل. والذين كرهوا القراءة عند القبر، كرهها بعضهم، وإن لم يقصد القراءة هناك، كما تكره الصلاة، فإن أحمد نهي عن القراءة في صلاة الجنائز هناك. ومعلوم أن القراءة في الصلاة ليس المقصود بها القراءة عند القبر، ومع هذا فالفرق بين ما يفعل ضمناً وتبعاً، وما <sup>(٣)</sup> يفعل لأجل القبر، <sup>بين</sup> كما تقدم.

والوقوف <sup>(٤)</sup> التي وقفها الناس على القراءة عند قبورهم، فيها من الفائدة أنها تعين على حفظ القرآن، وأنها رزق لحفاظ القرآن، وباعثة لهم على حفظه ودرسه وملازمته، وإن قدر أن القارئ لا يثاب على قراءته فهو مما يحفظ به الدين، كما يحفظ بقراءة الفاجر <sup>(٥)</sup> وجهاد الفاجر، وقد قال النبي ﷺ ﴿ **إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر** ﴾ <sup>(٦)</sup> <sup>(١)</sup> .

(١) في المطبوعة: عن ابن عمرو . والصحيح (ابن عمر) كما بينت .

(٢) أي يترددون ، وفي المطبوعة : يتناوبون .

(٣) في (ب ج د) : وبين ما يفعل .

(٤) أي الأوقاف ، جمع وقف ، قال في الروض المربع : " يقال : وقف الشيء وحبسه وأحبسه وسبله ، بمعنى واحد " ، ثم قال : " وهو : تحبيس الأصل وتسهيل المنفعة على بر أو قرابة " . انظر : الروض المربع بحاشية العنقري (٢ / ٤٥٢) .

(٥) في المطبوعة : الكافر .

(٦) البخاري المغازي (٣٩٦٧) ، مسلم الإيمان (١١١) ، أحمد (٣١٠/٢) ، الدارمي السير (٢٥١٧) .

وبسط الكلام في الوقوف وشروطها، قد ذكر في موضع آخر<sup>(٢)</sup> وليس هو المقصود هنا. فأما ذكر الله هناك فلا يكره، لكن قصد البقعة للذكر هناك بدعة مكروهة، فإنه نوع من اتخاذها<sup>(٣)</sup> عيدا، وكذلك قصدها للصيام عندها.

ومن رخص في القراءة فإنه لا يرخص في اتخاذها عيدا، مثل أن يجعل له وقت معلوم، يعتاد فيه القراءة هناك، أو يجتمع عنده للقراءة ونحو ذلك، كما أن من يرخص في الذكر والدعاء هناك، لا يرخص في اتخاذه عيدا كذلك<sup>(٤)</sup> كما تقدم.

وأما الذبح<sup>(٥)</sup> هناك فمنهي عنه مطلقا، ذكره أصحابنا وغيرهم. لما روى أنس عن النبي ﷺ قال: ﴿ لا عقرب في الإسلام ﴾<sup>(٦)</sup>. رواه أحمد<sup>(٧)</sup> وأبو داود، وزاد: قال عبد الرزاق: " كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة "<sup>(٨)</sup> قال أحمد في رواية المروزي: " قال النبي ﷺ ﴿ لا عقرب في الإسلام ﴾<sup>(٩)</sup> كانوا إذا مات لهم الميت نحروا جزورا على قبره، فنهى رسول الله ﷺ عن ذلك، وكره أبو عبد الله أكل لحمه.

(١) جاء ذلك في حديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ، باب إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ، حديث رقم ( ٣٠٦٢ ) ، ( ٦ / ١٧٩ ) من فتح الباري . وفي صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ، حديث رقم ( ١١١ ) ، ( ١ / ١٠٥ ، ١٠٦ ) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى للمؤلف ( ٣١ / ٢٦ - ٥٦ ) ، كما تجد بحث الموضوع في مواضع متفرقة في المجلد ( ٣١ ) من أوله حتى ( ص ٢٦٨ ) .

(٣) في ( أ ط ) : اتخاذه .

(٤) كذلك : ساقطة من ( ب ج د ) ، وفي ( ب ) : مكائها : والذبح .

(٥) في ( ج د ) : وأما العقرب هناك ، وهو بمعنى الذبح ، وقد فسر المؤلف العقرب هنا بعد سياق الحديث .

(٦) في المطبوعة : في دار الإسلام ، ولم أجده بهذا اللفظ .

(٧) مسند أحمد ( ٣ / ١٩٧ ) ، وسنن أبي داود ، كتاب الجنائز ، باب كراهة الذبح عند القبر ( ٣ / ٥٥٠ - ٥٥١ ) ، حديث رقم ( ٣٢٢٢ ) ؛ وشرح السنة للبخاري ، كتاب الجنائز ، باب الطعام لأهل الميت ( ٥ / ٤٦١ ) . وأخرجه عبد الرزاق في المصنف ، كتاب الجنائز ، باب الصبر والبكاء والنياحة ، حديث رقم ( ٦٦٩٠ ) ، ( ٣ / ٥٦٠ ) وإسناده صحيح .

(٨) أبو داود ( ٣ / ٥٥١ ) .

(٩) أبو داود الجنائز ( ٣٢٢٢ ) ، أحمد ( ٣ / ١٩٧ ) .

قال أصحابنا: وفي معنى هذا ما يفعله كثير من أهل زماننا في التصدق عند القبر بخبز أو نحوه. فهذه أنواع العبادات البدنية، أو المالية، أو المركبة<sup>(١)</sup> منهما.

ومن المحرمات: العكوف عند القبر<sup>(٢)</sup> والمجاورة عنده، وسدائته، وتعليق الستور عليه، كأنه بيت الله الكعبة.

فإننا قد بينا أن نفس بناء المسجد عليه منهي عنه باتفاق الأمة، محرم بدلالة السنة، فكيف إذا ضم إلى ذلك المجاورة في ذلك المسجد، والعكوف فيه كأنه المسجد الحرام؟ بل عند بعضهم أن العكوف فيه أحب إليه من العكوف في المسجد الحرام، إذ من الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله، والذين آمنوا أشد حبا لله. بل حرمة ذلك المسجد المبني على القبر الذي حرمه الله ورسوله، أعظم عند المقابريين<sup>(٣)</sup> من حرمة بيوت الله التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وقد أسست على تقوى من الله<sup>(٤)</sup> ورضوان<sup>(٥)</sup>.

وقد بلغ الشيطان بهذه البدع إلى الشرك العظيم في كثير من الناس، حتى إن منهم من يعتقد أن زيارة المشاهد التي<sup>(٦)</sup> على القبور - إما قبر لنبي، أو شيخ، أو بعض أهل<sup>(٧)</sup> البيت - أفضل من حج البيت الحرام، ويسمي زيارتها: الحج الأكبر، ومن هؤلاء من يرى أن السفر لزيارة قبر النبي ﷺ أفضل من حج البيت. وبعضهم إذا وصل المدينة رجع<sup>(٨)</sup>

(١) في (ب) : والمركبة .

(٢) في (أ ط) : عند قبر .

(٣) في المطبوعة : القبورين كعادته ، وهو خلاف اصطلاح المؤلف كما بينت .

(٤) في (أ ب ط) : منه وراضون .

(٥) من هنا حتى قوله : وأعظم من ذلك (صفحة كاملة تقريبا) : سقط من (أ ط) .

(٦) التي : ساقطة من (د) .

(٧) في (ج د) : أو بعض من أهل البيت .

(٨) في المطبوعة زاد : ولم يذهب إلى البيت الحرام .

وظن أنه حصل له المقصود<sup>(١)</sup> . وهذا لأنهم ظنوا أن زيارة القبور<sup>(٢)</sup> لأجل الدعاء عندها والتوسل بها، وسؤال الميت ودعائه.

ومعلوم أن النبي ﷺ أفضل من الكعبة، ولو علموا أن المقصود إنما هو عبادة الله وحده لا شريك له وسؤاله ودعاؤه، والمقصود بزيارة القبور الدعاء لها، كما يقصد بالصلاة على الميت؛ لزال هذا عن قلوبهم. ولهذا، كثير من هؤلاء يسأل الميت والغائب، كما يسأل ربه، فيقول: اغفر لي وارحمني، وتب علي، ونحو ذلك.

وكثير من الناس تمثل له صورة الشيخ المستغاث به، ويكون ذلك شيطانا قد خاطبه، كما تفعل الشياطين بعبدة الأصنام<sup>(٣)</sup> وأعظم من ذلك<sup>(٤)</sup> قصد الدعاء عنده والنذر له، أو للسدنة العاكفين عليه، أو المجاورين عنده، من أقاربه أو غيرهم، واعتقاد أنه بالنذر له قضيت الحاجة، أو كشف البلاء. فإنا قد بينا بقول الصادق المصدوق: أن نذر العمل المشروع لا يأتي بخير، وأن الله لم يجعله سببا لدرك الحاجة، كما جعل الدعاء سببا لذلك، فكيف نذر المعصية، الذي لا يجوز الوفاء به؟

واعلم أن أهل القبور<sup>(٥)</sup> من الأنبياء والصالحين، المدفونين، يكرهون ما يفعل عندهم كل الكراهة، كما أن المسيح عليه السلام يكره ما يفعل النصارى به، وكما كان أنبياء بني إسرائيل يكرهون ما يفعله الأتباع، فلا يحسب المرء المسلم أن النهي عن اتخاذ القبور أعيادا وأوثانا فيه غض من<sup>(٦)</sup> أصحابها، بل هو من باب إكرامهم، وذلك أن القلوب إذا اشتغلت بالبدع أعرضت عن السنن، فتجد أكثر هؤلاء العاكفين على القبور معرضين عن سنة ذلك المقبور وطريقته، مشتغلين بقبره عما أمر به ودعا إليه.

(١) لا يزال بعض الروافض، وبعض المتصوفة يفعلون هذا، فهم يتكبدون مشاق السفر وإجراءاته ونفقاته الباهظة في موسم الحج، ثم لا يحجون وإنما يكتفون بزيارة المدينة .

(٢) في المطبوعة : إنما هو لأجل .

(٣) في المطبوعة : الأوثان .

(٤) في (أ ط) : وأعظم من ذلك : النذر له .

(٥) في المطبوعة : المقبورين ، وهو خلاف جميع النسخ المخطوطة .

(٦) في المطبوعة : من كرامة أصحابها .



ومن كرامة الأنبياء والصالحين، أن يتبع ما دعوا إليه من العمل الصالح، ليكثر أجرهم  
بكثرة أجور من اتبعهم، كما قال النبي ﷺ ﴿ من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل  
أجور من تبعه، من غير أن ينقص من أجورهم شيء ﴾ (١) (٢) .

وإنما اشتغلت قلوب طوائف من الناس، بأنواع من العبادات المبتدعة: إما من الأدعية،  
وإما من الأشعار (٣) وإما من السماعات، ونحو ذلك لإعراضهم عن المشروع، أو بعضه -  
أعني لإعراض قلوبهم - وإن قاموا بصورة المشروع، وإلا فمن أقبل على الصلوات الخمس  
بوجهه وقلبه، عاقلا لما اشتملت عليه من الكلم الطيب، والعمل الصالح مهتما بما كل  
الاهتمام - أغنته عن كل ما يتوهم فيه خير من جنسها.

ومن أصغى إلى كلام الله وكلام رسوله بعقله، وتدبره بقلبه، وجد فيه من الفهم  
والحلاوة (٤) والبركة والمنفعة ما لا يجده في شيء من الكلام لا منظومه ولا منثوره.  
ومن اعتاد الدعاء المشروع في أوقاته، كالأسحار، وأدبار الصلوات والسجود، ونحو  
ذلك، أغناه عن كل دعاء مبتدع، في ذاته أو بعض صفاته.

فعلى العاقل أن يجتهد في اتباع السنة في كل شيء من ذلك، ويعتاض عن كل ما  
يظن (٥) من البدع أنه خير بنوعه من السنن، فإنه من يَتَحَرَّ الحَيْرَ يُعْطَهُ، ومن يتوقَّ الشرَّ  
يُوقَهُ.

(١) مسلم العلم (٢٦٧٤)، الترمذي العلم (٢٦٧٤)، أبو داود السنة (٤٦٠٩)، أحمد (٣٩٧/٢)، الدارمي  
المقدمة (٥١٣) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة،  
حديث رقم (٢٦٧٤)، (٤ / ٢٠٦٠) وبقية الحديث: ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من  
تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا .

(٣) كذا في (ط): الأشعار، وفي بقية النسخ: الأسفار، وما أثبتته من (ط) أصح؛ لأن السياق يدل عليه،  
والأشعار هي من نوع الأدعية والسماعات، أما الأسفار فهي بعيدة عن المعنى المقصود هنا، فتأمل .

(٤) في المطبوعة زاد: والهدى وشفاء القلوب .

(٥) في (ب): بطن .

فأما مقامات الأنبياء والصالحين، وهي الأمكنة التي <sup>(١)</sup> قاموا فيها، أو أقاموا، أو عبدوا الله سبحانه، لكنهم لم يتخذوها مساجد؛ <sup>(٢)</sup> فالذي بلغني في ذلك قولان عن العلماء المشهورين:

: النهي عن ذلك وكرهته، وأنه لا يستحب قصد بقعة للعبادة، إلا أن يكون قصدها للعبادة مما جاء به الشرع، مثل أن يكون النبي ﷺ قصدها للعبادة كما قصد الصلاة في مقام إبراهيم، وكما كان يتحرى الصلاة عند الأصطوانة <sup>(٣)</sup> وكما يقصد المساجد للصلاة، ويقصد الصف الأول ونحو ذلك.

: أنه لا بأس باليسير <sup>(٤)</sup> من ذلك، كما نقل عن ابن عمر: أنه كان يتحرى قصد المواضع التي سلكها النبي ﷺ وإن كان النبي ﷺ قد سلكها اتفاقا لا قصدا. قال <sup>(٥)</sup> سندي الخواتيمي: سألتنا أبا عبد الله عن الرجل يأتي هذه المشاهد، ويذهب إليها، ترى ذلك؟ قال: أما على حديث ابن أم مكتوم: أنه سأل النبي ﷺ أن يصلي في بيته حتى يتخذ ذلك مصلى. وعلى ما كان يفعله ابن عمر، يتتبع مواضع النبي ﷺ وأثره، فليس بذلك بأس، أن يأتي الرجل المشاهد، إلا أن الناس قد أفرطوا في هذا جدا، وأكثروا فيه .

وكذلك نقل عنه <sup>(٦)</sup> أحمد بن القاسم: أنه سئل عن الرجل يأتي هذه المشاهد التي بالمدينة، وغيرها، يذهب إليها؟ فقال: "أما على ﴿ حديث ابن أم مكتوم: أنه سأل

(١) في (ب) : التي أقاموا فيها أو أقاموا ، وهو تكرار للعبارة وأظنه من الناسخ .

(٢) من هنا حتى قوله : قال سندي (سنة سطور تقريبا) : سقطت من (أ ط) .

(٣) هي السارية ، ويقال : إنها السارية المتوسطة من الروضة الشريفة . انظر : فتح الباري (١ / ٥٧٧) .

(٤) في (ب) : بالتيسير .

(٥) في (أ ط) : فقال .

(٦) في (ب) : نقل عن أحمد بن القاسم .

النبي ﷺ أن يأتيه فيصلي في بيته حتى يتخذ مسجداً ﴿١﴾ ، وعلى ما كان يفعل ابن عمر رضي الله عنهما كان (١) يتتبع مواضع سير النبي ﷺ حتى رئي أنه يصب في موضع ماء، فيسأل عن ذلك. فقال: رأيت النبي ﷺ يصب هاهنا ماء، قال: أما على هذا فلا بأس". قال: ورخص فيه، ثم قال: "ولكن قد أفرط الناس جدا، وأكثروا (٢) في هذا المعنى، فذكر قبر الحسين وما يفعل الناس عنده. رواهما الخلال في كتاب الأدب (٣).

فقد فصل أبو عبد الله رحمه الله في المشاهد، وهي الأماكن التي فيها آثار الأنبياء والصالحين، من غير أن تكون مساجد لهم، كمواضع بالمدينة (٤) بين القليل الذي لا يتخذونه عيدا، والكثير الذي يتخذونه عيدا، كما تقدم. وهذا التفصيل جمع فيه بين الآثار وأقوال الصحابة، فإنه قد روى البخاري في صحيحه، عن موسى بن عقبة قال: "رأيت سالم بن عبد الله يتحرى أماكن من الطريق، ويصلي فيها، ويحدث أن أباه كان يصلي فيها، وأنه رأى النبي ﷺ يصلي في تلك الأماكن" قال موسى: "وحدثني نافع أن ابن عمر كان يصلي في تلك الأماكن" (٥) فهذا كما رخص فيه أحمد رضي الله عنه.

وأما ما كرهه: فروى سعيد بن منصور في سننه، حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن معمر بن سويد، "عن عمر رضي الله عنه قال: خرجنا معه في حجة حجها فقراً بنا في الفجر بـ ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ ﴿٦﴾ و ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ ﴿٧﴾ في الثانية، فلما رجع من حجته رأى الناس ابتدروا المسجد فقال: ما هذا؟ قالوا: مسجد صلي

(١) كان : سقطت من (أ ط) .

(٢) في (أ ب ط) : وكثر في هذا المعنى .

(٣) لم أجد هذا الكتاب .

(٤) في (ط) : المدينة .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب المساجد التي على طرق المدينة والمواضع التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، حديث رقم ( ٤٨٣ ) ، ( ١ / ٥٦٧ ) من فتح الباري .

(٦) سورة الفيل آية : ١ .

(٧) سورة قريش آية : ١ .

فيه رسول الله ﷺ فقال: هكذا (١) هلك أهل الكتاب قبلكم: اتخذوا آثار أنبيائهم بيعة، من عرضت له منكم فيه الصلاة فليصل، ومن لم تعرض له الصلاة فليمض " (٢) فقد كره عمر رضي الله عنه اتخاذ مصلى النبي ﷺ عيداً، وبين أن أهل الكتاب إنما هلكوا بمثل هذا.

وفي رواية عنه: " أنه رأى الناس يذهبون مذاهب فقال: أين يذهب هؤلاء؟ فقيل: يا أمير المؤمنين، مسجد صلى فيه النبي ﷺ فهم يصلون فيه فقال: إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا، كانوا يتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعة، فمن أدركته الصلاة منكم في هذه المساجد فليصل، ومن لا فليمض ولا يتعمدها " (٣) .

وروى محمد بن وضاح (٤) وغيره: أن عمر بن الخطاب أمر بقطع الشجرة التي بويج تحتها النبي ﷺ (٥) لأن الناس كانوا يذهبون تحتها. فخاف عمر الفتنة عليهم (٦) .

وقد اختلف العلماء رضي الله عنهم في إتيان المشاهد - فقال محمد بن وضاح: كان مالك وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار التي بالمدينة، ما عدا قباء وأحدا. ودخل سفيان الثوري بيت المقدس وصلى فيه ولم يتبع تلك الآثار، ولا

(١) هكذا: ساقطة من (ط) .

(٢) لم أجد في القسم المطبوع من سنن سعيد بن منصور، وقد أشار ابن حجر في فتح الباري (١ / ٥٦٩) أن ذلك ثابت عن عمر، وذكر القصة. كما أخرجه عبد الرزاق في المصنف، باب ما يقرأ في الصبح في السفر، عن معمر، عن الأعمش، عن المعرور بن سويد، ثم ذكر الأثر بتمامه مع اختلاف يسير في الألفاظ (١ / ١١٨، ١١٩)، رقم (٢٧٣٤) .

(٣) انظر: كتر العمال (١٧ / ١٤٠)، والتوسل والوسيلة، للمؤلف (ص ١٠٢)، وقال الشيخ: " صحيح الإسناد " .

(٤) هو: محمد بن وضاح القرطبي الحافظ، محدث الأندلس، صدوق ورأس في الحديث، لكنه كثير الأخطاء، فاضل ورع، توفي سنة (٢٨٧هـ) وكانت ولادته سنة (١٩١هـ). انظر لسان الميزان (٥ / ٤١٦، ٤١٧)، (ت ١٣٧٢)؛ وشذرات الذهب (٢ / ١٩٤) .

(٥) في المطبوعة زاد: بيعة الرضوان .

(٦) أخرجه ابن سعد في الطبقات بسنده: " أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء، أخبرنا عبد الله بن عون، عن نافع قال: كان الناس يأتون الشجرة التي يقال لها: شجرة الرضوان، فيصلون عندها، قال: فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فأعدوهم فيها وأمر بها فقطعت، الطبقات الكبرى (٢ / ١٠٠)، وذكره ابن حجر في الفتح، قال: " ثم وجدت عند ابن سعد بإسناد صحيح عن نافع أن عمر "، ثم ذكره في فتح الباري (٧ / ٤٤٨) .

الصلاة فيها. فهؤلاء كرهوها مطلقا، لحديث عمر رضي الله عنه هذا، ولأن ذلك يشبه الصلاة عند المقابر إذ هو ذريعة إلى اتخاذها أعيادا، وإلى التشبه بأهل الكتاب، <sup>(١)</sup> ولأن ما فعله ابن عمر لم يوافق عليه أحد من الصحابة، فلم ينقل عن الخلفاء الراشدين ولا غيرهم، من المهاجرين والأنصار، أنه <sup>(٢)</sup> كان يتحرى قصد الأمكنة التي نزلها النبي صلى الله عليه وسلم.

والصواب مع جمهور الصحابة؛ لأن متابعة النبي صلى الله عليه وسلم تكون بطاعة أمره، وتكون في فعله، بأن يفعل مثل ما فعل على الوجه الذي فعله، فإذا قصد العبادة في مكان كان قصد العبادة فيه متابعة له، كقصد المشاعر والمساجد. وأما إذا نزل في مكان بحكم الاتفاق لكونه صادف وقت التزول، أو غير ذلك، مما يعلم أنه لم يتحر ذلك المكان، فإذا تحرنا ذلك المكان لم نكن متبعين له، فإن الأعمال بالنيات.

واستحب آخرون من العلماء المتأخرين إتياها، وذكر طائفة من المصنفين من أصحابنا وغيرهم في المناسك، استحباب زيارة هذه المساجد وعدوا منها مواضع وسموها. وأما أحمد فرخص منها فيما جاء به الأثر من ذلك إلا إذا اتخذت عيدا، مثل أن تنتاب لذلك، ويجتمع عندها في وقت معلوم، كما يرخص في صلاة النساء في المساجد جماعات، وإن كانت بيوتهن خيرا لهن، إلا إذا تبرجن وجمع بذلك بين الآثار، واحتج بحديث ابن أم مكتوم.

ومثله: ما خرجاه في الصحيحين، **عن عتبان بن مالك <sup>(٣)</sup> قال: كنت أصلي لقومي بني سالم، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: إني أنكرت بصري، وإن السيول تحول بيني وبين مسجد قومي، فلوددت أنك جئت فصليت في بيتي مكانا حتى أتخذه مسجدا. فقال: " أفعل إن شاء الله " فغدا علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر معه، بعدما اشتد النهار، فاستأذن النبي صلى الله عليه وسلم فأذنت له، فلم يجلس حتى قال: " أين تحب أن أصلي من بيتكم <sup>(٤)</sup> " فأشرت له إلى المكان**

(١) من هنا حتى قوله : واستحب آخرون (قدر ستة سطور تقريبا) : ساقط من (أ ط) .

(٢) في المطبوعة : أن أحدا منهم .

(٣) هو الصحابي الجليل : عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان ، الأنصاري الخزرجي السالمي ، ممن شهد بدرا ، وهو إمام قومه بني سالم ، توفي في خلافة معاوية . انظر : الإصابة ( ٢ / ٤٥٢ ) ، (ت ٥٣٩٦) .

(٤) في المطبوعة : من بيتك ، وكذلك في البخاري ومسلم .

---

الذي أحب أن يصلي فيه، فقام رسول الله ﷺ فكبر، ووقفنا <sup>(١)</sup> وراءه، فصلى ركعتين، ثم سلم وسلمنا حين سلم ﴿ <sup>(٢)</sup> " .

ففي هذا الحديث دلالة على أن من قصد أن يبني مسجده في موضع صلاة رسول الله ﷺ فلا بأس به، وكذلك قصد الصلاة في موضع صلاته، لكن هذا كان أصل قصده بناء مسجد، فأحب أن يكون موضعا يصلي له فيه النبي ﷺ ليكون النبي ﷺ هو الذي رسم المسجد، بخلاف مكان صلى فيه النبي ﷺ اتفاقا فاتخذ مسجدا لا الحاجة إلى المسجد، لكن <sup>(٣)</sup> لأجل صلاته فيه.

---

(١) في (ب) : ووقفنا .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب المساجد والبيوت ، حديث رقم ( ٤٢٥ ) ، ( ١ / ١٩ ) .

ومسلم ، كتاب المساجد ، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر ، حديث رقم ( ٣٣ ) ، ( ١ / ٤٥٥ ) .

(٣) في المطبوعة : لكن لا لأجل .

فأما الأمكنة التي كان النبي ﷺ يقصد الصلاة أو الدعاء عندها، فقصد الصلاة فيها أو الدعاء سنة، اقتداء برسول الله ﷺ واتباعاً له، كما إذا تحرى الصلاة أو الدعاء في وقت من الأوقات فإن قصد الصلاة أو الدعاء في ذلك الوقت سنة كسائر عباداته، وسائر الأفعال التي فعلها على وجه التقرب ومثل هذا: ما خرجاه في الصحيحين عن يزيد بن أبي عبيد<sup>(١)</sup> قال: " كان سلمة بن الأكوع<sup>(٢)</sup> يتحرى الصلاة عند الأستوانة التي عند المصحف. فقلت له: يا أبا مسلم، أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأستوانة، قال<sup>(٣)</sup> ﴿ رأيت النبي ﷺ يتحرى الصلاة عندها ﴾<sup>(٤) (٥)</sup> وفي رواية لمسلم عن سلمة بن الأكوع: أنه كان يتحرى الصلاة موضع المصحف، يسبح فيه، وذكر أن ﴿ رسول الله ﷺ كان يتحرى ذلك المكان، وكان بين المنبر والقبلة قدر ممر الشاة ﴾<sup>(٦) (٧)</sup>.

وقد ظن بعض المصنفين أن هذا مما اختلف فيه وجعله والقسم الأول سواء، وليس بجيد. فإنه هنا أخبر أن النبي ﷺ كان يتحرى البقعة.. فكيف لا يكون هذا القصد

(١) هو: الأسلمي، مولى سلمة بن الأكوع، ثقة، من الرابعة، توفي سنة بضع وأربعين ومائة. انظر: التقريب (٣٦٨ / ٢).

(٢) هو الصحابي الجليل: سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي، شهد بيعة الرضوان، وتوفي سنة (٧٤هـ). انظر: التقريب (٣١٨ / ١).

(٣) في (ب ج د): فقال.

(٤) البخاري الصلاة (٤٨٠)، مسلم الصلاة (٥٠٩)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٤٣٠)، أحمد (٤/٤٨).

(٥) انظر: صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الصلاة إلى الأستوانة، حديث رقم (٥٠٢)، (١ / ٥٧٧) من فتح الباري، وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب دنو المصلي من السترة، حديث رقم (٥٠٩)، (١ / ٣٦٤، ٣٦٥).

(٦) مسلم الصلاة (٥٠٩)، أبو داود الصلاة (١٠٨٢).

(٧) صحيح مسلم، الكتاب والباب والحديث السابقين (١ / ٣٦٤) طريق أخرى للحديث.

مستحبا؟ نعم: إيطان<sup>(١)</sup> بقعة في المسجد لا يصلى إلا فيها منهي عنه كما جاءت به السنة، والإيطان ليس هو التحري من غير إيطان<sup>(٢)</sup>.

فيجب الفرق بين اتباع النبي ﷺ والاستئنان به فيما فعله، وبين ابتداء بدعة لم يسنها لأجل تعلقها به.

وقد تنازع العلماء فيما إذا فعل<sup>(٣)</sup> فعلا من المباحات لسبب، وفعلناه نحن تشبها به، مع انتفاء ذلك السبب، فمنهم من يستحب ذلك ومنهم من لا يستحبه، وعلى هذا يخرج فعل ابن عمر رضي الله عنهما، بأن النبي ﷺ كان يصلي في تلك البقاع التي في طريقه، لأنها كانت منزله، لم يتحر الصلاة فيها لمعنى في البقعة. فنظير هذا: أن يصلي المسافر في منزله، وهذا سنة.

فأما قصد الصلاة في تلك البقاع التي صلى فيها<sup>(٤)</sup> اتفاقا، فهذا لم ينقل عن غير ابن عمر من الصحابة، بل كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وسائر السابقين الأولين، من المهاجرين والأنصار<sup>(٥)</sup> يذهبون من المدينة إلى مكة حجاجا وعمارا ومسافرين، ولم ينقل عن أحد منهم أنه تحرى الصلاة في مصليات النبي ﷺ. ومعلوم أن هذا لو كان عندهم مستحبا لكانوا إليه أسبق، فإنهم أعلم بسنته وأتبع لها من غيرهم. وقد قال ﷺ ﴿عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ،

(١) الإيطان : هو اتحاده وطنا ، وذلك بأن يألف الرجل مكانا معلوما من المسجد يصلي به . انظر : لسان العرب ، مادة (وطن) ، ( ١٣ / ٤٥١ ) .

(٢) في المخطوطة (ط) تعليق هذا نصه : " يقول الفقير داود الطيب : أعني إيطان بقعة في المسجد لا يصلى إلا فيها ، هي من بدع اليهود ، فإن لكل واحد من كبرائهم بقعة في الكنيسة لا يقعد فيها سواه ، حتى إذا جاء وجد أحدا قاعدا فيها أقامه ، وأقام القاعد من تلقاء نفسه؛ لما قد عرف واشتهر بينهم أن هذه البقعة مكان فلان ، فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين " . وداود الطيب هذا لعله داود بن ناصر الموصلية ، له مؤلفات في الطب ، توفي سنة (٧٢٦هـ) . انظر : الأعلام للزركلي ( ٢ / ٣٣٥ ) .

(٣) في المطبوعة : فعل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فعلا .

(٤) في (ب) : النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وفي (ج د) : صلى فيها صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(٥) في (ب) : رضوان الله عليهم أجمعين .



وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة<sup>(١)</sup> وكل بدعة ضلالة<sup>(٢)</sup> .

وتحري هذا ليس من سنة الخلفاء الراشدين، بل هو مما ابتدع، وقول الصحابي<sup>(٣)</sup> إذا خالفه نظيره، ليس بحجة، فكيف إذا انفرد به عن جماهير الصحابة؟  
أيضا: فإن تحري الصلاة فيها ذريعة إلى اتخاذها مساجد والتشبه بأهل الكتاب مما نهينا عن التشبه بهم فيه وذلك ذريعة إلى الشرك بالله، والشارع قد حسم هذه المادة بالنهى عن الصلاة عند طلوع الشمس، وعند غروبها، وبالنهى عن اتخاذ القبور مساجد، فإذا كان قد نهى عن الصلاة المشروعة في هذا المكان وهذا الزمان، سدا للذريعة. فكيف يستحب قصد الصلاة والدعاء في مكان اتفق قيامهم فيه، أو صلاتهم فيه، من غير أن يكونوا<sup>(٤)</sup> قد قصدوه للصلاة فيه والدعاء فيه؟.

ولو ساغ هذا لاستحب قصد جبل حراء والصلاة فيه، وقصد جبل ثور والصلاة فيه، وقصد الأماكن التي يقال إن الأنبياء قاموا فيها، كالمقامين اللذين بطريق جبل قاسيون بدمشق، اللذين يقال إنهما مقام إبراهيم وعيسى، والمقام الذي يقال إنه مغارة دم قابيل، وأمثال ذلك، من البقاع التي بالحجاز والشام وغيرهما.

ثم ذلك يفضي إلى ما أفضت إليه مفسد القبور، فإنه يقال: إن هذا مقام نبي، أو قبر نبي، أو ولي، بخبر لا يعرف قائله، أو بمنام لا تعرف حقيقته، ثم يترتب على ذلك اتخاذ مسجدا، فيصير وثنا يعبد من دون الله تعالى. شرك مبني على إفك! والله سبحانه يقرن في

(١) كل محدثة بدعة : ساقطة من (د) .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب في لزوم السنة ، حديث رقم (٤٦٠٧) ، (٥ / ١٣ - ١٥) .  
والترمذي ، كتاب العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ، حديث رقم (٢٦٧٦) ، (٥ / ٤٤ ،  
٤٥) ، وقال : " هذا حديث حسن صحيح " . وابن ماجه في المقدمة ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين ،  
حديث رقم (٤٢) ، (١ / ١٥) . وأحمد في السنة (٤ / ١٢٦ ، ١٢٧) . والدارمي في المقدمة (١ / ٤٤ ،  
٤٥) ، باب اتباع السنة .

(٣) في المطبوعة زاد : وفعله .

(٤) في (ب د) : أن يكون .

كتابه بين الشرك والكذب، كما يقرن بين الصدق والإخلاص. ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: ﴿ عدلت شهادة الزور الإِشْرَاقَ بِاللَّهِ ﴾<sup>(١)</sup> - ثلاثا - ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾<sup>(٢)</sup> حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> وقال تعالى عن الخليل: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾<sup>(٦)</sup> أَيِفْكَاءَ إِلَهَ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾<sup>(٧)</sup> وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾<sup>(٨)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾<sup>(٩)</sup> إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾<sup>(١٠)</sup> أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ<sup>(١١)</sup> إِنَّ اللَّهَ

(١) الترمذي الشهادات (٢٣٠٠)، أبو داود الأفضية (٣٥٩٩)، ابن ماجه الأحكام (٢٣٧٢)، أحمد (٣٢١/٤)

(٢) سورة الحج: من الآيتين ٣٠، ٣١.

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الشهادات، باب شهادة الزور، الحديث رقم (٢٢٩٩)، ورقم (٢٣٠٠)، (٤/٥٤٧)، وقال: هذا عندي أصح، يعني الحديث رقم (٢٣٠٠)، عن خزيم بن فاتك، والأول عن أيمن بن خزيم. وأخرجه أبو داود، كتاب الأفضية، باب شهادة الزور، الحديث رقم (٣٥٩٩)، (٤/٢٣)، (٢٤/٢٤). وابن ماجه رقم (٢٣٧٢) في الأحكام. وأحمد (٣٢١/٤)، (٣٢٢) وغيرهم.

(٤) سورة القصص: الآيتان ٧٤، ٧٥.

(٥) سورة الصافات: الآيتان ٨٥، ٨٦.

(٦) سورة الأنعام: الآية ٩٤.

لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴿١﴾ .

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فزِيلَنَّا بَيْنَهُمْ <sup>ط</sup> وَقَالَ شُرَكَائِهِمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ ﴿٣٨﴾ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلِينَ ﴿٣٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴿٢﴾ .

وقال تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ <sup>ط</sup> وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٤١﴾ ﴿٣﴾ .

وقال تعالى: ﴿ إِنْ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَاهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴿٤﴾ .

قال أبو قلابة: " هي لكل مبتدع من هذه الأمة إلى يوم القيامة " (٥) . وهو (٦) كما قال: فإن أهل الكذب والفرية عليهم من الغضب والذلة ما أوعدهم الله به .

والشرك وسائر البدع مبناها على الكذب والافتراء، ولهذا: كل من كان عن التوحيد والسنة أبعد، كان إلى الشرك والابتداع والافتراء أقرب (٧) كالرافضة الذين هم أكذب

(١) سورة الزمر: الآيات ١ - ٣ .

(٢) سورة يونس: الآيات ٢٨ - ٣٠ .

(٣) سورة يونس: الآية ٦٦ . ويلاحظ أن المطبوعة جرى فيها اختصار وتغيير في الآيات من قوله تعالى: وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كَانُوا يَقُولُونَ هُنَا . وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ، أما بقية النسخ فهي متفقة .

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٥٢ .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره للآية (٩ / ٤٨ ، ٤٩) بإسناده عن أبي قلابة من طريقين: وقال: كل مفتر، بدل: مبتدع .

(٦) في (ج د): وكما قال .

(٧) وقع اختلاف بين النسخ في العبارات هنا، ففي (ب) قال: (فكل من كان أقرب إلى الشرك كان أقرب إلى الكذب والافتراء، كالرافضة)، وفي (ج د): (فكل زمان كان أقرب إلى الشرك، أقرب إلى الكذب والافتراء كالرافضة) وما أثبتته من (أ ط) والمطبوعة .

طوائف أهل الأهواء، وأعظمهم شركا، فلا يوجد في أهل الأهواء أكذب منهم، ولا أبعد عن التوحيد منهم، حتى إنهم يجربون (١) مساجد الله التي يذكر فيها اسمه فيعطلوها عن الجماعات والجمعات، ويعمرون المشاهد التي على القبور، التي نهى الله ورسوله عن اتخاذها، والله سبحانه في كتابه إنما أمر بعمارة المساجد لا المشاهد، فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۗ ﴾ (٢) ولم يقل: مشاهد الله.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۗ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ (٣) ولم يقل: عند كل مشهد.

وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ ۗ ﴾ (٤) إلى قوله: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۗ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (٥) ولم يقل: مشاهد الله. بل المشاهد إنما يعمرها من يخشى غير الله ويرجو غير الله لا يعمرها إلا من فيه نوع من الشرك.

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ ﴾ (٦) وقال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ سَخِفُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾

(١) في (أ) : يحرفون في مساجد الله .

(٢) سورة البقرة : من الآية ١١٤ .

(٣) سورة الأعراف : من الآية ٢٩ .

(٤) سورة التوبة آية : ١٧ .

(٥) سورة التوبة آية : ١٨ .

(٦) سورة الحج : الآية ٤٠ . وقد أخرجها في المطبوعة بعد آيات النور .

﴿ ٧٧ ﴾ لِيَجْزِيَهمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿ ٧٨ ﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (٢) ولم يقل: وأن المشاهد لله.

وكذلك سنة رسول الله ﷺ الثابتة كقوله في الحديث الصحيح: ﴿ من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة ﴾ (٣) (٤) ولم يقل: مشهدا. وقال أيضا في الحديث: ﴿ صلاة الرجل في المسجد تفضل عن صلاته في بيته وسوقه بخمس وعشرين صلاة ﴾ (٥) (٦) وقال في الحديث الصحيح: ﴿ من تطهر في بيته فأحسن الطهور، ثم خرج إلى المسجد لا تنهزه (٧) إلا الصلاة، كانت خطواته إحداها ترفع درجة والأخرى تحط خطيئة. فإذا جلس ينتظر الصلاة فالعبد في صلاة ما دام ينتظر الصلاة، والملائكة تصلي على أحدكم ما

(١) سورة النور: الآيات ٣٦ - ٣٨ .

(٢) سورة الجن: الآية ١٨ .

(٣) الترمذي الصلاة (٣١٩) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة، باب من بنى مسجدا، الحديث رقم (٤٥٠)، (١ / ٥٤٤) فتح الباري عن عثمان بن عفان، ولفظه: " وإني سمعت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: " من بنى مسجدا - قال بكير: حسبت أنه قال - يبتغي وجه الله، بنى الله له مثله في الجنة"، ومسلم في كتاب المساجد، باب فضل بناء المساجد، الحديث رقم (٥٣٣) بلفظ البخاري، ولفظ آخر: " من بنى مسجدا لله؛ بنى الله له في الجنة مثله " (١ / ٣٧٨)، وأخرجه البغوي في شرح السنة بهذا اللفظ الذي ذكره المؤلف في كتاب الطهارة، باب ثواب من بنى مسجدا، تابع الحديث رقم (٤٦١)، (٢ / ٣٤٧) .

(٥) البخاري الأذان (٦٢٠)، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٦٤٩)، الترمذي الصلاة (٢١٦)، النسائي المساجد (٧٣٣)، أبو داود الصلاة (٥٥٩)، ابن ماجه المساجد والجماعات (٧٨٦)، أحمد (٢ / ٢٥٢)، مالك النداء للصلاة (٣٨٥)، الدارمي الصلاة (١٢٧٦) .

(٦) أخرجه مسلم بألفاظ متقاربة في كتاب المساجد، باب فضل صلاة الجماعة، الحديث رقم (٦٤٩)، (١ / ٤٤٩)، (٤٥٠)، والحديث رقم (٦٤٩)، (١ / ٤٥٩)، وكذلك في صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة، الحديث رقم (٦٤٧)، (٢ / ١٣١) من فتح الباري. وفي ألفاظهما اختلاف يسير عن اللفظ الذي أورده المؤلف .

(٧) لا تنهزه: قال النووي في شرح مسلم: لا تنهضه وتقيمه، وهو بمعنى قوله بعده " لا يريد إلا الصلاة " (٥ / ٦٦) .

دام في مصلاه الذي صلى فيه، اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث ﴿ (١) .

وهذا مما علم (٢) بالتواتر والضرورة من دين الرسول ﷺ فإنه أمر بعمارة المساجد والصلاة فيها، ولم يأمر ببناء مشهد، لا على قبر نبي، ولا غير قبر نبي (٤) ولا على مقام نبي، ولم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم في بلاد الإسلام، لا الحجاز ولا الشام ولا اليمن ولا العراق ولا خراسان ولا مصر ولا المغرب مسجد مبني (٥) على قبر، ولا مشهد يقصد للزيارة أصلاً، ولم يكن أحد من السلف يأتي إلى قبر نبي أو غير نبي (٦) لأجل الدعاء عنده، ولا كان الصحابة يقصدون الدعاء عند قبر النبي ﷺ ولا عند قبر غيره من الأنبياء، وإنما كانوا يصلون ويسلمون على النبي ﷺ وعلى صاحبيه.

واتفق الأئمة على أنه إذا دعا بمسجد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يستقبل قبره، وتنازعوا عند السلام عليه فقال مالك وأحمد وغيرهما: يستقبل قبره ويسلم عليه (٧) وهو الذي ذكره أصحاب الشافعي، وأظنه منصوباً عنه.

وقال أبو حنيفة: بل يستقبل القبلة ويسلم عليه، هكذا في كتب أصحابه (٨) .

وقال مالك فيما ذكره إسماعيل بن إسحاق (٩) في المبسوط، والقاضي عياض (١)

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان ، باب فضل صلاة الجماعة ، الحديث رقم ( ٦٤٧ ) ، ( ٢ / ١٣١ ) وفي ألفاظه اختلاف يسير عن اللفظ الذي أورده المؤلف ، وأخرجه مسلم ، بلفظ هو أقرب إلى لفظ المؤلف ، كتاب المساجد ، باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة ، الحديث رقم ( ٦٤٩ ) ، ( ١ / ٤٥٩ ) .

(٢) في ( ط ) : يعلم .

(٣) في ( أ ط ) : رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(٤) في ( د ) : ولا غير نبي .

(٥) في ( ج د ) : بُني .

(٦) أو غير نبي : ساقطة من ( ب ) .

(٧) انظر كتاب (الشفاء) للقاضي عياض ( ٢ / ٨٤ ) .

(٨) يعني أصحاب أبي حنيفة .

(٩) هو : إسماعيل بن إسحاق بن حماد بن زيد الجهضمي الأزدي ، فقيه مالكي ، ولد سنة ( ٢٠٠ هـ ) له مؤلفات منها : المبسوط ، شواهد الموطأ ، الأصول ، السنن . توفي سنة ( ٢٨٢ هـ ) . انظر : طبقات الفقهاء للشيرازي ( ص ١٦٤ ، ١٦٥ ) . انظر : الأعلام للزركلي ( ١ / ٣١٠ ) .

وغيرهما: لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ ويدعو، ولكن يسلم ويمضي<sup>(٢)</sup>. وقال أيضاً في المبسوط: لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج، أن يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي عليه<sup>(٣)</sup> ويدعو لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما. فقيل له: فإن ناسا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه<sup>(٤)</sup> يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر عند القبر، فيسلمون ويدعون ساعة، فقال: لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه<sup>(٥)</sup> ببلدنا، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدورها أنهم كانوا يفعلون ذلك. ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراد<sup>(٦)</sup>.

وقد تقدم في ذلك من الآثار عن السلف والأئمة، ما يوافق هذا ويؤيده من أنهم كانوا إنما يستحبون عند قبره ما هو من جنس الدعاء له والتحية: كالصلاة والسلام. ويكرهون قصده للدعاء، والوقوف عنده للدعاء<sup>(٧)</sup> ومن يرخص منهم في شيء من ذلك فإنه إنما يرخص فيما إذا سلم عليه ثم أراد الدعاء، أن يدعو مستقبلاً القبلة إما مستدبر القبر وإما منحرفاً عنه، وهو أن يستقبل القبلة ويدعو، ولا يدعو مستقبل القبر، وهكذا المنقول عن سائر الأئمة.

ليس في أئمة المسلمين من استحب للمرء<sup>(٨)</sup> أن يستقبل قبر النبي ﷺ ويدعو عنده، وهذا الذي ذكرناه عن مالك والسلف، يبين حقيقة الحكاية المأثورة عنه، وهي الحكاية

---

(١) هو: القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمر اليحصبي السبتي. إمام وقته ببلاد المغرب، في الحديث وعلومه والنحو واللغة، وله مصنفات جيدة، منها: التنبيهات، ومشارك الأنوار، وشرح كتاب مسلم، واشتهر بالذكاء وحسن السيرة، توفي سنة (٥٤٤ هـ)، وكانت ولادته سنة (٤٧٦ هـ). انظر: وفيات الأعيان (٣ / ٤٨٣ - ٤٨٥)؛ والأعلام للزركلي (٥ / ٩٩).

(٢) (الشفاء) للقاضي عياض (٢ / ٨٤).

(٣) فيصلي عليه: سقطت من (أ). وفي (ب): ويدعو له فيصلي عليه، ويدعو له ولأبي بكر.

(٤) في المطبوعة: إلا يفعلون ذلك.

(٥) من هنا حتى قوله: أول هذه الأمة (سطر تقريبا): سقط من (ج د).

(٦) انظر: (الشفاء) للقاضي عياض (٢ / ٨٧ - ٨٨).

(٧) للدعاء: سقطت من (ب ج د).

(٨) في المطبوعة: للمار.

التي ذكرها القاضي عياض عن محمد بن حميد <sup>(١)</sup> قال: " ناظر أبو جعفر <sup>(٢)</sup> أمير المؤمنين مالكا في مسجد الرسول ﷺ فقال له <sup>(٣)</sup> مالك: يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قوما فقال: ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ الآية <sup>(٤)</sup> ومدح قوما <sup>(٥)</sup> فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ الآية <sup>(٦)</sup> وذم قوما فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ الآية <sup>(٧)</sup> . وإن حرمة ميتا كحرمة حيا، فاستكان أبو جعفر، وقال: يا أبا عبد الله، أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعه <sup>(٨)</sup> الله <sup>(٩)</sup> . وقال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ ﴾ الآية <sup>(١٠)</sup> . <sup>(١١)</sup> .

فهذه الحكاية على هذا الوجه إما أن تكون ضعيفة، أو مغيرة، وإما أن تفسر بما يوافق

(١) هو : محمد بن حميد اليشكري . أبو سفيان المعمرى ، نزيل بغداد ، ثقة من التاسعة ، أخرج له مسلم وغيره ، وتوفي سنة (١٨٢هـ) . انظر : تقريب التهذيب ( ٢ / ١٥٦ ) ، ت ( ١٦٠ ) .

(٢) هو : عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس القرشي الهاشمي ، أبو جعفر المنصور ، ثاني خلفاء بني العباس ، وليها بعد السفاح ، وكان قويا حازما عادلا ، مع علم وفقه ، تولى الخلافة سنة (١٣٦هـ) ، وتوفي سنة (١٥٨هـ) ، وعمره (٦٣) . انظر : البداية والنهاية لابن كثير ( ١٠ / ١٢١ - ١٢٨ ) .

(٣) في (أ) : فقال : لا ترفع .

(٤) سورة الحجرات : الآية ٢ .

(٥) في (أ) : أقواما .

(٦) سورة الحجرات : الآية ٣ .

(٧) سورة الحجرات : الآية ٤ .

(٨) في (أ ط) : يشفعك .

(٩) في المطبوعة : فيك .

(١٠) سورة النساء : الآية ٦٤ .

(١١) أخرجها القاضي عياض في كتاب (الشفاء) فصل حرمة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعد موته (٢ /

٣٩ ، ٤٠) ، وقد فندها المؤلف في كتابه (التوسل والوسيلة) وذكر أنها حكاية منقطعة لم تثبت عن مالك

(ص ٦٧ ، ٦٨) ، وكذبها (ص ١٥٠) .



مذهبه إذ قد (١) يفهم منها ما هو خلاف مذهبه المعروف بنقل الثقات من أصحابه، فإنه لا يختلف مذهبه أنه لا يستقبل القبر عند الدعاء، (٢) وقد نص على أنه لا يقف عند الدعاء مطلقاً، وذكر طائفة من أصحابه أنه يدنو من القبر، ويسلم على النبي ﷺ ثم يدعو مستقبلاً القبلة، ويوليه ظهره، وقيل: لا يوليه ظهره. فاتفقوا في استقبال القبلة وتنازعوا في تولية القبر ظهره، وقت الدعاء.

ويشبهه - والله أعلم - أن يكون مالك رحمه الله سئل عن استقبال القبر عند السلام عليه، وهو يسمى ذلك دعاء، فإنه قد كان من فقهاء العراق من يرى أنه عند السلام عليه يستقبل القبلة أيضاً، ومالك يرى استقبال القبر في هذه الحال كما تقدم.

وكما قال في رواية ابن وهب عنه: " إذا سلم على النبي ﷺ يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة، ويدنو ويسلم ويدعو، ولا يمس القبر بيده (٣) وقد تقدم قوله: إنه يصلي عليه ويدعو له " .

ومعلوم أن الصلاة عليه والدعاء له يوجب شفاعته للعبد يوم القيامة، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: ﴿ إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول: ثم صلوا علي فإنه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون ذلك العبد، فمن سأل الله لي الوسيلة (٤) حلت عليه شفاعتي يوم القيامة ﴾ (٥) .

فقول مالك في هذه الحكاية - إن كان ثابتاً عنه - (٦) معناه: إنك إذا استقبلته

(١) في (أ ط) : أو قد .

(٢) قوله : وقد نص على أنه لا يقف عند الدعاء مطلقاً : سقط من (ج د) .

(٣) انظر : كتاب (الشفاع) للقاضي عياض (٢ / ٨٤) .

(٤) في (ب) : علق فوق السطر : فقد . أي : فقد حلت عليه .

(٥) أخرجه مسلم ، كتاب الصلاة ، باب استحباب القول مثل قول المؤذن ، الحديث رقم (٣٨٤) ، (١ / ٢٨٨

، (٢٨٩) وآخره في مسلم ، قال " حلت له الشفاعة " .

(٦) في (أ) : فمعناه .

وصليت عليه وسلمت عليه، وسألت الله له الوسيلة، يشفع فيك يوم القيامة فإن الأمم يوم القيامة يتوسلون<sup>(١)</sup> بشفاعته واستشفاع العبد به في الدنيا هو<sup>(٢)</sup> فعل ما يشفع به له يوم القيامة، كسؤال الله له الوسيلة ونحو ذلك.

وكذلك ما نقل عنه من رواية ابن وهب: إذا سلم على النبي ﷺ ودعا، يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة، ويدعو<sup>(٣)</sup> ويسلم، يعني دعاءه للنبي ﷺ وصاحبيه.

فهذا الدعاء هو المشروع هناك، كالدعاء عند زيارة قبور سائر المؤمنين، وهو الدعاء لهم، فإنه أحق الناس أن يُصلى عليه ويسلم عليه<sup>(٤)</sup> ويُدعى له - بأبي هو وأمي - ﷺ. وبها تتفق أقوال مالك، ويفرق بين الدعاء<sup>(٥)</sup> الذي أحبه، والدعاء الذي كرهه وذكر أنه بدعة.

وأما الحكاية في تلاوة مالك هذه الآية: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ ﴾<sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup> الآية، فهي - والله أعلم - باطلة، فإن هذا لم يذكره أحد من الأئمة فيما أعلمه، ولم يذكر أحد منهم أنه استحب أن يسأل<sup>(٨)</sup> بعد الموت لا استغفاراً ولا غيره، وكلامه المنصوص عنه وعن أمثاله ينافي هذا، وإنما يعرف مثل هذا في حكاية ذكرها طائفة من متأخري الفقهاء، عن أعرابي أنه أتى قبر النبي ﷺ وتلا هذه الآية، وأنشد بيتين:

(١) في المطبوعة: إلى الله بشفاعته .

(٢) في المطبوعة: هو بطاعته وفعل .

(٣) في (أ) : ويدنو . وفي (ط) : فيدنو .

(٤) ويسلم عليه : سقطت من (د ب) .

(٥) الدعاء : سقطت من (أ) .

(٦) سورة النساء آية : ٦٤ .

(٧) سورة النساء : من الآية ٦٤ .

(٨) في المطبوعة : يسأل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(١)

ولهذا استحب طائفة من متأخري الفقهاء من أصحاب الشافعي وأحمد، مثل ذلك، واحتجوا بهذه الحكاية التي لا يثبت بها حكم شرعي، لا سيما في مثل هذا الأمر الذي لو كان مشروعاً مندوباً؛ لكان الصحابة والتابعون أعلم به وأعمل به من غيرهم، بل قضاء حاجة مثل هذا الأعرابي وأمثاله لها أسباب قد بسطت في غير هذا الموضوع (٢).

وليس كل من قضيت حاجته بسبب يقتضي أن يكون السبب مشروعاً مأموراً به، فقد كان رسول الله ﷺ يُسأل في حياته المسألة فيعطيهها لا يرد سائلاً، وتكون المسألة محرمة في حق السائل: حتى (٣) قال ﴿إني لأعطي أحدهم العطية فيخرج بها يتأبطها نارا﴾ قالوا يا رسول الله فلم تعطيههم؟ قال: "يأبون إلا أن يسألوني، ويأبي الله لي

البخل ﴿٤﴾ (٥)

وقد يفعل الرجل العمل (٦) الذي يعتقده صالحاً، ولا يكون عالماً أنه (٧) منهي عنه، فيثاب على حسن قصده، ويُعفى عنه لعدم علمه. وهذا باب واسع. وعامة العبادات المبتدعة المنهي عنها، قد يفعلها بعض الناس، ويحل له بها نوع من

---

(١) المغني والشرح الكبير (٣ / ٥٨٨ ، ٥٨٩) في المغني . وقد ذكر عن العتيبي قال : كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فجاء أعرابي فقال : السلام عليك يا رسول الله . . إلخ القصة . وذكر هذين البيتين .

(٢) انظر (ص ٢٣٠-٢٣٨) من هذا الجزء .

(٣) حتى : سقطت من (أ) .

(٤) أحمد (٣/١٦) .

(٥) الحديث مر (ص ٢١٣) من هذا الجزء .

(٦) العمل : سقطت من (ط) .

(٧) في (أ) : به .

---

---

الفائدة، وذلك لا يدل على أنها مشروعة بل<sup>(١)</sup> لو لم تكن مفسدتها أغلب من مصلحتها لما نهي عنها. ثم الفاعل قد يكون متأولاً، أو مخطئاً مجتهداً أو مقلداً، فيغفر له خطؤه ويثاب على ما فعله من الخير المشروع المقرون بغير المشروع، كالمجتهد المخطئ، وقد بسط<sup>(٢)</sup> هذا في غير هذا الموضوع<sup>(٣)</sup>.

---

(١) بل : ساقطة من (أ) .

(٢) في (ط) : وقد بسطت .

(٣) انظر : (ص ٢١٥) من هذا الجزء .

والمقصود هنا أنه قد علم أن مالكا من أعلم الناس بمثل هذه الأمور، فإنه مقيم بالمدينة، يرى ما يفعله التابعون وتابعوهم، ويسمع ما ينقلونه عن الصحابة وأكابر التابعين، وهو ينهى عن الوقوف عند القبر للدعاء، ويذكر أنه لم يفعله السلف. وقد أجذب الناس على عهد عمر <sup>(١)</sup> ﷺ فاستسقى بالعباس.

ففي صحيح البخاري، عن أنس: " أن عمر استسقى بالعباس، وقال: اللهم إنا كنا إذا أجذبنا نتوسل إليك بنينا فتنسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، فيسقون <sup>(٢)</sup> فاستسقوا به كما كانوا يستسقون بالنبي ﷺ في حياته، وهو أنهم يتوسلون بدعائه وشفاعته لهم، فيدعو لهم ويدعون معه كالإمام والمؤمنين، من غير أن يكونوا يقسمون على الله بمخلوق، كما ليس لهم أن يقسم بعضهم على بعض بمخلوق، ولما مات النبي ﷺ توسلوا بدعاء العباس واستسقوا به.

ولهذا <sup>(٣)</sup> قال الفقهاء: يستحب الاستسقاء بأهل الخير والدين، والأفضل أن يكون من أهل <sup>(٤)</sup> بيت النبي ﷺ وقد استسقى معاوية بيزيد بن الأسود الجرشي <sup>(٥)</sup> وقال اللهم إنا <sup>(٦)</sup> نستسقي بيزيد بن الأسود، يا يزيد ارفع <sup>(٧)</sup> يدك فرفع <sup>(٨)</sup> يديه ودعا، ودعا الناس حتى أمطروا <sup>(٩)</sup> <sup>(١)</sup>.

(١) في (أ ط) : ابن الخطاب .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الاستسقاء ، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا ، الحديث رقم (١٠١٠) ، (٢ / ٣٩٤) من فتح الباري .

(٣) ولهذا : سقطت من (د) .

(٤) في (ط) : من أهل بيت رسول الله .

(٥) هو : يزيد بن الأسود الجرشي أبو الأسود ، ذكره بعضهم من الصحابة ، ولا يثبت ذلك ، وهو في عداد الشاميين ، من العباد ، وكان أدرك الجاهلية والإسلام . انظر : الإصابة (٣ / ٦٧٣) ، (ت٩٣٩٣) .

(٦) إنا : سقطت من (أ ط) .

(٧) في (ط) : (زوج . . فزوج) وهو تحريف .

(٨) في (ط) : (زوج . . فزوج) وهو تحريف .

(٩) في المطبوعة زاد : وذهب الناس .

ولم يذهب أحد من الصحابة إلى قبر النبي ﷺ ولا غيره يستسقي<sup>(٢)</sup> عنده ولا به،  
والعلماء استحبوا السلام على النبي صلى الله عليه وسلم؛ للحديث الذي في سنن أبي داود  
عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ ما من رجل يسلم علي إلا رد الله عليّ روحي  
حتى أورد عليه السلام ﴾<sup>(٣)</sup> (٤) هذا مع ما في النسائي وغيره، عنه ﷺ أنه قال: ﴿ إن الله  
وكّل بقبري ملائكة يبلغوني عن أمي السلام ﴾<sup>(٥)</sup> .

وفي سنن أبي داود وغيره عنه، أنه قال ﴿ أكثروا من الصلاة علي ليلة الجمعة ويوم  
الجمعة فإن صلاتكم معروضة علي ، فقالوا يا رسول الله، كيف تعرض صلاتنا عليك وقد  
أرمت ؟ -أي بليت -فقال: " إن الله حرم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء ﴾<sup>(٦)</sup> (٧) .  
فالصلاة عليه -بأبي هو وأمي- والسلام عليه مما أمر الله به ورسوله، وقد ثبت في  
الصحيح<sup>(٨)</sup> أنه قال ﴿ من صلى علي مرة صلى الله عليه بها<sup>(٩)</sup> عشرا ﴾<sup>(١٠)</sup> .  
والمشروع لنا عند زيارة قبور<sup>(١١)</sup> الأنبياء والصالحين وسائر المؤمنين، هو من جنس  
المشروع عند جنائزهم.

(١) ذكر ابن حجر هذه القصة في الإصابة (٣ / ٦٧٣) : " وأخرجه أبو زرعة ويعقوب بن سفيان في تاريخيهما  
بسند صحيح " .

(٢) في (أ ط ب) : فيستسقي .

(٣) أبو داود المناسك (٢٠٤١) ، أحمد (٥٢٧/٢) .

(٤) الحديث مر . انظر : فهرس الأحاديث .

(٥) الحديث مر . انظر : فهرس الأحاديث .

(٦) النسائي الجمعة (١٣٧٤) ، أبو داود الصلاة (١٠٤٧) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٦٣٦) ، أحمد (٨/٤) ،  
الدارمي الصلاة (١٥٧٢) .

(٧) الحديث مر . انظر : فهرس الأحاديث .

(٨) في (ب) : عنه أنه .

(٩) بها : ساقطة من (أ ط د) .

(١٠) الحديث مر . انظر : فهرس الأحاديث .

(١١) قبور : ساقطة من (أ) .

فكما أن المقصود بالصلاة على الميت الدعاء له؛<sup>(١)</sup> فالمقصود بزيارة قبره الدعاء له<sup>(٢)</sup> كما ثبت عن النبي ﷺ في الصحيح والسنن والمسند<sup>(٣)</sup> " أنه كان يعلم أصحابه إذا زاروا القبور، أن يقول قائلهم: ﴿السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون. ويرحم الله المستقدمين منا<sup>(٤)</sup> ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم، واغفر لنا ولهم﴾<sup>(٥)</sup>

فهذا دعاء خاص للميت، كما في دعاء الصلاة على الجنائز الدعاء العام والخاص<sup>(٦)</sup>  
﴿اللهم اغفر لحينا وميتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، إنك<sup>(٧)</sup>  
تعلم متقلبنا ومثوانا﴾<sup>(٨)</sup> أي<sup>(٩)</sup> ثم يخص الميت بالدعاء.

(١) ما بين الرقمين : ساقطة من (د) .

(٢) ما بين الرقمين : ساقطة من (د) .

(٣) والمسند : ساقطة من (ط) .

(٤) منا : ساقطة من (ط) .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب ما يقال عند دخول القبور ، حديث رقم (٩٧٤ ، ٩٧٥) . وسنن الترمذي ، كتاب الجنائز ، باب ما يقول الرجل إذا دخل المقابر ، حديث رقم (١٠٥٣) ، (٣ / ٣٦٩) . وسنن أبي داود ، كتاب الجنائز ، باب مما يقول إذا زار القبور أو مر بها ، حديث رقم (٣٢٣٧) ، (٣ / ٥٥٨) ، وسنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب ذكر الحوض ، حديث رقم (٤٣٠٦) ، (٢ / ١٤٣٩) . ومسند أحمد (٢ / ٣٠٠ ، ٣٧٥ ، ٤٠٨) ، (٦ / ٧١ ، ٧٦ ، ١١١ ، ١٨٠ ، ٢٢١) . وسنن النسائي (٤ / ٩٣ ، ٩٤) .

(٦) في (ط) زاد : في أول الدعاء : " اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم . . " إلخ الدعاء ، وهو خلط من الناسخ .

(٧) قوله : إنك تعلم متقلبنا ومثوانا : ساقطة من (أ ط) .

(٨) أخرجه الترمذي في كتاب الجنائز ، باب ما يقول في الصلاة على الميت ، حديث رقم (١٠٢٤) ، (٣ / ٣٤٣) ، (٣٤٤) ، وليس فيه قوله : " إنك تعلم متقلبنا ومثوانا " ، وقال الترمذي في هذا الحديث : " حديث ولد إبراهيم حديث حسن صحيح " (٣ / ٣٤٤) ، وأخرجه أبو داود في كتاب الجنائز ، باب الدعاء للميت ، حديث رقم (٣٢٠١) ، (٣ / ٥٣٩) ، وفيه زيادة ، وابن ماجه في كتاب الجنائز ، الباب (٢٣) ، الحديث (١٤٩٨) ، (١ / ٤٨٠) . وأحمد في المسند . انظر : الفتح الرباني (٧ / ٢٣٥ ، ٢٣٦) ، وأخرجه الحاكم في

قال الله تعالى في حق المنافقين: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ۗ ﴾

إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ ... (٢) الآية.

فلما نهي الله نبيه ﷺ عن الصلاة عليهم والقيام على قبورهم - لأجل كفرهم - دل ذلك بطريق التعليل والمفهوم على أن المؤمن يصلى عليه ويقام على قبره. ولهذا في السنن:

أن النبي ﷺ ﴿ كَانَ إِذَا دَفِنَ الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِهِ يَقُومُ عَلَى قَبْرِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: " سَلُوا لَهُ

التثبيت، فَإِنَّهُ الْآنَ يَسْأَلُ " (٣) .

فأما أن (٤) يقصد بالزيارة: سؤال الميت، أو الإقسام به على الله، أو استجابة الدعاء عند تلك البقعة، فهذا لم يكن من فعل أحد من سلف الأمة، لا الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، وإنما حدث ذلك بعد ذلك. بل قد كره مالك وغيره من العلماء أن يقول القائل: زرنا قبر النبي ﷺ .

وقال القاضي عياض: ( كره مالك أن يقال: زرنا قبر النبي ﷺ وذكر عن بعضهم أنه

علله بلعنه زوارات القبور، قال (٥) وهذا يردده قوله (٦) ﴿ فَهَيْتَكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ

فَزُورُوهَا ﴾ (٧) (٨) . وعن بعضهم أن (٩) الزائر أفضل من المزور، قال: وهذا مردود بما

---

المستدرك (١ / ٣٥٨) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وذكر له شاهدا صحيحا على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي في التلخيص (١ / ٣٥٨) .

(١) في (أ ط) : لم يخص .

(٢) سورة التوبة : الآية ٨٤ .

(٣) الحديث مر . انظر : فهرس الاحاديث ، وطرفه " استغفروا لأخيكم . . " .

(٤) في (ج د) : قصد .

(٥) أي : القاضي عياض .

(٦) في المطبوعة : كنت .

(٧) مسلم الجنائز (٩٧٧) ، النسائي الضحايا (٤٤٢٩) ، أبو داود الأشربة (٣٦٩٨) ، أحمد (٣٥٥/٥) .

(٨) الحديث مر . انظر : فهرس الاحاديث .

(٩) في المطبوعة زاد : أن ذلك لما قيل . وهو يوافق عبارة القاضي قي كتاب (الشفاء) (٢ / ٨٣) .



جاء من زيارة أهل الجنة لربهم<sup>(١)</sup>

قال: والأولى أن يقال في ذلك: إنه إنما كرهه مالك لإضافة الزيارة إلى قبر النبي ﷺ وأنه لو قال: زرنا النبي ﷺ لم يكرهه، لقوله ﴿اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد﴾<sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup> فحمى إضافة هذا اللفظ إلى القبر والتشبه بأولئك؛ قطعاً للذريعة وحسماً للباب<sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup>.

قلت<sup>(٦)</sup> غلب في عرف كثير من الناس استعمال لفظ: (زرنا) في زيارة قبور الأنبياء والصالحين على<sup>(٧)</sup> <sup>(٨)</sup> استعمال لفظ زيارة القبور في<sup>(٩)</sup> الزيارة البدعية الشركية لا في الزيارة الشرعية، ولم يثبت عن النبي ﷺ حديث واحد في زيارة قبر مخصوص، ولا روى أحد في ذلك شيئاً، لا أهل الصحيح ولا السنن، ولا الأئمة المصنفون في المسند<sup>(١٠)</sup> كالإمام أحمد وغيره.

وإنما روى ذلك من جمع الموضوع وغيره، وأجلُّ حديث روي في ذلك ما رواه الدارقطني، وهو ضعيف باتفاق أهل العلم بل الأحاديث المروية في زيارة قبره، كقوله:

- 
- (١) في المطبوعة زاد أيضاً: ليس بشيء، إذ ليس كل زائر بهذه الصفة، وقد ورد في حديث زيارة أهل الجنة . .  
إلخ . وهو من كلام القاضي في (الشفاء) (٢ / ٨٣) .
- (٢) البخاري الصلاة (٤٢٦)، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٠)، النسائي الجنائز (٢٠٤٧)، أبو داود الجنائز (٣٢٢٧)، أحمد (٢/٢٤٦) .
- (٣) الحديث مرّ . انظر: فهرس الأحاديث .
- (٤) في (ب ج د) : للمادة .
- (٥) كتاب (الشفاء) للقاضي عياض (٢ / ٨٢، ٨٣)، وقد ذكره المؤلف مختصراً . .
- (٦) في (ب) زاد : وقد .
- (٧) على : ساقطة من (أ ب) .
- (٨) في (ط) : ( انتهى إلى لفظ ) ، بدل : (على استعمال لفظ ) .
- (٩) في (أ) : أي لفظ .
- (١٠) في (ب) : في السنة .

﴿ من زارني وزار أبي إبراهيم الخليل في عام واحد ضمنت له على الله الجنة ﴾<sup>(١)</sup> و  
﴿ من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي ﴾<sup>(٢)</sup> و ﴿ من حج ولم يزرني فقد  
جفاني ﴾<sup>(٣)</sup> ونحو هذه الأحاديث، كلها مكذوبة موضوعة.

لكن النبي ﷺ رخص في زيارة القبور مطلقا، بعد أن كان قد نهى عنها، كما ثبت عنه  
في الصحيح أنه قال: ﴿ كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ﴾<sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup> وفي الصحيح  
عنه أنه قال: ﴿ استأذنت ربي في أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور  
قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة ﴾<sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup> فهذه زيارة لأجل<sup>(٨)</sup>  
تذكرة الآخرة، ولهذا يجوز زيارة قبر الكافر لأجل ذلك.

وكان ﷺ يخرج إلى البقيع فيسلم على موتى المسلمين ويدعو لهم، فهذه زيارة مختصة  
بالمسلمين، كما أن الصلاة على الجنازة تختص بالمؤمنين.

وقد استفاض عنه ﷺ في الصحيح أنه قال: ﴿ لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور

---

(١) قال النووي في المجموع شرح المذهب في هذا: " وهذا باطل ليس هو مرويا عن النبي صلى الله عليه وعلى آله  
وسلم ، ولا يعرف في كتاب صحيح ولا ضعيف ، بل وضعه بعض الفجرة " ( ٨ / ٤٨١ ) .

(٢) أثبت الأئمة أن هذين لا يصحان أيضا . فانظر : الفوائد المجموعة للشوكاني (ص ١١٧ ، ١١٨ ) ؛ والمقاصد  
الحسنة (ص ٤٢٧ - ٤٢٨) ؛ وكشف الخفا ( ٢ / ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ) .

(٣) نفس المصدر السابق .

(٤) مسلم الأضاحي (١٩٧٧) ، النسائي الضحايا (٤٤٢٩) ، أبو داود الأشربة (٣٦٩٨) ، أحمد (٣٥٥/٥) .

(٥) الحديث مرّ . انظر : فهرس الأحاديث ، و طرفه : " إني كنت نهيتكم " .

(٦) مسلم الجنائز (٩٧٦) ، النسائي الجنائز (٢٠٣٤) ، أبو داود الجنائز (٣٢٣٤) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز )  
١٥٧٢ ، أحمد (٤٤١/٢) .

(٧) الحديث مرّ . انظر : فهرس الأحاديث .

(٨) في (أ) : لأجل أن تذكر .

أنبيائهم مساجد ﴿<sup>(١)</sup> يحذر ما فعلوا، قالت عائشة: " ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجداً " <sup>(٢)</sup> .

وفي الصحيح أنه ذكر له كنيسة بأرض الحبشة، وذكر من حسنها وتصاوير فيها، فقال: ﴿ أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح <sup>(٣)</sup> بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك التصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة ﴾ وهذه في الصحيح <sup>(٤)</sup> .

وفي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول ﴿ إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمي خليلاً لا اتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك ﴾ <sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup> .

وفي السنن عنه أنه قال: ﴿ لا تتخذوا قبوري عيداً، وصلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني ﴾ <sup>(٧)</sup> <sup>(٨)</sup> وفي الموطأ وغيره عنه ﷺ أنه قال: ﴿ اللهم لا تجعل قبوري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ﴾ <sup>(٩)</sup> <sup>(١)</sup> .

- 
- (١) البخاري الجنائز (١٣٢٤) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣١) ، النسائي المساجد (٧٠٣) ، أحمد (٦/١٢١) ، الدارمي الصلاة (١٤٠٣) .
- (٢) الحديث مرّ . انظر : فهرس الأحاديث .
- (٣) في هامش (ب) : أو العبد الصالح .
- (٤) الحديث مرّ . انظر : فهرس الأحاديث .
- (٥) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٢) .
- (٦) انظر الحديث في فهرس الأحاديث .
- (٧) أبو داود المناسك (٢٠٤٢) ، أحمد (٣٦٧/٢) .
- (٨) الحديث مرّ بمعناه بألفاظ مختلفة ، في (١ / ٣٣٧ - ٣٣٩) ، و(ص ١٧٠) من هذا الجزء .
- (٩) البخاري الصلاة (٤٢٦) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٠) ، النسائي الجنائز (٢٠٤٧) ، أبو داود الجنائز (٣٢٢٧) ، أحمد (٢٤٦/٢) .

وفي المسند، وصحيح أبي حاتم، عن ابن مسعود عنه ﷺ أنه قال: ﴿ إن من شرار الناس من تدر كههم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد ﴾ (٢).

ومعنى هذه الأحاديث متواتر عنه ﷺ - بأبي هو وأمي - وكذلك عن أصحابه. فهذا الذي ينهى (٣) عنه: من اتخذ القبور مساجد، مفارق لما أمر به وشرعه من السلام على الموتى، والدعاء لهم، فالزيارة المشروعة من جنس الثاني (٤). والزيارة المبتدعة من جنس الأول (٥) فإن نهيها عن اتخاذ القبور مساجد يتضمن النهي عن بناء المساجد عليها، وعن قصد الصلاة عندها، وكلاهما منهي عنه باتفاق العلماء، فإنهم قد نهوا عن بناء المساجد على القبور، بل صرحوا بتحريم ذلك، كما دل عليه النص.

واتفقوا أيضا على أنه لا يشرع قصد الصلاة والدعاء عند القبور، ولم يقل أحد من أئمة المسلمين إن الصلاة عندها والدعاء عندها أفضل منه في المساجد الخالية عن القبور، بل (٦) اتفق علماء المسلمين على أن الصلاة والدعاء في المساجد التي لم تبني على القبور، أفضل من الصلاة والدعاء في المساجد التي بنيت على القبور، بل الصلاة والدعاء في هذه منهي عنه مكروه باتفاقهم، وقد (٧) صرح كثير منهم بتحريم ذلك بل (٨) ويأبطل الصلاة فيها، وإن كان في هذا نزاع.

والمقصود هنا: أن هذا ليس بواجب ولا مستحب، باتفاقهم، بل هو (٩) مكروه

(١) انظر الحديث في فهرس الأحاديث .

(٢) مسند أحمد (١ / ٤٠٥ ، ٤٣٥ ، ٤٥٤) في مسند عبد الله بن مسعود .

(٣) في (أ ط) : نهي .

(٤) في (ب ج د) : من جنس الصلاة على الجنازة ، وهي تفسر معنى قوله : (الثاني) وهو : السلام على الموتى والدعاء لهم .

(٥) أي : اتخاذ القبور مساجد .

(٦) في (أ) : بل قد .

(٧) في (ج د) : فقد .

(٨) في (أ) : بل يبطل .

(٩) بل هو مكروه باتفاقهم : ساقطة من (ج د) .

باتفاقهم. والفقهاء قد ذكروا في تعليل كراهة الصلاة في المقبرة علتين:

: نجاسة التراب باختلاطه بصديد الموتى، وهذه علة من يفرق بين القديمة والحديثة، وهذه العلة في صحتها نزاع، لاختلاف العلماء في نجاسة تراب القبور، وهي من مسائل الاستحالة<sup>(١)</sup> وأكثر علماء المسلمين يقولون إن النجاسة تطهر بالاستحالة، وهو مذهب أبي حنيفة وأهل الظاهر<sup>(٢)</sup> وأحد القولين في مذهب مالك وأحمد.

وقد ثبت في الصحيح: أن مسجد النبي ﷺ كان حائطاً لبني النجار، وكان<sup>(٣)</sup> قبوراً من قبور المشركين، ونحلاً وخرباً<sup>(٤)</sup> فأمر النبي ﷺ بالنخيل فقطعت، وبالخرب فسويت، وبالقبور فنبشت<sup>(٥)</sup> وجعل النخل في صف القبلة<sup>(٦)</sup>.

فلو كان<sup>(٧)</sup> تراب قبور المشركين نجساً<sup>(٨)</sup>؛ لأمر النبي ﷺ بنقل ذلك التراب، فإنه لا بد أن يختلط ذلك التراب بغيره، والعلة الثانية ما في ذلك من مشاهدة الكفار بالصلاة عند القبور؛ لما يفضي إليه ذلك من الشرك وهذه العلة صحيحة باتفاقهم.

والمعللون بالأولى، كالشافعي وغيره، عللوا بهذه أيضاً، وكرهوا ذلك لما فيه من الفتنة، وكذلك الأئمة: من أصحاب أحمد ومالك، كأبي بكر الأثرم صاحب أحمد، وغيره وعللوا بهذه الثانية أيضاً، وإن كان منهم من قد يعلل بالأولى.

وقد قال تعالى ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ

(١) الاستحالة هي: تحول الشيء من حقيقة إلى حقيقة أخرى، ومن مادة إلى مادة أخرى كتحويل الأجساد إلى تراب.

(٢) هم: الذين يأخذون بظاهر النصوص في الاستدلال، ولا يقولون بالقياس.

(٣) في المطبوعة: وكان فيه من قبور المشركين ونخل وخرب.

(٤) في (أ ب ط): ونخل وخرب.

(٥) في (أ): فنشرت.

(٦) انظر صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب (٤٨)، حديث رقم (٤٢٧)، (١ / ٥٢٣) من فتح الباري.

وصحيح مسلم، كتاب المساجد، باب ابتناء مسجد النبي، حديث رقم (٥٢٤)، (١ / ٣٧٣).

(٧) زاد في المطبوعة: تراب القبور نجس لكان.

(٨) في المطبوعة زاد: لكان تراب قبور المشركين نجساً. وغير في العبارة الأولى.

وَسَرًّا ﴿٣١﴾ ﴿١﴾ ذكر ابن عباس وغيره من السلف: " أن هذه أسماء قوم صالحين، كانوا في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، وصوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم " قد ذكر هذا البخاري في صحيحه <sup>(٢)</sup> وأهل التفسير: كابن جرير وغيره <sup>(٣)</sup> وأصحاب قصص الأنبياء كوثيمة <sup>(٤)</sup> وغيره.

ويبين صحة هذه العلة أنه ﷺ لعن من يتخذ قبور الأنبياء مساجد، ومعلوم أن قبور الأنبياء لا تنبش ولا يكون تراها نجسا، وقد قال ﷺ عن نفسه: ﴿اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد﴾ <sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup>. وقال: ﴿لا تتخذوا قبري عيداً﴾ <sup>(٧)</sup> <sup>(٨)</sup> فعلم أن نهيه عن ذلك من جنس نهيه عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها؛ لأن الكفار يسجدون للشمس حينئذ، فسد الذريعة، وحسم المادة، بأن لا يصلى في هذه الساعة، وإن كان المصلي لا يصلي إلا لله، ولا يدعو إلا الله <sup>(٩)</sup>. وكذلك نهى عن اتخاذ القبور مساجد، وإن كان المصلي عندها لا يصلي إلا لله، ولا يدعو إلا الله <sup>(١٠)</sup>؛ لئلا يفضي ذلك إلى دعائها

(١) سورة نوح : الآية ٢٣ .

(٢) انظر : صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، تفسير سورة نوح ، باب (١) ، الأثر رقم (٤٩٢٠) (٨ / ٦٦٧) من فتح الباري .

(٣) تفسير ابن جرير (٢٩ / ٦٢) .

(٤) هو : أبو يزيد ، وثيمة بن موسى بن الفرات الوشاء الفارسي الفسوي ، كان يتجر بالوشي ، رحل إلى البصرة ومصر والأندلس ، ثم إلى مصر ، وتوفي بها سنة (٢٣٧هـ) ، وله كتاب في أخبار الردة . انظر : وفيات الأعيان (٦ / ١٢ ، ١٣) ، (ت ٧٦٩) ، وفي المخطوطة (ط) قال : وشيمة وهو خطأ كما تبين كتب التراجم .

(٥) مالك النداء للصلاة (٤١٦) .

(٦) انظر فهرس الأحاديث .

(٧) أبو داود المناسك (٢٠٤٢) ، أحمد (٣٦٧/٢) .

(٨) انظر فهرس الأحاديث .

(٩) ولا يدعو إلا الله : ساقطة من (ج د ط) .

(١٠) ولا يدعو إلا الله : سقطت من المطبوعة .

والصلاة لها (١) .

وكلا الأمرين قد وقع، فإن من الناس من يسجد للشمس وغيرها من الكواكب ويدعو لها بأنواع (٢) الأدعية والتسيّحات (٣) ويلبس لها من اللباس والخواتم ما يظن مناسبتها لها، ويتحرى الأوقات والأمكنة والأبجزة المناسبة لها في زعمه.

وهذا من أعظم أسباب الشرك الذي ضل به كثير من الأولين والآخرين؛ حتى شاع ذلك في كثير ممن ينتسب إلى الإسلام، وصنف فيه بعض المشهورين كتابا سماه: " السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم " (٤) على مذهب المشركين من الهند والصابئة، والمشركين من العرب وغيرهم، مثل طمطم (٥) الهندي، وملكوشا (٦) البابلي (٧) وابن وحشية (٨) وأبي معشر البلخي (٩) وثابت بن قرّة (١٠) وأمثالهم ممن دخل في هذا (١١) الشرك، وآمن بالجبّ والطاغوت، وهم ينتسبون إلى أهل (١٢) الكتاب. كما قال تعالى

(١) في المطبوعة : إلى دعاء المقبورين والصلاة لهم .

(٢) في (ط) : من الأدعية .

(٣) في المطبوعات : والتعزيّجات .

(٤) صنف هذا الكتاب : الفخر الرازي . انظر : (الأعلام) للزركلي (٦ / ٣١٢) . وانظر : تعليق محمد حامد الفقي على المطبوعة (ص ٤٠٥) .

(٥) لم أجد له ترجمة .

(٦) في (أ ط) : مكلوشا .

(٧) لم أجد له ذكرا .

(٨) هو : أحمد بن علي بن المختار بن عبد الكريم بن جرثيا ، الكلداني ، الصوفي ، دجال يدعي السحر والطلاسم . انظر : (الفهرست) لابن النديم (٤٣٣)؛ (والأعلام) للزركلي (١ / ١٧٠ ، ١٧١) .

(٩) هو : جعفر بن محمد البلخي ، من مشاهير علماء الفلك والنجوم ، وله فيها مؤلفات كثيرة ، توفي سنة (٢٤٧) هـ ، وكانت ولادته (٢٠٦هـ) . انظر : (الفهرست) لابن النديم (ص ٣٨٦)؛ (والأعلام) للزركلي (٢ / ١٢٧) .

(١٠) هو : ثابت بن قرّة بن مروان بن ثابت بن كرايا ، ولد سنة (٢٢١ هـ) ، وكان صيرفيا بحارا ، واشتغل بالهندسة والطب وعلم الفلك والنجوم والفلسفة ، وقربه المعتضد ، وهو صابئ مشرك ، توفي سنة (٢٨٨هـ) . انظر : (الفهرست) لابن النديم (ص ٣٨٠)؛ (والأعلام) للزركلي (٢ / ٩٨) .

(١١) هذا : سقطت من (د) .

(١٢) أهل : سقطت من (أ ج د ط) ، وفي المطبوعة : أهل الإسلام .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ (١) وقد قال غير واحد من السلف: "الجبت: السحر، والطاغوت: الأوثان"، وبعضهم قال: "الشیطان" وكلاهما حق (٢).

هؤلاء يجمعون بين الجبت الذي هو السحر (٣) والشرك الذي هو عبادة الطاغوت، كما يجمعون بين السحر ودعوة الكواكب، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام - بل ودين جميع الرسل - أنه شرك محرم، بل هذا من أعظم أنواع الشرك الذي بعث الرسل بالنهي عنه، ومخاطبة إبراهيم الخليل ﷺ لقومه كانت في نحو هذا الشرك.

وكذلك قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٥٢﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيَ ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ ٱلْأَفْلِينَ ﴿٥٣﴾ فَلَمَّا رَأَى ٱلْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَٰذَا رَبِّيَ ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا رَأَى ٱلشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّيَ ۖ هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنفِقُومِ ۖ إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِي لِلذِّى فَطَرَ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٥٥﴾ وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ ۖ قَالَ أَتُحْجُّونِي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۖ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ۚ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٦﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ ۖ عَلَيْكُمْ سُلْطٰنًا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۗ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ۖ إِيمٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوۡلَٰئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۖ نَرْفَعُ دَرَجٰتٍ مِّن نَّشَأِهِ ۗ

(١) سورة النساء: الآيتان ٥١، ٥٢ .

(٢) انظر: تفسير ابن جرير (٥ / ٨٣، ٨٤) .

(٣) في (ط): وبين الشرك .



إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴿١﴾ . فإن إبراهيم عليه السلام سلك هذه السبيل لأن قومه كانوا يتخذون الكواكب أربابا، يدعونها ويسألونها، ولم يكونوا هم ولا أحد من العقلاء يعتقدون<sup>(٢)</sup> أن كوكبا من الكواكب خلق السماوات والأرض، وإنما كانوا يدعونها من دون الله على مذهب هؤلاء المشركين، ولهذا قال الخليل عليه السلام ﴿٣﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وءَابَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴿٣﴾ وقال الخليل ﴿٤﴾ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٧٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿٧٧﴾ ﴿٥﴾ . والخليل صلوات الله عليه، أنكر شركهم بالكواكب<sup>(٦)</sup> العلوية، وشركهم<sup>(٧)</sup> بالأوثان، التي هي تماثيل وطلاسم لتلك<sup>(٨)</sup> أو هي أمثال<sup>(٩)</sup> لمن مات من الأنبياء والصالحين وغيرهم، وكسر<sup>(١٠)</sup> الأصنام، كما قال تعالى عنه: ﴿١١﴾ فَجَعَلَهُمْ جُدُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴿١١﴾ .

والمقصود هنا: أن الشرك<sup>(١٢)</sup> وقع كثيرا، وكذلك الشرك بأهل القبور بمثل<sup>(١٣)</sup>

(١) سورة الأنعام: الآيات ٧٥-٨٣ . وفي المطبوعة: لم يسرد الآيات إنما ذكر أول الآية ٧٥ من سورة الأنعام، ثم قال: إلى قوله: "إن ربك عليم حكيم"، وقد أخطأ في لفظ الآية، والصحيح "حكيم عليم" سورة الأنعام: الآية ٨٣ .

(٢) في (ج د): يعتقدون .

(٣) سورة الشعراء: الآيات ٧٥-٧٧ .

(٤) الخليل: سقطت من (ب) .

(٥) سورة الزخرف: الآيتان ٢٦، ٢٧ .

(٦) في المطبوعة: بعبادة الكواكب .

(٧) في المطبوعة: بعبادة الأوثان .

(٨) في المطبوعة: لتلك الكواكب .

(٩) في المطبوعة: تماثيل .

(١٠) في (أ ط): وذكر الأصنام .

(١١) سورة الأنبياء: الآية ٥٨ .

(١٢) في المطبوعة: أن الشرك بعبادة الكواكب .

(١٣) في المطبوعة: المقبورين من دعائهم .

دعائهم، والتضرع إليهم، والرغبة إليهم، ونحو ذلك.

فإذا كان النبي ﷺ نهي عن الصلاة التي تتضمن (١) الدعاء لله وحده خالصا عند القبور؛ لئلا يفضي ذلك إلى نوع من الشرك برهم، فكيف إذا وجد ما هو نوع (٢) الشرك من الرغبة إليهم، سواء طلب منهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، أو طلب منهم أن يطلبوا ذلك من الله تعالى؟ بل لو أقسم على الله ببعض خلقه من الأنبياء والملائكة وغيرهم؛ لنهي عن ذلك ولو لم يكن عند قبره (٣) كما لا يقسم بمخلوق مطلقا، وهذا القسم منهي عنه، غير منعقد (٤) باتفاق الأئمة.

وهل هو نهي تحريم أو تنزيه؟ على قولين: أصحابهما: أنه نهي تحريم (٥).

ولم يتنازع العلماء إلا في الحلف بالنبي ﷺ خاصة، فإن فيه قولين في مذهب أحمد (٦) وبعض أصحابه، كابن عقيل طرد الخلاف (٧) في الحلف بسائر الأنبياء، لكن القول الذي عليه جمهور الأئمة، كمالك والشافعي وأبي حنيفة وغيرهم: أنه لا ينعقد اليمين بمخلوق البتة، ولا يقسم بمخلوق البتة، وهذا هو الصواب (٨).

والإقسام على الله بنبيه محمد ﷺ مبني على هذا الأصل، ففيه هذا النزاع، وقد نقل عن أحمد في التوسل بالنبي ﷺ في (منسك المروزي) ما يناسب قوله بانعقاد اليمين به، لكن الصحيح أنه لا تنعقد اليمين به. فكذلك هذا (٩).

(١) (أ ط) : تضمن .

(٢) في (أ) : نوع من الشرك .

(٣) في (ب) زاد : يعني الإقسام به .

(٤) في (أ ط) : معتقد .

(٥) انظر : المغني والشرح الكبير ( ١١ / ١٦٢ ، ١٦٤ ، ٢٠٩ )؛ وبداية المجتهد ( ٢ / ٤٩٩ ، ٥٠٠ )؛ ومجموع الفتاوى للمؤلف ( ٣٣ / ٦٢ ، ٦٨ ، ١٢٥ ، ١٢٦ )، و( ٣٥ / ٢٤٣ )، و( ١ / ٢٠٤ ) .

(٦) من هنا حتى قوله : لكن القول (سطر تقريبا) : سقط من (أ ط) .

(٧) في (ب) : طردا للخلاف .

(٨) انظر : المغني والشرح الكبير ( ١١ / ٢٠٩ )؛ ومجموع الفتاوى ( ٣٥ / ٢٤٣ ) .

(٩) في (ب) : زاد : يعني الإقسام . وهو تفسير لمرجع الإشارة .

وأما غيره: فما علمت بين الأئمة <sup>(١)</sup> فيه نزاعاً بل قد صرح العلماء بالنهاي عن ذلك،  
واتفقوا على أن الله يُسأل <sup>(٢)</sup> ويقسم عليه بأسمائه وصفاته، كما يقسم على غيره بذلك،  
كالأدعية المعروفة في السنن: ﴿اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، أنت الله المنان <sup>(٣)</sup> بديع  
السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام﴾ <sup>(٤)</sup>.

وفي الحديث الآخر <sup>(٥)</sup> " <sup>(٦)</sup> ﴿اللهم إني أسألك بأنك أنت <sup>(٧)</sup> الله الأحد الصمد،  
الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد﴾ <sup>(٨)</sup> وفي الحديث الآخر <sup>(٩)</sup> ﴿أسألك  
بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو  
استأثرت به في علم الغيب عندك﴾ <sup>(١٠)</sup> <sup>(١١)</sup> فهذه الأدعية ونحوها مشروعة باتفاق

(١) في (أ) وفي المطبوعة: الأمة .

(٢) في المطبوعة: أن الله تعالى هو الذي يسأل وحده .

(٣) في (أ) : أنت المنان وفي المطبوعة : أنت الله الحنان المنان .

(٤) انظر : سنن ابن ماجه ، كتاب الدعاء ، باب اسم الله الأعظم ، الحديث رقم ( ٣٨٥٨ ) ، ( ٢ / ١٢٦٨ ) ،  
وأخرجه الحاكم في المستدرک ، كتاب الدعاء ، باب اسم الله الأعظم وقال : " هذا حديث صحيح على شرط  
مسلم ولم يخرجاه " ( ١ / ٥٠٤ ) . وأخرجه من طريق أخرى وسكت عنه ( ١ / ٤ ) .

(٥) في (أ) : الأخير .

(٦) في (ب) : أسقط الحديث وذكر الذي بعده .

(٧) أنت : سقطت من (أ) .

(٨) انظر : سنن ابن ماجه ، كتاب الدعاء ، باب اسم الله الأعظم ، الحديث رقم ( ٣٨٥٧ ) ، ( ١ / ١٢٦٧ ) -  
( ١٢٦٨ ) ، وأخرجه الحاكم في المستدرک في الكتاب والباب السابقين ، وقال : " هذا حديث صحيح على  
شرط الشيخين ولم يخرجاه " ، وذكر له شاهداً أيضاً على شرط مسلم ( ١ / ٥٠٤ ) .

(٩) في (أ) : الأخير .

(١٠) أحمد ( ١ / ٣٩١ ) .

(١١) أخرجه أحمد في المسند ( ١ / ٣٩١ ، ٤٥٢ ) في مسند عبد الله بن مسعود ، والحاكم في المستدرک ، كتاب  
الدعاء ، باب دعاء دفع الكرب ، وقال : " هذا حديث صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد  
الرحمن بن عبد الله ، عن أبيه ، فإنه مختلف في سماعه عن أبيه " ( ١ / ٥٠٩ ، ٥١٠ ) .

العلماء. وأما إذا قال: " أسألك بمعاقد <sup>(١)</sup> العز من عرشك " فهذا فيه نزاع، رخص فيه غير واحد لمحيء الأثر به. ونقل عن أبي حنيفة كراهته.

قال أبو الحسين <sup>(٢)</sup> القدوري <sup>(٣)</sup> في ( شرح الكرخي ): قال بشر بن الوليد <sup>(٤)</sup> سمعت أبا يوسف قال: قال أبو حنيفة رحمه الله: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن يقول: بمعقد العز من عرشك، أو بحق خلقك <sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup>. قال أبو يوسف: بمعقد <sup>(٧)</sup> العز من عرشه <sup>(٨)</sup> هو الله، فلا أكره هذا، وأكره: بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت والمشعر الحرام، بهذا الحق يكره.

قالوا جميعاً: فالمسألة بخلقه لا تجوز؛ لأنه لا حق للخلق على الخالق، فلا يجوز أن يسأل بما ليس مستحقاً <sup>(٩)</sup> ولكن معقد <sup>(١٠)</sup> العز من عرشك <sup>(١١)</sup> هل هو سؤال بمخلوق أو خالق؟ فيه نزاع بينهم، فلذلك تنازعوا فيه، وأبو يوسف بلغه الأثر فيه: " أسألك بمعاقد <sup>(١٢)</sup> العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك، وباسمك الأعظم وجدك الأعلى وكلماتك التامة " فجوزته لذلك.

(١) في ( ج د ) : بمعاقد .

(٢) في المطبوعة : أبو الحسن . والصحيح ما أثبتته .

(٣) هو : أحمد بن محمد بن أحمد القدوري ، من أكابر فقهاء الحنفية ، ولد سنة (٣٦٢هـ) ، وكان ثقة صدوقاً ، انتهت إليه رئاسة الحنفية في زمنه ، توفي سنة (٤٢٨هـ) . انظر : الفوائد البهية (ص ٣٠ ، ٣١) ؛ واللباب (٣ / ١٩ ، ٢٠) .

(٤) هو : بشر بن الوليد بن خالد الكندي ، القاضي ، الحنفي ، من أصحاب أبي يوسف ، وكان صالحاً عابداً واسع الفقه ، ثقة . توفي سنة (٢٣٨هـ) . انظر : الفوائد البهية (ص ٥٤ ، ٥٥) ؛ ولسان الميزان (٢ / ٣٥) ، (ت ١٢٠) .

(٥) في (أ) : أو بحق فلان .

(٦) في المطبوعة زاد : وهو قول لأبي يوسف .

(٧) في ( ج د ) : بمعقد .

(٨) في (أ) : من عرشي . وفي (ط) : من عرشك .

(٩) في المطبوعة زاد : عليه .

(١٠) في ( ج د ) : مقعد .

(١١) من هنا حتى قوله : منتهى الرحمة (سطران تقريبا) : ساقطة من (ط) .

(١٢) في ( ج د ) : بمعاقد .

وقد نازع في هذا بعض الناس، وقالوا: في حديث أبي سعيد الذي رواه ابن ماجه عن النبي ﷺ في الدعاء الذي يقوله الخارج إلى الصلاة: ﴿اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي هذا، فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا رياء، ولا سمعة، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تنقذني من النار، وأن تغفر لي﴾ (١) (٢) .

وقد قال تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ (٣) على قراءة حمزة وغيره ممن خفض (الأرحام)، وقالوا: تفسيرها: أي يتساءلون به وبالأرحام، كما يقال: سألتك بالله وبالرحم. ومن زعم من النحاة أنه لا يجوز العطف على الضمير المحرور إلا بإعادة الجار، وإنما قاله لما رأى غالب الكلام بإعادة الجار، وإلا فقد سمع من الكلام العربي - نثره ونظمه - العطف بدون ذلك كما حكى سيبويه: " ما فيها غيره وفرسه " (٤) ولا ضرورة هنا، كما يدعى مثل ذلك في الشعر، ولأنه قد ثبت في الصحيح أن عمر قال: " اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقيننا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا " فيسقون (٥) .

وفي النسائي والترمذي وغيرهما: حديث الأعمى الذي صححه الترمذي وغيرهما: " أنه جاء النبي ﷺ فسأله أن يدعو الله أن يرد بصره فأمره أن يتوضأ فيصلي (٦)

(١) ابن ماجه المساجد والجماعات (٧٧٨) ، أحمد (٢١/٣) .

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب المساجد ، باب المشي إلى الصلاة ، الحديث رقم (٧٧٨) ، (١ / ٢٥٦) ، وكتب المعلق (محمد فؤاد عبد الباقي) : " قال في الزوائد : هذا إسناد مسلسل بالضعفاء ، عطية وهو العوفي وفضيل بن مرزوق ، والفضل بن الموفق ، كلهم ضعفاء . لكن رواه ابن خزيمة في صحيحه من طريق فضيل بن مرزوق ، فهو صحيح عنده " (١ / ٢٥٦) ، وأحمد في المسند (٣ / ٢١) كما أشار المؤلف إلى أن الحديث فيه عطية العوفي وفيه ضعف . انظر : قول المؤلف فيه (٢ / ٣٢٣) .

(٣) سورة النساء : من الآية ١ .

(٤) بعضهم يذكرها عن قطرب : انظر (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك) (ص ٥٠٦) .

(٥) مر ، انظر : فهرس الأحاديث .

(٦) في (ط ب) : ويصلي .

ركعتين ويقول: ﴿اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد، يا  
نبي الله إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضيها<sup>(١)</sup> اللهم فشفعه في<sup>(٢)</sup> ﴿فدعا الله،  
فرد الله<sup>(٣)</sup> عليه بصره.

والجواب عن هذا أن يقال:

أولاً: لا ريب أن الله جعل على نفسه حقاً لعباده المؤمنين، كما قال تعالى ﴿وَكَانَ  
حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿وَمَا قَالَ تَعَالَى﴾ ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾<sup>(٥)</sup>  
وفي الصحيحين: أن النبي ﷺ<sup>(٦)</sup> قال لمعاذ بن جبل وهو رديفه: ﴿يا معاذ، أتدري ما  
حق الله على عباده؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "حقه عليهم أن يعبدوه، ولا يشركوا  
به شيئاً. أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟" قلت: الله ورسوله أعلم.  
قال: "حقهم عليه أن لا يعذبهم﴾<sup>(٧)</sup> ﴿٨﴾ فهذا حق وجب بكلماته التامة ووعدده

(١) كذا في المطبوعة والمخطوطات، وفي الترمذي: "لتقضى لي"؛ وفي ابن ماجه: "لتقضى"؛ وفي المسند: "فتقضى لي".

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب (١١٩)، (٥ / ٥٦٩)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه"، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في صلاة الحاجة، الحديث رقم (١٣٨٥)، (١ / ٤٤١)، ثم قال: "قال أبو إسحاق: هذا حديث صحيح (١ / ٤٤٢)، وأحمد في المسند (٤ / ١٣٨)".

(٣) في (ب ط): فرد عليه بصره.

(٤) سورة الروم: من الآية ٤٧.

(٥) سورة الأنعام: من الآية ٥٤.

(٦) في (أ ط): لما قال لمعاذ.

(٧) البخاري اللباس (٥٦٢٢)، مسلم الإيمان (٣٠)، الترمذي الإيمان (٢٦٤٣)، ابن ماجه الزهد (٤٢٩٦)، أحمد (٢٤٢/٥).

(٨) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب إرداف الرجل خلف الرجل، الحديث رقم (٥٩٦٧)، (١ / ٣٩٧)

- (٣٩٨) فتح الباري، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب (١٠)، (١ / ٥٨، ٥٩)، الحديث رقم (٣٠)

الصادق.

(١) وقد اتفق العلماء على وجوب ما يجب بوعدده الصادق، وتنازعوا: هل يوجب بنفسه على نفسه؟ على قولين. ومن جوز ذلك احتج بقوله سبحانه: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ (٢) ، وبقوله في الحديث (٣) الصحيح: ﴿ إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً ﴾ (٤) (٥) والكلام على هذا مبسوط في موضع آخر.

وأما الإيجاب عليه سبحانه وتعالى، والتحریم بالقياس على خلقه، فهذا قول القدرية (٦) وهو قول مبتدع مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول، وأهل السنة متفقون على أنه سبحانه خالق كل شيء (٧) ومليكه، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن العباد لا يوجبون عليه شيئاً، ولهذا كان من قال من أهل السنة بالوجوب، قال: إنه كتب على نفسه، وحرم على نفسه (٨) لا أن العبد نفسه يستحق على الله شيئاً، كما يكون (٩) للمخلوق على المخلوق؛ فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير فهو الخالق لهم وهو المرسل إليهم الرسل، وهو الميسر لهم الإيمان، والعمل الصالح. ومن توهم من القدرية

(١) من هنا حتى قوله: لا أن العبد نفسه يستحق (تسعة سطور تقريباً) : سقطت من (أ ط) .

(٢) سورة الأنعام آية : ٥٤ .

(٣) في المطبوعة في الحديث القدسي الصحيح .

(٤) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٧٧) ، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٩٥) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٥٧) ، أحمد (١٥٤/٥) ، الدارمي الرقاق (٢٧٨٨) .

(٥) جاء ذلك في الحديث القدسي الذي أخرجه مسلم في كتاب البر ، باب تحريم الظلم ، الحديث رقم (٢٥٧٧) ، (٤ / ١٩٩٤) .

(٦) انظر : (شرح الأصول الخمسة) للقاضي عبد الجبار (ص ١٢٣ ، ٣١٤ - ٣١٧ ، ٣٤٥ ، ٦٤٥ - ٦٤٧) ، والفرق بين الفرق (ص ١١٦) .

(٧) في المطبوعة : وره ومليكه .

(٨) في المطبوعة : كتب على نفسه الرحمة وحرم الظلم على نفسه .

(٩) في (ط) : كما يستحقه المخلوق فإن الله .

---

---

والمعتزلة ونحوهم<sup>(١)</sup> أنهم يستحقون عليه من جنس ما يستحقه الأجير على من استأجره؛ فهو جاهل في ذلك.

وإذا كان كذلك: لم تكن الوسيلة إليه إلا بما من به من فضله وإحسانه، والحق الذي لعباده هو من فضله وإحسانه، ليس من باب المعاوضة، ولا من باب<sup>(٢)</sup> ما أوجبه غيره عليه فإنه سبحانه<sup>(٣)</sup> يتعالى عن ذلك.

وإذا سئل بما جعله سببا للمطلوب من<sup>(٤)</sup> الأعمال الصالحة التي وعد أصحابها بكرامته، وأنه يجعل لهم مخرجا، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون، فيستجيب دعاءهم، ومن أدعية عباده الصالحين، وشفاعة ذوي الوجاهة عنده، فهذا سؤال وتسبب بما جعله هو سببا.

وأما إذا سئل بشيء ليس سببا للمطلوب: فإما أن يكون إقساما عليه به<sup>(٥)</sup> فلا يقسم على الله بمخلوق، وإما أن يكون سؤالا بما لا يقتضي المطلوب فيكون عدم الفائدة، فالأنبياء والمؤمنون لهم حق على الله بوعده الصادق لهم، وبكلماته التامة، ورحمته لهم<sup>(٦)</sup> أن يمنعهم، ولا يعذبهم، وهم وجهاء عنده، يقبل من شفاعتهم ودعائهم، ما لا يقبله من دعاء غيرهم. فإذا قال الداعي أسألك بحق فلان، وفلان لم يدع له، وهو لم يسأله باتباعه لذلك الشخص ومحبته وطاعته، بل بنفس ذاته، وما جعله له ربه من الكرامة، لم يكن قد سأله بسبب يوجب المطلوب.

---

(١) ونحوهم : ساقطة من (ج د ط) .

(٢) في (ب) : ولا مما أوجبه .

(٣) في \_ ب ج د) : سبحانه هو . بزيادة : هو .

(٤) في المطبوعة : من التقوى والأعمال الصالحة .

(٥) في (ط) : ولا .

(٦) في المطبوعة زاد : أن ينصرهم ولا يخذلم .



وحينئذ فيقال: أما التوسل والتوجه إلى الله <sup>(١)</sup> وسؤاله بالأعمال الصالحة التي أمر بها، كدعاء الثلاثة الذين آووا إلى الغار بأعمالهم الصالحة، وبدعاء الأنبياء والصالحين وشفاعتهم <sup>(٢)</sup> فهذا مما لا نزاع فيه، بل هذا من الوسيلة التي أمر الله بها في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ <sup>(٣)</sup> وقوله سبحانه ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ <sup>(٤)</sup> فإن ابتغاء الوسيلة إليه، هو: طلب من يتوسل به، أي يتوصل ويتقرب به إليه سبحانه، سواء كان على وجه العبادة والطاعة وامتنال الأمر، أو كان على وجه السؤال له، والاستعاذة به، رغبة إليه في جلب المنافع ودفع المضار.

ولفظ الدعاء في القرآن يتناول هذا وهذا، الدعاء بمعنى العبادة، أو الدعاء بمعنى المسألة، وإن كان كل منهما يستلزم <sup>(٥)</sup> الآخر، لكن العبد قد تنزل به النازلة فيكون مقصوده <sup>(٦)</sup> طلب حاجته، وتفريج كرباته، فيسعى في ذلك بالسؤال والتضرع، وإن كان ذلك من العبادة والطاعة، ثم يكون في أول الأمر قصده حصول ذلك المطلوب: من الرزق والنصر والعافية مطلقا، ثم الدعاء والتضرع يفتح له من أبواب الإيمان بالله ﷻ ومعرفته ومحبته، والتنعم بذكره ودعائه، ما يكون هو أحب إليه وأعظم قدرا عنده من تلك الحاجة التي همته. وهذا من رحمة الله بعباده، يسوقهم <sup>(٧)</sup> بالحاجات الدنيوية إلى المقاصد العلية الدينية.

(١) في (ط) : ورسوله . هو تحريف من الناسخ .

(٢) قد فصل المؤلف هذه المسألة في كتاب مستقل وهو كتاب : قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة . مطبوع ، فليراجع فإنه مفيدا جدا .

(٣) سورة المائدة : من الآية ٣٥ .

(٤) سورة الإسراء : من الآية ٥٧ .

(٥) في (أ ط ) : مستلزم .

(٦) في (أ) : مقصود .

(٧) في (أ) : يشوقهم .

وقد يفعل العبد ما أمر به ابتداءً لأجل العبادة لله، والطاعة له، ولما عنده من محبته والإجابة إليه، وحشيتته، وامتنال أمره، وإن كان (١) ذلك يتضمن حصول الرزق والنصر والعافية، وقد قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (٢) . وقال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أهل السنن أبو داود وغيره: ﴿ الدعاء هو العبادة ﴾ (٣) ، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (٤) . وقد فسر هذا الحديث مع القرآن بكلا النوعين: " ادعوني " أي اعبدوني وأطيعوا أمري؛ أستجيب دعاءكم. وقيل: سلوني أعطكم، وكلا المعنيين (٥) حق (٦) .

وفي الصحيحين في قول النبي ﷺ في حديث التزول: ﴿ يتزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفري فأغفر له. حتى يطلع الفجر ﴾ (٧) (٨) فذكر أولاً: إجابته الدعاء، ثم ذكر: إعطاء السائل، والمغفرة للمستغفر، فهذا جلب المنفعة، وهذا دفع المضرة، وكلاهما مقصود

(١) كان : سقط من (أ) .

(٢) سورة غافر : من الآية ٦٠ .

(٣) الترمذي تفسير القرآن (٢٩٦٩) ، ابن ماجه الدعاء (٣٨٢٨) .

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب الدعاء ، الحديث رقم (١٤٧٩) ، (٢ / ١٦١)؛ والترمذي في كتاب الدعاء ، باب ما جاء في فضل الدعاء ، الحديث رقم (٣٣٧٢) ، وقال : " هذا حديث صحيح " (٥ / ٤٥٦)؛ وابن ماجه في كتاب الدعاء ، باب فضل الدعاء ، الحديث رقم (٣٨٢٨) ، (٢ / ١٢٥٨) .

(٥) في المطبوعة : النوعين .

(٦) انظر : (فتح القدير) للشوكاني (٤ / ٤٩٨)؛ وتفسير ابن جرير (٢ / ٩٣ ، ٩٤) ، (٢٤ / ٥١ ، ٥٢) .

(٧) البخاري الجمعة (١٠٩٤) ، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٥٨) ، الترمذي الدعوات (٣٤٩٨) ، أبو داود الصلاة (١٣١٥) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٦٦) ، أحمد (٢ / ٢٦٥) ، مالك النداء للصلاة (٤٩٦) ، الدارمي الصلاة (١٤٧٩) .

(٨) صحيح البخاري ، كتاب التهجد ، باب الدعاء والصلاة في آخر الليل ، الحديث رقم (١١٤٥) ، (٣ / ٢٩) من فتح الباري ، وصحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب الترغيب في الدعاء والذكر آخر الليل وحديث رقم (٧٥٨) ، (١ / ٥٢١ - ٥٢٣) .

الداعي المحاب.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۗ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۗ ۝١٨٦﴾

فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴿١﴾ .

وقد روي: أن بعض الصحابة قال: يا رسول الله، ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه؟  
فأنزل الله هذه الآية (٢) فأخبر سبحانه أنه قريب يجب دعوة الداعي إذا دعاه، ثم أمرهم بالاستجابة له وبالإيمان به، كما قال بعضهم: فليستجيبوا لي إذا دعوتهم، وليؤمنوا بي (٣) إني (٤) أجيب دعوتهم. قالوا: وبهذين السببين تحصل إجابة الدعوة: بكمال الطاعة لألوهيته، وبصحة الإيمان بربوبيته، فمن استجاب لربه بامتثال أمره ونهيه؛ حصل مقصوده من الدعاء، وأجيب دعاؤه، كما قال تعالى ﴿ وَاسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ ۝١٨٧﴾ (٥) أي: يستجيب لهم، يقال: استجابه واستجاب له.

فمن دعاه موقنا أن يجيب دعوة الداعي إذا دعاه أجابه، وقد يكون مشركا وفاسقا، فإنه سبحانه هو القائل: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ ۗ ۝١٨٨﴾ (٦) وهو القائل سبحانه: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا ۗ فَلَمَّا جُنَّكُمْ إِلَىٰ الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۗ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ۗ ۝١٨٩﴾ (٧) وهو القائل سبحانه ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن اتَّكُمُ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ اتَّكُمُ السَّاعَةُ أَغَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٠﴾ بَلْ إِلَٰهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٦ .

(٢) ذكره ابن جرير في تفسيره (٢ / ٩٢) بسنده من أكثر من طريق .

(٣) بي : ساقطة من (أ) .

(٤) في المطبوعة : وليؤمنوا بي إذا دعوتهم .

(٥) سورة الشورى : من الآية ٢٦ .

(٦) سورة يونس : الآية ١٢ .

(٧) سورة الإسراء : الآية ٦٧ .

إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿١١﴾ ﴿١﴾ .

ولكن هؤلاء الذين يستجاب لهم لإقرارهم بربوبيته، وأنه يجيب دعاء المضطر، إذا لم يكونوا مخلصين له الدين، في عبادته، ولا مطيعين له ولرسوله، كان ما يعطيهم بدعائهم متاعا في الحياة الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق.

وقال تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا نُمَدُّ هَتُولَاءِ وَهَتُولَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴿٢﴾ .

وقد دعا الخليل عليه الصلاة والسلام بالرزق لأهل الإيمان فقال: ﴿ وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ ﴿٣﴾ . قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ ﴿٤﴾ فليس كل من متعه الله برزق ونصر، إما إجابة لدعائه، وإما بدون ذلك، يكون ممن يحبه الله ويواليه، بل هو سبحانه يرزق المؤمن والكافر، والبر والفاجر، وقد يجيب دعاءهم ويعطيهم سؤلهم في الدنيا، وما لهم في الآخرة من خلاق.

وقد ذكروا أن بعض الكفار من <sup>(٥)</sup> النصرارى حاصروا مدينة للمسلمين فنقد ماؤهم العذب، فطلبوا من المسلمين أن يزودوهم بماء عذب ليرجعوا عنهم، فاشتور <sup>(٦)</sup> ولاة أمر

(١) سورة الأنعام : الآيتان ٤٠ ، ٤١ .

(٢) سورة الإسراء : الآيات ١٨ - ٢٠ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٢٦ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٢٦ .

(٥) في (أ ب) : والنصارى . وفي (ط) : ومن النصرارى .

(٦) أي تشاوروا .

المسلمين، وقالوا: بل ندعهم حتى يضعفهم العطش فنأخذهم، فقام أولئك <sup>(١)</sup> فاستسقوا ودعوا الله فسقاهم، فاضطرب بعض العامة، فقال الملك لبعض العارفين: أدرك الناس فأمر بنصب منبر له وقال: اللهم إنا نعلم أن هؤلاء من الذين تكفلت بأرزاقهم كما قلت في كتابك: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ <sup>(٢)</sup> وقد دعوك مضطرين، وأنت تجيب المضطر إذا دعاك، فأسقيتهم؛ لما تكفلت به من رزقهم، ولما دعوك مضطرين لا لأنك تحبهم، ولا تحب دينهم، والآن فريد أن ترينا آية يثبت بها الإيمان في قلوب عبادك المؤمنين. فأرسل الله عليهم ريحا فأهلكتهم، أو نحو هذا <sup>(٣)</sup>.

ومن هذا الباب: من قد يدعو دعاء يعتدي <sup>(٤)</sup> فيه، إما بطلب ما لا يصلح، أو بالدعاء الذي فيه معصية الله، شرك أو غيره، فإذا حصل بعض غرضه؛ ظن أن ذلك دليل على أن عمله صالح، بمنزلة من أُملي له، وأُمد بالمال والبنين، يظن أن ذلك مسارعة له في الخيرات.

قال تعالى: ﴿ اٰتٰحَسْبُوْنَ اَنْمَآ نُمِدُّهُمۡ بِهٖۤ مِنْ مَّآلٍ وَّبَنِيۡنَ ﴿٥٦﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى الْخَيْرٰتِۙ بَلۡ لَا يَشْعُرُوْنَ ﴿٥٧﴾ ﴾ <sup>(٥)</sup> وقال تعالى ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا۟ بِهٖۤ فَتَحٰنَا عَلَيْهِمۡ اَبْوَابُ كُلِّ شَيْۡءٍ حَتّٰٓىۤ اِذَا فَرِحُوۡا بِمَآ اُوْتُوۡا۟ اَخَذْنٰهُمۡ بِعَتَّةٍۭۙ فَاِذَا هُمۡ مُّبۡلِسُوۡنَ ﴿٥٨﴾ ﴾ <sup>(٦)</sup> وقال تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِيۡنَ كَفَرُوۡۤا اَنْمَآ نُمَلِّىۡ هُمْ خَيْرًاۙ لَّأَنۡفُسِهِمۡۙ اِنۡمَآ نُمَلِّىۡ هُمْ لِيۡزِدَاۡدُوۡا۟ اِنۡمَآ وَهُمْ عٰدَاۡٓؤُۢۙ مُّهِيۡنٌ ﴿٥٩﴾ ﴾ <sup>(٧)</sup> والإملاء: إطالة العمر، وما في ضمنه من رزق ونصر. وقال تعالى: ﴿ فَذَرٰنِيۡ وَمَنْ يُّكۡذِبۡ بِهٰذَا الْحَدِيثِۙ سَنَسْتَدْرِجُهُمۡ مِّنۡ حَيْثُ لَا يَعۡلَمُوۡنَ ﴿٦٠﴾ ﴾ <sup>(٨)</sup> وأُملي

(١) في (ط) : أولئك النصارى .

(٢) سورة هود : من الآية ٦ .

(٣) لم أجد هذه القصة في المصادر التي اطلعت عليها .

(٤) في (ط) : اعتدى .

(٥) سورة المؤمنون : الآيتان ٥٥ ، ٥٦ .

(٦) سورة الأنعام : الآية ٤٤ .

(٧) سورة آل عمران : الآية ١٧٨ .

هُمَّ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٥﴾ . (١)

وهذا باب واسع مبسوط في غير هذا الموضوع:

وقال تعالى: ﴿٤٤﴾ أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ (٢)

والمقصود هنا (٣) أن دعاء الله قد يكون دعاء عبادة لله، فيثاب (٤) العبد عليه في الآخرة، مع ما يحصل له في الدنيا، وقد يكون دعاء مسألة تقضى به حاجته، ثم قد يثاب عليه إذا كان مما يجبه الله، وقد لا يحصل له إلا تلك الحاجة، وقد يكون سببا لضرر دينه، فيعاقب على ما ضيعه من حقوق الله سبحانه وتعداه من حدوده، فالوسيلة التي أمر الله بابتغائها إليه تعم الوسيلة في عبادته وفي مسألته، فالتوسل إليه بالأعمال الصالحة التي أمر بها، وبدعاء (٥) الأنبياء والصالحين وشفاعتهم، ليس هو من باب الإقسام عليه بمخلوقاته.

ومن هذا (٦) الباب: استشفاع الناس بالنبي ﷺ يوم القيامة، فإنهم يطلبون منه أن يشفع لهم إلى الله، كما كانوا في الدنيا يطلبون منه أن يدعو لهم، في الاستسقاء وغيره. وقول عمر رضي الله عنه " إنا كنا إذا أجدبنا (٧) توسلنا إليك بنبينا فتسقيننا، وإنا نتوسل (٨) إليك بعم نبينا " (٩) معناه: نتوسل إليك بدعائه وشفاعته، وسؤاله ونحن نتوسل إليك بدعاء عمه وسؤاله وشفاعته، ليس المراد به أنا نقسم عليك به أو ما يجري هذا المجرى مما يفعله (١٠)

(١) سورة القلم : الآيتان ٤٤ ، ٤٥ .

(٢) سورة الأعراف : الآية ٥٥ .

(٣) هنا : ساقطة من (ط) .

(٤) في (ج د) : يثاب .

(٥) في المطبوعة : وبدعاء أحياء الأنبياء .

(٦) هذا : سقطت من (أ) .

(٧) أجدبنا : سقطت من (أ ط) .

(٨) من هنا قوله : بدعاء عمه (سطر تقريبا) : ساقط من (أ) .

(٩) الأثر مر . انظر : فهرس الأحاديث ، وطرفه هو : " اللهم إنا " .

(١٠) في المطبوعة : مما يفعله المبتدعون .

بعد موته وفي مغيبه، كما يقول بعض الناس: أسألك بجاه فلان عندك<sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup> ويقولون: إنا<sup>(٣)</sup> نتوسل إلى الله بأنبيائه وأوليائه، ويروون حديثا موضوعا: ﴿إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ بِجَاهِي، فَإِنْ جَاهِي عِنْدَ اللَّهِ عَرِيضٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

فإنه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه، كما ذكر عمر رضي الله عنه؛ لفعلوا ذلك به بعد موته، ولم يعدلوا عنه إلى العباس مع علمهم بأن السؤال به والإقسام به<sup>(٥)</sup> أعظم من العباس، فعلم أن ذلك التوسل الذي ذكروه هو مما يفعله الأحياء دون الأموات، وهو التوسل بدعائهم وشفاعتهم، فإن الحي يطلب منه ذلك، والميت لا يطلب منه شيء، لا دعاء، ولا غيره.

وكذلك حديث الأعمى، فإنه طلب من النبي ﷺ أن يدعو له ليرد الله عليه بصره، فعلمه النبي ﷺ دعاء أمره فيه أن يسأل الله قبول شفاعته نبيه فيه، فهذا يدل على أن النبي ﷺ شفع فيه، وأمره أن يسأل الله قبول الشفاعة، وأن قوله: "أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد<sup>(٦)</sup> " أي: بدعائه وشفاعته، كما قال عمر: "كنا نتوسل إليك بنبينا" فلفظ التوسل والتوجه في الحديثين بمعنى واحد، ثم قال: "يا محمد، يا رسول الله، إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي ليقضيها، اللهم فشفعه في<sup>(٧)</sup> فطلب<sup>(٨)</sup> من الله أن يشفع فيه نبيه، وقوله: "يا محمد يا نبي الله" هذا وأمثاله نداء يطلب به استحضر المنادى في

(١) في (ب) : عبدك .

(٢) في (ط) : أو يقولون .

(٣) إنا : ساقطة من (أ ب ط) .

(٤) قال عنه المؤلف في مجموع الفتاوى ، كتاب التوسل والوسيلة (١ / ٣١٩) : " وهذا حديث كذب ، ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث ، ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث " .

(٥) به : سقطت من (أ) .

(٦) في (ب) : زاد : أي بدعاء نبيك . محمد : سقطت من (ب ط) .

(٧) الحديث مر (ص ٣٠٩) من هذا الجزء .

(٨) في (ب) : وطلب .

القلب، فيخاطب الشهود<sup>(١)</sup> بالقلب: كما يقول المصلي: " السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته " والإنسان يفعل مثل هذا كثيرا، يخاطب من يتصوره في نفسه، وإن لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب.

فلفظ التوسل بالشخص، والتوجه به، والسؤال به، فيه إجمال واشتراك، غلط بسببه من لم يفهم مقصود الصحابة، يراد به التسبب به لكونه داعيا وشافعا مثلا، أو لكون الداعي مجيبا له، مطيعا لأمره، مقتديا به، فيكون التسبب: إما لمحبة السائل له واتباعه له، وإما بدعاء الوسيلة وشفاعته، ويراد به الإقسام به والتوسل بذاته، فلا يكون التوسل لا لشيء منه، ولا شيء من السائل<sup>(٢)</sup> بل بذاته<sup>(٣)</sup> أو بمجرد الإقسام به على الله.

فهذا الثاني هو الذي كرهوه ونهوا عنه وكذلك لفظ السؤال بشيء<sup>(٤)</sup> قد يراد به المعنى الأول، وهو التسبب به لكونه سببا في حصول المطلوب، وقد يراد به الإقسام.

ومن الأول: حديث الثلاثة الذين أووا إلى الغار، وهو حديث مشهور في الصحيحين وغيرهما، فإن الصخرة انطبقت عليهم " فقالوا: ليدع كل رجل منكم بأفضل عمله، فقال أحدهم: اللهم إنه كانت لي ابنة عم فأحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء، وإنها طلبت مني مائة دينار، فلما أتيتها بما قالت: يا عبد الله، اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فتركت الذهب وانصرفت، فإن كنت إنما فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا، فانفرجت لهم فرجة رأوا منها السماء.

وقال الآخر: اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق<sup>(٥)</sup> قبلهما أهلا

(١) في (ج د) : المشهود . وفي المطبوعة : لشهوده .

(٢) في (أ) : المسائل .

(٣) في (٩أ) : بل بذاته لمجرد الإقسام .

(٤) بشيء : سقطت من (أ ج د) .

(٥) أغبق : من الغبوق ، وهو الشرب بالعشي ، وتغبق : حلب بالعشي . انظر : القاموس المحيط ، فصل الغين ،

باب القاف ( ٣ / ٢٨٠ ) .



ولا مالا<sup>(١)</sup> فناء بي<sup>(٢)</sup> طلب الشجر يوما، فلم أرح<sup>(٣)</sup> عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا<sup>(٤)</sup> فلبثت والقدح على يدي، أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج<sup>(٥)</sup> عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت الصخرة<sup>(٦)</sup> غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

وقال الثالث: اللهم إني<sup>(٧)</sup> استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم، غير رجل واحد، ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره<sup>(٨)</sup> حتى كثرت منه<sup>(٩)</sup> الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله، أد لي أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك: من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال يا عبد الله، لا تستهزئ بي، فقلت<sup>(١٠)</sup> أنا لا استهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه<sup>(١١)</sup> فلم يترك منه شيئا، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون " (١٢) .

فهؤلاء دعوا الله سبحانه بصالح الأعمال؛ لأن الأعمال الصالحة هي أعظم ما يتوسل

(١) في (ج د) : ولا ولدا بدل : ولا مالا . وفي البخاري أو مالا .

(٢) في (أ) : فناء في طلب المشي . وهو خلط من الناسخ .

(٣) في (ب) : أرح . ومعنى لم أرح : أي لم أرجع بالعشي ، فالروح هو : ما بعد الزوال . مختار الصحاح ، مادة ( ر و ح ) (ص ٢٦٢) .

(٤) في (ج د) : أو ولدا .

(٥) في المطبوعة : فافرج . وفي البخاري : كما أثبتته .

(٦) الصخرة : سقطت من المطبوعة ، ووضع بدلها : عنهم .

(٧) أي : ساقطة من (أ) .

(٨) في المطبوعة : أجرته . وفي البخاري : كما أثبتته .

(٩) في (ب ط) والمطبوعة : منها .

(١٠) فقلت : سقطت من (أ) .

(١١) في (ب) : ولم .

(١٢) صحيح البخاري ، كتاب الإجارة ، باب من استأجر أجيرا فترك أجره . . ، الحديث رقم (٢٢٧٢) ، (٤٤٤٩)فتح

الباري ، ومسند أحمد (١ / ١١٦) ، (٣ / ١٤٢ - ١٤٣) .

به العبد إلى (١) الله تعالى، ويتوجه به إليه ويسأله به؛ لأنه وعد أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات، ويزيدهم من فضله: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (٢) وهؤلاء دعوه بعبادته وفعل ما أمر به، من العمل الصالح، وسؤاله والتضرع إليه. ومن هذا: يذكر عن الفضيل بن عياض (٣) أنه أصابه عسر البول فقال: بحبي (٤) إياك إلا فرجت عني " ففرج عنه (٥) . وكذلك دعاء المرأة المهاجرة التي أحيا الله ابنها لما قالت: " اللهم إني آمنت بك وبرسولك، وهاجرت في سبيلك " (٦) وسألت الله أن يحيي ولدها. وأمثال ذلك.

وهذا كما قال المؤمنون: ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ (٧) رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ (٧) .

فسؤال الله والتوسل إليه بامتنال أمره، واحتساب نهي، وفعل ما يحبه، والعبودية والطاعة، هو من جنس فعل ذلك؛ رجاء لرحمة الله، وخوفا من عذابه، وسؤال الله بأسمائه وصفاته كقوله: ﴿ أسألك بأن لك الحمد أنت الله المنان بديع السماوات والأرض ﴾ (٨) ،

(١) إلى الله : ساقطة من (ط) .

(٢) سورة غافر : من الآية ٦٠ .

(٣) هو : الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي ، الزاهد العابد ، ثقة ، أخرج له البخاري ومسلم وغيرهما ، توفي سنة (١٨٧ هـ) . انظر : وفيات الأعيان (٤ / ٤٧ - ٥٠) ، (ت ٥٣١)؛ وتقريب التهذيب (٢ / ١١٣) ، (ت ٦٧) .

(٤) في (أ ب ط) : لك .

(٥) ذكره أبو نعيم في (حلية الأولياء) بسنده (٨ / ١٠٩) .

(٦) ذكره القاضي عياض في كتاب (الشفاء) عن أنس (١ / ٢٦٨) .

(٧) سورة آل عمران : من الآيتان ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٨) الترمذي الدعوات (٣٥٤٤) ، ابن ماجه الدعاء (٣٨٥٨) ، أحمد (١٢٠/٣) .

و ﴿بأنك أنت الله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد﴾ (١)

(٢) ونحو ذلك يكون من باب التسبب، فإن كون الحمد المنان يقتضي منته على عباده، وإحسانه الذي يحمده عليه.

وكونه (٣) الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد يقتضي (٤) توحيده في صمديته (٥) فيكون هو السيد المقصود، الذي يصمد الناس إليه في كل حوائجهم، المستغني عما سواه، وكل ما سواه مفتقرون إليه (٦) لا غنى بهم عنه، وهذا سبب لقضاء المطلوبات (٧) وقد يتضمن معنى ذلك: الإقسام عليه بأسمائه وصفاته.

وأما قوله في حديث أبي سعيد: ﴿أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي

هذا﴾ (٨) (٩) فهذا الحديث رواه عطية العوفي، وفيه ضعف. لكن بتقدير ثبوته: هو من هذا الباب، فإن حق السائلين عليه سبحانه، أن يجيبهم، وحق المطيعين له أن يشيهم، فالسؤال له، والطاعة سبب لحصول إجابته وإثابته، فهو من التوسل به، والتوجه به، والتسبب به، ولو قدر أنه قسم لكان قسما بما هو من صفاته؛ لأن إجابته وإثابته من أفعاله وأقواله.

فصار هذا كقوله ﷺ في الحديث الصحيح: ﴿أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك

من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على

(١) الترمذي الدعوات (٣٤٧٥) ، ابن ماجه الدعاء (٣٨٥٧) .

(٢) الحديث مر (ص ٣٠٦) من هذا الجزء .

(٣) في (أ) : ولكونه .

(٤) في (أ ط) : يقضي .

(٥) في (ب ج د) : صمدانيته .

(٦) في (أ ط) : وكل مفتقرين إليه .

(٧) في (أ ط) : المطالب . وفي (ب) : المطلوب .

(٨) ابن ماجه المساجد والجماعات (٧٧٨) ، أحمد (٢١/٣) .

(٩) الحديث مر (ص ٣٠٨) من هذا الجزء .

**نفسك** ﴿<sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup> والاستعاذة لا تصح بمخلوق، كما نص عليه الإمام أحمد وغيره من الأئمة، وذلك مما استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق، ولأنه قد ثبت في الصحيح وغيره، عن النبي ﷺ أنه كان يقول ﴿**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**﴾ <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup> قالوا: والاستعاذة لا تكون بمخلوق، فأورد بعض الناس لفظ ( المعافاة ) فقال جمهور أهل السنة: المعافاة من الأفعال، وجمهور المسلمين من أهل السنة وغيرهم يقولون: إن أفعال الله قائمة به، وأن الخالق ليس هو المخلوق، وعلى هذا جمهور أصحاب أحمد <sup>(٥)</sup> والشافعي ومالك، وهو قول أصحاب أبي حنيفة، وقول عامة <sup>(٦)</sup> أهل الحديث، والصوفية، وطوائف من أهل الكلام والفلسفة.

وبهذا يحصل الجواب عما أوردته المعتزلة ونحوهم من الجهمية <sup>(٧)</sup> نقضا. فإن أهل الإثبات، من أهل الحديث وعامة المتكلمة الصفاتية: من الكلابية <sup>(٨)</sup> والأشعرية <sup>(٩)</sup>

(١) مسلم الصلاة (٤٨٦)، الترمذي الدعوات (٣٤٩٣)، النسائي التطبيق (١١٠٠)، أبو داود الصلاة (٨٧٩)، ابن ماجه الدعاء (٣٨٤١)، أحمد (٥٨/٦)، مالك النداء للصلاة (٤٩٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب (٤٢)، الحديث رقم (٤٨٦)، (١ / ٣٥٢) عن عائشة .

(٣) مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٠٨)، الترمذي الدعوات (٣٤٣٧)، ابن ماجه الطب (٣٥٤٧)، أحمد (٤٠٩/٦)، الدارمي الاستئذان (٢٦٨٠).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الذكر، باب (١٦)، الحديث رقم (٢٧٠٨)، (٤ / ٢٠٨٠ - ٢٠٨١).

(٥) في المطبوعة: وهذا قول جمهور أصحاب الشافعي وأحمد ومالك .

(٦) في المطبوعة: أصحاب أهل الحديث .

(٧) الجهمية هم: أتباع الجهم بن صفوان، وهي فرقة معطلة تنكر أسماء الله وصفاته، وتزعم أن الإنسان مجبور على أفعاله، وأن الجنة والنار تفنيان، وأن الإيمان هو المعرفة بالقلب فقط، وغير ذلك من الضلالات . انظر: (الملل والنحل) للشهرستاني، بهامش (الفصل) (١ / ١٢٧ - ١٣٠) .

(٨) الكلابية هم: أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان، والكلابية يثبتون الأسماء والصفات لكن على طريقة أهل الكلام، لذلك يعدهم أهل السنة من متكلمة أهل الإثبات، ويوافقون أهل السنة في كثير من مسائل العقيدة، بل إنهم في مسائل القدر والأسماء والأحكام أقرب إلى أهل السنة من الأشاعرة . انظر: مجموع الفتاوى للمؤلف (٣ / ١٠٣)، (٤ / ١٢، ١٤، ١٤٧، ١٥٦، ١٧٤) .

(٩) الأشعرية هم: أتباع أبي الحسن الأشعري الذين هم على مذهبه - قبل أن يرجع إلى معتقد أهل السنة - وهم في الجملة لا يثبتون من الصفات إلا سبعا، ويؤولون بقية الصفات بتأويلات عقلية بالرغم من ورود النصوص

والكرامية<sup>(١)</sup> وغيرهم، استدلووا على أن كلام الله غير مخلوق، فإن الصفة إذا قامت بمحل؛ عاد حكمها على ذلك المحل لا على غيره، واتصف به ذلك المحل لا غيره، فإذا خلق الله محل علما أو قدرة أو حركة، أو نحو ذلك؛ كان هو العالم به<sup>(٢)</sup> القادر به، المتحرك به، ولم يجوز أن يقال: إن الرب المتحرك بتلك الحركة، ولا هو العالم القادر بالعلم والقدرة المخلوقين، بل بما قام به من العلم والقدرة. قالوا: فلو كان قد خلق كلاما في غيره، كالشجرة التي نادى منها<sup>(٣)</sup> موسى؛ لكانت الشجرة هي المتصفة بذلك الكلام، فتكون الشجرة هي القائلة لموسى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾<sup>(٤)</sup> ولكان ما يخلقه الله من: إنطاق الجلود والأيدي وتسييح الحصى وتأويب الجبال في<sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup> وغير ذلك، كلاما له كالقرآن والتوراة والإنجيل، بل كان كل كلام في الوجود كلامه؛ لأنه خالق كل شيء، وهذا قد التزمه مثل صاحب (الفصوص)<sup>(٧)</sup> وأمثاله من هؤلاء الجهمية الحلولية الاتحادية<sup>(٨)</sup>.

فيها من الكتاب والسنة، كالوجه واليد وغيرهما من الصفات التي ثبتت لله تعالى كما يليق بجلاله، أثبتتها لنفسه في كتابه وفي صحيح سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والأشاعرة يوافقون أهل السنة في غالب أصول الاعتقاد، عدا الصفات وبعض الأمور التي لا يتسع المقام لذكرها، وعلى الرغم من أن أبا الحسن الأشعري رجع إلى معتقد أهل السنة - كما بين في كتاب الإبانة - إلا أن اعتقاده الأول لا يزال متبوعا. انظر:

: (الملل والنحل) بهامش (الفصل) (١ / ١٣٨ - ١٥٨).

(١) الكرامية هم: أتباع محمد بن كرام، والكرامية يعتقدون أن الله تعالى جسم، وأنه تعالى محل للحوادث، وأن له ثقل، وأنه خالق رازق بلا خلق ولا رزق. . إلخ. ولهم في الإيمان قول منكر حيث جعلوا الإيمان قول اللسان وإن كان مع عدم تصديق القلب، فيجعلون المناق مؤمنا. انظر: مجموع الفتاوى للمؤلف (٣ / ١٠٣).  
(٢) وانظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٠٢ - ٢١٤). وانظر: الملل والنحل للشهرستاني (٢ / ١١ - ٢٢) بهامش الفصل لابن حزم.

(٣) من هنا حتى قوله: القادر بالعلم (سطر): سقط من (أ).

(٤) في (أ): فيها. وفي (ط): تحتها.

(٥) سورة طه آية: ١٤.

(٦) (ب): وتأويل. والجبال: ساقطة من (ط).

(٧) تأويب الجبال: تسييحها. انظر: مختار الصحاح، مادة (أ و ب)، (ص ٣٢).

(٨) هو: محي الدين بن عربي، محمد بن علي الطائفي، الأندلسي، فيلسوف، متكلم، ملحد، رأس في الضلالة، من دعاة وحدة الوجود، بل هو قلدوهم، نسأل الله السلامة، توفي سنة ٦٣٨ هـ بدمشق.

فأوردت المعتزلة صفات الأفعال: كالعدل والإحسان، فإنه يقال: إنه عادل محسن بعدل خلقه في غيره، وإحسان خلقه في غيره، فأشكل ذلك على من يقول: ليس لله فعل قائم به، بل فعله هو المفعول المنفصل عنه، وليس خلقه إلا مخلوقه. وأما من طرد القاعدة وقال أيضا: إن الأفعال قائمة به، ولكن المفعولات المخلوقة هي المنفصلة عنه، وفرق بين الخلق والمخلوق، فاطرد دليله واستقام.

والمقصود هنا <sup>(٢)</sup> أن استعادة النبي ﷺ بعفوه ومعافاته من عقوبته، - مع أنه لا يستعاذ بمخلوق - كسؤال الله بإجابته وإثابته، وإن كان لا يسأل بمخلوق. ومن قال من العلماء: لا يسأل إلا به، لا ينافي السؤال بصفاته، كما أن الحلف لا يشرع إلا بالله، كما ثبت في الحديث الصحيح، عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت ﴾ <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup> وفي لفظ للترمذي: ﴿ من حلف بغير الله فقد أشرك ﴾ <sup>(٥)</sup> قال الترمذي: " حديث حسن " <sup>(٦)</sup> ومع هذا، فالحلف <sup>(٧)</sup> بعزة الله، ولعمر الله، ونحو ذلك مما

(١) الحلولية: هم الذين يعتقدون أن الله تعالى بذاته حل في مخلوقاته كما يحل الماء في الإناء، وأنه تعالى بذاته في كل مكان، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. وأما الاتحاد: فهو القول بأن الله تعالى متحد بمخلوقاته وممتزج بها كما يمتزج الماء بالطين، وأن وجود الخالق هو عين وجود المخلوقات، أي أن الوجود واحد. والقول بالحلول والاتحاد مآلها واحد، وهذه عقيدة غلاة الصوفية والفلاسفة، كابن عربي وابن سبعين والحلاج والتلمساني وغيرهم. انظر: مجموع الفتاوى للمؤلف (٢ / ١١١ - ٤٨٠).

(٢) في (أ): هذا.

(٣) البخاري الشهادات (٢٥٣٣)، مسلم الأيمان (١٦٤٦)، الترمذي النذور والأيمان (١٥٣٤)، النسائي الأيمان والنذور (٣٧٦٦)، أبو داود الأيمان والنذور (٣٢٤٩)، ابن ماجه الكفارات (٢٠٩٤)، أحمد (٧/٢)، مالك النذور والأيمان (١٠٣٧)، الدارمي النذور والأيمان (٢٣٤١).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان والنذور، باب لا تحلفوا بأبائكم، الحديث رقم (٦٦٤٦)، (١١ / ٥٣٠) فتح الباري، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله، الحديث رقم (١٦٤٦)، (٣ / ١٢٦٧).

(٥) الترمذي النذور والأيمان (١٥٣٤)، أبو داود الأيمان والنذور (٣٢٥١)، أحمد (٦٩/٢).

(٦) سنن الترمذي، كتاب النذور والأيمان، الحديث رقم (١٥٣٥)، (٤ / ١١٠).

(٧) في (أ): فالحلف به بعزة الله.

ثبت عن النبي ﷺ الحلف به، لم يدخل في الحلف بغير الله؛ لأن لفظ (الغير) قد يراد به المباين المنفصل، ولهذا لم يطلق السلف وسائر الأئمة على القرآن وسائر صفات الله، أنها غيره، ولم يطلقوا عليه أنها ليست غيره؛ لأن لفظ (الغير) فيه إجمال، قد يراد به: (٢) المباين المنفصل؛ فلا يكون صفة الموصوف أو بعضه داخلا في لفظ: الغير. وقد يراد به: ما يمكن تصوره، دون تصور ما هو غير له؛ فيكون غيرا بهذا الاصطلاح.

ولهذا تنازع أهل النظر في مسمى: (الغير) والتزاع في ذلك لفظي، ولكن بسبب ذلك حصلت في مسائل الصفات من الشبهات ما لا ينجلي إلا بمعرفة ما وقع في الألفاظ من الاشتراك والإبهامات، كما قد بسط في غير هذا الموضوع (٣).

ولهذا يفرق بين قول القائل: الصفات غير الذات، وبين قوله: صفات الله غير الله، فإن الثاني باطل؛ لأن مسمى اسم (الله) يدخل فيه صفاته، بخلاف مسمى (الذات) فإنه لا يدخل فيه الصفات، ولهذا لا يقال: صفات الله زائدة عليه سبحانه، وإن قيل: الصفات زائدة على الذات؛ لأن المراد أنها هي زائدة على ما أثبتته المثبتون من الذات المجردة (٤) والله تعالى هو الذات الموصوفة بصفاته اللازمة، فليس اسم الله متناولا لذات مجردة عن الصفات أصلا، ولا يمكن وجود ذلك، ولهذا قال أحمد رحمه الله في مناظرته للجهمية: لا نقول: الله وعلمه، والله وقدرته، والله ونوره، ولكن نقول: الله بعلمه وقدرته ونوره: هو إله واحد (٥).

وقد بسط هذا في غير هذا الموضوع.

وأما قول الناس: أسألك بالله وبالرحم، وقراءة من قرأ: (تساءلون به والأرحام) (٦) فهو من باب التسبب بها، فإن الرحم توجب الصلة، وتقتضي أن يصل الإنسان قرابته،

(١) لفظ: سقطت من (أ).

(٢) من هنا حتى قوله: ما يمكن تصوره (سطر تقريبا): ساقطة من (أ).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى للمؤلف (٦ / ١٨٥ - ٢١٢).

(٤) المجردة: ساقطة من (أ ط).

(٥) انظر: الرد على الجهمية والزندقة، تصحيح إسماعيل الأنصاري، (ص ٤٩).

(٦) أي بخفض (الأرحام) عطفًا على الضمير في (به).

فسؤال السائل بالرحم لغيره، يتوسل إليه بما يوجب صلته: من القرابة التي بينهما، ليس هو من باب الإقسام، ولا من باب التوسل بما لا يقتضي المطلوب، بل هو توسل بما يقتضي المطلوب، كالتوسل<sup>(١)</sup> بدعاء الأنبياء، وبطاعتهم، والصلاة عليهم.

ومن هذا الباب: ما يروى عن عبد الله بن جعفر أنه<sup>(٢)</sup> قال: " كنت إذا سألت علياً عليه السلام شيئاً فلم يعطينه، قلت له: بحق جعفر إلا ما أعطيتني فيعطيني " <sup>(٣)</sup> أو كما قال. فإن بعض الناس ظن أن هذا من باب الإقسام عليه بجعفر، أو من باب قولهم: أسألك بحق أنبيائك، ونحو ذلك وليس كذلك، بل جعفر هو أخو علي، وعبد الله هو ابنه، وله عليه حق الصلة، فصلة عبد الله صلة لأبيه جعفر، كما في الحديث: ﴿ إن من أبر البر أن يصل الرجل<sup>(٤)</sup> أهل ود أبيه بعد أن يولي ﴾<sup>(٥)</sup> وقوله: ﴿ إن من برهما بعد موتهما: الدعاء لهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة رحمك التي لا رحم لك إلا من قبلهما ﴾<sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup>.

ولو كان هذا من الباب الذي ظنوه؛ لكان سؤاله لعلي بحق النبي وإبراهيم الخليل ونحوهما، أولى من سؤاله بحق جعفر، فكان علي إلى تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبته وإجابة السائل به أسرع منه إلى إجابة السائل بغيره. لكن بين المعنيين فرق، فإن السائل بالنبي،

(١) في (ب ج د) : كالتوسل .

(٢) أنه : ساقطة من (ب ج د) .

(٣) وابن جعفر هو : عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما ، ولد بالحبشة ، وله صحبة ، مات سنة ( ٨٠ هـ ) . انظر : تقريب التهذيب ( ١ / ٤٠٦ ) .

(٤) الرجل : ساقطة من (أ) .

(٥) أخرجه مسلم من طرق في كتاب البر والصلة ، باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما ، الحديث رقم ( ٢٥٥٢ ) ، ( ٤ / ١٩٧٩ ) .

(٦) أبو داود الأدب ( ٥١٤٢ ) ، ابن ماجه الأدب ( ٣٦٦٤ ) .

(٧) انظر : سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب في ير الوالدين ، الحديث رقم ( ٥١٤٢ ) ، ( ٥ / ٣٥٢ ) ، وسنن

ابن ماجه ، كتاب الأدب ، باب : صل من كان أبوك يصل ، الحديث رقم ( ٣٦٦٤ ) ، ومسند أحمد ( ٣ /

٤٩٨ ) .



طالب به متسبب به، فإن لم يكن في ذلك السبب <sup>(١)</sup> ما يقتضي حصول مطلوبه، ولا كان يسأل ما به، لكان باطلا <sup>(٢)</sup> .

وإقسام الإنسان على غيره بشيء يكون من باب تعظيم المقسم <sup>(٣)</sup> للمقسم به، وهذا هو الذي جاء به الحديث من الأمر بإبرار القسم، وفي مثل هذا قيل: ﴿ **إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره** ﴾ <sup>(٤)</sup> ، <sup>(٥)</sup> وقد يكون من باب تعظيم المسؤول به. فالأول يشبه ما ذكره الفقهاء في الحلف الذي يقصد به الحض والمنع، والثاني: سؤال للمسؤول بما عنده من محبة المسؤول به وتعظيمه ورعاية حقه.

فإن كان <sup>(٦)</sup> ذلك مما يقتضي حصول مقصود السائل، حسن السؤال، كسؤال الإنسان بالرحم وفي هذا سؤال الله بالأعمال الصالحة، وبدعاء أنبيائه وشفاعتهم. وأما بمجرد <sup>(٧)</sup> الأنبياء والصالحين، ومحبة الله لهم وتعظيمه لهم، ورعايته لحقوقهم التي أنعم الله بها، فليس فيها ما يوجب حصول مقصود السائل إلا بسبب بين السائل وبينهم، إما محبتهم وطاعتهم فيثاب على ذلك، وإما دعاؤهم له فيستجيب الله شفاعتهم فيه.

(١) في (ج) : التسبب .

(٢) في المطبوعة : وإلا كان يسأل ما به باطلا .

(٣) في (أ) : بالقسم .

(٤) البخاري الصلح (٢٥٥٦) ، مسلم الإمارة (١٩٠٣) ، النسائي القسامة (٤٧٥٥) ، أبو داود الديات (٤٥٩٥) ، ابن ماجه الديات (٢٦٤٩) ، أحمد (١٦٧/٣) .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، باب الصلح في الدية ، الحديث رقم (٢٧٠٣) ، (٥ / ٣٠٦) من فتح الباري ، وصحيح مسلم ، كتاب القسامة ، باب إثبات القصاص في الأسنان ، الحديث رقم (١٦٧٥) ، (٣ / ١٣٠٢) .

(٦) كان : سقطت من (أ ب ط) .

(٧) في المطبوعة : وأما بمجرد ذوات الأنبياء .

فالتوسل بالأنبياء والصالحين يكون بأمرين: إما بطاعتهم واتباعهم، وإما بدعائهم وشفاعتهم. فمجرد دعائه بهم من <sup>(٢)</sup> غير طاعة منه لهم، ولا شفاعاة منهم له، فلا ينفعه، وإن عظم جاه أحدهم عند الله تعالى. وقد بسطت هذه المسائل في غير هذا الموضوع <sup>(٣)</sup>.

: أنه إذا كان السلف والأئمة قالوا في سؤاله بالمخلوق ما قد <sup>(٤)</sup> ذكر، فكيف بسؤال المخلوق الميت؟ سواء سئل أن يسأل الله أو سئل قضاء الحاجة، ونحو ذلك، مما يفعله بعض الناس، إما عند قبر الميت، وإما مع غيبته، وصاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم حسم المادة وسد الذريعة، بلعنه من يتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، وأن لا يصلى عندها لله، ولا يسأل إلا الله، وحذر أمته ذلك. فكيف إذا وقع نفس المحذور من الشرك، وأسباب الشرك؟ وقد تقدم الكلام على الصلاة عند القبور، واتخاذها مساجد.

وقد تبين أن أحدا من السلف لم يكن يفعل ذلك، إلا ما نقل عن ابن عمر " أنه كان يتحرى التزول في المواضع التي نزل فيها النبي صلى الله عليه وسلم والصلاة في المواضع التي صلى فيها، حتى إن صلى الله عليه وسلم **توضاً وصب فضل وضوءه في أصل شجرة** . ففعل ابن عمر ذلك " وهذا من ابن عمر تحر لمثل فعله، فإنه قصد أن يفعل مثل فعله، في نزوله وصلاته، وصبه للماء وغير ذلك، لم يقصد ابن عمر الصلاة والدعاء في المواضع التي نزلها.

:

: أن التأسى <sup>(٥)</sup> به في صورة الفعل الذي فعله، من غير أن يعلم قصده فيه، أو مع عدم السبب الذي فعله، فهذا فيه نزاع مشهور، وابن عمر مع طائفة يقولون بأحد

(١) من هنا حتى قوله : وقد بسطت هذه المسألة (ثلاثة أسطر تقريباً) : سقطت من (أ ط) .

(٢) في المطبوعة : أما مجرد دعاء الداعي وتوسله بهم من غير طاعة .

(٣) انظر : كتاب (التوسل والوسيلة) في مجموع الفتاوى للمؤلف (١ / ١٤٣ ، ١٥٤) ، (ص ١٩٩ ، ٢٠٢) .

(٤) قد : سقطت من (أ) .

(٥) في (أ ب ج) : المتأسى .

القولين، وغيرهم يخالفهم<sup>(١)</sup> في ذلك، والغالب والمعروف عن المهاجرين والأنصار أنهم لم يكونوا يفعلون كفعل ابن عمر رضي الله عنهم وليس هذا مما نحن فيه الآن<sup>(٢)</sup> .

ومن هذا الباب: أنه لو تحرى رجل في سفره أن يصلي في مكان نزل فيه النبي ﷺ وصلى فيه، إذا جاء وقت الصلاة؛ فهذا من هذا القبيل.

: أن يتحرى تلك البقعة للصلاة عندها من غير أن يكون ذلك وقتا

للصلاة، بل أراد أن<sup>(٣)</sup> ينشئ الصلاة والدعاء لأجل البقعة، فهذا لم ينقل عن ابن عمر ولا غيره<sup>(٤)</sup> وإن ادعى بعض الناس أن ابن عمر فعله، فقد ثبت عن أبيه عمر أنه فهمى عن ذلك<sup>(٥)</sup> وتواتر عن المهاجرين والأنصار: أنهم لم يكونوا يفعلون ذلك؛ فيمتنع أن يكون فعل ابن عمر - لو فعل ذلك - حجة على أبيه، وعلى المهاجرين والأنصار.

: أن لا تكون تلك البقعة في طريقه، بل يعدل عن طريقه إليها، أو

يسافر إليها سفرا قصيرا أو طويلا، مثل من يذهب إلى حراء ليصلي فيه ويدعو، أو يذهب إلى الطور الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام ليصلي فيه ويدعو، أو يسافر إلى غير هذه الأماكن من الجبال وغير الجبال، التي يقال: فيها مقامات الأنبياء أو غيرهم، أو مشهد مبني على أثر نبي من الأنبياء، مثل ما كان مبني على نعله<sup>(٦)</sup> ومثل ما في<sup>(٧)</sup> جبل قاسيون، وجبل الفتوح<sup>(٨)</sup> وجبل طورزيتا<sup>(٩)</sup> الذي ببيت المقدس، ونحو هذه البقاع. فهذا ما يعلم

(١) في (ب ط د) : يخالفونهم .

(٢) في (أ ب) : نحن الآن فيه .

(٣) في (أ ط) : بل إذا ينشئ . وفي (ب) : بل أراد ينشئ .

(٤) في (أ) : وغيره .

(٥) انظر : (ص ١٤٤) من هذا الجزء .

(٦) قال ياقوت في (معجم البلدان) في تعريف (نعل) : وهي أرض بتهامة واليمن ، وقيل : حصن على جبل شطب ، (٥ /

٢٩٣) . ولعل المقصود نعل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما سيشير إليه المؤلف ص ٣٣٧ من هذا الجزء .

(٧) في (ب) " ما جاء في جبل قاسيون . وهو جبل مشرف على دمشق . معجم البلدان (٤ / ٢٩٥) .

(٨) يظهر أنه جبل بالشام .

كل من كان عالماً بحال رسول الله ﷺ وحال أصحابه من بعده، أنهم لم يكونوا يقصدون شيئاً من هذه الأمكنة، فإن جبل حراء الذي هو أطول جبل بمكة، كانت قريش تنتابه قبل الإسلام وتتعبده هناك، ولهذا قال أبو طالب في شعره:

( )

وقد ثبت في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ﴿ كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي: الرؤيا الصادقة (٣) فكان (٤) لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يأتي غار حراء، فيتحنث فيه - وهو التعبّد - الليالي ذوات العدد، ثم يرجع فيتزود لذلك، حتى فجأه الوحي، وهو بغار حراء، فأتاه الملك، فقال له: اقرأ، فقال: لست بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، ثم قال: اقرأ، فقال: لست بقارئ، قال: مرتين أو ثلاثاً، ثم قال: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ (٥) فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره ﴿ (٦) الحديث بطوله.

فتحنثه وتعبده بغار حراء كان قبل المبعث، ثم إنه لما أكرمه الله بنبوته ورسالته، وفرض

(١) في (ب ج د) وفي المطبوعة: وجبل طور سيناء. وما أثبتته من (أ ط) أرجح؛ لأن طورزيتا هو الذي ببيت المقدس وقريب من المسجد الأقصى، ويقال: إن فيه قبور أنبياء كثيرين. وأما طور سيناء فليس بقريب من بيت المقدس. انظر: معجم البلدان لياقوت (٤ / ٤٧، ٤٨).

(٢) جاء ذلك في قصيدة طويلة يدافع فيها عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ويتوعد فيها قومه ليدعوه، ويخبرهم أنه لن يسلمه حتى يهلك دونه، ومطلعها: ولما رأيت القوم لا ود فيهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل إلى أن قال: وثور ومن أرسى ثبيراً مكانه وراق ليرقى في حراء ونازل إلى آخر القصيدة، تجدها في سيرة ابن هشام (١ / ١٧٦ - ١٨٠)، تحقيق محمد محيي الدين ط (١٣٨٣).

(٣) في (ب د): الصالحة.

(٤) في (ط): وكان.

(٥) سورة العلق آية: ٥.

(٦) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب (٣)، الحديث رقم (٣)، (١ / ٢٢) فتح الباري. وانظر الأحاديث رقم (٣٣٩٢، ٤٩٥٣، ٤٩٥٥، ٤٩٥٦، ٤٩٥٧، ٤٩٨٢) من فتح الباري.

على الخلق الإيمان به وطاعته واتباعه، وأقام بمكة بضع عشرة سنة هو ومن آمن به من المهاجرين الأولين الذين هم أفضل الخلق، ولم يذهب هو ولا أحد من أصحابه <sup>(١)</sup> إلى حراء. ثم هاجر إلى المدينة واعتمر أربع عمر: عمرة الحديبية التي صده فيها المشركون عن البيت - والحديبية عن يمينك وأنت قاصد مكة إذا مررت بالتنعيم، عند المساجد التي يقال: إنها مساجد عائشة، والجبل الذي عن <sup>(٢)</sup> يمينك يقال له: جبل <sup>(٣)</sup> التنعيم، والحديبية غربيه - . ثم إنه اعتمر من العام القابل عمرة القضية، ودخل مكة هو وكثير من أصحابه، وأقاموا بها ثلاثا. ثم لما فتح مكة وذهب إلى ناحية حنين والطائف شرقي مكة، فقاتل هوازن بوادي حنين، ثم حاصر أهل الطائف وقسم غنائم حنين بالجرعانة، فأتى بعمرة من الجرعانة إلى مكة. ثم إنه اعتمر عمرته الرابعة مع حجة الوداع، وحج معه جماهير المسلمين، لم يتخلف عن الحج معه إلا من شاء الله.

وهو في ذلك كله، لا هو ولا أحد من أصحابه يأتي غار حراء، ولا يزوره، ولا شيئا من البقاع التي حول مكة، ولم يكن هناك عبادة إلا بالمسجد الحرام <sup>(٤)</sup> وبين الصفا والمروة، وبمنى والمزدلفة <sup>(٥)</sup> وعرفات، وصلى الظهر والعصر ببطن عرنة، وضربت له القبّة يوم عرفة بنمرة، المجاورة لعرفة.

ثم بعده خلفاؤه الراشدون، وغيرهم من السابقين الأولين، لم يكونوا يسيرون إلى غار حراء ونحوه للصلاة فيه والدعاء.

وكذلك الغار المذكور في القرآن في قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي

الْغَارِ﴾ <sup>(٦)</sup> وهو غار بجبل ثور، يمان <sup>(١)</sup> مكة، لم يشرع لأئمة السفر إليه وزيارته

(١) في (ب) : من الصحابة .

(٢) في (ب د ط) : على .

(٣) جبل : سقطت من (ب ج د) .

(٤) الحرام : سقطت من (ط) .

(٥) في (أ ط) : المزدلفة . بسقوط واو العطف .

(٦) سورة التوبة : من الآية ٤٠ .

والصلاة فيه والدعاء، ولا بنى رسول الله ﷺ بمكة مسجداً، غير المسجد الحرام، بل تلك المساجد كلها محدثة، مسجد المولد وغيره، ولا شرع لأئمة زيارة موضع المولد، ولا زيارة موضع بيعة العقبة الذي خلف منى، وقد بنى هناك له مسجد.

ومعلوم أنه لو كان هذا مشروعاً مستحباً يثيب الله عليه؛ لكان النبي ﷺ أعلم الناس بذلك<sup>(١)</sup> ولكان يعلم أصحابه ذلك، وكان أصحابه أعلم بذلك وأرغب فيه ممن بعدهم، فلما لم يكونوا يلتفتون إلى شيء من ذلك؛ علم أنه من البدع المحدثة، التي لم يكونوا يعدونها عبادة وقربة وطاعة، فمن جعلها عبادة وقربة وطاعة فقد اتبع غير سبيلهم، وشرع من الدين ما لم يأذن به الله.

وإذا كان حكم مقام نبينا ﷺ في مثل غار حراء الذي ابتدئ فيه بالإنباء<sup>(٢)</sup> والإرسال، وأنزل عليه فيه القرآن، مع أنه<sup>(٤)</sup> كان قبل الإسلام يتعبد فيه. وفي مثل الغار المذكور في القرآن الذي أنزل الله فيه سكنته عليه.

فمن المعلوم أن مقامات غيره من الأنبياء أبعد عن أن يشرع قصدها والسفر إليها لصلاة أو دعاء أو نحو ذلك، إذا كانت صحيحة ثابتة. فكيف إذا علم أنها كذب، أو لم يعلم صحتها؟

وهذا كما أنه<sup>(٥)</sup> قد ثبت باتفاق أهل العلم أن النبي ﷺ لما حج البيت لم يستلم من الأركان إلا الركنين اليمانيين، فلم يستلم الركنين الشاميين ولا غيرهما من جوانب البيت، ولا مقام إبراهيم ولا غيره من المشاعر، وأما التقبيل فلم يقبل إلا الحجر الأسود. وقد اختلف في الركن اليماني: فقيل: يقبله. وقيل: يستلمه ويقبل يده، وقيل: لا يقبله ولا يقبل يده. والأقوال الثلاثة مشهورة في مذهب أحمد وغيره.

(١) يمان : أي جهة اليمن من مكة . وهي جنوب مكة .

(٢) في المطبوعة زاد : وأسرعهم إليه .

(٣) في (ب ج د) : والرسالة .

(٤) في (أ ط) : مع كونه كان .

(٥) في (ط) : كما قد ثبت .

والصواب: أنه لا يقبله ولا يقبل يده، فإن النبي ﷺ لم يفعل هذا ولا هذا، كما تنطق به الأحاديث الصحيحة، ثم هذه مسألة نزاع، وأما مسائل الإجماع فلا نزاع بين الأئمة الأربعة ونحوهم من أئمة العلم، أنه لا يقبل الركنين الشاميين، ولا شيئاً من جوانب البيت، فإن النبي ﷺ لم يستلم إلا الركنين اليمانيين، وعلى هذا عامة السلف، وقد روي: ﴿ أن ابن عباس ومعاوية طافا بالبيت، فاستلم معاوية الأركان الأربعة. فقال ابن عباس: إن رسول الله ﷺ لم يستلم إلا الركنين اليمانيين، فقال معاوية: ليس من البيت شيء متروك، فقال ابن عباس: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، فرجع إليه معاوية ﴾ (١) .

وقد اتفق العلماء على ما مضت (٢) به السنة، من أنه لا يشرع الاستلام والتقبيل لمقام إبراهيم الذي ذكره الله تعالى في القرآن، وقال: ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ (٣) . فإذا كان هذا بالسنة المتواترة وباتفاق الأئمة، لا يشرع (٤) تقبيله بالفم، ولا مسحه باليد، فغيره من مقامات الأنبياء أولى أن لا يشرع تقبيلها بالفم، ولا مسحها باليد. وأيضا: فإن المكان الذي كان النبي ﷺ يصلي فيه بالمدينة النبوية دائما، لم يكن أحد من السلف يستلمه ولا يقبله، ولا المواضع التي صلى فيها بمكة وغيرها. فإذا كان الموضع الذي كان يطؤه بقدميه الكريمتين، ويصلي عليه، لم يشرع لأئمة التمسح به ولا تقبيله، فكيف بما يقال: إن غيره صلى فيه أو نام عليه ؟

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الحج ، باب ما جاء في استلام الحجر والركن اليماني دون ما سواهما ، الحديث رقم (٨٥٨) ، (٣ / ٢١٣) ، وقال : " حديث ابن عباس حديث حسن صحيح " ، وقد رواه الترمذي مختصرا ، وأخرجه أحمد في المسند (١ / ٢١٧) ، عن مجاهد عن ابن عباس ، و(١ / ٢٤٦) عن أبي الطفيل؛ وأخرجه البخاري عن أبي الشعثاء مرسلا . انظر : فتح الباري (٣ / ٤٧٣) ، الحديث رقم (١٦٠٨) في كتاب الحج ، باب من لم يستلم إلا الركنين اليمانيين ، وأخرجه عبد الرازق في المصنف موصولا في كتاب الحج ، باب الاستلام في غير طواف ، الحديث رقم (٨٩٤٥) ، (٥ / ٤٥) .

(٢) في (أ) : ما نصرته السنة .

(٣) سورة البقرة : من الآية ١٢٥ .

(٤) في المطبوعة : (تقبيلها) .

وإذا كان هذا ليس بمشروع في موضع قدميه للصلاة، فكيف بالنعل الذي هو موضع قدميه للمشي وغيره؟ هذا إذا كان النعل<sup>(١)</sup> صحيحاً، فكيف بما لا يعلم صحته، أو بما<sup>(٢)</sup> يعلم أنه مكذوب: كحجارة كثيرة يأخذها الكذابون وينحتون فيها موضع قدم، ويزعمون عند الجهال أن هذا الموضع قدم النبي ﷺ وإذا كان هذا غير مشروع في موضع قدميه، وقدمي إبراهيم الخليل، الذي لا شك<sup>(٣)</sup> فيه، ونحن مع هذا قد أمرنا أن نتخذه مصلى، فكيف بما يقال: إنه موضع قدميه، كذبا وافتراء عليه، كالموضع الذي بصخرة بيت المقدس، وغير ذلك من المقامات؟

فإن قيل: قد أمر الله أن نتخذ من مقام إبراهيم مصلى فيقاس عليه غيره.

قيل له: هذا الحكم خاص بمقام إبراهيم الذي بمكة، سواء أريد به المقام عند الكعبة موضع قيام إبراهيم، أو أريد به المشاعر: عرفة ومزدلفة ومعنى، فلا نزاع بين المسلمين أن المشاعر خصت من العبادات<sup>(٤)</sup> بما لم يشركها فيه سائر البقاع، كما خص البيت بالطواف، فما خصت به تلك البقاع لا يقاس بها غيرها، وما لم يشرع فيها فأولى أن لا يشرع في غيرها، ونحن استدللنا على أن ما لم يشرع هناك من التقبيل والاستلام أولى أن لا يشرع في غيرها، ولا يلزم أن يشرع في غير تلك البقاع مثل ما شرع فيها. ومن ذلك القبلة<sup>(٥)</sup> التي عند باب<sup>(٦)</sup> عرفات، التي يقال: إنها قبلة<sup>(٧)</sup> آدم، فإن هذه لا يشرع قصدتها للصلاة والدعاء، باتفاق العلماء، بل نفس رقي الجبل الذي بعرفات الذي

(١) في المطبوعة: النقل . وهو وجيه . لكنه خلاف النسخ المخطوطة .

(٢) في المطبوعة: أو بما لا يعلم أنه مكذوب . وما أثبتته أصح؛ لأن السياق يدل عليه .

(٣) في (ب) : لا يشك . وفي (د) : لا نشك .

(٤) في (ب) : خصت بالعبادة .

(٥) في المطبوعة: البنية .

(٦) في المطبوعة: على جبل عرفات .

(٧) هذه القبلة لا توجد الآن بحمد الله ، وهذا بفضل الله ثم بفضل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب المباركة ، حيث أزيلت بسببها تلك المشاهد .



يقال له: جبل الرحمة، واسمه: إلال<sup>(١)</sup> على وزن هلال، ليس مشروعاً باتفاقهم، وإنما السنة الوقوف بعرفات: إما عند الصخرات حيث وقف النبي ﷺ وإما بسائر عرفات، فإن النبي ﷺ قال: ﴿عرفة كلها موقف وارتفعوا عن بطن عرنة﴾<sup>(٢) (٣)</sup>.

وكذلك سائر المساجد المبنية هناك، كالمساجد المبنية عند الجمرات، وبجنب مسجد الخيف مسجد يقال له: (غار المرسلات) فيه نزلت سورة المرسلات، وفوق الجبل مسجد يقال له (مسجد الكبش) ونحو ذلك. لم يشرع النبي ﷺ قصد شيء من هذه البقاع لصلاة ولا دعاء ولا غير ذلك.

وأما تقبيل شيء من ذلك والتمسح به؛ فالأمر فيه أظهر إذ قد علم العلماء بالاضطرار من دين الإسلام: أن هذا ليس من شريعة رسول الله ﷺ.

وقد ذكر طائفة من المصنفين في المناسك استحباب زيارة مساجد مكة وما حولها، وكنت قد كتبتها في منسك كتبتة قبل أن أحج في أول عمري، لبعض الشيوخ، جمعته من كلام العلماء، ثم تبين لنا أن هذا كله من البدع المحدثّة التي لا أصل لها في الشريعة، وأن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، لم يفعلوا شيئاً من ذلك، وأن أئمة العلم والهدى ينهون عن ذلك، وأن المسجد الحرام هو المسجد الذي<sup>(٤)</sup> شرع لنا قصده للصلاة والدعاء

---

(١) في المطبوعة: الأول. والصحيح ما أثبتته، فقد ذكر في معجم البلدان أن (إلال): اسم جبل بعرفات، أو أنه جبل رمل بعرفات يقوم عليه الإمام، وقيل: عن يمين الإمام. وقيل: إنه هو جبل عرفات نفسه. وهذا ما أوماً إليه المؤلف هنا. معجم البلدان (١ / ٢٤٢، ٢٤٣).

(٢) النسائي مناسك الحج (٣٠١٥).

(٣) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الحج، باب الوقوف بعرفة والمزدلفة، الحديث رقم (١٦٦)، وهو عن مالك، بلغه أن رسول الله صلى عليه وعلى آله وسلم قال: . . . الحديث. ورقم (١٦٧) عن عبد الله بن الزبير، ولم يرفعه، (١ / ٣٨٨). وأخرجه مسلم بغير هذا اللفظ في كتاب الحج، باب أن عرفة كلها موقف، الحديث رقم (١٤٩)، تابع الحديث رقم (١٢١٨)، (٢ / ٨٩٣). وأورده ابن ماجه مرفوعاً عن جابر، عن رسول الله صلى عليه وعلى آله وسلم في كتاب المناسك، باب الموقف بعرفات، الحديث رقم (٣٠١٢)، (٢ / ١٠٠٢).

(٤) الذي: سقطت من (د).

---

---

والطواف، وغير ذلك من العبادات، ولم يشرع لنا قصد مسجد بعينه بمكة سواه، ولا يصلح أن يجعل هناك مسجد يزاحمه في شيء من الأحكام، وما يفعله الرجل في مسجد من تلك المساجد، من دعاء وصلاة وغير ذلك، إذا فعله في المسجد الحرام كان خيرا له؛ بل هذا سنة مشروعة، وأما قصد مسجد<sup>(١)</sup> غيره هناك تحريا لفضله، فبدعة غير مشروعة.

---

(١) مسجد : سقطت من (ج د) .

وأصل هذا: أن المساجد التي تشد إليها الرحال، هي المساجد الثلاثة، كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ في حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: ﴿ لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا ﴾<sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup> وقد روي هذا من وجوه أخرى، وهو حديث ثابت عن النبي ﷺ باتفاق أهل العلم، فتلقني بالقبول عنه.

فالسفر إلى هذه المساجد الثلاثة للصلاة فيها والدعاء والذكر والقراءة والاعتكاف، من الأعمال الصالحة. وما سوى هذه المساجد لا يشرع السفر إليه باتفاق أهل العلم، حتى مسجد قباء يستحب قصده من المكان القريب كالمدينة، ولا يشرع شد الرحال إليه، فإن في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ﴿ كان النبي ﷺ يأتي مسجد <sup>(٣)</sup> قباء كل سبت ماشيا وراكبا ﴾<sup>(٤)</sup> وكان ابن عمر يفعله. وفي لفظ لمسلم: ﴿ فيصلي فيه ركعتين ﴾<sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup> وذكره البخاري بغير إسناد <sup>(٧)</sup>.

وذلك أن الله تعالى نهاه عن القيام في مسجد الضرار فقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا

(١) البخاري الجمعة (١١٣٢)، مسلم الحج (١٣٩٧)، النسائي المساجد (٧٠٠)، أبو داود المناسك (٢٠٣٣)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٤٠٩)، أحمد (٢٣٤/٢)، الدارمي الصلاة (١٤٢١).

(٢) مر تخریج الحديث، انظر: فهرس الأحاديث.

(٣) في (ب): يأتي قباء.

(٤) صحيح البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب من أتى مسجد قباء كل سبت، الحديث رقم (١١٩٣)، (٣ / ٦٩) من فتح الباري، وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل مسجد قباء، الحديث رقم (١٣٩٩)، (٢ / ١٠١٦، ١٠١٧).

(٥) البخاري الجمعة (١١٣٦)، مسلم الحج (١٣٩٩)، أبو داود المناسك (٢٠٤٠)، أحمد (١١٩/٢).

(٦) صحيح مسلم، الباب والكتاب والحديث السابقين (٢ / ١٠١٦).

(٧) انظر: فتح الباري (٣ / ٦٩)، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب (٤)، تابع الحديث رقم (١١٩٤).

مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ  
 وَلِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ  
 أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ مُّحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ  
 الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ أُسِّسَ بُيُوتُهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُيُوتُهُ  
 عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانَهَارٍ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ لَا يَزَالُ  
 بُيُوتُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴿١﴾ .

وكان مسجد الضرار قد بني لأبي عامر الفاسق، الذي كان يقال له: أبو عامر  
 الراهب، وكان قد تنصر في الجاهلية، وكان المشركون يعظمونه، فلما جاء الإسلام حصل  
 له من الحسد ما أوجب مخالفته للنبي ﷺ (٢) فقام طائفة من المنافقين بينون هذا المسجد،  
 وقصدوا أن يبنوه لأبي عامر هذا، والقصة مشهورة في ذلك (٣) فلم يبنوه لأجل فعل ما أمر  
 الله به ورسوله، بل لغير ذلك.

فدخل في معنى ذلك: من بني أبنية يضاهاى بها مساجد المسلمين لغير العبادات  
 المشروعة، من المشاهد وغيرها، لا سيما إذا كان فيها من الضرار والكفر والتفريق بين  
 المؤمنين، والإرصاد لأهل النفاق والبدع المحادين لله ورسوله، ما يقوى بها شبهها،  
 كمسجد (٤) الضرار، فلما قال الله تعالى لنبىه ﷺ ﴿ لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ  
 يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾ (٥) وكان مسجد قباء أسس على التقوى، ومسجده أعظم في  
 تأسيسه على التقوى من مسجد قباء، كما ثبت في الصحيح عنه: أنه سئل عن المسجد

(١) سورة التوبة: الآيات ١٠٧ - ١١٠ .

(٢) في المطبوعة زاد: وفراره إلى الكافرين .

(٣) انظر: البداية والنهاية (٥ / ٢١)؛ وتفسير ابن جرير (١١ / ١٧ - ٢٠) .

(٤) في (د) : لمسجد .

(٥) في (د) : لمسجد .

الذي أسس على التقوى فقال: ﴿ مسجدي هذا ﴾<sup>(١)</sup> فكلما المسجدين أسس على التقوى، ولكن اختص<sup>(٢)</sup> مسجده بأنه أكمل في هذا الوصف من غيره، فكان يقوم في مسجده يوم الجمعة، ويأتي مسجد قباء<sup>(٣)</sup> يوم السبت.

وفي السنن عن أسيد بن ظهير<sup>(٤)</sup> الأنصاري رضي الله عنه عن النبي صلوات الله عليه قال: ﴿ الصلاة في مسجد قباء كعمرة ﴾<sup>(٥)</sup> رواه ابن ماجه، والترمذي وقال: " حديث حسن غريب " <sup>(٦)</sup>

وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه<sup>(٧)</sup> قال: قال رسول الله صلوات الله عليه ﴿ من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء، فصلى فيه صلاة، كان له كأجر عمرة ﴾<sup>(٨)</sup> رواه أحمد والنسائي وابن

(١) انظر: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب بيان أن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد النبي، الحديث رقم (١٣٩٨)، (٢ / ١٠١٥).

(٢) في (ج د): مسجده اختص.

(٣) من هنا حتى قوله: كعمرة (سطرا تقريبا): سقط من (ج د).

(٤) في المطبوعة: أسيد بن حضير. وهو خطأ، فهو كما أثبتته في النسخ المخطوطة والترمذي وأحمد وابن ماجه وغيرهم، وهو: أسيد بن ظهير بن رافع الأنصاري، صحابي، أخو عباد بن بشر لأمه، توفي في خلافة مروان. انظر: تهذيب التهذيب (١ / ٣٤٩)، (ت ٦٣٥).

(٥) الترمذي الصلاة (٣٢٤)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٤١١).

(٦) سنن الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء، الحديث رقم (٣٢٤)، (٢ / ١٤٥)، (١٤٦)، وقال أبو عيسى الترمذي: " حديث أسيد حديث حسن غريب، ولا نعرف لأسيد بن ظهير شيئا يصح غير هذا الحديث، ولا نعرفه إلا من حديث أبي أسامة عن عبد الحميد بن جعفر "، وأخرجه الحاكم في المستدرک (١ / ٤٨٧)، وقال: " صحيح الإسناد " وأخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة في مسجد قباء، الحديث رقم (١٤١١)، (١ / ٤٥٢).

(٧) هو: سهل بن جعفر بن واهب الأنصاري الأوسي، صحابي جليل، من أهل بدر استخلفه علي على البصرة، ومات في خلافته. انظر: تقريب التقريب (١ / ٣٣٦).

(٨) النسائي المساجد (٦٩٩)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٤١٢)، أحمد (٤٨٧/٣).

ماجه (١) . قال بعض العلماء: قوله: " من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء " تنبيه على أنه لا يشرع قصده بشد الرحال، بل إنما يأتيه الرجل من بيته الذي يصلح أن يتطهر (٢) فيه، ثم يأتيه فيقصده (٣) كما يقصد الرجل مسجد مصره دون المساجد التي يسافر إليها. وأما المساجد الثلاثة: فاتفق العلماء على استحباب إتيانها للصلاة ونحوها، ولكن لو نذر ذلك، هل يجب بالنذر؟ فيه قولان للعلماء:

(٤) : أنه لا يجب بالنذر إلا إتيان المسجد الحرام خاصة، وهذا أحد قولي الشافعي، وهو مذهب أبي حنيفة، وبناء على أصله في أنه لا يجب بالنذر إلا ما كان من جنسه واجب بالشرع.

: وهو مذهب مالك (٥) وأحمد وغيرهما (٦) أنه يجب إتيان المساجد الثلاثة بالنذر، لكن إن أتى الفاضل أغناه عن إتيان المفضول، فإذا نذر إتيان مسجد المدينة، ومسجد إيلياء؛ أغناه إتيان المسجد الحرام. وإن نذر إتيان مسجد إيلياء؛ أغناه إتيان أحد مسجدي الحرمين.

وذلك أنه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه ﴾ (٧) (١) وهذا يعم كل طاعة، سواء كان جنسها واجبا،

(١) مسند أحمد (٣ / ٤٨٧) ، وسنن ابن ماجه أيضا ، الكتاب والباب السابقين ، الحديث رقم (١٤١٢) ، الجزء ١ ، وسنن النسائي (٢ / ٣٧) في فضل مسجد قباء والصلاة فيه وإسناده صحيح .

(٢) في (ط) : يطهر .

(٣) في (أ) : يقصد .

(٤) في (ب) : أحدها .

(٥) مالك : سقطت من (أ ط) .

(٦) في (أ ط) : وغيره .

(٧) البخاري الأيمان والنذور (٦٣١٨) ، الترمذي النذور والأيمان (١٥٢٦) ، النسائي الأيمان والنذور (٣٨٠٧) ، أبو داود الأيمان والنذور (٣٢٨٩) ، ابن ماجه الكفارات (٢١٢٦) ، أحمد (٣٦/٦) ، مالك النذور والأيمان (١٠٣١) ، الدارمي النذور والأيمان (٢٣٣٨) .

أو لم يكن. <sup>(٢)</sup> وإتيان الأفضل إجراء <sup>(٣)</sup> للحديث الوارد في ذلك. وليس هذا موضع تفصيل هذه المسائل، بل المقصود: أنه لا يشرع السفر <sup>(٤)</sup> إلى مسجد غير الثلاثة، ولو نذر ذلك؛ لم يجب عليه <sup>(٥)</sup> فعله بالنذر باتفاق الأئمة. وهل عليه كفارة يمين؟ على قولين مشهورين. وليس بالمدينة مسجد يشرع إتيانه إلا مسجد قباء، وأما سائر المساجد فلها حكم المساجد <sup>(٦)</sup> ولم يخصها النبي ﷺ بإتيان، ولهذا كان الفقهاء من أهل المدينة لا يقصدون شيئاً من تلك الأماكن، إلا قباء خاصة.

وفي المسند عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: ﴿ أن النبي ﷺ دعا في مسجد الفتح ثلاثاً: يوم الاثنين، ويوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء، فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين، فعرف البشر في وجهه ﴾ <sup>(٧)</sup>. قال جابر: فلم يتزل بي أمر مهم غليظ، إلا توخيت تلك الساعة فأدعو فيها، فأعرف الإجابة " <sup>(٨)</sup> وفي إسناد هذا الحديث: كثير بن زيد <sup>(٩)</sup> وفيه كلام، يوثقه ابن معين تارة، ويضعفه أخرى. وهذا الحديث يعمل به طائفة من أصحابنا وغيرهم، فيتحررون الدعاء في هذا، كما

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب فيما لا يملك وفي معصية، الحديث رقم (٦٧٠٠)، (١١ / ٥٨٥) فتح الباري.

(٢) من هنا حتى قوله: وليس هذا موضوع (سطر تقريباً): سقط من (ج د).

(٣) في (أ ب): آخر.

(٤) السفر: سقطت من (ط).

(٥) عليه: سقطت من (د).

(٦) في المطبوعة زاد: العامة.

(٧) أحمد (٣/٣٣٢).

(٨) مسند أحمد (٣ / ٣٣٢) وقد تكلم المؤلف عن إسناده.

(٩) في (ج د): بن يزيد. والصحيح: بن زيد، وهو: كثير بن زيد الأسلمي، ثم السهمي - مولا هم - أبو

محمد المدني، يقال له: ابن صافنة، وهي أمه، صدوق فيه لين، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال أبو حاتم

: صالح ليس بالقوي، وضعفه النسائي، توفي سنة (١٥٨ هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٨ / ٤١٣، ٤١٥،

(ت ٧٤٣).

نقل عن جابر. ولم ينقل عن جابر رضي الله عنه أنه تحرى الدعاء في المكان، بل تحرى الزمان، فإذا كان هذا في المساجد التي صلى فيها النبي ﷺ <sup>(١)</sup> وبنيت بإذنه، ليس فيها ما يشرع قصده بخصوصه من غير سفر إليه، إلا مسجد قباء؛ فكيف بما سواها؟

( )

وأما المسجد الأقصى: فهو أحد المساجد الثلاثة، التي تشد إليها الرحال، وكان المسلمون لما فتحوا بيت المقدس على عهد عمر بن الخطاب - حين جاء عمر <sup>(٣)</sup> إليهم، فسلم النصارى إليه البلد <sup>(٤)</sup> - دخل إليه فوجد على الصخرة زبالة عظيمة جدا، كانت النصارى قد ألقته عليها <sup>(٥)</sup> معاندة لليهود الذين يعظمون الصخرة، ويصلون إليها، فأخذ عمر في ثوبه <sup>(٦)</sup> منها، واتبعه المسلمون في ذلك.

ويقال: إنه سخر لها الأنباط <sup>(٧)</sup> حتى نظفها، ثم قال لكعب الأحبار <sup>(٨)</sup> " أين ترى أن <sup>(٩)</sup> أبني مصلى المسلمين؟ فقال: ابنه <sup>(١٠)</sup> خلف الصخرة، قال: يا ابن اليهودية، خالطتك يهودية - أو كما قال -: بل <sup>(١١)</sup> أبنيه في صدر المسجد، فإن لنا صدور المساجد. فبنى مصلى

(١) في (ط) : رسول الله .

(٢) فصل : ساقطة من (أ ج د) .

(٣) في (أ) : إليهم عمر .

(٤) في (ج د) : البلدة .

(٥) في (أ) : عليه .

(٦) في (ج د) : منها في ثوبه .

(٧) الأنباط : قبائل بدوية تسكن شرق الأردن ، وكانت لهم دولة قديما ، وعاصمتهم البتراء ، ولغتهم العربية .

انظر : الموسوعة العربية الميسرة (ص ٢٣١ ، ٢٣٢) .

(٨) في (ب د ط) : الحبر .

(٩) أن : سقطت من (أ) .

(١٠) في (ب) : أبنية .

(١١) في المطبوعة : فقال عمر : أبنيه في المسجد . . إلخ . أي : بزيادة : (فقال عمر ) ، وسقوط : (بل ) و(صدر)



المسلمين في قبلي المسجد " (١) .

وهو الذي يسميه كثير من العامة اليوم: الأقصى. والأقصى: اسم للمسجد كله، ولا يسمى هو ولا غيره حرما، وإنما الحرم بمكة والمدينة خاصة.

وفي وادي " وج " (٢) -الذي بالطائف- نزاع بين العلماء.

فبنى عمر المصلى الذي هو في القبلة، ويقال: إن تحته درجا كان يصعد منها إلى ما أمام (٣) الأقصى، فبناه على الدرج حيث لم يصل أهل الكتاب، ولم يصل عمر ولا المسلمون عند الصخرة، ولا تمسحوا بها، ولا قبلوها، بل يقال: إن عمر صلى عند محراب داود عليه السلام الخارج.

وقد ثبت أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: كان إذا أتى بيت المقدس دخل إليه، وصلى فيه، ولا يقرب الصخرة ولا يأتيها، ولا يقرب شيئا من تلك البقاع، وكذلك نقل عن غير واحد من السلف المعترين، كعمر بن عبد العزيز، والأوزاعي، وسفيان (٤) الثوري، وغيرهم.

وذلك أن سائر بقاع المسجد لا مزية لبعضها عن بعض، إلا ما بنى عمر رضي الله عنه لمصلى المسلمين.

وإذا كان المسجد الحرام، ومسجد المدينة، اللذان هما أفضل من المسجد الأقصى بالإجماع، فأحدهما قد ثبت في الصحيح عنه صلوات الله عليه أنه قال: ﴿ صلاة في مسجدي هذا خير

من ألف (٥) صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ﴾ (٦) والآخر هو المسجد الذي أوجب الله حجه والطواف فيه، وجعله قبلة لعباده المؤمنين. ومع هذا، فليس فيهما يقبل بالفم ولا

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٧ / ٥٨) ، فقد ساق القصة .

(٢) انظر: (معجم البلدان) لياقوت (٥ / ٣٦١) ، حيث ذكر أنه الطائف .

(٣) في المطبوعة: إلى أمام ، وفي (ط): إلى ما وراء .

(٤) في (ب ج) : والثوري .

(٥) في (أ ط) : خير من الصلاة فيما سواه .

(٦) الحديث مر تخريجه . انظر: فهرس الأحاديث .

يستلم باليد، إلا ما جعله الله في الأرض بمرتلة اليمين وهو الحجر الأسود، فكيف يكون في المسجد الأقصى<sup>(١)</sup> ما يستلم أو يقبل؟

وكانت الصخرة مكشوفة، ولم يكن<sup>(٢)</sup> أحد من الصحابة، لا ولاهم<sup>(٣)</sup> ولا علماءهم يخصصها<sup>(٤)</sup> بعبادة، وكانت مكشوفة في خلافة عمر وعثمان رضي الله عنهما، مع حكمهما على الشام. وكذلك في خلافة علي رضي الله عنه وإن كان لم يحكم عليها ثم كذلك في إمارة معاوية، وابنه، وابن ابنه.

فلما كان في زمن عبد الملك وجرى بينه وبين ابن الزبير<sup>(٥)</sup> من الفتنة ما جرى، كان هو الذي بنى القبّة على الصخرة، وقد قيل: إن الناس كانوا يقصدون الحج فيجتمعون بابن الزبير، أو يقصدونه بحجة الحج، فعظم عبد الملك شأن الصخرة، بما بناه عليها من القبّة، وجعل عليها من الكسوة في الشتاء والصيف، ليكثر قصد الناس للبيت<sup>(٦)</sup> المقدس، فيشتغلوا بذلك عن قصد ابن الزبير، (والناس على دين الملك).

وظهر من ذلك الوقت من تعظيم الصخرة وبيت المقدس ما لم يكن المسلمون يعرفونه بمثل هذا، وجاء بعض الناس ينقل الإسرائيليات في تعظيمها، حتى روى بعضهم عن كعب الأحبار، عند عبد الملك بن مروان، وعروة بن الزبير حاضر: "إن الله قال للصخرة: أنت عرشي الأدنى"، فقال عروة: "يقول الله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾<sup>(٧)</sup> وأنت تقول: إن الصخرة عرشه؟" <sup>(١)</sup> وأمثال هذا.

(١) الأقصى : ساقطة من (ط) .

(٢) في (ط) : ولك يعتز بها أحد من الصحابة .

(٣) لا ولاهم : ساقطة من (ج د) .

(٤) في (ب) : يخصصها .

(٥) هو عبد الله بن الزبير بن العوام ، ولد عام الهجرة ، وهو أحد العباد ، ويعد من شجعان الصحابة ، بويع له بالخلافة سنة (٦٤هـ) عقب موت يزيد بن معاوية ، ومكث خليفة في الحجاز حتى قتله الحجاج بمكة سنة (٧٣هـ) . انظر : الإصابة (٢ / ٣٠٩ - ٣١١) ، (ت ٤٦٨٢) .

(٦) في (ب) : لبيت المقدس .

(٧) سورة البقرة : من الآية ٢٥٥ .

وأنت تقول: إن الصخرة عرشه ؟ " (١) وأمثال هذا.

ولا ريب أن الخلفاء الراشدين (٢) لم يبنوا هذه القبّة، ولا كان الصحابة يعظمون الصخرة، ولا يتحرون الصلاة عندها، حتى ابن عمر رضي الله عنهما مع كونه (٣) كان يأتي من الحجاز إلى المسجد الأقصى، كان لا يأتي الصخرة؛ وذلك أنّها كانت قبلة، ثم نسخت. وهي قبلة (٤) اليهود، فلم يبق في شريعتنا ما يوجب تخصيصها بحكم، كما ليس في شريعتنا ما يوجب تخصيص يوم السبت.

وفي تخصيصها بالتعظيم مشاهمة لليهود، وقد تقدم كلام العلماء في يوم السبت وعاشوراء ونحو ذلك.

وقد ذكر طائفة من متأخري الفقهاء، من أصحابنا وغيرهم: أن اليمين تغلظ بيت المقدس، بالتحليف (٥) عند الصخرة، كما تغلظ في المسجد الحرام، بالتحليف بين الركن (٦) والمقام، وكما تغلظ في مسجده (٧) ﷺ بالتحليف عند قبره، ولكن ليس لهذا أصل في كلام أحمد ونحوه من الأئمة، بل السنة أن تغلظ اليمين فيها كما تغلظ في سائر المساجد عند المنبر، ولا تغلظ اليمين بالتحليف عند ما لم يشرع للمسلمين تعظيمه، كما لا تغلظ بالتحليف عند المشاهد ومقامات الأنبياء، ونحو ذلك. ومن فعل ذلك فهو مبتدع ضال، مخالف للشريعة.

وقد صنف طائفة من الناس مصنفات من فضائل بيت المقدس، وغيره من البقاع التي بالشام، وذكروا فيها من الآثار المنقولة عن أهل الكتاب، وعمن أخذ عنهم ما لا يحل

(١) انظر : (المنار المنيف) لابن القيم (ص ٨٦) .

(٢) في (ط) : الراشدون ، والصحيح (الراشدين) لأنها صفة للخلفاء اسم أن .

(٣) مع كونه : ساقطة من (أ) .

(٤) في (أ) : لليهود .

(٥) بالتحليف : سقطت من (ب) .

(٦) في (ب) : بين الركنين .

(٧) في (ب ج) : في مسجد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

للمسلمين أن يبنوا عليه دينهم.

وأمثل من ينقل عنه تلك الإسرائيليات: كعب الأخبار، وكان الشاميون قد أخذوا عنه كثيرا من الإسرائيليات، وقد قال معاوية رضي الله عنه " ما رأينا من هؤلاء المحدثين عن أهل الكتاب أمثل من كعب، وإن كنا لنبلو عليه الكذب أحيانا " (١) .

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ﴿ إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، فيما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه، وإما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه ﴾ (٢) .

ومن العجب أن هذه الشريعة المحفوظة المحروسة مع هذه الأمة المعصومة التي لا تجتمع (٣) على ضلالة: إذا حدث بعض (٤) أعيان التابعين عن النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحديث - كعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، وأبي العالية، ونحوهم؛ وهم من خيار علماء المسلمين، وأكابر أئمة الدين - توقف أهل العلم في مراسيلهم، فمنهم من يرد المراسيل مطلقا، ومنهم من يتقبلها بشروط، ومنهم من يميز بين من عادته (٥) لا يرسل إلا عن ثقة، كسعيد بن المسيب، وإبراهيم النخعي، ومحمد (٦) بن سيرين، وبين من عرف عنه (٧) أنه قد (٨) يرسل

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام ، باب قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : لا تسألوا أهل الكتاب ، رقم (٧٣٦١) ، (١٣ / ٣٣٣) من فتح الباري .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤ / ١٣٦) . وأبو داود في كتاب العلم ، باب رواية حديث أهل الكتاب ، حديث رقم (٣٦٤٤) ، (٤ / ٥٩ - ٦٠) . وأخرجه البخاري في صحيحه بلفظ : " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقالوا : آمنا بالله وما أنزل . . " الآية ، كتاب التفسير ، باب (١١) ، حديث رقم (٤٤٨٥) ، (٨ / ١٧٠) من فتح الباري .

(٣) في (ب ط) : لا تجمع .

(٤) في (أ) : بعد .

(٥) في (أ ط) : من عادته يرسل عن ثقة .

(٦) في (ب ج د) : وابن سيرين .

(٧) في (ب) : منه .

(٨) قد : ساقطة من (ط) .

عن غير ثقة: كأبي العالية، والحسن، وهؤلاء ليس بين أحدهم <sup>(١)</sup> وبين النبي ﷺ إلا رجل أو رجلان، أو ثلاثة مثلاً.

وأما ما يوجد في كتب المسلمين في هذه الأوقات من الأحاديث التي يذكرها صاحب الكتاب مرسله؛ فلا يجوز الحكم بصحتها باتفاق أهل العلم، إلا أن يعرف أن ذلك من نقل أهل العلم بالحديث، الذين لا يحدثون إلا بما صح <sup>(٢)</sup> كالبخاري في المعلقات التي يجزم فيها بأنها صحيحة عنده، وما وقفه كقوله: وقد ذكر عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده " ونحو ذلك، فإنه حسن عنده.

هذا، وليس تحت أديم السماء بعد القرآن كتاب أصح من البخاري.

فكيف بما ينقله كعب الأحبار وأمثاله عن الأنبياء؟ وبين كعب، وبين النبي الذي ينقل عنه ألف سنة، وأكثر وأقل، وهو لم <sup>(٣)</sup> يسند ذلك عن ثقة بعد ثقة، بل غايته أن ينقل عن <sup>(٤)</sup> بعض الكتب التي كتبها شيوخ اليهود، وقد أخبر الله عن تبديلهم وتخريفهم، فكيف يحل للمسلم أن يصدق شيئاً من ذلك، بمجرد هذا النقل؟ بل الواجب أن لا يصدق ذلك، ولا يكذبه أيضاً <sup>(٥)</sup> إلا بدليل يدل على كذبه، وهكذا أمرنا النبي ﷺ .  
وفي هذه الإسرائيليات مما هو كذب على الأنبياء، أو ما هو منسوخ في شريعتنا، ما لا يعلمه إلا الله.

ومعلوم أن أصحاب رسول الله ﷺ من السابقين الأولين، والتابعين لهم بإحسان، قد فتحوا البلاد بعد موت النبي ﷺ وسكنوا بالشام والعراق ومصر، وغير هذه الأمصار، وهم كانوا أعلم بالدين، وأتبع له ممن بعدهم، فليس لأحد أن يخالفهم فيما كانوا عليه.  
فما كان من هذه البقاع لم يعظموه، أو لم يقصدوا تخصيصه بصلاة أو دعاء، أو نحو

(١) في (ب ج د) : ليس بين النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبينهم .

(٢) في (ب ج) : يصح .

(٣) في (ب ج د) : وهو لا يسند .

(٤) في (أ ب ط) : من .

(٥) أيضاً : ساقطة من (أ) .

ذلك؛ لم يكن لنا أن نخالفهم في ذلك، وإن كان بعض من جاء بعدهم من أهل الفضل والدين فعل ذلك؛ لأن اتباع سبيلهم أولى من (١) اتباع سبيل من خالف سبيلهم، وما من أحد نقل عنه ما يخالف سبيلهم إلا وقد نقل عن غيره ممن هو أعلم وأفضل منه، أنه خالف سبيل هذا المخالف. وهذه جملة جامعة (٢) لا يتسع هذا الموضوع لتفصيلها.

وقد ثبت في الصحيح: ﴿ أن النبي ﷺ لما أتى بيت المقدس ليلة الإسراء صلى فيه ركعتين ﴾ (٣) ولم يصل بمكان غيره ولا زاره. وحديث المعراج فيه ما هو في الصحيح، وفيه ما هو في السنن والمسانيد، وفيه ما هو ضعيف، وفيه ما هو من الموضوعات المختلقات، مثل ما يرويه بعضهم فيه: ﴿ أن النبي ﷺ قال له جبريل: هذا قبر أبيك إبراهيم، انزل فصل فيه، وهذا بيت لحم، مولد أخيك عيسى، انزل فصل فيه ﴾ .

وأعجب من ذلك، أنه قد روي فيه: " قيل له في المدينة: انزل فصل هنا " (٤) قبل أن يبني مسجده، وإنما كان المكان مقبرة للمشركين، والنبي ﷺ بعد الهجرة إنما نزل هناك لما بركت ناقته هناك. فهذا ونحوه من الكذب المختلق باتفاق أهل المعرفة، وبيت لحم كنيسة من كنائس النصارى ليس في إتيانها فضيلة عند المسلمين، سواء كان مولد عيسى أو لم يكن، بل قبر إبراهيم الخليل: لم يكن في الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان من يأتيه للصلاة عنده، ولا الدعاء ولا كانوا يقصدونه للزيارة أصلاً.

وقد قدم المسلمون إلى الشام غير مرة مع عمر بن الخطاب واستوطن الشام خلائق من الصحابة وليس فيهم من فعل شيئاً من هذا ولم يبن المسلمون عليه مسجداً أصلاً لكن لما

(١) في (ب د ط) : ممن اتبع .

(٢) في (ج د) : واسعة .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، حديث رقم (١٦٢) ، ( ١ ) /

( ١٤٥ ) .

(٤) أي في مكان المسجد النبوي قبل تأسيسه .

---

---

استولى النصارى على هذه الأمكنة في أواخر المائة الرابعة، لما أخذوا<sup>(١)</sup> البيت<sup>(٢)</sup> المقدس، بسبب استيلاء الرافضة على الشام، لما كانوا ملوك مصر، والرافضة أمة مخذولة، ليس لها عقل صحيح ولا نقل<sup>(٣)</sup> صريح<sup>(٤)</sup> ولا دين مقبول، ولا دنيا منصور<sup>(٥)</sup>ة قويت النصارى، وأخذت السواحل وغيرها من الرافضة؛ وحينئذ نقبت<sup>(٦)</sup> النصارى حجرة الخليل صلوات الله عليه، وجعلت لها بابا، وأثر النقب ظاهر في الباب.

فكان اتخاذ ذلك معبدا، مما أحدثته النصارى، ليس من عمل سلف الأمة وخيارها.

---

(١) في (أ) : أخذ .

(٢) في (ب) : بيت .

(٣) في (ط) : ولا فعل .

(٤) في المطبوعة : عقل صحيح ، ولا نقل صريح .

(٥) للمؤلف كتاب مستوف في بيان ما عليه الرافضة من الباطل وهو : منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ، فليراجع فإنه مفيد جدا .

(٦) في (أ) : بعثت .

وأصل دين المسلمين: أنه لا تختص بقعة بقصد<sup>(١)</sup> العبادة فيها إلا المساجد خاصة، وما عليه المشركون وأهل الكتاب، من تعظيم بقاع للعبادة غير المساجد - كما كانوا في الجاهلية يعظمون حراء، ونحوه من البقاع - فهو مما جاء الإسلام بمحوه وإزالته ونسخه. ثم المساجد جميعها تشترك في العبادات، فكل ما يفعل في مسجد يفعل في سائر المساجد، إلا ما خص به المسجد الحرام، من الطواف ونحوه، فإن خصائص المسجد الحرام لا يشاركه فيها شيء من المساجد، كما أنه لا يصلى إلى غيره.

وأما مسجد النبي ﷺ والمسجد الأقصى، فكل ما يشرع فيهما من العبادات، يشرع في سائر المساجد: كالصلاة والدعاء والذكر والقراءة والاعتكاف، ولا يشرع فيهما جنس<sup>(٢)</sup> لا يشرع في غيرهما: <sup>(٣)</sup> لا تقبيل شيء، ولا استلامه، ولا الطواف به <sup>(٤)</sup> ونحو ذلك. لكنهما أفضل من غيرهما، فالصلاة فيهما تضاعف على الصلاة في غيرهما.

أما مسجد النبي ﷺ فقد ثبت في الصحيح: أن الصلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وروي هذا عن النبي ﷺ من غير وجه، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة في غيره من المساجد، إلا المسجد الحرام؛ فإني آخر الأنبياء، وإن مسجدي هذا آخر

المساجد ﴿٥﴾ (١).

(١) في (أ ب) : تقصد .

(٢) في المطبوعة : ما لا .

(٣) في (أ) : ولا .

(٤) به : سقطت من (ب ج د) .

(٥) البخاري الجمعة (١١٣٣) ، مسلم الحج (١٣٩٤) ، الترمذي الصلاة (٣٢٥) ، النسائي المساجد (٦٩٤) ،

ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٤٠٤) ، أحمد (٢٧٧/٢) ، مالك النداء للصلاة (٤٦١) .



وفي صحيح مسلم، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: ﴿ صلاة في مسجدي هذا أفضل <sup>(٢)</sup> من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وفي مسلم أيضا، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال ﴿ إن امرأة اشتكت شكوى <sup>(٤)</sup> فقالت: إن شفاني الله لأخرجن، فلأصلين في بيت المقدس، فبرأت، ثم تجهزت تريد الخروج، فجاءت ميمونة زوج النبي ﷺ فأخبرتها ذلك <sup>(٥)</sup> فقالت اجلسي، فكلي ما صنعت، وصلي في مسجد الرسول ﷺ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: " صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا مسجد الكعبة ﴾ <sup>(٦)</sup> .

وفي المسند، عن ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل <sup>(٧)</sup> من صلاة في مسجدي بمائة صلاة ﴾ <sup>(٨)</sup> . قال أبو عبد الله <sup>(٩)</sup> المقدسي: إسناده على رسم الصحيح.

ولهذا جاءت الشريعة بالاعتكاف الشرعي في المساجد، بدل ما كان يفعل قبل الإسلام من المحاورة بغار حراء، فكان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان، حتى قبضه الله.

(١) هذا لفظ مسلم في صحيحه ، كتاب الحج باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة ، تابع الحديث رقم (١٣٩٤) ، ( ٢ / ١٠١٢ ) ، وأخرجه البخاري في كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، باب (١) ، الحديث رقم (١١٩٠) ، ( ٣ / ٦٣ ) من فتح الباري .

(٢) في المطبوعة : خير . وكلاهما وارد في مسلم : (أفضل) و(خير) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة ، الحديث رقم (١٣٩٥) ، ( ٢ / ١٠١٣ ) .

(٤) في (ب) : بشكوى . وفي مسلم كما هو مثبت .

(٥) في المطبوعة : بذلك . وفي مسلم كما هو مثبت .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة ، الحديث رقم (١٣٩٦) ، ( ٢ / ١٠١٤ ) .

(٧) قوله : وصلاة في المسجد الحرام أفضل : سقطت من (د) .

(٨) مسند أحمد (٤ / ٥) .

(٩) مرت ترجمته . انظر : فهرس الأعلام .

والاعتكاف من العبادات المشروعة (١) بالمسجد باتفاق الأئمة، كما (٢) قال تعالى ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾ (٣) أي: في حال عكوفكم في المساجد (٤) لا تباشروهن، وإن كانت المباشرة خارج (٥) المسجد. ولهذا قال الفقهاء: إن ركن الاعتكاف: لزوم المسجد لعبادة الله. ومحظوره الذي يطله: مباشرة النساء.

فأما العكوف والمجاورة عند شجرة أو حجر، تمثال أو غير تمثال، أو العكوف والمجاورة عند قبر نبي، أو غير نبي، أو مقام نبي، أو غير نبي، فليس هذا من دين المسلمين، بل هو من جنس دين المشركين، الذين أخبر الله عنهم بما ذكره في كتابه، حيث قال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مَدْيَنَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ (٦)

الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٦٤﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ ﴿٦٥﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٦٦﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٦٨﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٩﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٠﴾﴾

(١) في (أ ط): المشروطة .

(٢) كما : سقطت من (ب ج د) .

(٣) سورة البقرة : من الآية ١٨٧ .

(٤) في (ب) : ولا .

(٥) في (أ ب ط) : خارجه .

(٦) سورة الأنبياء : من الآيات ٥١-٥٨ .

وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٦﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٧٧﴾ وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ نُحْيِينِ ﴿٧٨﴾  
 وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٧٩﴾ ﴿١﴾ (٢) إلى آخر القصة.

وقال تعالى: ﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامِهِمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مَجْهُلُونَ ﴿٧٨﴾ إِنَّ هَذَا لَأَنْتُمْ مِمَّنْ هُمْ فِيهِ وَنَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴿٣﴾ .

فهذا عكوف المشركين، وذاك (٤) عكوف المسلمين، فعكوف المؤمنين في المساجد لعبادة الله وحده لا شريك له، وعكوف المشركين على ما يرجونه، ويخافونه من دون الله، وما يتخذونهم شركاء وشفعاء (٥) فإن المشركين لم يكن أحد منهم يقول: إن العالم له خالقان ولا أن الله له شريك (٦) يساويه في صفاته، هذا لم يقله أحد من المشركين، بل كانوا يقولون بأن خالق السماوات والأرض واحد، كما أخبر الله عنهم بقوله ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴿٧٧﴾ وقوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٥﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴿٨٦﴾ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴿٨٩﴾ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴿٨﴾ .

(١) في المطبوعة: سرد الآيات إلى قوله: "إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" سورة الشعراء: الآية ٨٩ .

(٢) سورة الشعراء: الآيات ٦٩-٨٢ .

(٣) سورة الأعراف: الآيات ١٣٨-١٤٠ ، وفي المطبوعة: وقف على قوله تعالى: "وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ" .

(٤) في (أ): وذلك .

(٥) في المطبوعة: شركاء الله وشفعاء عند الله .

(٦) في (أ ب ط): له إله يساويه . وفي المطبوعة: معه إله يساويه . وما أثبتته من (ج د) .

(٧) سورة لقمان: من الآية ٢٥ .

(٨) سورة المؤمنون: من الآيات ٨٤-٨٩ .

وكانوا يقولون في تلبيتهم: " لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك " (١) فقال تعالى لهم: ﴿ صَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۗ ﴾ (٢) . وكانوا يتخذون آلهتهم وسائط تقربهم إلى الله زلفى، وتشفع لهم، كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أَوْلَوْا كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ قُلِ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ۗ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ ﴾ (٤) .

وقال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۗ ﴾ (٥) .

وقال تعالى عن صاحب يس: ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٦﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً ۚ إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿١٧﴾ إِنِّي إِذًا لَّيِّنِي ضَلَّالٍ مُّبِينٍ ﴿١٨﴾ إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّيكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿١٩﴾ ﴾ (٦) .

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۗ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَؤُا ۗ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ

(١) انظر: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب التلبية وصفتها ووقتها، الحديث رقم (١١٨٥)، (٢ / ٨٤٣) .

(٢) سورة الروم: الآية ٢٨ .

(٣) سورة الزمر: من الآية ٣ .

(٤) سورة الزمر: الآيتان ٤٣، ٤٤ .

(٥) سورة يونس: الآية ١٨ .

(٦) سورة يس: الآيات ٢٢-٢٥ .

عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾ (٢) . وقال تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ

الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ تُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (٣) .

وهذا الموضوع اختلفت فيه ثلاث فرق: طرفان، ووسط:

ومن وافقهم من مبتدعة أهل الكتاب، كالنصارى، ومبتدعة هذه الأمة:

أثبتوا الشفاعة التي نفاها (٤) القرآن.

: أنكروا شفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر (٥) من أمته، بل أنكر

طائفة من أهل البدع انتفاع الإنسان بشفاعة غيره ودعائه، كما أنكروا انتفاعه بصدقة غيره وصيامه عنه.

وأنكروا (٦) الشفاعة بقوله تعالى: ﴿ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ

وَلَا شَفَعَةٌ ﴾ (٧) وبقوله تعالى: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (٨) ونحو ذلك.

وأما سلف الأمة وأئمتها، ومن تبعهم من أهل السنة والجماعة، فأثبتوا ما جاءت به

السنة عن النبي ﷺ من شفاعته لأهل الكبائر من أمته، وغير ذلك من أنواع شفاعاته، وشفاعة غيره من النبيين والملائكة.

(١) سورة الأنعام : الآية ٩٤ .

(٢) سورة المسجدة : من الآية ٤ .

(٣) سورة الأنعام : الآية ٥١ .

(٤) في ( ب د ) : التي نفاها الله بالقرآن .

(٥) في ( أ ) : أهل الكتاين . وهو تحريف من الناسخ .

(٦) في ( أ ) : منكروا .

(٧) سورة البقرة : الآية ٢٥٤ .

(٨) سورة غافر : من الآية ١٨ ، وقد استدلووا بظاهر الآيتين على إنكار الشفاعة ، وتناسوا الآيات والأحاديث التي

تثبت الشفاعة ، والتي سيذكر المؤلف شيئا منها بعد قليل .

وقالوا: إنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد، وأقروا بما جاءت به السنة من انتفاع الإنسان بدعاء غيره وشفاعته، والصدقة عنه، بل والصوم عنه في أصح قولي العلماء، كما ثبتت (١) به (٢) السنة الصحيحة الصريحة، وما كان في معنى الصوم.

وقالوا: إن الشفيع يطلب من الله ويسأل، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه. قال تعالى:

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ ﴿٤﴾ وَكَرَّمِ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴿٥﴾ ﴾ .

وقد ثبت في الصحيح: أن سيد الشفعاء ﷺ إذا طلبت منه بعد أن تطلب (٦) من آدم وأولي العزم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى؛ فيردونها إلى محمد ﷺ العبد الذي غفر الله (٧) له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال ﴿ فَأَذْهَبَ إِلَى رَبِّي، فَإِذَا رَأَيْتَهُ خَرْتُ لَهُ (٨) ساجداً، فأحمد (٩) ربي بمحامد يفتحها علي، لا أحسنها الآن، فيقول لي: أي محمد، ارفع رأسك، وقل (١٠) يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، قال: فأقول: رب أمي أمي (١١) فيحدي لي حدا فأدخلهم الجنة ﴾ (١٢) .

(١) في (أ ب) : ثبت .

(٢) في (أ) : بذلك .

(٣) في المطبوعة : وقال .

(٤) في المطبوعة : وقال .

(٥) سورة النجم : الآية ٢٦ .

(٦) قوله : منه بعد أن تطلب : سقط من (أ ب) .

(٧) في (ب ج د) : غفر له .

(٨) له : سقطت من (أ ط) .

(٩) في (ب) : وأحمد .

(١٠) في (ب) : وتسمع .

(١١) في (ب) : فأقول : أمي . وفي المطبوعة : رب أمي رب أمي .

(١٢) انظر : صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله : " لما خلقت بيدي " ، الحديث رقم (٧٤١٠) ، (

١٣ / ٣٩٢) فتح الباري ، مع اختلاف يسير في ألفاظه ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَعِمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ (١) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٢﴾ (١) .

قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون العزير والمسيح والملائكة، فأنزل الله هذه الآية، وقد أخبر فيها أن هؤلاء المسؤولين (٢) يتقربون إلى الله، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه. وقد ثبت في الصحيح أن أبا هريرة قال: ﴿ يا رسول الله، أي الناس أسعد بشفاعتك (٣) يوم القيامة ؟ قال: " يا أبا هريرة، لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك؛ لما رأيته من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة: من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بها وجه الله ﴾ (٤) .

فكلما كان الرجل أتم (٥) إخلاصا (٦) لله؛ كان أحق بالشفاعة، وأما من علق قلبه بأحد من المخلوقين، يرجوه ويخافه؛ فهذا من أبعد الناس عن الشفاعة. فشفاعة المخلوق عند المخلوق تكون بإعانة الشافع للمشفوع له، بغير إذن المشفوع عنده، بل يشفع إما لحاجة المشفوع عنده إليه، وإما لخوفه منه، فيحتاج أن يقبل شفاعته. والله تعالى غني عن العالمين، وهو وحده سبحانه يدبر العالمين كلهم، فما من شفيع إلا من بعد إذنه، فهو الذي يأذن للشفيع في الشفاعة، وهو يقبل شفاعته، كما يلهم الداعي الدعاء، ثم يجيب دعاءه،

متزلة فيها ، الحديث رقم(١٩٣) ، ( ١ / ١٨٠-١٨١ ) بنحو لفظ البخاري ، وأخرجه أحمد في المسند ( ٣ / ١٤٤ ) وفيه اختلاف يسير أيضا .

(١) سورة الإسراء : الآيتان ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) في المطبوعة : كانوا يتقربون .

(٣) في (ط) : بشفاعتكم .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العلم ، باب الحرص على الحديث ، حديث رقم (٩٩) ، ( ١ / ١٩٣ ) فتح الباري ، وأحمد في المسند( ٢ / ٣٧٣ ) .

(٥) في (ط) : أكثر .

(٦) لله : لم تذكر في (أ ط) .

فالأمر كله له.

فإذا كان العبد يرجو شفيعا من المخلوقين، فقد لا يختار ذلك الشفيح أن يشفع له، وإن اختار فقد لا يأذن الله له في الشفاعة، ولا يقبل شفاعته.

وأفضل الخلق: محمد ﷺ ثم إبراهيم ﷺ<sup>(١)</sup>. وقد امتنع<sup>(٢)</sup> النبي ﷺ أن يستغفر لعمه أبي طالب، بعد أن قال: ﴿لأستغفرن لك ما لم أنه عنك﴾<sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup> وقد صلى على المنافقين ودعا لهم، فقيل له: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تُقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾<sup>(٥)</sup> وقيل له أولا: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾<sup>(٦)</sup>. فقال: ﴿لو أعلم أي لو زدت على السبعين يغفر لهم لزدت﴾<sup>(٧)</sup> <sup>(٨)</sup> فأنزل الله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾<sup>(٩)</sup>.

وإبراهيم<sup>(١٠)</sup> وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ مُتَجِدِّلًا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَتَابِرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ

(١) كذا في جميع النسخ (صلى الله عليهما وسلم) سوى المطبوعة، فقد سقطت كل العبارة.

(٢) في (أ): أ منع.

(٣) البخاري الجنائز (١٢٩٤)، مسلم الإيمان (٢٤)، النسائي الجنائز (٢٠٣٥).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، الحديث رقم (٣٨٨٣)، (٧ / ١٩٣) فتح الباري، ومسلم في كتاب الإيمان، باب (٩)، الحديث رقم (٢٤)، (١ / ٥٤)، وكذلك أخرجه البخاري أيضا في كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، الحديث رقم (١٣٦٠)، (٣ / ٢٢٢) وفي غيره من المواضع.

(٥) سورة التوبة: الآية ٨٤. وانظر: تفسير ابن جرير (٢٨ / ٧١، ٧٢).

(٦) سورة التوبة: الآية ٨٠.

(٧) البخاري الجنائز (١٣٠٠)، الترمذي تفسير القرآن (٣٠٩٧)، النسائي الجنائز (١٩٦٦)، أحمد (١٦/١).

(٨) انظر: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من الصلاة على المنافقين والاستغفار للمشركين، الحديث رقم (١٣٦٦)، (٣ / ٢٢٨) فتح الباري.

(٩) سورة المنافقون: الآية ٦.

(١٠) وإبراهيم: سقطت من (أ).



وَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَذَابُ غَيْرِ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ ﴿١﴾ .

ولما استغفر إبراهيم عليه السلام لأبيه <sup>(٢)</sup> بعد وعده بقوله: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ

وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿٣﴾ .

قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ۗ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴿٤﴾ .

وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ ﴿١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴿٥﴾ .

والله سبحانه له حقوق <sup>(٦)</sup> لا يشركه فيها غيره، وللرسل حقوق لا يشركهم فيها غيرهم، وللمؤمنين بعضهم على بعض <sup>(٧)</sup> حقوق مشتركة؛ ففي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت ردف <sup>(٨)</sup> النبي صلوات الله عليه فقال لي: ﴿ يا معاذ، أتدري ما حق الله على عباده <sup>(٩)</sup> ؟ . " قلت: الله ورسوله أعلم، قال: " حقه عليهم: أن يعبدوه <sup>(١٠)</sup> لا يشركوا

(١) سورة هود: الآيات ٧٤ - ٧٦ .

(٢) لأبيه: ساقطة من (أ ط) .

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٤١ .

(٤) سورة المتحنة: الآية ٤ .

(٥) سورة التوبة: الآيتان ١١٣ ، ١١٤ .

(٦) في (ب) : ولا .

(٧) في المطبوعة: وللمؤمنين على المؤمنين حقوق .

(٨) في المطبوعة: رديف .

(٩) في المطبوعة: على العباد .

(١٠) في (أ) : ولا .

به شيئاً. يا معاذ، أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ ". قلت: الله ورسوله أعلم، قال: " حقهم عليه أن لا يعذبهم " (١) .

فالله تعالى مستحق أن نعبده لا نشرك به شيئاً، وهذا هو أصل التوحيد الذي بعثت به الرسل، وأنزلت به الكتب، قال الله تعالى ﴿ وَسَأَلْنَا مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (٤) .

ويدخل في ذلك أن لا نخاف إلا إياه، ولا نتقي إلا إياه، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَشِيَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (٥) . فجعل الطاعة لله وللرسول، وجعل الخشية والتقوى لله وحده.

وكذلك قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولَهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ (٦) . فجعل الإيتاء لله وللرسول.

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، باب اسم الفرس والحمار ، الحديث رقم (٢٨٥٦) ، (٦ / ٥٨) من فتح الباري ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ، الحديث رقم (٣٠) ، (١ / ٥٨ ، ٥٩) .

(٢) سورة الزخرف : الآية ٤٥ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية ٢٥ .

(٤) سورة النحل : من الآية ٣٦ .

(٥) سورة النور : الآية ٥٢ .

(٦) سورة التوبة : الآية : ٥٩ .

كما قال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾<sup>(١)</sup> فالحلال

ما حلله الرسول، والحرام: ما حرمه الرسول، والدين: ما شرعه الرسول.

وجعل التحسب بالله وحده، فقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ ﴾<sup>(٢)</sup> ، ولم يقل

ورسوله. كما قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ

فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّبُ النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> أي

حسبك وحسب من اتبعك: الله، فهو وحده كافيك<sup>(٥)</sup> ومن ظن أن معناها: حسبك الله

والمؤمنون، فقد غلط غلطا عظيما من وجوه كثيرة مبسوطه في غير هذا الموضع<sup>(٦)</sup> .

ثم قال: ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ ﴾<sup>(٧)</sup> فجعل الفضل لله،

وذكر الرسول في الإيتاء، لأنه لا يباح إلا ما أباحه الرسول، فليس لأحد أن يأخذ ما تيسر له إن لم يكن مباحا في الشريعة.

ثم قال: ﴿ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾<sup>(٨)</sup> فجعل الرغبة إلى الله وحده، دون ما

سواه؛ كما قال<sup>(٩)</sup> ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾<sup>(١٠)</sup> فأمر بالرغبة

(١) سورة الحشر : من الآية ٧ .

(٢) سورة التوبة آية : ٥٩ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٧٣ .

(٤) سورة الأنفال : الآية ٦٤ .

(٥) في (ب ج د) : كافيهم .

(٦) لعله يشير إلى ما ذكره في مجموع الفتاوى (١ / ٣٠٦) .

(٧) سورة التوبة : من الآية ٥٩ .

(٨) سورة التوبة : من الآية ٥٩ .

(٩) في المطبوعة : كما قال تعالى في سورة الانشراح .

(١٠) سورة الانشراح : الآيتان ٧ ، ٨ .

إليه. ولم يأمر الله قط مخلوقاً أن يسأل مخلوقاً، وإن كان قد أباح في موضع من المواضع ذلك<sup>(١)</sup> لكنه لم يأمر به، بل الأفضل للعبد أن لا يسأل قط إلا الله.

كما ثبت في الصحيح في صفة الذين يدخلون الجنة بغير حساب: ﴿هم الذين لا يسترقون، ولا يكتون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون﴾<sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup> فجعل من صفاتهم أنهم لا يسترقون: أي لا يطلبون من غيرهم أن يرقيههم، ولم يقل: لا يرقون. وإن كان ذلك قد روي<sup>(٤)</sup> في بعض طرق مسلم<sup>(٥)</sup> فهو غلط، فإن النبي ﷺ رقى نفسه وغيره، لكنه لم يسترق، فالمسترقى طالب للدعاء من غيره؛ بخلاف الراقي غيره، فإنه داع له.

وقد قال ﷺ لابن عباس: ﴿إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله﴾<sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup> <sup>(٨)</sup> فهو الذي يتوكل عليه<sup>(٩)</sup> ويستعان به، ويستغاث به ويخاف ويرجى، ويعبد وتنبى القلوب إليه، لا حول ولا قوة إلا به، ولا ملجأ<sup>(١٠)</sup> منه إلا إليه، والقرآن كله يحقق هذا الأصل.

---

(١) في (ج د): في بعض المواضع ذلك. وفي المطبوعة: ذلك في بعض المواضع.  
(٢) البخاري الطب (٥٣٧٨)، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٤٦)، أحمد (٢٧١/١).  
(٣) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو، حديث رقم (٥٧٠٥)، (١٠ / ١٥٥) من فتح الباري، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب، حديث رقم (٢١٨)، (١ / ١٩٨).  
(٤) في (أ ط): قد روي بأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم رقى نفسه. فقوله: في بعض طرق مسلم فهو غلط: سقطت من (أ ط).  
(٥) انظر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان. باب (٩٤) السابق، حديث رقم (٢٢٠)، (١ / ٢٠٠).  
(٦) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦)، أحمد (٣٠٨/١).  
(٧) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، باب (٥٩)، حديث رقم (٢٥١٦)، (٤ / ٦٦٧)، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".  
(٨) في المطبوعة: فالله هو الذي.  
(٩) الذي يتوكل عليه: ساقطة من (ط).  
(١٠) في المطبوعة: ولا منجى.

والرسول ﷺ يُطَاع وَيُحَبُّ ويرضى، ويسلم إليه حكمه، ويعزر، ويوقر، ويتبع،  
ويؤمن به وبما جاء به، قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِنْسَانُكُمْ﴾ (٤) إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ﴾ (٥).

﴿مَنْ أَلَّفَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ (٦).

وفي الصحيحين عنه ﷺ قال: ﴿ثلاث من كن فيه (٧) وجد (٨) حلاوة الإيمان: من  
كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان  
يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار﴾ (٩).

وقال: ﴿والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده

والناس أجمعين﴾ (١٠) (١).

(١) سورة النساء : من الآية ٨٠ .

(٢) سورة النساء : من الآية ٦٤ .

(٣) سورة التوبة : الآية ٦٢ .

(٤) سورة التوبة آية : ٢٤ .

(٥) في المطبوعة : سرد الآية .

(٦) سورة التوبة : من الآية ٢٤ .

(٧) في (ط ب) : فقد وجد .

(٨) في (أ) : وجد بهن حلاوة الإيمان .

(٩) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان ، حديث رقم (١٦) ، (١ / ٦٠) من فتح الباري

وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان ، حديث رقم (٤٣) ، (١ /

٦٦) .

(١٠) البخاري الإيمان (١٤) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠١٥) .

﴿ وقال له <sup>(٢)</sup> عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، قال: " لا يا عمر، حتى أكون أحب إليك من نفسك ". قال: فلأنت <sup>(٣)</sup> أحب إلي من نفسي، قال " الآن يا عمر ﴾ <sup>(٤)</sup> .

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ <sup>(٥)</sup> وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ <sup>(٦)</sup> أي: الرسول خاصة ﴿ وَتَسْبِحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ <sup>(٧)</sup> أي: تسبحوا الله تعالى. فالإيمان بالله والرسول، والتعزير والتوقير للرسول، والتسبيح لله وحده. وهذا الأصل مبسوط في غير هذا الموضع.

وقد بعث الله محمدا ﷺ بتحقيق <sup>(٨)</sup> التوحيد وتجريده، ونفي الشرك بكل وجه، حتى في الألفاظ، كقوله ﷺ ﴿ لا يقولن أحدكم <sup>(٩)</sup> ما شاء الله وشاء محمد، بل: ما شاء الله ثم شاء محمد ﴾ <sup>(١٠)</sup> وقال له رجل: ما شاء الله وشئت، فقال: " أ جعلتني لله <sup>(١)</sup> ندا؟

(١) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب حب الرسول من الإيمان ، حديث رقم (١٤) ، (١ / ٥٨) من فتح الباري ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب محبة رسول الله ، حديث رقم (٦٩) ، (١ / ٦٧) .

(٢) له : سقطت من (أ) .

(٣) في (أ) : فأنت .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأيمان والنذور ، باب كيف كانت يمينا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؟ حديث رقم (٦٦٣٢) ، (١١ / ٥٢٣) .

(٥) سورة آل عمران : من الآية ٣١ .

(٦) سورة الفتح : الآيتان ٨ ، ٩ وفي المطبوعة قال : (أو تعزروه وتوقروه) على أنها سياق المؤلف ، فقد أخرجه من القوسين .

(٧) سورة الفتح : الآية ٩ .

(٨) في (ج) : هذا التوحيد .

(٩) لا يقولن أحدكم : ساقطة من (أ) .

(١٠) أخرجه ابن ماجه في كتاب الكفارات ، باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئت ، حديث رقم (٢١١٨) ، وأشار المعلق إلى أنه في الزوائد ، قال : رجال الإسناد ثقات على شرط البخاري ، وفي لفظ ابن ماجه اختلاف

ندا ؟ بل <sup>(٢)</sup> ما شاء الله وحده ﴿٣﴾ .

والعبادات التي شرعها الله كلها تتضمن إخلاص الدين كله لله، تحقيقاً لقوله تعالى:  
﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ  
الْقِيَمَةِ ﴾ <sup>(٤)</sup> فالصلاة لله وحده، والصدقة لله <sup>(٥)</sup> وحده، والصيام لله وحده، والحج  
لله وحده، وإلى بيت الله وحده؛ فالمقصود من الحج: عبادة الله وحده في البقاع التي أمر  
الله بعبادته فيها، ولهذا كان الحج شعار الحنيفية، حتى قال طائفة من السلف: " حنفاء لله،  
أي حجاجا " <sup>(٦)</sup> فإن اليهود والنصارى لا يحجون البيت.

قال طائفة من السلف: لما أنزل الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ  
يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ <sup>(٧)</sup> . قالت اليهود والنصارى: نحن مسلمون، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى  
النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ <sup>(٨)</sup> . فقالوا: لا نحج؟ فقال تعالى ﴿ وَمَنْ كَفَرَ  
فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ <sup>(٩)</sup> وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾ <sup>(١٠)</sup> عام

يسير عن سياق المؤلف ( ١ / ٦٨٥ ) . وأخرجه الدرامي ، كتاب الاستئذان ، باب النهي عن أن يقول : ما  
شاء الله و شاء فلان ( ٢ / ٢٩٥ ) . وأحمد في المسند ( ٥ / ٧٢ ، ٣٩٣ ) ، وكلهم بغير لفظ المؤلف .

(١) في (ج د) : أتجعلني .

(٢) في المطبوعة : قل .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ( ١ / ٢١٤ ، ٢٢٤ ، ٢٨٣ ، ٣٤٧ ) ، عن ابن عباس وفيه : " جعلتني لله عدلا " بدل  
: " ندا " ومعناها واحد .

(٤) سورة البينة : الآية ٥ .

(٥) في (ج د) : أخر قوله : (والصدقة لله وحده) بعد الصيام .

(٦) انظر : تفسير ابن جرير ( ٣٠ / ١٧٠ ) ، حيث ذكر ما أشار إليه المؤلف .

(٧) سورة آل عمران : من الآية ٨٥ .

(٨) سورة آل عمران : الآية ٩٧ .

(٩) سورة آل عمران آية : ٩٧ .

(١٠) في (د) : " فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ " من بقية الآية .

في الأولين والآخرين، فإن دين الإسلام هو دين الله الذي عليه أنبيأؤه، وعباده المؤمنون، كما ذكر الله ذلك في كتابه من أول رسول بعثه <sup>(١)</sup> إلى أهل الأرض: نوح، وإبراهيم، وإسرائيل، وموسى، وسليمان، وغيرهم من الأنبياء والمؤمنين.

قال الله تعالى في حق نوح: ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بَيَّانَتِ اللَّهُ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٦٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وقال تعالى في إبراهيم وإسرائيل: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وقال تعالى عن يوسف: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٢١﴾ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

وقال تعالى عن موسى وقومه: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَنْقُومِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ <sup>(٥)</sup> .

وقال في أنبياء بني إسرائيل: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ تَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ

(١) في (أ ط) : بعث .

(٢) سورة يونس : الآيتان ٧١ ، ٧٢ .

(٣) سورة البقرة : الآيات ١٣٠-١٣١ ، وفي المطبوعة : سرد الآيات إلى قوله : " وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ " سورة البقرة : من الآية ١٣٣ .

(٤) سورة يوسف : الآية ١٠١ .

(٥) سورة يونس : الآية ٨٤ .



الَّذِينَ اسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّنِيُونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﴿١﴾ .

وقال تعالى عن بلقيس: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ .

وقال تعالى عن أمة عيسى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا

ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٣﴾ .

وقال تعالى: ﴿٤﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥﴾ .

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ

حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿٦﴾ .

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ

هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ

عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٨﴾ .

وقد فسر إسلام الوجه لله بما يتضمن<sup>(٨)</sup> إخلاص قصده<sup>(٩)</sup> لله، وهو محسن بالعمل

الصالح<sup>(١٠)</sup> المأمور به<sup>(١)</sup> وهذان الأصلان جماع الدين: أن لا نعبد<sup>(٢)</sup> إلا الله، وأن نعبد

(١) سورة المائدة : من الآية ٤٤ .

(٢) سورة النمل : من الآية ٤٤ .

(٣) سورة المائدة : الآية ١١١ .

(٤) في المطبوعة زاد : عنهم أيضا .

(٥) سورة آل عمران : الآية ٥٣ .

(٦) سورة النساء : الآية ١٢٥ .

(٧) سورة البقرة : الآيتان ١١١ ، ١١٢ .

(٨) في (ب ج د) : يقتضي .

(٩) في المطبوعة : قصد العبد لله بالعبادة له وحده ، وهي زيادة عما في النسخ المخطوطة .

(١٠) في المطبوعة زاد : المشروع .

نعبده بما شرع، لا نعبده بالبدع.

وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ

أَحَدًا ﴾ (٣) . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه (٤) " اللهم اجعل عملي كله صالحا، واجعله لوجهك خالصا، ولا تجعل لأحد فيه (٥) شيئا " (٦) .

وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (٧) .

قال: " أخلصه وأصوبه " . قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه ؟ قال: " إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا، والخالص (٨) أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة " (٩) .

وهذان الأصلان هما تحقيق الشهادتين اللتين هما رأس الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة (١٠) أن محمدا رسول الله. فإن الشهادة لله بأنه لا إله إلا هو (١١) تتضمن إخلاص الإلهية له، فلا يجوز أن يتأله القلب غيره، لا بحب ولا خوف ولا رجاء، ولا إجلال ولا إكرام (١٢) ولا رغبة ولا رهبة؛ بل لا بد أن يكون الدين كله لله، كما قال

(١) في (أ) : المأمون به .

(٢) في (ب) : أن لا يعبدوا .

(٣) سورة الكهف : الآية ١١٠ .

(٤) في دعائه : ساقطة من (أ) .

(٥) في (ب) : فيها .

(٦) لم أجده .

(٧) سورة الملك : من الآية ٢ .

(٨) في (د ب) : فالخالص .

(٩) ذكره أبو نعيم في الحلية بسنده عن إبراهيم بن الأشعث أنه سمع الفضيل يقول ذلك ( ٨ / ٩٥ ) .

(١٠) في (ط) : وأن محمدا .

(١١) في (أ) : لا إله إلا الله .

(١٢) في المطبوعة : ولا إكبار .

تعالى: ﴿ وَقَتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ (١) .

فإذا كان بعض الدين لله، وبعضه لغير الله (٢) كان في ذلك من الشرك بحسب ذلك. وكمال الدين كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره: ﴿ من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان ﴾ (٣) (٤) .

فالمؤمنون يحبون لله، والمشركون يحبون مع الله، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ (٥) .

والشهادة بأن محمدا رسول الله، تتضمن: تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر. فما (٦) أثبتته وجب إثباته، وما نفاه وجب نفيه، كما يجب على الخلق أن يثبتوا لله ما أثبتته (٧) من الأسماء والصفات، وينفوا عنه ما نفاه عنه من مماثلة المخلوقات، فيخلصوا من التعطيل والتمثيل، ويكونوا (٨) في إثبات بلا تشبيه، وتزويه بلا تعطيل. وعليهم أن يفعلوا ما أمر به وأن ينتهوا (٩) عما نهى عنه، ويحللوا ما حلله، ويحرموا ما حرمه؛ فلا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله، ولا دين إلا ما شرعه الله ورسوله.

ولهذا، ذم الله المشركين في سورة الأنعام والأعراف وغيرهما، لكونهم حرموا ما لم

(١) سورة الأنفال: من الآية ٣٩ .

(٢) في (ط): لغيره .

(٣) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥٢١) ، أحمد (٤٣٨/٣) .

(٤) أخرجه بهذا اللفظ أبو داود في كتاب السنة ، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ، حديث رقم (٤٦٧٩) ،

(٥ / ٦٠) عن أبي أمامة . وأخرجه الترمذي باختلاف يسير عن اللفظ الذي أورده المؤلف في كتاب صفة

القيامة ، باب (٦٠) ، حديث رقم (٢٥٢١) عن أنس الجهني (٤ / ٦٧٠) وقال : " هذا حديث حسن " .

وأخرجه أحمد في مسند أنس بن معاذ الجهني (٣ / ٤٣٨ ، ٤٤٠) .

(٥) سورة البقرة: من الآية ١٦٥ .

(٦) في (ج د): فكل ما أثبتته .

(٧) في المطبوعة: ما أثبتته الرسول لربه .

(٨) في المطبوعة: ويكونون على خير عقيدة في إثبات .

(٩) في المطبوعة: ويكونون على خير عقيدة في إثبات .

يجرمه الله، ولكونهم شرعوا ديناً لم يأذن به الله، كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ﴾<sup>(١)</sup> إلى آخر السورة. وما ذكره في صدر سورة الأعراف، وكذلك قوله تعالى ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد قال تعالى لنبيه ﷺ ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٥٦﴾ ﴾<sup>(٣)</sup> فأخبره<sup>(٤)</sup> أنه أرسله داعياً إليه بإذنه<sup>(٥)</sup> فمن دعا إلى غير الله فقد أشرك، ومن دعا إليه بغير إذنه فقد ابتدع، والشرك بدعة، والمبتدع يؤول إلى الشرك، ولم يوجد مبتدع إلا وفيه نوع من الشرك، كما قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۗ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾<sup>(٦)</sup> وكان من إشراكهم بهم: أنهم أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم<sup>(٧)</sup> وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم.

وقد قال تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٦١﴾ ﴾<sup>(٨)</sup> فقرن بعدم إيمانهم بالله واليوم<sup>(٩)</sup> الآخر: أنهم لا يجرمون ما

(١) سورة الأنعام : من الآية ١٣٦ .

(٢) سورة الشورى : من الآية ٢١ .

(٣) سورة الأحزاب : الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .

(٤) في (د ب) : فأخبر .

(٥) في (أ) زاد : وسراجاً منيراً .

(٦) سورة التوبة : الآية ٣١ .

(٧) في (ط) : فأصلوهم ، وفي (أ) : فأحلوه ، وهو تحريف من النسخ .

(٨) سورة التوبة : الآية ٢٩ .

(٩) في (أ ط) : وباليوم .

حرمه الله<sup>(١)</sup> ورسوله، ولا يدينون دين الحق.

والمؤمنون صدقوا الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيما أخبر به<sup>(٢)</sup> عن الله، وعن اليوم الآخر، فأمنوا بالله واليوم الآخر<sup>(٣)</sup> وأطاعوه فيما أمر ونهى، وحلل وحرم، فحرموا ما حرم الله ورسوله، ودانوا دين الحق، فإن الله بعث الرسول يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، فأمرهم بكل معروف، ونهاهم عن كل منكر، وأحل لهم كل طيب، وحرم عليهم كل خبيث.

ولفظ الإسلام: يتضمن الاستسلام والانقياد، ويتضمن الإخلاص،<sup>(٤)</sup> من قوله تعالى:

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ ﴾<sup>(٥)</sup> . فلا بد في

الإسلام من الاستسلام لله وحده، وترك الاستسلام لما سواه، وهذا حقيقة قولنا: " لا إله إلا الله"<sup>(٦)</sup> فمن استسلم لله ولغيره فهو<sup>(٧)</sup> مشرك، والله لا يغفر أن يشرك به، ومن لم يستسلم له فهو مستكبر عن عبادته، وقد قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ

إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾<sup>(٨)</sup> .

وثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال: ﴿ لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر،

ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان . فقيل له: يا رسول الله، الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنا، أفمن الكبر ذاك؟ فقال: " لا، إن الله جميل يحب الجمال،

(١) في (أ) : ما حرمه الرسول ، وفي (ط) : ما حرمه الله والرسول .

(٢) ما بين الرقمين ساقط من (ج د) ، ووضع بدله : في باب الإيمان بالله واليوم الآخر .

(٣) ما بين الرقمين ساقط من (ج د) ، ووضع بدله : في باب الإيمان بالله واليوم الآخر .

(٤) ما بين الرقمين ساقط من (ج د) ، ووضع بدله : في باب الإيمان بالله واليوم الآخر .

(٥) سورة الزمر : من الآية ٢٩ .

(٦) في (ب) : لا إله إلا هو .

(٧) (أ) : هو .

(٨) سورة غافر : الآية ٦٠ .

الكبر: بطر الحق، وغمط الناس ﴿١﴾ (٢) . بطر (٣) الحق: جحده ودفعه، وغمط الناس: ازدرأؤهم واحتقارهم.

فاليهود موصوفون بالكبر، والنصارى موصوفون بالشرك، قال تعالى في نعت اليهود: ﴿٤﴾ أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٤﴾ .

وقال في نعت النصارى: ﴿٥﴾ أَخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُورُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۗ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥﴾ .

ولهذا قال الله تعالى في سياق خطاب (٦) النصارى: ﴿٦﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۗ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٧﴾ .

وقال تعالى في سياق تقريره للإسلام (٨) وخطابه لأهل الكتاب: ﴿٨﴾ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٩﴾ إلى

(١) مسلم الإيمان (٩١) ، الترمذي البر والصلة (١٩٩٩) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانها ، حديث رقم (٩١) ، (١ / ٩٣) . وأبو داود ، كتاب اللباس ، باب ما جاء في الكبر ، حديث رقم (٤٠٩٠) ، (٤ / ٣٥٠) . والترمذي في كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الكبر ، حديث رقم (١٩٩٩) ، (٤ / ٣٦١) .

(٣) في (ب) : فبطر .

(٤) سورة البقرة : من الآية ٨٧ .

(٥) سورة التوبة : الآية ٣١ .

(٦) في المطبوعة : الكلام مع النصارى .

(٧) سورة آل عمران : الآية ٦٤ .

(٨) في (ب ط) : تقرير الإسلام .

(٩) سورة البقرة آية : ١٣٦ .

قوله: ﴿ أَمْرٌ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْرَ اللَّهِ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

ولما كان أصل الدين الذي (٢) هو دين الإسلام واحدا، وإنما (٣) تنوعت الشرائع؛ قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: ﴿ إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد ﴾ (٤) ﴿ الأنبياء إخوة لعلات ﴾ (٥) (١) ﴿ وأنا أولى الناس بابن مريم، فإنه ليس بيني وبينه نبي ﴾ (٢) (٣) .

(١) سورة البقرة: الآيات ١٣٦-١٤٠ . وفي المطبوعة خالف النسخ في سرد الآيات . راجع : (ص ٤٥٥) من المطبوعة .

(٢) الذي : ساقطة من (ط) .

(٣) في (أ) وفي المطبوعة : وإن .

(٤) جاء ذلك في أحاديث في الصحيحين : انظر : صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب (٤٨) ، الحديث رقم (٣٤٤٢) ، (٣٤٤٣) ، (٦ / ٤٧٧ ، ٤٧٨) من فتح الباري ، وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب فضائل عيسى عليه السلام ، الحديث رقم (٢٣٦٥) ، (٤ / ١٨٣٧) . والعلات : الضرائر ، فأولاد العلات هم الذين أمهاتهم شتى وأبوهم واحد .

(٥) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء (٣٢٥٩) ، صحيح مسلم كتاب الفضائل (٢٣٦٥) ، سنن الترمذي كتاب الصلاة (١٤٩) ، كتاب النذور والأيمان (١٥٤٢) ، كتاب السير (١٥٥٣ ، ١٥٥٣) ، كتاب الزهد (٢٣٩٨) ، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٣٤) ، كتاب العلم (٢٦٨٢) ، كتاب الأمثال (٢٨٦٢) ، كتاب تفسير القرآن (٣٣٤٠) ، كتاب المناقب (٣٦٤٩ ، ٣٦٨٩) ، سنن النسائي كتاب السهو (١٢١٨) ، كتاب الجمعة (١٣٧٤) ، كتاب الخيل (٣٥٦٥) ، كتاب الفرع والعتيرة (٤٢٢٥) ، كتاب الصيد والذبائح (٤٣٥٨ ، ٤٣٥٩) ، كتاب الصلاة (٤٥٠) ، كتاب المساجد (٦٩٤) ، سنن أبي داود كتاب الصلاة (١٠٤٧ ، ١٥٠٨ ، ١٥٣١) ، كتاب الصوم (٢٤٠٨) ، كتاب البيوع (٣٥٢٧ ، ٣٥٤٥) ، كتاب العلم (٣٦٤١) ، كتاب الطب (٣٩٠٩) ، كتاب الصلاة (٣٩٣) ، كتاب السنة (٤٦٦٨) ، كتاب الأدب (٤٩٥٠ ، ٥٢٦٥ ، ٥٢٦٦) ، كتاب الصلاة (٩٣٠) ، سنن ابن ماجه كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها (١٠٨٥) ، كتاب ما جاء في الجنائز (١٦٣٦ ، ١٦٣٧) ، كتاب المقدمة (٢٢٣) ، كتاب المناسك (٢٩٣٩) ، كتاب الصيد (٣٢٢٥) ، كتاب الأطعمة (٣٣١٨) ، كتاب الفتن (٤٠٢٣ ، ٤٠٢٤) ، كتاب الزهد (٤٣٠١ ، ٤٣١٣) ، مسند أحمد (٤٠٦/٢ ، ٤٣٧/٢) ، سنن

فدينهم واحد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وهو <sup>(٤)</sup> يعبد في كل وقت بما أمر به <sup>(٥)</sup> في ذلك الوقت، وذلك هو دين <sup>(٦)</sup> الإسلام في ذلك الوقت.

وتنوع الشرائع في الناسخ والمنسوخ من المشروع <sup>(٧)</sup> كتنوع الشريعة الواحدة، فكما أن دين الإسلام الذي بعث الله به محمدا ﷺ <sup>(٨)</sup> هو دين واحد، مع أنه قد كان في وقت يجب استقبال بيت المقدس في الصلاة، كما أمر المسلمون بذلك بعد الهجرة ببضعة عشر شهرا، وبعد ذلك يجب استقبال الكعبة، ويحرم استقبال الصخرة <sup>(٩)</sup> فالدين واحد وإن تنوعت القبلة في وقتين من أوقاته، فهكذا شرع الله تعالى لبني إسرائيل السبت، ثم نسخ ذلك وشرع الجمعة، فكان الاجتماع <sup>(١٠)</sup> يوم السبت واجبا إذ ذاك، ثم صار الواجب هو الاجتماع <sup>(١١)</sup> يوم الجمعة، وحرم الاجتماع يوم <sup>(١٢)</sup> السبت.

فمن خرج عن شريعة موسى قبل النسخ، لم يكن مسلما. <sup>(١٣)</sup> ومن لم يدخل في شريعة محمد ﷺ بعد النسخ لم يكن مسلما.

و لم يشرع الله لبني من الأنبياء أن يعبد غير الله البتة، قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِّنَ

الدارمي كتاب الصلاة (١٥٧٢) ، كتاب الرقاق (٢٧٨٣) ، كتاب الفرائض (٢٩١٧) ، ٢٩١٨ ، ٢٩٢٣ ، ٢٩٤٧) ، كتاب فضائل القرآن (٣٣٦٩) ، كتاب المقدمة (٣٤٢ ، ٤٦) .

(١) نفس المرجع السابق .

(٢) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٥٨) ، مسلم الفضائل (٢٣٦٥) ، أبو داود السنة (٤٦٧٥) .

(٣) نفس المرجع السابق .

(٤) في (د) : ويعبد .

(٥) به : ساقطة من (ط) .

(٦) دين : ساقطة من (أ ط) .

(٧) في (أ) : من الفروع . وفي (ط) : في الفروع .

(٨) في (أ ط) : محمدا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(٩) يعني التي ببيت المقدس .

(١٠) في (ب ج د) : فكان تعظيم يوم السبت واجبا إذ ذاك .

(١١) في (ب ج د) : هو تعظيم يوم الجمعة .

(١٢) في (أ) : (هو) ، بدل (يوم) . وأظنه تحريف من الناسخ .

(١٣) من هنا حتى قوله : ولم يشرع الله لبني (سطر تقريبا) : سقط من (ج د) .



الَّذِينَ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا  
الَّذِينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴿١﴾ .

فأمر الرسل أن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه.

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥٢﴾

وَأِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴿٢﴾ .

وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ

لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ ﴿٣﴾ \* مُبِينٌ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ  
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٢﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ

حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴿٤﴾ .

فأهل الإشراك متفرقون، وأهل الإخلاص متفقون، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ

مُخْتَلِفِينَ ﴿٣٢﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿٣٢﴾ ﴿٥﴾ فأهل الرحمة متفقون مجتمعون،

والمشركون فرقوا دينهم وكانوا شيعا.

ولهذا تجد ما أحدث من الشرك والبدع، يفترق أهله؛ فكان لكل قوم من مشركي

العرب طاغوت، يتخذونه ندا من دون الله، فيقربون له ويستشفعون به <sup>(٦)</sup> ويشركون به.

وهؤلاء ينفرون عن طاغوت هؤلاء، وهؤلاء <sup>(٧)</sup> وهؤلاء ينفرون عن طاغوت هؤلاء، بل

قد يكون لأهل هذا الطاغوت شريعة ليست للآخرين، كما كان أهل المدينة الذين

(١) سورة الشورى : الآية ١٣ .

(٢) سورة المؤمنون : الآيتان ٥١ ، ٥٢ .

(٣) في المطبوعة فصل بين الآيتين (٣٠) و(٣١) بقوله : ثم قال .

(٤) سورة الروم : الآيات ٣٠-٣٢ .

(٥) سورة هود : من الآيتين ١١٨ ، ١١٩ .

(٦) في المطبوعة : ويستعينون به .

(٧) وهؤلاء : ساقطة من (أ) .

يهلون (١) لمائة الثالثة الأخرى، ويتخرجون من الطواف بين الصفا والمروة، حتى أنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۗ ﴾ (٢) الآية.

وهكذا تجد من يتخذ شيئاً من نحو (٣) الشرك، كالذين يتخذون القبور وآثار الأنبياء والصالحين مساجد، تجد كل قوم يقصدون بالدعاء والاستعانة والتوجه من لا تعظمه الطائفة الأخرى.

بخلاف أهل التوحيد، فإنهم يعبدون الله لا يشركون به، في بيوته التي قد أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، مع أنه قد جعلت لهم الأرض مسجداً وطهوراً. وإن (٤) حصل بينهم تنازع (٥) في شيء مما يسوغ فيه الاجتهاد، لم يوجب ذلك تفرقا ولا اختلافاً، بل هم يعلمون أن المصيب منهم له أجران، وأن المجتهد المخطئ له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور له.

والله هو معبودهم (٦) إياه يعبدون وعليه يتوكلون، وله يخشون ويرجون، وبه يستعينون ويستغيثون، وله يدعون ويسألون، فإن خرجوا إلى الصلاة في المساجد، كانوا مبتغيين فضلاً منه ورضواناً، كما قال تعالى في نعتهم: ﴿ تَرْتَلِّمُ زُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۗ ﴾ (٧).

وكذلك إذا سافروا إلى أحد (٨) المساجد الثلاثة، لا سيما المسجد الحرام، الذي أمروا بالحج إليه، قال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحُلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا أَهْدَىٰ

(١) في (أ) : يتعدون لمائة الثالثة .

(٢) سورة البقرة : من الآية ١٥٨ .

(٣) في المطبوعة : من نحو هذا الشرك .

(٤) في (د) : فإن .

(٥) في (ب) : نزاع .

(٦) في المطبوعة زاد : وحده .

(٧) سورة الفتح : من الآية ٢٩ .

(٨) أحد : ساقطة من (أ) .

وَلَا أَلْفَلْتِيدَ وَلَا أَمِّينَ أَلْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ﴿١﴾ (٢) فهم يؤمنون (٣)

بيته ويبتغون فضلا من ربهم (٤) ورضوانا، لا يرغبون إلى غيره، ولا يرجون سواه، ولا يخافون إلا إياه.

وقد زين الشيطان لكثير من الناس سوء عملهم (٥) واستزلهم عن إخلاص الدين لله (٦) إلى أنواع من الشرك، فيقصدون بالسفر والزيارة: الرجاء (٧) لغير الله، والرغبة إليه (٨) ويشدون الرحال: إما إلى قبر نبي أو صاحب أو صالح، أو من يظن (٩) أنه نبي، أو صاحب أو صالح، داعين (١٠) له راغبين إليه.

: من يظن أن المقصود من الحج هو هذا، فلا يستشعر إلا قصد المخلوق المقبور، ومنه من يرى أن ذلك أنفع له من حج البيت.

: من يحج، فإذا دخل المدينة، رجع وظن (١١) أن هذا أبلغ.

: من يتوهم أن زيارة القبور واجبة، ومنهم من (١٢) يسأل المقبور الميت،

كما يسأل الحي الذي لا يموت! يقول يا سيدي فلان، اغفر لي وارحمي وتب علي. أو

(١) سورة المائدة آية : ٢ .

(٢) سورة المائدة : من الآية ٢ .

(٣) في (ط) : آمين .

(٤) في (ط) : منه .

(٥) في (ط) : شركهم .

(٦) في المطبوعة : لربهم .

(٧) في (أ ط) : الرضا لغير الله . وفي (ب) : الرضا بغير الله . ثم صححها بالهامش : الرجاء لغير الله . وفي المطبوعة : رضى غير الله .

(٨) الضمير في (إليه) يرجع إلى الغير ، أي : والرغبة إلى غير الله . وفي المطبوعة : قال : والرغبة إلى غيره .

(٩) في المطبوعة : يظنون .

(١٠) في (ط) : داين . وهو تحريف من الناسخ .

(١١) في المطبوعة : زيادة وتغيير فقال : ومن شيوخهم من يقصد حج البيت ، فإذا وصل إلى المدينة رجع مكتفيا بزيارة القبر وظن . . إلخ .

(١٢) في المطبوعة : وأكثرهم .

يقول: اقض عني الدين، وانصربي على فلان، وأنا في حسبك أو جوارك.

وقد يندرون أولادهم للمقبور، ويسيبون له (١) السوائب، من البقر (٢) وغيرها، كما

كان المشركون يسيبون السوائب لطواغيتهم، قال تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ نَجِيرَةٍ وَلَا

سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ

نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا ۗ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ

وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (٤) .

: من يضل الجاهل، فيقول: أنا أذكر حاجتك (٥) لصاحب الضريح،

وهو يذكرها للنبي ﷺ والنبي يذكرها لله (٦) .

: من يعلق على القبر المكذوب أو غير المكذوب، من الستور والثياب، ويضع

عنده من مصوغ الذهب والفضة، ما قد أجمع المسلمون على أنه (٧) ليس من دين الإسلام.

هذا والمسجد الجامع معطل خراب صورة ومعنى !

وما أكثر من يرى (٨) من (٩) هؤلاء: أن صلاته عند هذا القبر المضاف إلى بعض

المعظمين - مع أنه كذب في نفس الأمر - أعظم من صلاته في المساجد بيوت الله (١٠)

فيزدحمون (١١) للصلاة في مواضع الإشراك المبتدعة، التي نهى النبي ﷺ عن اتخاذها مساجد،

(١) في (ب) : لهم .

(٢) في المطبوعة زاد : والغنم .

(٣) سورة المائدة : من الآية ١٠٣ .

(٤) سورة الأنعام : الآية ١٣٦ .

(٥) في (ط) : صاحبك .

(٦) في المطبوعة : وهو يذكرها للنبي يذكرها لله .

(٧) في المطبوعة : على أنه من دين المشركين وليس من دين الإسلام .

(٨) في المطبوعة : يعتقد .

(٩) من : سقطت من (أ) .

(١٠) في المطبوعة : زيادة : الخالية من القبور والخالصة لله .

(١١) في (أ ط) : يزدحمون .

---

وإن كانت على (١) قبور الأنبياء، ويهجرون الصلاة في البيوت التي أذن الله أن ترفع (٢) ويذكر فيها اسمه، التي قال الله فيها: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَى اللَّهِ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (٣) .

---

(١) على : ساقطة من (ط) .

(٢) في (أ) : فيذكر .

(٣) سورة التوبة : الآية ١٨ .

: من (١) يقول: " (٢) الكعبة في الصلاة قبله العامة، والصلاة إلى قبر

الشيخ فلان - مع استدبار الكعبة - قبله الخاصة " !

وهذا وأمثاله من الكفر (٣) الصريح باتفاق علماء المسلمين، وهذه المسائل (٤) التي  
تحتل من البسط وذكر أقوال العلماء فيها ودلائلها أكثر مما كتبنا في هذا المختصر.

وقد كتبنا في (٥) ذلك في غير هذا الموضوع، ما لا يتسع له هذا الموضوع، وإنما نبهنا هنا (٦)  
على رؤوس المسائل، وجنس الدلائل، والتنبيه على مقاصد الشريعة (٧) وما فيها من  
إخلاص الدين لله، وعبادته وحده لا شريك له، وما سدته من الذريعة إلى الشرك، دقه  
وجله، فإن هذا هو أصل الدين، وحقيقة دين المرسلين (٨) وتوحيد رب العالمين.

وقد غلط في مسمى التوحيد طوائف من أهل النظر والكلام، ومن أهل الإرادة  
والعبادة، حتى قلبوا حقيقته (٩) فطائفة: ظنت أن التوحيد هو نفي (١٠) الصفات، بل نفي  
الأسماء الحسنى أيضا، وسموا أنفسهم: أهل التوحيد (١١) وأثبتوا ذاتا مجردة عن الصفات،  
ووجودا مطلقا بشرط الإطلاق.

(١) في المطبوعة : ومن أكابر شيوخهم .

(٢) في (ط) : أن الكعبة .

(٣) الكفر : ساقطة من (أ) .

(٤) في (ج د) : المسألة .

(٥) في (أ ط ج د) : من ذلك .

(٦) في (أ) : بها .

(٧) في (ط) : للشريعة .

(٨) في (ط) : المسلمين .

(٩) في المطبوعة زاد : في نفوسهم .

(١٠) في (ب) : زاد : (أن) فقال : هو أن نفي .

(١١) من هؤلاء : الجهمية الذين نفوا الأسماء والصفات لله تعالى ، ومثلهم القرامطة والباطنية ، ومنهم المعتزلة حيث

أثبتوا لله الأسماء ، ونفوا عنه الصفات . انظر : مجموع الفتاوى للمؤلف ، الرسالة التدمرية ( ٣ / ٧ - ١٠ ) ،

(ص ٩٩-١٠٠) .

وقد علم بصريح المعقول المطابق لصحيح المنقول: أن ذلك لا يكون إلا في الأذهان، لا في الأعيان. وزعموا أن إثبات الصفات يستلزم ما سموه (تركيباً) وظنوا أن العقل ينفيه، كما قد كشفنا أسرارهم وبيننا فرط جهلهم، وما أضلهم من الألفاظ المحملة المشتركة في غير هذا الموضوع (١).

وطائفة: ظنوا أن التوحيد ليس إلا الإقرار بتوحيد الربوبية، وأن الله خلق كل شيء، وهو الذي يسمونه توحيد الأفعال (٢).

ومن أهل الكلام: من أطال نظره في تقرير هذا التوحيد (٣) إما بدليل أن الاشتراك يوجب نقص (٤) القدرة وفوات الكمال، وبأن استقلال كل من الفاعلين بالمفعول محال، وإما بغير ذلك من الدلائل، ويظن أنه بذلك قرر الوجدانية وأثبت أنه لا إله إلا هو، (٥) وأن الإلهية هي: القدرة على الاختراع أو نحو ذلك، فإذا ثبت أنه لا يقدر على الاختراع إلا الله، وأنه لا شريك له في الخلق، كان هذا معنى قولنا: لا إله إلا الله، ولم يعلم أن مشركي العرب كانوا مقرين بهذا التوحيد، كما قال تعالى ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ (٦) وقال تعالى ﴿قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٧) الآيات، وقال (٨) تعالى

(١) فصل المؤلف هذا الموضوع في الرسالة التدمرية، وقد طبعت مستقلة في كتاب، كما أنها توجد ضمن مجموع الفتاوى (٣ / ١-١٢٨).

(٢) وهم طوائف من الفلاسفة وأهل التصوف وعامة المتكلمين انظر: مجموع الفتاوى (٣ / ٩٧، ٩٨).

(٣) في (ب ج د) وفي المطبوعة: في تقرير هذا الموضوع.

(٤) في (ب): بعض.

(٥) من هنا حتى قوله: وأنه لا شريك له (سطر تقريباً) من (أ).

(٦) سورة لقمان: الآية ٢٥.

(٧) سورة المؤمنون: الآيتان ٨٤، ٨٥.

(٨) في (أ ط): وقد قال تعالى.

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> . قال ابن عباس وغيره: " تسألهم:

من خلق السماوات والأرض؟ فيقولون: الله، وهم مع ذلك <sup>(٢)</sup> يعبدون غيره " <sup>(٣)</sup> .  
وهذا التوحيد هو من التوحيد الواجب، لكن لا يحصل به <sup>(٤)</sup> الواجب، ولا يخلص  
بمجردة عن الإشراك الذي هو أكبر الكبائر، الذي لا يغفره الله، بل لا بد أن يخلص لله  
الدين <sup>(٥)</sup> فلا يعبد إلا إياه <sup>(٦)</sup> فيكون دينه كله لله.

والإله: هو المألوه الذي تأله القلوب، وكونه يستحق الإلهية مستلزم لصفات الكمال،  
فلا يستحق أن يكون معبودا محبوبا لذاته إلا هو، وكل عمل لا يراد به وجهه فهو باطل،  
وعبادة غيره وحب <sup>(٧)</sup> غيره يوجب الفساد، كما قال تعالى ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ <sup>(٨)</sup> .

وقد بسطنا <sup>(٩)</sup> الكلام على هذا في غير هذا الموضوع <sup>(١٠)</sup> وبيننا أن هذه الآية ليس  
المقصود بها ما يقوله <sup>(١١)</sup> من يقوله من أهل الكلام، من ذكر دليل التمانع <sup>(١٢)</sup> الدال على  
وحدانية الرب تعالى، فإن التمانع <sup>(١٣)</sup> يمنع وجود المفعول، لا يوجب فساده بعد وجوده،

(١) سورة يوسف : الآية ١٠٦ .

(٢) في (أ ط) وفي المطبوعة : مع هذا .

(٣) انظر : تفسير ابن جرير ( ١٣ / ٥٠ ، ٥١ ) .

(٤) في المطبوعة : كل الواجب .

(٥) في المطبوعة زاد : والعبادة .

(٦) في المطبوعة زاد : ولا يعبد إلا بما شرع .

(٧) في (أ ط) : وحبه لغيره .

(٨) سورة الأنبياء : من الآية ٢٢ .

(٩) في (أ) : وقد سبق الكلام على هذا .

(١٠) انظر : مجموع الفتاوى للمؤلف ( ١ / ٢٠-٦٢ ) .

(١١) في (ب ج د) : من يقول .

(١٢) في (ط) : الممانع ، في الموضعين .

(١٣) في (ط) : الممانع ، في الموضعين .



وذلك يذكر في الأسباب والبدايات التي تجري مجرى العلل الفاعلات، والثاني يذكر في الحكم والنهايات التي تذكر في العلل التي هي الغايات، كما في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>(١)</sup> ، فقدم الغاية المقصودة على الوسيلة الموصلة، كما قد بسط في غير هذا الموضع<sup>(٢)</sup> .

ثم إن طائفة ممن تكلم في تحقيق التوحيد على طريق أهل التصوف، ظن أن توحيد الربوبية هو الغاية، والفناء فيه هو النهاية، وأنه إذا شهد ذلك سقط عنه استحسان الحسن واستقباح القبيح، فال بهم الأمر إلى تعطيل الأمر والنهي، والوعد والوعيد، ولم يفرقوا بين مشيئته الشاملة لجميع المخلوقات، وبين محبته ورضاه المختص بالطاعات، وبين كلماته الكونيات التي لا يجاوزها بر ولا فاجر - لشمول القدر<sup>(٣)</sup> لكل مخلوق - وكلماته الدينيات التي اختص<sup>(٤)</sup> بموافقتها أنبياءه وأوليائه.

فالعبد مع شهوده الربوبية العامة الشاملة للمؤمن والكافر، والبر والفاجر، عليه أن يشهد ألوهيته التي اختص بها عباده المؤمنين، الذين عبدوه وأطاعوا أمره، واتبعوا رسله.

قال تعالى ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾<sup>(٥)</sup> وقال تعالى ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾<sup>(٦)</sup> وقال تعالى ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْجَرِيمِينَ﴾<sup>(٧)</sup> ما لكم كيف تحكمون<sup>(٧)</sup> .

(١) سورة الفاتحة آية : ٥ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى للمؤلف ( ١٤ / ٢٩ - ٣٤ ) .

(٣) في المطبوعة : القدرة .

(٤) في (ط) : اختص بها بموافقتها .

(٥) سورة ص : الآية ٢٨ .

(٦) سورة الجاثية : الآية ٢١ .

(٧) سورة القلم : الآيتان ٣٥ ، ٣٦ . وفي المطبوعة : ذكر الآية الأولى فقط .

ومن لم يفرق بين أولياء الله وأعدائه، وبين ما أمر به وأحبه <sup>(١)</sup> من الإيمان والأعمال الصالحة <sup>(٢)</sup> وما <sup>(٣)</sup> كرهه ونهى عنه وأبغضه: من الكفر والفسوق والعصيان مع شمول قدرته، ومشيتته، وخلقه لكل شيء، وإلا وقع في دين المشركين، الذين قالوا ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ <sup>(٤)</sup> .

والقدر يؤمن به ولا يحتج به، بل العبد مأمور أن يرجع إلى القدر عند المصائب، ويستغفر الله عند الذنوب والمعائب <sup>(٥)</sup> كما قال تعالى ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ <sup>(٦)</sup> ولهذا حج آدم موسى عليهما السلام، لما لام موسى <sup>(٧)</sup> آدم لأجل المصيبة التي حصلت لهم بأكله من الشجرة، فذكر له آدم: ﴿أَنْ هَذَا كَانَ مَكْتُوبًا قَبْلَ أَنْ أَخْلُقَ. فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى﴾ <sup>(٨)</sup> <sup>(٩)</sup> كما قال تعالى ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ <sup>(١٠)</sup> وقال تعالى

(١) في المطبوعة : وأوجه .

(٢) في (ط) وفي المطبوعة : الصالحات .

(٣) في المطبوعة : وبين ما كرهه .

(٤) سورة الأنعام : من الآية ١٤٨ .

(٥) في (أ) : والمصائب .

(٦) سورة غافر : من الآية ٥٥ .

(٧) في (أ ط) : لآدم .

(٨) البخاري تفسير القرآن (٤٤٦١) ، مسلم القدر (٢٦٥٢) ، الترمذي القدر (٢١٣٤) ، أبو داود السنة (٤٧٠١) ، ابن ماجه المقدمة (٨٠) ، أحمد (٣٩٢/٢) .

(٩) جاء ذلك في حديث في الصحيحين . انظر : صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب وفاة موسى وذكره بعد الحديث رقم (٣٤٠٩) ، (٦ / ٤٤١) ، صحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب حجج آدم وموسى عليهما السلام ، الحديث رقم (٢٦٥٢) ، (٤ / ٢٠٤٢ - ٢٠٤٤) .

(١٠) سورة الحديد : الآية ٢٢ .

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾<sup>(١)</sup> قال بعض

السلف: " هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله فيرضى<sup>(٢)</sup> ويسلم " <sup>(٣)</sup> .  
فهذا هو جهة<sup>(٤)</sup> احتجاج آدم بالقدر، ومعاذ الله أن يحتج آدم - أو من هو دونه من المؤمنين- على المعاصي بالقدر، فإنه لو ساغ هذا لساغ أن يحتج إبليس ومن اتبعه من الجن والإنس بذلك، ويحتج به قوم نوح وعاد وثمود، وسائر أهل الكفر والفسوق والعصيان، ولم يعاقب<sup>(٥)</sup> أحد، وهذا مما يعلم فساده بالاضطرار شرعا وعقلا.

فإن<sup>(٦)</sup> هذا القول لا يطرده أحد من العقلاء، فإن طرده يوجب<sup>(٧)</sup> أن لا يلام أحد على شيء، ولا يعاقب عليه. وهذا المحتج بالقدر لو جنى عليه جان<sup>(٨)</sup> لطالبه، فإن كان القدر حجة للجاني عليه، وإلا فليس حجة لا لهذا ولا لهذا.

ولو كان الاحتجاج بالقدر مقبولا، لم يمكن للناس<sup>(٩)</sup> أن يعيشوا، إذا كان لكل من اعتدى عليهم أن يحتج بذلك، فيقبلوا عذره ولا يعاقبوه، ولا يمكن اثنان<sup>(١٠)</sup> من أهل هذا القول أن يعيشا<sup>(١١)</sup> إذ لكل منهما أن يقتل الآخر، ويفسد<sup>(١٢)</sup> جميع أموره، محتجا على ذلك بالقدر.

ثم إن أولئك المتدعين، الذين أدخلوا في التوحيد نفي الصفات، وهؤلاء الذين أخرجوا

(١) سورة التغابن : الآية ١١ .

(٢) في (ط) : فيسلم ويرضى .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره عن علقمة . تفسير ابن جرير ( ٢٨ / ٨٠ ) .

(٤) في (أ) : وجهة . وفي المطبوعة : وجه .

(٥) في المطبوعة : ولم يعاقب ربنا أحدا .

(٦) في (أ ط) : بأن .

(٧) في (أ ط) : موجب .

(٨) في (أ) : كان .

(٩) في (أ ب ط) : الناس .

(١٠) في المطبوعة : اثنين .

(١١) في (أ ط) : أن يعيشوا .

(١٢) في (أ) : وفقد .

عنه (١) متابعة الأمر، إذا حققوا القولين؛ أفضى بهم الأمر إلى أن لا يفرقوا بين الخالق (٢) والمخلوق، بل يقولون (٣) بوحدة الوجود كما قاله أهل الإلحاد (٤) القائلين بالوحدة والحلول والاتحاد (٥) الذين يعظمون الأصنام وعابديها، وفرعون وهامان وقومهما، ويجعلون وجود خالق الأرض والسموات هو وجود كل شيء من الموجودات (٦) ويدعون التوحيد والتحقيق والعرفان، وهم من أعظم أهل الشرك والتليس (٧) والبهتان. يقول عارفهم: السالك في أول أمره يفرق بين الطاعة والمعصية - أي نظرا إلى الأمر - ثم يرى طاعة بلا معصية - أي نظرا إلى القدر - ثم لا طاعة ولا معصية - أي نظرا إلى أن الوجود واحد - ولا يفرقون (٨) بين الواحد بالعين والواحد بالنوع، فإن الموجودات مشتركة في مسمى الوجود.

والوجود ينقسم إلى: قائم بنفسه. وقائم بغيره، وواجب بنفسه، وممكن بنفسه. كما أن الحيوانات مشتركة في مسمى الحيوان، والأناسي يشتركون في مسمى الإنسان، مع العلم الضروري بأنه ليس عين وجود هذا الإنسان هو عين وجود هذا الفرس، بل ولا عين هذا الحيوان وحيوانيته وإنسانيته هو عين هذا الحيوان وحيوانيته وإنسانيته، لكن بينهما قدر مشترك تشابها (٩) فيه، قد يسمى كلياً (١٠) ومطلقاً وقدراً مشتركاً، ونحو ذلك، وهذا لا يكون في الخارج عن الأذهان كلياً عاماً مطلقاً، بل لا يوجد إلا معيناً مشخصاً، فكل

(١) في (ب) : عن .

(٢) في (ب) : الخلاق . وهو خطأ؛ لأن الخلاق والمخلوق معناهما واحد ، والكلام بصدد التفريق بين الخالق والمخلوق .

(٣) في (أ ب ط) : يقولوا .

(٤) في (ب) : الاتحاد .

(٥) والاتحاد : ساقطة من (ب) .

(٦) في (أ ط) : المخلوقات .

(٧) في (أ) : والتلفيق ، بدل : والتليس .

(٨) في (ب) : ولا فرق . وفي المطبوعة : ولا يفرق .

(٩) في (أ ط) : مشابها . وفي (ب) : مشبها .

(١٠) في (ج د) وفي المطبوعة : كلياً مطلقاً .

موجود فله ما يخصه من حقيقته، مما <sup>(١)</sup> لا يشركه فيه غيره، بل ليس بين موجودين في الخارج شيء بعينه اشتركا فيه، ولكن تشابها؛ ففي هذا نظير ما في هذا، كما أن هذا نظير هذا، وكل منهما متميز <sup>(٢)</sup> بذاته وصفاته عما سواه، فكيف الخالق سبحانه وتعالى؟ وهذا كله مبسوط في غير هذا الموضع البسط الذي يليق به <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup> فإنه مقام زلت فيه أقدام، وضلت فيه أحلام، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

ومن أحكم الأصلين المتقدمين في الصفات، والخلق والأمر؛ فيميز <sup>(٥)</sup> بين المأمور المحبوب <sup>(٦)</sup> المرضي لله، وبين غيره، مع شمول القدر لهما، وأثبت للخالق سبحانه الصفات التي توجب مباينته للمخلوقات، وأنه ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، أثبت التوحيد الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، كما نبه على ذلك في سورتي الإخلاص ﴿ قُلْ يَتَأَيُّهَا الْكٰفِرُونَ ﴿١﴾ ﴾ <sup>(٧)</sup> و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾ <sup>(٨)</sup> .

فإن ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾ <sup>(٩)</sup> .... تعدل ثلث القرآن، إذ كان القرآن باعتبار معانيه ثلاث أثلاث: ثلث توحيد، وثلث قصص، وثلث أمر ونهي؛ لأن القرآن كلام الله. والكلام: إما إنشاء، وإما إخبار، والإخبار: إما عن الخالق، وإما عن المخلوق.

والإنشاء: أمر ونهي وإباحة.

(١) في (ب) : بما .

(٢) في (أ ب ط) : مميزه .

(٣) في (ب ط) : فيه .

(٤) المؤلف رحمه الله بحث هذا الموضوع بحثا شافيا في مواضع كثيرة . انظر : مجموع الفتاوى (٣ / ٣٢ ، ٣٣ ، ٧٥-٧٨ ، ١٨٨-١٩٣) ، و(٥ / ١٠٥ ، ٢١٠-٢١٢ ، ٣٢٧-٣٦٤) ، و(٩ / ٤٥ ، ٤٦) ، و(١١ / ١٤١-١٤٥) ، و(٢٠ / ٤٢٣-٤٥٠) .

(٥) في (ب د ط) : فميز .

(٦) في (أ ب) : والمحبوب .

(٧) سورة الكافرون آية : ١ .

(٨) سورة الإخلاص آية : ١ .

(٩) سورة الإخلاص آية : ١ .

ف ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾<sup>(١)</sup> فيها ثلث التوحيد، الذي هو خبر عن الخالق، وقد قال ﷺ ﴿ قل هو الله أحد ﴾<sup>(٢)</sup> تعدل ثلث القرآن<sup>(٣)</sup> وعدل<sup>(٤)</sup> الشيء - بالفتح - يكون: ما سواه، من غير جنسه، كما قال تعالى: ﴿ أَوْ عَدَلُ ذَلِكَ صِيَامًا ﴾<sup>(٥)</sup> وذلك يقتضي: أن له من الثواب ما يساوي الثلث في القدر، ولا يكون مثله في الصفة، كمن معه ألف دينار وآخر معه ما يعدلها من الفضة والنحاس وغيرهما.

ولهذا يحتاج إلى سائر القرآن، ولا تعني عنه هذه السورة مطلقاً، كما يحتاج من معه نوع من المال إلى سائر الأنواع، إذ كان العبد محتاجاً إلى الأمر والنهي والقصص.

وسورة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾<sup>(٦)</sup> فيها التوحيد القولي العملي، الذي تدل عليه الأسماء والصفات، ولهذا قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾<sup>(٧)</sup> .

وقد بسطنا الكلام عليها في غير هذا الموضع<sup>(٨)</sup> .

وسورة: ﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا لَكُمُ الْكُفْرُوت ﴾<sup>(٩)</sup> فيها التوحيد القصدى العملي، كما

(١) سورة الإخلاص آية : ١ .

(٢) قل هو الله أحد : سقطت من (أ) .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في سورة الإخلاص ، الحديث رقم(٢٨٩٩) ، (٥ / ١٦٨) ، وقال : " هذا حديث حسن صحيح " . وانظر : سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب في سورة الصمد ، الحديث رقم(١٤٦١) ، (٢ / ١٥٢) ، وسنن ابن ماجه ، كتاب الأدب ، باب ثواب القرآن ، الحديث رقم (٣٧٨٧) ، (٢ / ١٢٤٤) ، وصحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب فضل قل هو الله أحد ، الحديث رقم(٥٠١٣) ، (٩ / ٥٨ ، ٥٩) .

(٤) في (أ) : وهذا الشيء .

(٥) سورة المائدة آية : ٩٥ .

(٦) سورة الإخلاص آية : ١ .

(٧) سورة الإخلاص الآيتان ١ ، ٢ .

(٨) للمؤلف رسالة مستقلة في تفسير سورة الإخلاص .

(٩) سورة الكافرون آية : ١ .

قال تعالى ﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا لِكُفْرِهِمْ ﴾ ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ﴿<sup>(١)</sup> وهذا<sup>(٢)</sup> يتميز من يعبد الله ممن يعبد غيره وإن كان كلاهما<sup>(٣)</sup> يقر بأن الله رب كل شيء<sup>(٤)</sup> ويتميز عباد الله المخلصون الذين لم يعبدوا إلا إياه، ممن عبد غيره وأشرك به، أو نظر إلى القدر الشامل لكل شيء، فسوى بين المؤمنين والكفار، كما كان يفعل المشركون من العرب.

ولهذا قال ﷺ ﴿ إِنَّمَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشَّرِكِ ﴾<sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup> .

وسورة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ﴿<sup>(٧)</sup> فيها إثبات الذات، وما لها من الأسماء والصفات التي يتميز بها مشبو الرب الخالق، الأحد الصمد، عن المعطلين له بالحقيقة، نفاة الأسماء والصفات، المضاهين لفرعون وأمثاله ممن أظهر التعطيل والجحود للإله المعبود، وإن كان في الباطن يقر به، كما قال تعالى ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾<sup>(٨)</sup> وقال موسى ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَافِرَعُونَ مَثْبُورًا ﴾<sup>(٩)</sup> .

والله سبحانه بعث أنبياءه بإثبات مفصل، ونفي مجمل، فأثبتوا له الأسماء والصفات،

(١) سورة الكافرون الآيتان ١ ، ٢ .

(٢) في (أ) : ولهذا .

(٣) في المطبوعة : كل واحد منهما .

(٤) في المطبوعة : ومليكه .

(٥) الترمذي الدعوات (٣٤٠٣) ، أبو داود الأدب (٥٠٥٥) ، أحمد (٤٥٦/٥) ، الدارمي فضائل القرآن (٣٤٢٧) .

(٦) جاء ذلك في حديث أخرجه الترمذي في كتاب الأدب ، باب (٢٢) ، الحديث رقم (٣٤٠٣) ، (٥ / ٤٧٤) ، وقد ذكره من طرق وذكر ما يفيد صحة بعضها . وأبو داود في كتاب الأدب ، باب ما يقول عند النوم ، الحديث رقم (٥٠٥٥) ، (٥ / ٣٠٣)؛ وأحمد في المسند (٥ / ٤٥٦)؛ والدارمي في كتاب فضائل القرآن ، باب فضل (قل يا أيها الكافرون) (٢ / ٤٥٨ ، ٤٥٩) .

(٧) سورة الإخلاص آية : ١ .

(٨) سورة النمل : من الآية ١٤ .

(٩) سورة الإسراء : الآية ١٠٢ .

ونفوا عنه مماثلة المخلوقات. ومن خالفهم من المعطلة المتفلسفة وغيرهم عكسوا القضية، فجاءوا بنفي مفصل وإثبات مجمل، يقولون ليس كذا، ليس كذا، ليس كذا<sup>(١)</sup>.

فإذا أرادوا إثباته قالوا: وجود مطلق بشرط النفي، أو بشرط الإطلاق،<sup>(٢)</sup> وهم يقرون في منطقتهم اليوناني: أن المطلق بشرط الإطلاق لا يكون في الخارج، فليس في الخارج حيوان مطلق بشرط الإطلاق، ولا إنسان مطلق بشرط الإطلاق، ولا موجود مطلق بشرط الإطلاق، بخلاف المطلق لا بشرط الذي يطلق على هذا وهذا، وينقسم إلى هذا وهذا، فإن هذا يقال: إنه في الخارج لا يكون إلا معينا<sup>(٣)</sup> مشخصا.<sup>(٤)</sup> أو يقولون إنه الوجود المشروط بنفي كل ثبوت عنه<sup>(٥)</sup> فيكون مشاركا لسائر الموجودات في مسمى الوجود، متميزا عنها بالعدم.

وكل موجود متميز بأمر ثبوتي، والوجود خير من العدم<sup>(٦)</sup> فيكون أحقر الموجودات خيرا من هذا<sup>(٧)</sup> الذي ظنوه وجودا واجبا، هذا إذا أمكن تحقيقه في الخارج، فكيف<sup>(٨)</sup> وذلك ممتنع؛ لأن المتميز بين الموجودين لا يكون عدما محضا، بل لا يكون إلا وجودا؟ فهؤلاء الذين يدعون أنهم أفضل المتأخرين، من الفلاسفة المشائين<sup>(٩)</sup> يقولون: في وجود واجب الوجود، ما يعلم بصريح المعقول الموافق لقوانينهم المنطقية: أنه قول بامتناع الوجود الواجب<sup>(١٠)</sup> وأنه جمع بين النقيضين، وهذا في غاية الجهل والضلال.

(١) ليس كذا- الثالثة- : سقطت من (د) .

(٢) بشرط الإطلاق : سقطت من (أ ط) .

(٣) في (أ ط) : إلا معنى .

(٤) من هنا حتى قوله : فهؤلاء الذين يدعون (خمسة أسطر تقريبا) : ساقطة من (أ ط) .

(٥) في المطبوعة : عنه منه .

(٦) في (ب) : من المعدم .

(٧) ما بين الرقمين ساقط من المطبوعة . وقال بدله : خير من العدم . ثم قال : وذلك ممتنع . . إلخ .

(٨) ما بين الرقمين ساقط من المطبوعة . وقال بدله : خير من العدم . ثم قال : وذلك ممتنع . . إلخ .

(٩) المشاء : الكثير المشي ، والمشائي هو : الأرسطي ، فالمشاؤون هم : أتباع أرسطو ، سموا بذلك لأن أرسطو

كان يعلم تلاميذه ماشيا ، وهم يمشون . انظر : المعجم الفلسفي لجميل صليبا (٢ / ٣٧٣) ، باب الميم .

(١٠) في المطبوعة : الوجود الواجب الوجود .



وأما الرسل صلوات الله عليهم: فطريقتهم طريقة القرآن، قال سبحانه وتعالى:

﴿ سُبْحٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلٰمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ (١).

والله تعالى يخبر في كتابه أنه: حي، قيوم، عليم، حكيم، غفور، رحيم، سميع، بصير، علي، عظيم، خلق (٢) السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش، وكلم موسى تكليماً، وتجلى للجبل فجعله دكا، يرضى عن المؤمنين، ويغضب على الكافرين (٣) إلى أمثال ذلك من الأسماء (٤) والصفات.

ويقول في النفي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴿٥﴾ ﴾ (٥) ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٦﴾ ﴾ (٦) ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ ﴾ (٧) ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ﴿٨﴾ ﴾ (٨) فنفي بذلك أن تكون صفاته كصفات المخلوقين، وأنه ليس كمثل شيء، لا في نفسه المقدسة، المذكورة بأسمائه وصفاته، ولا في شيء من صفاته ولا أفعاله: ﴿ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ (٩) ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوٰتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿١٠﴾ ﴾ (١٠).

فالمؤمن يؤمن بالله، وما له من الأسماء الحسنى، ويدعوه بها، ويجتنب الإلحاد في أسمائه

(١) سورة الصافات: الآيات ١٨٠ - ١٨٢ .

(٢) في (ب) : خالق .

(٣) في (أ) : الكافر .

(٤) الأسماء : ساقطة من (ج د) .

(٥) سورة الشورى : من الآية ١١ .

(٦) سورة الإخلاص : الآية ٤ .

(٧) سورة مريم : من الآية ٦٥ .

(٨) سورة البقرة : من الآية ٢٢ .

(٩) سورة الإسراء : الآيتان ٤٣ ، ٤٤ .

وآياته، قال تعالى ﴿ وَبِاللَّهِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ ﴾ (١)  
 وقال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا ۗ ﴾ (٢) وهو يدعو الله وحده،  
 ويعبده وحده (٣) لا يشرك بعبادة ربه أحدا، ويجتنب طريق المشركين الذين قال الله تعالى  
 فيهم ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾  
 أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ  
 عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ (٤).

وقال تعالى ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي  
 السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ ۚ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ ﴿٥٨﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ  
 عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ  
 الْكَبِيرُ ﴿٥٩﴾ ﴾ (٥).

وهذه جمل لها تفاصيل، ونكت تشير إلى خطب جليل.

فليجتهد المؤمن في تحقيق العلم والإيمان، وليتخذ الله هاديا ونصيرا، وحاكما (٦) ووليا، فإنه  
 نعم المولى ونعم النصير، وكفى بربك هاديا ونصيرا. وإن أحب دعا (٧) بالدعاء الذي رواه  
 مسلم وأبو داود وغيرهما، عن عائشة -رضي الله عنها- ﴿ أن النبي ﷺ كان إذا قام يصلي  
 من الليل يقول: " اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم  
 الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهديني لما اختلف فيه من

(١) سورة الأعراف : من الآية ١٨٠ .

(٢) سورة فصلت : من الآية ٤٠ .

(٣) في (ب) زاد : لا شريك له .

(٤) سورة الإسراء : الآيتان ٥٦ ، ٥٧ .

(٥) سورة سبأ : الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .

(٦) من هنا حتى قوله : وإن أحب (سطر تقريبا) : سقط من (أ ب ط) .

(٧) في (أ ب ط) : وإن أحب دعاء فالدعاء الذي رواه مسلم .

الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم ﴿١﴾ (٢) وذلك أن الله تعالى يقول:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (٣) أي: فاختلّفوا، كما في سورة يونس (٤) وقد قيل: إنها

كذلك في حرف عبد الله (٥) ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ

بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ

الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي

مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦﴾

(١) مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٧٠)، الترمذي الدعوات (٣٤٢٠)، النسائي قيام الليل وتطوع النهار (١٦٢٥)،

أبو داود الصلاة (٧٦٧)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٥٧)، أحمد (١٥٦/٦).

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، الحديث رقم (٧٧٠)، (١ / ٥٣٤).

(٣) سورة البقرة: من الآية ٢١٣.

(٤) يشير إلى قوله تعالى: " وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا " سورة يونس: الآية ١٩، وقد أثبتتها في المطبوعة في المتن، لكن النسخ المخطوطة لم تذكرها كما هو مثبت.

(٥) يعني في قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. انظر: تفسير ابن جرير (٢ / ١٩٤، ١٩٥).

(٦) سورة البقرة: الآية ٢١٣.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على رسوله النبي الأمين، الذي تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

وبعد: فقد انتهيت -بعون الله وتوفيقه- من تحقيق كتاب: "اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم" لشيخ الإسلام الإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، وأنا مغتبط بما كسبته من فائدة كبيرة جنيتها من خلال قراءة الكتاب قراءة متأنية، ثم من خلال خدمتي له أثناء تخريج أحاديثه وآثاره، ودراسة موضوعاته، وترجمة أعماله، وغير ذلك، مما ساقني لقراءة كتب السنة، والتفسير، والرجال، والتاريخ، والفقه، والسيرة، وغيرها، فضلا عن قراءة كتب المؤلف الأخرى.

وقد حاولت خلال تحقيق الكتاب ودراسته: أن أخدم القارئ، وأن أخدم الكتاب، قدر استطاعتي، ومع هذا فإني أحس الآن أن هناك جوانب تركتها، وأخرى قصرت فيها، وهكذا عمل البشر لا يخلو من خلل، ومن نقص، إنما المطلوب التسديد والمقاربة، والاجتهاد وبذل الوسع، وهذا ما حاولته إن شاء الله.

ثم إن القارئ لا بد أن يحس بأن هناك جوانب نقص، ولا بد أن يجد أخطاء وقعت فيها، وأن يتمنى أشياء لو أفي فعلتها، ولا بد أن يخالفني في بعض ما فعلته، أو قلته، أو توصلت إليه، وهذا راجع لاختلاف وجهات النظر بين الناس، ولأن عين الناقد بصيرة، ولأن من يستعرض العمل وينظر فيه، غير من يمارسه ويعايشه.

فأمل من القارئ الكريم إذا وجد خطأ، أو لاحظ خللا أو نقصا، أو لديه ما يفيد ويخدم الكتاب والقراء، أن يرشدني إلى ذلك، ويزودني به؛ لأنه بذلك يخدم، ويشارك في الخير.

وأخيرا فإن هذا الكتاب -كما أشرت في الدراسة- من الكتب القيمة التي تحمل العلاج الناجع لكثير من أمراض المسلمين الاعتقادية، والأخلاقية، والسلوكية، ولم يكن علاجا وقتيا لعصر مؤلفه فحسب، بل إنه يعالج الكثير من مشاكل المسلمين اليوم، وكأنه

---

---

كتب لهذا العصر.

فجزى الله مؤلفه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وأسأل الله التوفيق والمثوبة لي ولكل من أسهم في إخراج هذا الكتاب وخدمته، وأخص فضيلة شيخني صالح بن فوزان الفوزان، الذي أشرف على تحقيقه، وأسهم بملاحظاته وتوجيهاته، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

[ ]

( )

( ) :

١- أطلس العالم: محمد سيد نصر وجماعة. طبعة جديدة عام ١٩٨٢ - مكتبة بيروت.

٢- دليل القارئ إلى مواضع الحديث في صحيح البخاري: عبد الله بن محمد الغنيمان. الطبعة الأولى، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة.

٣- الفهرست: محمد بن إسحاق النديم. طبعة دار المعرفة ١٣٨٨هـ.

٤- القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. المؤسسة العربية للطباعة والنشر- لبنان.

٥- لسان العرب: محمد بن مكرم ابن منظور. طبعة دار صادر ودار بيروت- لبنان، ١٣٨٨هـ.

٦- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، الطبعة الأولى.

٧- مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي. دار الكتاب العربي- لبنان ١٩٦٧م.

٨- معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي. طبعة دار صادر- بيروت.

٩- المعجم الفلسفي: جميل صليبا. الطبعة الأولى ١٩٧٣م.

١٠- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي: جماعة من المستشرقين. طبعة مكتبة برلين.

١١- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي.

١٢- المعجم الوسيط: جماعة من الباحثين: المكتبة العلمية بطهران، أصدره مجمع اللغة

العربية بمصر.

١٣- مفتاح كنوز السنة: محمد فؤاد عبد الباقي. سهيل كديمي - لاهور ١٣٩١هـ.

١٤- المنجد في اللغة والأدب والعلوم: لويس معلوف. الطبعة الثامنة عشرة.

١٥- الموسوعة العربية الميسرة: بإشراف محمد شفيق غربال. دار الشعب ومؤسسة

فرانكلين للطباعة والنشر.

( ٢ ) :

١٦- التبصرة في القراءات السبع: مكي بن أبي طالب. تعليق محمد غوث الندوي،

الدار السلفية بالهند.

١٧- تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن كثير الدمشقي. صححها نخبة من العلماء،

طبع المكتبة الشعبية.

١٨- تفسير مجاهد: مجاهد بن جبر المخزومي. تحقيق عبد الرحمن السورقي. طبعة

خليفة بن حمد آل ثاني، مطابع الدوحة.

٩- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: جمع محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. نشر

المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة الاشتقاق - القاهرة ١٣٨٠هـ.

٢٠- الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد القرطبي. نشر دار الكتاب العربي.

٢١- جامع البيان في تفسير القرآن: محمد بن جرير الطبري. صورة الطبعة الأولى

١٣٢٣- بولاق، نشر دار المعرفة - لبنان.

٢٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي. نشر محمد أمين دمج -

بيروت.

٢٣- فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني. طبعة ثانية ١٣٨٣هـ، مطبعة مصطفى

الباي الحلبي.

( ) :

٢٤- الأذكار النووية: يحيى بن شرف النووي. تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، طبعة

الملاح بدمشق ١٣٩١هـ. ٢٥- الاستذكار لمذاهب الفقهاء الأمصار: يوسف بن عبد البر. تحقيق علي النجدي ناصف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر، لجنة إحياء التراث الإسلامي.

٢٦- تدريب الراوي، شرح تقريب النواوي: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ، دار إحياء السنة النبوية. ٢٧- جامع الأصول في أحاديث الرسول: المبارك بن محمد بن الأثير الجزري. تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، طبعة ١٣٨٩هـ.

٢٨- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، دار الفكر. ٢٩- سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني. الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ، المكتب الإسلامي.

٣٠- سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني (ابن ماجه). تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي ١٣٩٥هـ.

٣٢- سنن أبي داود، وبهامشه (معالم السنن للخطابي): سليمان بن الأشعث السجستاني (أبو داود). إعداد وتعليق عزة عيد الدعاس، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ.

٣٣- سنن الترمذي (الجامع الصحيح): محمد بن عيسى بن سورة الترمذي. تحقيق أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض. نشر المكتبة الإسلامية للحاج رياض الشيخ.

٣٤- سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي. بعناية محمد أحمد دهمان. نشر دار إحياء السنة النبوية.

٣٥- السنن الكبرى، ومعه (الجواهر النقي) لابن التركماني: أحمد بن الحسين البيهقي. طبعة دار الفكر- بيروت. ٣٦- سنن النسائي بشرح السيوطي، وحاشية السندي، أحمد بن شعيب النسائي. الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ، المطبعة المصرية.



- ٣٧- شرح السنة: الحسين بن مسعود الفراء البغوي. تحقيق شعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.
- ٣٨- شرح النووي على صحيح مسلم: يحيى بن شرف النووي. طبعة دار الفكر- بيروت.
- ٣٩- صحيح ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي. تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، المكتب الإسلامي.
- ٤٠- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- ٤١- عون المعبود (شرح سنن أبي داود): محمد شمس الحق العظيم آبادي. تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ، المكتبة السلفية بالمدينة.
- ٤٢- فتح الباري بشرح صحيح البخاري (صحيح البخاري): الشرح لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، والأصل لمحمد بن إسماعيل البخاري. نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية.
- ٤٣- الفتح الرباني، معه بلوغ الأماني (في مسند أحمد): أحمد بن عبد الرحمن البنا. الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي.
- ٤٤- الفتوحات الربانية على الأذكار النووية: محمد بن علان الشافعي. المكتبة الإسلامية، الحاج رياض الشيخ. ٤٥- فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: إسماعيل بن إسحاق القاضي. تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ.
- ٤٦- الفوائد المجموعة: محمد بن علي الشوكاني. تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.
- ٤٧- فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي. الطبعة الثانية، دار المعرفة- لبنان.

- ٤٨ - كتاب السنة: عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني. تخريج محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ، المكتب الإسلامي.
- ٤٩ - كشف الخفا ومزيل الإلباس: إسماعيل بن محمد العجلوني. صححه أحمد القلاش، نشر مكتبة التراث الإسلامي - حلب، ودار التراث - القاهرة.
- ٥٠ - كثر العمال في سنن الأقوال والأعمال: علي المتقي بن حسام الدين الهندي. نشر مكتبة التراث الإسلامي - حلب.
- ٥١ - اللآلئ المصنوعة: جلال الدين السيوطي - الطبعة الأولى، المكتبة الحسينية المصرية - الأزهر، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ، مؤسسة الرسالة.
- ٥٢ - المراسيل: عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي: عناية شكر الله قوجاني، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ، مؤسسة الرسالة.
- ٥٣ - المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني. تحقيق حمدي عبد المجيد، نشر وزارة الأوقاف العراقية، طبع الدار العربية للطباعة، بغداد.
- ٥٤ - المستدرك على الصحيحين، بهامشه (التلخيص) للذهبي: محمد بن عبد الله الحاكم: مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب.
- ٥٥ - مسند الإمام أحمد (بهامشه منتخب كثر العمال): أحمد بن حنبل الشيباني. المكتب الإسلامي ودار صادر.
- ٥٦ - المصنف: عبد الرزاق بن همام الصنعاني. تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ.
- ٥٧ - المصنف: عبد الله بن محمد بن أبي شيبه. بعناية عبد الخالق أفغاني، طبعة ١٣٨٧هـ.
- ٥٨ - المقاصد الحسنة: محمد بن عبد الرحمن السخاوي. الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، دار الكتب العلمية - لبنان.
- ٥٩ - المنار المنيف في الصحيح والضعيف: ابن قيم الجوزية. تحقيق عبد الفتاح أبو

غدة، نشر مكتبة المطبوعات الإسلامية- حلب، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ.

٦٠- الموطأ: مالك بن أنس، تصحيح وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي. طبعة دار إحياء

التراث العربي.

( ) :

٦١- أسد الغابة في معرفة الصحابة: علي بن أبي الكرم بن الأثير. نشر المكتبة

الإسلامية، للحاج رياض الشيخ.

٦٢- الإصابة في تمييز الصحابة، وبهامشه الاستيعاب لابن عبد البر: أحمد بن علي بن

حجر العسقلاني. صورة الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ، دار صادر.

٦٣- الأعلام: خير الدين الزركلي. الطبعة الرابعة ١٩٧٩م، دار العلم للملايين.

٦٤- الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية: عمر البزار، تحقيق زهير الشاويش، الطبعة

الثالثة، ١٤٠٠هـ.

٦٥- البداية والنهاية: إسماعيل بن كثير. الطبعة الثانية ١٩٧٨م، مكتبة المعارف-

بيروت، ومكتبة النصر- الرياض.

٦٦- التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل البخاري. طبعة دائرة المعارف العثمانية

بجيدرآباد- الهند.

٦٧- تاريخ واسط: أسلم بن سهل الرزاز. تحقيق كوركيس عواد، مطبعة المعارف-

بغداد ١٣٨٧هـ.

٦٨- تبيين العجب بما ورد في فضل رجب: أحمد بن حجر العسقلاني. بعناية عبد الله

الجبرين. طبعة ١٤٠٠هـ. ٦٩- تذكرة الحفاظ: الحافظ أبو عبد الله الذهبي. دار إحياء

التراث العربي عن مطبوعات دائرة المعارف العثمانية. ٧٠- تعجيل المنفعة: أحمد بن حجر

العسقلاني. طبعة دار الكتاب العربي- بيروت.

٧١- تقريب التهذيب: أحمد بن حجر العسقلاني. تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف،

الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ، دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت.

- ٧٢- تهذيب الأسماء واللغات: يحيى بن شرف النووي. إدارة المطبعة المنيرية- بيروت.
- ٧٣- تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. صورة الطبعة الأولى ١٣٢٦هـ، دار صادر.
- ٧٤- جامع كرامات الأولياء: يوسف بن إسماعيل النبهاني. تحقيق إبراهيم عطوة عوض، الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ.
- ٧٥- الجرح والتعديل: عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي. الطبعة الأولى، مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند ١٣٧١هـ.
- ٧٦- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال: أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري. الطبعة الثانية ١٣٩١هـ.
- ٧٧- ذكر أخبار أصبهان: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني. طبع في مدينة ليدن، مطبعة بريل ١٩٣٤م، نشر مؤسسة النصر- طهران.
- ٧٨- الذيل على طبقات الحنابلة: أبو الفرج عبد الرحمن شهاب الدين الحنبلي. نشر دار المعرفة.
- ٧٩- زاد المعاد: ابن قيم الجوزية. تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
- ٨٠- السيرة النبوية: إسماعيل بن كثير: تحقيق مصطفى عبد الواحد، طبعة دار المعرفة- بيروت.
- ٨١- سيرة النبي ﷺ عبد الملك بن هشام. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني ١٣٨٣هـ.
- ٨٢- شذرات الذهب: عبد الحي بن العماد الحنبلي. طبعة المكتبة التجارية الكبرى- بيروت.
- ٨٣- الشفا بتعريف حقوق المصطفى: القاضي عياض بن موسى اليحصبي. طبعة مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني.

- ٨٤- طبقات الحنابلة: القاضي محمد بن أبي يعلى. نشر دار المعرفة للطباعة والنشر.
- ٨٥- طبقات الفقهاء: أبو إسحاق الشيرازي الشافعي. تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.
- ٨٦- الطبقات الكبرى ( لابن سعد ): محمد بن سعد. دار صادر- بيروت.
- ٨٧- الطبقات الكبرى ( للشعراني ): أحمد بن علي الشعراني. طبعة المكتبة الشعبية بلبنان.
- ٨٨- غاية النهاية في طبقات القراء: محمد بن محمد بن الجزري. بعناية برجستراسر، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.
- ٨٩- الفوائد البهية: محمد عبد الحي اللكنوي. تصحيح أبو فراس النعساني، طبعة دار المعرفة- بيروت.
- ٩٠- فوات الوفيات، والذيل عليها: محمد بن شاكر الكتي. تحقيق إحسان عباس، مطبعة دار صادر- بيروت.
- ٩١- القلائد الجمان، في التعريف بقبائل عرب الزمان: أحمد بن علي القلقشندي. تحقيق إبراهيم الأنباري، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ، مطبعة السعادة بالقاهرة.
- ٩٢- كتاب التوايين: ابن قدامة المقدسي.
- ٩٣- اللباب في تهذيب الأنساب: عز الدين بن الأثير الجزري. مكتبة المتني- بغداد.
- ٩٤- لسان الميزان: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. الطبعة الثانية ١٩٧١م- ١٣٩٠هـ، نشر مؤسسة الأعلمي.
- ٩٥- مناقب الإمام أحمد: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي. تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
- ٩٦- ميزان الاعتدال: محمد بن أحمد الذهبي. تحقيق علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ، دار إحياء الكتب العربية.
- ٩٧- وفيات الأعيان: أحمد بن محمد بن خلكان: تحقيق إحسان عباس، طبعة دار

صادر، بيروت.

٩٨- يحيى بن معين وكتابه التاريخ: تحقيق د. أحمد محمد نور سيف، الطبعة الأولى  
١٣٩٩هـ.

( ) :

٩٩- الإيمان: شيخ الإسلام ابن تيمية: نشر المكتب الإسلامي عام ١٣٨١هـ.

١٠٠- تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد: سليمان بن عبد الله بن محمد بن  
عبد الوهاب. نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد- السعودية.

١٠١- جامع الرسائل والمسائل (المجموعة الأولى): شيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق د.  
محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ، مطبعة المدني- القاهرة.

١٠٢- الرد على الجهمية والزنادقة: الإمام أحمد بن حنبل. تصحيح إسماعيل  
الأنصاري.

١٠٣- الرد على المنطقيين: شيخ الإسلام ابن تيمية. الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ، إدارة  
ترجمان السنة- لاهور.

١٠٤- الرسالة التدمرية: شيخ الإسلام ابن تيمية. طبعة كلية الشريعة بالرياض.

١٠٥- شرح الأصول الخمسة: للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني. تحقيق د. عبد  
الكريم عثمان في مجلد واحد (خمسة أجزاء)، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ، مكتبة وهبة.

١٠٦- الغنية: لعبد القادر الجيلاني. الطبعة الثالثة ١٣٧٥هـ.

١٠٧- الفرق بين الفرق: عبد القاهر البغدادي. الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ، دار الآفاق  
الجديدة.

١٠٨- الفصل: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري.

١٠٩- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة: شيخ الإسلام ابن تيمية. طبعة المكتب  
الإسلامي الثانية ١٣٩٨هـ.

١١٠- الملل والنحل: محمد بن أبي القاسم الشهرستاني.

( ) :

- ١١١- أحكام أهل الذمة: ابن قيم الجوزية. تحقيق د. صبحي الصالح، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ.
- ١١٢- الآداب الشرعية: محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي، نشر مكتبة الرياض الحديثة ١٣٩١هـ.
- ١١٣- أصول السرخسي: محمد بن أحمد السرخسي. تحقيق أبو الوفاء أفغاني، نشر إحياء المعارف النعمانية بالهند، طبعة ١٣٧٢هـ.
- ١١٤- أصول الفقه: محمد الخضري بك. الطبعة السادسة ١٣٨٩هـ، المكتبة التجارية الكبرى.
- ١١٥- إعانة الطالبين: السيد البكري. طبعة دار الفكر.
- ١١٦- الإفصاح عن معاني الصحاح: يحيى بن محمد بن هبيرة الحنبلي. طبع ونشر المؤسسة السعيدية- بالرياض. ١١٧- الأم: محمد بن إدريس الشافعي. بإشراف محمد زهيرى النجار، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ، دار المعرفة- لبنان.
- ١١٨- إمتاع العقول، عبد القادر شيبه الحمد. الطبعة الأولى ١٣٨١هـ.
- ١١٩- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: شيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق د. صلاح الدين المنجد، الطبعة الأولى عن دار الكتاب الجديد ١٣٩٦هـ.
- ١٢٠- الأموال: أبو عبيد القاسم بن سلام. تصحيح وتعليق محمد حامد الفقي. نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر.
- ١٢١- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف: علي بن سليمان المرادوي. تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ.
- ١٢٢- الخراج: للقاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم. طبعة دار المعرفة ١٣٩٩هـ، ضمن موسوعة الخراج.
- ١٢٣- الروض المربع (بجاشية العنقري): منصور البهوتي.

١٢٤- شرح الكوكب المنير: محمد بن أحمد الفتوحى الحنبلى. تحقيق محمد حامد  
الفقى، الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ.

١٢٥- المدونة: الإمام مالك، برواية سحنون عن ابن القاسم. الطبعة الأولى، مطبعة  
السعادة بمصر.

١٢٦- مسائل الإمام أحمد: إسحاق بن إبراهيم النيسابورى. تحقيق زهير الشاويش،  
الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ، المكتب الإسلامى.

١٢٧- مسائل الإمام أحمد: سليمان بن الأشعث أبو داود. تقديم وتصدير محمد رشيد  
رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر.

١٢٨- مسائل الإمام أحمد: عبد الله بن أحمد بن حنبل. تحقيق زهير الشاويش، الطبعة  
الأولى ١٤٠١هـ، المكتب الإسلامى.

١٢٩- المغنى (والشرح الكبير): عبد الله بن أحمد بن قدامة. بعناية جماعة من العلماء،  
طبعة دار الكتاب العربى للنشر والتوزيع ١٣٩٢هـ.

١٣٠- الهداية، شرح بداية المبتدى: علي بن أبي بكر الرشدانى. الطبعة الأخيرة،  
شركة مصطفى البابى الحلبى ومحمود ونصار الحلبى.

( ) :

١٣١- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: عبد الله بن جمال الدين بن هشام  
الأنصارى. ومعه إرشاد السالك إلى تحقيق أوضح المسالك: محمد محيى الدين عبد الحميد.

١٣٢- السامى فى الأسامى: أحمد بن أبى الفضل المديانى النيسابورى. ترتيب د. محمد  
موسى هنداووى.

١٣٣- شرح القصائد السبع: الحسين بن أحمد الزوزنى. تحقيق محمد محيى الدين عبد  
الحميد، نشر مكتبة محمد علي صبيح وأولاده بمصر.



أأخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا .....

أنفكا آلهة دون الله تريدون .....

إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله .....

إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون .....

إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون .....

إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون .....

إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين .....

إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد .....

أرأيت الذي ينهى .....

أفرأيتم اللات والعزى .....

أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه .....

أفنجعل المسلمين كالمجرمين .....

ألا إن لله من في السماوات ومن في الأرض وما يتبع الذين يدعون من .....

إلا الذي فطرني فإنه سيهدين .....

إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر .....

إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب .....

إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما .....

ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا .....

إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة .....

ألكم الذكر وله الأنثى .....

ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت .....

ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم .....

ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل .....

ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم .....

ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق .....

أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا .....

أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا .....

أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات .....

أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة .....

أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل .....

آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته .....

آمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله .....

إن إبراهيم لحليم أواه منيب .....

إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من .....

إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله .....

إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا .....

إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى .....

إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم .....

إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا .....

إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس .....

إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خيرا .....

إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون .....

إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح .....

إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه .....

إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار .....

إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون .....

إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا .....

إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين .....

إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا .....

إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها .....

أنتم وآبائكم الأقدمون .....

إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب .....

إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع .....

..... إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون .....

..... إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم .....

..... إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله .....

..... إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون .....

..... إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى .....

..... إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري .....

..... إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض .....

..... إني إذا لفي ضلال مبين .....

..... إني آمنت بربكم فاسمعون .....

..... إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى .....

..... إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين .....

..... أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً .....

..... أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجراً إن .....

..... أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته .....

..... أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون .....

..... إياك نعبد وإياك نستعين .....

..... أيحسبون أننا نمدهم به من مال وبنين .....

..... اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما .....

..... ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين .....

..... استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر .....

..... اقرأ باسم ربك الذي خلق .....

..... اقرأ وربك الأكرم .....

..... الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على .....

..... التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون .....

..... الحق من ربك فلا تكونن من الممترين .....

..... الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماء فأخرج .....

الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور .....

الذي خلقني فهو يهدين .....

الذي علم بالقلم .....

الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا .....

الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون .....

الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا .....

الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله .....

الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة .....

الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي .....

الرحمن الرحيم .....

الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى .....

الله الصمد .....

الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في .....

الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير .....

المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ....

اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم .....

بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون .....

بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزين ذلك .....

بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون .....

بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم .....

ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن .....

تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده .....

تلك إذا قسمة ضيزى .....

تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات .....

تتريل الكتاب من الله العزيز الحكيم .....

ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين .....

ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا .....

ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة .....

ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل.....  
حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة

حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه .....

خلق الإنسان من علق .....

خلق من ماء دافق .....

ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي .....

ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام .....

رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له .....

رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات .....

ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين .....

ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا .....

ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب .....

ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف .....

رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء .....

سبحان ربك رب العزة عما يصفون .....

سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا .....

سواء عليهم أاستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن .....

سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم .....

سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمانا .....

سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل .....

سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا .....

سيقولون لله قل أفلا تتقون .....

سيقولون لله قل أفلا تذكرون .....

سيقولون لله قل فأني تسحرون .....

شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به .....

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .....

ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان .....

ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في .....  
ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس .....  
عبدا إذا صلى .....  
عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات .....  
علم الإنسان ما لم يعلم .....  
فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم .....  
فإذا فرغت فانصب .....  
فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا فمن .....  
فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي .....  
فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل .....  
فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون .....  
فإنهم عدو لي إلا رب العالمين .....  
فاستجاب لهم ربهم أي لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم .....  
فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون .....  
فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار .....  
فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا .....  
فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا .....  
فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن .....  
فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة .....  
فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون .....  
فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون .....  
فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون .....  
ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن .....  
فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم .....  
فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب .....  
فلما ذهب عن إبراهيم الروح وجاءته البشري يجادلنا في قوم لوط .....  
فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم .....  
فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهديني ربي

فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا .....  
في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو .....  
فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا والله على الناس .....  
قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم .....  
قال أغير الله أبعيكم إلهها وهو فضلكم على العالمين .....  
قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون .....  
قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين .....  
قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون .....  
قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون .....  
قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإني .....  
قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين .....  
قال هل يسمعونكم إذ تدعون .....  
قالوا أجتئنا بالحق أم أنت من اللاعبين .....  
قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين .....  
قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين .....  
قد خسروا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله .....  
قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين .....  
قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا .....  
قل أرايتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون .....  
قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له .....  
قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين .....  
قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها .....  
قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله .....  
قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا .....  
قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو .....  
قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير .....  
قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا .....  
قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات .....

قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً....

قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى.....

قل لا أجد في ما أوحى إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة.....

قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السماوات والأرض ثم إليه ترجعون.....

قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون.....

قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم.....

قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله.....

قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه.....

قل هو الله أحد.....

قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا.....

قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم.....

قل يا أيها الكافرون.....

قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل.....

قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبتها لجة وكشفت عن ساقها قال إنه.....

كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا.....

كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم.....

كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون.....

كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً.....

لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل.....

لإيلاف قريش.....

لا أعبد ما تعبدون.....

لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله.....

لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه.....

لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين.....

لا يزال بنياهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله.....

لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم.....

لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا.....



لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً.....  
لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك.....  
لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين.....  
لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق.....  
لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد.....  
لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من.....  
لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني.....  
لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر وادع إلى ربك.....  
لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه.....  
لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون.....  
ليجزئهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء.....  
ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم.....  
ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله.....  
ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن.....  
ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى.....  
ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا.....  
ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي.....  
ما كان للمشركين أن يعمرؤا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر.....  
ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي.....  
ما لكم كيف تحكمون.....  
مالك يوم الدين.....  
مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً.....  
محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم.....  
من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا وسمع.....  
من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له.....  
من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً.....  
نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون.....  
هاأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يخجل ومن يخجل.....

هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار .....  
هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم .....  
هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما .....  
هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم .....  
هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم .....  
وأتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم .....  
وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم .....  
وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم .....  
وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه .....  
وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد .....  
وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى .....  
وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من .....  
وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون .....  
وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق .....  
وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون .....  
وإذا جاءكم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله .....  
وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه .....  
وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا .....  
وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون .....  
وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا .....  
وإذا مرضت فهو يشفين .....  
وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا .....  
وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر .....  
وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق .....  
وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله .....  
وإلى ربك فارغب .....  
وأملئهم إن كيدي متين .....  
وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا .....

وإن منهم لفريقا يلوون ألستهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو .....  
وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله .....  
وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون .....  
وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي .....  
وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من .....  
وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمننا .....  
وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن .....  
وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا .....  
وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون .....  
واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين .....  
واتل عليهم نبأ إبراهيم .....  
واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي .....  
واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار .....  
واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون .....  
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى .....  
واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن .....  
والحمد لله رب العالمين .....  
والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين .....  
والذي هو يطعمني ويسقيني .....  
والذي يميتني ثم يحييني .....  
والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر .....  
والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولو الأرحام .....  
والذين اتخذوا مسجدا ضارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا .....  
والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد .....  
والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما .....  
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن ..  
والمرسلات عرفا .....

وتالله لأكيدين أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين.....  
وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك .....  
وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم .....  
وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين .....  
وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون .....  
وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم .....  
وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هداني ولا أخاف ما تشركون .....  
ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من .....  
وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا.....  
وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم .....  
وذو الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرثم الحياة الدنيا وذكر به .....  
وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون .....  
وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين .....  
وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي .....  
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن .....  
وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم .....  
وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون ..  
وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين.....  
وقالت اليهود ليست النصرارى على شيء وقالت النصرارى ليست اليهود على .....  
وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه .....  
وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا .....  
وقالوا لا تذرنا ألهتكم ولا تذرنا ودا ولا سواعا ولا يعقوث ويعوق ونسرا .....  
وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصرارى تلك أمانهم قل .....  
وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين .....  
وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف .....  
وكذلك أعتزنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها .....  
وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك من العلم .....  
وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم .....

وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين.....  
وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به .....  
ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع.....  
ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل.....  
ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون.....  
ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما.....  
ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله.....  
ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك..  
ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فرغ عن قلوبهم قالوا .....  
ولا يحسن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم.....  
ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين.....  
ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات.....  
ولقد آتينا موسى الكتاب وبقينا من بعده بالرسول وآتينا عيسى ابن.....  
ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال.....  
ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا.....  
ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم.....  
ولقد جتتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما حولناكم وراء.....  
ولكل أمة جعلنا منسكا ليدكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام.....  
ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله.....  
ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون.....  
ولم يكن له كفوا أحد.....  
ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون.....  
ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله.....  
ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون.....  
ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سئؤنا.....  
ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين.....  
ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء.....  
وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله.....

وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم ..  
وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا .....  
وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون .....  
وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة .....  
وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة .....  
وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين .....  
وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم .....  
وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحريره .....  
وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون .....  
وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها .....  
وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون .....  
ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات .....  
وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق .....  
ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً .....  
ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين .....  
ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً .....  
ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها .....  
ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند .....  
ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة .....  
ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به .....  
ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين .....  
ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته .....  
ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من .....  
ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما .....  
ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم .....  
ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين .....  
ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون .....  
ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفتناه في الدنيا .....

ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين.....  
ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون.....  
ومناة الثالثة الأخرى.....  
ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله.....  
وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتمناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين.....  
ويسألونك عن الخيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في الخيض ولا تقرّبوهن.....  
ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون.....  
ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا.....  
ويقول الذين آمنوا هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم.....  
ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا.....  
ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون.....  
يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإهم آتيهم عذاب غير.....  
يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما.....  
يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم.....  
يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح.....  
يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله.....  
يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع.....  
يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من.....  
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته.....  
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في.....  
يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا.....  
يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير.....  
يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم.....  
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء....  
يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا.....  
يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى.....  
يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا.....  
يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا.....

---

ياأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين.....  
ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم.....  
ياأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا.....  
ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا.....  
ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها.....  
ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا.....  
ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم.....  
ياأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين.....  
يخلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين.....  
يخلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم.....  
يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير.....  
يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد.....  
يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا.....



أبدلكم بهما .....

أبغض الناس إلى الله ثلاثة ملحد في الحرم، الإلحاد الميل عن القصد، والعدول .....

أبها وثن من أوثان المشركين، أو عيد من أعيادهم؟ قال لا قال فأوف بنذرك .....

أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره .....

أتيت رسول في ب أتيت النبي صلي الله عليه وعلى آله وسلم الله وهو جالس .....

أحبوا العرب لثلاث لأني عربي، والقرآن عربي، ولسان أهل الجنة عربي .....

أحفوا الشوارب في ط الشارب، ولعله سهو من الناسخ ، وأوفوا في المطبوعة .....

أحفوا الشوارب، وأعفوا اللحى؛ لا تشبهوا بالمشركين .....

أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب .....

إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل .....

إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ في المطبوعة قال .....

إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم، ولا تكذبوهم .....

إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله .....

إذا سألتهم الله فاسألوه بجاهي، فإن جاهي عند الله عريض .....

إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي مرة .....

إذا فتحت عليكم خزائن فارس والروم أي قوم أنتم ؟ قال عبد الرحمن بن .....

إذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث في المطبوعة فلا يرفث ولا يفسق ولا يجهل .....

إذا كان لأحدكم ثوبان فليصل فيهما، فإن لم يكن في أ ج د ط والمطبوعة .....

أربع في أمي من أمر الجاهلية لا يتركوهن في ب لا يتركوهن الفخر بالأحساب، .....

أرسلني ابن عباس وناس من أصحاب النبي إلى أم سلمة رضي الله عنها، أسألها .....

أسألك بأن لك الحمد أنت الله المنان بديع السماوات والأرض .....

أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي هذا .....

أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا .....

أصمت ٧٤ أمس ؟ & قالت لا، قال # ما بين القوسين المعقوفين ساقط من جميع .....

أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان كان سقطت .....

أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء .....

أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق .....

أفتان أنت يا معاذ، إذا أمت الناس فخفف، فإن من ورائك الكبير والضعيف.....  
أكثرُوا من الصلاة علي ليلة الجمعة ويوم الجمعة فإن صلاتكم معروضة علي.....  
أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور.....  
أمثال هؤلاء فارموا.....  
أمر الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم زيد بن ثابت أن يتعلم السريانية.....  
أمر النبي أهل الطائف أن يجعلوا المسجد مكان طواغيتهم.....  
أمر رسول الله بصوم يوم عاشوراء العاشر من المحرم.....  
أمر في الثوب الضيق، بالاتزار دون الاشتمال.....  
أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول.....  
أمرني النبي في أط رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن لا أدع.....  
إن أحدهم ليسألني المسألة فأعطيته إياها، فيخرج بها يتأبطها نارا ، ٢٥٥.....  
إن أخوف ما أخاف عليكم زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن، وأئمة مضلون.....  
إن آل فلان ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالحو المؤمنين.....  
أن أهل الجاهلية كانوا يصومون عاشوراء، وأن رسول الله صامه والمسلمون.....  
إن أهل الكتابين افرقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة.....  
أن ابن عباس ومعاوية طافا بالبيت، فاستلم معاوية الأركان الأربعة فقال.....  
إن الدعاء والبلاء ليلتقيان في ج د يلتقيان ، فيعتلجان بين السماء والأرض.....  
إن الدنيا حلوة في ب خضرة حلوة وكذلك في بعض روايات الحديث خضرة، وإن.....  
إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة.....  
إن الرجل ليسألني المسألة فأعطيته إياها، فيخرج بها يتأبطها نارا ، فقالوا.....  
إن السياحة هي الصيام.....  
أن العباس بن عبد المطلب، دخل على ٤٢٧ رسول الله مغضبا، وأنا عنده، فقال.....  
إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى.....  
إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة.....  
إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمي سيلغ ملكها.....  
إن الله فرض عليكم صيام رمضان، وسنت لكم قيامه.....  
إن الله قد أبدلكم بهما خيرا منهما.....  
إن الله قد أبدلكم بهما يومين آخرين،.....

إن الله قد أبدلكم بهما يومين خيرا منهما .....

إن الله قد أذهب ٢٤٧ عنكم في أغنية الجاهلية فخرها، وفي ب عيبة الجاهلية، .....

إن الله قد أذهب عنكم عيبة في أ ط عيبة والصحيح ما أثبتته انظر ١ ٢٤٧ .....

أن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة جاء ذلك في حديث أخرجه الترمذي .....

إن الله وكل بقبري ملائكة يبلغوني عن أمي السلام .....

إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر .....

إن الله يحب البصر في المطبوعة البصير الناقد عند ورود الشبهات ويجب .....

إن الله يغفر فيها لأكثر من عدد شعر غنم كلب .....

أن الناس نزلوا مع رسول الله على الحجر أرض ثمود فاستقوا من آبارها وعجنوا .....

أن النبي خرج يوما، ١٢٨ فصلى على أهل أحد صلاته على في ط صلاة الميت .....

أن النبي دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة فقال أصمت أمس؟ قالت لا قال .....

أن النبي دعا في مسجد الفتح ثلاثا يوم الاثنين، ويوم الثلاثاء، ويوم .....

أن النبي قال له جبريل هذا قبر أبيك إبراهيم، انزل فصل فيه، وهذا بيت .....

أن النبي كان إذا قام يصلي من الليل يقول اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، .....

أن النبي لما أتى بيت المقدس ليلة الإسراء صلى فيه ركعتين .....

إن النذر لا يقرب من ابن آدم شيئا لم يكن الله قدره له، ولكن النذر يوافق .....

أن اليهود كانوا إذا ٢١٤ حاضت في ب فيهم المرأة المرأة فيهم لم يؤاكلوها، .....

إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالقهم .....

أن امرأة أتت النبي فقالت يا رسول الله إني نذرت أن أضرب على رأسك ٤٩٥ .....

إن امرأة اشتكت شكوى في ب بشكوى وفي مسلم كما هو مثبت ، فقالت إن شفاني .....

إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد قست قلوبهم، فاخترعوا كتابا من عند .....

إن جبريل أتاني فقال إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع، فتستغفر لهم، .....

إن جبي في المطبوعة حبيبي وكذا في أبي داود، ومعناها واحد النبي .....

إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم أي يوم عرفة ٣٤١ هذا، في .....

أن رجلا قال يا رسول الله ائذن لي بالسياحة كذا بالسياحة في كل النسخ .....

أن رسول الله بعث أبا عبيدة بن الجراح في ب رضي الله عنه إلى البحرين .....

أن رسول الله خرج إلى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا .....

أن رسول الله قال أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة وليلة الجمعة، فإن .....

..... أن رسول الله قدم المدينة، فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء، فقال لهم .....

..... أن رسول الله لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من ٢٦١ .....

..... أن رسول الله نهي أن يبني على القبور.....

..... أن رسول الله نهي عن السدل في الصلاة، وأن يغطي الرجل فاه.....

..... إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته، مئنة مئنة أي علامة انظر شرح النووي .....

..... أن في أ إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم النبي رأى على رجل خاتم صفر .....

..... إن كل آدب يجب أن تؤتى مأدبته وإن مأدبة الله هي القرآن.....

..... إن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا.....

..... إن من أبر البر أن يصل الرجل الرجل ساقطة من أهل ود أبيه بعد أن يولي .....

..... إن من أشرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد .....

..... إن من برهما بعد موتهما الدعاء لهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما .....

..... إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد.....

..... إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره .....

..... إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد فلا تتخذوها مساجد.....

..... إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد.....

..... أن نفرا كانوا جلوسا بباب النبي فقال بعضهم ألم يقل الله كذا وكذا؟ وقال .....

..... أن نفرا من أصحاب النبي سألوا أزواج النبي عن عمله في السر فقال بعضهم .....

..... أن هذا كان مكتوبا قبل أن أخلق فحج آدم موسى.....

..... إن هذا يوم جعله الله للمسلمين عيدا .....

..... أنا أفصح العرب بيد أبي من قريش، واسترضعت في بني سعد بن بكر .....

..... إنا أمة أمية؛ لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا .....

..... إنا لنعوذ بفناء النبي إذ مرت بنا في ط إذ مرت به امرأة، فقال بعض القوم.....

..... إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد .....

..... أنت مني وأنا منك.....

..... إنك امرؤ ٢٣٦ فيك جاهلية .....

..... إنكن صواحب يوسف .....

..... إنما فعلت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي .....

..... إنما هلك في ب ط أهلك، وفي بعض روايات البخاري ومسلم هلكت بنو إسرائيل.....

إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذها نساؤهم .....  
إنما يفعل ذلك النصارى، صوموا كما أمركم الله في المطبوعة ثم أتموا وأتموا .....  
إنما يلبس الحرير من لا خلاق له في الآخرة .....  
أنه ٣٨٨ أمر بقبر فسوي، ثم قال سمعت رسول الله يأمر بتسويتها .....  
أنه أقبل مع رسول الله في طائفة من أصحابه، من العالية العالية ما كان .....  
إنه أنه سقطت من ب ط من يعيش منكم بعدي فسيروا اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي .....  
إنه أوحى إلي أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغى أحد على أحد .....  
إنه سيخرج من أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، .....  
أنه كان إذا دخل شهر رجب قال اللهم بارك لنا في المطبوعة في شهر رجب .....  
إنه لا يأتي بخير من هنا حتى قوله فما الظن بعد سطر ونصف تقريبا سقط .....  
إنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل .....  
إنها براءة من الشرك .....  
إنها ساعة يسجد لها الكفار .....  
أنها سمعت النبي يقرأ في الفجر بالطور في حجة الوداع، وهي طائفة من حول .....  
إنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة .....  
إنها ليست بنجس، إنما من الطوافين عليكم والطوافات .....  
إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد .....  
إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلا كما .....  
إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما .....  
إني كنت نهيتمكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنها تذكركم الآخرة .....  
إني لأعطي أحدهم العطية فيخرج بها يتأبطها نارا قالوا يا رسول الله .....  
أوف بندرك .....  
أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح في هامش ب أو العبد الصالح بنوا على .....  
أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح، أو الرجل الصالح، بنوا على قبره .....  
أي الأيام كان رسول الله أكثر صياما لها؟ فقالت السبت والأحد .....  
إياكم في أ وإياكم والغلو في الدين .....  
أين السائل أنفا؟ أو خير هو؟ ثلاثا إن الخير لا يأتي إلا بالخير وإن .....  
أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين .....

..... اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في النسب، والنياحة على الميت .....

..... اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبورا .....

..... استأذنت ربي أن أستغفر لأمي في ط لأمي وهو خطأ فلم يأذن لي، واستأذنته .....

..... استأذنت ربي في أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها .....

..... اشتكى رسول الله فصلينا وراءه وهو قاعد وأبو بكر هو عبد الله بن أبي .....

..... اقتتل غلامان غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار فنادى المهاجر في ب .....

..... الأرض كلها مسجد، إلا المقبرة والحمام .....

..... الأنبياء إخوة لعلات .....

..... الدعاء موقوف بين السماء والأرض حتى تصلي على نبيك .....

..... الدعاء هو العبادة .....

..... السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ويرحم .....

..... الصلاة في مسجد قباء كعمرة .....

..... الصلاة نور .....

..... القط لي حصي .....

..... اللحد لنا والشق لغيرنا رواه أهل السنن الأربعة .....

..... الله أكبر، قلتم كما قال قوم موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، إنها .....

..... اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، أنت الله المنان في أنت المنان وفي .....

..... اللهم إني أسألك بأنك أنت أنت سقطت من أ الله الأحد الصمد، الذي لم يلد .....

..... اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي هذا، فإني لم أخرج أشرا .....

..... اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد، يا نبي .....

..... اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد .....

..... اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد

..... المتشعب في ج المتشعب والمتشعب هو المتزين بأكثر مما عنده يتكثر به .....

..... النبي توضأ وصب فضل وضوئه في أصل شجرة .....

..... انتهيت إلى ابن عباس، وهو متوسد رداءه في زمزم، فقلت له أخبرني عن صوم .....

..... انظر إلى مقعدك في الجنة، أبدلك الله به مقعدا من النار .....

..... انظر إلى مقعدك من النار، أبدلك الله به خيرا منه مقعدا في الجنة .....

اهتم النبي للصلاة، كيف يجمع الناس لها ؟ فقيل له انصب راية عند حضور .....  
بأنك أنت الله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد .....  
بعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين أصبعين السبابة والوسطى .....  
بلغنا أنه من وسع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته .....  
بلغه بعض ما يقول الناس، قال فصعد المنبر فقال من أنا ؟ قالوا أنت .....  
بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فهذا يومهم الذي .....  
بينما رسول الله يتوكأ على قوس له عربية، إذ رأى رجلا معه قوس فارسية، .....  
تعظمه اليهود وتتخذة عيداً .....  
تفترق اليهود على إحدى وسبعين فرقة، أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى .....  
تمعدوا، واخشوشنوا، وانتعلوا، وامشوا حفاة .....  
ثلاث من كن فيه في ط ب فقد وجد وجد في أ وجد بمن حلاوة الإيمان حلاة .....  
جاء العباس إلى رسول الله فكأنه سمع شيئاً، فقام النبي على المنبر فقال .....  
جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي يسألون عن عبادة النبي في ب ج د .....  
جاء قيس بن حطاطة لم أجد له ترجمة، وفي تاريخ واسط سماه قيس بن رطاطة .....  
جزوا الشوارب، وأرخوا اللحى، خالفوا المحوس .....  
جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً .....  
جلس رسول الله على المنبر وجلسنا حوله فقال إن مما أخاف عليكم بعدي .....  
حب أبي بكر وعمر من الإيمان، وبغضهما من الكفر، وحب العرب من الإيمان، .....  
حب العرب إيمان وبغضهم نفاق .....  
حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة .....  
حديث ابن أم مكتوم أنه سأل النبي أن يأتيه فيصلني في بيته حتى يتخذة مسجداً .....  
خالف هدينا هدي المشركين .....  
خالفوا ٢٠٨ اليهود، فإنهم لا يصلون في نعالمهم، ولا خفافهم .....  
خالفوا المشركين، أحفوا في أحفوا الشوارب، وأوفوا في المطبوعة وأعفوا اللحى .....

خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم، والناس يتكلمون في القدر .....  
خرجت مع أبي في حجة رسول الله فرأيت رسول الله وسمعت الناس يقولون رسول .....  
خرجنا مع رسول الله إلى حنين، ونحن حدثاء في المطبوعة حديثو عهد بكفر، .....

خلق الخلق فجعلني في خيرهم، ثم خيرهم فرقتين فجعلني في خير فرقة.....  
خير أمي القرن الذي بعثت فيه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم.....  
خييرا منهما.....  
خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم.....  
دخل العباس على رسول الله فقال يا رسول الله إنا لنخرج فنرى قريشا نتحدث،.....  
دخل علي أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت به.....  
دعا لأنس بن مالك أن يكثر الله ماله وولده.....  
دعهما يا أبا بكر فإن لكل قوم عيداً، وإن هذا عيدنا.....  
دعهما يا أبا بكر؛ فإنها أيام عيد.....  
ذروني في البخاري دعوني ما تركتكم فإنما هلك في البخاري وإنما أهلك من.....  
رأى رسول الله علي ثوبين معصفرين فقال إن هذه من ثياب الكفار، فلا في.....  
رأيت أبا ذر عليه حلة وعلى غلامه مثلها، فسألته عن ذلك فذكر أنه ساب.....  
رأيت النبي يتحرى الصلاة عندها.....  
رأيت عمرو بن عامر الخزاعي ذكر عنه المؤلف ما يكفي للتعريف به وانظر.....  
رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف، أخا في بعض نسخ مسلم أبا بني كعب.....  
رسول الله كان يتحرى ذلك المكان، وكان بين المنبر والقبلة قدر ممر الشاة.....  
ركب رسول الله فرسا بالمدينة فصرعه على ٢٢٦ جدم أي أصل نخلة انظر القاموس.....  
زار النبي قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله، فقال استأذنت ربي أن أستغفر.....  
سأحدثكم عن ذلك.....  
سمعت رجلا قرأ آية سمعت النبي يقرأ خلافاً، فأخذت بيده، فانطلقت به إلى.....  
سيكون في ثقيف كذاب ومبير.....  
شر الأمور محدثاتها.....  
شهدت العيد مع رسول الله.....  
شهدت مع رسول الله أحداً فضربت رجلاً من المشركين فقلت خذها في المطبوعة.....  
صام رسول الله يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا يا رسول الله إنه يوم تعظمه.....  
صلاة الرجل في المسجد تفضل عن صلاته في بيته وسوقه بخمس وعشرين صلاة.....  
صلاة في مسجدي هذا أفضل في المطبوعة خير وكلاهما وارد في مسلم أفضل وخير.....  
صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام، وصلاة.....



صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة في غيره من المساجد، إلا المسجد الحرام؛.....

صلاة في مسجدي هذا خير من ألف في أ ط خير من الصلاة فيما سواه صلاة فيما،.....

صلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم.....

صلوا كما رأيتموني أصلي.....

صليت إلى جنب ابن عمر فوضعت يدي على خاصرتي، فلما صلى قال هذا الصلب.....

صوموا التاسع والعاشر.....

صوموا قبله يوما، أو في ب ويوما والصحيح أو بعده يوما.....

صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته.....

صوموا من الوضح إلى الوضح.....

صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود وصوموا يوما قبله، أو يوما بعده.....

صوموا يوم عاشوراء وخالفوا فيه فيه سقطت من أ ب ط اليهود وصوموا قبله.....

صوموا يوم عاشوراء، وخالفوا فيه اليهود، صوموا يوما قبله، أو في ب.....

عدلت شهادة الزور الإشراف بالله.....

عرفة كلها موقف وارتفعوا عن بطن عرنة.....

عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا.....

عمرو بن عبسة هو الصحابي الجليل عمرو بن عبسة بن خالد بن عامر بن غاضرة.....

عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف، أبو خزاعة.....

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يحدث عن رسول الله أنه لقي زيد بن.....

عن النبي في قوله تعالى وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم أنهم من أبناء فارس.....

عن عبيد الأعرج كذا ورد اسمه في المسند ٦ ٣٦٨، وقد بحث عنه في كل كتب.....

عن عتيان بن مالك هو الصحابي الجليل عتيان بن مالك بن عمرو بن العجلان،.....

عودوا المريض وأطعموا الجائع وفكوا العاني.....

غزونا مع رسول الله وقد تاب تاب أي اجتمع وجاء انظر مختار الصحاح، مادة.....

غيروا الشيب، ولا تشبهوا بأهل الكتاب.....

غيروا الشيب، ولا تشبهوا باليهود.....

فأذهب إلى ربي، فإذا رأيته حررت له له سقطت من أ ط ساجدا، فأحمد في ب.....

فإن الناس لما عطشوا وجاعوا على عهد رسول الله فأخذ غير مرة ماء قليلا،.....

فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم.....

فإن لكل ٥٠٤ قوم عيداً، وإن هذا عيدنا.....

فأنا خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً.....

فأوف بنذرك.....

فتلك بقاياهم في الصوامع.....

فرق في المطبوعة فصل وكذلك في الترمذي ٣ ٣٩٨ ما بين الحلال والحرام الدف والصوت....

فرق ما بيننا وبين المشركين العمائم في المطبوعة بالعمائم، الصحيح ما.....

فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر.....

فقدته فإذا هو بالبقيع، فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين، أنتم لنا.....

فمن أراد أن يزور فليزر ولا تقولوا هجراً.....

فنحن أحق بموسى منكم.....

فيصلي فيه ركعتين.....

قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.....

قاتل الله اليهود في المطبوعة زاد والنصارى وهو خلاف جميع النسخ المخطوطة،.....

قاتل الله اليهود في المطبوعة والنصارى وهو خلاف ما في الصحيحين والنسخ.....

قال الله تعالى إني خلقت في المطبوعة جعلت عبادي حنفاء فاجتالتهم في.....

قال رجل للنبي يا رسول الله يا رسول الله ساقطة من ب ج د ، أرأيت أدوية.....

قال رسول الله لن في جميع النسخ المخطوطة لا أفلح، وفي البخاري والمطبوعة.....

قال رسول الله ما تركت بعدي في المطبوعة زاد على أمي، وهي زيادة انفردت.....

قال عمر كان أهل الجاهلية، لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس، ويقولون.....

قدم رسول الله المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال ما هذان اليومان.....

قل هو الله أحد قل هو الله أحد سقطت من أ تعدل ثلث القرآن.....

قلت يا رسول الله إنا لاقو العدو غداً، وليس معنا مدى المدى جمع مدية.....

قول المرأة التي جاء في المطبوعة جاءت ليخطبها النبي ليخطبها فقالت أعوذ.....

كالرجل الذي عادته في أ دعاه النبي فوجده مثل الفرخ فقال هل كنت تدعو.....

كان إذا دفن الرجل من أصحابه يقوم على قبره، ثم يقول سلوا له الثبيت،.....

كان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، وكان رسول.....

كان أول ما بدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة في ب د الصالحة.....

كان المسلمون حين قدموا المدينة، يجتمعون فيتحننون الصلاة في المطبوعة.....

كان النبي إذا فرغ من دفن الميت، وقف عليه فقال استغفروا لأخيكم وسلوا .....  
كان النبي يأتي مسجد في ب يأتي قباء قباء كل سبت ماشيا وراكبا.....  
كان رسول الله إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش.....  
كان رسول الله يصوم من الشهر السبت والأحد والاثنين، ومن الشهر الآخر.....  
كان رسول الله يعلمهم إذا ١٧٧ خرجوا إلى المقابر، أن يقول قائلهم السلام.....  
كان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء.....  
كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان في ج د فكان رسول الله.....  
كان يوم عاشوراء تعده اليهود عيداً، قال النبي فصوموه أنتم.....  
كانت قريش تصوم يوم عاشوراء في الجاهلية، وكان رسول الله يصومه في ج.....  
كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك.....  
كتب إلينا عمرو بن بذرئيل، مع عتبة بن فرقد يا عتبة إنه ليس من كد.....  
كل بدعة ضلالة.....  
كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع.....  
كل محدثة بدعة.....  
كلاهما محسن.....  
كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة.....  
كنا جلوساً عند النبي فأنزلت عليه سورة الجمعة وآخرين منهم لما يلحقوا.....  
كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها.....  
لأستغفرن لك ما لم أنه عنك.....  
لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع.....  
لا أركب الأرجوان الأرجوان يطلق على شجر له ورد، ويطلق على الصبغ الأحمر،.....  
لا تأكلوا بالشمال، فإن الشيطان يأكل بالشمال.....  
لا تتخذوا القبور مساجد، فإن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد.....  
لا تتخذوا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي حيثما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني.....  
لا تتخذوا بيوتكم قبوراً، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر، لعن الله اليهود اتخذوا.....  
لا تتخذوا قبوري عيداً.....  
لا تتخذوا قبوري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم.....  
لا تتخذوا قبوري عيداً، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر، لعن الله اليهود اتخذوا.....

- 
- 
- لا تجعلوا بيوتكم ١٧٠ قبورا، ولا تجعلوا قبوري عيدا، وصلوا علي فإن صلاتكم .....
- لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإن الشيطان يفر من البيت الذي يسمع سورة البقرة تقرأ فيه .....
- لا تحضوا في مسلم لا تحضوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تحضوا .....
- لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين، إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين .....
- لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون .....
- لا تزال أمي على مسكة ما لم ينتظروا بالمغرب اشتباك النجوم مضاهاة لليهودية .....
- لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة .....
- لا تزال طائفة من أمي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم، .....
- لا تزال في ب أ لا يزال طائفة من أمتي في المطبوعة بل قد تواتر عنه أنه .....
- لا تزال في ب لا يزال أمي بخير أو في المطبوعة أو قال على الفطرة على .....
- لا تزال في ب لا يزال من أمتي طائفة ظاهرة على الحق حتى يأتي أمر الله .....
- لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا
- لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله في أ ب ط لم يذكر اسم الجلالة عليكم، .....
- لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم، فإن قوما شددوا على أنفسهم، فشدد .....
- لا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في .....
- لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها .....
- لا تصوموا يوم الجمعة وحده .....
- لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم وإن لم يجد أحدكم إلا لحاء ....
- لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، وإنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله.
- لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم المغرب قال قال ساقطة من ب والأعراب .....
- لا تغلبنكم في ب ج د والمطبوعة يغلبنكم وفي مسلم تغلبنكم، كما هو مثبت .....
- لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباعضوا، ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا، .....
- لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمي مأخذ القرون، شبرا بشبر، وذراعا بذراع .....
- لا تلبسوا من الحرير، إلا ما كان هكذا، وأشار رسول الله بإصبعيه .....
- لا تنكح المرأة على عمتها، ولا على خالتها، فإنكم إذا فعلتم ذلك ١١٠ قطعتم أرحامكم .....
- لا رهبانية الرهبانية، والترهب التعبد، والانقطاع عن الناس للعبادة، .....
- لا رهبانية في الإسلام .....

لا عقر في الإسلام.....  
لا عقر في في المطبوعة في دار الإسلام، ولم أجده بهذا اللفظ الإسلام.....  
لا وفاء لنذر في معصية الله.....  
لا يأكلن أحدكم بشماله، ولا يشربن بها، فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بها.....  
لا يبغض العرب إلا منافق.....  
لا يتقدم أحدكم رمضان بصوم يوم في أ بصوم ولا يومين، وهو خلط من الناسخ.....  
لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار من في قلبه.....  
لا يزال الدين ظاهرا ما عجل الناس الفطر؛ لأن اليهود والنصارى يؤخرون.....  
لا يشتمل اشتمال اليهود.....  
لا يصومن أحدكم يوم الجمعة، إلا يوما قبله أو في المطبوعة أو يوما بعده.....  
لا يغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم العشاء، فإنها في كتاب الله العشاء،.....  
لا يقتل مسلم بكافر.....  
لا يقولن أحدكم لا يقولن أحدكم ساقطة من أ ما شاء الله و شاء محمد، بل.....  
لتأخذن أمي مأخذ القرون قبلها شيرا بشيرا وذراعا بذراع ، قالوا فارس.....  
لتأخذن كما أخذت الأمم من قبلكم ذراعا بذراع، وشيرا بشيرا، وباعا بياع،.....  
لتتبعن سنن من كان قبلكم.....  
لتتبعن سنن من كان كان سقطت من ب ٨٠ قبلكم حذو القذة القذة بالضم ريشة.....  
لتركبن سنة من كان قبلكم.....  
لتركبن سنن من كان قبلكم.....  
لعن الله اليهود في ب د وفي المطبوعة والنصارى ولم أحدها في مسند أحمد.....  
لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.....  
لعن رسول الله زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج.....  
لعن في المطبوعة صلى الله عليه وعلى آله وسلم التشبهات من النساء بالرجال.....  
لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.....  
لقد جلست أنا وأخي لم أجد ما يدل على من هو المقصود بأخيه في المصادر.....  
لما كثر الناس، ذكروا أن يعلموا في أ ط يعلموهم وقت الصلاة بشيء يعرفونه،.....  
لما نزل برسول الله طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها،.....  
لما نزلت على رسول الله ما في السماوات وما في الأرض وإن تبدوا ما.....

لو أعلم أي لو زدت على السبعين يغفر لهم لزدت.....  
لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس أو قال من أبناء فارس حتى يتناوله.....  
لو كان العلم عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس.....  
ليأتين على أمي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إذا في.....  
ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل في أي شيء قتل، ولا يدري المقتول.....  
ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان.....  
ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة.....  
ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود، ولا بالنصارى؛ فإن تسليم.....  
ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية..  
ليس منا من ضرب الحدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية.....  
ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل.....  
ما أحدث قوم بدعة إلا نزع الله عنهم من السنة مثلها.....  
ما ابتدع قوم بدعة إلا نزع عنهم من السنة مثلها.....  
ما تعدون ٤٨٥ الرقوب.....  
ما جلس قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم،.....  
ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لبب ذي اللب من إحدان.....  
ما ساء عمل أمة قط إلا زحرفوا مساجدهم.....  
ما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه.....  
ما من أحد يسلم علي ١٧٤ إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام.....  
ما من رجل يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام.....  
ما من رجل يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا، فيسلم عليه، إلا رد الله.....  
ما من عبد يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله.....  
مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى.....  
مر رسول الله بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال السلام عليكم يا.....  
مر على النبي بيهودي، محمم مجلود، فدعاهم، فقال ٣٣١ هكذا تجدون حد الزاني.....  
مسجدي هذا.....  
من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان.....  
من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد.....

من أصيب بمصيبة، فذكر مصيبتته، فأحدث استرجاعا، وإن تقادم عهدها، كتب.....  
من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة.....  
من تشبه بقوم فهو منهم.....  
من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء، فصلى فيه صلاة، كان له كأجر عمرة.....  
من تطهر في بيته فأحسن الطهور، ثم خرج إلى المسجد لا تنهزه لا تنهزه.....  
من تعزى بعزاء قال البغوي في شرح السنة قوله من تعزى بعزاء الجاهلية.....  
من تكلم بالعربية فهو عربي، ومن أدرك له اثنان في أ ط إبنان وفي ج د.....  
من حدث عني بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين.....  
من حلف بغير الله فقد أشرك.....  
من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت.....  
من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، من غير أن ينقص من أجورهم شيء..  
من رأى منكم منكرا فليغيره بيده؛ فإن لم يستطع فبلسانه؛ فإن لم يستطع.....  
من روى عني حديثا وهو يرى في المطبوعة يعلم أنه كذب، فهو أحد الكاذبين.....  
من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة.....  
من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي.....  
من زارني وزار أبي إبراهيم الخليل في عام واحد ضمنت له على الله الجنة.....  
من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى السلطان افتتن.....  
من صام ٧٥ رمضان، وأتبعه بست من شوال.....  
من صلى علي مرة صلى الله عليه بها بما ساقطة من أ ط د عشرا.....  
من صلى عند قبري في المطبوعة علي وعند قبري ساقطة سمعته، ومن صلى علي نائيا بلغته.....  
من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد.....  
من غش العرب لم يدخل في شفاعتي، ولم تنله مودتي.....  
من في أ ط وفي المطبوعة أنه من صلى عليه مرة صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا.....  
من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت.....  
من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي.....  
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه.....  
من كان يحسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالفارسية فإنه يورث النفاق.....  
من نذر أن يطبع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه.....

من نصر قومه ٢٤٤ على غير الحق فهو كالبعير الذي ردي في ج د ط تردى، ومعناه .....

من يحسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالعجمية فإنه يورث النفاق .....

نحن أحق بموسى منكم .....

نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، .....

نذر رجل على عهد رسول الله أن ينحر إبلا ببوانة، فأتى رسول الله فقال .....

فأنا عن لبوس الحرير وقال إلا هكذا ورفع لنا رسول الله أصبعيه .....

نهي أن يرفع الطست كذا في ب ج د والمطبوعة الطست، وفي أ ط الطشت حتى يطف .....

نهي أن يصلي الرجل مختصرا .....

نهي النبي عن صوم يوم الجمعة إلا بيوم قبله أو يوم في ط أو بيوم بعده .....

نهي رسول الله أن يجلس الرجل في الصلاة وهو معتمد في أ يعتمد على يده .....

نهي عن الخصر في المطبوعة التخصر، وفي البخاري كما أثبتته انظر فتح الباري .....

نهي عن الصلاة في أماكن العذاب .....

نهيتمكم عن زيارة القبور فزوروها .....

هجرت أي ذهبت في الهاجرة، وهي نصف النهار عند اشتداد الحر مختار الصحاح، .....

هل بما ٤٩٤ وثن وثن سقطت من أ أو عيد من أعياد الجاهلية؟ قال لا، قال .....

هل بما سقطت من أ عيد من أعيادهم؟ .....

هل كان بما في ب فيها عيد من أعيادهم .....

هل كان بما وثن من أو ثان الجاهلية يعبد؟ قال لا، قال فهل كان بما عيد .....

هلكت الرجال حين أطاعت النساء .....

هم الذين لا يسترقون، ولا يكتنون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون .....

وأما الظفر، فمدى الحبشة .....

وأمر أهل اليمامة أن يتخذوا المسجد مكان بيعة كانت عندهم .....

وإن عيدنا هذا اليوم .....

وإن هذا اليوم .....

وأنا أولى الناس بابن مريم، فإنه ليس بيني وبينه نبي .....

وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى .....

والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين .....

ورأى على آخر خاتم حديد فقال ما لي أرى عليك حلية أهل النار؟ .....



وقال له رجل ما شاء الله وشئت، فقال أ جعلتني لله في ج د أتجعلني ندا .....  
وقال له له سقطت من أ عمر يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا .....  
وكان أبي يذكر أن النبي نهي عنه .....  
وكان النبي يستعيز بكلمات الله التامات التي لا يجاوزها بر ولا فاجر .....  
وكان يعجبه موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء .....  
وكل ضلالة في ٨٣ النار .....  
ولا تتخذوا بيوتكم قبورا .....  
ولكني في ج د ولكن أخشى عليكم الدنيا في المطبوعة أخشى عليكم أن تنافسوا .....  
ولما أنشده الأعمشى أعشى باهلة أكثر المصادر تسميه عبد الله بن الأعور .....  
ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن خشي أن يتخذ مسجدا .....  
وما ازداد عبد من السلطان دنوا إلا ازداد من الله بعدا .....  
ومن لزم السلطان افتتن .....  
وهذا عيدنا .....  
يا أبا بكر إن لكل قوم عيدا، وإن عيدنا هذا اليوم .....  
يا أسامة أتشفع في حد من حدود الله ؟ إنما هلك بنو إسرائيل أنهم كانوا .....  
يا أم خالد، هذا سنا .....  
يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، ألا وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي .....  
يا رسول الله ما العصبية قال أن تعين قومك على الظلم .....  
يا رسول الله، إن قریشا جلسوا فتذاكروا أحسابهم بينهم، فجعلوا مثلك كمثل .....  
يا رسول الله، أي الناس أسعد بشفاعتك في ط بشفاعتكم يوم القيامة ؟ قال .....  
يا سلمان لا تبغضني فتفارق ٤٣٤ دينك قلت يا رسول الله، كيف أبغضك وبك .....  
يا فاطمة هي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وزوج علي .....  
يا معاذ، أتدري ما حق الله على عباده ؟ قلت الله ورسوله أعلم، قال حقه .....  
يا معاذ، أتدري ما حق الله على عباده في المطبوعة على العباد ؟ قلت .....  
يجر قصبه في النار .....  
يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم .....  
يضرب بعضكم رقاب في المطبوعة بعضكم بعضا .....  
يتزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول .....

---

يوم عرفة ويوم النحر، وأيام منى عيدنا أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب.....

---

---

٢	تقديم بقلم معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي
٢	وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
٥	مقدمة
٨	ترجمة موجزة للمؤلف
١٣	وصف النسخ المخطوطة للكتاب
١٦	الكتاب المحقق اسمه وتاريخ تأليفه
١٨	منهج تحقيق الكتاب والتعليق عليه
٢١	دراسة تحليلية لبعض موضوعات الكتاب
٢١	أولا الموضوع الرئيس للكتاب
٢٤	ثانيا دراسة لبعض موضوعات الكتاب
٢٤	الموضوع الأول
٢٤	تنبيه المؤلف على أصليين مهمين
٢٧	الموضوع الثاني
٢٧	بعض أنواع البدع والشركيات التي ابتليت بها الأمة
٢٩	الموضوع الثالث
٢٩	أثر التشبه على الأمة
٣٢	الموضوع الرابع
٣٢	قواعد أساسية في التشبه
٣٤	الموضوع الخامس
٣٤	فتات من الناس نهينا عن التشبه بها
٣٦	الموضوع السادس
٣٦	النهى يعم كل ما هو من سمات الكفار قديماً وحديثاً
٣٨	الموضوع السابع
٣٨	متى يباح التشبه بغير المسلمين؟
٣٩	الموضوع الثامن
٣٩	في الأعياد والاحتفالات البدعية
٤٤	الموضوع التاسع

٤٤	في الرطانة
٤٦	الموضوع العاشر
٤٦	حول مفهوم البدعة
٤٨	الموضوع الحادي عشر
٤٨	حول بدع القبور والمزارات والمشاهد والآثار ونحوها
٥١	القسم الثاني
٥١	خطبة الحاجة من كتاب المحقق
٥١	سبب تأليف الكتاب
٥٤	فصل في حال الناس قبل الإسلام
٦٢	بعض أمور أهل الكتاب والأعاجم التي ابتلي بها بعض المسلمين
٧١	الأمر بمخالفة المغضوب عليهم والضالين في الهدى الظاهر
٧٣	فصل في ذكر الأدلة على الأمر بمخالفة الكفار عموماً وفي أعيادهم خصوصاً
٧٣	بيان المصلحة في مخالفة الكفار والتضرر والمفسدة من متابعتهم
٧٥	الاستدلال من القرآن على النهي عن اتباع الكافرين
١٠٠	الاستدلال من السنة على النهي عن اتباع الكافرين
١١٢	الاختلاف الذي أخبر به النبي ﷺ
١٢١	أنواع الاختلاف
١٤١	عود إلى الاستدلال من القرآن على النهي عن مشاهمة الكفار
١٤٩	النهي عن موالاتة الكفار ومودتهم
١٥٤	وجوه الأمر بمخالفة الكفار
١٩٣	ذم بعض خصال الجاهلية
٢٠٨	الفساد وأنواعه
٢٢١	التشبه مفهومه ومقتضاه
٢٦٤	التشديد على النفس أنواعه وآثاره
٢٨٠	فصل
٢٨٠	في ذكر فوائد خطبته صلى الله عليه وعلى آله وسلم العظيمة في يوم عرفة
٢٩٩	فصل في الإجماع على الأمر بمخالفة الكفار والنهي عن مشابحتهم
٢٩٩	الوجه الأول من دلائل الإجماع
٣٠٥	الوجه الثاني من دلائل الإجماع <sup>١</sup>

٣٢٢.....	الوجه الثالث في تقرير الإجماع
٣٣٦.....	فصل في الأمر بمخالفة الشياطين
٣٣٩.....	فصل في الفرق بين التشبه بالكفار والشياطين وبين التشبه بالأعراب والأعاجم
٣٣٩.....	الناس ينقسمون إلى بر وفاجر ومؤمن وكافر ولا عبرة بالنسب
٣٤٨.....	التفاضل بين جنس العرب وجنس العجم
٣٥٩.....	النهي عن بغض العرب
٣٧١.....	أسباب تفضيل العرب
٣٨٤.....	فصل في أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه
٣٩٤.....	فصل في أقسام أعمال الكفار
٣٩٨.....	فصل في الأعياد <sup>١</sup>
٣٩٨.....	طرق عدم جواز موافقتهم في أعيادهم
٣٩٨.....	الطريق الأول أنه موافقة لأهل الكتاب فيما ليس في ديننا
٤٠٠.....	الطريق الثاني الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار
٤٦٥.....	فصل في مشابھتهم فيما ليس من شرعنا
٤٦٧.....	فصل في مفهوم العيد والحذر من التشبه بالكفار في أعيادهم
٤٧٠.....	فصل في أعياد الكفار
٤٧٠.....	بعض ما يفعله الناس من المسلمين من البدع في ذلك
٤٧٣.....	النهي عن فعل ما يعين الكفار في أعيادهم
٤٨١.....	بيع الدار ونحوها للذمي وإيجارها له
٤٩٠.....	إبتياح الذمي أرض العشر من مسلم
٤٩٣.....	أخذ العشر على أرض أهل الذمة
٤٩٩.....	استئجار الأرض الموقوفة على الكنيسة وشراء ما يباع للكنيسة
٥٠٩.....	قبول الهدية من أهل الذمة يوم عيدهم
٥١١.....	ذبيحتهم يوم عيدهم وأنواع ذبائح أهل الكتاب
٥١٧.....	ما ذبح على النصب
٥٢٣.....	ذبائح الجن المزعزعة
٥٢٥.....	عودة إلى تفصيل القول فيما ذبح على النصب
٥٢٧.....	فصل في صوم أيام عيد الكفار
٥٣٥.....	فصل في صوم النيروز والمهرجان ونحوهما من أعياد المشركين

٥٣٧.....	فصل في سائر الأعياد والمواسم المبتدعة.....
٥٣٧.....	ما أحدث من المواسم والأعياد فهو منكر لوجهين.....
٥٣٧.....	الأول دخول سائر الأعياد والمواسم المبتدعة في مسمى البدع المحدثات.....
٥٦٠.....	الثاني اشتغالها بالفساد في الدين.....
٥٧٣.....	فصل في الأعياد الزمانية المبتدعة.....
٥٧٣.....	أنواع الأعياد الزمانية المبتدعة.....
٥٩٦.....	فصل في الأعياد المكانية المبتدعة.....
٦٠١.....	فصل في أنواع الأعياد المكانية.....
٦٠٢.....	النوع الأول مكان لا خصوص له في الشريعة.....
٦٠٦.....	بعض الأمكنة والقبور التي ابتدعها الناس.....
٦١٣.....	فصل في النوع الثاني من الأمكنة.....
٦١٣.....	النوع الثاني ما له خصيصة لا تقتضي اتخاذ عيدا.....
٦١٩.....	إطلاق العيد على المكان الذي يقصد الاجتماع فيه.....
٦٢٤.....	ما يتصل بالقبور من زيارتها والصلاة عندها واتخاذها مساجد والبناء عليها.....
٦٣١.....	أنواع من المحرمات.....
٦٣٩.....	الدعاء عند القبور.....
٦٤٧.....	رد القول بأن الأمة أجمعت على استحسان الدعاء عند القبور.....
٦٥٧.....	أثر العبادة والدعاء عند القبور ليس دليلا على استحسانها.....
٦٦٧.....	أنواع الشرك.....
٦٧٩.....	الدعاء بعد تحية النبي ﷺ عند القبر.....
٦٨٦.....	تفنيد ما ورد في استحباب الدعاء عند القبر.....
٦٩٥.....	بعض بدع القبور.....
٦٩٨.....	فصل في عدم جواز سائر العبادات عند القبور.....
٧٠٣.....	فصل في العكوف عند القبور ومجاورتها وسدانتها.....
٧٠٦.....	فصل في مقامات الأنبياء وحكم قصدها.....
٧٠٦.....	أقوال العلماء وبيان القول الصحيح وأدلته.....
٧١١.....	الأمكنة التي كان النبي ﷺ يقصد الصلاة أو الدعاء عندها.....
٧٢٥.....	الاستسقاء بأهل الخير الأحياء إنما يكون بدعائهم.....

---

---

٧٤٥.....	التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة
٧٦٢.....	١ التوسل بالأنبياء والصالحين يكون بطاعتهم واتباعهم أو بدعائهم وشفاعتهم
٧٧١.....	المساجد التي تشد إليها الرحال
٧٧٦.....	فصل في المسجد الأقصى ١
٧٨٤.....	فصل في عدم اختصاص بقعة بقصد العبادة إلا المساجد
٧٨٨.....	أقوال الناس في الشفاعة والقول الحق في ذلك
٧٩٤.....	أصل التوحيد الذي بعثت به الرسل وأنزلت به الكتب
٨٠٧.....	أصل دين الأنبياء واحد وإنما تنوعت الشرائع
٨١٤.....	غلط طوائف في مسمى التوحيد وبيان الحق في ذلك
٨٢٨.....	الخاتمة
٨٤١.....	فهرس الآيات
٨٥٧.....	فهرس الأحاديث
٨٧٥.....	الفهرس